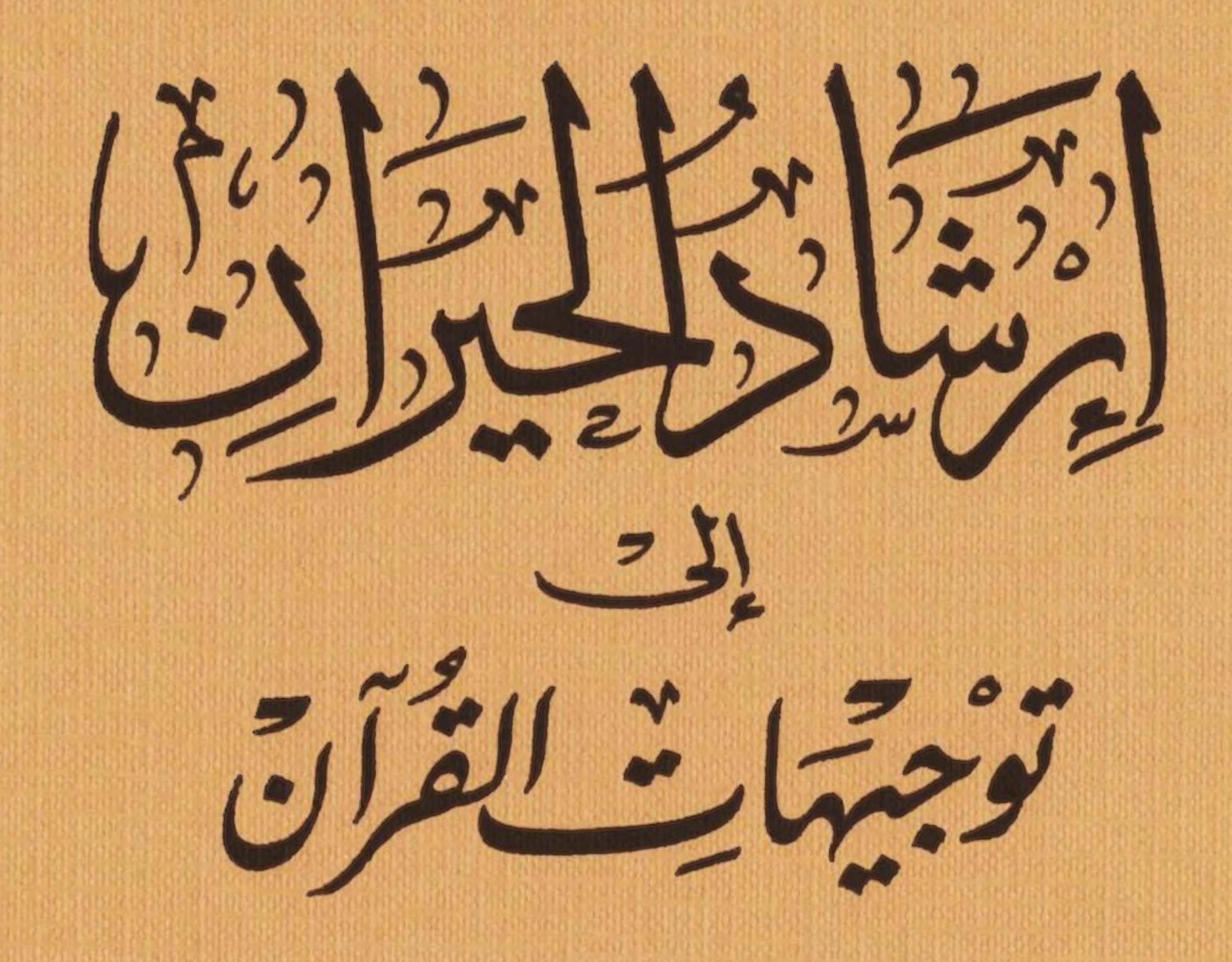
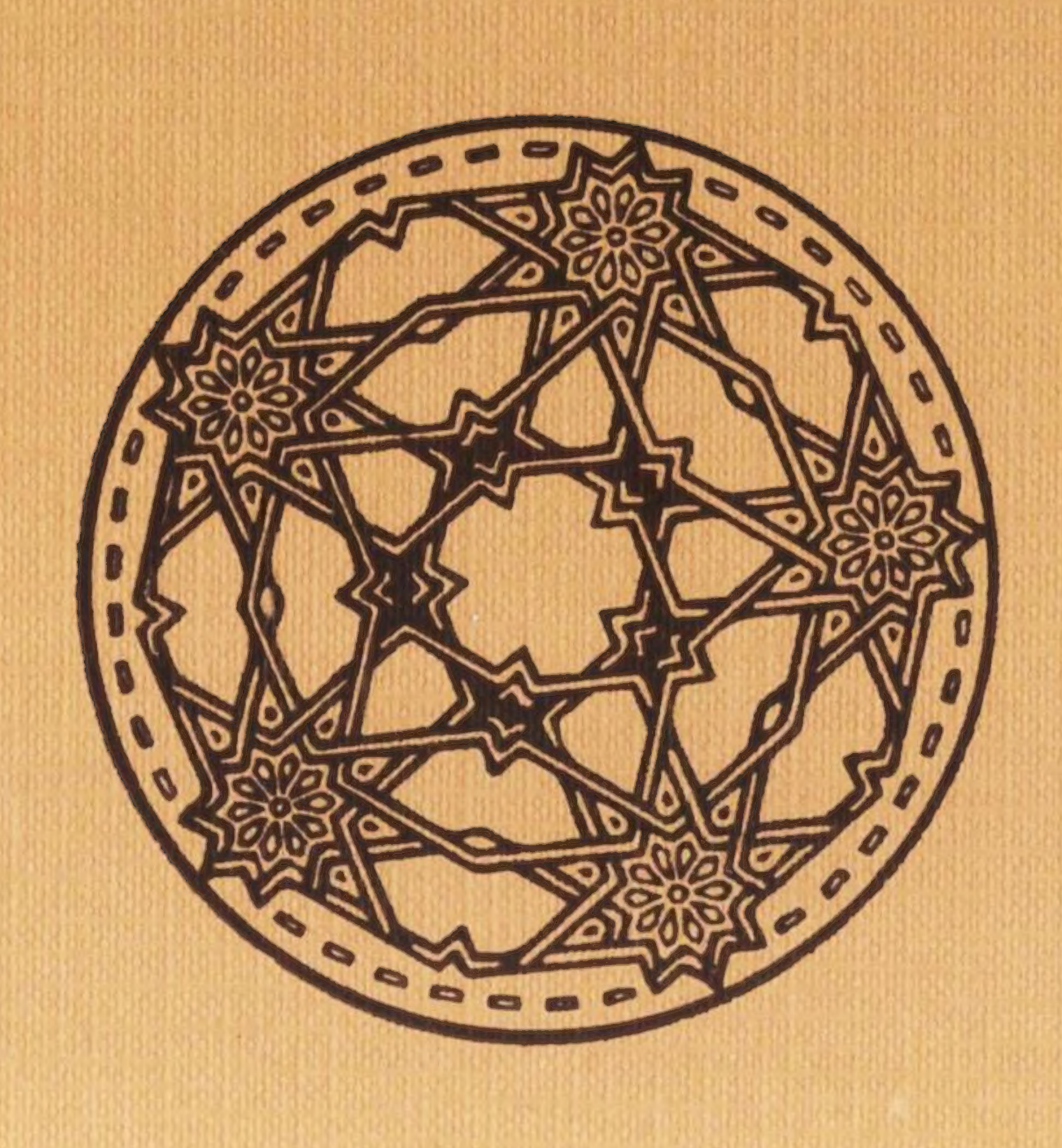


إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن

بقلم

فضيلة الشيخ

أحمد عبد السلام أبو مزيريق



دار المدار الإسلامي

إرشاد الحيران

إلى

توجيهات القرآن

إرشاد الحيران

إلى

توجيهات القرآن

7

بقلم

فضيلة الشيخ

أحمد عبد السلام أبو مزيريق

دار المدار الإسلامي

إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن 12/1

الشيخ أحمد عبد السلام أبو مزيريق

© دار المدار الإسلامي 2011
جميع الحقوق محفوظة للناشر بالتعاقد مع المؤلف

الطبعة الأولى
كانون الثاني/يناير/أي النار 2011 إفرنجي

موضوع الكتاب تفسير قرآني
تصميم الغلاف دار المدار الإسلامي
الحجم 17 × 24 سم
التجليد فنّي

ردمك ISBN 9959-29-182-0
(دار الكتب الوطنية/بنغازي - ليبيا)

رقم الإيداع المحلي 2003/5680

دار المدار الإسلامي
الصنائع، شارع جوستينيان، سنتر أريسكو، الطابق الخامس،
هاتف 04 03 75 1 961 + **خليوي** 89 39 93 3 961 +
05 03 75 1 961 + **فاكس** 07 03 75 1 961 +
ص.ب. 14/6703 بيروت - لبنان
بريد إلكتروني szrekany@inco.com.lb
الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopyings, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة للدار، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية
زاوية الدهماني، شارع أبي داود، بجانب سوق المهاري، طرابلس - الجماهيرية العظمى
هاتف وفاكس: 013 07 34 21 218 + **نقّال** 463 45 21 91 218 +
بريد إلكتروني: **oeabooks@yahoo.com**

3 - دلائل التوحيد بالنقل والعقل
استوعبتها بالتفصيل سورة النحل

النص

* وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ (51) وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ (52) وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ (53) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ (54) لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ (55) وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ (56) وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ (57) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ (58) يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ (59) لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (60) وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ (61) وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ (62) * تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (63)

وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (64) وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (65) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً
نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (66)
وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67) وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ
وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ
مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ
إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (70)
* وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا
بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ
أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (71) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ
الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (72)
وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا
مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (73)
فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (74)

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٍ
وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًا
هَلۡ يَسۡتَوُۥنَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ (75)
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٍ
وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ
هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (76)
وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ
ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (77)
وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا
وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (78)
* أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ
إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (79)
وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ
ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ
وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ (80)
وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ
أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم
بَأۡسَكُمۡ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ (81)

فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (82) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (83) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (84) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (85) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (86) وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (87) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (88) وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (89)

البيان

مبحث المفرادات اللغوية

﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياى فارهبون﴾: مفردات هذه الآية واضحة. **﴿وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون﴾**: الواصب الثابت الدائم الذي لا يزول؛ لأنه دين الله الواحد الدائم. **﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾**: نعمة الدين ونعمة الدنيا. **﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾**: جأَر جأْرا، وجؤارا: رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث. **﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون﴾**: الكلمات ظاهرة المعنى. ليكفروا بما آتيناهم: الكفر هنا كفر النعمة.

﴿فتمتعوا فسوف تعلمون﴾: التمتع الانتفاع بالمتاع. والمتاع الشئ الذي ينتفع به في الوقت. مثل متاع المسافر. **﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم﴾**: الجعل التصيير والوضع. تقول: جعلت لك في مالى كذا. ولما لا يعلمون الأصنام. والنصيب: القسط. **﴿تالله لتسألن عما كنتم تفترون﴾**: افترى اختلق. والفرى: الكذب المختلق. **﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾**: من مفريات الجاهلية ادّعاؤهم أن الملائكة بنات الله ـ سبحانه تنزيها لله عما يفترون. ولهم ما يشتهون حيث اختاروا لأنفسهم البنين دون البنات: **﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم...﴾** وظل هنا بمعنى صار.

واسْوِداد الوجه مستعمل في لون وجه الكئيب... والكظيم؛ الغضبان المملوء حنقا... **﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به﴾**: التوارى: الاختفاء. وهو يختفى من الناس مخافة التعزيز والاستهزاء... **﴿أيمسكه على هون أم يدسه في التراب﴾**: يتردّدُ في نفسه: أيمسك هذا السوء على هون ذل ومهانة... أم يخفيه في التراب. وهو وأدهم البنات... **﴿ألاساء ما يحكمون﴾**: حيث نسبوا لله ما يكرهون... **﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾**: لهؤلاء الحالة العجيبة المتناهية في القباحة والفظاعة والوقاحة!!.. **﴿ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم﴾**: ولله الصفة العجيبة الشأن التي هي مثل في العلو والغنى والنزاهة عن صفات المخلوقات، وهو العزيز الحكيم: **﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك**

عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. . .﴾ فالمعنى: لو كان الله مؤاخذا الخلق على شركهم لأفناهم من الأرض وأفنى الدواب معهم. . . ولكن يؤخرهم. إلخ **﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾**: حيث نسبوا لله البنات مع كراهتهم للبنات.

﴿وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى﴾: يجعلون لله ما يجعلون، ومع ذلك تصف ألسنتهم بأن لهم الخصلة الحسنى، والعاقبة الحسنى: **﴿لاجرم أن لهم النار وأنهم مفرطون. . .﴾** لاجرم: حقا بأن لهم النار. وحقا بأنهم مفرطون حيث بلغوا غاية الكفر، مجاوزون لما حُدّ لهم. **﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم﴾**: لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فكان وليهم حينئذ. وهو ولى المشركين اليوم يزين لهم أعمالهم كما كان وَلِيَّ من قبلهم. **﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾**: القرآن جاء مبينا للمشركين ضلالهم المتبوع. . . ومفصِحًا عن الهدى إفصاحا لا يترك للحيرة مجالا للعقول. . . ورحمة للمؤمنين بما جازاهم عن إيمانهم من خير الدنيا والآخرة.

﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾: مفردات الآية واضحة المعنى. **﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين﴾**: الأنعام: اسم جمع لكل جماعة من أحد أصناف الإبل والبقر والضأن والمعز. والعبرة: يتعظ به ويُعتبر. والبطون: جمع بطن. وهو اسم للجوف الذي يحوى الجهاز الهضمى. والفرث: الفضلة التي بقيت بعد الهضم. والدم: السائل الأحمر السارى في عروق الحيوان والشعيرات. . . واللبن: السائل الأبيض الخارج من ثدى المرأة وضرع أنثى الانعام. وهو المقصود هنا دون لبن المرأة.

والخالص: المجرد عما يكدر صفاءه. والسائغ: السهل المرور في الحلق. ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا: ثمرات النخيل: ما ينتجه النخل من التمر. وثمرات الأعناب ما ينتجه من أنواع العنب. يستعملون من هذه الثمرات شرابا مسكرا. وشرابا منعشا لذيذا. **﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلى من كل الثمرات**

فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾: أصل الوحى: الكلام الخفى والإشارة الدالة على معنى كلامِّى. وأطلق الوحى هنا على التكوين الخفى الذي أودعه الله في طبيعة النحل... والنحل: اسم جنس جمعى. واحده نحلة. وبيوت النحل معروفة للناس قديما وحديثا... وما يخرج من بطونها هو العسل. ومنافع العسل وما فيه من شفاء وغذاء مذكور في كتب الطب.

﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم بعد علم شيئا إن الله عليم قدير﴾: الأرذل: زيادة في الرذالة. وهي الرذالة في صفات الاستياء. والعمر: مدة البقاء في الحياة. وأرذل العمر الشيخوخة والضعف والشيب والهرم وضعف الذاكرة وكلال العقل... **﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء﴾**: هذا مثل ضربه الله لكمال قباحة ما فعله المشركون حيث ميزوا أنفسهم هم عن مماليكهم بامتلاك الرزق. فلم يرضوا بمساواة مماليكهم لأنفسهم وهم أمثالهم في البشرية والمخلوقية... أفبنعمة الله يجحدون؟!.

﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفَدَةً ورزقكم من الطيبات﴾: الأزواج: جمع زوج. والمراد هنا امرأة الرجل... والبنون: الأبناء من الصلب. والحفدَة أبناء الأبناء. والحفدَة جمع حافدٍ. والحافد: أصله من يسرع في الخدمة. أطلق على ابن الإبن لأنه يكثر أن يخدم جدّه... والطيبات هنا: الأرزاق الواسعة المحبوبة للناس. أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون؟!. **﴿ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون﴾** هذه الآية زيادة في التوبيخ والتقريع... **﴿فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾**: تفريع على جميع ما سبق من الآيات والعبر والمِنَنِ.

﴿ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون﴾؟: هذا مثل ضربه الله للناس يبين لهم حقيقة ضرب الأمثال. والعبد المملوك: الرقيق الضعيف الذي لا يملك لنفسه شيئا **﴿ومن رزقناه﴾**: النفى الذي يتصرف في ماله كما يشاء... ومن هذا المثل يتضح

عدم المساواة. . . ﴿**الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون**﴾: جملة تذييلية مقررة لمضمون ما تقدم. ﴿**وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم**﴾: الأبكم: الموصوف بالبكم. وهو الخرس في أصل الخلقة. . . ولا يقدر على شئ عاجز عن فعل أى شئ. ﴿**وهو كَلٌّ على مولاة**﴾: أي عالة.

وأصل الكلل: الثقل. ويطلق على كل عاجز ضعيف عالة على كافله. ﴿**أينما يوجهه لا يأت بخير**﴾: زيادة في وصفه بقلة الجدوى!. . ﴿**ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم**﴾: مقابل للضعيف الكلِّ على الغير. وهو الرجل الحكيم العالم العادل الفاضل. . . فالمثل الأول للاصنام. والمثل الثانى لله الواحد القهار. . . ﴿**ولله غيب السماوات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شئ قدير**﴾: اللام في لله للملك، والغيب: مصدر بمعنى اسم الفاعل؛ بمعنى الأشياء الغائبة عن حواس الناس وإدراكهم. . . وأمر الساعة: شأنها العظيم.

والساعة علم بالغلبة على وقت فناء هذا العالم ولمح البصر: سرعة توجيه إلى الأشياء دون كلفة. أو هو أقرب: بل هو أقرب في السرعة من لمح البصر: إن الله على كل شئ قدير!. ﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون**﴾: الإخراج: الإظهار من مكان خفى إلى مكان واضح. ﴿**من بطون أمهاتكم**﴾: من الأرحام الكامنة في البطون. والمراد بالسمع هنا: الإحساس الذي به إدراك الأصوات الذي آلته الصماخ. والأبصار: جمع البصر الذي هو آلة الإبصار. وهو الإحساس المدرك للدوات الذي آلته الحدقة.

والأفئدة: جمع فؤاد. وهو مقر الإدراك كله من حيث معرفة حقائقها. . . فكانت الحواس الخمس: السمع والنظر والشم والذوق واللمس، هي السبب الأصلى لحدوث العلوم، وكان السمع والبصر أول الحواس تحصيلا للتصورات وأهمها. وذيلت لآية بقوله تعالى: ﴿**لعلكم تشكرون! ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**﴾: لفت النظر

إلى ما في الطير من العبر. والطير: كل حيوان يطير بجناحيه أو أجنحته. وأطلق في العرف على ذوات الريش الطائرة بجناحين. وهي المراد هنا. ومسخرات مذللات للطيران في العلو الشاهق... وهو جو السماء. ويقصد به الهواء الشاسع المرتفع، والإمساك الشد عن التفلّت... فإمساك الله إياها جعلها لا تسقط على الأرض. ولا تنطلق صاعدة إلى أجواء السماء.

وإنما تصعد وتهبط بما هيأ الله فيها من آلات تستعملها إلْهَامًا دون تفكير وإرهاق ضمير!.. إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. **﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين﴾**: البيوت: قسمان: مبنية ومنحوتة. أو منصوبة على عمد وأعواد كالخيام والأخصاص... والسكن مقر الإنسان الدائم لسكونه فيه بالراحة والاطمئنان. وجلود الأنعام ما يؤخذ منها الأصواف من الضأن. والأوبار من الإبل. والأشعار من المعز... وقوله: **﴿تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم﴾** خاص بالخيام... والأثاث: ما ينتفع به في البيوت من فرش ووسائد وغطاء ومساند.

ومعظمها كانت تُصْنَعُ من جلود الأنعام وما فيها... والمتاع: ما يتمتع به وينتفع منه مدّة بقاء الشخص في هذه الحياة... ومتاعا إلى حين. **﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾**: الظلال: آثار حجب الأجسام ضوء الشمس من الوقوع على الأرض. والأكنان: جمع كِنّ. وهو ما يكن فيه من الغيران والكهوف... والسرابيل: جمع سربال وهو ما يلبس ويحيط بالجسم يقيه الحرّ... وكذلك البرد... والسرابيل التي تقى البأس: الدروع من الحديد تلبس في الحرب للوقاية من الطعن والضرب... وهذه النعم جعلها الله للناس لأجل أن يذعنُوا لأَمر خالقهم ويعترفوا بنعمة ربهم: كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون... فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين: فإن أعرضوا عن الإسلام ولم يقبلوا منك ما ألقى إليهم من البينات والعبر والعظات فلا قصور من جهتك لأن وظيفتك هي البلاغ الواضح الموضّح وقد فعلته بما لا مزيد عليه.

﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرين﴾: هم يعلمون نعمة الله المعدودة عليهم فإنهم منتفعون بها. ومع تحققهم أنها نعمة من الله ينكرون

شكرها. . . فيعبدون غيره لشدة كفرهم وعنادهم وهم الزعماء المُضِلُّون. أما الدهماء المخدوعون فلا وزن لهم هنا: وأكثرهم الكافرون. ﴿**ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولاهم يستعتبون**﴾: نبعث يوم القيامة من كل أمة شهيدا يشهد لهم بالإيمان والطاعة والإذعان. وعليهم بالكفر والعصيان. . . والشهيد هنا. نبئ كلٍّ أمة. . . ثم لا يؤذن للذين كفروا منهم في الاعتذار وعدم المؤاخذة. . . ولاهم يستعتبون: لا يطلب منهم أن يرضوا ربهم في هذا اليوم؛ لأنه يوم الجزاء لا يوم العمل: ﴿**وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون**﴾.

فهذا توضيح لقوله: ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون حيث ذاقوا نتيجة كفرهم وظلمهم: ﴿**وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذي كنا ندعوا من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون. الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون**﴾. والذين أشركوا هم الذين ظلموا الذين يرون العذاب وهم الذين كفروا الذين لا يؤذن لهم. . . وإجراء هذه الصلات عليهم لزيادة التسجيل عليهم بأنواع إجرامهم الراجعة إلى التكذيب ما دعاهم الله إليه من الإيمان وَشُكْرِ الإحسان وخوف يوم الحساب. . . ﴿**ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء**﴾: كرر يوم نبعث لإظهار الغرض من الوعيد والتهديد الموجه لمنكرى رسالة الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو خلاصة ما سبق من الكلام. ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وَهُدًى ورحمة وبشرى للمسلمين**﴾: أرسلناك شهيد على المشركين. ونزلنا عليك الكتاب لينتفع به المسلمون. . . فرسول الله شهيد على المشركين المكذبين. ومرشد للمؤمنين المصدّقين. ومعانى الكلمات واضحة فلا تحتاج إلى تبيين.

مبحث الإعراب

﴿**وقال الله**﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على قوله: ﴿**ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض. . .**﴾ ﴿**لاتتخذوا**﴾ لا ناهية والفعل مجزوم بها. وواو الجماعة فاعل. ﴿**إلهين**﴾ مفعول به. ﴿**اثنين**﴾ نعت موضح لإلهين. ﴿**إنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**إله**﴾ خبره. ﴿**واحد**﴾ نعت موضح.

﴿فإياى﴾ في محل نصب مفعول مقدم. والفاء للتفريع. ﴿فارهبون﴾ فعل طلب للجماعة والفاء للتفريع أيضا. ﴿وله﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. والواو للعطف على قوله: ﴿إنما هو إله واحد﴾ ﴿ما﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿فى السماوات﴾ متعلق بجملةٍ مقدّرة صلة ما. ﴿والأرض﴾ معطوف على ﴿السماوات﴾. ﴿وله الدين﴾ معطوف على ﴿له ما في السماوات﴾. وهو مثله في الإعراب، ﴿واصبا﴾ حال من الدين. ﴿أفغير﴾ مفعول مقدم دخل عليه فاء التفريع وحرف الاستفهام. ﴿الله﴾ مضاف إلى غير.

﴿تتقون﴾ فعل وفاعل. ﴿وما﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿بكم﴾ متعلق بجملة مقدرة صلة ما. ﴿من نعمة﴾ بيانٌ لِمَا. ﴿فمن الله﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. والفاء رابط للخبر كما يربط جواب الشرط بفعل الشرط. ﴿ثم﴾ للتراخى الرتبى. ﴿إذا مسكم الضر﴾ جملة شرطية. ﴿فإليه﴾ متعلق بما بعده: ﴿تجأرون﴾ فعل وفاعل. والجملة جواب الشرط. اقترنت بفاء الربط. ﴿ثم إذا كشف الضر عنكم﴾ جملة شرطية مرتبة على ما قبلها بثم. ﴿إذا﴾ فجائية. ﴿فريق﴾ مبتدأ. ﴿منكم﴾ متعلق بمحذوف نعت لفريق. وهو الذي سوغ الابتداء بالنكرة. ﴿بربهم﴾ متعلق بما بعده: ﴿يشركون﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ وجملة ﴿إذا فريق منكم بربهم يشركون﴾ جواب الشرط.

﴿ليكفروا﴾ فعل وفاعل. والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. ﴿بما﴾ متعلق بيكفروا. ﴿آتيناهم﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة ﴿ما﴾. وأنْ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بيشركون. وتقدير الكلام: يشركون بربهم لأجل كفرهم بالنعم التي أعطاهم إياها. ﴿فتمتعوا﴾ فعل أمر للمخاطبين. والفاء للتفريع. ﴿فسوف تعلمون﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التسويف وفاء التعقيب. ﴿ويجعلون﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف العطف. ﴿لما﴾ متعلق بيجعلون. ﴿لايعلمون﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى. والجملة صلة ما. ﴿نصيبا﴾ مفعول به. مما متعلق بمحذوف نعت ﴿نصيبا﴾. ﴿رزقناهم﴾ فعل وفاعل ومفعول صلة ﴿ما﴾. ﴿تالله﴾ قسم.

﴿لتسألنّ﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول. واللام والنون لتوكيد جواب القسم. ونائب الفاعل ضمير المخاطبين. وحذفت نون رفع المضارع لوجود نون التوكيد.

وحذف ضمير جمع المخاطبين ـ الواو ـ لالتقاء الساكنين. ﴿**عما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تفترون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كان واسمها وخبرها صلة ما. ﴿**ويجعلون**﴾ معطوف على ﴿**يجعلون**﴾ السابقة. ﴿**لله**﴾ متعلق بيجعلون ﴿**البنات**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة. ﴿**سبحانه**﴾ مفعول مطلق منصوب بالفتحة. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ولهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. والواو للحال. ﴿**ما**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**يشتهون**﴾ فعل وفاعل.

والجملة صلة ما. وجملة ﴿**ولهم ما يشتهون**﴾ في محل نصب حال من الضمير في يجعلون. ﴿**وإذا بشر**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول فعل شرط إذا. والواو للعطف. ﴿**أحدُهم**﴾ نائب الفاعل. ﴿**بالأنثى**﴾ متعلق ببشر. ﴿**ظل**﴾ فعل ماض ناقص يعمل عمل كان. ﴿**وجهُه**﴾ اسم ظل. ﴿**مسودا**﴾ خبرها. والجملة جواب إذا. ﴿**وهو كظيم**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر معطوفة على ﴿**ظل وجهه مسودا**﴾. ﴿**يتوارى**﴾ فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الألف. والفاعل ضمير يعود على أحدهم. ﴿**من القوم**﴾ متعلق بيتوارى. ﴿**من سوء**﴾ متعلق به أيضا. ما في محل جر مضاف إلى سوء. ﴿**بشر**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على الفاعل يتوارى. ﴿**به**﴾ متعلق ببشر.

وجملة ﴿**بشر به**﴾ صلة ما. ﴿**أيمسكه**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل ضمير يعود على ماعاد عليه الضمير السابق. ﴿**على هون**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**أم يدسه**﴾ معطوف على ﴿**أيمسكه...**﴾ ﴿**فى التراب**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ألا**﴾ أداة استفتاح. ﴿**ساء**﴾ فعل ماض. ﴿**ما**﴾ في محل رفع فاعل. ﴿**يحكمون**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**للذين**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**لا يؤمنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى. والجملة صلة ﴿**الذين**﴾. ﴿**بالآخرة**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**مثلُ**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**السوءِ**﴾ مضاف إلى مثل. ﴿**ولله المثل**﴾ معطوف على ما قبله وهو مبتدأ وخبر على التقديم والتأخير. ﴿**الأعلى**﴾ نعت للمثل. مرفوع بضمة مقدرة على الألف.

﴿**وهو العزيز الحكيم**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر معطوفة على جملة ﴿**ولله المثل الأعلى**﴾. ﴿**ولو يؤاخذ الله الناس**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف لو

المضمن للشرط. ﴿**بظلمهم**﴾ متعلق بيؤاخذ. ﴿**ما ترك**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف النفى. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**عليها**﴾ متعلق بترك. ﴿**من دابة**﴾ مفعول ترك دخل عليه حرف الجر الزائد فجر لفظا ونُصِب محلا. وجملة ﴿**ما ترك عليها من دابة**﴾ جواب ﴿**لَوْ**﴾. ﴿**ولكن**﴾ استدراك. ﴿**يؤخرهم**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**إلى أجل**﴾ متعلق بيؤخرهم. ﴿**مسمى**﴾ نعت لأجل مجرور بكسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين.

﴿**فإذا جاء أجلهم**﴾ فعل وفاعل فعل شرط إذا. والفاء للتعقيب. ﴿**لا يستأخرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى. ﴿**ساعة**﴾ ظرف زمان منصوب بالفتحة. ﴿**ولا يستقدمون**﴾ معطوف على قوله: ﴿**لايستأخرون...**﴾ وجملة ﴿**لاسيتأخرون**﴾ وما عطف عليها جواب ﴿**إذا**﴾. ﴿**ويجعلون لله ما يكرهون**﴾ معطوف على قوله: ﴿**ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم**﴾. وهو مثله في الإعراب. ﴿**وتصف ألسنتُهم الكذب**﴾ فعل وفاعل ومفعول والواو للعطف. ﴿**أن لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ مقدم. ﴿**الحسنى**﴾ اسمها مؤخر منصوب بفتحة مقدرة على الألف. وجملة ﴿**أنّ لهم الحسنى**﴾ تفسير لما تصفه ألسنتهم من الكذب. ﴿**لا جرم**﴾ لا واسمها مبنى على الفتح في محل نصب. ﴿**أن لهم النار**﴾ مثل أن لهم الحسنى في الإعراب. ﴿**وأنهم مفرطون**﴾ الجملة من أنّ واسمها وخبرها معطوفة على قوله: ﴿**أن لهم النار**﴾. ﴿**تالله**﴾ قسم.

﴿**لقد أرسلنا**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. ﴿**إلى أمم**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**من قبلك**﴾ متعلق بمحذوف نعت لأمم. ﴿**فزين**﴾ مفرع على ﴿**أرسلنا**﴾. ﴿**لهم**﴾ متعلق بزين. ﴿**الشيطان**﴾ فاعل زين. ﴿**أعمالهم**﴾ مفعول به. ﴿**فهو وليهم**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر مرتبة على ﴿**فزيّن...**﴾ ﴿**اليوم**﴾ منصوب على الظرفية... ﴿**ولهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. والواو للعطف. ﴿**عذاب**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**أليم**﴾ نعت لعذاب. ﴿**وما أنزلنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى وواو العطف. ﴿**عليك**﴾ متعلق بأنزلنا. ﴿**الكتاب**﴾ مفعول به. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**لتبيين**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير المخاطب ﴿**أنت**﴾ ﴿**لهم**﴾ متعلق بتبين. ﴿**الذى**﴾ في محل نصب مفعول تبين.

﴿اختلفوا﴾ فعل وفاعل صلة الذى. ﴿فيه﴾ متعلق باختلفوا. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بأنزلنا. أى: أنزلنا عليك الكتاب لا لشئ إلا لتبيينك لهم ما اختلفوا فيه. ﴿وهدى ورحمة﴾ معطوفان على قوله لتبين. مفعولان لأجله. ﴿لقوم﴾ متعلق برحمة. ﴿يؤمنون﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لقوم. ﴿والله﴾ مبتدأ. والواو للعطف. ﴿أنزل﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿من السماء﴾ متعلق بأنزل. ﴿ماء﴾ مفعول به. وجملة أنزل في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿فأحيا﴾ مرتب على أنزل. ﴿به﴾ متعلق بأحيا. ﴿الأرض﴾ مفعول به. ﴿بعد﴾ متعلق بأحيا. ﴿موتها﴾ مضاف إلى بعد. ﴿إن في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾ تقدم إعراب مثلها في أول السورة. ﴿وإن لكم﴾ متعلق بمحذوف خبر إن مقدم. والواو للعطف. ﴿لعبرة﴾ اسم إن مؤخر.

وقوله ﴿فى الأنعام﴾ متعلق بمحذوف نعت لعبرة. ﴿نسقيكم﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل نحن. ﴿مما﴾ متعلق بنسقيكم. ﴿فى بطونه﴾ متعلق بجملة مقدرة صلة ما. ﴿من بين﴾ متعلق بمحذوف حال مقدمة على صاحبها. ﴿فرث﴾ مضاف إلى بين. ﴿ودَم﴾ معطوف على فرث. ﴿لبنا﴾ مفعول ثان لنسقيكم. ﴿خالصا سائغا﴾ وصفان للمفعول الثانى. ﴿للشاربين﴾ متعلق بسائغ. ﴿ومن ثمرات﴾ متعلق بفعل مقدر معطوف على نسقيكم. أى ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب شرابا. ﴿النخيل﴾ مضاف إلى ثمرات. ﴿والأعناب﴾ معطوف على النخيل. ﴿تتحذون﴾ فعل وفاعل. ﴿منه﴾ متعلق بتتخذون. ﴿سكرا﴾ مفعول به. ﴿ورزقا﴾ معطوف عليه. ﴿حسنا﴾ نعت لرزق. وجملة ﴿تتخذون﴾ بيانية. وكذلك جملة ﴿نسقيكم﴾ السابقة.

﴿إن في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿وأوحى ربك﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿إلى النحل﴾ متعلق بأوحى ﴿أن اتخذى﴾ فعل أمر مبنى على حذف النون والياء ضمير المؤنث فاعل. وأن حرف تفسير لأوحى. ﴿من الجبال﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿بيوتا﴾ مفعول اتخذى. ﴿ومن الشجر﴾ معطوف على الجبال. ﴿ومما﴾ كذلك. ﴿يعرشون﴾ فعل وفاعل صلة. ﴿ثمّ كلى﴾ معطوف على اتخذى. ﴿من كل﴾ متعلق بكلى. ﴿الثمرات﴾ مضاف إلى كل. ﴿فاسلكى﴾ مرتب على ماقبله. ﴿سبل﴾ مفعول به. ﴿ربك﴾ مضاف إلى سبل.

﴿**ذللا**﴾ حال من سبل ربك. ﴿**يخرج**﴾ فعل مضارع. ﴿**من بطونها**﴾ متعلق به. ﴿**شراب**﴾ فاعل. ﴿**مختلف**﴾ نعت له. ﴿**ألوانه**﴾ فاعل باسم الفاعل. ﴿**إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**﴾ مثل ما تقدم. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. والواو للعطف.

﴿**خلقكم**﴾ فعل ماض والفاعل ضمير يعود على الله. والضمير المتصل بالفعل مفعول وجملة خلقكم خبر المبتدإ. ﴿**ثم يتوفاكم**﴾ معطوف على خلقكم. ﴿**ومنكم**﴾ ـ بعضُكم ـ مبتدأ. ﴿**مَنْ**﴾ اسم موصول في محل رفع خبر المبتدأ. يرد فعل مضارع مبنى للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**إلى أرذل**﴾ متعلق بيرد. ﴿**العمر**﴾ مضاف إلى ﴿**أرذل**﴾. ﴿**لكى لا يعلم**﴾ فعل مضارع منفى بلا. ومنصوب بكى. واللام للتعليل. والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**بعد**﴾ منصوب على الظرفية. متعلق بيعلم. ﴿**علم**﴾ مضاف إلى بعد، ﴿**شيئا**﴾ مفعول به. ﴿**إن الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**عليم قدير**﴾ خبرَانِ لإنّ. والجملة تذييل. والله مبتدأ.

﴿**فضل بعضكم**﴾ جملة خبرية. مثل خلقكم. ﴿**على بعض في الرزق**﴾ متعلقان بفضل. ﴿**فما**﴾ الفاء للتفريع. وما نافية تعمل عمل ليس. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع اسم ما. ﴿**فضلوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل صلة الذين. ﴿**برادى**﴾ خبرُ ما دخل عليه حرف الجر الزائد. ﴿**رزقهم**﴾ مضاف إلى اسم الفاعل. ﴿**على ما**﴾ متعلق باسم الفاعل. ﴿**ملكت أيمانهم**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**فهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للتفريع. ﴿**فيه**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**سواء**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**أفبنعمة**﴾ الهمزة للاستفهام. والفاء للتفريع. والجار والمجرور متعلق بما بعده ﴿**يجحدون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى نعمة. ﴿**والله جعل**﴾ مثل ﴿**والله فضل**﴾ في الإعراب. ﴿**لكم من أنفسكم**﴾ متعلقان بجعل. ﴿**أزواجا**﴾ مفعول به. ﴿**وجعل لكم من أزواجكم بنين**﴾ معطوف على جعل لكم من أنفسكم أزواجا. وهو مثله في الإعراب. ﴿**وحفدة**﴾ معطوف على بنين. ﴿**ورزقكم**﴾ معطوف على جعل لكم. . . ﴿**من الطيبات**﴾ متعلق برزقكم. ﴿**أفبالباطل يؤمنون**﴾ إعرابها كإعراب جملة ﴿**أفبنعمة الله يجحدون**﴾. ﴿**وبنعمة الله هم يكفرون**﴾ معطوف على قوله: ﴿**أفبالباطل يؤمنون**﴾. ﴿**ويعبدون**﴾ فعل وفاعل معطوف على قوله: ﴿**أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون**﴾. ﴿**من دون**﴾ متعلق بيعبدون. ﴿**الله**﴾

مضاف إلى دون. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**لا يملك**﴾ فعل مضارع منفى بلا. والفاعل ضمير يعود على ما. والجملة صلة ما. ﴿**لهم**﴾ متعلق بيملك. ﴿**رزقا**﴾ مفعول به. ﴿**من السماوات**﴾ متعلق

بمحذوف نعت لرزق. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على ﴿**السماوات شيئا**﴾ بدل من قوله: ﴿**رزقا**﴾. ﴿**ولا يستطيعون**﴾ معطوف على قوله: ﴿**لايملك لهم. . .**﴾ ﴿**فلا تضربوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لا الناهية وفاء التفريع. لله متعلق بالفعل قبله. ﴿**الأمثال**﴾ مفعول به. ﴿**إن الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. وجملة ﴿**يعلم**﴾ في محل رفع خبرُ إنّ. وإن واسمها وخبرها تعليل. ﴿**وأنتم**﴾ في محل رفع خبر مبتدأ. ﴿**لا تعلمون**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لا النافية. وجملة ﴿**لا تعلمون**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. والجملة من المبتدإ والخبر معطوفة على قوله: ﴿**إن الله يعلم**﴾. ﴿**ضرب الله مثلا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**عبدا**﴾ بدل من ﴿**مثلا**﴾. ﴿**مملوكا**﴾ نعت لعبد. ﴿**لا يقدر**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفى. والفاعل ضمير على عبد. ﴿**على شئ**﴾ متعلق بالفعل قبله.

وجملة ﴿**لا يقدر على شئ**﴾ وصف ثان لعبد. ﴿**ومن**﴾ في محل نصب معطوف على عبد. ﴿**رزقناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة من. ﴿**منا**﴾ متعلق برزقناه. ﴿**رزقا**﴾ مفعول رزقناه الثانى. ﴿**حسنا**﴾ نعت له. ﴿**فهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للتفريع. ﴿**ينفق**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**منه**﴾ متعلق بينفق. ﴿**سرا**﴾ حال من فاعل ينفق. ﴿**وجهرا**﴾ معطوف عليه. ﴿**هل يستوون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. والجملة بيانية. ﴿**الحمد**﴾ مبتدأ. ﴿**لله**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ والجملة اعتراضية. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب. . . ﴿**أكثرهم**﴾ مبتدأ. ﴿**لا يعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى. والجملة خبر المبتدإ. والجملة معطوفة على قوله: ﴿**الحمد لله**﴾.

﴿**وضرب الله مثلا**﴾ عطف على قوله: ﴿**ضرب الله مثلا عبدا**﴾. ﴿**رجلين**﴾ بدل من ﴿**مثلا**﴾. ﴿**أحدهما**﴾ مبتدأ. ﴿**أبكم**﴾ خبره. ﴿**لا يقدر على شئ**﴾ تقدم إعراب مثلها. . . ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**كلٌّ**﴾ خبره. والجملة معطوفة

على جملة الوصف قبلها. ﴿**على مولاه**﴾ متعلق بكل. ﴿**أينما**﴾ اسم شرط جازم فعلين: الأول فعل الشرط: ﴿**يوجّهْهُ**﴾ والثانى جوابه: ﴿**لا يأت**﴾ مجزوم بحذف الياء. والفاعل ضمير على الأبكم الكَلّ. ﴿**بخير**﴾ متعلق بيأت، ﴿**هل يستوى هو**﴾: استفهام بيانى. ﴿**ومن**﴾ معطوف على هو. ﴿**يأمر**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَن. والجملة صلة مَن. ﴿**بالعدل**﴾ متعلق بيأمر. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**على صراط**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**مستقيم**﴾ نعت لصراط. ﴿**ولله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم.

﴿**غيب**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**السماوات**﴾ مضاف ﴿**إلى غيب**﴾. ﴿**والأرض**﴾ عطف على ﴿**السماوات**﴾. ﴿**وما أمر**﴾ مبتدأ دخل عليه حرف النفى وواو العطف. ﴿**الساعة**﴾ مضاف إلى أمر. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**كلمح**﴾ بدل من الخبر المقدر... ﴿**البصر**﴾ مضاف إلى لمح. ﴿**أو هو أقرب**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر معطوفة على قوله: ﴿**كلمح البصر**﴾. ﴿**إن الله على كل شئ قدير**﴾ جملة ﴿**إن**﴾ واسمها وخبرها تعليل. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**أخرجكم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله والجملة خبر المبتدإ. ﴿**من بطون**﴾ متعلق بأخرجكم. ﴿**أمهاتكم**﴾ مضاف إلى بطون. ﴿**لا تعلمون شيئا**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفى.

وجملة ﴿**لا تعلمون شيئا**﴾ في محل نصب حال من الضمير المفعول في ﴿**أخرجكم**﴾. ﴿**وجعل**﴾ معطوف على ﴿**أخرجكم**﴾. ﴿**لكم**﴾ متعلق بجعل. ﴿**السمع**﴾ مفعول به. ﴿**والأبصار والافئدة**﴾ معطوفان على السمع. ﴿**لعلكم**﴾ لعل واسمها. ﴿**تشكرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر لعلّ. ﴿**ألم يروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى الجازم. والهمزة للاستفهام. ﴿**إلى الطير**﴾ متعلق بيروا. ﴿**مسخرات**﴾ حال من الطير. ﴿**فى جوّ**﴾ متعلق بمسخرات. ﴿**السماء**﴾ مضاف إلى جوّ. ﴿**ما يمسكهن**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفى. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**إلا الله**﴾ بدل من الفاعل المقدز. والتقدير: ما يمسكهن أحدٌ إلا اللّهُ. ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**والله جعل لكم من بيوتكم**﴾ سكنا إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملة ﴿**والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا**﴾. ومثلها ﴿**وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا**﴾.

﴿**تستخفونها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة في محل نصب نعت لقوله: ﴿**بيوتا**﴾. ﴿**يوم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ظعنكم**﴾ مضاف إلى ﴿**يوم**﴾. ﴿**ويوم إقامتكم**﴾ عطف على ﴿**يوم ظعنكم**﴾. ﴿**وأوبارها وأشعارها**﴾ معطوفان على ﴿**أصوافها**﴾. ﴿**أثاثا**﴾ مفعول به. ﴿**ومتاعا**﴾ معطوف عليه. ﴿**إلى حين**﴾ متعلق بقوله: ﴿**متاعا**﴾. ﴿**والله جعل لكم مما خلق ظلالا**﴾ مثل سابقتها في الإعراب. وكذلك قوله: ﴿**وجعل لكم من الجبال أكنانا، وجعل لكم سرابيل**﴾ وجملة ﴿**تقيكم الحر**﴾ في محل نصب نعت لسرابيل. ﴿**وسرابيل تقيكم بأسكم**﴾ معطوف على قوله ﴿**سرابيل تقيكم الحرّ**﴾. ﴿**كذلك**﴾ تقدم إعراب مثلها... ﴿**يتم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**نعمته**﴾ مفعول به. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بيتم.

﴿**لعلكم تسلمون مثل لعلكم تشكرون**﴾. ﴿**فإن تولوا**﴾ جملة شرطية مفرعة على ما قبلها. ﴿**فإنما عليك**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**البلاغ**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**المبين**﴾ نعت للبلاغ. والجملة جواب الشرط اقترنت بفاء الربط. ﴿**يعرفون نعمة الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة بيانية. ﴿**ثم ينكرونها**﴾ عطف على قوله: ﴿**يعرفون نعمة الله**﴾. ﴿**وأكثرهم**﴾ مبتدأ. ﴿**الكافرون**﴾ خبره. والجملة معطوفة على قوله: ﴿**ثم ينكرونها**﴾. ﴿**ويوم**﴾ متعلق بفعل مقدر. والواو للعطف، ﴿**نبعث**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. ﴿**من كل**﴾ متعلق بنبعث، ﴿**أمة**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**شهيدا**﴾ مفعول به. ﴿**ثم لا يؤذن**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول دخل عليه حرف النفى وحرف العطف. ﴿**للذين**﴾ متعلق بيؤذن. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين.

﴿**ولاهم**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف النفى وواو العطف. ﴿**يستعتبون**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**وإذا رأى الذين**﴾ جملة شرطية معطوفة على قوله: ﴿**ثم لا يؤذن...**﴾ الخ. ﴿**ظلموا**﴾ صلة الذين. ﴿**العذاب**﴾ مفعول به. ﴿**فلا يخفف**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول، ﴿**ولا**﴾ نافية. والفاء رابطة لجواب الشرط ونائب الفاعل ضمير يعود على عذاب، ﴿**عنهم**﴾ متعلق بيخفف. ﴿**ولا هم ينظرون**﴾ مثل ﴿**ولا هم يستعتبون**﴾ في الإعراب. ﴿**واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم**﴾ إعرابها مثل إعراب ما سبقها من قوله: ﴿**وإذا رأى الذين ظلموا العذاب**﴾. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل والجملة جواب

الشرط. ﴿**ربنا**﴾ منادى منصوب بالفتحة حذفت منه ياء النداء. ﴿**هؤلاء**﴾ مبتدأ مبنى على الكسر في محل رفع. ﴿**شركاؤنا**﴾ خبر المبتدإ. وجملة ﴿**هؤلاء شركاؤنا**﴾ في محل نصب مقول القول. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع نعت لشركاء. ﴿**كنا**﴾ كان واسمها. ﴿**ندعو**﴾ فعل مضارع والفاعل نحن. ﴿**من دونك**﴾ متعلق بندعو. وجملة ﴿**ندعو**﴾ خبر كان.

وجملة ﴿**كنا ندعو**﴾ صلة الذين. ﴿**فألقوا**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**إليهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**القول**﴾ مفعول به ﴿**إنكم**﴾ إن واسمها. ﴿**لكاذبون**﴾ خبرها. واللام لتوكيد الخبر. ﴿**وألقوا إلى الله يومئذ السلم**﴾ معطوف على قوله: ﴿**فألقوا إليهم القول**﴾. ﴿**وضل**﴾ فعل ماض. والواو للعطف. ﴿**عنهم**﴾ متعلق بضل. ﴿**ما**﴾ في محل رفع فاعل ضل. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يفترون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة ﴿**كانوا يفترون**﴾ صلة ما. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**وصدوا**﴾ معطوف على كفروا. ﴿**عن سبيل**﴾ متعلق بصدوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**زدناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**عذابا**﴾ مفعول ثان لزدناهم. ﴿**فوق**﴾ متعلق بمحذوف نعت لقوله: ﴿**عذابا**﴾ ﴿**العذاب**﴾ مضاف إلى فوق. ﴿**بما**﴾ متعلق بزدناهم. ﴿**كانوا يفسدون**﴾ الجملة من كان واسمها وجملة خبرها صلة ما. ﴿**ويوم نبعث في كل أمة شهيدا**﴾ تقدم إعراب مثلها قريبا. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بشهيد. ﴿**من أنفسهم**﴾ متعلق بنبعث. ﴿**وجئنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**بك**﴾ متعلق بجئنا. ﴿**شهيدا**﴾ حال من ضمير المخاطب. ﴿**على هؤلاء**﴾ متعلق بقوله. شهيدا. ﴿**ونزلنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**عليك**﴾ متعلق بنزلنا. ﴿**الكتاب**﴾ مفعول نزلنا. ﴿**تبيانا**﴾ حال من الكتاب. ﴿**لكل**﴾ متعلق بما قبله. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**وهدى ورحمة وبشرى**﴾ معطوفات على قوله: تبيانا. . . ﴿**للمسلمين**﴾ متعلق ببشرى.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**وقال الله لا تتخذوا إلَهين اثنين. . .**﴾ فهذه الجملة متصلة بما قبلها بالعطف. وصيغة التثنية من قوله إلهين أكدت بلفظ اثنين؛ للدلالة على أن الاثنينية مقصودة بالنهي إبطالاً لشرك مخصوص من إشراك المشركين. وأنه لا اكتفاء بالنهي

عن تعدد الإله بل المقصود النهي عن التعداد الخاص. وهو قول المجوس بإلاهين. وتبعهم فيه بعض مشركي العرب وجملة إنما هو إله واحد بيان لجملة لا تتخذوا إلهين اثنين. فالجملة مقولة لفعل ﴿**وقال الله**. . .﴾ لأن عطف البيان تابع للمبيَّن. . . فلذلك أفيد بالمنطوق ما أُفيد قبله بدلالة الاقتضاء والقصر فيه قصر موصوف على صفة. وهو قصر قلبٍ لإبطال دعوى تثنية الإله. وتفريع ﴿**فإياى فارهبون**﴾ على قوله: ﴿**لا تتخذوا**. . .﴾ وهو تفريع قصر. . . فهو رد على الذين يرهبون إله البشر. . . وتكرير التفريع مرتين لإفادة التوكيد، ﴿**وله ما في السماوات والأرض**﴾: مناسبة موقع هذه الجملة بعد جملة وقال الله. . . الخ: أن الذين جعلوا إلهيْن جعلوهما النور والظلمة. وإذ كان النور والظلمة مظهرين من مظاهر السماء والأرض، كان المعنى: أن ما تزعمونه إلها للخير وإلها للشر هما من مخلوقاته. وتقديم المجرور يفيد الحصر فدخل جميع ما في السماوات والأرض في مفاد لام الملك.

وأما قوله: ﴿**وله الدّين واصبا**﴾. فالدين يشمل الطاعة. . . ويشمل الأحكام كلها التي هي أعم من الطاعة. . . ويشمل الجزاء عليه. والواصب: الثابت الدائم. وهو صالح لمعانى الدين الثلاثة. وتفرع على هاتين الجملتين التوبيخ على تقواهم غير الله: ﴿**أفغير الله تتقون؟!**. . . **وما بكم من نعمة فمن الله**﴾: وصلت هذه الجملة على ما قبلها بالعطف، عطف خبر على خبر. وهو انتقال من الاستدلال بمصنوعات الله الكائنة في ذات الإنسان وفيما يحيط به من الموجودات إلى الاستدلال بمصنوعات الله الكائنة في ذات الإنسان وفيما يحيط به من الموجودات إلى الاستدلال بما ساق الله من النعم. . . فمن الناس معرضون عن التدبر فيها وعن شكرها وهم الكافرون. . . فكان في الأدلة الماضية القصد إلى الاستدلال متبوعات بالامتنان. فالخطاب التفات إلى الأمة كلها، ولذلك جاء عَقِبهُ قوله تعالى.

﴿**إذا فريق منكم بربهم يشركون**﴾. وثم في قوله: ﴿**ثم إذا مسكم الضر**﴾ فإليه تجأرون. . . للتراخى الرتبى. . . فمضمون الجملة المعطوفة أبعد في النظر من مضمون المعطوف عليها؛ لأن اللجأ إلى الله عند حصول الضر أعجب إخبار من الإخبار بأن النعم كلها من الله. . . ثم أتبع بنعمة أخرى أعجب مما سبق. . . ﴿**ثم**

إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون. ليكفروا بما آتيناهم...﴾ والمقصود تسجيل كفران المشركين... وإظهار رأفة الله بالخلق بكشف الضر عنهم عند التجائهم إليه مع علمه بأن من أولئك من يشرك به ويستمر على شركه بعد كشف الضر عنه.

وقوله: ﴿**فتمتعوا فسوف تعلمون أمر تهديد...**﴾ والالتفات إلى الخطاب للإيذان بتناهى السخط. وفيه وعيد أكيد، منبئ عن أَخْذٍ شديدٍ! حيث لم يذكر المفعول إشعارًا بأنه مما لا يوصف، ﴿**ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم**﴾: وصل الكلام بما قبله بالعطف، لما فيه من بيان زيادة كفرهم بنعم الله حيث جعلوا في أموالهم التي أنعم الله بها عليهم للأصنام التي لم ترزقهم شيئا. ولم يعلموا عنها شيئا... فهم جهلاء، وهي أجهل وأضعف منهم... ثم وجه الخطاب إليهم على طريقة الالتفات لقصد التهديد: ﴿**تالله لتسألن عما كنتم تفترون**﴾. وتصدير جملة التهديد والوعيد بالقسم لتحقيقه؛ إذ السؤال الموعود به يكون يوم البعث وهم ينكرونه فناسب أن يؤكد.

والقسم بالتاء يختص بما يكون المقسم عليه أمرا عجيبا ومستغربا... فالإتيان بحرف التاء في القسم هنا مؤذن بأنهم يسألون سؤالا عجيبا بمقدار غرابة الجرم المسؤول عنه. والسؤال كناية عما يترتب عليه من العقاب والتعبير عنه بما كنتم تفترون كناية عن استحقاقهم العقاب؛ لأن الكذب على الله جريمة والإتيان بفعل الكون وبالمضارع للدلالة على أن الافتراء كان من شأنهم، وكان متجدداً ومستمرا منهم... فهو أبلغ من أن يقال: عما تفترون وعما افتريتم. ﴿**ويجعلون لله البنات ـ سبحانه ـ ولهم ما يشتهون**﴾: وصلت الآية بالعطف على آية ﴿**ويجعلون لما لايعلمون نصيبا مما رزقناهم...**﴾ وجملة ﴿**سبحانه**﴾ على قوله: ﴿**ولهم ما يشتهون**﴾ ليكون نصًّا في أن التنزيه عن هذا الجعل لذاته وهو نسبة البنوّة لله، لا عن جعلهم له خصوص البنات... وجملة ﴿**ولهم ما يشتهون**﴾ جملة حالية توضح ما هُمْ عليه من الكفر والجهل وفظاعة هذا الجعل وتقديم الخبر في الجملة للاهتمام بهم في ذلك على طريقة التهكم. وهذا ارتقاءٌ في إفساد معتقدهم بحسب عزوفهم... وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم.

﴿**يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب**

﴿ألا ساء ما يحكمون﴾: وصلت هذه الآية بما قبلها توضح ما هم عليه من كراهة البنات إلى درجة ترتقى به إلى حالة تجعل صاحبها عندما يبشر بأنثى على هذه الحالة الكئيبة السخيفة المزرية!... والإطناب في الآية واضح الدلالة على الغرض المطلوب. وفيها من التهكم ما يغنى عن البيان!... **﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾**: هذه الجملة معترضة جوابا عن مقالتهم التي تضمنها قوله: **﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى...﴾** فإن لها ارتباطاً بجملة **﴿ويجعلون لله البنات...﴾** فهي بمنزلة جملة **﴿سبحانه﴾**. غير أنّ جملة **﴿سبحانه﴾** جواب بتنزيه الله عما نسبوه إليه. وهذه جواب بتحقيرهم على ما يعاملون به البنات مع نسبتهم إلى الله هذا الصنف المحقَّر عندهم. وعُرّفوا بالذين لا يؤمنون بالآخرة لأنهم اشتهروا بهذه الصلة بين المسلمين.

وجملة **﴿ولله المثل الأعلى﴾** عطفت على جملة: **﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾**؛ لأن بها تكملة إفساد قولهم وذم رأيهم، إذ نسبوا إلى الله الولد وهو من لوازم الاحتياج والعجز. ولما نسبوا إليه ذلك خصوه بأخسّ الصنفين عندهم. **﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة﴾**: هذا الكلام اعتراض في أثناء التوبيخ على كفرهم الذي من شرائعه وأدُ البنات وغيرُه مما قالوا وفعلوا من الموبقات؛ إذ لو كان الله مؤاخذا الناس على شركهم لأفناهم من الأرض وأفنى الدواب معهم... **﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى... فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون...﴾** فموقع الاستدراك هنا أنه تعقيب لقوله: **﴿ما ترك عليها من دابة. ويجعلون لله ما يكرهون﴾**: وصلت هذه الجملة بالعطف على جملة **﴿ويجعلون لله البنات...﴾** فكان ذلك الجعل ينطوى على خصلتين من دين الشرك. وهما نسبة البُنُوّة لله.

ونسبة أخس أصناف الأبناء في نظرهم إليه... فخصت الأولى بالذكر بقوله: **﴿ويجعلون لله البنات﴾** مع الإيماء إلى كراهتهم البنات... وخصت هذه بذكر الكراهية تصريحا؛ ولذلك كان الإتيان بالموصول والصلة **﴿مايكرهون﴾** هو مقتضى المقام الذي هو تفظيع قولهم وتشنيع استئثارهم. وجملة **﴿وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى﴾** عطف قصة على قصة أخرى من أحوال كفرهم. ومعنى تصف تذكر بشرح وبيان وتفصيل... حتى كأنها تذكر أوصاف الشئ... فالوصف هنا هو بيان حقيقة كذبهم الذي تصفه ألسنتهم... فهو ما صرحوا به بقولهم: أن لهم

الحسنى!... فجملة ﴿**لا جرم أن لهم النار**﴾ جواب عن قولهم المحكى... ومعنى لاجرم: لاشك... فهو تحقيق ما يقع بعدها.

وجملة ﴿**وأنهم مفرطون**﴾ زيادة في تقبيح ما قالوا وما فعلوا. والإفراط: الزيادة في الشئ إلى أقصى غاياته. ﴿**لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم... فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم**﴾: استئناف ابتدائى داخل في الكلام الاعتراضى قصد منهم تنظير حال المشركين المتحدث عنهم وكفرهم في سوء أعمالهم وأحكامهم بحال الأمم الضالة من قبلهم الذين استهواهم الشيطان من الأمم البائدة؛ والحاضرة؛ كاليهود والنصارى. ووجّه الخطاب إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقصد إبلاغه إلى أسماع الناس... فتوكيد الخبر بالقسم منظور فيه إلى المقصودين بالخبر لا إلى الموجه إليه الخبر؛ لأن الرسول لايشك في ذلك وجملة فزين لهم الشيطان أعمالهم مرتبة على جملة جواب القسم.. وتزيين الشيطان أعمالهم كناية عن المعاصى... فمن ذلك عدم الإيمان بالرسل... ومنها الإبتداعات المنافية لما جاءت به الرسل.

وجملة ﴿**فهو وليهم اليوم**﴾ مفرعة على قوله ﴿**فزين لهم الشيطان أعمالهم...**﴾ فهى تكملة للتنظير بين السابقين واللاحقين. والمعنى: فالشيطان ولى المشركين اليوم كما كان ولى الأمم من قبلهم... فلا ولى لهم اليوم غيرُه. ردا على زعمهم أن لهم الحسنى. وتقدير الكلام: لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فكان وليهم حينئذ. وهو ولى المشركين اليوم يزين لهم أعمالهم كما كان وليّ مَن قبلهم. ﴿**وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على جملة القسم... والمناسبة أن القرآن أنزل لإتمام الهداية وكشف الشبهات التي عرضت للأمم الماضية والحاضرة... فلما ذكرت ضلالاتهم وشبهاتهم عقب ذلك ببيان الحكمة في إرسال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإنزال القرآن الكريم عليه... فالقرآن جاء مبينا للمشركين ضلالهم بيانا لايترك للباطل مسلكا إلى النفوس، ومفصحا عن الهدى إفصاحا لايترك للحيرة مجالا في العقول، ورحمة للمؤمنين بما جازاهم عن إيمانهم من خير الدنيا ونعيم الأخرة... وهذه الآية جاءت بمنزلة التذييل للعبر والحجج الناشئة عن وصف أحوال المخلوقات ونعم الخالق على الناس المبتدئة من قول الله تعالى: ﴿**أفمن يخلق كمن لايخلق...**﴾ إلى هنا...

﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾: انتهى الكلام المعترض به في الآيات السابقة، وعاد الكلام إلى دلائل الانفراد بالخلق مع ما أدمج فيه ذلك من التذكير بالنعم... فهذه منة من المنن وعبرة من العبر وحجة من الحجج المتفرعة عن التذكير بنعم الله والاعتبار بعجيب صنعه.

عاد الكلام إلى تعدادِ نِعَم جمّةٍ، ومعها ما فيها من العبر أيضا جمعا عجيبا بين الاستدلال، ووصْلا لِلكلام المقارن عند قوله تعالى: **﴿وبالنجم هم يهتدون...﴾** وجملة **﴿إن في ذلك لآية...﴾** مستأنفة. والتوكيد بإن ولام الإبتداء لتوكيد الخبر. والإتيان باسم الإشارة دون الضمير ليكون محل الآية جميع المذكورات من إنزال المطر وإحياء الأرض به. والسمع هنا مستعمل في لازم معناه على سبيل الكناية. وهو سماع التدبير والإنصاف لما تدبروا به. وهو تعريض بالمشركين الذين لم يفهموا دلالة ذلك على الوحدانية. ولذلك اختير وصف السمع هنا المراد منه الانصاف والامتثال؛ لأن دلالة المطر وحياة الأرض به معروفة مشهورة. ودلالة ذلك على وحدانية الله تعالى ظاهرة لا يصُدُّ عنها إلا المكابر. **﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين: هذه الأية موصولة بالعطف على قوله: إن في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾**. وضمير الخطاب التفات من الغيبة. وتوكيده بإن ولام الابتداء كتأكيد الكلام السابق.

وهذه حجة أخرى ومنة من المنن الناشئة من منافع خلق الأنعام، أدمج في متنها العبرة بما في دلالتها على بديع صنع الله تعالى. ومناسبة ذكر هذه النعمة هنا أن بألبان الأنعام حياة الإنسان كما تحيا الأرض بماء السماء، وأن لأثار ماء السماء أثراً في تكوين ألبان الحيوان بالمرعى. وجملة **﴿نسقيكم مما في بطونه﴾** واقعة موقع البيان لجملة **﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾**. ووقع البيان بنسقيكم دون أن يقال: تشربون أو نحوه إدماجا للمنة مع العبرة... فكان لها مزيد اهتمام. وقد صارت بالتقديم حالا. وقد أحاط بالأوصاف التي ذكرت للبن قوله تعالى خالصا سائغا للشاربين... وهذا الوصف العجيب من معجزات القرآن العلمية... فهو وصف لم يكن لأحد من العرب يومئذ أن يعرف دقائق تكوينه، ولاأن يأتى بما لو وصف به العالم المتخصص لم يصفه بأوجز من هذا وأجمع.

﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾: الآية موصولة بالعطف على ما قبلها... فالتقدير: ونسقيكم من شراب ثمرات النخيل والأعناب... فهو منة على منة. وجملة تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا في موضع الحال. وهو بيان لِكُنْهِ ما يُتّخذ... فهم يتخذون من ثمرات النخيل والأعناب شرابا مسكرا لايفيد... وشرابا حسنا مفيدا... وفيه إشارة إلى الفرق بين الشراب المسكر الضار... والشراب المفيد المختار. والقول في جملة **﴿إن في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾** مثل القول في **﴿إن في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾**.

والإشارة إلى جميع ما ذكر من نعمة سقى الألبان وسقى شراب ثمرات النخيل والأعناب... والتعبير بيعقلون للتنفير من شراب المسكر الذي يزيل العقل ويجعل الانسان العاقل كالمجنون المصاب. ومن هنا نعلم حكمة تحريم الخمر فيما بعد لظهور الفرق بين شراب وشراب!.. **﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾**: هذه الآية موصولة بالآيات التي قبلها بالعطف: عطف عبرة على عبرة. ومنة على منة.

وغير أسلوب الإعتبار لما في هذه العبرة من تنبيه على عظيم حكمة الله تعالى: إذ أودع في خلقة الحشرة الضعيفة هذه الصنعة العظيمة، وجعل فيها هذه المنفعة... كما أودع في الأنعام ألباناً... وأودع في ثمرات النخيل والأعناب شرابا... وكان ما في بطون النحل وسطا بين ما في بطون الأنعام وما في قلب الثمار... فإن النحل يمتص ما في الثمرات من الأزهار المواد السكرية العسلية... ثم يخرجه عسلا، كما يخرج اللبن من خلاصة المرعى... وفيه عبرة أخرى... وهي أن أودع الله في ذبابة النحل إدراكا لصنع محكم مضبوط منتج شرابا نافعا لايحتاج إلى حلب الحالب... فافتتحت الجملة بأوحى دون أن تفتح باسم الله مثل جملة والله أنزل... لما في أوحى من الإيماء إلى إلهام تلك الحشرة الضعيفة تدبيرا عجيبا وعملا متقنا وهندسة في الجبلة.، فكان ذلك الإلهام في ذاته دليلاً على عظيم حكمة الله تعالى فضلاً على ما بعده من دلالة الله ومنة

منهه. وأطلق الوحى هنا على التكوين الخفى الذي أودعه الله تعالى في طبيعة النحل بحيث تناسق إلى عمل منظم مرتب بعضه على بعض لايختلف فيه آحادها تشبيها للإلهام بكلام خفى يتضمن ذلك الترتيب الشبيه بعمل المتعلم بتعليم المعلم. أو المؤتمر بإرشاد الآمر الذي تلقاء سرا.

واطلاق الوحى استعارة تمثيلية وجملة يخرج من بطونها شراب... مستأنفة استئنافا بيانيا؛ لأن ما تقدم من الخبر عن إلهام النحل تلك الأعمال تُثِير في نفس السامع أن يسأل عن الغاية من هذا التكوين العجيب... فيكون مضمون جملة يخرج من بطونها شراب بيانا لما سأل عنه. وهو أيضا موضع المنة كما كان تمام العبرة. وجيء بالفعل المضارع للدلالة على تجدد الخروج وتكرره... وعبر عن العسل باسم الشراب دون العسل لما يومئ إليه اسم الجنس من معنى الانتفاع به وهو محل المنة. وليرتب عليه جملة ﴿**فيه شفاء للناس**﴾. وسمى شرابا لأنه سائع يشرب شرباً ولايمضغ. وليدخل في جملة المشروبات السابقة من الألبان وشراب ثمرات النخيل والأعناب.

ووصف الشراب بمختلف ألوانه لأنه له مدخلٌ في العبرة... فهو من الآيات على عظيم القدرة ودقيق الحكمة وجعل الشفاء مظروفا في العسل على وجه الظرفية المجازية. وهي الملابسة للدلالة على تمكن ملابسة الشفاء إياه. وإيماء إلى أنه لايقتضى أن يطرد الشفاء به في كل حالة من أحوال الأمزجة... فالظرفية تصلح للدلالة على تخلف المظروف عن بعض أجزاء الظرف، لأن الظرف يكون أوسع من المظروف غالبا. وتنكير شفاء في سياق الاثبات لا يقتضى العموم... فلا يقتضى أنه شفاء من كل داء. كما أن مفاد في من الظرفية المجازية لا يقتضى عموم الأحوال. وعموم التعريف في قوله للناس لا يقتضي العموم الشمولي لكل فرد فرد، بل لفظ الناس عمومه بَدَلي. والشفاء ثابت للعسل في أفراد الناس بحسب اختلاف حاجات الأمزجة إلى الاستشفاء.

وجملة ﴿**إنّ في ذلك لآية لقوم يتفكرون**﴾ مثل الجملتين المتماثلين لها، وهو تكرير لتعداد الاستدلال. واختير وصف التفكر هنا؛ لأن الاعتبار بتفصيل ما أجملته الآية في نظام النحل محتاج إلى إعمال فكر دقيق، ونظر عميق، فإنّ من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة، والأفعال العجيبة الأنيقة، المشتملة

على حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين إلا بآلات دقيقة وأدوات أنيقة وأنظار دقيقة جزم قطعًا بأنّ له خالقًا قادرًا حكيمًا يلهمها ذلك ويهديها إليه جلّ جلالُه! . . **﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا إنّ الله عليم قدير﴾**: لمّا ذكر سبحانه من عجائب أحوال ما ذكر من الماء والنبات والأنعام والنحل أشار إلى بعض عجائب أحوال البشر من أول عمره إلى آخره وتطوراته فيما بين ذلك.

وقد ضبطوا مراتب العمر في أربع: الأولى: سن النشوء والنماء، والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب وبلوغ الأشد، والثالثة: سن الانحطاط القليل وهي سن الكهولة، والرابعة: سن الانحطاط الكبير، وهي سن الشيخوخة. وهذه الآية استدلال بتصرف الله في الخلق التصرف الغالب لهم الذي لا يستطيعون دفعه على انفراده بربوبيتهم، وعلى عظيم قدرته، كما دل عليه تذييلها بقوله: إنّ الله عليم قدير. . . فهو خلقهم بدون اختيار منهم. . . ثم يتوفاهم كرها عليهم، أو يردهم إلى حالة يكرهونها فلا يستطيعون ردا لذلك ولا خلاصا منه. ولذلك يتحقق معنى العبودية بأوضح مظهر. وإظهار اسم الله هنا دون الاضمار، فلأن مقام الاستدلال يقتضى تكرير اسم المستدل على اثبات صفاته تصريحا واضحا.

وأسلوب الكلام هنا واضح. . . فمن حاول ايضاحه فقد جاء بتحصيل الحاصل من كلامه. . . فلا فائدة من إصلاح ما ظهر صلاحه! . . **﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون﴾**: هذا من الاستدلال على أن التصرف القاهر لله تعالى وذلك أنه أعقب الاستدلال بالإحياء والإماته وما بينهما من هرم بالاستدلال بالرزق ولما كان الرزق حاصلا لكل مخلوق بنى الاستدلال على التفاوت فيه بخلاف الاستدلال بقوله تعالى: **﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم﴾**. ووجه الاستدلال به على التصرف القاهر أن الرزق حاصل لجميع الخلق، وأن تفاضل الناس فيه غير جار على رغباتهم ولا على استحقاقهم. . . فقد تجد أكيس الناس وأجودهم عقلا وفهما مقترًا عليه في الرزق. وبضده ترى أجهل الناس وأقلهم تدبيرًا موسعًا عليه في الرزق. وكلا الرجلين قد حصل فيه ما حصل قهرًا عليه، فالمقتر عليه لا يدري أسباب التقتير، والموسع عليه لا يدري أسباب تيسير رزقه،

ذلك لأن الأسباب كثيرة ومتوالدة ومتسلسلة ومتوغلة في الخفاء، حتى يظن أن أسباب الأمرين مفقودة وما هي بمفقودة ولكنها غير محاط بها.

وتفيد هذه الآية وراء الاستدلال معنى الامتنان لاقتضائها حصول الرزق للجميع، فجملة ﴿**والله فضل بعضكم على بعض في الرزق**﴾ مقدمة للدليل ومنّة من المِنن؛ لأن التفضيل في الرزق يقتضي الإنعام بأصل الرزق، وليست الجملة مناط الاستدلال إنّما الاستدلال في التمثيل من قوله تعالى: ﴿**فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء**﴾، فهذا إدماج جاء على وجه التمثيل لبيان ضلال أهل الشرك حين سووا بعض المخلوقات بالخالق، فأشركوها في الإلهية فسَادًا في تفكيرهم، فمثل بطلان عقيدة الإشراك بالله بعض مخلوقاته بحالة أهل النعمة المرزوقين؛ لأنّهم لا يرضون أن يشركوا عبيدهم معهم في فضل رزقهم، فكيف يسوون بالله عبيدَه في صفته العظمى، وهي الإلهية؟!. ورشاقة هذا الاستدلال أنّ الحالتين المشبهتين والمشبه بهما حالتي مولى وعبد، والغرض من التمثيل تشنيع مقالتهم واستحالة صدقها بحسب العرف، ثم زيادة التشنيع بأنّهم رضوا لله ما لا يرضونه لأنفسهم.

وفرعت جملة ﴿**فهم فيه سواء**﴾ على جملة ﴿**فما الذين فضلوا برادي رزقهم**﴾، فهم لا يشاطرون عبيدهم رزقهم فيستووا فيه؛ فموقع هذه الجملة الاسمية شبيه بموقع الفعل بعد فاء السببية في جواب النفي. وجملة ﴿**أفبنعمة الله يجحدون**﴾ قرنت بالاستفهام وتفرعت على ما قبلها للتوبيخ حيث أشركوا مع الذي أنعم عليهم آلهة لا حظَّ لها في الإنعام... ﴿**والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على ما قبلها، وهو استدلال بديع الصنع في خلق النسل، فهي من الآيات على انفراد الله تعالى بالوحدانية. فهذه نعمة اختص بها الإنسان دون بقية الحيوان حيث لا يشعر بفائدة الزوج والبنين، فانضبطت بهذه النعمة سلسلة الأنساب بهذا النظام المحكم البديع. وجملة ﴿**ورزقكم من الطيبات**﴾ معطوفة على جملة ﴿**جعل لكم من أنفسكم أزواجًا**﴾؛ فإنّ من مكملات نعمة العائلة سعة الرزق، فالمال والعائلة لا يروق أحدهما بدون الآخر.

وفُرع على هذه الحجة والمنة استفهامُ توبيخ على إيمانهم بالباطل البين، فتفريع التوبيخ عليه واضح الاتجاه. وجملة ﴿**وبنعمة الله هم يكفرون**﴾ عطف على جملة التوبيخ، وهو توبيخ متوجه على ما تضمنته الجُمل السابقة، وتقديم المجرور فيه وفيما قبله للاهتمام. وضمير هُمْ يكفرون ضمير فصل لتأكيد الحكم بكفرانهم النعمة، فاجتمع في هذه الجملة تأكيدان: التأكيد الذي أفاده التقديم، والتأكيد الذي أفاده ضمير الفصل. والإتيان بالمضارع في يؤمنون - ويكفرون - للدلالة على التجدد والتكرير. وفي الجمع بين - يؤمنون - ويكفرون - محسّن بديع الطباق. . . ﴿**ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقًا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على جملتي التوبيخ، وهو مزيد من التوبيخ؛ فإنّ الجملتين المعطوف عليهما أفادتا توبيخًا على إيمانهم بالآلهة الباطلة، وكفرهم بنعمة المعبود الحق.

وهذه الجملة المعطوفة أفادت التوبيخ على شكر ما لا يستحق الشكر، فهم عبدوا ما لا يستحق العبادة ولا بيده نعمة، فمفاد هذه الجملة مؤكد لمفاد ما قبلها مع اختلاف الاعتبار بموجب التوبيخ في كلتيهما. وجملة ﴿**لا يستطيعون**﴾ معطوفة على قوله ﴿**لا يملك لهم رزقًا**﴾، فهو من جملة صلة ما، فضمير الجمع عائد إلى ما الموصولة باعتبار دلالتها على جماعة الأصنام المعبودة لهم. وأجريت عليها صيغة جمع العقلاء مُجاراةً لإعتقادهم أنها تعقل وتسمع وتستجيب. وحذف مفعول يستطيعون لقصد التعميم. . . فتلك الأصنام حجارة لاتقدر على شئ!. . ﴿**فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾: تفريع على جميع ما سبق من الآيات والعبر والمِنَنِ. إذ قد استقام من جميعها انفراد الله تعالى بالإلهية، ونفى الشريك له فيما خلق وأنعم.

وبالأولى نفى أن يكون له ولد وأن يشبه بالحوادث. . . فلا جرم استتب للمقام أن يفرع على ذلك زجر المشركين عن تمثيلهم غير الله بالله في شئ من ذلك، وأن يمثلوه بالموجودات. وجملة ﴿**إن الله يعلم**﴾ تعليل للنهى عن تشبيه الله تعالى بالحوادث، وتنبيه على أن جهلهم هو الذي أوقعهم في تلك السخافات من العقائد. وفي قوله: ﴿**وأنتم لا تعلمون**﴾ استدعاء لإعمال النظر الصحيح ليصلوا إلى العلم البرئ من الأوهام. ﴿**ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على**

شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون﴾: أعقب زجرهم عن أن يشبهوا الله بخلقه، أو أن يشبهوا الخلق بربهم بتمثيل حالهم في ذلك بحال من مثّل عبدا بسيّده في الإنفاق.

والآية مستأنفة استئنافا بيانيا ناشئا عن قوله: **﴿ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون...﴾** فشبه حال أصنامهم في الغجر عن رزقهم بحال مملوك لا يقدر على تصرف في نفسه ولا يملك مالا، وشبه تسأل الله تعالى في رَزْقه إياهم بحال الغنى المالك أمر نفسه بما شاء من إنفاق وغيره. ومعرفة الحالين المشتبهتين يدل عليها المقام. والمقصود نفى المماثلة بين الحالتين... فكيف يزعمون مماثلة أصنامهم لله؟! ولذلك أعقب بجملة هل يستوون؟!.. وذيل هذا التمثيل بقوله: **﴿الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون... وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾**: هذا تمثيل ثان للحالتين السابقتين بحالتين أخريين... اختلف فيها وجه الشبه لزيادة البيان والتوضيح... فاعتبر هنا المعنى الحاصل من حال الأبكم، وهو العجز عن الإدراك، وعن العمل، وتعذر الفائدة منه في سائر أحواله... والمعنى الحاصل من حال الرجل الكامل العقل والنطق في إدراكه الخير وهديه إليه، وإتقان عمله وعمل من يهديه... **﴿ضربه الله مثلا﴾** لكماله وإرشاده الناس إلى الحق ومثلا للأصنام الجامدة التي لا تضر ولا تنفع.

وهى محتاجة إلى من يحرسها وينفض عنها الغبار والوسخ!.. **﴿ولله غيب السماوات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شئ قدير﴾**: كان مما حكى من مقالات كفرهم أنهم أقسموا بالله لا يبعث الله من يموت؛ لأنهم توهموا أن إفناء هذا العالم العظيم، وإحياء العظم وهي رميم أمر مستحيل... فأبطل الله ذلك على الفور بأن الله قادر على كل ما يريده... ثم انتقل الكلام بعد ذلك إلى بسط الدلائل على الوحدانية والقدرة، وتسلسل البيان وتفنّنِ الأغراض بالمناسبات. فكان من ذلك تهديدهم بأن الله لو يؤاخد الناس بظلمهم ما ترك على الأرض من دابة... ولكنه يمهلهم ويؤخرهم إلى أجل عينه في علمه لحكمته.

وحذرهم من مفاجأته. . . فثنى عِنان الكلام إلى الاعتراض بالتذكير بأن الله لا يخرج عن قدرته أعظم فعل مما غاب عن إدراكهم، وأن أمر الساعة التي أنكروا إمكانها وتأخير حلولها هي مما لا يخرج عن تصرف الله ومشيئته متى شاء فلذلك قوله تعالى: ﴿**ولله غيب السماوات والأرض. . .**﴾ بحيث لم يغادر شيئا مما حكى عنهم من كفرهم وجدالهم إلا وقد بينه لهم استقصاء للإعْذارِ بهم. ومن مقتضيات تأخير هذا أنه يشتمل بِصَرِيحِه على تعليم وبإيمائه إلى تهديد وتحذير. وتقديم المجرور في قوله: ولله غيب. . . يفيد الحصر.

وأمر الساعة شأنها العظيم. والساعة علم بالغلبة على وقت فناء هذا العالم. ووجه الشبه في قوله: كلمح البصر هو كونه مقدورا بدون كلفة. . . وأوْفى قوله: ﴿**أو هو أقرب**﴾ للإضراب الانتقالى. . . ثم ذيل هذا الكلام بقوله: ﴿**إن الله على كل شئ قدير**﴾. وهو تقرير لقرب وقوعها وسهولة أمرها على الله العليم القدير. ﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا**﴾: هذا الكلام دليل على ما ذكر من أمر الساعة حيث أخرج الناس من عالم الغيب إلى عالم الشهادة وجعل فيهم الادراك وما يتوقف عليه الادراك من الحياة. . . فكذلك نشأتهم النشأة الأخرى يوم البعث. . . فهذه الآية معطوفة على جملة ﴿**والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا. . .**﴾ بعدما فصّل بين تعداد النعم بما اقتضاه الحال من التذكير والإنذار.

وجملة ﴿**وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة**﴾ معطوفة على قوله: ﴿**لا تعلمون شيئا**﴾. وجملة ﴿**لعلكم تشكرون**﴾ تعليل لما قبله. . . فهذه العلوم التي حصلت للإنسان نعمة من الله ولطف. . . فهى نعمة كبرى يجب شكرها. . . ﴿**ألم يروا إلى الطير مسخرات في جوّ السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**﴾: الآية مفصولة عما قبلها فلم تعطف؛ لأنها واقعة موقع التعليل والتدليل على عظيم قدرة الله وبديع صنعه ولطفه بالمخلوقات. . . فإنه لما ذكر موهبة العقل والحواس التي بها تحصيل المنافع ودفع الأضرار. نبه الناس إلى لطف يشاهدونه أجلى مشاهدة لأضعف الحيوان. . . فجاء الكلام على طريقة الالتفات، وعلى وجه الاستفهام، ليكون هذا موجها إلى جميع البشر؛ ليعتبر من يعتبر، ويغفل من لم ينتفع بحاسة النظر: ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. . . والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم**

ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين﴾: هذا من تعداد النعم التي ألهم الله إليها الإنسان.

وهى نعمة الفكر بصنع المنازل الواقية والمرفهة وما يشبهها من الثياب والأثاث، عطفا على جملة ﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا. . .**﴾ وكلها من الألطاف التي أعد الله لها عقل الإنسان وهيأ له وسائلها. . . ﴿**والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم**﴾: هذا امتنان بنعمة الإلهام إلى التوقى من أضرار الحرّ والقرّ في حالة الانتقال أعقبت به المنة بذلك في حال الإقامة والسكنى. . . وبنعمة خلق الأشياء التي يكون بها ذلك التوقى؛ إذ خلق الله الظلال صالحة للتوقى من حر الشمس. وخلق الكهوف في الجبال ليمكن اللجأ إليها. . . وخلق مواد اللباس مع الإلهام إلى صناعة نسجها. . . وخلق الحديد لاتخاذ الدروع للقتال.

وجملة ﴿**كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون**﴾: تذييل لما ذكر من النعم. والمشار إليه هو ما في النعم المذكورة من الإتمام. . . ولعل للرجاء استُكْمِلَتْ في معنى الرغبة. وهي الرغبة في دخول الإسلام الذي بيّن للناس كل ما فيه منافعهم. . . وما فيه مضارهم والخطاب عام لجميع الناس. . . ﴿**فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين**﴾: تفريع على ما سبق من بيان النعم على الناس رجاء أن يشكروا ربهم. . . ورجاء أن يدخلوا في دين الإسلام: الدين التي جئت به. . . فإن أذعنوا. . . فهذا المطلوب. وإن أعرضوا. ﴿**فما عليك إلا البلاغ المبين. . . يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون**﴾: استئناف بيانى؛ لأن توليهم عن الإسلام مع وفرة أسباب اتّباعه يثير سؤالا في نفس السامع: كيف خفيت عليهم دلائل الإسلام؟. . . فيجاب بأنهم عرفوا نعمة الله. . . ولكنهم أعرضوا عنها إنكارةً ومكابرةً وهم أكثر الناس في الماضى والحاضر فالكلام موجه كما هو ظاهر السياق إلى الناس كافة. . . فمنهم من عرف فآمن. . . وأكثرهم عرفوا فكفروا: وأكثرهم الكافرون. ﴿**ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولاهم يستعتبون**﴾: كما كان الكلام السابق يدخل فيه جميع الناس جاء الكلام هنا عاما لجميع الأمم مع رسلها. وما يكون لهم أو عليهم يوم البعث. . . ثم لا يؤذن للذين كفروا من كل أمة. . . فجملة ﴿**ولاهم يستعتبون**﴾ عطف خاص على عام. . . فنفى إذن أعم من نفى الاستعتاب.

﴿وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون﴾: وصلت الآية بالعطف على ما قبلها زيادة في توضيح معنى ثم لا يؤذت للذين كفروا ولاهم يستعتبون. ولزيادة وصفهم بالظلم يعد وصفهم بالكفر... **﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾**: الآية موصولة بالعطف على ما قبلها. وإجراء هذه الصِّلاَتِ الثلاث عليهم لزيادة التسجيل عليهم بأنواع إجرامهم الراجعة إلى تكذيب ما دعاهم الله إليه. وهو نكتة الإظهار في مقام الإضمار، ولإظهار خيبة أملهم في أصنامهم حيث كانوا يحسبونها تشفع لهم عند الله! ولهذا جاء الحكم النهائى حاسما للأمر من أصله: **﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون...﴾** الجملة مفصولة عما قبلها فلم تعطف عليها؛ لأنها بين لكل ما تقدم من ذكر أحوالهم من الكفر والظلم والشرك... فكانت هذه الآية نتيجة لكل ما حكى عنهم... ثم ذكر زيادة على ما تقدم أن لهم عذابا زائدا على العذاب الحاصل من الكفر والظلم والشرك. وهو صدهم الناس عن سبيل الله التي جاء بها هذا الرسول الكريم وهذا إفساد ما فوقه فساد. ولهذا جاء العذاب عليه منكرا لم يكن عليه مزيد لمستزاد.

﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء﴾: الفرق بين هذه الآية وبين الآية التي ذكرت مثلها: أن الآية الأولى التي ذكر فيها بعث الرسل مع أممهم ليحصل ما يحصل من فوز الفائز. وهلاك الهالك... وأن هذه الآية جاءت تفصل ما يحصل لكل أمة كذبت رسولها بشهادة رسولها عليها بالتكذيب... ثم تهيأ السياق لذكر الغرض المقصود من هذا الكلام: وجئنا بك شهيدا على هؤلاء... هؤلاء الذين كذبوك وآذوك وقاتلوك وفعلوا ما فعلوا وقالوا ما قالوا... **﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا؟!.. ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾**: هذا تخلص للشروع في تعداد النعم على المؤمنين من نعم الإرشاد ونعم الجزاء على الامثال وبيان بركات هذا الكتاب المنزل لهم. وهو خلاصة لما ذكر أول السورة من أن إنزال الوحى إلى الناس من أعظم النعم وأجلها... فهذا الكتاب الذي فيه بيان كل شئ هو خاتم الكتب وناسخ لكل دين سبقه من دين

الرسل... وفيه الهدى الموصل إلى المطلوب. والرحمة التي ما بعدها مطلوب. والبشرى التي تنشرح لها القلوب... فكل ذلك للمسلمين دون غيرهم؛ لأن غيرهم لما أعرضوا عنه حرموا أنفسهم الانتفاع بخواصه كلها!...

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والحكام

التوجيه الأول: ﴿**وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياى فارهبون**﴾: في هذا التوجيه يتجه قوله الله تعالى إلى الناس كافة بالنهى عن اتخاذ إلهين... فمن باب أولى اتخاد آلهة متعدة. وبالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له... فيأخذ التعبير أسلوب التقرير والتكرير... فيتبع كلمة إلهية بكلمة اثنين. ويتبع النهى بالقصر ﴿**إنما هو إله واحد**﴾ ويعقب عن النهى والقصر بقصر آخر ﴿**فإياى فارهبون**﴾ دون سواى بلا شبيه أو نظير إلا بها، ولا توجد إلا بوجودها في النفس واضحة كاملة دقيقة لا لبس فيها ولا غموض إنما هو إله واحد... وإنما هو كذلك مالك واحد: ﴿**وله ما في السماوات والأرض...**﴾ ودائن واحد... ﴿**وله الدين واصبا...**﴾ فلا دين إلا دينُه: الأول الثابت المستمر... ومنعم واحد: ﴿**وما بكم من نعمة فمن الله...**﴾ وفِطْرَتُكم تلجأ إليه وحده ساعة العسرة والضيق، وتنتفى عنها أوهام الشرك والوثينة... فلا تتوجه إلا إليه دون الشرك: ﴿**ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون...**﴾ وتصرخون لينجيكم مما أنتم فيه.

وهكذا ينفرد سبحانه وتعالى بالألوهية والملك والدين والنعمة والتوجه؛ وتشهد فطرة البشر بهذا كله حين يصهرها الضر وينفض عنها أوشاب الشرك... ومع هذا فإن فريقا من البشر يشركون بالله بعد توحيده حالما ينجيهم من الضر المحيق! فينتهوا إلى الكفر بنعمة الله عليهم، وبالهدى الذي آتاهم... فلينظروا إذن ما يصيبهم بعد المتاع القصير فتمتعوا فسوف تعلمون... فهذا النموذج الذي يرسمه التعبير هنا... ﴿**ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون...**﴾ ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون... نموذج متكرر في البشرية... ففى الضيق تتوجه القلوب إلى الله لأنها تشعر بالفطرة لاعاصم لها سواه وفي الفرج تتلهّى بالنعمة والمتاع فتضعف صلتها بالله، وتزيغ عنه ألوان من الزيغ تبدو في الشرك به.

وتبدو كذلك في صور شتى من تأليه قِيَمٍ وأوضاع ولو لم تُدْعَ باسْم الإله!. ولقد يشتد انحراف الفطرة وفسادُها... فإذا بعضهم في ساعة العسرة لا يلجأ إلى الله؛ ولكن يلجأ إلى بعض مخاليقه يدعوها للنصرة والانقاذ والنجاة بحجة أنها ذات جاه أو منزلة عند الله أو بغير هذه الحجة في بعض الأحيان... كالذين يدعون الأولياء إنقاذهم من مرض أو شدة أو كرب... فهؤلاء أشد انحرافا من مشركي الجاهلية الذين يرسم لهم القرآن ذلك النموذج الذي رأيناه!. ﴿**ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم...**﴾ فإذا هم يحرمون على أنفسهم بعض الأنعام لا يركبونها أو لا يذوقون لحومها... أو يبيعونها للذكور دون الإناث. باسم الآلهة المدعاة؛ التي لا يعلمون عنها شيئا... إنما هي أوهام موروثة من الجاهلية الأولى.

والله هو الذي رزقهم هذه النعمة التي جعلون لما لا يعلمون نصيبا منها... فليست هي من رزق الآلهة المدعاة لهم ليردوها عليها... إنما هي من رزق الله الذي يدعوهم إلى توحيده فيشركون به سواه!. وهكذا تبدوا المفارقة في تصورهم وفي تصرفهم على السواء... فالرزق كله من الله. والله يأمر ألا يعبد سواه... فهم يخالفون عن أمره فيتخذون الآلهة. وهم يأخذون من رزقه فيجعلونه لما نهاهم عنه! وبهذا تتبدّى المفارقة واضحة جاهرة عجيبة مستنكرة وما يزال أناس بعد أن جاءت عقيدة التوحيد وتقررت... يجعلون نصيبا من رزق الله لهم موقوفا على ما يشبه آلهة الجاهلية... فينذروه للأولياء ذبائح يذبحونها في الاحتفال بموالدهم... أو في الاحتفال بزيارة أضرحتهم موسما يقام كل عام! ويعقب على هذا بالتهديد الشديد: ﴿**تالله لتسألن عمّا كنتم تفترون**﴾ بالقسم والتوكيد فهو افتراء يحطم العقيدة من أساسها لأنه يحطم فكرة التوحيد.

﴿**ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون**﴾: إن الانحراف في العقيدة لا تقف أثاره عند حدود العقيدة بل يتمشى في أوضاع الحياة الاجتماعية وتقاليدها... فالعقيدة هي المحرك الأول للحياة، سواء ما ظهرت أو كمنت. وهؤلاء عرب الجاهلية كانوا يزعمون أن لله بنات ـ هي الملائكة ـ على حين أنهم كانوا يكرهون لأنفسهم ولادة البنات! فالبنات لله أما هم فيجعلون ما يشتهون من الذكور!. وانحرافهم عن العقيدة الصحيحة سوّل لهم وأدّ البنات، أو الإبقاء عليهن

في الذلّ والهوان من المعاملة السيئة والنظرة الوضعية. ذلك أنهم كانوا يخشون العار والفقر مع ولادة البنات؛ إذ البنات لا يقاتلن ولا يكسبن؛ وقد يقعن في السبى عند الغارات فيجلبن العار... أو يعشن كلاّ على أهليهن فيجلبن الفقر. والعقيدة الصحيحة عصمة من هذا كله؛ إذ الرزق بيد الله يرزق الجميع ولا يصيب أحد إلا ما كتب له... ثم إن الإنسان بجنسيه كريم على الله، والأنثى ـ من حيث إنسانيتها ـ صنو الرجل وشطر نفسه كما يقرّر الإسلام... فيرسم السياق صورة منكرة لعادات الجاهلية: ﴿**وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم...**﴾ مسودا من الهم والحزن والضيق.

وهو كظيم يكظم غيظه وغمه، كأنها بلية. والأنثى هبة الله له كالذكر، وما يملك أن يصور في الرحم أنثى ولا ذكرا، وما يملك أن ينفخ فيه حياة، وما يملك أن يجعل من النطفة الساذجة إنسانا سويا. وإن مجرد تصور الحياة نامية متطورة من نطفة إلى بشر ـ بإذن الله ـ ليكفى لاستقبال المولود ـ أيا كان جنسه ـ بالفرح والترحيب وحسن الاستقبال، لمعجزة الله التي تتكرر... فلا يبلى جدتها التكرار!.. فكيف يغتم من يُبشّر بالأنثى، ويتوارى من القوم من سوء ما بشر به، وهو لم يخلق ولم يصور... إنما كان أداة القدرة في حدوث المعجزة الباهرة. وحكمة الله، وقاعدة الحياة، اقتضت أن تنشأ الحياة من زوجين ذكر وأنثى. فالأنثى أصيلة في نظام الحياة أصالة الذكر؛ بل ربما كانت أشدَّ أصالة لأنها المستقر... فكيف يغتم من يُبَشِّرُ بالأنثى، وكيف يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أو نظام الحياة لا يقوم إلا على وجود الزوجين دائما؟!.

إن انحراف العقيدة ينشئ أثاره في انحراف المجتمع وتصوراته وتقاليده: ﴿**يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون**﴾. وما أسوأه من حكم وتقدير!. وهكذا تبدو قيمة العقيدة الإسلامية في تصحيح التصورات والأوضاع الاجتماعية. وتتجلى النظرة الكريمة القويمة التي بثهأ في النفوس والمجتمعات تجاه المرأة؛ بل تجاه الإنسان... فما كانت المرأة هي المغبونة وحدها في المجتمع الجاهلى الوثنى؛ إنما كانت الإنسانية في أخص معانيها... فالأنثى نفس إنسانية إهانتها إهانة للعنصر الإنسانى الكريم؛ ووأدُها قتل للنفس البشرية، وإهدار لشطر الحياة، ومصادمة لحكمة الخلق

الأصلية، التي اقتضت أن يكون الأحياء جميعا ـ لا الإنسان وحده ـ من ذكر وأنثى.

وكلما انحرفت المجتمعات عن العقيدة الصحيحة عادت تصورات الجاهلية تطل بقرونها... فِفي كثير من المجتمعات اليوم تعود تلك التصورات إلى الظهور... فالأنثى لا يرحب بمولدها كثير من الأوساط وكثير من الناس، ولا تعامل معاملة الذكر من العناية والاحترام. وهذه وثنية جاهلية في إحدى صورها. نشأت من الانحراف الذي أصاب العقيدة الإسلامية ـ في مسألة المرأة ـ نتيجة لما يرونه في هذه المجتمعات المنحرفة، ولا يكلف هؤلاء الناعقون اللاّمزون أنفسهم أن يراجعوا نظرة الإسلام وما أحدثته من ثورة في التطورات والأوضاع وفي المشاعر والضمائر. وهي بعد نظرة علوية لم تنشئها ضرورة واقعية ولا دعوة أرضية ولا مقتضيات اجتماعية أو اقتصادية.

إنما أنشأتها العقيدة الإلهية الصادرة عن الله الذي كرم الإنسان فاستتبع تكريمه للجنس البشرى تكريمه للأنثى، ووصفها بأنها شطر النفس البشرية فلا تفاضل بين الشطرين الكريمين على الله. والفارق بين صفة الذين لا يؤمنون بالآخرة وصفة الله سبحانه ـ وله المثل الأعلى؟: ﴿**للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم**...﴾ وهنا تقترن قضية الشرك بقضية إنكار الآخرة؛ لأنهما ينبعان من معين واحد وانحراف واحد ويختلطان في الضمير البشرى، وينشآن آثارهما في النفس والحياة والمجتمع والأوضاع... فإذا ضرب مثل للذين لا يؤمنون بالآخرة فهو مثل السوء السوء المطلق في كل شئ: في الشعور والسلوك، في الاعتقاد والعمل، في التصور والتعامل، في الأرض والسماء... ولله المثل الأعلى، الذي لا يقارن ولا يوازن بينه وبين أحد، بلة الذين لا يؤمنون بالآخرة هؤلاء... وهو العزيز الحكيم ذو النعمة وذو الحكمة الذي يتحكم ليضع كل شئ موضعه، ويحكم ليقر كل شئ في مكانه بالحق والحكمة والصواب وإنه لقادر أن يأخذ الناس بظلمهم الذي يقع منهم. ولو فعل لدمرها عليهم تدميرا؛ ولكنّ حكمته اقتضت أن يؤخرهم إلى أجل مسمى: ﴿**ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة وَلاَ يستقدمون**...﴾ فالله خلق هذا الخلق ـ البشرى ـ وأنعم عليه بآلائه.

وهو وحده الذي يفسد في الأرض ويظلم وينحرف عن الله ويشرك ويطغى بعضه على بعض ويؤذى سواه من الخلق. . . والله بعد هذا كله يحلم عليه ويرأف به ويمهله وان كان لا يهمله. . . فهى الحكمة تصاحب القوة. وهي الرحمة تصاحب العدل. ولكن الناس يفترون بالإمهال فلا تستشعر قلوبهم رحمة الله وحكمته؛ حتى يأخذهم عدله وقوته عند الأجل المسمى الذي ضربه الله لحكمة، وأمهلهم إليه لرحمة. . . فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. وأعجب ما في الأمر أن المشركين يجعلون لله ما يكرهون من البنات وغير البنات. . . ثم يزعمون كاذبين أنْ سينَالُهم الخير والإحسان جزاءً على ما يجعلون ويزعمون.

والقرآن يقرر ما ينتظرهم وهو غير ما يزعمون: **﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون. . .﴾** فالتعبير هنا يجعل ألسنتهم ذاتها كأنها الكذب ذاته، أو كأنه صورة له تحكيه وتصفه بذاتها. . . فقولهم: أن لهم الحسنى ـ وهم يجعلون لله ما يكرهون ـ هو ذلك الكذب الذي تصفه ألسنتهم. . . أما الحقيقة التي يحيهم بها النص قبل أن تكمل الآية. . . فهى أن لهم النار دون شك ولا ريب، وعن استحقاق وجَدَارَة: لا جرم أن لهم النار. . . وأنهم أفرطوا في زعمهم وخرجوا بما قالوا عن طبيعة الإنسان إلى طبيعة الشيطان! وظاهر ما في هذا التعبير يغنى عن التفسير: وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون!

التوجيه الثاني: ﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم. وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾: في هذا توجيه الرسول إلى بيان موقفه من قومه؛ لأنهم ليسوا أول من انحرف. . . وليسوا أول من جدّف. . . فقد كان قبلهم منحرفون ومجدّفون، أغواهم الشيطان. وزين لهم ما انحرفوا إليه من تصورات وأعمال. . . حتى صار وليهم مثل ما صار وليا لهؤلاء الآن. . . فبعث الله إليهم رسولا منهم ليستنقذهم وليبين لهم الحقّ من الباطل، ويفصل فيما وقع بينهم من اختلاف.

وليكون هدى ورحمة لمن يؤمنون بهذا الكتاب الذي أنزله الله عليك. . .

فوظيفة الكتاب الأخير، والرسالة الأخيرة هي الفصل فيما شجر بين الأمم من اختلاف في كتبهم وعقائدهم... فالأصل الذي جاءت به الرسل هو التوحيد... فكل ما طرأ على التوحيد من شبهات، وكل ما شابَهُ من شرك في صورة من الصور ومن تشبيه وتمثيل كله باطل جاء القرآن الكريم ليجلوه وينفيه... وليكون هذا الكتاب هدى ورحمة لمن استعدت قلوبهم للإيمان وتفتحت لقبوله وتلقيه... وعند هذا الحد يأخذ السياق في استعراض آيات الألوهية الواحدة فيما خلق الله في الكون، وفيما أودع الإنسان من صفات واستعدادات، وفيها وهبه من نعم وآلاء، مما لا يقدر عليه أحد إلا الله.

وقد ذكر في الآية السابقة إنزال الكتاب ـ وهو خير ما أنزل الله للناس وفيه حياة الروح ـ فهو يتبعه بإنزال الماء من السماء، وفيه حياة الأجسام: ﴿**والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون**﴾. والماء حياة كل حى. والنص يجعله حياة للأرض كلها على وجه الشمول لكل ما عليها ومن عليها... والذي يحول الموت إلى حياة هو الذي يستحق أن يكون إلها: إن في ذلك لآية لقوم يسمعون... فيتدبرون ما يسمعون... فهذه القضية قضية آيات الألوهية ودلائلها من الحياة بعد موتها ذكرها القرآن كثيرا ووجه الأنظار إليها كثيرا... ففيها آية لمن يسمع ويعقل ويتدبر ما يقال... وعبرة أخرى في الأنعام تشير إلى عجيب صنع الخالق... وتدل على الألوهية بهذا الصنع العجيب: ﴿**وإن لكم في الأنعام لعبرة، نسقيكم مما في بطونه ـ من بين فرث ودم ـ لبنا خالصا سائغا للشاربين...**﴾ فهذا اللبن الذي تدره ضروع الأنعام مم هو؟ إنه مستخلص من بين فرث ودم... فالفرث ما يتبقى في الكرش والأمعاء الرقيقة والغليظة بعد الهضم والدم خلاصة العصارة التي تمتصها خلايا الأمعاء وتحويلها إلى دم يذهب إلى كل خلية من خلايا الجسم... أما اللبن فهو خلاصة من الغذاء الذي تحول إلى فرث ودم... فهذه الخلاصة تذهب إلى الغدد التي تفرز اللبن يديع صنع الله العجيب الذي لا يرى أحد كيف يتكون ولا كيف يكون!.. وعملية تحول الخلاصات الغذائية في الجسم إلى دم، وتغذية كل خلية بالمواد التي تحتاج إليها من مواد هذا الدم عملية عجيبة فائقة العجب... وهي تتم في الجسم في كل ثانية.

كما تتم عمليات الاحتراق... وفي كل لحظة تتم في هذا الجهاز الغريب

عمليات هدم وبناء مستمرة لا تكف حتى تفارق الروح الجسد. ولا يملك الإنسان سوى الشعور أن يقف أمام هذه العمليات العجيبة لا تهتف كل ذرة فيه بتسبيح الخالق المبدع لهذا الجهاز الإنسانى، الذي لا يقاس إليه أعقد جهاز من صنع البشر، ولا إلى خلية واحدة من خلاياه التي لا تحصى... ووراء الوصف العام لعمليات الامتصاص والتحول والاحتراق تفصيلات تدير العقل، وعمل الخلية الواحدة في الجسم في هذه العملية عجب لا ينقضى التأمل فيه!. وقد بقى هذا كله سرا إلى عهد قريب.

وهذه الحقيقة العلمية التي يذكرها القرآن هنا عن خروج اللبن من بين فرث ودم لم تكن معروفة لبشر، وما كان بشر في ذلك العهد ليتصورها فضلا على أن يقررها بهذه الدقة العلمية الكاملة وما يملك إنسان يحترم عقله أن يمارى في هذا أو يجادل. ووجود حقيقة واحدة من نوع هذه الحقيقة يكفى وحده لإثبات الوحى من الله بهذا القرآن... فالبشرية كلها كانت تجهل يومذاك هذه الحقيقة. والقرآن ـ يعبر هذه الحقائق العلمية البحتة ـ يحمل أدلة الوحى من الله في خصائصه الأخرى لمن يدرك هذه الخصائص ويقدرها؛ ولكن ورود حقيقة واحدة على هذا النحو الدقيق يفحم المجادلين المتعنّتين.

﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾: هذه الثمرات المنبثقة عن الحياة التي بثها الماء النازل من السماء. تتخذون منه سكرا. والسكر الشراب المسكر الذي حُرّم بعدُ... ورزقا حسنا. والرزق الحسن المفيد للجسم يعطيه قوة ونشاطا، بخلاف المسكر فالنص هنا يلمح إلى أن الرزق الحسن غير الشراب المسكر؛ لأنه ليس رزقا حسنا... وفي هذا توطئة لما جاء بعد من تحريم الخمر... وإنما كان يصف الواقع في ذلك الوقت من اتخاذهم الخمر من ثمرات النخيل والأعناب.

وليس فيه نص بحلها، بل فيه توطئة لتحريمها: **﴿إن في ذلك لآية لقوم يعقلون...﴾** فيدركون الفرق بين الرزق المفيد وبين الشراب المسكر الذي يزيل العقل ويفسد الجسم بالضعف والمرض الشديد. **﴿وأوحى ربك إلى النحل: أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون...﴾** ثم كلى من كل **﴿الثمرات... فاسلكى سبل ربك ذللا، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه،**

فيه شفاء للناس. إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾: والنحل تعمل بإلهام من الفطرة التي أودعها إياها الخالق... فهو لون من ألوان الوحى تعمل بمقتضاه. وهي تعمل بدقة عجيبة يعجز عن مثلها العقل المفكر. سواء في بناء خلاياها، أو في تقسيم العمل بينها، أو في طريقة إفرازها للعسل المصفى.

والنحل تتخذ بيوتها ـ حسب فطرتها ـ في الجبال والشجر وما يرفع الناس من عروش الدوالى... وقد ذلل الله لها سبل الحياة بما أودع في فطرتها وفي طبيعة الكون حولها من توافق. والنص على أن العسل فيه شفاء للناس قد تناوله حداق الأطباء من المسلمين وغيرهم. وبينوا مزاياه وفوائده... فأظهروا إعجاز هذا النص زيادة في إظهار مزايا هذا القرآن... ونقف هنا أمام ظاهرة التناسق في عرض هذه النعم: إنزال الماء من السماء... وإخراج اللبن من بين فرث ودم... واستخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب. والعسل من بطون النحل... إنها كلها أشربة تخرج من أجسام مخالفة لها في شكلها.

ولما كان الجوُّ جوَّ أشربة فقد عرض من الأنعام لبنها وحده في هذا المجال تنسيقا لمفردات المشهد كله ومن الأنعام والأشجار والثمار والنحل والعسل إلى لمسة أقرب إلى أعماق النفس البشرية؛ لأنها في صميم ذواتهم: في أعمارهم وأرزاقهم وأزواجهم وبنيهم وأحفادهم فهم أشد حساسية بها، وأعمق تأثرا واستجابة لها: **﴿والله خلقكم... ثم يتوفاكم. ومنكم من يرد إلى أرذل العمر، لكى لا يعلم بعد علم شيئا؛ إن الله عليم قدير...﴾** فاللمسة الأولى في الحياة والوفاة... وهي متصلة بكل فرد وبكل نفس... والحياة حبيبة والتفكر في أمرها قد يرد القلب الصلد إلى شئ من اللين وإلى شئ من الحساسية بيد الله ونعمته وقدرته. والخوف عليها قد يستجيش وجدان التقوى والحذر والالتجاء إلى واهب الحياة.

وصورة الشيخوخة حين يرد الإنسان إلى أرذل العمر... فينسى ما كان قد تعلم ويرتد إلى مثل الطفولة من العجز والنسيان والسذاجة... فهذه الصورة قد تردُّ النفس إلى شئ من التأمل في أطوار الحياة. وقد تغض من كبرياء المرء واعتزازه بقوته وعلمه ومقدرته... ويجئ التعقيب على هذا بقوله: **﴿إن الله عليم قدير...﴾** فيرُدّ النفس إلى هذه الحقيقة الكبيرة: أن العلم الشامل الأزلى الدائم

لله... وأن القدرة الكاملة التي لا تتأثر بالزمن هي قدرة الله... وأن علم الإنسان إلى حين، وقدرته إلى أجلٍ. وهما بعدُ جزئيان ناقصان محدُوان. ﴿**والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون**﴾: واللمسة الثانية في الرزق والتفاوت فيه ملحوظ والنص يرد هذا التفاوت إلى تفضيل الله لبعضهم على بعض في الرزق.

ولهذا التفضيل في الرزق أسبابُه الخاضعة لسنة الله... فليس شئ من ذلك جُزافًا ولا عبثا... فقد يكون الإنسان مفكّرًا عالِمًا عَاقِلاً، ولكن موهبته في الحصول على الرزق وتنميته محدودة؛ لأن له مواهب في ميادين أخرى... وقد يبدو غبيًا جاهلاً ساذجًا... ولكن له موهبة في الحصول على المال وتنميته... والناس مواهب وطاقات... فيحسب من لا يدقّق أن لا علاقة للرزق بالمقدرة؛ وإنما هي مقدرة خاصة في جانب من جوانب الحياة. وقد تكون بسطة الرزق ابتلاءً من الله، كما يكون التضيق فيه لحكمة يريدها ويحققها بالابتلاء... وعلى أية حال. فإن التفاوت في الرزق ظاهرة ملحوظة تابعة لاختلاف في المواهب.

وذلك حين تمتنع الأسباب المصطنعة المظالمة التي توجد في المجتمعات المحتلة - والنص يُشِيرُ إلى هذه الظاهرة التي كانت واقعة في المجتمع العربي؛ ويستخدِمُها في تصحيح بعض أوهام الجاهلية الوثنية التي يزاولونها، والتي سبقت الإشارة إليها. ذلك حين كانوا يعزلون جزء من رزق الله الذي أعطاهم ويجعلونه لآلتهم المُدّعاة... فهو يقول عنهم هنا: إنهم لا يردون جزءا من أموالهم على ما ملكت أيمانهم من الرقيق ليصبحوا متساوين في الرزق!.. فما بالهم يردون جزاء من مال الله الذي رزقهم إياه على آلتهم المدّعاة؟ ﴿**أفبنعمة الله يجحدون**﴾؟!.. فيجازون النعمة بالشرك بدل الشكر للمنعم المتفضل الوهّاب... ﴿**والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون**﴾: واللمسة الثالثة في الأنفس والأزواج والأبناء والأحفاد.

وتبدأ بتقرير الصلة الحيّة بين الجنسين فهنّ من أنفسكم شطرٌ منكم، لا جنس أحط بتوارى من يبشر به ويحزن... والإنسان الفاني يحس الامتداد في الأبناء والحفدة. ولمس هذا الجانب في النفس يشير أشد الحساسية... ويضم إلى هبة

الأبناء والأحفاد هبة الطيبات من الرزق للمشاركة بين الرزقين ليعقب عليها بسؤال استنكارى: ﴿**أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون**﴾. فيشركون به ويخالفون عن أمره؟!.. وهذه النعم كلها من عطائه. وهي آيات على ألوهيته، وهي واقعة في حياتهم تلابسهم في كل آن... أفبالباطل يؤمنون؟!.. وما عَدَا الله باطل. وهذه الآلهة المدّعاة والأوهام كلها باطل لا وجود له، ولا حق فيه.

﴿**وبنعمة الله هم يكفرون**﴾: وهي حق يلمسونه ويحسونه ويتمتعون به... ثم يجحدونه!.. ﴿**ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون**﴾. وإنه لعجب أن تنحرف الفطرة إلى هذا الحد... فيتجه الناس بالعبادة إلى ما لا يملك لهم رزقا.. وما هو بقادر في يوم من الأيام، ولا في حال من الأحوال... ويَدَعُون الله الخالق الرازق، وآلاؤه بين أيديهم لا يملكون إنكارها... ثم يجعلون لله الأشباه والأمثال! ﴿**فلا تضربوا لله الأمثال. إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون...**﴾ فالله ليس له مثال حتى تضربوا له الأمثال... ثم يضرب لهم مثلين للسيد المالك الرازق، وللمملوك العاجز الذي لا يملك ولا يكسب لتقريب الحقيقة الكبرى التي غفلوا عنها. حقيقة أن ليس لله مثال، وما يجوز أن يسووا في العبادة بين الله وأحد من خلقه وكلهم له عبيد: ﴿**ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ، ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا. هل يستوون؟ الحمد لله. بل أكثرهم لا يعلمون**﴾.

﴿**وضرب الله مثلا رجلين: أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم**﴾؟. والمثل الأول مأخوذ من واقعهم... فقد كان لهم عبيد مملوكون لا يملكون شيئا ولا يقدرون على شئ وهم لا يُسَوُّون بين العبد المملوك العاجز والسيد المالك المتصرف... فكيف يسوون بين سيد العباد ومالكهم وبين أحد أو شئ مما خَلَقَ؟ وكل مخلوقاته له عبيد!.. والمثل الثانى يصور الرجل الأبكم الضعيف البليد الذي لا يدرى شيئا ولا يعود بخير. والرجل القوى المتكلم الآمر بالعدل العامل المستقيم على طريق الخير... فلا يسوى عاقل بين هذا وذاك... فكيف تمكن التسوية بين صنم أو حجر وبين الله سبحانه وهو القادر العليم الآمر بالمعروف الهادى إلى الصراط المستقيم؟!..

التوجيه الثالث - ﴿**ولله غيب السماوات والأرض وما أمر الساعة إلى كلمح البصر أو هو أقرب. إن الله على كل شئ قدير**﴾: في هذا التوجيه لفت النظر إلى غيب الله المستتر... والإنسان في هذا الغيب لا يقدم ولا يؤخِّر. وإن البشر جميعا ليقفون أمام أستار الغيب عاجزين قاصرين! مهما يبلغ عليهم الأرضي... ومهما تتفتح لهم كنوز الأرض وقواها المدخورة... وأن أعلم العلماء من بنى البشر ليقف مكانه لا يدرى ماذا سيكون اللحظة التالية في ذات نفسه. أيرتد نفسه الذي خرج أم يذهب فلا يعود؟ وتذهب الآمال بالإنسان كل مذهب، وقدرُه كامنٌ خلف ستار الغيب لا يدرى متى يفجؤه، وقد يفجؤه اللحظة.

وإنه لمن رحمة الله بالناس أن يجهلوا ما وراءهم ما وراء اللحظة الحاضرة ليؤملوا ويعملوا وينتجوا وينشئوا ويخلفوا وراءهم ما بدأوه، يتمه الخلف حتى يأتيهم ما خبئ لهم خلف الستار الرهيب!.. والساعة من هذا الغيب المستور. ولو علم الناس موعدها لتوقفت عجلة الحياة، أو اختلت... ولَمَا سارت الحياة وفق الخط الذي رسمته لها القدرة. والناس يعدون السنين والشهور والأيام والساعات واللحظات لليوم الموعود! وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب... فهى قريب؛ ولكن في حساب غير حساب البشر المعلوم وتدبير أمرها لا يحتاج إلى وقت. طرفة عين فإذا هي حاضرة مهيأة بكل أسبابها؛ إن الله على كل شيء قدير.

وبَعْثُ هذه الحشود التي يخطئها الحصر والعد من الخلق، وانتفاضها وجمعها، وحسابها، وجزاؤها... كله هين على تلك القدرة التي تقول للشئ كن فيكون إنما يستهول الأمر ويستعصبه من يحسبون بحساب البشر، وينظرون بعين البشر، ويقيسون بمقياس البشر... ومن هنا يخطئون التصور والتقدير... ويقرب القرآن الأمر بعرض مثل صغير من حياة البشر، تعجز عنه قواهم، ويعجز عنه تصورهم... وهو يقع في كل لحظة من ليل أو نهار: ﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا. وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون...**﴾ وهو غيب، ولكنه موغل بعيد.

وأطوار الجنين قد يراها الناس، ولكنهم لا يعلمون كيف تتم؛ لأن سرها هو سر الحياة المكنون. والعلم الذي يدعيه الإنسان ويتطاول به، ويريد أن يختبر به أمر الساعة وأمر الغيب، علم حادث مكسوب: ﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم**

لا تعلمون شيئا...﴾ فمولد كل عالم وكل باحث، ومخرجه من بطن أمه لايعلم شيئا قريب قريب!... وما كسبه بعد ذلك من علم هبة من الله بالقدر الذي أراده الله للبشر، وجعل فيه كفاية حياتهم على هذا الكوكب، في المحيط المكشوف لهم من هذا الوجود: **﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون...﴾** والقرآن يعبر بالقلب ويعبر بالفؤاد عن مجموع مدارك الإنسان الواعية؛ وهي تشمل ما اصطلح على أنه العقل، وتشمل كذلك قوى الإلهام الكامنة المجهولة الكنه والعمل... لعلكم تشكرون حين تدركون قيمة النعمة في هذه وفي سواها من آلاء الله عليكم.

وأول الشكر الإيمان بالله الواحد المعبود وعجيبة أخرى من آثار القدرة الإلهية يرونها فلا يتدبرونها. وهي مشهد عجيب معروض للعيون: **﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء، ما يمسكهن إلا الله... إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون...﴾** ومشهد الطير في جو السماء مشهد مكرور قد ذهبت الألفة بما فيه من عجب، وما يتلفت القلب البشرى عليه إلا حين يستيقظ، ويلحظ الكون بعين الشاعر الموهوب. وإن تحليقة طائر في جو السماء لتستجيش الحسَّ. الشاعر إلى القصيدة حين تلمسه فينتفض للمشهد القديم الجديد!.. فالقلب المؤمن هو القلب الشاعر ببدائع الخلق والتكوين، المدرك لما فيها من روعة باهرة تهز المشاعر وتستجيش الضمائر. وهو يعبر عن إحساسه بروعة الخلق، بالإيمان والعبادة والتسبيح... والموهوبون من المؤمنين هبة التعبير قادرون على إبداع ألوان من رائع القول في بدائع الخلق والتكوين، لا يبلغ إليها شاعر لم تمس قلبه شرارة الإيمان المشرق الوضيئ.

ويخطو السياق خطوة أخرى في أسرار الخلق وأثار القدرة ومظاهر النعمة، يدخل بها إلى بيوت القوم وما يسر لهم فيها وحولها من سكن ومتاع وأكنان وظلال: **﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون...﴾** فالمسكن والطمأنينة في البيوت نعمة لا يقدرها حق قدرها إلا

المشردون الذين لا بيوت لهم ولا سكن. ولا طمأنينة وذكرها في السياق يجئ بعد الحديث عن الغيب، وظل السكن ليس غريبا عن ظل الغيب... فكلاهما فيه خفاء وستر.

والتذكير بالسكن يمس المشاعر الغافلة عن قيمة هذه النعمة. ونستطرد هنا إلى شئ عن نظرة الإسلام إلى البيت بمناسبة هذا التعبير الموحى: ﴿**والله جعل لكم من بيوتكم سكنا...**﴾ فهكذا يريد الإسلام البيت مكانا للسكينة النفسية والاطمئنان الشعورى. هكذا يريدُهُ مُرِيحًا تطمئن إليه النفس وتسكن وتأمن سواء بكفايته المادية للسكنى والراحة، أو باطمئنان من فيه بعضهم لبعض، ويسكن من فيه كل إلى الآخر... فليس البيت مكانا للنزاع والشقاق والخصام. إنما هو مبيت وسكن وأمن واطمئنان وسلام... ومن ثَمَّ يضمن الإسلام للبيت حرمته ليضمن له أمنه وسلامه واطمئنانه فلا يدخله داخل إلا بعد الاستئذان، ولا يقتحمه أحد ـ بغير حق ـ باسم السلطان، ولا يتطلع أحد على من فيه لسبب من الأسباب، ولا يتجسس أحد على أهله في غفلة منهم أو غيبة فيروع أمنهم، ويخل بالسكن الذي يريده الإسلام للبيوت، ويعبر عنه ذلك التعبير الجميل العميق!.

ولأن المشهد مشهد بيوت وأكنان وسرابيل... فإن السياق يعرض من الأنعام جانبها الذي يتناسق مع مفردات المشهد: ﴿**وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين**﴾. وهو هنا كذلك يستعرض من نعمة الأنعام ما يلبى الضرورات وما يلبى الأشواق... فيذكر المتاع إلى جانب الأثاث. والمتاع ولو أنه يطلق على ما في الأرحال من فرش وأغطية وأدوات، إلا أنه يشى بالتمتع والارتياح. ويرق التعبير في جو السكن والطمأنينة، وهو يشير إلى الظلال والأكنان في الجبال، وإلى السرابيل تقى في الحر وتقى في الحرب: والله جعل لكم مما خلق ظلالا، وجعل لكم من الجبال أكنانا، وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم، وللنفس في الظلال استرواح وسكن، ولها في الأكنان طمأنينة ووسن، ولها في السرابيل التي تقى الحر من الأردية والأغطية راحة، وفي السرابيل التي تقى البأس من الدروع وغيرها وقاية... وكلها بسبيل من طمأنينة البيوت وأمنها وراحتها وظلها.

ومن ثم يجئ التعقيب: ﴿**كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون**. . .﴾ والإسلام استسلام وسكن وركون. . . وهكذا تتناسق ظلال المشهد كله على طريقة القرآن في التصوير. . . فإن أسلموا فبها. . . وإن تولوا وشردوا. . . فما على الرسول إلا البلاغ. . . وليكونن إذن جاحدين منكرين، بعدما عرفوا نعمة الله التي لا تقبل النكران!. . ﴿**فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين. يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون**. . .﴾ ثم يعرض ما ينتظر الكافرين عندما تأتى الساعة التي ذكرت في مطلع الحديث: ﴿**ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون**. . .﴾ والمشهد يبدأ بموقف الشهداء من الأنبياء يدلون بما يعلمون مما وقع لهم في الدنيا مع أقوامهم من تبليغ وتكذيب، والذين كفروا واقفون لا يؤذن لهم في حجة ولا استشفاع ولا يطلب منهم أن يسترضوا ربهم بعمل أو قول. . . فقد فات أوان العتاب والاسترضاء، وجاء وقت الحساب والعقاب: ﴿**وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون**. . .﴾ ثم يقطع هذا الصمت رؤية الذين أشركوا لشركائهم في ساعة الحشر ممن كانوا يزعمون أنهم شركاء لله، وأنهم آلهة يعبدونهم مع الله أو من دون الله فإذا هم يشيرون إليهم ويقولون: ﴿**ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك**. . .﴾ فاليوم يقرون: ربنا. . . واليوم لا يقولون عن هؤلاء إنهم شركاء لله. . . إنما يقولون: هؤلاء شركاؤنا. . . ويفزع الشركاء ويرتجفون من هذا الاتهام الثقيل. . . فإذا هم يجيبون عبادهم بالكذب في تقرير وتوكيد: ﴿**فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون**﴾.

ويتجهون إلى الله مستسلمين خاضعين: ﴿**وألقوا إلى الله يومئذ السلم**. . .﴾ فإذا المشركون لا يجدون من مفترياتهم شيئا يعتمدون عليه في موقفهم العصيب: ﴿**وضل عنهم ما كانوا يفترون**. . .﴾ وينتهى الموقف بتقرير مضاعفة العذاب للذين كفروا وحملوا غيرهم على الكفر وصدوهم عن سبيل الله: ﴿**الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون**﴾. فالكفر فساد والتكفير فساد. . . وقد ارتكبوا جريمة كفرهم، وجريمة صد غيرهم عن الهدى. . . فضوعف لهم العذب جزاء وفاقا. ذلك شأنٌ عامٌّ مع جميع الأقوام. . . ثم يخصص السياق موقفا خاصا للرسول مع قومه: ﴿**ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم**. . . **وجئنا بك شهيدا على هؤلاء**. . .﴾ وفي ظل المشهد المعروض للمشركين.

والموقف العصيب الذي يكذب الشركاء فيه شركاؤهم يستسلمون لله متبرّئين من دعوى عبادهم الضالين يُبرز السياق شأن الرسول مع مشركى قريش يوم يُبعث من كل أمة شهيدٌ. . . فتجئ هذه اللمسة في وقتها وقوّتها: ﴿**وجئنا بك شهيدا على هؤلاء**. . .﴾ ثم يذكر أن في الكتاب الذي نزل على الرسول تبيانا لكل شئ. . . فلا حجة بعدها لمحتجٍّ. . . ولا عذر معه لمعتذر. . . ﴿**وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**. . .﴾ فمن شاء الهدى والرحمة فليسلم قبل أن يأتى اليوم المرْهوب. . . فلا يؤذن للذين. كفروا ولا هم يستعتبون. . . وهكذا تجئ مشاهد القيامة في القرآن لأداء غرض في السياق تتناسق مع وجوه وتؤدّيه.

4 - خلاصة نعم الله على الانسان وأمره بما يقتضيه العدلُ والاحسان

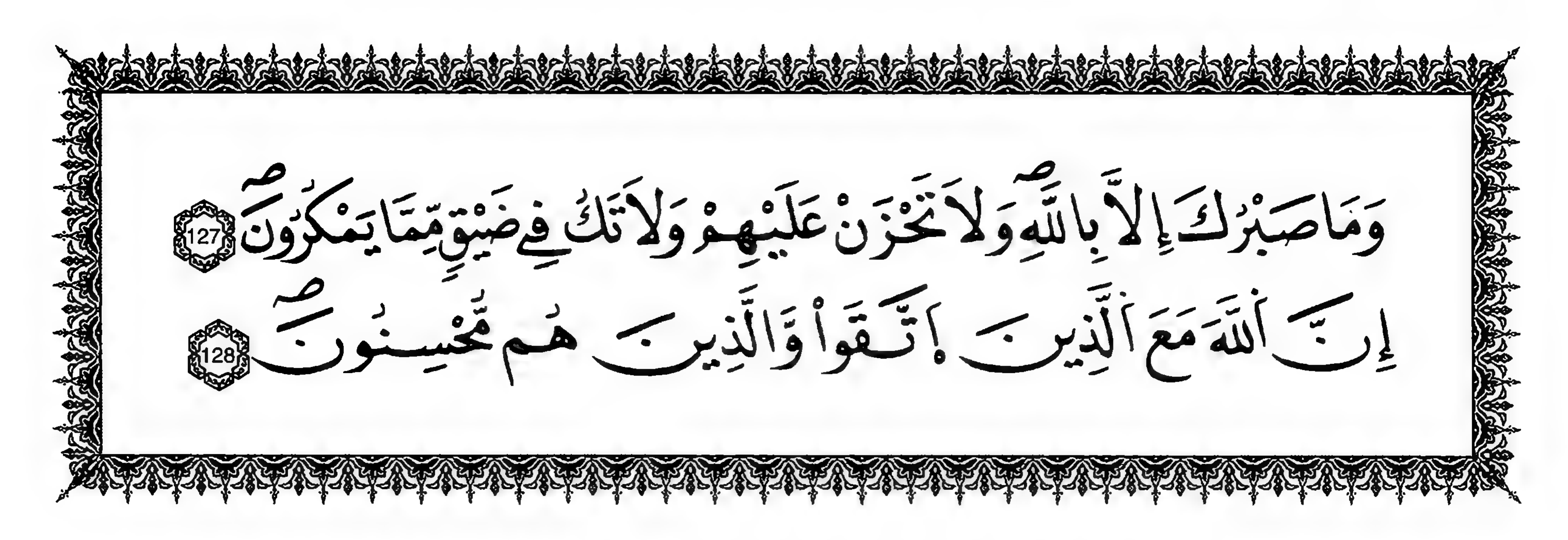
النص

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ (90) وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ (91) وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ (92) وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (93) وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ (94) وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (95)﴾

مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ
أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿96﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿97﴾
۞ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿98﴾
إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿99﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ
وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿100﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ
وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿101﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ
لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿102﴾
وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ
لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ
عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿103﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿104﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى
ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿105﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ
إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ

وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ
مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ (106) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ
ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ
لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ (107) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ (108)
لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (109) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ
وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ (110)
* يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ
وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ (111) وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ
ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ
فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ
بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ (112) وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ (113) فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ
حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ
تَعۡبُدُونَ (114) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ
وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ (115) وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ

هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿116﴾
مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿117﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ
هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ
وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿118﴾
ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿119﴾
* إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿120﴾
شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿121﴾
وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿122﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿123﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ
عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿124﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ
رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى
هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿125﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ
مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿126﴾ وَٱصْبِرْ



البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى. . .**﴾ الأمر: ضد النهى. وهو الطلب من الأعلى إلى الأدنى. ﴿**بالعدل**﴾: هو المأمور به. والعدل إعطاء الحق إلى صاحبه. وأصل العدل: المساواة بين الشيئين. . . ثم صار حقيقة عريقة لكل حق من الحقوق الذاتية المتعامل بها بين الناس. ومن المأمور به كذلك الإحسان. ﴿**والإحسان**﴾: المعاملة الحسنى. وهو يدخل في جميع الأقوال والأفعال. يقال: أحسن إذا أتقنه. . . وأحسن به. . . وأحسن إليه. . . وأحسن فيه. . . ومن المأور به إيتاء ذى القربى. والإيتاء: الإعطاء. والمراد به إعطاء المال.

وذو القربى: صاحب القرابة. . . ﴿**وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى. . .**﴾ النهى: ضد الأمر. وهو طلب الكف من الأعلى إلى الأدنى. . . فالأمر: اعْمَلْ. . . والنهى: لا تعمل. والخبر عنهما: بيأمر بكذا. . . وينهى عن كذا. . . فالفحشاء المراد به هنا الخروج عن العدل. ﴿**والمنكر**﴾: الخروج عن الإحسان. ﴿**والبغى**﴾: الخروج عن الاعطاء المطلوب. . . فبضدِّها تتميز الأشياء. . . ﴿**يعظكم لعلكم تذكرون**﴾: الوعظ: كلام يقصد منه إبعاد المخاطب به عن الفساد، وتحريضه على الصلاح. والتذكر: مراجعة المنسى المغفول عنه. أى: رجاء أن تتذكروا بهذه الموعظة ما اشتملت عليه من محاسن الأعمال ومساويها.

﴿**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم. . .**﴾ من الأوامر المطلوبة الوفاء بعهد الله. . . وهو القيام بما أوجبه المسلم على نفسه من طاعة الله ورسوله. ويطلق على العهد

المكتوب الموثق باليمين. . . وقد تعاهد الصحابة مع الرسول على الالتزام بما جاءهم به من عند ربه. . . **﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾**: هذا النهى مقابل الأمر. ونقض الأيمان: إبطال ما كانت لأجله. وأصل النقض: حل المربوط والمفتول والمغزول. **﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾**: الكفيل: الشّاهد والضامن والرقيب على الشئ المراعى لتحقيق الغرضِ منه. والمعنى: أن القسم باسم الله إشهاد لله وكفالة به.

وقد كانوا عند العهد يحلفون ويُشهدون الكفلاء بالتنفيذ. **﴿ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا﴾**: الغزل: الخيط المبروم من الصوف. ونقضه: حل فتله وتفتت جمعه. والأنكاث جمع نكث. وهي الأجزاء المتفرقة. تتخذون أيمانكم دخلا بينكم: الدخل: الفساد. وهي أيمان يقصد بها الغش والخديعة **﴿أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾**: تعليل لنقض الأيمان التي جعلت دخلا. . . والأمة. الجماعة. وأربى: أزيد في العدد والعدّة. **﴿إنما يبلوكم الله به﴾**: يختبركم الله به. . . **﴿وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾**: عندئذ تظهر الحقائق على ما هي عليه.

بخلاف الدنيا ففيها الاختبار والامتحان: **﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة. . .﴾** فهو إعلام من الله تعالى بأن أمر الدنيا ليس كأمرِ الآخرة. . . **﴿ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء. . .﴾** فمشيئة الله اقتضت أن يخلق الناس على هذا الاختلاف الناشئ عن اختلاف أحوال التفكير ومرات المدارك والعقول. **﴿ولتسألن عما كنتم تعملون﴾**: على مقتضى مشيئة الله التي اقتضت أن يكون الناس مختلفين في أعمالهم الاختيارية. . . فأنيط الجزاء يوم القيامة على هذه الحكمة. **﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم﴾**: كرر النهى هنا ليبين عاقبة ذلك الصنيع تصريحا بالنهى المفيد للتهديد والوعيد الشديد. . . والزلل: تزَلُّقُ الرجل وتنقلها من موضعها دون إرادة صاحبها بسبب ملاسة الأرض. . . والثبوت: الرسوخ وعدم التنقل.

والذوق: الإحساس بالشئ النافع أو المضرّ. والسوء: ما يؤلم. . . **﴿وصددتم﴾**: أعرضتم. **﴿وسبيل الله﴾**: طريقه. . . والعذاب العظيم: عذاب الآخرة. . . **﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا﴾**: الاشتراء: تبادل شئ بشئ آخر.

والثمن: العوض الذي يأخذه المعاوض. وعهد الله هنا. مقابل الثمن القليل. ﴿**إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾: ما عند الله هو ما ادخره للمسلمين من خير في الدنيا والآخرة... فالعندية هنا بمعنى الادّخار لهم... ﴿**ما عندكم ينفدُ وَمَا عند الله باق**﴾: ما عندكم من متاع الدنيا ينتهى ويزول... وما عند الله يبقى ويدوم... فلا نفاد لما عند الله ﴿**وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾: الجزاء المكافأة على الشئ. والمكافأة هنا بأحسن شئ. وهي الجنة وما فيها من النعيم المقيم. ﴿**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة**﴾: هذا الوعد أعم من الوعد السابق... فيدخل فيه كل من آمن وعمل صالحا من ذكر أو أنثى من السابقين واللاحقين.

والمراد بالحياة الطيبة حياتهم في الدنيا من الهناء والراحة والطمأنينة واصلاح البال... وتقابلها المعيشة الضنكى... ﴿**ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون...**﴾ فاختص هذا بأجر الآخرة بالقرينة المقابلة لها. بخلاف نظيره المتقدم... فإنه عام في الجزاءين. ﴿**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**﴾: لما كان هذا القرآن فيه كل الخير ناسب أن يذكر هنا الشيطان الذي يأمر بكل شر... فأمرنا الله بأن نستعيذ منه في كل وقت نقرأ فيه القرآن... والاستعاذة: طلب اللّجْإ إلى الله في هذه الحالة المهمة العظيمة المفيدة لكل من يقرأ القرآن بإخلاص وتوجه إلى الله... والشيطان الرجيم: إبليس وذريته وقبيلته وأولياؤه وكل ما يكون فيه ضرر وشر... وجملة إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا... تعليل للأمر بالاستعاذة... والسلطان القدرة على التسلط... فانتفت قدرة الشيطان على الذين آمنوا؛ لأنهم على ربهم يتوكلون... إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون... فكل من يتولاه الشيطان يكون تحت سلطانه... فيأتمر بأمره ونهيه... فينكب على قراءة الخرافات من الروايات والأوْرَاد والخزعبلات... ويترك قراءة القرآن للحفظ والفهم لآياته المحكمات... ﴿**وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون**﴾: المراد من التبديل هنا: مطلق التغاير بين الأغراض والمقامات... والمراد بالآية: كلام التام من القرآن. والمفترى: المخترع من الخبر المكذوب المختلق... ﴿**قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين**﴾: روح القدس جبريل عليه السلام.

من ربك منزل لا من عند جبريل ولا مخترع من محمد... بالحق ملتبسا به لا يفارقه... ليثبت الذين آمنوا حتى لا يغريهم الشيطان بضلالاته وتعليماته... وهدى وبشرى لكل مسلم خاضع لله مطيع لأمره. ﴿**ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر**﴾: قائلوا هذا القول: هم مشركوا قريش عندما زعموا محمدا يتعلم من رجل نصرانى رقيق في مكة. والقرآن يرد عليهم هذا الزعم ردًّا مُفْحِمًا: ﴿**لسان الذي يلحدون إليه أعجمى، وهذا لسان عربى مبين**﴾!. ومعنى يلحدون يميلون إلى هذا القول المزعوم الواهى... واللسان الأعجمى: كلام غير العرب وهم العجم.

﴿**إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم**﴾: إن شدة الكفر والتمسك به يمنع صاحبه من اتباع الهدى إلى أن يموت ويُحشر إلى النار والعذاب الأليم... ﴿**إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون**﴾: هذا رد لقولهم: إنما أنت مفتر... فلا يفترى الكذب أحدٌ إلا الذين لا يؤمنون بآيات الله؛ لافتضاحهم واشتهارهم بهذه الأكاذيب المتنوعة المستبشعة!... ﴿**من كفر بالله من بعد إيمانه. إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان..**﴾: هذا مقابل لقوله: ﴿**من عمل صالحا من ذكر أو انثى...**﴾ الخ واستثنى من حكم المرتد من أكره على الكفر وخاف على نفسه فنطق بلسانه... ولكن قلبه مطمئن بالإيمان... ﴿**ولكن من شرح بالكفر صدرا**﴾: هذا استدراك على الاستثناء ﴿**فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم**﴾: هذا نتيجة من ارتدّ عن الإسلام مختاراً مفضلا الكفر على الإيمان: ﴿**ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين**﴾: هذا واقع موقع التعليل والبيان الموجب لغضب الله وعذابه العظيم.

﴿**أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون**﴾: بيان وتوضيح لما قبله استكمالا لأوصاف الكفر الحقيقى الناشئ عن عزم وإصرار؛ ليظهر الفرق بينه وبين الكفر الواقع إكراها ووقاية للإضرار. ﴿**لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون**﴾: حقا أنهم هم الخاسرون في الآخرة خسرانا لا يماثله خسران!.. ﴿**ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم**﴾: ثم حرف عطف يدل على الترتيب والتعقيب فإن عطفت الجمل دلت على الترتيب الرتبى كما هنا. وذلك أن مضمون هذه الجملة المعطوفة أعظم رتبة من الجملة المعطوف عليها.

والمراد من الذين هاجروا: المهاجرون إلى الحبشة قبل الهجرة إلى المدينة. والهجرة في اللغة: ترك الشئ. وفي الشرع: ترك مكان الكفر إلى مكان الإيمان. والفتنة هنا: العذاب والأذى الشديد المتكرر... والمجاهدة: المقاومة بالجهد... والصبر: الثبات على تحمُّل المكروه والمشاق... يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما علمت وهم لا يظلمون: اذكر يوم تأتى... وهو يوم القيامة. والمجادلة: دفاع بالقول للتخلص من تَبِعَةِ فِعْل. وتوفى، تعطى شيئا وافيا.

والظلم: الاعتداء على الحق وأطلق هنا على مجاوزة الحد المعين للجزاء في الشر والجحاف عنه في الخير. لأن الله لما عين الجزاء على الشر ووعد بالجزاء على الخير صار ذلك كالحق لكل فريق... **﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾**: عاد الكلام هنا إلى التهديد للمشركين من أهل مكة بعذاب في الدنيا بأن جعلهم مضرب مثل لقرية عذبت عذاب الدنيا بالجوع والخوف بسبب ما صنعوا... والقرية: المقر الذي تستقر فيه الجماعة فيه على الدوام... والأمن: السلامة من تسلط العدو... والاطمئنان: الدعة وهدوء البال.

والرزق الرغد: سعة العيش الوافر الهنيء. ومعنى الكفر بأنعم الله: الكفر بالمنعم؛ لأنهم أشركوا غيره في عبادته فلم يشكروا المنعم الحق. والإذاقة: حقيقتها إحساس اللسان بأحوال الطعوم. واللباس: حقيقته الشئ الذي يُلبس... ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون... فأخذهم العذاب اللائق بالظالمين... فالأخذ هنا، الإهلاك بالقضاء عليهم وقطع دابرهم. **﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون﴾**: هذا الخطاب موجه للمؤمنين مفرع على ما قبله؛ ليحصل التقابل بين الكفر والشكر.

والحلال: المأذون فيه شرعا. والطيب: الحسن النافع الذي تطيب به النفس السليمة... وعبادة الله. شكر نعمته. والعمل بشريعته. **﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم﴾**: هذه الآية بيان لمضمون ما قبلها من قوله: **﴿فكلوا مما رزقكم الله**

حلالا طيبا﴾ لتمييز الطيب من الخبيث. . . فإن المذكورات في المحرمات هي خبائث خبثا فطريا؛ لأن بعضها مفسد لتولد الغذاء لما يشتمل عليه من المضرة. مثل: الميتة والدم ولحم الخنزير.

وبعضها مناف للفطرة، مثل ما يذبح للأصنام والأنصاب والأشخاص يقصد التقرب إليها. . . والاضطرار الاحتياج إلى الشئ. وغير باغ: غير خارج عن أمر الله. ولا عادٍ: غير ظالم متعدٍّ على الغير. . . **﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب﴾**: في هذا تحذير للمسلمين من أن يكونوا مثل المشركين يحلّلون ويحرمون من تلقاء أنفسهم. . . فالحلال المأذون فيه شرعا. والحرام الممنوع بالنص وضعا. . . وتقدم معنى لما تصف ألسنتكم الكذب ولتفتروا على الكذب عند قوله تعالى: وتصف ألسنتهم الكذب. وعند قوله: **﴿إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله. . .﴾** إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون: تعليل لقوله: **﴿ولا تقولوا. . .﴾** الخ.

وجملة **﴿متاع قليل﴾** بيان لقوله **﴿لا يفلحون. . .﴾** وجملة **﴿ولهم عذاب أليم﴾** زيادة للبيان. . . حتى لا يفترى أحد بما هم فيه الآن. **﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون: الذين هادوا﴾﴾** اليهود. وقد حرم عليهم ما ذكر في سورة الأنعام. وكان التحريم خاصا بهم لا يتعدى إلى غيرهم. . . فبِظُلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبِصَدِّهِمْ عن سبيل الله كثيرا. . . **﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾**: هذا تعقيب على ما سبق من التحليل والتحريم الواقع من المشركين. . . والواقع على اليهود. . . يحمل العفو العام عن كل من ارتكب شيئا قبل الإسلام. . . **﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يَكُ من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم﴾**.

﴿وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾: هذه الآية تشيد وترفع من شأن إبراهيم عليه السلام. . . فهو أمة واحدة في الفضل والكمال والنبل. . . وأنه أمة في الدين والطاعة والفضل. . . فلم يكن إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين. . . والاجتباء: الاختيار.

وهو افتعال من جبى إذا جمع. والهداية إلى الصراط المستقيم: الهداية إلى التوحيد ودين الحنيفية. والحسنة في الدنيا كل ما فيه راحة العيش من اطمئنان القلب بالدين والصحة والسلامة وطول العمر وسعة الرزق الكافى وحسن الذكر بين الناس الصالحين والصلاح: تمام الاستقامة في دين الحق... ﴿**ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين**﴾: تعقيب على ذكر إبراهيم وما كان عليه من دين الحق. جاء تنويها يذكر شأن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنه مأمور باتباع ملة إبراهيم... فقد علم من هذا أن دين الإسلام منزّه عن أن تتعلق به شوائب الإشراك... ﴿**إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**﴾: هذا إبطال لمزاعم اليهود كما أبطل من قبل بِمزاعم المشركين من قريش المدّعين أن إبراهيم منهم... فجاء الرد الحاسم بأن المشركين عبدوا الأصنام واليهود اتخذوا السبت شعارا لدينهم وادعوا أنه دين إبراهيم... فملة إبراهيم لم يكن فيها سبت.

ومن هنا خالف اليهود ملة إبراهيم... فالاختلاف من اليهود على إبراهيم... ولهذا جاء التهديد بسبب هذا الاختلاف بقوله: ﴿**وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا يختلفون. ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾: الأمر هنا بالدعوة الاستمرار والتثبت وأن لا يضيق ذرعا بما يقول أهل الكتاب والمشركون... وسبيل الرب: طريقُهُ. والحكمة: المعرفة الصائبة المجردة عن الخطإ. وهي اسم جامع لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس... والموعظة: القول الذي يلين نفس المقول له لعمل الخير.

والمجادلة الاحتجاج لتصويب رأى وإبطال ما يخالفه... ثم علل ذلك الأمر بقوله: إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين... فما على الرسول إلا البلاغ، والدعوة إلى الحق بالاقناع. ﴿**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون. إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾: هذا تدرج في رتب المعاملة من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هي أحسن حتى تصل إلى مجازاة من يستحق المجازاة على فعله

أو قوله. . . فالكلمات التي جاءت في أسلوب هذا الكلام ظاهرة المعانى واضحة الأحكام.

مبحث الإعراب

﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**يأمر**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**بالعدل**﴾ متعلق بيأمر. ﴿**والإحسان**﴾ معطوف على العدل. ﴿**وإيتاء**﴾ كذلك. ﴿**ذى**﴾ مضاف إلى إيتاء مجرور بالياء. ﴿**القربى**﴾ مضاف إلى ذى مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿**وينهى**﴾ معطوف على يأمر. ﴿**عن الفحشاء**﴾ متعلق بينهى. ﴿**والمنكر والبغى**﴾ معطوفان على الفحشاء. ﴿**يعظكم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والضمير المتصل بالفعل مفعول به. والجملة بيانية. ﴿**لعلكم**﴾ لعل واسمها. ﴿**تذكرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل رفع خبر لعل. والجملة تعليلية: ﴿**وأوفوا**﴾ فعل أمر للجماعة المخاطبين. والواو للعطف. ﴿**بعهد**﴾ متعلق بأوفوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عهد. ﴿**إذا**﴾ ظرف زمان متعلق بأوفوا.

﴿**عاهدتم**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿**ولا تنقضوا**﴾ معطوف على أوفوا. والفعل مجزوم بلا الناهية. ﴿**الأيمان**﴾ مفعول به. ﴿**بعد**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**توكيدها**﴾ مضاف إلى بعد. ﴿**وقد**﴾ الواو للحال. وقد للتحقيق. ﴿**جعلتم الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بجعلتم. ﴿**كفيلا**﴾ مفعول ثان لجعلتم. ﴿**إن الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة في محل رفع خبر إنّ. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول يعلم. ﴿**تفعلون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**ولا تكونوا**﴾ معطوف على قوله: ﴿**ولا تنقضوا. . .**﴾ ﴿**كالتي**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب خبر تكونوا. واسمها واو الجماعة. والتي في محل جر بالكاف. ﴿**نقضت**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على التي.

﴿**غزلها**﴾ مفعول به. وجملة ﴿**نقضت غزلها**﴾ صلة التي. ﴿**من بعد**﴾ متعلق بنقضت. ﴿**قوة**﴾ مضاف إلى بعد. ﴿**أنكاثا**﴾ منصوب على الحال من غزلها. ﴿**تتخذون أيمانكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**دخلا**﴾ مفعول ثان لتتخذون.

﴿بينكم﴾ متعلق بـ **﴿دخلا﴾**. **﴿أن تكون﴾** فعل مضارع ناقص منصوب بأن. **﴿أمة﴾** اسم تكون. **﴿هى﴾** ضمير فصل. **﴿أربى﴾** خبر تكون منصوب بفتحة مقدرة على الألف. **﴿من أمة﴾** متعلق بأربى. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بياء السببية متعلق بتتخذون. والتقدير: تتخذون أيمانكم دخلا بينكم بسبب كون أمة هي أربى من أمة وجملة **﴿تتخذون﴾** في محل نصب حال من اسم **﴿تكون﴾**. **﴿إنما﴾** كافة ومكفوفة.

﴿يبلوكم﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. **﴿الله﴾** فاعل. **﴿به﴾** متعلق بيبلوكم **﴿وليبينن﴾** الواو للعطف. والام للتوكيد. يبينن فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والفاعل ضمير يعود على الله. **﴿لكم يوم﴾** متعلقان بِليُبَيِّننّ. . . **﴿القيامة﴾** مضاف إلى يوم. **﴿ما﴾** في محل نصب مفعول به. **﴿كنتم﴾** كان واسمها. **﴿فيه﴾** متعلق بما بعده: **﴿تختلفون﴾** فعل وفاعل. والجملة في محل نصب خبر كان. وجملة **﴿كنتم فيه تختلفون﴾** صلة ما. **﴿ولو﴾** حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. والواو للعطف. **﴿شاء الله﴾** فعل وفاعل. فعل الشرط. **﴿لجعلكم﴾** فعل ماضٍ دخل عليه لام التوكيد. والضمير المتصل به مفعول أول. والفاعل ضمير يعود على الله. **﴿أمة﴾** مفعول ثان. **﴿واحدة﴾** نعت لأمة.

وجملة **﴿لجعلكم﴾** جواب لو. **﴿ولكن﴾** استدراك. **﴿يضل﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. **﴿من﴾** في محل نصب مفعول به. **﴿يشاء﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة من. **﴿ويهدى من يشاء﴾** معطوف على قوله: **﴿يضل من يشاء﴾**. **﴿ولتسألن﴾** فعل مضارع دخل عليه لام التوكيد وواو العطف. واتصلت به نون التوكيد وحذفت نون الرفع وواو الجماعة. والفعل مبنى للمجهول ونائب الفاعل واو الجماعة المحذوف. . . **﴿عما﴾** متعلق بلتسألُنّ. **﴿كنتم﴾** كان واسمها. **﴿تعملون﴾** فعل وفاعل. والجملة في محل نصب خبر كان. وجملة **﴿كنتم تعملون﴾** صلة ما. **﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم﴾** إعراب هذه الجملة مثل اعراب جملة تتخذون أيمانكم دخلا بينكم.

﴿فتزل﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة بعد النهى. **﴿قدم﴾** فاعل. **﴿بعد﴾** متعلق بتزل. **﴿ثبوتها﴾** مضاف إلى بعد. **﴿وتذوقوا﴾**

معطوف على فتزلّ قدم. ﴿**السوء**﴾ مفعول به. ﴿**بما صددتم**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه ما المصدرية. أى يصدكم. متعلق بتذوقوا. ﴿**عن سبيل**﴾ متعلق بصددتم. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**ولكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عذاب**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**عظيم**﴾ نعت لعذاب. والجملة معطوفة على قوله. فتذوقوا السوء. ﴿**ولا تشتروا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لا الناهية وواو العطف. ﴿**بعهد**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عهد ﴿**ثمنا**﴾ مفعول به. ﴿**قليلا**﴾ نعت له. ﴿**إنّ ما**﴾ إن واسمها. ﴿**عند**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عند. وهو ضمير فصل. ﴿**خيرٌ**﴾ خبرُ إنّ. ﴿**لكم**﴾ متعلق بخير.

﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها دخلت عليها إن الشرطية. ﴿**تعلمون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجواب الشرط محذوف دلت عليه جملة ﴿**ولا تشتروا...**﴾ أى: إن كنتم تعلمون أن ما عند الله هو خير لكم فلا تشتروا بعهد الله... ﴿**ما**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**عندكم**﴾ متعلق بمحذوف صلة. ﴿**ينفد**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على ما. وجملة ﴿**ينفد**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**وما عند الله باق**﴾ معطوف على ما عندكم ينفد. وهو مثله في الإعراب. ﴿**وليجزين**﴾ فعل مضارع دخلت عليه لام التوكيد، وواو العطف، واتصلت به نون التوكيد فبنى على الفتح. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول أول. ﴿**صبروا**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**أجرهم**﴾ مفعول ثان. ﴿**بأحسن**﴾ متعلق بيجزين. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف إلى أحسن. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها.

﴿**يعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كان واسمها وخبرها صلة ما. ﴿**مَنْ**﴾ اسم شرط جازم. ﴿**عمل**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**صالحا**﴾ مفعول به. ﴿**من ذكر**﴾ متعلق بعمل. ﴿**أو أنثى**﴾ معطوف على ذكر. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**مؤمن**﴾ خبره. والجملة في محل نصب حال من فاعل عمل. ﴿**فلنحيينه**﴾ فعل مضارع دخلت عليه لام التوكيد وفاء الربط، واتصلت به نون االتوكيد فبنى على الفتح. والضمير المتصل به مفعول والفاعل ضمير العظمة ﴿**نحن**﴾. والجملة في محل جزم جواب الشرط. حياة مفعول مطلق. طيبة نعت لحياة. ﴿**ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾ عطف على قوله فلنحيينه... وتقدم إعراب مثل هذه الجملة قريبا.

﴿فإذا قرأت القرآن﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه إذا الشرطية وفاء التعقيب. **﴿فاستعذ﴾** جواب الشرط دخلت عليه فاء الربط. **﴿بالله من الشيطان﴾** متعلقان باستعذ. **﴿الرجيم﴾** نعت للشيطان. **﴿إنه﴾** إن واسمها. **﴿ليس له﴾** متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. **﴿سلطان﴾** اسمها مؤخر. **﴿على الذين﴾** متعلق بسلطان. وجملة **﴿ليس له سلطان﴾**. في محل رفع خبر إن. **﴿آمنوا﴾** فعل وفاعل صلة الذين، **﴿إنما﴾** كافة ومكفوفة، **﴿سلطانه﴾** مبتدأ. **﴿على الذين﴾** متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. **﴿يتولونه﴾** فعل وفاعل ومفعول صلة الذين. **﴿والذين﴾** عطف على الذين يتولونه. **﴿هم﴾** مبتدأ. **﴿به﴾** متعلق بما بعده: **﴿مشركون﴾** خبر المبتدإ. وجملة **﴿هم به مشركون﴾** صلة الذين.

﴿وإذا بدلنا﴾ آية فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه إذا الشرطية وواو العطف. **﴿مكان﴾** منصوب على الظرفية. **﴿آية﴾** مضاف إلى مكان، **﴿والله﴾** مبتدأ. **﴿أعلم﴾** خبره. **﴿بما﴾** متعلق بأعلم. **﴿ينزل﴾** فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على الله. وجملة **﴿ينزل﴾** صلة ما. وجملة **﴿والله أعلم بما ينزل﴾** اعتراضية. **﴿قالوا﴾** فعل وفاعل. والجملة جواب شرط إذا. **﴿إنما﴾** كافة ومكفوفة. **﴿أنت﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿مفتر﴾** خبر المبتدإ. مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. وجملة **﴿إنما أنت مفتر﴾** في محل نصب مقول القول. **﴿بل﴾** حرف إضراب. **﴿أكثرهم﴾** مبتدإ.

﴿لا يعلمون﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى. والجملة في محل رفع خبر المبتدإ. **﴿قل: نزّله﴾** فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. **﴿روحُ﴾** فاعل نزّل. **﴿القدس﴾** مضاف إلى روح. **﴿من ربك بالحق﴾** متعلقان بنزله. **﴿ليثبّت﴾** فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. **﴿الذين﴾** في محل نصب مفعول به. **﴿آمنوا﴾** صلة الذين. **﴿وهدى وبشرى﴾** معطوفان على قوله ليثبت المؤول بالمصدر المجرور بلام التعليل. ولما كان المجروران مصدرين دون لام نُصبا على أنهما مفعولان لأجله. ونصبهما مقدر على الألف... **﴿للمسلمين﴾** متعلق ببشرى. **﴿ولقد نعلم﴾** فعل مضارع دخل عليه حرف التحقيق، ولام القسم، وواو العطف. والفاعل ضمير العظمة **﴿نحن﴾**. **﴿أنهم﴾** أنّ واسمها.

﴿**يقولون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر أن. ﴿**إنما**﴾ كافة... ﴿**يعلمه**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**بشر**﴾ فاعل يعلم. وجملة ﴿**إنما يعلمه...**﴾ مقول القول. وجملة ﴿**أنهم يقولون في تأويل**﴾ مصدر منصوب مفعول لنعلم... ﴿**لسانُ**﴾ مبتدأ. ﴿**الذى**﴾ في محل جر مضاف إلى ﴿**لسان**﴾. ﴿**يلحدون**﴾ فعل وفاعل صلة الذى. إليه متعلق بيلحدون. ﴿**أعجمى**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**وهذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**لسان**﴾ خبر المتدإ. ﴿**عربى مبين**﴾ نعتان للسان. ﴿**إن الذين**﴾ إن واسمها. ﴿**لا يؤمنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى. والجملة صلة الذين. ﴿**بآيات**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى آيات. ﴿**لايهديهم**﴾ فعل مضارع منفى بلا. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. وجملة ﴿**لايهديهم الله**﴾ في محل رفع خبر إن. ﴿**ولهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم ﴿**عذاب**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**أليم**﴾ نعت لعذاب. والجملة معطوفة على جملة ﴿**لا يهديهم الله**﴾. ﴿**إنما**﴾ كافة ومكفوفة.

﴿**يفترى**﴾ فعل مضارع. ﴿**الكذب**﴾ مفعول به. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع فاعل يفترى. ﴿**لا يؤمنون**﴾ جملة منفية صلة الذين. ﴿**بآيات**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى آيات. ﴿**وأولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**هم**﴾ مبتدأ ثان. ﴿**الكاذبون**﴾ خبر المبتدإ الثاني. والخبر الثانى وخبره خبر عن المبتدإ الأول. ﴿**من كفر**﴾ جملة شرطية. ﴿**بالله من يعد...**﴾ متعلقان بكفر. ﴿**إيمانه**﴾ مضاف إلى يعد. ﴿**إلا من أُكرِه**﴾ مستثنى من قوله: ﴿**من كفر... وقلبُه مطمئنٌّ**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر حال من نائب الفاعل في أكره. ﴿**بالإيمان**﴾ متعلق بمطمئن. ﴿**ولكن من شرح**﴾ استدراك من قوله: ﴿**من أكره... بالكفر**﴾ متعلق بشرح. ﴿**صدرا**﴾ منصوب على التمييز المحوّل عن المفعول.

﴿**فعليهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**غضب**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**من الله**﴾ متعلق بمحذوف نعت لغضب. والجملة جواب الشرط ربطت بالفاء. ﴿**ولهم عذاب عظيم**﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب ﴿**لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم**﴾. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بأنهم**﴾ أن واسمها. ﴿**استحبوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر إن. ﴿**الحياة**﴾ مفعول به. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. ﴿**على الآخرة**﴾ متعلق باستحبوا. ﴿**وأن**﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالياء

متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**وأن الله**﴾ أن واسمها. ﴿**لايهدى**﴾ فعل مضارع منفى بلا. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**القوم**﴾ مفعول به. ﴿**الكافرين**﴾ نعت للقوم. وجملة ﴿**لايهدى...**﴾ خبر أن. وجملة ﴿**وأن الله...**﴾ معطوفة على قوله: ﴿**بأنهم... أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ.

﴿**الذين**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**طبع الله**﴾ فعل وفاعل. صلة الذين. ﴿**على قلوبهم**﴾ متعلق بطبع. ﴿**وسمعهم وأبصارهم**﴾ معطوفان على قلوبهم، والجملة ابتدائية. ﴿**وأولئك هم الغافلون**﴾ عطف على قوله: ﴿**أولئك الذين طبع الله**﴾. ﴿**لا جرم**﴾ ﴿**لا**﴾ نافية للجنس. و﴿**جرم**﴾ مبنى على الفتح في محل نصب اسم لا. ﴿**أنهم**﴾ أن واسمها. ﴿**فى الآخرة**﴾ متعلق بما بعدها: ﴿**هم الخاسرون**﴾ خبرُ أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدّر متعلق بمحذوف خبر لا النافية للجنس. ﴿**ثم**﴾ حرف يدل على الترتيب والتراخى. ﴿**إن ربك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**للذين**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**هاجروا**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**من بعد**﴾ متعلق يهاجروا. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف إلى بعد. ﴿**فتنوا**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل مؤولة مع ما بمصدر مجرور مضاف إلى بعد.

﴿**ثم جاهدوا**﴾ معطوف على هاجروا. ﴿**وصبروا**﴾ معطوف على جاهدوا. ﴿**إن ربك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**من بعدها**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**لغفور رحيم**﴾ خَبَرَانِ لإِنَّ. ﴿**يوم**﴾ منصوب على الظرفية متعلق باذكر مقدر. ﴿**تأتى كل**﴾ فعل وفاعل. ﴿**نفس**﴾ مضاف إلى كل. وجملة تأتى كل نفس في محل جر مضافة إلى ﴿**يوم**﴾. ﴿**تجادل**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على ﴿**كل نفس**﴾. ﴿**عن نفسها**﴾ متعلق بتجادل. وجملة ﴿**تجادل عن نفسها**﴾ حال من ﴿**كل نفس**﴾. وسيغ مجئ الحال من النكرة لعمومها. ﴿**وتوفى**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول. ﴿**كل**﴾ نائب الفاعل. ﴿**نفس**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول ثان. ﴿**علمت**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على كل نفس. والجملة صلة ما. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ.

﴿**لا يظلمون**﴾ الجملة الفعل المنفى ونائب الفاعل في محل رفع خبر المبتدأ. والجملة معطوفة على قوله: ﴿**وتوفى كل نفس ما عملت**﴾. ﴿**وضرب الله مثلا**﴾

فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**قرية**﴾ بدل من قوله: ﴿**مثلا**﴾. ﴿**كانت آمنة مطمئنة**﴾ خبَرَانِ لكانت. واسمها ضمير يعود على قرية. وجملة ﴿**كانت آمنة مطمئنة**﴾ في محل نصب نعت لقرية. ﴿**يأتيها**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**رزقها**﴾ فاعل يأتي. ﴿**رغدا**﴾ حال من رزقها. ﴿**من كل**﴾ متعلق بيأتيها. ﴿**مكان**﴾ مضاف إلى. كل. وجملة ﴿**يأتيها رزقها...**﴾ نعت ثان لقرية. ﴿**فكفرت**﴾ تعقيب على ما قبله. ﴿**بأنعم**﴾ متعلق بكفرت. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى أنعم.

﴿**فأذاقها الله لباس**﴾ فعل وفاعل ومفعول أول وثان. والجملة تعقيب على قوله: فكفرت... ﴿**الجوع**﴾ مضاف إلى لباس. ﴿**والخوف**﴾ معطوف على الجوع. ﴿**بما**﴾ متعلق بأذاقها. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يصنعون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبرُ كان. وجملة ﴿**كانوا يصنعون**﴾ صلة ما. ﴿**ولقد جاءهم**﴾ فعل ماضٍ دخل عليه حرف التحقيق ولام التوكيد وواو العطف. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**رسول**﴾ فاعل جاء. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لرسول. ﴿**فكذبوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التعقيب. ﴿**فأخذهم العذاب**﴾. تعقيب على قوله: ﴿**فكذبوه**﴾. ﴿**وهم ظالمون**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر في محل نصب حال من الضمير المنصوب العائد على المكذبين. ﴿**فكلوا**﴾ أمر للمخاطبين تفريع على ما تقدم. مما متعلق بكلوا. ﴿**رزقكم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل رزقه.

﴿**حلالاً طيبا**﴾ منصوبان على الحال من قوله: ﴿**مما رزقكم**﴾. ﴿**واشكروا**﴾ معطوف على كلوا. ﴿**نعمة**﴾ مفعول به ﴿**الله**﴾ مضاف الى نعمة. إن حرف شرط. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**إياه**﴾ مفعول بما بعده: ﴿**تعبدون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كان واسمها وخبرها في محل جزم فعل الشرط. وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله: ﴿**فكلوا مما رزقكم الله...**﴾ أي: إن كنتم تعبدون الله فكلوا واشكروا كما أمركم الله. ﴿**إنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**حرم**﴾ فعل ماض. الفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بحرم. ﴿**الميتة**﴾ مفعول به. ﴿**والدم واللحم**﴾ معطوفان على الميتة. الخنزير مضاف إلى لحم. ﴿**وما**﴾ في محل نصب معطوف على الميتة وما عطف عليها.

﴿**أهل**﴾ فعل ماضٍ مبنى للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على ما. ﴿**لغير**﴾ متعلق بأهل. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**به**﴾ متعلق بأهل. ﴿**فمن**﴾ الفاء للتعقيب. مَنْ اسم شرط حُرِّكَ بالضم لالتقاء الساكنين. ﴿**اضطر**﴾ فعل ماضٍ مبنى للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**غير**﴾ حال من نائب الفاعل. ﴿**باغ**﴾ مضاف إلى غير مجرور بكسرة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿**ولاعادٍ**﴾ معطوف على باغ. وهو مثله في الإعراب. ﴿**فإن الله**﴾ إن واسمها. والفاء لربط الجواب. ﴿**غفور رحيم**﴾ خبران لإنّ. وجملة ﴿**فإن الله غفور رحيم**﴾ في محل جزم جواب الشرط. ﴿**ولا تقولوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهى وواو العطف. ﴿**لما**﴾ متعلق بالفعل قبله واللام بمعنى عن.

﴿**تصف ألسنتكم الكذب**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة ما. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**حلال**﴾ خبرْ. ﴿**وهذا حرام**﴾ معطوف عليه. وجملة ﴿**هذا حلال**...﴾ في محل نصب مقول القول. ﴿**لتفتروا**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. وواو الجماعة فاعل. ﴿**على الله**﴾ متعلق بتفتروا. ﴿**الكذب**﴾ مفعول به. وأن وما دخل عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بقوله: ﴿**ولا تقولوا**...﴾ ﴿**إن الذين**﴾ إن واسمها. ﴿**يفترون**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**على الله**﴾ متعلق بيفترون. ﴿**الكذب**﴾ مفعول به. ﴿**لا يفلحون**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه حرف النفى. والجملة خبرُ إنّ. ﴿**متاع**﴾ خبر لمبتدإ محذوف. ﴿**قليل**﴾ نعت لمتاع. ﴿**ولهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عذاب**﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿**أليم**﴾ نعت لعذاب. والجملة معطوفة على الجملة قبلها. ﴿**وعلى الذين**﴾ متعلق بما بعده. وهو حرمنا. ﴿**هادوا**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**حرمنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول ﴿**حرمنا**﴾. ﴿**قصصنا**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**عليك من قبل**﴾ متعلقان بقصصنا. ﴿**وما ظلمناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفى وواو العطف. ﴿**ولكن**﴾ استدراك. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**أنفسهم**﴾ مفعول مقدم... ﴿**يظلمون**﴾ فعل وفاعل والجملة في محل نصب خبرُ كان. ﴿**ثم إنّ ربك للذين**﴾ تقدم إعراب مثلها قريبا. ﴿**عملوا**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**السوء**﴾ مفعول به. ﴿**بجهالة**﴾ متعلق بعملوا. ﴿**ثم تابوا**﴾ معطوف على

﴿عملوا﴾. **﴿إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾** تقدم إعراب مثلها قريبا. **﴿إن إبراهيم﴾** إن واسمها.

﴿كان﴾ اسمها ضمير يعود على إبراهيم. **﴿أمة﴾** خبرٌ أوّل. **﴿قانتا﴾** خبرٌ ثانٍ. **﴿لله﴾** متعلق به. **﴿حنيفا﴾** خبر ثالث. **﴿ولم يك﴾** معطوف على **﴿حنيفا من المشركين﴾** متعلق بمحذوف خبرُ يكُ. واسمها ضمير يعود على إبراهيم. **﴿شاكرا﴾** خبر رابع. لأنعمه متعلق بشاكر. اجتباه فعل ماضٍ والضمير المتصل به مفعول يعود على إبراهيم. والفاعل ضمير يعود على الله. وهداه معطوف على اجتباه. إلى صراط. متعلق بهداه. مستقيم نعت لصراط. وآتيناه فعل وفاعل ومفعول. معطوف على اجتباه. في الدنيا متعلق بآتيناه. حسنة مفعول به. وإنه إنّ واسمها. في الآخرة متعلق بالصالحين. لمن الصالحين متعلق بمحذوف خبر إنّ. واللام لتوكيد الخبر. والجملة معطوفة على جملة وآتيناه.

﴿ثم أوحينا﴾ فعل وفاعل تعقيب على ما تقدم من ذكر مزايا إبراهيم. **﴿إليك﴾** متعلق بأوحينا. **﴿أن اتبع﴾** تفسير لأوحينا. **﴿ملة﴾** مفعول به. **﴿إبراهيم﴾** مضاف إلى ملة. **﴿حنيفا﴾** حال من إبراهيم، **﴿وما كان﴾** معطوف على الحال. **﴿من المشركين﴾** متعلق بمحذوف خبر كان. واسمها ضمير مستتر يعود على **﴿إبراهيم﴾**. **﴿إنما﴾** كافة ومكفوفة... **﴿جُعل﴾** فعل ماضٍ مبنى للمجهول. **﴿السبت﴾** نائب الفاعل. **﴿على الذين﴾** متعلق بجعل. **﴿اختلفوا﴾** فعل وفاعل صلة الذين. **﴿فيه﴾** متعلق باختلفوا. **﴿وإنّ ربك﴾** إنّ واسمها. **﴿ليحكم﴾** فعل مضارع اتصل به لام التوكيد. والفاعل ضمير مستتر يعود على ربك **﴿ليحكم﴾** خبر إنّ. **﴿بينهم يوم القيامة فيما﴾** متعلقات بيحكم. **﴿كانوا﴾** كان واسمها.

فيه متعلق بما بعده: **﴿يختلفون﴾** فعل وفاعل. والجملة في محل نصب خبر كان. وجملة **﴿كانوا فيه يختلفون﴾** صلة ما. **﴿ادع﴾**. فعل أمر بنى على حذف حرف العلة. وفاعله ضمير المخاطب. **﴿إلى سبيل﴾** متعلق بادع. **﴿ربك﴾** مضاف إلى سبيل. **﴿بالحكمة﴾** متعلق بادع. **﴿والموعظة﴾** معطوف على الحكمة. **﴿الحسنة﴾** نعت للموعظة. **﴿وجادلهم﴾** معطوف على ادع. **﴿بالتى﴾** متعلق بجادلهم. **﴿هى﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿أحسنُ﴾** خبره. والجملة صلة التى. **﴿إنّ**

ربك﴾ إن واسمها. ﴿**هو أعلم**﴾ خبر إنّ. ﴿**بمن**﴾ متعلق بأعلم. ﴿**ضلّ**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة مَنْ. عن سبيله متعلق بضل. ﴿**وهو أعلم**﴾ معطوف على قوله: ﴿**هو أعلم بمن ضل عن سبيله**﴾. ﴿**بالمهتدين**﴾ متعلق بأعلم.

﴿**وإن عاقبتهم**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه إن الشرطية وواو العطف. ﴿**فعاقبوا**﴾ جوابُ الشرط. ﴿**بمثل**﴾ متعلق بعاقبوا. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف إلى مثل. ﴿**عوقبتم**﴾ فعل ماضٍ مبنى للمجهول. ونائب الفاعل ضمير المخاطب. والجملة صلة ما. به متعلق بعوقبتم. ﴿**ولئن صبرتم**﴾ دخلت إن الشرطية ولام القسم وواو العطف على الفعل والفاعل. ﴿**لهو خير**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر جواب القسم سدت مسد جواب الشرط. ﴿**للصابرين**﴾ متعلق بخير. ﴿**واصبر**﴾ فعل أمر. ﴿**وما صبرك**﴾ مبتدأ. دخل عليه حرف النفى وواو العطف. ﴿**إلا بالله**﴾ استثناء مفرع من الخبر المقدر. والتقدير: وما صبرك كائن بشئ من الأشياء إلا بالله وحْدَه. ﴿**ولا تحزن**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بتحزن. ﴿**ولاتك**﴾ معطوف على ولا تحزن. حذفت نون تكنْ تخفيفا. واسم تك ضمير المخاطب. ﴿**فى ضيق**﴾ متعلق بمحذوف خبر تك. ﴿**مما**﴾ متعلق بضيق. ﴿**يمكرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**مع**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى مع. ﴿**اتقوا**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**والذين**﴾ معطوف على الذين اتقوا. ﴿**هم محسنون**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر صلة الذين.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون**﴾: مناسبة هذه الآية لما قبلها بأن هذا القرآن جاء تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، حسن التخلص إلى تبيان أصول الهدى في التشريع لِلدّين الإسلامي العائدة إلى الأمر والنهي؛ إذ الشريعة كلها أمر ونهي والتقوى منحصرة في الامتثال والاجتناب... فهذه الآية استئناف لبيان كون الكتاب تبيانا لكل شيء... فهي جامعة أصول التشريع. وافتتاح الجملة بحرف التوكيد للاهتمام بشأن ما حَوَتْهُ. وتصديرها باسم الجلالة للتشريف. وذكر يأمر

وينهى. دون أن يقال: اعدلوا واجتنبوا الفحشاء للتشويق. والعدل هنا كلمة مجملة جامعة... والإحسان في الكم زيادة عمل الخير مع الغير... وفي الكيف الإخلاص مع الله... والإتقان مع الناس... فإلى حقيقة الإحسان ترجع أصول المعاملة... وفروع آداب المعاشرة كلها في العائلة والصحبة. وخصَّ اللهُ بالذكر من جنس أنواع العدل والإحسان نوعا مُهِمًّا يكثر أن يغفل الناس عنه ويتهاونوا بحقه وهو إيتاء ذي القربى... فخص الله بالذكر من بين جنس العدل وجنس الإحسان إيتاء المال إلى ذي القربى تنبيها للمؤمنين يومئذ بأن القريب أحق بالإنصاف من غيره وأحق بالإحسان من غيره؛ لأنه محل الغفلة، ولأن مصلحته أجدى من مصلحة أنواع كثيرة.

ونهى الله عن الفحشاء والمنكر والبغي. وهي أصول المفاسد... فهذه الآية جمعت أصول الشريعة في الأمر بشيئين وتكملة... والنهى عن شيئين وتكملة. وذيلها بقوله: ﴿**يعظكم لعلكم تذكرون**﴾. والخطاب للمسلمين؛ لأن الموعظة من شأن من هو محتاج للكمال النفساني؛ ولذلك قارنها بالرجاء، بلعلكم تذكرون. ﴿**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون**﴾: لما أمر الله المؤمنين بملاك المصالح، ونهاهم عن ملاك المفاسد بما أومأ إليه قوله: ﴿**لعلكم تذكرون**﴾. فكان ذلك مناسبة حسنة لهذا الانتقال الذي هو من أغراض تفنُّنِ القرآن؛ وأوضح لهم أنهم قد صاروا إلى كمالٍ وخيرٍ بذلك الكتاب المبيّن لكل شيء. لا جرم ذكّرهم الوفاء بالعهد الذي عاهدوا الله عليه عندما أسلموا.

وقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأخذ البيعة على كل من أسلم من وقت ابتداء الإسلام في مكة. وتكررت البيعة قبيل الهجرة وبعدها... فمنها بيعة العقبة. وبيعة الحديبة تحت الشجرة... فالخطاب للمسلمين في الحفاظ على عهدهم بحفظ الشريعة. وإضافة العهد إلى الله؛ لأنهم عاهدوا النبئ على الإسلام الذي دعاهم الله إليه... فهم قد عاهدوا الله كما قال: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله...**﴾ وقوله: بعد توكيدها زيادة في التحذير، وليس قيد النهى بالبعدية... وبعد هنا بمعنى مع. وجملة ﴿**وقد جعلتم الله عليكم كفيلا**﴾ حال من ضمير ﴿**لا تنقضوا**﴾. أي: لا تنقضوا الأيمان في حال جعلكم الله كفيلا على

أنفسكم إذا أقسمتم باسمه. . . وجملة ﴿**إن الله يعلم ما تفعلون**﴾ معترضة. وهي خبرٌ مرادٌ منه التحذير من التساهل بالتمسك بالإيمان والاسلام لتذكيرهم أن الله يطلع على ما يفعلونه فالتوكيد بإنّ للاهتمام بالخبر. وكذلك التوكيد ببناء الجملة بالمسند الفعلى. واختير الفعل المضارع في ﴿**يعلم**﴾، وفي ﴿**تفعلون**﴾ لدلالته على التجدد.

والمقصود من هذه الجمل كلها من قوله: ﴿**وأوفوا بعهد الله**﴾ إلى هنا تأكيد الوصاية بحفظ عهد الأيمان، وعدم الارتداد. إلى الكفر، وسد مداخل فتنة المشركين إلى نفوس المسلمين. ﴿**ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا**﴾: عطف على قوله: ﴿**ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها**﴾ واعتمد العطف على المغايرة في المعنى بين الجملتين لما في الجملة الثانية من التمثيل وإن كانت من جهة الموقع كالتأكيد للجملة السابقة. نهوا عن أن يكونوا مضرب مثل معروف في العرب بالاستهزاء. وهو المرأة الخرقاء التي تغزل غزلا محكّمًا. . . ثم تنقضه بعد شدّ فتلِهِ. وعبر عنها بطريق الموصولية لاشتهارها بمضمون الصلة ولأن مضمون الصلة هو الحالة المشبه بها في هذا التمثيل. . . فكان حالها إفساد ما كان نافعا محكما من عملها وإرجاعه إلى عدم الصلاح. . . فنهوا عن أن يكون حالهم كحالها في نقضهم عهد الله. وهو عهد الإيمان بالرجوع إلى الكفر وأعمال الجاهلية. ووجه الشبه الرجوع إلى فسادٍ بعد التلبس بصلاح.

وجملة ﴿**تتخذون أيمانكم**﴾ حال من فاعل ﴿**ولا تنقضوا. . .**﴾ ومعنى ﴿**دخلا بينكم**﴾: وسيلة للغدر والمكر. . . ﴿**أن تكون أمة هي أربى من أمة**﴾ علة لنقض الأيمان المنهّى عنه. وجملة ﴿**إنما يبلوكم الله به**﴾ مستأنفة استئنافا بيانيا للتعليل بما يقتضى الحكمة. وجملة ﴿**وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون**﴾ توكيد لقوله: ﴿**إنما يبلوكم الله به. . .**﴾ فتظهر الحقائق كما هي غير مغشاة بزخارف الشهوات المفضية إلى التلاعب بالمعاهدات. . . فيؤمئذ تعلمون أن الإسلام هو الخير المحض، وأن الكفر شر محض. ﴿**ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكل يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون**﴾: لما أجّل البيان إلى القيامة زادهم إعلاما بحكمة هذا التأخير. . . فأعلمهم أنه قادر على أن يبين لهم الحق من هذه الدار فيجعلهم أمة واحدة. . . ولكن شاء الله أن يكون الناس

مختلفين لاختلاف مداركهم. . . فتظهر نتيجتهم على حسب أعمالهم من خير أو شر: ولتسألن عما كنتم تعملون.

﴿**ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم**﴾: لما حذرهم من النقض الذي يؤول إلى اتخاد أيمانهم دخلا بينهم، وأشار بالإجمال إلى ما في ذلك من الفساد فيهم، أعاد الكرة إلى بيان عاقبة ذلك الصنيع إعادة تفيد التصريح بالنهى عن ذلك، وتأكيد التحذير، وتفصيل الفساد في الدنيا، وسوء العاقبة في الآخرة. . . فكان قوله: ﴿**ولا تتخذوا**﴾ تصريحا بالنهى. وقوله: ﴿**تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم**﴾ تأكيدا لقوله: ﴿**تتخذون أيمانكم دخلا بينكم. . .**﴾ وتسبب عن ذلك زلة القدم، وتذوق سوء العذاب وعظمته. وسبب هذا كله نقض العهد والصد عن دين الإسلام، وحب التكاثر والتكالب على هذا الحطام: ﴿**ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا. . .**﴾ عطف على قوله: ﴿**ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها. . . وعلى ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم. . .**﴾ لأن كل جملة منها تلتفت إلى غرض خاص مما قد يبعث على النقض. . . وجملة ﴿**إنما عند الله هو خير لكم**﴾ تعليل للنهى باعتبار وصف عوض الاشتراء المنهى عنه بالقلة.

ومعنى ﴿**إن كنتم تعلمون**﴾: إن كنتم تعلمون حقيقة عواقب الأشياء ولا يغركم الواجب فلا تتبدلوا ما يبقى بما يفنى: ﴿**ما عندكم ينفد وما عند الله باق. . .**﴾ فهو تذييل وتعليل لمضمون جملة إنما عند الله هو خير لكم. . . ﴿**وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾: هذا وَعْدٌ جزيلٌ على عمل جزيل. وهو الصبر على ما يلاقى المسلم من الحرمان القليل. . . ﴿**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾: لما كان الوعد المتقدم بقوله تعالى: ﴿**ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾ خاصا بأولئك الذين نهوا عن أن يشتروا بعهد الله ثمنا قليلا. عقب بتعميمه لكل من ساواهم في الثبات على الإسلام والعمل الصالح مع التبيين للأجر. . . فكانت هذه الجملة بمنزلة التذييل للتى قبلها، والبيان لما تضمنته من مجمل الأجر. وكلا الاعتبارين يوجب فصلها عما قبلها.

وقوله: ﴿**من ذكر أو أنثى**﴾ تبيين للعموم الذي دلت عليه مَنْ. . . وفي هذا

البيان دلالة على أن أحكام الإسلام يستوى فيها الذكور والإناث عَدَا مَا خصصه النص بأحد الصنفين. وقوله: ﴿**فلنحيينه**﴾ اجتمع فيه الفاء الذي هو لربط الجواب. واللام الذي هو لجواب القسم. فاجتمع في الجملة هنا جوابان؛ أي: ﴿**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياة طيبة**﴾. ووصفت الحياة في هذه الدنيا بالحياة الطيبة الشاملة لكل راحة وهناء وحسن حال وإصلاح بال... فهذا مقام دقيق تتفاوت فيه الأحوال على تفاوت سرائر النفوس، ويعطى الله فيه عباده المؤمنين على مراتب هممهم وآمالهم، ومن راقب نفسه رأى شواهد هذا ماثلةً في هذا الناموس. وقد عقب بوعد جزاء الآخرة بقوله: ﴿**ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾. فاختص هذا بأجر الآخرة بالقرينَةِ بخلاف نظيره المتقدم فإنه عام في الجزاءين.

﴿**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**﴾: هذه الآية متصلة بالفاء بما سبق من قوله تعالى: ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**﴾. وذلك لأن الله تعالى لما منّ على النبئ بإنزال كتاب جامع لصفات الكمال، وأنه تبيان لكل شئ... فنبه على أنه تبيان لكل شئ بالكلمة الجامعة وهي قوله تعالى: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان...**﴾ الآية. وعطف عليه ﴿**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم...**﴾ وأكّد ذلك التأكيد ـ قال بَعْدَ ذلك: ﴿**فإذا قرأت القرآن...**﴾ أي: إذا شرعت في قراءة هذا الكتاب الشريف الجامع الذي نبهت على بعض ما اشتمل عليه... ونازعك فيه الشيطان بهمزه ونفثه فاستعذ بالله منه. والمقصود إرشاد الأمة.

والاستعاذة مشروعة للشروع في القراءة، أو لإرادته، وليست مشروعة عند كل تلفظ بألفاظ القرآن، كالنطق بآية أو آيات من القرآن في التعليم أو الموعظة أو شبهها كما يفعله اليوم كثير من الناس... فنسمعهم إذا قرءوا آية أو آيات يقولون: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وبعضهم يزيد: بسم الله الرحمن الرحيم. ويختم الآية بقوله: صدق الله العظيم. وهذا لم يسمع من المتخصصين في علوم القرآن... ولم يعلم أن قاله أحد من العلماء الراسخين في علوم الفقه والحديث والتفسير... وهي من تسويلات النفس والشيطان. حتى يختلط الكلام على السامع فلا يدرى الغرض من قراءة القرآن. وجملة ﴿**إنه ليس له سلطان على الذين**

آمنوا. . .﴾ تعليل للأمر بالاستعاذة من الشيطان عند إرادة قراءة القرآن، وبيان لصفة الاستعاذة كما وردت. . . فأما كونها تعليلا فلزيادة الحث على الامتثال للأمر، بأن الاستعاذة تمنع تسلط الشيطان على المستعيذ لأن الله منعه من التسلط على الذين آمنوا المتوكلين. والاستعاذة من الشيطان شعبة التوكل على الله؛ لأن اللجأ إليه توكل عليه.

وفى الإعلام بالعلة تنشيط للمأمور بالفعل على الامتثال إذ يصير عالما بالحكمة. وأما كونها بيانا فلما تضمنته من ذكر التوكل على الله ليبين أن الاستعاذة إعراب عن التوكل على الله تعالى لدفع سلطان الشيطان ليعقد المستعيذ نيته على ذلك. وليست الاستعاذه مجرد قول بدون استحضار نية العوذ بالله. . . فجملة وعلى ربهم يتوكلون صلة ثانية للموصول. . . وقدم المجرور على الفعل للقصر وجعل فعلها مضارعا لإفادة تجدد التوكل واستمراره. . . فَنَفْىُ سلطان الشيطان مشروط بالأمرين: الإيمان، والتوكل. وجملة إنما سلطانه على الذين يتولونه مستأنفة استئنافا بيانيا؛ لأن مضمون الجملة قبلها يثير سؤال سائل يقول: . . . فسلطانه على مَنْ؟.

والقصر المستفاد من إنما قصر إضافى بقرينة المقابلة، أى: دون الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. فحصل به تأكيد جملة **﴿إنه ليس له سلطان له على الذين آمنوا﴾**. لزيادة الاهتمام بتقرير مضمونها. . . فلا يفهم من القصر أنه لا سلطان له على غير هذين الفريقين، وهم المؤمنون الذين أهملوا التوكل والذين انخدعوا لبعض وسوسة الشيطان. وعبر بالمضارع للدلالة على تجدد التولى: للتنبيه على أنهم كلما تولوه بالميل إلى طاعته تمكن منهم سلطانه. . . والباء في قوله: والذين هم به مشركون للسببية: أشركوا بسبب وسوسة الشيطان. وجعلت الصلة جملة اسمية لدلالتها على الدوام والثبات وتقديم المجرور في به مشركون لإفادة الحصر.
﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون﴾: هذه الآية لها صلة بالعطف على ما قبلها. . . فبالأخص قوله: **﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾**.

إن أولياء الشيطان دائما يحاولون وضع العراقيل أمام المؤمنين بهذا القرآن بتشويهه عندما قالوا: أساطير الأولين. . . وتشويه من نزل عليه عندما قالوا: **﴿إنما**

أنت مفتر...﴾ فالمراد بالتبديل هنا تبديل حكم بحكم من حيث التفصيل بعد الإجمال والتخصيص أو التعميم. أو تحويل الحكم بحكم آخر يفيد التيسير بعد الحرج والتضييق كما قال: **﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا...﴾** فالمراد بالآية هنا الكلام التام من القرآن. والمراد بالتبديل هو التعويض ببدل... وجملة **﴿والله أعلم بما ينزل﴾** معترضة بين شرط إذا وجوابها. والمعنى أنه أعلم بما ينزل من آية بَدَلَ آيةٍ... فهو أعلم بمكان الأُولَى ومكان الثانية ومحمل كلتيهما. وكل من عنده بمقدار وعلى اعتبار.

وحكاية طعنهم في النبئ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصيغة قصر الموصوف على الصفة... فجعلوه لا صفة له إلا الافتراء. وهو قصر إضافى. أى: لست بمرسل من الله. وهذا من مجازفتهم وبُرْعَتِهِم في الحكم الجائر... فهو دليل على غرورهم وانخداعهم بتزيين الشيطان لهم هذا القول الفظيع في حق الرسول الصادق الأمين!.. وبل للإضراب الإبطالى وهو نقض لكلامهم وكلام أمثالهم من الناس. وضمير أكثرهم راجع إلى الناس؛ لأن أكثرهم غير مؤمنين بالقرآن... فكثير من الناس إلى الآن لا يعلمون حقيقة القرآن وما فيه من غرائب العلم والعرفان!.. **﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾**: جواب عن قولهم: **﴿إنما أنت مفتر...﴾** فلذلك فصل فعل قل؛ لوقوعه في المحاورة... وبعد أن أبطل الله دعواهم عليه أنه مفتر بطريقة النقض أمر رسوله أن يبين لهم ماهية القرآن.

وهذه نكتة الالتفات في قوله: **﴿من ربك﴾**، الجارى على خلاف مقتضى ظاهر حكاية المقول المأمور بأن بقوله؛ لأن مقتضى الظاهر أن يقول: من ربى... فوقع الالتفات إلى الخطاب تأنيسا للنبئ بزيادة توغل الكلام معه في طريقة الخطاب. واختير اسم الرب لما فيه من معنى العناية والتدبير: **﴿روح القدس﴾** جبريل... وإضافة الروح إلى القدس من إضافة الموصوف إلى الصفة... ففى قوله: **﴿نزّله روح القدس من ربك﴾** إبطال لقولهم: **﴿إنما أنت مفتر...﴾** وفي قوله: **﴿بالحق﴾** إيقاظ للناس بأن ينظروا في حكمة اختلاف أغراضه وأنها حق... وفي التعليل بحكمة التثبيت والهدى والبشرى بيان لرسوخ إيمان المؤمنين وسداد آرائهم في فهم الكلام السامى، وأنه تثبيت لقلوبهم بصحة اليقين وهدى وبشرى لهم.

وفى تعلق الموصول وصلته بفعل التثبيت إيماء إلى أن حصول ذلك لهم بسبب إيمانهم... فيفيد تعريضا بأن غير المؤمنين تقصر مداركهم عن إدراك ذلك الحق فيختلط عليهم الفهم ويزدادون كفرا ويضلون ويكون نذارة لهم. والمراد بالمسلمين الذين آمنوا فكان مقتضى الظاهر أن يقال: وهدى وبشرى لهم، فعدل إلى الإظهار لزيادة مدحهم بوصف آخر شريف. ﴿**ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر**﴾: موصول بالعطف على قوله: ﴿**وإذا بدلنا آية مكان آية...**﴾ فهذا إبطال لتلبيس آخر مما يلبسون به على الناس... وافتتاح الجملة بالتأكيد باللام وحرف التحقيق يشير إلى أنهم يقولون ذلك لعامتهم ولا يجهرون به بين المسلمين لأنه باطل مكشوف، وأن الله أطلع المسلمين على ذلك.

والنص لا يذكر بشرا معينا... إنما الغرض منه نفى أن يكون محمد يتعلم من بشر أى بشرا... فقريش نسبت التعليم إلى مملوك رومي يعيش في مكة، وغير قريش نسبت التعليم إلى أهل الكتاب ممن كان يلقاهم محمد في مكة أو في طريق الشام كما نسمع الآن من المستشرقين وأتباعهم المتغربين!.. وقد كشف النص هذا اللبس هنا بأوضح كشف؛ إذ قال قولا فصلا دون طول جدال: ﴿**لسان الذي يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين...**﴾ فالجملة جواب عن كلامهم... فهى مستأنفة استئنافا بيانيا... ﴿**يلحدون**﴾ يميلون بكلامهم المبهم دون تعيين شخص معين زيادة في التلبيس على ضعفاء العقول... فكيف يلتبس على العاقل الكلام الفصيح المليح الصحيح من الكلام الملفق المهلهل الباطل القبيح؟!.. ﴿**إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم**﴾: ورود هذه الآية عقب ذكر اختلاف المتقعرين على القرآن المرجفين بالقالة فيه بين الدهماء، يوحى إلى أن المراد بالذين لا يؤمنون هم أولئك المردود عليهم في الآية السابقة... فموقع هذه الآية من التي قبلها موقع التعليل لجميع أقوالهم المحكية، والتذييل بخلاصة أحوالهم... فلذلك فصلت بدون عطف. وعطف ﴿**ولهم عذاب أليم**﴾ على قوله: ﴿**لا يهديهم الله**﴾ للدلالة على حرمانهم من الخير وإلقائهم في الشر؛ لأنهم إذا حرموا الهداية فقد وقعوا في الضلالة، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟!.. ﴿**إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون**﴾: هذا رد لقولهم: ﴿**إنما أنت مفتر**﴾، بقلب ما زعموه عليهم.

كما كان قوله: ﴿**لسان الذي يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين**﴾

جوابا عن قولهم: ﴿**إنما يعلمه بشر. . .**﴾ فبعد أن نزَّل القرآن عن أن يكون مفترى، والمنزل عليه عن أن يكون مفتريا ثنى العنان لبيان من هو المفترى. ووجه مناسبة ذكره هنا أن قولهم ﴿**إنما يعلمه بشر**﴾ يستلزم تكذيب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أن ما جاء به منزل إليه من عند ربه. فصاروا بهذا الاعتبار يؤكدون بمضمونه قولهم ﴿**إنما أنت مفتر**﴾، يؤكد أحد القولين، القول الآخر. فلما رد قولهم: ﴿**إنما أنت مفتر**﴾ بقوله: ﴿**بل أكثرهم لا يعلمون. قل نزله روح القدس من ربك بالحق**﴾. وردت مقالتهم الأخرى في صريحها بقوله: ﴿**لسان الذي يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين**﴾.

ورد مضمونها هنا بقوله: ﴿**إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله**﴾ حاصلا به ردُّ نظيرها: ﴿**إنما أنت مفتر. . .**﴾ بكلام أبلغ من كلامهم؛ لأنهم أتَوْا في قولهم: ﴿**إنما أنت مفتر**﴾ بصيغة قصر هي أبلغ مما قالوه؛ لأن قولهم إنما أنت مفتر قصر للمخاطب على صفة الافتراء الدائمة. إذ الجملة الاسمَية تقتضى الثبات والدوام. فرد عليهم بصيغة تقصرهم على الافتراء المتكرر المتجدد؛ إذ المضارع يدل على التجدد وأكد فعل الافتراء بفعوله الذي هو معنى المفعول المطلق لكونه آيلاً إليه المعنى. وعرف الكذب بأداة تعريف الجنس الدالة على تميز ماهية الجنس واستحضارها.

فإن تعريف اسم الجنس أقوى من تنكيره. وعبر عن المقصور عليهم باسم الموصول دون أن يذكر ضميرهم فيقال: إنما يفترى الكذب أنتم؛ ليفيد اشتهارهم بمضمون الصلة. ولأن للصلة أثرا في افترائهم. لما تفيده الموصولية من إيماء إلى وجه بناء الخبر وعليه فإن من لا يؤمن بالدلائل الواضحة التي هي آيات صدق لا يسعه إلا الافتراء لترويج تكذيبه بالدلائل الواضحة. وفي هذا كناية عن كون تكذيبهم بآيات الله عن مكابرة لا عن شبهة. . . ثم أردفت جملة القصر بجملة قصر أخرى بطريق ضمير الفصل وطريق تعريف المسند. وهي جملة وأولئك هم الكاذبون.

وافتتحت باسم الإشارة بعد إجراء وصف انتفاء الإيمان بآيات الله عنهم؛ لينبه على أن المشار إليهم جديرون بما يرد من الخبر بعد اسم الإشارة. وهو قصرهم على الكذب؛ لأن من لا يؤمن بآيات الله يتخذ الكذب دينا له متجددا. وجعل

المسند في هذه الجملة معرفا باللام ليفيد أن جنس الكاذبين اتحَدَ بهم وصار منحصرا فيهم. وهذا يؤول إلى معنى قصر جنس المسند على المسند إليه. فحصل قصْرَان في هذه الجملة: قصر موصوف على صفة، وقصر تلك الصفة على ذلك الموصوف. والقصران الأولان الحاصلان من قوله: ﴿**إنما يفترى الكذب...**﴾ وقوله: ﴿**أولئك هم...**﴾ إضافيان. أى: لا غيرهم الذي رموه بالافتراء وهو مُحَاشى منه.

والثالث ﴿**أولئك هم الكاذبون**﴾ قصر حقيقى ادّعائى للمبالغة؛ إذ نزل بلوغ الجنس فيهم مبلغا قويا منزلة انحصاره فيهم. واختير في الصلة صيغة لا يؤمنون دون لم يؤمنوا لتكون على وزان ما عُرفوا به سابقا في قوله: ﴿**إن الذين لا يؤمنون بآيات الله**﴾، ولما في المضارع من الدلالة على أنهم مستمرون على انتفاء الإيمان لا يثبت لهم ضد ذلك. ﴿**من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم**﴾: هذه الآية مقابل آية ﴿**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾.

فحصل الترهيب بعد الترغيب. فهذه الآية مستأنفة استئنافا بيانيا تبين حال من يكفر بعد إيمانه بأى سبب إلا بسبب واحد وهو الإكراه... فقوله ﴿**إلا أمن أكره**﴾ استثناء من عموم من كفر... لئلا يقع حكم الشرط عليه. وقوله: ﴿**وقلبه مطمئن بالإيمان**﴾ توضيح لمعنى الإكراه، والاستدراك بقوله: ﴿**ولكن من شرح بالكفر صدرا**﴾ استدراك على الاستثناء وهو احتراس من أن يفهم من الاستثناء أن المكره مرخص له أن ينسلخ عن الإيمان من قبله.

وقوله: باعتبار لفظ مَن. وتقديم عليهم على المبتدإ للاهتمام بأمرهم ولتصحيح الإتيان بالمبتدإ نكرة حين قصد بالتنكير التعظيم. ومعنى غضب من الله لازمه وهو الانتقام الشديد. وقوله: ﴿**ولهم عذاب عظيم**﴾ زيادة في التهديد بهذا الوعيد. ﴿**ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين**﴾: هذه الآية واقعة موقع التعليل... فلذلك فصلت عن التي قبلها. وإشارة ذلك إلى مضمون قوله: ﴿**فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم**﴾. وضمير بأنهم عائد إلى من كفر بالله. والباء سببية.

﴿**واستحبوا**﴾ مبالغة في أحبوا. . . وضمّن استحبوا معنى فضلوا فعدى بحرف على. وقوله: ﴿**وأن الله لا يهدى القوم الكافرين**﴾ سبب ثان للغضب والعذاب. وهو تذييل لما في صيغة القوم الكافرين من العموم الشامل للمتحدث عنهم وغيرهم. . . فليس ذلك إظهار في مقام الإضمار ولكنه عموم بعد خصوص وإقحام لفظ قوم للدلالة على أن من كان هذا شأنهم فقد عرفوا به وتمكن منهم وصار سجية حتى كأنهم يجمعهم هذا الوصف. ﴿**أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون**﴾: هذه الآية مبينة لجملة ﴿**وأن الله لا يهدى القوم الكافرين**﴾، بأن حرمانهم الهداية بسبب حرمانهم من وسائلها. وافتتاح الجملة باسم الإشارة لتمييزهم أكمل تمييز وأخبر عن اسم الإشارة بالموصول لما فيه من الإيماء إلى وجه بناء الحكم المبين بهذه الجملة.

وهو مضمون لجملة ﴿**فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم**﴾. والطبع مستعار لمنع وصول الإيمان وأدلته، على طريقة تشبيه المعقول بالمحسوس. وجملة ﴿**وأولئك هم الغافلون**﴾ تكملة للبيان. والقصر قصر موصوف على صفة. وهو حقيقى ادعائى يقصد به المبالغة لعدم الاعتداد بالغافلين غيرهم. وجملة ﴿**لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون**﴾ واقعة موقع النتيجة لما قبلها؛ لأن ما قبلها صار كالدليل على مضمونها. ولذلك افتتحت بكلمة نفى الشك ﴿**لا جرم. . . ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم**﴾: ثم للترتيب الرتبى كما هو شأنها في عطفها الجمل. وذلك أن مضمون هذه الجملة المعطوفة أعظم رتبة من المعطوف عليها إذ لا أعظم من رضى الله تعالى. . . ومعنى هاجروا هنا تركوا ديارهم حرصا على دينهم. . . والفتنة العذاب والأذى الشديد المتكرر الذي لا يترك لمن يقع به صبْرًا ولا رأيًا. . . وأكد الخبر بحرف التوكيد إنّ. . . وبالتوكيد اللفظى حيث أعيد لفظ ثم. . . وإن ربك. . . وتعريف المسند إليه الذي هو اسم إنّ بطريق الإضافة دون العلمية؛ لما يومئ إليه إضافة لفظ رب إلى ضمير النبئ - إن ربك. . . - من كون المغفرة والرحمة لأصحابه كانت لأنهم أوذوا لأجل الله ولأجل النبئ. . . فكان إسناد المغفرة إلى الله بعنوان كونه رب محمد حاصلا بأسلوب يدل على الذات العلية وعلى الذات المحمدية! وهذا من أدق لطائف القرآن في قرن اسم النبئ باسم الله بمناسبة هذا الإسناد بخصوصه.

﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عَمِلَتْ وهم لا يظلمون﴾: جاءت هذه الآية استئنافا وتذييلا بتقدير اذكر يوم تأتي كل نفس. . . وقع عقب التحذير والوعيد. وعيد للذين أنذروا ووعدا للذين بشروا. . . ومعنى **﴿كل نفس تجادل عن نفسها﴾** كل شخص يدافع عن ذاته ولا يهمه الغير. وإظهار كل نفس في مقام الإضمار في قوله: **﴿وتوفى كل نفس ما عَمِلَتْ﴾**؛ لتكون الجملة مستقلة فتجرى مجرى المثل. والضميران في قوله: **﴿وهم لا يظلمون﴾**، عائدان إلى كل نفس بحسب المعنى. . . وزيادة هذه الجملة للتصريح بمفهوم **﴿وتوفى كل نفس ما عَمِلَتْ﴾**؛ لأن توفية الجزاء على العمل تستلزم كون تلك التوفية عدلا فصرّح بهذا اللازم بطريقة نفى ضده، وهي نفى الظلم عنهم، وللتنبيه على أن العدل من صفات الله تعالى.

وحصل مع ذلك تأكيد المعنى الأوّل. . . **﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾**: وصل الكلام بما فيه زيادة في التهديد بعذاب الدنيا بعد أن هددهم بعذاب الآخرة. . . فضرب لهم هذا المثل بقرية صفتها كيت وكيت. . . والتعبير عن ضرب المثل الواقع في حال نزول الآية بصيغة المضى للتشويق إلى الإصغاء إليه. وهو من استعمال الماضى في الحال لتحقيق وقوعه وجعل المثل قرية موصوفة بصفات تبين حالها المقصود من التمثيل. والنكتة في هذا أن يصلح هذا المثل للتعريض بالمشركين باحتمال أن تكون القرية قريتهم. وهي مكة؛ بأن جعلهم مثلا للناس من بعدهم.

واقران فعل كفرت بفاء التعقيب بعدما كانت آمنة مطمئنة باعتبار حصول الكفر عقب النعم التي كانوا فيها حين طرأ عليهم الكفر. . . وأما قرن فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بفاء التعقيب فهو تعقيب عرفى في مثل ذلك المعقب؛ لأنه حصل بعد مضى زمن عليهم وهم مصرون على كفرهم فلما حصل عقب ذلك بمدة غير طويلة، وكان جزاء على كفرهم جعل كالشئ المعقب به عليه. والإذاقة مستعارة هنا، وفي مواضع من القرآن، إلى إحساس الألم والأذى إحساسا مكينا كتمكن ذوق الطعام من فم ذائقه لا يجد له مَدْفعا. وإضافة اللباس إلى الجوع والخوف قرينة على أنه مستعار إلى ما يغشى من حالة إنسان ملازمة له كلازمة اللباس لابسه.

ومن لطائف البلاغة جعل اللباس لباس شيئين؛ لأن تمام اللبسة أن يلبس المرء إزارا ورداء. ولما كان اللباس مستعار الإحاطة ما غشيهم من الجوع والخوف وملازمته أريد إفادة أن ذلك متمكن منهم ومستقر في إدراكهم استقرار الطعام في البطن إذ يذاق في اللسان والحلق، ويحس في الجوف والأمعاء... فاستعير له فعل الإذاقة تمليحا وجمعا بين الطعام واللباس؛ لأن غاية القرى والإكرام أن يُؤدَب للضيف، ويخلع عليه خلعة من إزار ويرد... فكانت استعارتان تهكميتان!.

فحصل في الآية استعارتان: الأولى استعارة الإذاقة وهي تبعية مصرحة. والثانية اللباس. وهي أصلية مصرحة. وأجمل بما كانوا يصنعون اعتماد على سبق ما بيّنه من قوله: **﴿فكفرت بأنعم الله. ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون﴾**: وصل الكلام بما قبله لتمام المثل المضروب. جئ به لبيان أن ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط... بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق... وفي هذا دلالة على تماديهم في الكفر والعناد، وتجاوزهم في ذلك كل حد معتاد. وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جرى على سنة الله تعالى حسبما يرشد إليه قوله: وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا. وبهذا يتم التمثيل... فإن حال أهل مكة سواء ضرب المثل لهم خاصة، أو لمن سار سيرتهم كافة محادية لحال أهل تلك القرية حذوا لقذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو فذّة!.

كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم، وما يمر ببالهم طيف من الخوف. وتأكيد الجملة بلام القسم وحرف التحقيق للاهتمام بهذا الخبر تنبيها للسامعين المعرّض بهم؛ لأنه محل الإنذار. وهو المقصود من ضرب المثل كما تقدم. **﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون﴾**: هذا الكلام مفرع على ما قبله، موجه لجميع الناس بدليل قوله فيما بعد: **﴿ولا تقولوا لِمَا تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام﴾**. فالأمر في قوله: فكلوا للامتنان. وإدخال حرف التفريع عليه باعتبار أنّ الأمر بالأكل مقدمة للأمر بالشكر.

وهو المقصود بالتفريع والمقصود: فاشكروا نعمة الله ولا تكفروها فيحل بكم ما حل بأهل القرية المضروبة مثلاً. **﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير**

وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم﴾: هذه الآية تعليل للآية التي سبقتها، تبين حكمة التحريم للأشياء التي ذكرت في النص. حتى لا يختلط الخبيث الممنوع بالحلال الطيب المشروع. ولإفادة بيان الحلال الطيب بهذه الجملة جئ فيها بأداة الحصر... ثم أكد ذلك بالنهى عن التحريم بأهوائهم فقال: ﴿**ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب: هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب...**﴾ فاللام في قوله: ﴿**لتفتروا على الله الكذب**﴾ لام العاقبة وليست لام العلة.

وجملة ﴿**إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون**﴾، علة للنهى. وجملة ﴿**متاع قليل**﴾ استئناف بيانى في صورة جواب عما يجيش بخاطر سائل يسأل عن عدم فلاحهم مع مشاهدة كثير منهم في حالة من الفلاح... فأجيب بأن ذلك متاع موقت زائل. ﴿**ولهم عذاب أليم. وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾: هذه الآية زيادة في بيان حكمة التحريم... فمنها تحريم الطيبات على اليهود بسبب ظلمهم...: ﴿**فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم...**﴾ فهو تحريم خاص باليهود.

﴿**ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم**﴾: موقع هذه الآية من اللواتى قبلها كموقع قوله: ﴿**ثم إن ربك للذين هاجروا...**﴾ وهذه الآية قاعدة عامة لكل من يعمل سوءا من كفر أو شرك أو عصيان... ثم يرجع إلى الله بالإيمان والعمل الصالح. وجملة: ﴿**إن ربك من بعدها لغفور رحيم**﴾ توكيد لفظى لقوله: ﴿**ثم إن ربك**﴾. لزيادة الاهتمام بالخبر على الاهتمام الحاصل بحرف التوكيد ولام الابتداء. ووقع الخبر بوصف الله بصفة المبالغة في المغفرة والرحمة.

﴿**إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفا ولم يك من المشركين. شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين**﴾: استئناف ابتدائى للانتقال إلى غرض التنويه بدين الإسلام الذي يمثله في السابق إبراهيم، وفي اللاحق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجاء إبراهيم هنا نموذجا للدين الصحيح. وهو دين الإسلام. وهذا الوصف الذي اتصف به إبراهيم هو الوصف المطلوب من كل مسلم صادق. ومن هذا الوصف تنتفى الدعوة

الكاذبة الزائفة التي يدعيها أهل الكتاب والمشركون من العرب أنهم أتباع إبراهيم وأنهم من نسله وعلى ملته. وإنما الذي يمثل إبراهيم حقا هو محمد والذين اتبعوه.

كما نص عليه في سورة آل عمران. ولما كان إبراهيم هو المثل الأعلى للمسلم الحق جاء الوحي إلى محمد بقوله: ﴿**ثم أوحينا إليك أن تبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان المشركين...**﴾ فاتصلت دعوة محمد بدعوة إبراهيم وسارتا على منهاج واحد على أصل الفطرة والنص القويم. ﴿**إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**﴾: لما نفت الآية السابقة أن يكون إبراهيم من المشركين ردا على مزاعم العرب المشركين. انتقل بهذه المناسبة إلى إبطال مزاعم اليهود من أنهم على ملة إبراهيم. ومن جملة أحكامها حكم السبت.

وقد وقعت هذه الآية معترضة بين قوله: ﴿**ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم...**﴾ وبين قوله: ﴿**ادع إلى سبيل ربك**﴾ لذلك افتتحت بأداة الحصر إشعارا بأنها لقلب ما ظنه السائلون المشاغبون. وهذا أسلوب معروف في كثير من الأجوبة الموردة لرد رأى موهوم. فالضمير. وفي قوله: فيه عائد إلى إبراهيم على تقدير مضاف: اختلفوا في ملته. وعدل عن ذكر اسم اليهود أو بنى إسرائيل مع كونه أوجز إلى التعبير عنهم بالموصول؛ لأن اشتهارهم بالصلة كاف في تعريفهم، مع ما في الموصول وصلته من الإيماء إلى وجه بناء الخبر. ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾: لما كان الاختلاف حاصلا بين أهل الكتاب والمشركين وبين الرسول ومن معه من المؤمنين وأن الفصل بينهم لا يكون إلا في يوم الدين، وجه الخطاب إلى الرسول ليستمر في دعوته ولا يهتم بأمر المخالف وشنشنته... فجاء الأسلوب على هذا التوجيه السليم الجامع لأصول الاستدلال الصحيح المستقيم.

والآية جمعت أقسام الحجة الحق جمعا لمواقع أنواعها في طرق الدعوة. وقد قسموها في المنطق إلى برهان وخطابة وجدل. فإلى الحكمة توجع صناعة البرهان؛ لأنه يتألف من المقدمات اليقينية. وهي حقائق ثابتة تقتضى حصول معرفة

الأشياء على ماهى عليه. وإلى الموعظة ترجع صناعة الخطابة؛ لأن الخطابة تتألف من المقدمات الظنية لأنها مراعى فيها ما يغلب عند أهل العقول المعتادة. وأما الجدل فما يورد في المناظرات والحجاج من الأدلة المسلمة بين المتحاجين أو من الأدلة المشهورة. وهذا من الإعجاز العلمى في القرآن؛ لأن هذه الآية جمعت أصول الاستدلال العقلى الحق. وهي البرهان. والخطابة. والجدل. المعبر عنها في علم المنطق بالصناعات.

﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾. هذه الجملة تعليل للأمر بالاستمرار على الدعوة... وقد عُلمَ بمن ضل؛ لأنه المقصود من التعليل. ثم أتبع ذلك بالعلم بالمهتدين على وجه التكميل. وتأكيد الخبر بضمير الفصل للاهتمام به. وإعادة ضمير الفصل في قوله: **﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾** للتنصيص على تقوية هذا الخبر ولم يقل: وبالمهتدين تصريحا بالعلم في جانبهم ليكون صريحا في تعلق العلم به. وقدم ذكر علمه بمن ضل عن سبيله على ذكر علمه بالمهتدين؛ لأن المقام تعريض بالوعيد للضالين. ولأن التخلية مقدمة على التحلية، فالوعيد مقدم على الوعد. **﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾**: هذه الآية متصلة بما قبلها أشد اتصال.

وحسبك وجود العاطف فيها. وهذا تدرج في رتب المعاملة من معاملة الذين يُدعون ويوعظون إلى معاملة الذين يجادلون... ثم إلى معاملة الذين يجازون على أعمالهم. وبذلك حصل حسن الترتيب في أسلوب الكلام. وفي هذه الآية إيماء إلى أن الله يظهر المسلمين على المشركين ويجعلهم في قبضتهم. ورغبهم في الصبر على الأذى؛ لأنه أجلب للقلوب... وأكّد كون الصبر خيرا بلام القسم زيادة في الحث عليه. وعبر عنهم بالصابرين إظهارا في مقام الإضمار لزيادة التنويه بصفة الصابرين. **﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون﴾**.

﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾: خص النبئ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالأمر بالصبر للإشارة إلى أن مقامه أعلى. فهو بالتزام الصبر أولى، أخذا بالعزيمة بعد أن رخص لهم في العقوبة. وجملة وما صبرك إلا بالله معترضة بين المتعاطفات. وفي هذا إشارة إلى أن صبر النبئ عظيم؛ لأنه لقى من أذى

المشركين أشدّ مما لقيه عمومُ المسلمين. وحذره من الحزن عليهم؛ لما في قلبه من الشفقة والرحمة. ثم أعقبه بأن لا يضيق صدره من مكرهم. والمراد ضيق النفس. وهو مستعار للجزع والكدر. والظرفية في ضيق مجازية. وما مصدرية. واختيار الفعل المنسبك إلى مصدر لما يؤذن به الفعل المضارع من التجدد والتكرار.

وجملة ﴿**إن الله مع الذين اتقوا**﴾ تعليل للأمر بالاقتصار على قدر الجرم في العقوبة، وللترغيب في الصبر على الأذى، والعفو عن المعتدين، ولتخصيص النبئ بالأمر بالصبر، والاستعانة على تحصيله بمعونة الله تعالى، ولصرف الكدر عن نفسه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من جراء أعمال الذين لم يؤمنوا به. عُلّل ذلك كله بأن الله مع الذين يتقونه فيقفون عند ماحدّ لهم، ومع المحسنين، والمعية هنا مجاز في التأييد والنصر، وأتى بجانب التقوى بصلة فعلية ماضية للإثارة إلى لزوم حصولها وتقررها من قبل؛ لأنها من لوازم الإيمان؛ لأن التقوى آيلة إلى أداة الواجب وهو حق على المُكَنّى. ويدخل هذا تحت الأمر بالعدل... وأتى في جانب الإحسان بالجملة الاسمية. للإشارة إلى كون الإحسان ثابتا لهم دائما معهم؛ لأن الإحسان فضيلة... فبصاحبه في حاجة إلى رسوخه من نفسه وتمكنه. ويدخل هذا تحت الأمر بالإحسان. فهذه الآية ارتبطت بآية إن الله يأمر بالعدل والإحسان؟

خلاصة المعنى العام وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون**﴾: في هذا التوجيه بيان لخلاصة ما في هذا الكتاب من التبيان والهدى والرحمة والبشرى. وهو الأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى والنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، وما عطف عليه من بقايا الأمر والنهى... لقد جاء هذا الكتاب لينشئ أمة وينظم مجتمعا. ثم لينشئ عالما ويقيم نظاما. فجاءَ دّعْوَةً عَالَمِيَّةً إنسانية لا تعصب فيها لقبيلة أو أمة أو جنس. إنما العقيدة وحدها هي الأصرة والرابطة والقومية والعصبية.

ومن ثم جاء بالمبادئ التي تكفل تماسك الجماعة والجماعات، واطمئنان

الأفراد والأمم والشعوب. . . والثقة بالمعاملات والوعود والعهود: جاء بالعدل الذي يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل لا تميل مع الهوى، ولا تتأثر بالود والبغض، ولا تتبدل مجاراة للصهر والنسب، والغنى والفقر، والقوة والضعف. إنما تمضي في طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع وتزان بميزان واحد للجميع. وإلى جوار العدل. والإحسان. يلطف من حدة العدل الصارم الجازم، ويدع الباب مفتوحا لمن يريد أن يتسامح في بعض حقه إيثاراً لِودِّ القلوب، وشفاء لغل الصدور.

ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوى جرحا أو يكسب فضلا. والإحسان أوسع مدلولا. فكل عمل طيب إحسان، والأمر بالإحسان يشمل كل عمل وكل تعامل. فيشمل محيط الحياة كلها في علاقات العبد بربه، وعلاقاته بأسرته، وعلاقاته بالجماعة، وعلاقاته بالبشرية جميعا. ومن الإحسان الإيتاء ذى القربى. إنما يبرز الأمر به تعظيما لشأنه، وتوكيدا عليه. وما يبنى هذا على عصبية الأسرة إنما يبنيه على مبدإ التكافل الذي يتدرج به الإسلام من المحيط المحلى إلى المحيط العام. وفق نظريته التنظيمية لهذا التكافل. وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى. . . والفحشاء كل أمر يفحش ويتجاوز الحد. . . ومنه ما يخصص به غالبا وهو فاحشة الاعتداء على العرض؛ لأنه فعل فاحش فيه اعتداء، وفيه تجاوز للحد حتى ليدل على الفحشاء ويختص بها. والمنكر كل فعل تنكره الفطرة، ومن ثم تنكره الشريعة. فهى شريعة الفطرة.

وقد تنحرف الفطرة فتبقى الشريعة ثابتة تسير إلى أصل الفطرة قبل انحرافها والبغى الظلم وتجاوز الحق والعدل. وما من مجتمع يمكن أن يقوم على الفحشاء والمنكر والبغى ما من مجتمع تشيع فيه الفاحشة بكل مدلولاتها والمنكر بكل مغرراته والبغى بكل معاقباته ثم يقوم. . . والفطرة البشرية تنتفض بعد فترة معينة ضد هذه العوامل الهدامة، مهما تبلغ قوتها، ومهما يستخدم الطغاة من الوسائل لحمايتها. وتاريخ البشرية كلُّه انتفاضات وانتقاضات ضد الفحشاء والمنكر والبغى. . . فلا يهم أن تقوم عهود وأن تقوم دول عليها حينا من الدهر. . . فالانتفاض عليها دليل على أنها عناصر غريبة على جسم الحياة. فهى تنتفض لطردها كما ينتفض الحى لطرد أىّ جسم غريب يدخل إليه.

وأمر الله بالعدل والإحسان ونهيه عن الفحشاء والمنكر والبغى يوافق الفطرة السليمة الصحيحة، ويقويها ويدفعها للمقاومة باسم الله. لذلك يجئ التعقيب بقوله: ﴿**يعظكم لعلكم تذكرون**...﴾ فهى عظة للتذكر: تذكر وحى الفطرة الأصيل القويم. ﴿**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون**...﴾ والوفاء بعهد الله يشمل بيعة المسلمين للرسول، ويشمل كل عهد على معروف يأمر الله به. والوفاء بالعهد هو الضمان لبقاء عنصر الثقة في التعامل بين الناس. وبدون هذه الثقة لا يقوم مجتمع، ولا تقوم إنسانية. والنص يُخجل المتعاهدين أن ينقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلوا الله كفيلا عليهم، وأشهدوه عهدهم، وجعلوه كافلا للوفاء بها. ثم يهددهم تهديدا خفيا: ﴿**إن الله يعلم ما تفعلون**﴾.

وقد تشدد الإسلام في مسألة الوفاء بالعهود فلم يتسامح فيها؛ ولن يتسامح فيها أبدا؛ لأنها قاعدة الثقة، ينفرط بدونها عقد الجماعة وينهدم، والنص هنا لا يقف عن حد الأمر بالوفاء والنهى عن النقض... إنما يستطرد لضرب وتقبيح نكث العقد ونفى الأسباب التي قد يتخذها بعضهم مبررات، ﴿**ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون**...﴾ فمثل من ينقض العهد مثل امرأة حمقاء ملتاثة ضعيفة العزم والرأى، تفتل غزلها وتشده بقوة... ثم تنقضه وتتركه مرة أخرى قطعا منكوثة ومحلولة: وكل جزئية من جزئيات التشبيه تشئ بالتحقير والترذيل والتعجيب، وتشوه الأمر في النفوس، وتقبحه في القلوب وهو المقصود.

وما يرضى إنسان كريم لنفسه أن يكون مثلُه كمثل هذه المرأة الضعيفة الإرادة الملتاثة العقل، التي تقضى حياتها في عناء وفيما لاغناء فيه! وكان بعضهم يبرر لنفسه نقض عهده مع الرسول بأن محمداً ومن معه قلة ضعيفة، بينما قريش كثرة قوية... فنبههم إلى أن هذا ليس مبرّرا لأن يتخذوا أقسامهم غشًّا وخديعة فيتخلوا عنها: ﴿**تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة**﴾. أى: بسبب كون أمة أكثر عددا وقوة من أمة، وطلبا للمصلحة مع الأمة الأربى. ويدخل في مدلول النص أن يكون نقض العهد تحقيقا لما يسمى الآن مصلحة الدولة وبتعبير

المحترفين: مصلحة الشعب فتعقد دولةٌ معاهدةً مع دولة أو مجموعة دول. . . ثم تنقضها بسبب أن هناك دولة أربى أو مجموعة دول أربى في الصف الآخر تحقيقا لمصلحة الدولة: فالإسلام لا يقر مثل هذا المبرر.

ويحزم بالوفاء بالعهد وعدم اتخاذ الأيمان ذريعة للغش والدخل. ذلك في مقابل أنه لا يقر تعاهُدًا ولا تعاوُنا على غير البر والتقوى. ولا يسمح بقيام تعاهد أو تعاون على الإثم والفسوق والعصيان. وأكل حقوق الناس. واستغلال الدول والشعوب، وعلى هذا الأساس قام بناء الجماعة الإسلامية، وبناء الدولة الإسلامية. . . فنعم العالم بالطمأنينة والثقة والنظافة في المعاملات الفردية والدولية يوم كانت قيادة البشرية إلى الإسلام.

والنص هنا يحذر من مثل ذلك المبرّر، وينبه إلى أن قيام مثل هذه الحالة: أن يكون أمة هي أربى من أمة هو ابتلاء من الله لهم ليمتحن إرادتهم ووفاءهم وكرامتهم على أنفسهم وتحرجهم من نقض العهد الذي أشهدوا الله عليه: إنما يبلوكم الله به. . . ثم يُوكلُ أمر الخلافات التي تنشب بين الجماعات والأقوام إلى الله يوم القيامة للفصل فيه: ﴿**وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون**. . .﴾ يمهد بهذا لترضية النفوس بالوفاء بالعهد حتى لمخالفيهم في الرأى والعقيدة: ﴿**ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون**. . .﴾ ولو شاء الله لخلق الناس باستعداد واحد. . . ولكنه خلقهم باستعدادات متفاوتة، نسُخًا غير مكررة ولا معادة، وجعل نواميس للهدى والضلال، تمضى بها مشيئته في الناس. وكلٌّ مسْؤُول عما يعمل. . . فلا يكون الاختلاف في العقيدة سببا في نقض العهود. . . فالاختلاف له أسبابه المتعلقة بمشيئة الله. والعهد مكفول مهما اختلفت المعتقدات.

وهذه قمّة في نظافة التعامل، والسماحة الدينية، لم يحققها في واقع الحياة إلا الإسلام في ظل هذا القرآن. ويمضى السياق في توكيده للوفاء بالعهود، ونهيه عن اتخاذ الأيْمان للغش والخديعة، وبث الطمأنينة الكاذبة للحصول على منافع قريبة من منافع هذه الدنيا الفانية. ويحذر عاقبة ذلك في زعزعة قوائم الحياة النفسية والاجتماعية، وزلزلة العقائد والارتباطات والمعاملات، وينذر بالعذاب العظيم في الآخرة، ويلوح بما عند الله من عوض عما يفوتهم بالوفاء من منافع هزيلة، وينوه

بفناء ما بأيديهم وبقاء ما عند الله الذي لا تنفد خزائنه ولا ينقطع رزقه: ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم.

﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إنّ ما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون. ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾. واتخاذ الأيمان غشّا وخداعا يزعزع العقيدة في الضمير، ويشوّه صورتها في ضمائر الآخرين... فالذى يُقسم وهو يعلم أنه خادع في قسمه لا يمكن أن تثبت له عقيدة، ولا أن تثبت له قدم على صراطها. وهو في الوقت ذاته يُشوِّه صورة العقيدة عند من يقسم لهم ثم ينكث، ويعلمون أن أقسامه كانت للغش والدخل. ومن ثم يصدهم عن سبيل الله المثل السئ الذي يضربه للمؤمنين بالله.

ولقد دخلت في الإسلام جماعات وشعوب بسبب ما رأوا من وفاء المسلمين بعهدهم، ومن صدقهم في وعدهم، ومن إخلاصهم في أيمانهم ومن نظافتهم في معاملاتهم... فكان الكسب أضخم بكثير من الخسارة الوقتية الظاهرية التي نشأت عن تمسكهم بعهودهم. ولقد ترك القرآن وسنة الرسول والخلفاء من بعده أثرا قويا وطابعا عاما في هذه الناحية ظل هو طابع التعامل الإسلامى الفردى والدولى المتميز... فالروايات عن حفظ العهود ـ مهما تكن المصلحة القريبة في نقضها ـ متواترة مشهورة ولقد ترك هذا القرآن في النفوس ذلك الطابع الإسلامى البارز. وهو يرغب ويرهب وينذر ويحذر ويجعل العهد عهد الله. ويصرّ النفع الذي يجره نقضه ضئيلا هزيلا، وما عند الله على الوفاء عظيما جزيلا... ويذكر بأن ما عند البشر ولو ملكه فرد فإنه زائل، وما عند الله باق دائم... ويقوى العزائم على الوفاء، والصبر لتكاليف الوفاء ويعد الصابرين أجرا حسنا... ويتجاوز عما وقع منهم من عمل سيّء؛ ليكون الجزاء على أحسن العمل دون سواه... ثم بمناسبة العمل والجزاء يعقب بالقاعدة العامة فيهما: **﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون...﴾** فيقرر بذلك القواعد التالية: إن الجنسين ـ الذكر والأنثى ـ متساويان في قاعدة العمل والجزاء، وفي صلتهما بالله، وفي جزائهما عند الله.

ومع أن لفظ مَنّ حين يطلق يشمل الذكر والأنثى إلا أن النص يفصل: من

ذكر أو أنثى؛ لزيادة تقرير هذه الحقيقة، وذلك في السورة التي عرض فيها سواء رأى الجاهلية في الأنثى، وضيق المجتمع بها، واستياء من يبشر بمولدها، وتواريه من القوم حزنا وخجلا وعار!... وإن العمل الصالح لا بدّ له من القاعدة الأصلية يرتكز عليها: قاعدة الإيمان بالله فيغير هذه القاعدة لا يقوم بناء، ويغير هذه الرابطة لا يتجمع شتاته. إنما هو هباء كرماد اشتدت به الرياح في يوم عاصف. والعقيدة هي المحور الذي تشد إليه الخيوط جميعا... وإلا فهى أنكاث... فالعقيدة هي التي تجعل العمل الصالح باعثا وغاية... فتجعل الخبر أصيلا ثابتا يستند إلى أصل كبير. لا عارضا مزعزعا يميل مع الشهوات والأهواء حيث تميل.

وإن العمل الصالح مع الإيمان جزاؤُه حياةٌ طيبة في هذه الأرض. لا يهم أن تكون ناعمة رغدة ثرية بالمال... فقد تكون به، وقد لا يكون معها. وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة في حدود الكفاية: فيها الاتصال بالله والتقة به والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه. وفيها الصحة والهدوء والرضى والبركة، وسكن البيوت ومودات القلوب. وفيها الفرج بالعمل الصالح وآثاره في الضمير، وآثاره في الحياة... وليس المال إلا عنصرا واحدا يكفى منه القليل، حين يتصل القلب بما هو أعظم وأزكى وأبقى عند الله وإن الحياة الطيبة في الدنيا لا تنقص من الأجر الحسن في الآخرة. وإن هذا الأجر يكون على أحسن ما عمل المؤمنون العاملون في الدنيا، ويتضمن هذا تجاوز الله لهم عن السيآت... فما أكرمه من جزاء!..

التوجيه الثاني: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم..﴾: في هذا التوجيه يتجه الخطاب إلى كل سامع وفي مقدمتهم من نزل عليه هذا الكتاب ليتجه عند قراءته إلى الله الكريم الوهاب. فالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تمهيد للجوّ الذي يُتلى فيه هذا الكتاب، وتطهير له من الوسوسة، واتجاه بالمشاعر إلى الله خالصة لا يشغلها شاغل من عالم الرجس والشر الذي يمثله الشيطان: **﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون...﴾** فالذين يتوجهون إلى الله وحده، ويخلصون له القلوب لا يملك الشيطان أن يسيطر عليهم. إنما سلطانه على الذين يتولونه. فيزين لهم قراءة غير قراءة القرآن حتى يجعلها لهم وردا يرددونه في كل زمان ومكان.

ويوحى إليهم بأن ثواب هذه أو تلك تعدل آلاف من قراءة القرآن. . . حتى غر أكثر المسلمين بتزيين هذا الهذيان الذي نسمعه من قرّاء الأوراد والمدائح في هذا الزمان وجعل ركنا من أركان الإيمان. ولقد انطلى زيف الشيطان أول ما انطلى على المشركين وقت نزول القرآن. . . فتقولوا حسبما أملى عليهم الشيطان بما تقولوا على هذا الكتاب المنزل بالحق والميزان. .الآمر بالعدل والإحسان: ﴿**وإذا بدّلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين**﴾.

﴿**ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين**﴾. فهذه هي تعاليم الشيطان لأوليائه وفي مقدمتهم المشركون من العرب في السابق. . . وقد تلقفها من بعدهم من العرب والعجم من ألحدوا في هذا العصر اللاحق. فاتفق السابقون واللاحقون من ملاحدة القرون على أن هذا القرآن لم يكن بوحى من الله. . . فهم لآيات الله ناكرون. ﴿**إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم. إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون. . .**﴾ فهؤلاء الذين يتولون الشيطان فيزين لهم الكفر. . . ويغريهم بالكذب. . . ويغريهم بأن يقولوا ما يقولون على كتاب الله وعلى رسول الله. . . ويظهرون على عباد الله بهذه الفظائح والفظائع والمنكرات.

فمن هذه الآيات البينات نستطيع أن نميز الكافر المشاقق والملحد المنافق من المؤمن الكامل والمسلم الصادق، فهذه الآيات تنطبق على الكافر السابق وعلى كل كافر ومنافق لاحق. . . ﴿**من كفر بالله من بعد إيمانه إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم**﴾: فالنص هنا يغلظ جريمة من كفر بالله من بعد إيمانه؛ لأنّه عرف الإيمان وذاقه، ثم ارتد إيثارًا للحياة الدنيا على الآخرة، فرماهم بغضب من الله وبالعذاب العظيم والحرمان من الهداية، ووصمهم بالغفلة وانطماس القلوب والسمع والأبصار، وحكم عليهم بأنّهم في الآخرة هم الخاسرون، ذلك أنّ العقيدة لا يجوز أن تكون موضع مساومة وحساب للربح والخسارة. ومتى آمن القلب بالله فلا يجوز أن يدخل عليه مؤثر من مؤثرات هذه الأرض، فللأرض حساب وللعقيدة حساب ولا يتداخلان.

وليست العقيدة هزلاً وليست صفقة قابلة للأخذ والردّ، فهي أعلى من هذا وأعز. ومن ثمَّ فكل هذا التغليظ في العقوبة، والتفظيع للجريمة. واستثنى من ذلك الحكم الدامغ مَنْ أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان... **﴿ثم إنّ ربّك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إنّ ربّك من بعدها لغفور رحيم﴾**: هذه مرحلة جديدة من مراحل الدعوة، فلما كانت المرحلة الأولى في مكة وكان فيها الاضطهاد والأذى لكل من يدخل في الإسلام ممن ليس لهم من يحميهم حتى فتنوا وعذبوا، انفتح للدعوة مجال آخر وهو مجال الهجرة من مكة إلى المدينة بعد بيعة العقبة التي عقدها الأنصار مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكان المسلمون يتسللون مهاجرين إلى المدينة، فكان بعد هذا الجهاد والصبر وكان الكفاح بالسلاح؛ فكان هذا نداء جديد لكل الناس إلى الهجرة أولاً، ثم الجهاد والصبر ثانيًا، فمن هاجر من بعد ما ذكر ثم جاهد وصبر فإنّ الله يغفر له ما سبق ويعفو عنه فيما سلف... **﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون﴾**: الآن يؤمر الرسول بأن يذكر للناس يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها خاصة دون ولي أو نصير، وهذا من تمام أغراض الدعوة في الوعظ والنصح والتبشير والإنذار والوعيد والتحذير.

التوجيه الثالث: ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون﴾: في هذا التوجيه يلفت أنظار الناس إلى هذا المثل المضروب لكل سامع ليأخذ منه العبرة والعظة، وليقيس هذا المثل على قريته وعلى قومه، وأول ما ينطبق هذا المثل ينطبق على أهل مكة، فهم سكان بيت الله الحرام من دخله فهو آمن مطمئن، لا تمتد إليه يد ولو كان قاتلاً، فلا يجرأ أحد على إيذائه وهو في جوار بيت الله الكريم.

وكان الناس يتخطفون من حول البيت وأهل مكة في حراسته وحمايته آمنون مطمئنون. كذلك كان رزقهم يأتيهم هيّنًا هنيئًا من كل مكان مع الحجيج ومع القوافل الآمنة، مع أنّهم في واد قفر جدب غير ذي زرع، فكانت تجبى إليهم ثمرات كل شيء فيتذوقون طعم الأمن وطعم الرغد منذ دعوة إبراهيم الخليل، ثم

إنّ رسولاً منهم يعرفونه صادقًا، ولا يعرفون عنه ما يشين، يبعثه الله فيهم رحمة لهم وللعالمين. دينه دين إبراهيم باني البيت الذي ينعمون في جواره بالأمن والطمأنينة والعيش الرغيد فإذا هم يكذبونه، ويفترون عليه الافتراآت، وينزلون به وبمن اتبعوه الأذى وهم ظالمون. والمثل الذي يضربه الله لهم منطبق على حالهم، وعاقبة المثل أمامهم... مثل لقرية التي ﴿**كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله**﴾ وكذبت رسوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. وأخذ قومها بالعذاب وهم ظالمون.

ويجسّم التعبير الجوع والخوف فيجعله لباسًا، ويجعلهم يذوقون هذا اللباس ذوقًا؛ لأنّ الذوق أعمق أثرًا في الحس من مساس اللباس للجلد. وتتداخل في التعبير استجابات الحواس فتضاعف مس الجوع والخوف لهم ولذعه وتأثيره وتغلغله في النفوس؛ لعلهم يشفقون من تلك العاقبة التي اتنتظرهم لتأخذهم وهم ظالمون. وفي ظل هذا المثل الذي تخايل فيه النعمة والرزق كما يخايل فيه المنع والحرمان، يأمرهم بالأكل مما أحل لهم من الطيبات، وشكر الله على نعمته إن كانوا يريدون أن يستقيموا على الإيمان الحق بالله، وأن يخلصوا له العبودية خالصة من الشرك الذي يوحي إليهم بتحريم بعض الطيبات على أنفسهم باسم الآلهة المدّعاة... ﴿**فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيبًا واشكروا نعمة الله إن كنتم إيّاه تعبدون**﴾: ويحدد لهم المحرمات على سبيل الحصر، وليس منها ما يحرمونه على أنفسهم من رزق الله: ﴿**إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به**﴾. فهي محرمة إمّا لأن فيها أذى للجسم... كالميتة والدم ولحم الخنزير. أو أذى للنفس والعقيدة كالذى توجه به ذابِحُهُ لغير الله... ﴿**فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم**﴾. فهذا الدين يسر لا عسر.

ومن خاف على نفسه الموت أو المرض من الجوع فلا عليه أن يتناول من هذه المحرمات قدر ما يدفع الضرر... غير باغ على مبدإ التحريم ولا متجاوز قدر الضرورة التي أباحت المحظور. ذلك حد الحلال والحرام الذي شرعه الله في المطعومات. فلا تخالفوه اتباعا لأوهام الوثنية. ولا تكذبوا فتدّعوا تحريم ما أحله الله... فالتحريم والتحليل لايكونان إلا بأمر الله... فهما تشريع والتشريع لله وحده لا أحد من البشر وما يدّعى أحد لنفسه حق التشريع بدون أمر من الله إلا

مفتر، والمفترون على الله لا يفلحون: **﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون. متاع قليل ولهم عذاب أليم﴾**.

لا تقولوا للكذب الذي تصفه ألسنتكم وتحكيه: هذا حلال وهذا حرام. . . فهذا حلال وهذا حرام حين تقولونه بلا نص هو الكذب عينه الذي تفترونه على الله. والذين يفترون على الله الكذب ليس لهم إلا المتاع القليل في الدنيا ومن ورائه العذاب الأليم والخيبة والخسران. ثم يجرؤ ناس بعد ذلك على التشريع بغير إذن من الله وبغير نص في شريعته يقوم عليه ما يشرعونه من القوانين، وينتظرون أن يكون لهم فلاح في هذه الأرض أو عند الله. فأما ما حرمه الله على اليهود في قوله من قبل في سورة الأنعام: **﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم. . .﴾** فقد كان عقوبة خاصة بهم، لا تسرى على غيرهم **﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. . . ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾**. ولقد استحق اليهود تحريم هذه الطيبات عليهم بسبب تجاوزهم الحد ومعصيتهم لله. فكانوا ظالمين لأنفسهم لم يظلمهم الله. . . فمن تاب ممّن عمل السوء بجهالة ولم يصر على العصيان ويستمر على المعصية حتى يوافيه الأجل مهما كان أصله وفصله ودينه ومعتقدة. . . ثم تاب إلى الله وأتبع النوبة القلبية بالعمل الصالح فإن غفران الله يسعه ورحمته تشمله. والنص عام يشمل التائبين العاملين من اليهود المذنبين وغيرهم إلى يوم الدين.

التوجيه الرابع: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾: في هذا التوجيه يرسم النص نوذجين من نماذج الإسلام، محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام: أولاً: يعرج السياق على إبراهيم يجلو حقيقة ديانته ويجعله نمودجا للهداية والطاعة والشكر والإنابة لله. . . فيقول عنه إنه كان أمة. . . فهو أمة الدين. . . وأمة في حسن الخلق. . . وأمة في الهدى والتوجيه ذلك شأن إبراهيم الذي يتعلق به اليهود ويتمسح به المشركون.

وثانياً: يعقب السياق على ذكر إبراهيم بالوحى على محمد باتباع النص الصحيح الذي يمثله إبراهيم التمثيل الصحيح: ﴿**ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**. . .﴾ فكان هذان النموذجان ـ محمد وإبراهيم ـ وصلا لما انقطع من عقيدة التوحيد. . . فالصلة الحقيقية هي صلة الدين الجديد. فأما تحريم السبت فهو خاص باليهود الذين اختلفوا فيه على إبراهيم فليس من ديانة إبراهيم، وليس كذلك من دين محمد السائر على نهج إبراهيم القويم: ﴿**إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه**. . .﴾ فأمرهم موكول إلى الله: ﴿**وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**﴾.

ذلك بيتن المشتبهات في العلاقة بين عقيدة التوحيد التي جاء بها إبراهيم من قبل، وكملت في الدين الأخير، وبين العقائد المنحرفة التي يتمسك بها المشركون واليهود. وهو بعض ما جاء هذا الكتاب لتبيانه. فيأخذ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في طريقه المخالفين في العقيدة بالتى هي أحسن. . . فإذا اعتدوا عليه وعلى المسلمين عاقبهم بمثل ما اعتدوا، إلا أن يعفو ويصبر مع المقدرة على العقاب بالمثل، مطمئنا إلى أن العاقبة للمتقين المحسنين. . . فلا يحزن على من لا يهتدون، ولا يضيق صدره بمكرهم به وبالمؤمنين: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**. . .﴾ فعلى هذه الأسس يرسى القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها.

ويعين وسائلها وطرائقها، ويرسم المنهج للرسول الكريم وللدعاة من بعده بدينه القويم. فللنظر في دستور الدعوة التي شرعه الله في هذا القرآن. إن الدعوة دعوة إلى سبيل الله. لا لشخص الداعى ولا لقومه. فليس للداعى من دعوة إلا أنه يؤدى واجبه لله، لا فضل له يتحدث به، لا على الدعوة ولا على من يهتدون به، وأجره بعد ذلك على الله. والدعوة بالحكمة والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق

بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها / والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها. فلا تستبدّ به. الحماسه والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه.

وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق وتتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية... فإن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدى القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتى بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ... وبالجدل بالتى هي أحسن. بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح... حتى يطمئن إلى الداعى ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق... فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها... وهي لا تنزل عن الرأى الذي تدافع عنه إلا بالرفق. حتى لا تشعر بالهزيمة. وسرعان ما يختلط على النفس قيمة الرأى وقيمتها هي عند الناس؛ فتعتبر التنازل عن الرأى تنازلا عن هيبتها واحترامها وكيانها.

والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة. فيشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعى لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها، في سبيل الله لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأى الآخر. ولكى يطامن الداعية من حماسته واندفاعه يشير النص إلى أن الله هو الأعلم بمن ضل عن سبيله وهو الأعلم بالمهتدين. فلا ضرورة للحاجة في الجدل؛ إنما هو البيان والأمر بعد ذلك لله، هذا هو منهج الدعوة ودستورها مادام الأمر في دائرة الدعوة باللسان والجدل بالحجة... فأما إذا وقع الاعتداء على أهل الدعوة فإن الموقف يتغير... فالإعتداء عمل مادى يدفع بمثله إعزاز لكرامة الحق، ودفعا لغلبة الباطل. على ألا يتجاوز الرد على الاعتداء حدوده إلى التمثيل والتفظيع... فالإسلام دين العدل والاعتدال، ودين السلم والمسالمة.

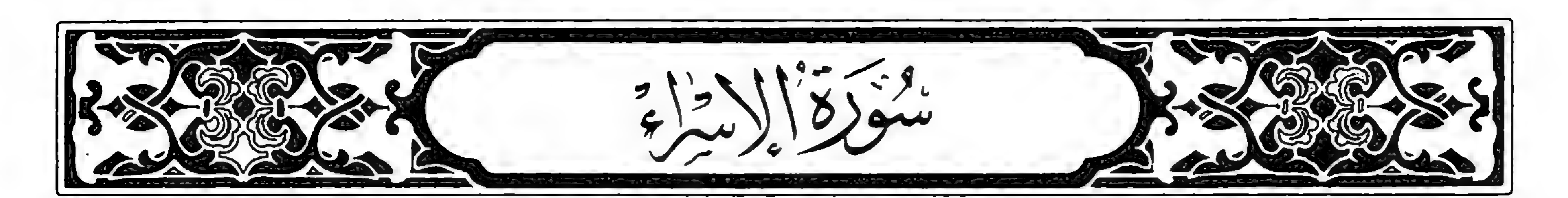
إنما يدفع عن نفسه وأهله البغى ولا يبغى... فالدفع عن الدعوة في حدود القصد والعدل يحفظ لها كرامتها وعزتها فلا تهون في نفوس الناس والدعوة المهينة لا يعتنقها أحد، ولا يثق أنها دعوة الله... فالله لا يترك دعوته مهينة لاتدفع عن نفسها، والمؤمنون بالله لا يقبلون الضيم وهو دعاة لله. والعزة لله جميعا. ثم

إنهم أمناء على إقامة الحق في هذه الأرض وتحقيق العدل بين الناس، وقيادة البشرية إلى الطريق القويم. . . فكيف ينهضون بهذا كله وهم يعاقَبون فلا يعاقِبُون، ويُعتدى عليهم فلا يردون؟!.

ومع تقرير قاعدة القصاص بالمثل فإن القرآن الكريم يدعو إلى العفو والصبر حين يكون المسلمون قادرين على دفع الشر ووقف العدوان في الحالات التي قد يكون العفو فيها والصبر أعمق أثراً وأكثر فائدة للدعوة، فاشخاصهم لا وزن لها إذا كانت مصلحة الدعوة تؤثر العفو والصبر، فأما إذا كان العفو والصبر يهيئان الدعوة ويرخصانها فالقاعدة الأولى هي الأوْلى. ويوصى القرآن الرسول ـ وهي وصية لكل داعية من بعده ـ ألا يأخذه الحزن إذا رأى الناس لا يهتدون. . . فإنما عليه واجبه يؤديه.

والهدى والضلال بيد الله وفق سنته في فطرة النفوس واستعداداتها واتجاهاتها ومجاهدتها والهدى أو للضلال. وألاّ يضيق صدره بمكرهم. . . فإنما هو داعية لله. . . فالله حافظه من المكر والكيد. لا يدعه للماكرين الكائدين، وهو مخلص في دعوته لا يبتغي من ورائها شيئا لنفسه. . . ولقد يقع به الأذى لامتحان صبره، ويبطئ عليه النصر ثقته بربه. . . ولكن العاقبة مضمونة ومعروفة: ﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾!.

1 - حكمة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في حاجة إلى البحث والتعمق والاستقصا



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

* سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1) وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَاءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا (2) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (3) وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَاءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (5) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (7)

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ
لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿8﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿9﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿10﴾ * وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ
دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿11﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ
فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ
وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ
تَفْصِيلًا ﴿12﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿13﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ
بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿14﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي
لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ
وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿15﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا
أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ
فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿16﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ
مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿17﴾
مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ
ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿18﴾ وَمَنْ أَرَادَ
الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم

مَشْكُوراً ﴿19﴾ كُلاًّ نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ
وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴿20﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴿21﴾
لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً ﴿22﴾
* وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً
إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا
أُفِّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴿23﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ
الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴿24﴾
رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ
لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴿25﴾ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ
وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴿26﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا
إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴿27﴾
وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ
قَوْلاً مَّيْسُوراً ﴿28﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴿29﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴿30﴾ وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ
كَانَ خِطْئاً كَبِيراً ﴿31﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ

سَبِيلًا ﴿32﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ
وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ
إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿33﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ
حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿34﴾
وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقُسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿35﴾ * وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ
إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿36﴾
وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ
طُولًا ﴿37﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿38﴾
ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ
إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿39﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا**﴾: ﴿**سبحان**﴾: علم للتسبيح، ومعناه: التنزيه عن كل ما لا يليق، وقد يقصد به التعجيب، وهو مشتق من السبح الذي هو الذهاب والإبعاد، ويستعمل مصدرًا كالغفران. ﴿**الذي**﴾: اسم موصول نعت لموصوف مقدر، والتقدير: سبحان الله الذي. ﴿**أسرى بعبده**﴾: جعل عبده مسريًا به، والعبد هنا: مراد به محمد - صلى الله عليه وسلم -. و﴿**ليلا**﴾: ظرف لجزء من الليل. . . ﴿**من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**﴾: من

المسجد الحرام: ابتدأ الإسراء من مكة وانتهى إلى المسجد الأقصى وهو بيت القدس. المسجد الذي باركنا حوله، أي: جعل هذا المكان وما حوله مباركا بالخير والفضل في الدنيا والآخرة. لنريه من آياتنا: حكمة الإسراء إراءة الآيات. والإراءة جعل الشخص يرى.

والآيات العلامات الدالة على الأمر المطلوب. ﴿**إنه هو السميع البصير**﴾: يحتمل أن يعود الضمير إلى الله سبحانه، أو إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لنبى اسراءيل. الكتاب: هو المعهود إيتاؤه موسى، وهو التوراة. وجعلنا هذا الكتاب هاديا لبني إسراءيل إلى الشريعة المكلفين بالعمل بها. ﴿**ألا تتخدوا من دونى وكيلا**﴾: تفسير لما في الكتاب من الهدى. وهو التوحيد الخالص والعبادة الصادقة. والوكيل: الذي تفوض إليه الأمور. ولا يكون هذا إلا لله. ﴿**ذرية من حملنا مع نوح**. . .﴾ أخص بالذكر ذرية الذين حملوا مع نوح في السفينة. ﴿**إنه كان عبدا شكورا**﴾: نجاه الله بسبب شكره الكثير لله ونجى الذين معه بشكرهم وإيمانهم بالله. وهو تعريض لليهود والمشركين من العرب. ﴿**وقضينا إلى بني إسراءيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا**﴾ القضاء معناه الإبلاغ: بما سيكون. أي: أبلغنا وأنهينا إلى بنى إسراءيل في جنس الكتاب فأوضحه وأصدقه ما تحدث به القرآن على ما حصل وسيحصل لليهود. . . والإفساد: جعْلُ العمل فاسدا. وفي الأرض: في أنحاء الأرض. مرتين: إفسادين عظيمين. . . والعلو التكبر والتجبر والطغيان.

مع وصف هذا بالكبر العظيم. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولاً: تفريع عما حصل في المرة الأولى. وهو بعث الأمة الإسلامية الذين قضوا على اليهود قضاء مبرما. . . فهم عباد الله حقا أعطاهم القوة والشجاعة والبأس الشديد. فجاسوا خلال الديار دخلوا معظم بلدان العالم وفتحوها فخضعت لحكم المسلمين مدة من الزمن. ﴿**ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها**﴾: ثم تفيد التراخي الرتبي والتراخي الزمني معا. والرد الإرجاع، والكرة الرجعة إلى المكان الذي ذهب منه والإمداد: زيادة الشيء من الخارج. زيادة في الأموال وزيادة في الرجال.

وأكثر نفيرا: عددا وعدة... ﴿**إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها**﴾: وعد وعيد في الكتاب... ﴿**فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تبتيرا**﴾: هذا من بقية ما قضى في الكتاب وهو القضاء في المرة الأخيرة القضاء النهائى على اليهود. عندما يأتيهم من يسومهم سوء العذاب. ويأخذوا من أيديهم المسجد الذي استولوا عليه حين دب الضعف في قلوب المسلمين. التتبير: الاهلاك التام بعد الاعمار والعلو والقوة والسطوة. ﴿**عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا**﴾: توقع الرحمة بعد التوبة والإيمان... وإعادة النقمة مع الاستمرار في الكفران. ﴿**وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا**﴾: الوعيد النهائى لكل كافر مات جاحدا لهذا القرآن.

والحصير ما يفرش على الأرض للجلوس عليه. والمحبس الذي لا يمكن الخروج منه ﴿**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**﴾: إشارة إلى منزلة القرآن وما فيه من هداية وتبيان. وتبشير للمؤمنين... فهم الذين يعملون الصالحات... وهم الذين كتب لهم الأجر الكبير؛ لأنهم يؤمنون بالآخرة... وبالعكس. ﴿**والذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما. ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا**﴾: يطلب ويبتغى الشر بقوله أو بفعله طلبا مثل طلبه الخير، ولو استجيب له لهلك في الحال؛ لأن من طبيعة العجلة والتسرع والقلق والضجر... ﴿**وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا...**﴾ فالليل والنهار علامتان دالتان على خالقهما... ومحو آية الليل تغيير قمره من بداية الشهر إلى نهايته. وتغييره بصغر نوره وكبره وآية النهار مبصرة شمسه سراج منير يضئ من ذاته تظهر فيه الأشياء واضحة... والحكمة في ذلك. طلب الرزق في النهار وراحت الجسم في الليل. ونظامهما المستمر علامة في معرفة السنين عددا وحسابا... فالعدد معروف من القمر. والحساب يعرف بالرصد واستخراج دقائق الزمن... والتفصيل في الأشياء يكون في خلقها ونظامها وعلم الله بها وإعلامه الناس بها... فالتفصيل التبيين والتمييز.

﴿**وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا...**﴾ الإلزام: جعل الشئ مصاحبا غير

مفارق والطائر هنا حظ الإنسان من خير أو شر. والعنق الرقبة. والمعنى: أن كل إنسان ملازم له عمله من خير أو شر ملازمة القلادة للعنق. وهي وضع علامة تميز الشخص من غيره... والكتاب ما فيه الأعمال المسجلة من كفر وإيمان وطاعة وعصيان. والنشر: ضد الطى ونشر الكتاب: إظهاره ليُقرأ. والقارئ هو صاحب الكتاب. وقراءته تحقق ما فيه وهذا التحقق كاف للإنسان فلا يحتاج إلى غيره شاهدا عليه. ﴿**من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى...**﴾ الاهتداء: العمل بمقتضى هدى القرآن. والضلال: عكسه.

وإفادة الاهتداء لنفس المهتدى وضرر الضلال يعود على صاحبه. ولا تزر وازرة وزر أخرى. ومعنى تزر تحمل الوزر. والوازرة: النفس الحاملة. والوزر: الإثم. ووزر أخرى: ذنبُ نفس أخرى. ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾: ينتقى تعذيب الله لكل نفس قبل إنذارها ببعث رسول إليها يبين لها شرع الله وهذه قاعدة شرعية جاءت بها كل الرسل ﴿**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا...**﴾ معنى هذه الآية متعلق بما قبلها؛ والتقدير: وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا، ونأمر مترفى قرية بما نأمرهم به على لسان الرسول فيفسقوا عن أمرنا فيحق عليهم الوعيد فنهلكهم إذا أردنا إهلاكهم. والمترف: اِسم مفعول. من أترفه إذا أعطاه التُرْفة ﴿النعمة﴾. والمترفون: هو أهل النعمة وسعة العيش.

والفسق: الخروج عن المقرِّ وعن الطريق. والمراد به في اصطلاح القرآن: الخروج عما أمر الله به. والقول الوعيد الذي أندر به الرسل قومهم... والتدمير: هدم البناء وإزالة أثره. ﴿**وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح...**﴾ كم في الأصل استفهام عن العدد. وتستعمل خبرية دالة على عدد كثير مبهم النوع. ومن القرون بيان للإبهام. والقرون: جمع قرن. وهو الجيل من الناس يقترن لاحقهم بسابقهم باقتران الطفل الصغير بالشيخ الكبير... فاعتبر القرن مائة سنة. وكل هذه القرون جاءت بعد نوح... ومعنى ﴿**وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا**﴾: أن الله مطلع على نوايا كل أحد فلا تهتم بتكذيب قومك. اطمأن بكفاية الله لك... فهو إيماء إلى أن النبئ غير محتاج إلى من ينتصر له غير ربه؛ فهو كافيه وحسبه.

﴿**من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد...**﴾ العاجلة: صفة

موصوف محذوف يعلم من السياق بمعنى الحياة العاجلة ومعنى عجلنا، أعطيناه ما يريد. بشرط مشيئة الله، ويقدر ما كتب له في هذه الحياة... ﴿**ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا**﴾: ثم أفادت التراخى الرتبى للفرق بين محصوله في الدنيا ومحصوله في الآخرة. والصلى: مقاساة حر النار. والذم: الوصف بالمعائب التي في الموصوف والمدحور: المطرود. يقال: دحره. والمصدر: الدحور. ﴿**ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا**﴾: طلب ثواب الآخرة بالإيمان والعمل الصالح على مقتضى الشريعة المنزلة من الله.

وحقيقة السعى: المشى دون العدو. والسعى المشكور العمل المقبول الذي جاء على وفق المطلوب. ﴿**كلاّ نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا**﴾: التنوين في ﴿**كلا**﴾ تنوين عوض عن المضاف إليه؛ أى: كل الفريقين والإمداد هنا: استرسال العطاء وتعاقبه وجعل الجديد منه مَدَدًا للسالِفِ بحيث لا ينقطع. ﴿**وعطاء ربك**﴾: جنس العطاء. والمحظور: الممنوع: أى: ما كان ممنوعا بالمرة، بل لكل مخلوق نصيبٌ منه: انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض... النظر حقيقتهُ: توجه آلة الحس البصرى إلى المبصر. وقد شاع في كلام العرب استعماله في النظر المصحوب بالتدبّر، وتكرير مشاهدة أشياء في غرض مَا. وكيف اسم استفهام مستعمل في التنبيه والتفصيل باعتبار عطاء الدنيا. وتفضيل البعض على البعض في الرزق تقدم في قوله: ﴿**والله فضل بعضكم على بعض في الرزق**﴾.

﴿**وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا**﴾: ودرجات الآخرة مراتب الشرف العظيمة. والتفضيل في الآخرة غير التفضيل في الدنيا؛ لأن نعم الآخرة أعظم من نعم الدنيا ﴿**لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا**﴾: النهى عن الشرك بيان لما يترتب عليه من المضار... والقعود هنا: مرادٌ به المكث في الشرك المؤدى إلى الذم والخذلان. ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه...**﴾ قضى: أمر أمرا جازما، وحكم حكما لازما. وأنْ: تفسيرية. والحكم هنا: هو الأمر بالتوحيد والنهى عن الشرك. وهو المطلب الأول في حكم الإسلام والمطلب الثانى: وبالوالدين إحسانا. فيشمل الإحسان كل ما يصدق فيه هذا الجنس من الأقوال والأفعال والبذل والمواساة... ﴿**إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهما أفٍّ...**﴾ إمّا: مركبة من إن الشرطية وما الزائدة.

وبلوغ الكبر: الوصول إلى سنّ الضعف والعجز. وقول أفٍّ: كلمة تضجر واشمئزاز. وهي إسم فعل مضارع. ولا تنهرهما: لا تزجرهما عما لا يعجبك بإغلاظ. والنهر: الزجر. يقال: نهره وانتهره. وقل لهما قولا كريما: القول الكريم: الكلام اللين الحسن الجميل الذي يؤدى إلى طيب الخاطر. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة: المراد بخفض الجناح هنا: التواضع والتذلل للوالدين. ومبعثه الرحمة لا الخوف. ﴿**وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا**﴾: أمر بالدعاء للوالدين برحمة الله التي هي الغاية المطلوبة لكل من يرحم ويربى كما ينبغى: ﴿**ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا**. . .﴾ فجمعت هذه الآية تيسيراً بعد تعسير مشوبا بتضييق وتحذير؛ ليكون المسلم على نفسه رقيبا. والأواب الذي يرجع الى الله بالتوبة كلما أحس من نفسه التقصير. ﴿**وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل**﴾: القرابة كلها مشبعة من الأبوة. . . فالنقل من الكلام على حقوق الأبوين الى الكلام على حقوق القرابة. والتعريف في القربى تعريف الجنس. والقرابة هنا. قرابة المخاطب. والحق هنا حق المساعدة والمواساة. والمسكين. الضعيف العاجز.

وابن السبيل: المنقطع عن وطنه. ولاتبذر تبذيرا. . التبذير: تفريق المال في غير وجهه. مأخوذة من تفريق حبات وإلقائها كيفما كان. والنهى عن التبذير من جملة ما قضى الله به: ﴿**إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين**. . .﴾ وإخوان الشياطين: الملازمون له لايفارقونه. والمعنى: أنهم من اتباع الشياطين وحلفائهم كما يتابع الأخ أخاه: . فإذا بذر كان من الشياطين. والشيطان لربه كفور. . . فيكون من معه كفورا مثله: ﴿**وكان الشيطان لربه كفورا. وإما تعرضنّ عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا**﴾: إن سألك أحدهم عطاء فلم تجبه إليه حياء لابخلا، فقل لهم قولا لينا تظهر فيه الاعتذار له. . فالقول الميسور: اللين الحسن المقبول.

ومعنى ابتغاء رحمة من ربك ترجوها: طلب التعرض لأسباب الرزق؛ ليكون المؤمن غنيا سخيا. . . ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولاتبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا: غل اليد إلى العنق منعها من العطاء كما تمنع اليد المشدودة من الحركة. وبسطها: فتحها حتى لاتمسك شيئا. والملوم: من يذمه الناس على

تقصيره. والمحسور: من ضاعت ثروته وضعفت قواه. ﴿**إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر...**﴾ بسط الرزق: توسعته ووفرته... قدره: تقليله بقدر الكفاية دون توسعة: ﴿**إنه كان بعباده خبيرًا بصيرا...**﴾ فهو بيان لحكمة بسط الرزق وقدره... ﴿**ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا...**﴾ خشية إملاق: خوف فقر متوقع.

والخِطء: الإثم والذنب. ولايكون إلا عن عمد، بخلاف الخطإ ﴿**ولاتقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا**﴾: القرب المنهى عنه هو أقل الملابسة والزنى في اصطلاح الإسلام مجامعة الرجل المرأة التي ليست زوجة له. والفاحشة: الخصلة البالغة في القبح. وساء سبيلا: بئس طريقا طريقه؛ لما يترتب عليه من مضار ومفاسد... ﴿**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**﴾. النفس هنا: ذات الشخص المعبر عنها بالإنسان والقتل: الإماتة بفعل فاعل. والنفس التي حرمها الله النفس المعصومة... فتخرج النفس غير المعصومة... فهى التي تقتل بوجه الحق. ﴿**ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا**﴾: والمقتول ظلما دون حق: لوليه الحق بأن يقتص من القاتل أو يأخذ الدية أو يعفو. وهذا هو السلطان الذي جعل له فلا ينبغى أن يتعدى على هذا الحكم العادل المنصف. ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هي أحسن حتى يبلغ أشده**﴾: نهى عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهى.

واليتيم: من مات أبوه قبل بلوغ الذكر، وقبل الدخول بالأنثى. والأحسن في معاملة مال اليتيم برعايته وتنميته حتى ينتفع به صغيرا وكبيرا. وبلوغ الأشد: وصوله إلى سن الرجولة والرشد. ﴿**وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا**﴾: التعريف في العهد للجنس المفيد للاستغراق. وتقدم معنى العهد في سورة النحل. وعلل هذا الأمر يكونه مسؤولا عنه. ﴿**وأوفوا الكيل إذا كِلْتُمْ...**﴾ الكيل: تقدير الأشياء بظرف معلوم. ﴿**وزنوا بالقسطاس المستقيم**﴾: الوزن تقدير الأشياء، بألة تميز الخفيف من الثقيل. ويسمى الميزان والقسطاس. والمستقيم: السوى. ﴿**ذلك خير**﴾: خير لكم في الدنيا لما فيه من حسن المعاملة وأحسن تأويلا: أحسن مآلاً في العقبى لما فيه من امتثال أمر الله المترتب عليه حسن الثواب.

﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم...**﴾ القفْوُ: الاتّباع. يقال: قفاه يقفوه إذا

اتبعه. وهو مشتق من اسم القفا. وهو ما وراء العنق. والمراد بما ليس لك به علم: الخاطر النفسانى الذي لا دليل عليه والعمل من القول والفعل الذي لم تظهر له فائدة دينيه أو دنيوية. ويندرج تحت هذا أنواع كثيرة وما يشهد بجميع ما ذكر تعليل النهى بجملة ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا. ولا تمشِ في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا**﴾: المرَحُ: شدة ازدهاء المرء وفرحه بحاله في عظمة الرزق. والمشى المرح. شدة الوطء على الأرض وتطاول العنق نحو السماء! وخرق الأرض: تمزيق أديمها! وبلوغ الجبال طولا: أن يكون الرأس محاديا لقمة الجبال من الجبال الشاهقة! كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها: السيئة: ضد الحسنة.

والسيئة الخصله المنهّى عنها. والحسنة الفعلة المأمور بها... والسيئة مكروهة عند الله... فلذلك نهى عنها. ﴿**ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة**﴾. ذلك: الإشارة إلى جميع ما ذكر من الأوامر والنواهى من قوله: ﴿**وقضى ربك**﴾ الخ... وهو ما أوحى الله إلى النبىء من القرآن... والحكمة: معرفة الحقائق على ما هي عليه دون غلط ولا اشتباه. ﴿**ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحوراً**﴾ الالقاء رمى الجسم من الأعلى إلى الأسفل مع الإهانه والازدراء... وتقدم معنى الملوم المدحور: المطرود المبعد عن الخير.

مبحث الإعراب

﴿**سبحان**﴾ مفعول مطلق. منصوب بالفتحة. ﴿**الذى**﴾ في محل جر مضاف إلى سبحان. ﴿**أسرى**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على الذى. والجملة صلة الذى. ﴿**بعبده**﴾ متعلق بأسرى. ﴿**ليلا**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**من المسجد**﴾. الجار والمجرور والظرف متعلقان بأسرى. ﴿**الحرام**﴾ نعت للمسجد. ﴿**إلى المسجد**﴾ متعلق بأسرى، ﴿**الأقصى**﴾ نعت للمسجد. مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿**الذى**﴾ نعت ثان للمسجد. ﴿**باركنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الذى. ﴿**حوله**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بباركنا ﴿**لنريه**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير مستتر ﴿**نحن**﴾ والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**من آياتنا**﴾ متعلق بالفعل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بأسرى.

والتقدير: أسرينا به لأجل إراءتنا إياه من آياتنا. **﴿إنه﴾** إن واسمها. **﴿هو﴾** ضمير فصل **﴿السميع البصير﴾** خبران لإن. والجملة تعليل لما قبلها. **﴿وآتينا﴾** فعل وفاعل. والواو للعطف. **﴿موسى﴾** مفعول أول. **﴿الكتاب﴾** مفعول ثان. **﴿وجعلناه﴾** فعل وفاعل ومفعول. معطوف على **﴿آتينا﴾**. **﴿هدى﴾** مفعول ثان لجعلنا. منصوب بفتحة مقدرة على الألف المحذوفة... **﴿لبنى﴾** متعلق بهدى. **﴿إسراءيل﴾** مضاف إلى بنى. مجرور بالفتحة لمنعه من الصرف. أن تفسيرية. **﴿ألا تتخذوا﴾** فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. وواو الجماعة فاعل. والجملة مفسرة لا محل لها من الإعراب. **﴿من دونى﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿وكيلا﴾** مفعول به. **﴿ذرية﴾** منصوب على الاختصاص. **﴿مَنْ﴾** في محل جر مضاف إلى ذرية. **﴿حملنا﴾** فعل وفاعل. والجملة صلة مَنْ. **﴿مع﴾** متعلق بحملنا. **﴿نوح﴾** مضاف إلى مع.

﴿إنه﴾ إن واسمها. **﴿كان﴾** اسم كان ضمير يعود على نوح. **﴿عبدا﴾** خبر كان. **﴿شكورا﴾** نعت له، وجملة **﴿كان عبدا﴾** في محل رفع خبرُ إنّ. وجملة **﴿إنه كان﴾** تعليل للنهى من قوله: **﴿ألاّ تتخذوا﴾** أوْ للحمل في السفينة تكريما لأجل شكره... **﴿وقضينا﴾** فعل وفاعل. معطوف على قوله: **﴿وآتينا موسى﴾**. **﴿إلى بني إسراءيل في الكتاب﴾**. متعلقان بقضينا. **﴿لتفسدن﴾** فعل مضارع دخل عليه لام القسم ونون التوكيد. فحذفت نون الرفع لتوالى الأمثال. وواو الجمع لالتقاء الساكنين. **﴿فى الأرض﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿مرتين﴾** مفعول مطلق. **﴿ولتعلن﴾** مثل لتفسدُنّ معطوف عليه. **﴿علوا﴾** مفعول مطلق. **﴿كبيرا﴾** نعت له.

وجملة لتفسدن ولتعلن جواب القسم... **﴿فإذا﴾** الفاء للتعقيب. **﴿وإذا﴾** ظرف متضمن معنى الشرط. **﴿جاء وعدُ﴾** فعل وفاعل. فعل الشرط. **﴿أولاهما﴾** مضاف إلى **﴿وعد﴾**. مجرور بكسرة مقدرة على الألف. والضمير فيه مضاف إليه. **﴿بعثنا﴾** فعل وفاعل. وجواب الشرط. **﴿عليكم﴾** متعلق ببعثنا. **﴿عبادا﴾** مفعول به. **﴿لنا﴾**. متعلق بمحذوف نعت لعباد. **﴿أولى﴾** نعت ثان منصوب بالياء. **﴿بأسٍ﴾** مضاف إلى أولى. **﴿شديد﴾** نعت لبأس. **﴿فجاسوا﴾** فعل وفاعل. والفاء للتعقيب والترتيب. **﴿خلال﴾** ظرف مكان منصوب. **﴿الديار﴾** مضاف إلى خلال. **﴿وكان﴾** اسم كان محذوف. **﴿وعدا﴾** خبر كان. **﴿مفعولا﴾** نعت له.

وجملة ﴿**وكان وعدا مفعولا**﴾ تذييل. ﴿**ثم**﴾ حرف عطف للتعقيب والترتيب. والتراخى. ﴿**رددنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لكم**﴾ متعلق برددنا. ﴿**الكرة**﴾ مفعول به. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بالكرّة. ﴿**وأمددناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. معطوف على ﴿**رددنا**﴾. ﴿**بأموال**﴾ متعلق بأمددناكم. ﴿**وبنين**﴾ معطوف على أموال. ﴿**وجعلناكم**﴾ معطوف على أمددناكم. ﴿**أكثر**﴾ مفعول ثان لجعلنا، ﴿**نفيرا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**إن أحسنتم**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه إن الشرطية. ﴿**أحسنتم**﴾ جواب الشرط. ﴿**لأنفسكم**﴾ متعلق بأحسنتم. ﴿**وإن أسأتم**﴾ معطوف على ﴿**إن أحسنتم**﴾. ﴿**فلها**﴾ الفاء. رابطة لجواب الشرط. و﴿**لها**﴾ متعلق بفعل مقدر معلوم من الفعل السابق.

والتقدير: ﴿**وإن أسأتم لها**﴾. ولما حذف الفعل جاء فاء الربط في قوله: ﴿**فلها... فإذا جاء وعد الآخرة**﴾ مثل ﴿**فإذا جاء وعد أولاهما**﴾ في الإعراب. ﴿**ليسوءوا**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. وواو الجماعة فاعل. ﴿**وجوهكم**﴾ مفعول به. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بفعل مقدر؛ والتقدير ﴿**فإذا جاء وعد الآخرة بعثنا عليكم عبادا لنا**﴾ آخرين لأجل إساءة وجوهكم... ﴿**وليدخلوا**﴾ معطوف على ﴿**ليسوءوا**﴾ - ﴿**المسجد**﴾ مفعول به. ﴿**كما**﴾ تشبيه للدخول. ﴿**دخلوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**أول**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**مرة**﴾ مضاف إلى أول. ﴿**وليتبروا**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به. ﴿**علوا**﴾ فعل وفاعل.

والجملة صلة ﴿**ما**﴾. ﴿**تتبيرا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**عسى**﴾ فعل ماضٍ ناقص يرفع الاسم وينصب الخبر. ﴿**ربكم**﴾ اسم عسى. ﴿**أن يرحمكم**﴾ فاعل يرحم ضمير يعود على ربكم وأن يرحمكم في محل نصب خبر عسى. ﴿**وإن عدتم عدنا**﴾ جملة الشرط وجوابه معطوفة على ﴿**عسى ربكم**﴾. ﴿**وجعلنا جهنم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**للكافرين**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**حصيرا**﴾ مفعول ثان لجعلنا. ﴿**إنّ**﴾ حرف توكيد ونصب. تنصب الإسم وترفع الخبر. ﴿**هذا**﴾ في محل نصب اسم إنّ. ﴿**القرآن**﴾ عطف بيان لهذا. ﴿**يهدى**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على القرآن. والجملة في محل رفع خبر إنّ. ﴿**للتى**﴾ متعلق بيهدى. و﴿**هى**﴾ في محل رفع مبتدأ.

﴿**أقوم**﴾ خبر المبتدإ. والجملة صلة التى. ﴿**ويبشر**﴾ معطوف على ﴿**يهدى**﴾. ﴿**المؤمنين**﴾ مفعول به. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب نعت للمؤمنين. ﴿**يعملون الصالحات**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**أنّ**﴾ حرف مصدر ونصب. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ مقدم. ﴿**أجرا**﴾ اسمها مؤخر ﴿**كبيرا**﴾ نعت له. ﴿**وأنّ**﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء متعلق بيبشر. أى: يبشر المؤمنين بالأجر الكبير. ﴿**وأن الذين**﴾ أن واسمها. ﴿**لا يؤمنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى. والجملة صلة الذين. ﴿**بالآخرة**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**أعتدنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لهم**﴾ متعلق بأعتدنا. ﴿**عذابا**﴾ مفعول به. ﴿**أليما**﴾ نعت له.

وجملة ﴿**أعتدنا**﴾ في محل رفع خبر أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على قوله: ﴿**أن لهم أجرا كبيرا**﴾. ﴿**ويدعو الإنسان**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بالشر**﴾ متعلق بيدعو. ﴿**دعاءه**﴾ مفعول مطلق. ﴿**بالخير**﴾ متعلق به. وهذه الآية معطوفة على ما تضمنته الآية التي قبلها. ﴿**وكان الإنسان عجولا**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها تذييل. ﴿**وجعلنا الليل**﴾ فعل وفاعل ومفعول. معطوف على قوله: ﴿**ويدعوا الإنسان بالشر...**﴾ ﴿**والنهار**﴾ معطوف على الليل. ﴿**آيتين**﴾ مفعول ثان لجعلنا. ﴿**فمحونا آية**﴾ فعل وفاعل ومفعول مفرع على ما قبله. ﴿**الليل**﴾ مضاف إلى ﴿**آية**﴾. ﴿**وجعلنا آية النهار**﴾ معطوف على قوله فمحونا.

﴿**مبصرة**﴾ مفعول ثان لجعلنا. ﴿**لتبتغوا**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. ﴿**فضلا**﴾ مفعول به. ﴿**من ربكم**﴾ متعلق به. ﴿**ولتعلموا**﴾ معطوف على قوله: ﴿**لتبتغوا...**﴾ ﴿**عَدَد**﴾ مفعول به. ﴿**السنين**﴾ مضاف إلى ﴿**عدد**﴾. ﴿**والحساب**﴾ معطوف على ﴿**عدد**﴾. ﴿**وكلَّ**﴾ مفعول بفعل مقدر يفسره ما بعده من قوله ﴿**فصلناه**﴾. ﴿**شئ**﴾ مضاف إلى ﴿**كل**﴾. ﴿**فصلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**تفصيلا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**وكل إنسان**﴾ معطوف على قوله: ﴿**وكل شئ... ألزمناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**طائره**﴾ مفعول ثان. ﴿**فى عنقه**﴾ متعلق بمحذوف حال من ﴿**طائره**﴾. ﴿**ونخرج**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. معطوف على ما قبله. ﴿**له يوم**﴾ متعلقان بنخرج. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى ﴿**يوم**﴾. ﴿**كتابا**﴾ مفعول به.

﴿**يلقاه**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الإنسان. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة ﴿**يلقاه**﴾ نعت لكتاب. ﴿**منشورا**﴾ حال من ﴿**الكتاب**﴾ الملقى. ﴿**اقرأ**﴾ فعل أمر. والفاعل المخاطب. ﴿**كتابك**﴾ مفعول به. وجملة ﴿**اقرأ**﴾ في محل نصب مقول القول مقدر. ﴿**كفى**﴾ فعل ماضٍ. ﴿**بنفسك**﴾ فاعل ﴿**كفى**﴾ جر بحرف الجر الزائد. ﴿**اليوم عليك**﴾ متعلقان بقوله: ﴿**حسيبا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**من اهتدى**﴾ فعل ماضٍ دخلت عليه مَن الشرطية، والفاعل ضمير يعود على من. والجملة في محل جزم فعل الشرط. ﴿**فإنما**﴾ كافة ومكفوفة. والفاء رابطة لجواب الشرط. ﴿**يهتدى**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على ﴿**مَنْ**﴾. والجملة في محل جزم جواب الشرط. ﴿**لنفسه**﴾ متعلق بيهتدى. ﴿**ومن ضل فإنما يضل عليها**﴾.

جملة شرطية معطوفة على الجملة الشرطية قبلها. ﴿**ولا تزر وازرة**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى وواو العطف. ﴿**وزرَ**﴾ مفعول به. ﴿**أخرى**﴾ مضاف إلى وزر. مجرور بكسرة مقدرة على الألف... ﴿**وما كنا**﴾ كان واسمها. دخل عليها حرف النفى وواو العطف. ﴿**معذبين**﴾ خبر كان منصوب بالياء. ﴿**حتى نبعث**﴾ فعل مضارع منصوب بأن بعد حتى. والفاعل نحن. ﴿**رسولا**﴾ مفعول به. ﴿**وإذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**أردنا**﴾ فعل وفاعل. فعل الشرط. ﴿**أن نهلك**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل نحن. ﴿**قرية**﴾ مفعول به. وأن﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول ﴿**أردنا**﴾. ﴿**أمرنا مترفيها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. جواب إذا. ﴿**ففسقوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التعقيب. ﴿**فيها**﴾ متعلق بالفعل قبله.

﴿**فحق**﴾ فعل ماضٍ مرتب على ﴿**فسقوا**﴾. ﴿**عليها**﴾ متعلق بحق. ﴿**القول**﴾ فاعل حقّ. ﴿**فدمرناها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. مرتب على ما قبله. ﴿**تدميرا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**وكم**﴾ خبرية مراد بها التكثير. والواو للعطف. ﴿**أهلكنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**من القرون**﴾ تمييز لكم الخبرية وهي في محل نصب مفعول بأهلكنا. ﴿**من بعد**﴾ متعلق بأهلكنا. ﴿**نوح**﴾ مضاف إلى بعد. ﴿**وكفى**﴾ فعل ماضٍ والواو للعطف. ﴿**بربك**﴾ فاعل كفى جر بحرف الجر الزائد. ﴿**بذنوب**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**عباده**﴾ مضاف إلى ذنوب. ﴿**خبيرا بصيرا**﴾ منصوبان على التمييز. ﴿**مَنْ**﴾ اسم

شرط جازم. ﴿**كان**﴾ فعل الشرط في محل جزم. واسم كان ضمير يعود على مَنْ. ﴿**يريد**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على ﴿**مَنْ**﴾. وجملة ﴿**يريد**﴾ في محل نصب خبر كان. وجملة كان فعل الشرط.

﴿**العاجلة**﴾ مفعول به. ﴿**عجلنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل جزم جواب الشرط. ﴿**له فيها**﴾ متعلقان بجعلنا. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**نشاء**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والجملة صلة ما. ﴿**لمن**﴾ متعلق بنشاء. ﴿**نريد**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والجملة صلة مَنْ. ﴿**ثم جعلنا**﴾ فعل وفاعل مرتب على ما قبله. ﴿**له**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**جهنم**﴾ مفعول به. ﴿**يصلاها**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على ﴿**مَنْ**﴾. وجملة ﴿**يصلاها**﴾ بيان، ﴿**مذموما مدحورا**﴾ حالان من الضمير الفاعل. ﴿**ومن أراد**﴾ معطوف على ﴿**من كان يريد**﴾. ﴿**الآخرة**﴾ مفعول به. ﴿**وسعى**﴾ معطوف على ﴿**أراد**﴾. ﴿**لها**﴾ متعلق بسعى. ﴿**سعيها**﴾ مفعول مطلق. ﴿**وهو مؤمن**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر في محل نصب حال من فاعل سعى. ﴿**فأولئك**﴾ في محل رفع خبر مبتدإ.

﴿**كان سعيهم مشكورا**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها في محل رفع خبر المبتدإ. وجملة ﴿**فأولئك كان سعيهم مشكورا**﴾ في محل جزم جواب الشرط لوجود فاء الربط. ﴿**كلا**﴾ مفعول به مقدم. ﴿**نمد**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. ﴿**هؤلاء**﴾ مبنى على الكسر في محل نصب بدل من ﴿**كلا**﴾. ﴿**وهؤلاء**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**من عطاء**﴾ متعلق بنمد. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى عطاء. ﴿**وما كان عطاءُ**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف النفى وواو العطف. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى ﴿**عطاء محظورا**﴾ خبر كان منصوب بالفتحة. ﴿**انظر**﴾ فعل أمر. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**كيف**﴾ مبنى على الفتح في محل نصب على الحال، ﴿**فضلنا بعضهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول.

﴿**على بعض**﴾ متعلق بفضلنا. ﴿**وللآخرةُ**﴾ مبتدأ اتصل به لام التوكيد. والواو للعطف. ﴿**أكبرُ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**درجات**﴾ منصوب بالكسرة على التمييز. ﴿**وأكبر تفضيلا**﴾ معطوف على أكبر. درجات. ﴿**لاتجعل**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**مع**﴾ متعلق بلا تجعل. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى

مع. ﴿**إلها**﴾ مفعول بلا تجعل. ﴿**آخر**﴾ نعت له. ﴿**فتقعد**﴾ فعل مضارع. منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة بعد النهي. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**مذموما مخذولا**﴾ حالا من فاعل تقعد. ﴿**وقضى ربك**﴾ فعل وفاعل. والواو عاطفة. ﴿**أنْ**﴾ تفسيرية. ﴿**لاتعبدوا**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. وواو الجماعة فاعل. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء مفرغ.

﴿**إياه**﴾ في محل نصب بدل من المفعول المقدر: والتقدير: لاتعبدوا أحدًا إلا إياه. ﴿**وبالوالدين**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**إحسانا**﴾ مفعول مطلق، إن ما إن شرطية دخلت عليها ما الزائدة. ﴿**يبلغن**﴾ فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. وهو في محل جزم فعل الشرط. ﴿**عندك**﴾ متعلق بيبلغن. ﴿**الكبر**﴾ مفعول به. ﴿**أحدُهما**﴾ فاعل. ﴿**أوكلاهما**﴾ معطوف على أحدهما. مرفوع بالألف. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**فلا تقل**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل ضمير المخاطب. وجملة ﴿**فلا تقل**﴾ في محل جزم جواب الشرط. وقرن بالفاء لوجود لا الناهية. ﴿**لهما**﴾ متعلق بلا تقل. ﴿**أفٍّ**﴾ اسم صوت. ينبئ عنه تضجر واشمئزاز. ﴿**ولا تنهرهما**﴾. معطوف على قوله: ﴿**فلا تقل**﴾. والفعل مجزوم بلا الناهية. والفاعل ضمير المخاطب. والضمير المتصل بالفعل مفعول.

﴿**وقل لهما**﴾ معطوف على النهى قبله عطف أمر على نهى. ﴿**قولا**﴾ مفعول. ﴿**كريما**﴾ نعت له. ﴿**واخفض**﴾ معطوف على قل. ﴿**لهما**﴾ متعلق باخفض. ﴿**جناح**﴾ مفعول به. ﴿**الذل**﴾ مضاف إلى جناح. ﴿**من الرحمة**﴾ متعلق باخفض. ﴿**وقل: رب**﴾ منادى. ﴿**ارحمهما**﴾ فعل دعاء. ﴿**كما**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر مقدر. وما مصدرية. ﴿**ربيانى**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**صغيرا**﴾ حال من المفعول. ويحتمل أن يكون الكاف للتعليل. أى: لأجل تربيتهما إيّاى صغيرا. ﴿**ربكم**﴾ مبتدأ. ﴿**أعلم**﴾ خبره. بما متعلق بأعلم. ﴿**فى نفوسكم**﴾ متعلق بفعل مقدر صلة ما. ﴿**إن. تكونوا**﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم بإن الشرطية. وواو الجماعة اسم تكون. ﴿**صالحين**﴾ خبرها. ﴿**فإنه**﴾ إن واسمها. ﴿**كان**﴾ اسمها يعود على ﴿**ربكم**﴾.

﴿**للأوابين**﴾ متعلق بخبر كان: ﴿**غفورا**﴾. وجملة كان واسمها وخبرها في محل رفع خبرُ إنّ. وجملة ﴿**فإنه كان...**﴾ في محل جزم جواب الشرط.

﴿**وآت**﴾ فعل أمر . . . ﴿**ذا**﴾ في محل نصب مفعول أول. ﴿**القربى**﴾ مضاف إلى ذا. ﴿**حقه**﴾ مفعول ثان. ﴿**والمسكين**﴾ معطوف على ذا القربى. ﴿**وابن**﴾ كذلك ﴿**السبيل**﴾ مضاف إلى ابن. ﴿**ولا تبذر**﴾ نهى معطوف على أمر. ﴿**تبذيرا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**إن المبذرين**﴾ إن واسمها. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**إخوان**﴾ خبر كان. ﴿**الشياطين**﴾ مضاف إلى إخوان. وجملة ﴿**كانوا إخوان**﴾ في محل رفع خبرُ إنّ. وجملة ﴿**إن المبذرين كانوا. . .**﴾ تعليل للنهى. . . ﴿**وكان الشيطان**﴾ كان واسمها. والواو للعطف. ﴿**لربه**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**كفورا**﴾ خبر كان.

وجملة ﴿**كان الشيطان لربه كفورا**﴾ من جملة التعليل. ﴿**وإمّا**﴾ إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة. ﴿**تعرضنّ**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد في محل جزم فعل الشرط. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**عنهم**﴾ متعلق بتعرضن. ﴿**ابتغاء**﴾ حال من الفاعل. ﴿**ورحمة**﴾ مضاف إلى ابتغاء. ﴿**من ربك**﴾ متعلق بمحذوف نعت لرحمة. ﴿**ترجوها**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب. والضمير المتصل بالفعل مفعول وجملة ﴿**ترجوها**﴾ نعت لرحمة. ﴿**فقل**﴾ فعل أمر. ﴿**لهم**﴾ متعلق بقل. ﴿**قولا**﴾ مفعول. ﴿**ميسورا**﴾ نعت له. وجملة ﴿**فقل لهم**﴾ في محل جزم جواب الشرط. ﴿**ولا تجعل**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**يدك**﴾ مفعول أول ﴿**مغلولة**﴾ مفعول ثان. ﴿**إلى عنقك**﴾ متعلق بمغلولة.

﴿**ولا تبسطها**﴾ معطوف على قوله ﴿**ولا تجعل**﴾. ﴿**كل**﴾ مفعول مطلق. ﴿**البسط**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**فتقعد**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية واقع في جواب النهى. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**ملوما محسورا**﴾ حالان من الفاعل. ﴿**إن ربك**﴾ إن واسمها. ﴿**يبسط**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على ﴿**ربك**﴾. وجملة ﴿**يبسط**﴾ في محل رفع خبرُ إنّ. ﴿**الرزق**﴾ مفعول به. ﴿**لمن**﴾ متعلق بيبسط. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير مثل الأول. والجملة صلة مَنْ. ﴿**ويقدر**﴾ معطوف على يبسط. وجملة ﴿**إن ربك يبسط**﴾ تعليل. ﴿**إنه**﴾ إن واسمها. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على ربك. ﴿**بعباده**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**خبيرا بصيرا**﴾ خبران لكان. وجملة كان في محل رفع خبرُ إن.

وجملة ﴿**إنه كان**﴾ تعليل لجملة إن ربك يبسط... ولا تقتلوا أولادكم فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهى وواو العطف. ﴿**خشية**﴾ مفعول لأجله منصوب بالفتحة. ﴿**إملاق**﴾ مضاف إلى خشية. ﴿**نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**نرزقهم**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**وإياكم**﴾ معطوف على الضمير المفعول. وجملة ﴿**نحن نرزقهم وإياكم**﴾ تعليل للنهى. ﴿**إن قتلهم**﴾ إن واسمها. ﴿**كان**﴾ اسمها ضمير يعود على القتل. ﴿**خطئا**﴾ خبر كان. ﴿**كبيرا**﴾ نعت له. وجملة كان في محل رفع خبر إن. وجملة ﴿**إن قتلهم كان...**﴾ تعليل آخر. ﴿**ولا تقربوا الزنى**﴾ مثل ﴿**ولا تقتلوا أولادكم**﴾ في الإعراب.

﴿**إنه كان فاحشة**﴾ مثل إنه كان خطئا. ﴿**وساء**﴾ فعل ماض معطوف على ﴿**إنه كان فاحشة**﴾. والفاعل ضمير يعود على الزنى. ﴿**سبيلا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**ولا تقتلوا النفس**﴾ مثل ﴿**ولا تقتلوا أولادكم**﴾. ﴿**التى**﴾ في محل نصب نعت للنفس. ﴿**حرّم الله**﴾. فعل وفاعل. والجملة صلة التى. ﴿**إلا بالحق**﴾ مستثنى من النهى. ﴿**ومن**﴾ اسم شرط جازم اتصل بها واو العطف. ﴿**قتل**﴾ فعل ماضٍ مبنى للمجهول في محل جزم فعل الشرط. ونائب الفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**مظلوما**﴾ حال من نائب الفاعل. ﴿**فقد جعلنا**﴾ فعل وفاعل اتصل به حرف التحقيق وفاء الربط. ﴿**لوليه**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**سلطانا**﴾ مفعول به. وجملة ﴿**فقد جعلنا**﴾ في محل جزم جواب الشرط. ﴿**فلا يسرف**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والفاء للتفريع. والفاعل ضمير يعود على الولى. ﴿**فى القتل**﴾ متعلق بالفعل قبله.

﴿**إنه**﴾ إن واسمها. ﴿**كان**﴾ اسمها مستتر. ﴿**منصوراً**﴾ خبرها. وجملة كان خبرُ إن. وجملة ﴿**إنه كان منصورًا**﴾ تعليل للكف عن الإسراف في القتل. ﴿**ولا تقربوا مال**﴾ مثل ﴿**ولا تقتلوا النفس**﴾. ﴿**اليتيم**﴾ مضاف إلى مال. ﴿**إلا بالتى**﴾ مستثنى من النهى عن القرب. ﴿**هى**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أحسن**﴾ خبر المبتدإ. والجملة صلة التى. ﴿**حتى يبلغ**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى. والفاعل ضمير يعود على اليتيم. ﴿**أشده**﴾ مفعول به. ﴿**وأن**﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحتى متعلق بقوله: ﴿**لا تقربوا**﴾ والمعنى لا تتعدوا

على مال اليتيم واحفظوه له إلى بلوغه مبلغ الرجال. ﴿**وأوفوا**﴾ هذا أمر معطوف على ما قبله من النهي. ﴿**بالعهد**﴾ متعلق بأوفوا. ﴿**إن العهد**﴾ إن واسمها. ﴿**كان**﴾ اسمها مستتر. ﴿**مسؤولا**﴾ خبرها.

وجملة كان خبرُ إن. وجملة ﴿**إن العهد...**﴾ تعليل للأمر. ﴿**وأوفوا**﴾ معطوف على الأمر قبله. ﴿**الكيل**﴾ مفعول به. ﴿**إذا كِلْتُمْ**﴾ جملة شرطية. وجوابها يدل عليه ما قبلها. ﴿**وزنوا**﴾ معطوف على الأمر قبله. ﴿**بالقسطاس**﴾ متعلق بزنوا. ﴿**المستقيم**﴾ نعت للقسطاس. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**خير**﴾ خبره. ﴿**وأحسن**﴾ معطوف على خير. ﴿**تأويلا**﴾ منصوب على التمييز. وجملة ذلك خير جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ﴿**ولا تقف**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. وعلامة جزمه حذف حرف العلة. والواو للعطف. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**ليس**﴾ فعل ماضٍ ناقص. ﴿**لك**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. ﴿**به**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**علم**﴾ اسم ليس مؤخر. وجملة ليس واسمها وخبرها صلة ما.

﴿**إن السمع**﴾ إن واسمها. ﴿**والبصر والفؤاد**﴾ معطوفان على السمع. كل مبتدأ. ﴿**أولئك**﴾ في محل جر مضاف إلى كل. كان اسمها ضمير مستتر. عنه متعلق بما بعده: ﴿**مسؤولا**﴾ خبر كان وجملة كان عنه مسؤولا خبر المبتدإ. وجملة ﴿**كل أولئك كان عنه مسؤولا**﴾ خبرُ إنّ. وجملة ﴿**إن السمع**﴾. تعليل. ﴿**ولا تمش**﴾ معطوف على قوله: ﴿**ولا تقف**﴾. وهو مثله في الإعراب. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**مرحا**﴾ منصوب على الحال من فاعل ولا تمش. إنك إن واسمها. ﴿**لن تخرق**﴾ فعل مضارع منصوب بلن والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**الأرض**﴾ مفعول به. وجملة ﴿**لن تخرق الأرض**﴾ خبرُ إنّ.

وجملة إنك... تعليل. ﴿**ولن تبلغ الجبال**﴾ معطوف على قوله ﴿**لن تخرق الأرض**﴾. ﴿**طولا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**كل ذلك**﴾ مثل كل أولئك. ﴿**كان سيئة**﴾ جملة كان واسمها وخبرها خبر المبتدإ. ﴿**عند ربك**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**مكروها**﴾ خبر ثان لكان. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**مما**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**أوحى**﴾ فعل ماضٍ. ﴿**إليك**﴾ متعلق بأوحى. ﴿**ربك**﴾ فاعل أوحى. ﴿**من الحكمة**﴾ متعلق بأوحى. ﴿**ولا تجعل**﴾ معطوف على ما سبقه من

النواهي. ﴿**مع**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى مع. ﴿**إلها**﴾ مفعول به. ﴿**آخر**﴾ نعت له. ﴿**فتلقى**﴾ منصوب في جواب النهى بفاء السببية. ﴿**فى جهنم**﴾ متعلق بتلقى. ﴿**ملوما مدحورا**﴾ حالان من نائب فاعل تلقى. وهو ضمير المخاطب.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى...**﴾ سميت هذه السورة بثلاثة أسماء: سورة سبحان؛ لابتدائها به. وسورة الإسراء؛ لذكر الإسراء في أولها. وسورة بني إسراءيل؛ لذكر ما وقع وما سيقع لهم... ومناسبة الربط بالسورة التي قبلها: أن البيت الذي أسرى منه والمسجد الذي أسرى إليه من تراث الرسل الذين بنوا هذين المسجدين، وفي مقدمتهم إبراهيم الذي أمر الله رسوله محمدا باتباع ملته في آخر السورة التي ربطت بها هذه السورة... فيجئ الربط متناسقا بين الرسل جميعا وبين مساجد الله، وهما مسجد مكة ومسجد القدس... فالرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير، تربط بين عقائد التوحيد من لدن إبراهيم إلى محمد خاتم النبيئين المجدد لهذا الدين القويم.

وتربط بين الأماكن المقدسة ربط الجديد بالقديم. فكانت هذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله، واشتمال رسالته على هذه المقدسات، وارتباط رسالته بها جميعا... فهى رحلة ترمز إلى أبعد من حدود الزمان والمكان، وتشمل آمادا وآفاقا أوسع من الزمان والمكان، وتتضمن معانى أكبر من المعانى القريبة التي تنكشف عنها للنظرة الأولى. ولهذا كان البحث في هذا المقام يحتاج إلى تعمق وتأمل واستقصاء... فلا تجدى النظرة العابرة ومجرد سرد العبارات وذكر الحكايات... فمن هنا نعلم حكمة الإتيان بكلمة الافتتاح ـ كلمة التسبيح ـ من دون سبق كلام متضمن ما يجب تنزيه الله عنه... فهو يؤذن بأن خبرا عجيبا يستقبله السامعون دالا على عظيم القدرة من المتكلم، ورفيع منزلة المتحدث عنه.

والتعبير عن الذات العلية بطريق الموصول دون الاسم العَلَم للتنبيه على ما

تفيده صلة الموصول من الإيماء إلى وجه هذا التعجيب والتنويه وسببه. وهو ذلك الحادث العظيم والعناية الكبرى... ففى ذلك إدماج لرفعة قدر محمد - صلى الله عليه وسلم - وإثبات أنه رسول من الله، وأنه أوتى من دلائل صدق دعوته مالا قبل لأحد بإنكاره... فقد كان إسراؤه اطلاعا له على غائب من الأرض. وهو أفضل مكان بعد المسجد الحرام. وفي التعبير بكلمة أسرى دون سرى لطيفة تناسب المقام هنا، وهي التلويح إلى أن الله كان مع رسوله في إسرائه بعنايته وتوفيقه. والمراد بعبده رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - والإضافة إضافة تشريف.

وتنكير ﴿**ليلا**﴾ للتعظيم، ولإفادة السر الذي يكنه هذا الليل البهيم!. ووصف المسجد الأقصى بأنه ﴿**الذى باركنا حوله**﴾ وصف يرسم البركة حافة به فائضة عليه... وفائدة ذكر مبدإ الإسراء ونهايته: من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الإيماء إلى أن الله يجعل هذا الإسراء رمزا إلى أن الإسلام جمع ما جاءت به شرائع التوحيد والحنيفية من عهد إبراهيم الصادر من المسجد الحرام إلى ما تفرع عنه من الشرائع التي كان مقرها بيت المقدس... ثم إلى خاتمتها التي ظهرت من مكة أيضا... فقد صدرت الحنيفية من المسجد الحرام، وتفرعت في المسجد الأقصى... ثم عادت إلى المسجد الحرام كما عاد الإسراء إلى مكة؛ لأن كل سرى يعقبه تأويب! وبذلك حصل رد العجز على الصدر. ومن هنا يظهر مناسبة نزول التشريع الاجتماعى في هذه السورة في الآيات المتفتحة بقوله تعالى: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه... إلى قوله: ﴿**ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة**﴾. كما سيجئ مفصلا.

وتسمية المسجد الحرام مسجدا باعتبار ما كان في زمن الأنبياء أما في وقت نزول القرآن فلم يكن هناك مسجد بالمعنى المتعارف الآن... فقد كان خرابا يبابا. وبناه المسلمون فيما بعد على الحال التي عليها الآن. وتسميته بالمسجد الأقصى تسمية قرآنية وهي إشارة خفية إلى أنه سيكون مسجدا بأكمل حقيقة المساجد. وهو الآن تحت تصرف اليهود!.. وقوله: ﴿**لنريه من آياتنا**﴾ تعليل الإسراء بإرادة إراءة الآيات الربانية... وإنما اقتصر في التعليل على إراءة الآيات؛ تلك العلة أعلق بتكريم المُسْرى به والعناية بشأنه... وفي تغيير الأسلوب من

الغيبة التي في اسم الموصول وضميريه إلى التكلم في قوله: ﴿**باركنا**. . .﴾ و﴿**لنريه من آياتنا**﴾، سلوك لطريقة الالتفات المتبعة كثيرا في كلام البلغاء. والالتفات هنا امتاز بلطائف: منها أنه لما استحضرت الذات العلية بجملة التسبيح وجملة الموصولية صار مقام الغيبة مقام مشاهدة فناسب أن يغير الإضمار إلى ضمائر المشاهدة وهو مقام التكلم، ومنها الإيماء إلى النبئ عند حلوله بالمسجد الأقصى قد انتقل من مقام الاستدلال على عالم الغيب إلى مقام مصيره في عالم المشاهدة. ومنها التوطئة والتمهيد إلى محمد معاد الضمير في قوله: ﴿**إنه هو السميع البصير**. . .﴾ فيتبادر عود ذلك الضمير إلى غير من عاد إليه ضمير نريه؛ لأن الشأن تناسق الضمائر. . . فقوله: ﴿**إنه هو السميع البصير**﴾، الأظهر أن الضميرين عائدان إلى النبئ، على ما اسْتَقْرَبَه بعضُ المفسرين.

وجمهرةُ المفسرين أنه عائد إلى الله. . . فلعله احتمالهُ لمعنيين مقصود؛ وقد تجئ الآيات محتملة عدة معان. واحتمالها مقصود تكثير المعانى في القرآن؛ ليأخذ كل منه على مقدار فهمه والتعليل على اعتبار مرجع الضمير إلى النبئ أوقع. . . ثم إن الصفتين على تقدير كونهما للنبئ هما على أصل اشتقاقهما للمبالغة في قوة سمعه وبصره وقبولهما لتلقى تلك المشاهدات المدهشة؛ على حد قوله: ﴿**ما زاغ البصر وما طغى**﴾ كما سيأتى في ذكر المعراج. . . ﴿**وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لنبى إسراءيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على الآية التي قبلها؛ للانتقال إلى غرض آخر لمناسبة ذكر المسجد الأقصى. . . فإن أطوار المسجد الأقصى تمثل ما تطور به حال بنى إسراءيل في تاريخهم من أطوار الصلاح والفساد. والنهوض والركود؛ ليعتبر بذلك المسلمون فيقتدوا أو يحذروا.

وقد ناسبت حالة محمد بالإسراء به ليلا حالة موسى حين أوتى النبوءة ليلا. . . فالكتاب التوراة وحض بنى إسراءيل لأنهم المخاطبون بشريعة التوراة. وفسر هدى الكتاب بأن لا تتخذوا من دونى وكيلا. . . فكان الخطاب مباشرة من الله إليهم. . . فهو التفات مقصود منه التحذير والتهديد. . . ﴿**ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا**﴾: هذه الآية فصلت عما قبلها فلم تعطف. . . فهى اختصاص تبين ما عليه اليهود من البُعْد عن ذريّة نوح الذين نجوا معه بسبب شكره وشكرهم نعمة الله التي أنعم الله بها عليهم. واليهود يدّعون إلى اليوم أنهم من

ذرية سام بن نوح. ويعتزون بانتسابهم إلى السامية ويتبجحون باختصاصهم بها.

﴿**وقضينا إلى بنى اسراءيل في الكتاب لتفسدن في الأرض. مرتين ولتعلن علوا كبيرا**﴾: هذه الآية وصلت بما قبلها بالعطف على قوله: ﴿**وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسراءيل...**﴾ وهو انتقال إلى الكلام على ما يحدث لبنى إسراءيل من أحداث ووقائع تتعلق بهم وبأمم العالم أجمع. والقضاء إلى بنى إسراءيل إشارة إلى ما سيقع منهم. والكتاب الذي أشار إلى هذه الأحداث هو القرآن.

وهو الكتاب الذي لم يترك شيئا من أحداث بنى إسراءيل في القديم والحديث من تاريخهم الطويل. وواجههم مواجهة صريحة أنهم يفسدون في الأرض مرتين مع علوهم وتجبرهم وتكبرهم على دعوة الإسلام عندما دعاهم إلى الكلمة السواء: ﴿**يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون...**﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي حذرت اليهود من مغبة موقفهم وما عليه من الفساد والإفساد... فكانت المجابهة الأولى مع من وقف معارضا لهذه الدعوة وكان اليهود في مقدمتهم... وتحقق فيها نصر المؤمنين حتى فتحوا الفتوحات التي كانت مضرب الأمثال... ﴿**فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا...**﴾ فهذا الوعد الذي جاء به الكتاب وأشير فيه بنى إسراءيل بما سيكون منهم... فهو الوعد الذي لا بد أن يتحقق ويظهر للناس حسبما وعد به هذا الكتاب.

﴿**ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا**﴾: ثم بعد ما يفسد من يأتى بعد عباد الله الفاتحين من الصحابة والتابعين؛ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا متفرقين فأهملوا تعاليم القرآن وقلدوا آراء الأَحْبَارِ والرهبان... فسلط الله عليهم أهل الكفر والطغيان بزعامة اليهود الذين استغلوا الفرصة بضعف المسلمين. فأصبح المال في أيديهم. والشباب تحت تصرفهم والعالم يأتمر بأمرهم: يتعلم عليهم ويتبع دينهم ـ عبادة عجل الذهب... وسيادة الحاخامات في كل مذهب... فهم الآن سادة العلم وخزائن المال.

وقادة الأمم في السياسة والاقتصاد والاجتماع الخاص والعام... وهذه

التوجيهات لم نَرَ ولم نسمع من أشار إليها ولا تنبأ بها مما رأيت من كتب التفسير المشهورة ولكنّ نص الآيات وما حدث من وقائع التاريخ. وما أشير إلى هذه الوقائع من أحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من التحذير من الدجال المرموز به من إفساد اليهود في الأرض حتى يأتى أمر الله بنهاية إفسادهم وقطع دابرهم... حتى إن الحجر يشير إلى المسلم بأن وراءه يهوديا فليأت ليقتله!. فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا. وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تبيرا: وعد المرة الآخرة لمَّا يجِيءْ ولكنه سوف يجئ طال الأمد أو قصر... فهو وعد الله ووعد رسوله بشّر به المؤمنين ولكنه حذرهم من الضعف والاستكانة وحب الدنيا وكراهة الموت وأنذرهم من الأكلة الذين يأكلونهم بعدما يتداعون إليهم تداعى الأكلة إلى قصعتها... ففى نهاية الأمر الغلبة للمؤمنين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.

وهو قوله تعالى في الآيتين: ﴿**إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها... عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا...**﴾ وفي النهاية يأتى الحكم الفاصل الحازم الحاسم... فَيَلْقِى كُلٌّ مصيره حسب الوعد الصادق والقاطع الجازم... ﴿**وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا إن هذا القرآن يهدى للتى هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما**﴾. إن هذا القرآن جاء هداية شاملة لجميع الناس. فمن اتبع هداه فاز في الدنيا والآخرة. ومن أعرض عنه وأنكر ما جاء به فستكون عاقبته ذل الدنيا وعذاب الآخرة.

ومن هذا البيان وضحت طريق الإنسان في الحياة. فإما إلى النعيم المقيم، وإما إلى العذاب الأليم. ﴿**ويدعوا الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على الآية التي قبلها لما فيها من البشارة للمؤمنين والنذارة للذين لا يؤمنون بالآخرة من الكافرين. جاءت هذه الآية تقرّر حقيقةً غفل عنها الإنسان بما فيه من ضعف وعجلة وهلع مما يلاقيه من أحداث الزمان واستغل الشيطان هذه الغرائز فورّطه في الكفر والعصيان... فأنكر حقائق القرآن وما فيه من الدلائل بالحجة والبرهان!. فها هي آيات الليل والنهار تهدى الإنسان كما هداه هذا القرآن: ﴿**وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا**

آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب...﴾ فهذه الآية موصولة بالعطف على الآية التي قبلها. والمناسبة أن جملة **﴿ويدعوا الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾** تتضمن أن الإبطاء في تأخير الوعد لا يرفعه، وأن الاستعجال لا يجدى صاحبه؛ لأن لكل شئ أجَلاً، وإنّما كان الأجل عبارة عن أزمان كان مشتملا على ليل ونهار منقضيين... فلما أريد التنبيه على ذلك أدمج فيه ما هو أهم في العبرة بالزمنين. وهو كونها آيتين على وجود الصانع وعظيم القدرة. وكونهما مِنَّتين على الإنسان، وفي هذا بعد ذلك كله إيماءٌ إلى ضرب مثل للإيمان والكفر والهدى والضلال.

وكل هذا الإدماج تزويد للآية بوافِر المعانى شأن بلاغة القرآن وإيجازه. وتفريع جملة **﴿فمحونا آية الليل﴾** اعتراض وقع بالفاء بين جملة وجعلنا الليل والنهار، وبين متعلقة وهو **﴿لتبتغوا﴾**. وآية الليل القمرُ... وآية النهار الشمس التي تُظْهِرُ الأشياء... ثم بيّن الحكمة من هذين الآيتين: **﴿لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾**. وجاء التعليل لحكمة آية النهار خاصة دون ما يقابلها من حكمة الليل لأن المنّة بها أوضح. ولأن من التنبيه إليها يحصل التنبيه إلى ضدها وهي حكمة السكون في الليل. وجملة **﴿وكل شئ فصلناهِ تفصيلاً﴾** تذييل لقوله: **﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾** باعتبار ما سِيق له من الإشارة إلى أن للشر والخير الموعود بهما أجلا ينتهيان إليه. **﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا﴾**.

﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾: وصل هذا الكلام بالعطف على ما قبله عطف خاص على عام للاهتمام بهذا الخاص. والطائر هنا أطلق على الحظ من العمل مثل ما يطلق اسم السهم على حظ الإنسان من لشيءً ما. وإلزام الشئ في العنق كناية عن المصاحبة الثابتة غير المفارقة. وعطْفُ جملة **﴿ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا﴾** إِخْبَارٌ. عن كون تلك الأعمال المعبر عنها بالطائر تظهر يوم القيامة مفصلة معينة لا تغادر منها صغيرةٌ ولا كبيرةٌ إلا أُحْصِيتْ للجزاء عليها. ومعنى **﴿يلقاه﴾**؛ يجده، استعير فعل يلقى لمعنى يجد تشبيها لوجدان النسبة بلقاء الشخص. والنشر كناية عن سرعة اطلاعه على جميع ما عمله. وجملة **﴿اقرأ كتابك﴾** مقول قول محذوف دل عليه السياق.

والأمر في ﴿**اقرأ**﴾ مستعمل في التسخير، ومُكنِّى به عن الإعذار لهم والاحتجاج عليهم، كما دل عليه قوله: ﴿**كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا. من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾: هذه الجملة بيان لجملة ﴿**وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه**﴾. وفيه تبيين اختلاف الطائر بين نافع وضار... فطائر الهداية نفْعٌ لصاحبه. وطائر الضلال ضرٌّ لصاحبه. ولكون الجملة بيانًا لما قبلها فصلت ولم تعطف. وجملة ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ واقعة موقع التعليل لمضمون ما قبلها.

ولما كان مضمون هذه الجملة معنى مهما اعتبر إفادة أخرى جديدة... فلذلك عطفت الجملة ولم تفصل. وقد روعى فيها إبطال أوهام قوم يظنون أن أوزارهم يحملها عنهم غيرهم مثل أهل الكتاب والمشركين من زعمائهم. وكان ذلك قد يروج على دهمائهم؛ لأنهم اعتادوا بالحملات والكفالات والرهائن... فبيّن اللهُ للناس إبطال ذلك إنقاذا لهم من الاغترار به الذي يهوى بهم إلى المهالك. مع ما في هذا البيان من تعليم أصْلٍ عظيم في الدين. مثل ما سبق من قوله: ﴿**إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها...**﴾ فكان هذا أصلا عظيما في الشريعة وتفرع عنه أحكام كثيرة. ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾: هذه الآية وصلت بالعطف على الآيات قبلها زيادة في الاستقصاء في الإعذار لأهل الضلال على النفى مؤاخذتهم بأجرام غيرهم، ولهذا اقتصر على قوله: ﴿**وما كنا معذبين**﴾ دون أن يقال: ولا مثيبين. لأن المقام مقامُ إعذار وقطع حجة... والعذاب هنا عذاب الدنيا بقرينة السياق، وقرينة. عطف ﴿**وإذا أردنا أن نهلك قرية...**﴾ الآية، ودلّت على ذلك آياتٌ كثيرةٌ.

فدلت الآية على أن الله لا يؤاخذ الناس إلا بعد أن يرشدهم رحمة منه لهم، وهي دليل بيّنٌ على انتفاء مؤاخذة أحدٍ ما لم تبلغه دعوة رسول من الله إلى قومه. ﴿**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا**﴾: هذا تفصيل للحكم المتقدم قصد به تهديد قادة قريش والمشركين من العرب، وتحميلهم تبعة ضلال الذين أضلوهم... وهو تفريع لتبيين أسباب حلول التعذيب بعد بعثة الرسول: أدمج فيه تهديد المضلين فكان مقتضى الظاهر أن يعطف بالفاء... ولكنه عطف بالواو للتنبيه على أنه خبر مقصود لذاته... فهذه

الآية تهديد للمشركين من أهل مكة، وتعليم للمسلمين؛ لما فيها من القاعدة العامة الدائمة لكل من ينحرف عن تعاليم هذا القرآن الذي جاء به هذا الرسول والمعنى أن بعثة الرسول تتضمن أمرا بشرع، وأن سبب إهلاك المُرسل اليهم بعد أن يبعث إليهم الرسول هو عدم امتثالهم لما يأمرهم الله به على لسان ذلك الرسول واعلم أن تصدير هذه الآية بإذا أوجب استغلاق المعنى في الربط بين جملة شرط إذا وشرط جوابه؛ لأن شأن إذا أن تكون ظرفا للمستقبل وتتضمن معنى الشرط فاقتضى ظاهر موقع إذا أن قوله: ﴿**أمرنا مترفيها**﴾ جواب إذا، فيقتضى ذلك أن ارادة الله تتعلق بإهلاك القرية إبتداءً... فيأمر الله مترفى أهل القرية فيفسقوا فيها فيحق عليها القول الذي هو مظهر إرادة الله إهلاكهم. مع أن مجرى العقل يقتضى أن يكون فسوق أهل القرية وكفرهم هو سبب وقوع إرادة الله إهلاكهم، وأن الله لا تتعلق إرادته بإهلاك قوم إلا بعد أن يصدر منهم ما توعّدهم عليه لا العكس.

وليس من شأن الله أن يريد إهلاكهم قبل أن يأتوا بما يسببه. ولا من الحكمة أن يسوقهم إلى ما يفضى إلى مؤاخذتهم ليحقق سبَبًا لإهلاكهم. وقرينة السياق واضحة في هذا... فلنا أن نجعل الواو عاطفة فعل أمرنا مترفيها على ﴿**نبعث رسولا**﴾ فإن الأفعال يعطف بعضها على بعض سواء اتّحدت في اللوازم أم اختلفت. فيكون أصل نظم الكلام هكذا: وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ونأمر مترفى قرية بما نأمرهم به على لسان الرسول فيفسقوا عن أمرنا فيحق عليهم الوعيد فنهلكهم إذا أردنا إهلاكهم. وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا: هذه الآية ضرب مثال لإهلاك القرى الذي وصف سببه وكيفيته في الآية السابقة. فَعَقّبَ ذلك بتمثيله؛ لأنه أشد في الكشف وأدخل في التحذير المقصود.

وفي ذلك تحقيق لكون حلول العذاب بالقرى مقدما بإرسال الرسول إلى أهل القرية... ثم تتوجه الأوامر إلى المترفين. ثم فسقهم عنها. وكان زعماء الكفر من قوم نوح مترفين. كما هو معلوم. فكان مقتضى الظاهر عطف هذه الآية بالفاء؛ لأنها كالفرع على الآية قبلها... ولكنها عطفت بالواو إظهارًا لاستقلالها بوقع التحذير من جهة أخرى فكان ذلك تخريجا على خلاف مقتضى الظاهر لهذا الاعتبار المناسب. وكم في الأصل استفهام عن العدد. وتستعمل خبرية دالة على

عدد مبهم النوع. فمن القرون تمييز للإبهام. والقرون الأجيال الكثيرة وتخصيص من بعد نوح إيجاز؛ كأنه قيل: من قوم نوح فمن بعدهم... فقوم نوح هم أول من وقع عليه عذاب الاستئصال. وجملة ﴿**وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا**﴾ إقبال على خطاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالخصوص؛ لأن كل ما سبق من الوعيد والتهديد إنما مآله إلى حمل الناس على تصديق محمد فيما جاء به من هذا القرآن بعد أن لجُّوا في الكفر وتفنّنوا في التكذيب... فلا جرم ختم ذلك بتطمينه بأن الله مطلع على ذنوب القوم... ﴿**من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا. ومن أراد الأخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا**﴾: هذا بيان لجملة ﴿**من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه..**﴾ وهو راجع أيضا إلى جملة ﴿**وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه..**﴾ تدريجا في التبيان للناس بأن أعمالهم من كسبهم واختيارهم... ثم كشف لهم مقاصدهم من أعمالهم، وأنهم قسمان: قسم لم يرد إلا الدنيا... فكانت أعماله لمرضاة شهواته معتقدا أن الدنيا هي قَصَارَى مرتعِ النفوس لا حظّ لها إلا ما حصل لها في الحياة؛ لأنه لا يؤمن بالبعث. وقسم علم أن الفوز الحق هو فيما بعد هذه الحياة فعمل للآخرة.

فمعنى ﴿**من كان يريد العاجلة**﴾: أنه لا يريد إلا العاجلة. بقرينة مقابله بقوله: ومن أراد الآخرة. فهذه المقابلة تقوم مقام الحصر الإضافى؛ والإتيان بفعل الكون هنا مؤذن بأن ذلك ديدنه وقصارى همه؛ ولذلك جعل خبر كان فعلا مضارعا لدلالته على الاستمرار. زيادة تحقيق لتمحض إرادته في ذلك وقوله ﴿**عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد**﴾ جواب الشرط. والتعجيل مقيد بالإرادة؛ والمعنى أن هذا الفريق الذي يريد الحياة الدنيا فقط قد نعطى بعضهم بعْضَ ما يريد على حسب مشيئتنا وإرادتنا لأسباب مختلفة... ثم بيّن مصير هذا الفريق بقوله: ﴿**ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا**﴾.

والاختلاف بين جملة ﴿**من كان يريد العاجلة**﴾ وجملة ﴿**ومن أراد الآخرة**﴾ يجعل الفعل مضارعا في الأولى وماضيا في الثانية للإيماء إلى أن إرادة الناس العاجلة متكررة متجددة. وجعل فعل إرادة الآخرة ماضيا لدلالة المضى على الرسوخ تنبيها على أن خير الآخرة أولى بالإرادة. وما شرط في ذلك إلا أن يسعى

للآخرة سعيا وأن يكون مؤمنا. وفي الآية تنبيه على أن إرادة خير الآخرة من غير سعي غرور. وجيء بجملة ﴿**وهو مؤمن**﴾ من اسمية لدلالتها على الثبات والدوام. والإتيان باسم الإشارة في... ﴿**فأولئك كان سعيهم مشكورا**﴾ للتنبيه على أن المشار إليهم جديرون بما سيخبر به عنهم. والتعبير بكان للدلالة على أن الوصف تحقق من قبل ذكر اسم الإشارة.

وقد جمع كون السعي مشكورا خيرات كثيرة يطول تفصيلها لو أريد تفصيله. ﴿**كُلًّا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا**﴾ فصلت الآية عما قبلها؛ لأنها فذلكة للتنبيه على أن الله تعالى لم يترك خلقه من أثر رحمته حتى الكفرة منهم الذين لا يؤمنون بلقائه... فقد أعطاهم من نعمة الدنيا على حسب ما قدّر لهم. وأعطى المؤمنين خيرى الدنيا والآخرة. وتنوين كلا تنوين عوض عن المضاف إليه والإشارة بهؤلاء في الموضعين إلى ﴿**من كان يريد العاجلة ومن أراد الآخرة**﴾. وجملة ﴿**وما كان عطاء ربك محظورا**﴾ تذييل مقرر لما قبله. ﴿**انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا**﴾: لما كان العطاء المبذول للفريقين هو عطاء الدنيا وكان الناس مفضلين فيه على وجه يدركون حكمته لفت الله لذلك نظر تبين لفْتَ اعتبارٍ وتدبُّر.

ثم ذكّره بأن عطاء الآخرة أعظم عطاء... وقد فضل الله به المؤمنين والمقصود من هذا التنظير التنبيه إلى أن عطاء الدنيا غير متوط بصلاح الأعمال... فالدرجات مستعارة لعظمة الشرف. والمعنى: النعمة في الآخرة أعظم من نعم الدنيا. ﴿**لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا**﴾: توجيه هذا الخطاب للنبئ ولكل مخاطب تعريض بالمشركين لأنهم متلبسون بالذم والخذلان. ﴿**وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه**﴾ وصل هذا الكلام بما قبله بالعطف عطف غرض على غرض تخلصا إلى أعمدة من شريعة الإسلام... وافتتحت هذه الأحكام بفعل القضاء اهتماما به، وأنه مما أمر الله به أمرا جازما وحكما لازما.

وهذا القضاء فسر بما بعد أن... فابتدئ هذا التشريع بذكر أصل الشريعة كلها. وهو توحيد الله. فذلك تمهيد لما سيذكر بعده من الأحكام. ﴿**وبالوالدين إحسانا**﴾: هذا أصل ثانٍ من أصل الشريعة. وهو بر الوالدين والتعبير بالوالدين أبلغ من التعبير إلى الوالدين؛ لأن الباء للتمكين، وإلى لمجرد التوصيل وجملة

﴿**إما يبلغن**﴾ بيان لجملة ﴿**إحسانا**﴾ والخطاب لغير معين... فيعم كل مخاطب بقرينة العطف على ﴿**الا تعبدوا إلا إياه**﴾ وليس خطابا للنبيء؛ إذ لم يكن له أبوان يومئذ... وإيثار ضمير المفرد هنا دون ضمير الجمع؛ لأنه خطاب يختص بمن له أبوان من بين الجماعة المخاطبين... فكان الإفراد أنسب به.

ووجه تعدد فاعل يبلغن مظهر دون جعله بضمير التثنية الاهتمام بتخصص كل حالة من أحوال الوالدين بالذكر. وأكد فعل الشرط بنون التوكيد لتحقيق الربط بين مضمون الجواب ومضمون الشرط في الوجود. وجملة ﴿**فلا تقل لهما أف**﴾ جواب الشرط. وليس المقصود من النهى عن أن يقول لهما ﴿**أفٍّ**﴾ خاصة... وإنما المقصود النهى عن الأذى الذي أقله الأذى باللسان بأوجز كلمة وبأنها غير دالة على أكثر من حصول الضجر لقائلها دون شَتْم أو ذم... فيُفهم منه النهى مما هو أشد أذى بطريق فحوى الخطاب بالأَوْلى. ﴿**ولا تنهرهما**﴾، ثم عطف عليه النهى عن نهرهما لئلا يُحسب أن ذلك تأديب لصلاحهما وليس بالأذى. ﴿**وقل لهما قولا كريما**﴾. ثم أمر بإكرام القول لهما.

وبهذا الأمر انقطع العذر بحيث إذا رأى الولد أن ينصح لأحد أبويه أو أن يحذره مما قد يضر به أدّى إليه ذلك بقَوْلٍ ليِّن حسنِ الوقْع. ثم ارتقى في الوصاية بالوالدين إلى أمر الولد بالتواضع لهما تواضعا يبلغ حد الذل لهما لإزالة وحشة نفوسهما إن صارا في حاجة إلى معونة الولد؛ ﴿**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**﴾. وصيغ التعبير عن التواضع بتصويره في هيئة تذلل الطائر عندما يعتريه خوف من طائر أشد منه... ففى التركيب استعارة مكنية. والجناح تخييل ومجموع هذه الاستعارة تمثيل. ثم أمر بالدعاء لهما: ﴿**وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا**﴾.

فهذا انتقال بديع من قوله: ﴿**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**﴾ إلى قوله: ﴿**وقل رب ارحمهما...**﴾ فكان ذكر رحمة العبد مناسبة للانتقال إلى رحمة الله. وتنبيهًا على أن التخلق بمحبة الولد الخير لأبويه يدفعه إلى معاملته إياهما به فيما يعلمانه، وفيما يخفى عنهما حتى فيما يصل إليهما بعد مماتهما. وفي الآية إيماء إلى أن الدعاء لهما مستجاب؛ لأن الله أذن فيه... والكاف في قوله: ﴿**كما...**﴾ للتشبيه المجازى. يعبر عنه بمَعنى التّعْلِيلِ في الكاف، كما في قوله:

﴿**واذكروه كما هداكم، ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا**﴾: هذه الآية تذييل لآية الأمر بالإحسان بالوالدين وما فصل به، وما يقتضيه الأمر من اختلاف أحوال المأمورين بهذا الأمر قبل وروده بين موافق لمقتضاه ومفرط فيه، ومن اختلاف أحوالهم بعد وروده من محافظ على الامتثال ومقصر عن قصد أو عن بادرة غفلة. ولمّا كان ما ذكر في تضاعيف ذلك وما يقتضيه يعتمد خلوص النية ليجرى العمل على ذلك الخلوص كامِلاً لا تَكَلُّف فيه ولا تكاسل... فلذلك ذيّله بأنه المطلع على النفوس والنوايا. فوعد الولد بالمغفرة له إن هو أدّى ما أمره الله به لوالديه وافيا كاملا، وهو مما يمَثله الصلاح في قوله: ﴿**إن تكونوا صالحين**﴾.

وغير أسلوب الضمير فعاد إلى ضمير جمع المخاطبين؛ لأن هذا يشترك فيه الناس كلهم. فضمير الجمع أنسب به. ولمّا شمل الصلاح الصلاح الكامل والصلاح المشوب بالتقصير. ذيّله بوصف الأوابين المفيد بعمومه معنى الرجوع إلى الله... ففهم من الكلام معنى احتباك بطريق المقابلة. والتقدير: ﴿**إن تكونوا صالحين**﴾ أوابين إلى الله فإنه كان للصالحين محسنا وللأوابين غفورا. وهذا يعم المخاطبين وغيرهم. وبهذا العموم كان تَذْييلاً. ﴿**وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل**﴾: القرابة كلها متشبعة عن الأبوة. فلا جرم انتقل من الكلام على حقوق الأبوين إلى الكلام على حقوق القرابة. وللقرابة حقان: حق الصلة وحق المواساة.

وقد جمعهما جنس الحق في قوله: ﴿**حقه**...﴾ والعدول عن الخطاب بالجمع... إلى الخطاب بالإفراد... تفنُّنٌ. والإبناء حقيقة في إعطاء الأشياء ومجاز شائع في التمكين من الأمور المعنوية؛ كحسن المعاملة والنصرة... فإطلاق الإيتاء هنا صالح للمعنيين؛ كما هي طريقة القرآن في توفير المعانى وإيجاز الألفاظ وحق المسكين هو الصدقة... وحق ابن السبيل حق الضيافة. ﴿**ولا تبذر تبذيراً. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا**﴾: لما ذكر البذل المحمود وكان ضده معروفا عند العرب أعقبه بذكره للمناسبة... فجملة ولا تبذر تبذيرًا معطوفة على قوله: ﴿**ألا تعبدوا إلا إياه**﴾؛ لأنها من جملة ما قضى به. وذكر المفعول المطلق ﴿تبذيرا﴾ بعد ﴿ولاتبذر﴾ لتأكيد النهي... وجملة إن المبذرين... تعليل للمبالغة في النهى عن التبذير.

والتعريف في المبذرين تعريف الجنس. والإخوان جمع أخ. وهو هنا مستعار للملازم غير المفارق. وقد زيد تأكيد ذلك بلفظ كانوا المفيد أن تلك الأخوة صفة راسخة فيهم. ثم أكد التحذير بجملة ﴿**وكان الشيطان لربه كفورا**﴾. وقد كان التبذير من خلق أهل الجاهلية؛ ولذلك يتمدحون بصفة المتلاف والمهلك المال... فكان عندهم الميسر من أسباب الإتلاف... فحذر الله المؤمنين من التلبس بصفات أهل الكفر، وهي من المذام. وأدبهم بآداب الحكمة والكمال. ﴿**وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على آية ﴿**وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل**﴾؛ لأنه من تمامه وفي هذه الآية توجيه المخاطب إلى المعاملة الحسنة مع الأقارب والمساكين وذوى الحاجة من المستحقين.

﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**﴾. عود إلى بيان التبذير والشح... فالجملة عطف على جملة ﴿**ولا تبذر تبذيرا**﴾. ولولا نحلل الفصل بينهما بقوله: ﴿**واما تعرض عنهم انتفاء رحمة من ربك ترجوها...**﴾ لكانت جملة ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك**﴾ غير مقترنة بواو العطف؛ لأن شان البيان أن لا يعطف على المبين. وأيضا على أن في عطفها اهتماما بها بجعلها مستقلة بالقصد؛ لأنها مشتملة على زيادة على البيان لما فيها من النهى عن البخل المقابل للتبذير، وجاء نظم هذه الآية على طريق التمثيل. وهو تمثيل مبنى على تخيل اليد مصدرا للبذل والعطاء، وتخيل بسطها كذلك وغلها شحًا. وهو تخيل معروف عند البلغاء وقوله: ﴿**فتقعد ملوما محسورا**﴾ جواب لكلا النهيين على التوزيع بطريقة النشر المرتب. فالملوم يرجع إلى النهى عن الشح. والمحسور يرجع إلى النهى عن التبذير.

﴿**إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا**﴾: موقع هذه الجملة موقع اعتراض بالتعليل لما تقدم من الأمر بايتاء ذى القربى... والنهى عن التبذير وعن الإمساك المقيد الأمر بالقصد بأن هذا واجب الناس في أموالهم وواجبهم نحو قرابتهم وجملة ﴿**إنه كان بعباده خبيرا بصيرا**﴾ تعليل لجملة ﴿**إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا**﴾: هذه الآية وصلت بالعطف على الأحكام

السابقة. وهذا هو الحكم السابع منها... وهذا الحكم تقدم في سورة الأنعام بأسلوب: ﴿**ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم...**﴾ وغيّر الأسلوب هنا بقوله ﴿**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم**﴾ فالحكم الأول القتل من الفقر الواقع، والحكم الثانى القتل من خوف الفقر المتوقع... فقدم رزق الآباء على رزق الأولاد في الأول. وقدم رزق الأولاد على رزق الآباء في الثانى.

وجملة ﴿**إن قتلهم كان خطئا كبيرا**﴾ تأكيد للنهى وتحذير من الوقوع في النهى. وفعل كان لتأكيد الجملة. والفرق بين الخِطْءِ والخطأ: أن الخِطء ذنب متعمّدٌ. والخطأ غيرُ متعمّد. ﴿**ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على قوله ﴿**ولا تقتلوا أولادكم**﴾. لمناسبة القتل المعنوى بالقتل الحقيقى... وهو الحكم التاسع من الأحكام التي قضى بها الله في محكم كتابه. والقرب المنهى عنه هو أقل الملابسة. وهو كناية عن شدة النهى عن ملابسة الزنى. وجملة ﴿**إنه كان فاحشة**﴾ تعليل للنهى عن ملابسته تعليلا مبالغا فيه من جهات: بوصفه بالفاحشة الدال على فعلة بالغة الحد الأقصى في القبح وبتأكيد ذلك بحرف التأكيد.

وبإقحام فعل كان المؤذن بأن خبره وصف راسخ مستقر وأتبع ذلك بفعل الذم وهو ﴿**وساء سبيلا**﴾ والسبيل: الطريق. وهو مستعار هنا للفعل الذي يلازمه المرء ويكون له دأبا، استعارة مبنية على استعارة السير للعمل... فالزنى مؤذن لإضاعة الأنساب، ومظنة للتقاتل والتهارج فكان جديرا بتغليظ التحريم قصدا وتوسلا ﴿**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا**﴾: وصلت هذه الآية قبلها تكملة للأحكام هنا وهذا هو الحكم العاشر. ووصفت النفس هنا بالموصول والصلة بمقتضى كون تحريم قتلها مشهورا من قبل هذا النهى.

تنزيل الصلة منزلة المعلوم عند جميع العقلاء غير الجهلاء فهو تعريض بأهل الجاهلية الذين كانوا يستخفون بقتل النفس... واستثنى من عموم النهى القتل المصاحب للحق. وجملة ﴿**ومن قتل مظلوما**﴾ معطوفة على جملة ﴿**ولا تقتلوا النفس...**﴾ عطف قصة على قصة اهتماما بهذا الحكم بحيث جعل مستقلا.

والسلطان للولى بحيث يكون له الحكم على القاتل بحسب ما يرى من قصاص أودية أو عفو. وتفرع عن هذا الحكم حكم عدم التعدى في القتل بأن يقتل غير القاتل أو يطلب أكثر من القاتل.

وجملة ﴿**إنه كان منصورا**﴾ تعليل للكف عن الإسراف في القتل. ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هي أحسن حتى يبلغ أشده**﴾: هذا الحكم الحادى عشر من الأحكام التي قضى الله بها هنا. والآية موصولة بما قبلها بالعطف. وكان العرب في الجاهلية يستحلون أموال اليتامى لضعفهم، ولما فيه من شبه القتل المعنوى ألحقه بالنهى عن قتل النفس. ولما كان حفظ مال اليتيم مطلوبا عطف عليه مطلوبا أعم من كل مطلوب في هذا السياق. وهو قوله: ﴿**وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا...**﴾ وهذا هو الحكم الثانى عشر من الأحكام الداخلة تحت قوله: ﴿**وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم**﴾: هذان الثالث عشر والرابع عشر... وهما الأمر بإيفاء الكيل واستقامة الوزن... وهو من المحافظة على الأموال. التي يجب حفظها كما يجب حفظ الدين والنفس والنسب.

وقد جمعت في هذه الآيات... وجملة ذلك خير مستأنفة. والإشارة إلى المذكور. وهو الكيل والوزن ومعنى كون ذلك أحسن تأويلا أنه يرجع إلى صاحبه بالبركة والنماء بكسب رضى الناس والفوز برضى الله في الدنيا والآخرة. ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم**﴾: معطوف على ما قبله من المنهيات. وهو الحكم الخامس عشر. وهذا الحكم أعم مما قبله؛ لأنه خلاصة ما تقدم. وهو أن لا يقدم المرء على شئ حتى يعلم حكم الله فيه... فيندرج تحت هذا أنواع كثيرة... ومما يشهد على هذا تعليل النهى بجملة ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا**﴾.

وقد صيغت جملة ﴿**كل أولئك كان عنه مسؤلا**﴾ على هذا النظم بتقديم كل الدالة على الإحاطة من أول الأمر. وأتى باسم الإشارة دون الضمير لما في الإشارة من زيادة التمييز. وأقحم فعل كان لدلالته على رسوخ الخبر. والسؤال هنا كناية عن المؤاخذة بالتقصير وتجاوز الحق. ﴿**ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا**﴾: عطفت على ما قبلها من المنهيات وهذا هو الحكم السادس عشر. والمرح مصدر وقع حالا من فاعل ولا تمش للمبالغة... وجملة

﴿إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾. استئناف ناشئ عن النهى بتوجيه خطاب ثان في هذا المعنى على سبيل التهكم. والخطاب هنا لغير معين ليعم كل مخاطب. وليس خطابا للنبئ ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمقصود من التهكم التشيع بهذا الفعل. **﴿كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها﴾**: هذه الآية تذييل مقرر لمضمون الجمل المتقدمة ابتداء من قوله: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه...﴾** باعتبار ما اشتملت عليه من التحذيرات والنواهى... فكل جملة فيها أمر هي مقتضية نهيا عن ضده. وإنما اعتبر ما في المذكورات من معانى النهى لأن الأهم هو الإقلاع عما يقتضيه جميعها من المفاسد بالصراحة أو بالالتزام؛ لأن درء المفاسد أهم من جلب المصالح في الاعتبار، وإن كان مثلا زمين في مثل هذا وقوله: **﴿عند ربك﴾** متعلق بـ **﴿مكروها﴾**. وتقديم هذا الظرف على متعلقه للاهتمام. بالظرف إذ هو مضاف لاسم الله... **﴿ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة﴾**: عدل عن مخاطبة الأمة بضمائر جمع المخاطبين، وضمائر المخاطب غير المعين إلى خطاب النبئ ردا إلى ما سبق في أول هذه الآيات من قوله: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾**. والإشارة إلى جميع ما ذكر من الأوامر والنواهى.

وفى هذا التذييل تنبيه على أن ما اشتملت عليه الآيات هو من الحكمة، تحريضا على اتباع ما فيها، وأنه خير كثير. وفيه امتنان على النبئ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن الله أوحى إليه... فذلك وجه قوله: **﴿مما أوحى إليك...﴾** تنبيها على أن مثل ذلك لا يصل إليه الأميون لولا الوحى من الله. وأنه علمه ما لم يكن يعلم، وأمره أن يعلمه الناس. **﴿ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا﴾**: عطف على جمل النهى المتقدمة. وهذا تأكيد لمضمون جملة **﴿ألا تعبدوا إلا إياه﴾**. أعيد لقصد الاهتمام بأمر التوحيد بتكرير مضمونه وبما رتب عليه من الوعيد بأن يجازى بالخلود في النار مهانا. ومن بلاغة هذا رد العجز على الصدر!. ومن براعة المقطع في الموضوع!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾: في هذا التوجيه لفت انتباه السامعين إلى ما في هذا الإسراء من العطايا والمزايا التي خصّ

الله بها رسوله محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون سائر الرسل من قبله، وأنه أكمل له الفضائل فلم يفته منها فائت... فمن أجل ذلك أحلّه بالمكان المقدس الذي تداولته الرسل من قبل... فهو خبر عَجيبٌ يستقبله السامعون دال على عظيم القدرة من المتكلم، ورفيع منزلة المتحدث عنه!. وهو رفعة قدرِ محمدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإثبات أنه رسول من الله. وأنه أوتى من دلائل صدق دعوته مالا قبل لهم بإنكاره... فقد كان إسراؤه اطلاعا له على ما غاب عنه.

والرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة تربط بين عقائد التوحيد من لدن نوح إلى إبراهيم وإسماعيل... إلى محمد ـ عليهم السلام... وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعا... فكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله. واشتمال رسالته على هذه المقدسات وارتباط رسالته بها جميعا... فهى رحلة ترمز إلى أبعد من حدود الزمان، لما فيها من الوعد بالفتح وتطهير المكانين من رجس الشرك والكفر والطغيان... وتشمل آمادا وآفاقا أوسع من الزمان حيث الفتح المبين والنصر المكين... فقد جدد المسلمون بيت المقدس بعد ما كان خرابا يبابا.

بسبب كفر اليهود وإفسادهم وعبث النصارى وكفرهم وعنادهم وظهر عباد الله على مسرح التاريخ ليظهروا للعالم ما كان وعدا صادقا مفعولا حسبما بشرت به هذه الآية وأظهرت ما كان للناس مجهولا... فآية الاسراء آية صاحبتها آيات للرسول وللمؤمنين من بعده: ﴿**لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**﴾. ثم الرسول صلى الله عليه وسلم يرى أصحابه ويعلمهم ما رأى وما تعلم ليكونوا سميعين بصيرين مثله... فورثوا الأرض واسْتُخْلِفُوا فيها فكانوا سادة الرجال وقادة الأبطال... فهذا الإسراء آية من آيات الله وهو نقلة عجيبة بالقياس إلى مألوف البشر. ويبدأ الحديث في هذه الحلقة بذكر كتاب موسى ـ التوراة ـ وما اشتمل عليه من إنذار لبنى إسراءيل وتذكيرٍ لهم بجَدِّهِم الأكبر ـ نوح ـ العبد الشكور، وآبائهم الأولين الذين حملوا معه في السفينة، ولم يُحْمَلْ معه إلا المؤمنون: ﴿**وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسراءيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا**﴾.

﴿**ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا**﴾. هذا الإنذار وهذا التذكير

مصداق لوعد الله الذي يتضمنه سياق السورة وقد نص على القصد الأول من إيتاء موسى الكتاب: ﴿**هدى لبنى إسراءيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا**. . .﴾ فلا يعتمدوا إلا على الله وحده. ولا يتجهوا إلا إلى الله وحده. . . فهذا هو الهدى. وهذا هو الإيمان. . . فما آمن ولا اهتدى من اتخذ من دون الله وكيلا. ولقد خاطبهم باسم آبائهم الذين حملهم الله مع نوح - وهم خلاصة البشرية على عهد الرسول نوح - خاطبهم بهذا النسب ليذكرهم باستخلاص الله لآبائهم الأولين مع نوح العبد الشكور. وليردهم إلى هذا النسب المؤمن العريق. ووصف نوحا بالعبودية لهذا المعنى.

ولمعنى آخر: وهو تنسيق صفة الرسل المختارين وإبرازها. وقد وصف بها محمدا - صلى الله عليه وسلم - من قبل على طريقة التناسق القرآنية في جو السورة وسياقها. ﴿**وقضينا إلى بنى إسراءيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا**﴾: هذا القضاء الذي أوصله إلى بنى إسراءيل جاء به الكتاب المنزل من الله الصادق وعده فلا يتخلّف. والذي يظهر من النص والسياق أن الكتاب ليس كتاب موسى؛ لأنه ضاع بسبب كفر اليهود وتركهم كتاب الله وراءهم ظهريا. وإنما الكتاب الذي بقى نصه محفوظا ووَعده صادقا ومعناه واضحا ملحوظا، هو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وإفساد اليهود في الأرض مرتين كما هو نص هذا القرآن: كفرهم بالرسول محمد المبشر به في التوراة والانجيل. ووقوفهم ضد دعوته بكل ما أتوا من قوة ومال وقبيل. . . فقد جندوا لحربه العرب والعجم والملوك ووقفوا حجر عثرة وصدوا عن السبيل. فهذا هو الإفساد الأول كما يفهم صراحة من هذا التنزيل فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا: تفرع عن إفساد اليهود الأول بسبب إعراضهم عن دعوة الرسول الخاتم المأمورين باتباعه والسير في ركابه والذود عن دينه دين الرسل جميعا ودين كل جيل مصداقا لقول الله تعالى: ﴿**ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسراءيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا، وقال الله إنى معكم: لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لآكفرن عنكم سيآتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار. . . فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل**﴾.

ولما كفر اليهود بالرسول الخاتم وتألبوا عليه بما معهم من مشركى العرب ومن ملوك الروم والفرس في المشرق والمغرب، سلط الله عليهم عباده المؤمنين الصادقين المخلصين. فجاسوا خلال ديار العالم المعمور المغمور من البشر في ذلك الجيل. وتحقق وعد الله الذي وعد المؤمنين في كتابه بهذا النصر الذي لم يسبق له مثيل. . . ﴿**ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا**﴾: وذهبت أجيال وتلتها أجيال: جيلا بعد جيل، والمسلمون لهم الكلمة العليا. . . فحكموا العالم ورفعوا راية الإسلام خفاقة في سماء العالم. . . حتى نسوا الذكرى وتشبّتوا بالدنيا وتركوا مطالب الأخرى فصاروا هم والكفرة في مطالب الدنيا سواء. . . فرجعوا القهقرى وتغلب عليهم الناس بزعامة اليهود مرة أخرى. . . فالقرآن هنا يتحدث صراحة بما سيحصل للمسلمين بعد النصر والفتح من الهزيمة والتردى وسوء المصير، وذلك بسبب ما ارتكبوا من المخالفات واتباع الشهوات. . . فسلط الله عليهم أهل الكفر من الشرق والغرب بزعامة اليهود من جديد. . . فاليهود اليوم متحكمون في العالم: دولِهِ ومقدراتِهِ من علم ومال وسلاح وعتاد. وتتحكّم فيه شركاتهم الضخمة ومؤسساتهم المختلفة.

وهم يحاولون اليوم القضاء على الإسلام بالمسلمين أنفسهم الذين خضعوا لأمرهم، واستناموا تحت مكرهم وقهرهم. . . وهذا هو الإفساد في المرة الثانية بنشر الإلحاد وتضليل العباد وبث الإفساد في كل بلاد!. فالحروب والتدمير والتخريب ونشر الذعر والإرهاب في كل مكان. . . وقبل أن يتم السياق بقية النبوءة الصادقة والوعد المحقق الذي لا يتخلف يقرر قاعدة العمل والجزاء: ﴿**إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها**. . .﴾ فالخطاب هنا لكل سامع. . . فلا يخص بنى إسراءيل وحدهم. . . فهى قاعدة لا تتغير، حيث تجعل عمل الإنسان كله له، بكل ثماره ونتائجه. وتجعل الجزاء ثمرة طبيعية للعمل. منه تنتج. وبه تتكيف. وتجعل الإنسان مسؤولاً عن نفسه. إن شاء أحسن إليها. وإن شاء أساء.

لا يلومن إلا نفسه حين يحق عليه الجزاء. . . فلا يغتر الكافر ولا ينخدع المؤمن ﴿**ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب. من يعمل سوءا يُجْزَ بِهِ**. . .﴾ فإذا تقررت القاعدة مضى السياق يكمل النبوءة الصادقة، والوعد الحق الذي كان مفعولا. . . ﴿**فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه**

أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾: الوعد الأول تحقق بانتصار المسلمين السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بقيادة رسولهم... ثم بقيادة الخلفاء من بعده الراشدين: أولى البأس الشديد والعزم الأكيد والرأى السديد والأمر الرشيد... ثم يأتى وعد الآخرة: يوم يرجع المسلمون إلى كتابهم، ويفهمون منه المغزى من خطابهم.

ويرجعون بعد الخطأ إلى صوابهم هنالك يرجع النصر إلى نصابهم... فيضربون ضربتهم القاضية على كل كافر ملحد ومنافق متخاذل وجبار معاند ورعديد مستسلم. ويعيدون للمسلمين مجدهم. ويقضون على مظاهر الغلو والغطرسة والتجبر الكاذب... وما ذلك على الله بعزيز: **﴿عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا...﴾** ثم يختم السياق الآية بمصير الكافرين في الآخرة لما بينه وبين مصير المفسدين من مشاكله»: **﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾** ومن هذا نعلم حكمة الإسراء بالرسول من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

وهو أمر يقتضى البحث والتأمل والتعمق والاستقصاء... فلا نتورط بعد هذا في الاختلاف في الإسراء كيف، ومتى وعلى أى حال كان الرسول المصطفى! حتى تعددت الآراء وظهرت على مسرح الإسراء وجوه غريبة وأشكال عجيبة وأقوال مريبة تركت المسلم على حال عصيبة! فما على المسلم إلا أن يكون فاهما لمقاصد القرآن، وملتزما بحقائق الإيمان: **﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم...﴾** هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم... فيشمل الهدى أقواما وأجيالا بلا حدود من زمان أو مكان. ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان. يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء.

وتربط بين نواميس الكون: الطبيعية ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق. ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله... فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم، متطلعة إلى أعلى وهي مستقرة على الأرض، وإذا العمل عبادة

متى توجه الإنسان به إلى الله ولو كان هذا العمل متاعا واستمتاعا بالحياة. ويهدى للتى هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة... فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء، ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال. ويهدى للتى هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض: أفرادا وأزواجا وحكومات وشعوبا ودولا وأجناسا.

ويقيم هذه العلاقات في الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأى والهوى؛ ولا تميل مع المودة والشنآن؛ ولا تصرفها المصالح والأغراض، الأسس التي أقامها العليم الخبير لخلقه، وهو أعلم بمن خلق... فيهديهم للتى هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل: اللائق بعالم الإنسان... فهذه هي قاعدته الأصلية في العمل والجزاء... فعلى الإيمان والعمل الصالح يقيم بناءه... فلا إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان. الأول مبتور لم يبلغ تمامه، والثانى مقطوع لا ركيزة له. وبهما معا تسير الحياة على التي هي أقوم. وبهما معا تتحقق الهداية بهذا القرآن: ﴿**إن هذا القرآن يهدى للتى هي أقوم، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا**﴾. أما الذين لا يؤمنون بالآخرة ـ وهم الذين لا يؤمنون بالقرآن ولا يهتدون بهديه، وفي مقدمة هؤلاء اليهود الذين تمسكوا بما عندهم من كتب مدسوسة على أنبيائهم زورًا وبهتانًا ولم يُذكر فيها جزاء بعد الموت... وإنما فيها متاع الدنيا إن عملوا بتواصيها... فأولئك جميعا أعد الله لهم عذابا أليما.

التوجيه الثاني: ﴿**ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا**﴾: في هذا التوجيه بيان مسؤولية الإنسان عن كل ما يأتى من الإساءة أو الإحسان... فالإنسان مركب من غرائز قد تجمح به لو لم يتمسك بما في هذا القرآن من هداية وبيان... فهو مجبول على التسرع مغلوب على أمره في كبْحِ جماح نفسهِ إن انطلقت بدون هدى وإيمَانٍ. ألا إنهما طريقان مختلفان: هدى القرآن، وهوى الإنسان. ومن هدى القرآن ما فيه من البيان للإنسان من جعل الليل والنهار آيتين من آيات الرحمان الذي علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان: فمن هذا جاء سياق الآية متسقا متناسقا مرتبطا به نشاطُ الإنسان من إساءة

أو إحسان: ﴿**وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة تبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب**﴾. فالناموس الكونى الذي يحكم الليل والنهار، يرتبط به سعئ الإنسان من خير وشر، وجزاؤه على الخير والشر. . . وترتبط به عواقبُ الهدى والضلال.

فالليل والنهار آيتان كونيتان كبيرتان تمشيان بدقة الناموس الذي لا يصيبه الخلل. . . ولا يدركه التعطل. . . فالليل للراحة والسكون والجمام، والنهار للسعى والكسب والقيام. ومن المخالفة بين الليل والنهار. . . ومن معرفة وظيفة الشمس والقمر يتعلم الإنسان عدد السنين بالشهور القمرية. والحساب بالشهور الشمسية. . . فالسنة كلها اثناعشر شهرا والسنة القمرية أقل عدد من الشهور الشمسية. وأشارت إلى هذا آيةُ ﴿**ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا**﴾ وعلى هذه النوامس التي بينها القرآن تسير الأمور دون زيادة ولا نقصان: ﴿**وكل شئ فصلناه تفصيلا**﴾. فليس شئ وليس أمر في هذا الوجود متروكا للمصادفة والجزاف.

ودقة الناموس الذي يصرف الليل والنهار ناطقة بدقة التدبير والتفصيل وهي عليه شاهد ودليل بهذا الناموس الكونى الدقيق يرتبط العمل والجزاء: ﴿**وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا. . .**﴾ وطائر كل إنسان ما يطير له من عمله. .فعمله لايتخلف عنه وهو لايملك التخلص منه. وكذلك التعبير بإخراج كتابه منشورا يوم القيامة. . . فهو يصور عمله مكشوفا لايملك إخفاءه او تجاهله او المغالطة فيه: ﴿**اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**﴾. وبذلك الناموس الكونى الدقيق ترتبط قاعدة العمل والجزاء: ﴿**من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ فهى التبعة الفردية التي تربط كل إنسان بنفسه؛ إن اهتدى فلها، وان ضل فعليها. وما من نفس تحمل وزر أخرى.

وما من أحد يخفف حمل أحد. إنما يسأل كل عن عمله، ويجزى كل بعمله، ولايسأل حميم حميمًا. وقد شاءت رحمة الله ألا يأخذ الإنسان بسوء عمله إلا بعد التذكير والإنذار: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا. . .**﴾ فهى رحمة من الله أن يعذر إلى الناس قبل أن يأخذهم بالبأس. كذلك تمضى سنة الله في

إهلاك القرى وأخذ أهلها في الدنيا مرتبطة بذلك الناموس الكونى الذي يصرف الليل والنهار: ﴿**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا**﴾. والمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال ويجدون الخدم ويجدون الراحة فينعمون بالدعة وبالراحة وبالسيادة... حتى تترهل نفوسهم وتأسن، وترتع في الفسق والمجانة، وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات. وتلغو في الأعراض والحُرُمات.

وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاثوا في الأرض فسادا، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها، وأرخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلا بها ولها. ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخى وتفقد حيوتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها، فتهلك وتطوى صفحتها والآية تقرر سنة الله هذه. إن إرادة الله قد جعلت للحياة البشرية نواميس لا تتخلف وسننا لا تتبدل، وحين توجد الأسباب تتبعها النتائج فتنفذ إرادة الله وتحق كلمته، والله لا يأمر بالفسق، لأن الله لا يأمر بالفحشاء... ولكن وجود المترفين في ذاته دليل على أن الأمة قد تخلخل بناؤها وسارت في طريق الانحلال وأن قدر الله سيصيبها جزاء وفاقا... فالإرادة هنا ليست إرادة للتوجيه القهرى الذي ينشئ السبب... ولكنها ترتب النتيجة على السبب.

والأمر الذي لا مفر منه لأن السنة جرت به. والأمر ليس أمرًا توجيهيا إلى الفسق، ولكنه إنشاء النتيجة الطبيعية المترتبة على وجود المترفين وهي الفسق. هذه السنة قد مضت في الأولين من بعد نوح قرنا بعد قرن. كلما فشت الذنوب في أمة انتهت بها إلى ذلك المصير. والله هو الخبير بذنوب عباده البصير: ﴿**وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا**﴾. وبعد... فإن من أراد أن يعيش لهذه الدنيا وحدها، فلا يتطلع إلى أعلى من الأرض التي يعيش فيها فإن الله يجعل له حظه في الدنيا حيث يشاء... ثم تنتظره في الآخرة جهنم عن استحقاق... فالذين لايستطيعون إلى أبعد من هذه الأرض يتلطخون بوحلها ودنسها ورجسها ويستمتعون فيها كالأنعام ويستسلمون فيها للشهوات والنزعات ويرتكبون في سبيل تحصيل اللذة الأرضية ما يؤدى بهم إلى جهنم: ﴿**من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا**﴾.

﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا. . .﴾ فالذى يريد الآخرة لابد أن يسعى لها سعيها فيؤدى تكاليفها وينهض بتبعاتها ويقيم سعيه لها على الإيمان. وليس الإيمان بالتمنى ولكن ماوقر في القلب وصدقه العمل. والسعى للآخرة لا يحرم المؤمن لذائذ الدنيا الطيبة. إنما يمد بالبصر إلى آفاق أعلى فلا يكون المتاع في الأرض هو الهدف والغاية. ولاضير بعد ذلك من المتاع حين يملك الإنسان نفسه فلا يكون عبدا لهذا المتاع. وإذا كان الذي يريد العاجلة ينتهى إلى جهنم مذموما مدحورا. فالذى يريد الآخرة ويسعى لها سعيها ينتهى إليها مشكورا يتلقى التكريم في جنات النعيم جزاء السعى الكريم لهدف كريم.

إن الحياة للأرض حياة تليق بالديدان والزواحف والحشرات والهوام والوحوش والأنعام. . . فأما الحياة للآخرة فهى الحياة اللائقة بالإنسان الكريم على الله. الذي خلقه فسواه. وأودع روحه ذلك السر الذي ينزع به إلى الملإ الأعلى وإن استقرت على الأرض قدماه. على أن هؤلاء وهؤلاء إنما ينالون من عطاء الله. سواء منهم من يطلب الدنيا فيعطاها، ومن يطلب الآخرة فيلقاها. وعطاء الله لايمنعه أحد. فهو مطلق تتوجه به المشيئة حيث تشاء: **﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وماكان عطاء ربك محظورا﴾**. والتفاوت في الأرض ملحوظ بين الناس بحسب وسائلهم وأسبابهم واتجاهاتهم وأعمالهم.

ومجال الأرض ضيق ورقعة الأرض محدودة. فكيف بهم في المجال الواسع وفي المدى المتطاول؟ كيف بهم في الآخرة التي لا تزن فيها الدنيا كلها جناح بعوضة؟!: **﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا. . .﴾** فمن شاء التفاوت الحق. ومن شاء التفاضل الضخم. . . فهو هناك في الآخرة. . . هنالك في الرقعة الفسيحة، والآماد المتطاولة التي لا يعلم حدودها إلا الله. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون!. . **﴿لاتجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا﴾**: جاءت هذه الآية خاتمة في اختلاف أحوال المسلمين الذين أرادوا الآخرة. وأحوال الكافرين الذين يريدون العاجلة. فإن خلاصة أسباب الفوز ترك الشرك؛ لأن ذلك هو مبدأ الإقبال على العمل الصالح. . . فهو أول خطوات السعى لمريد الآخرة. لأن الشرك هو قاعدة اختلال التفكير وتضليل العقول.

وجاءت كذلك مقدمة لما سيعرض من الأحكان المفصلة من الأوامر والنواهى. تنبيه على أن اصلاح الأعمال متفرع على نبذ الشرك الذي يردى بصاحبه إلى أحط الدركات!.

التوجيه الثالث: ﴿**وقضى ربك ألاتعبدوا إلا إياه..**﴾: في هذا التوجيه تفصيل الهداية التي جاء بها هذا القرآن... فهذه الآيات أول تفصيل للشريعة للمسلمين وقع بمكة وأن ماذكر في هذه الآيات مقصود به تعليم المسلمين. وهو أمر بتوحيد المعبود بعد النهى عن الشرك. وهو أمر في صورة قضاء. فهو أمر حتميٌّ حتميّة القضاء المؤكد فإذا وضعت القاعدة الراسخة الدائمة وأقيم الأساس على هذا الوضع... جاءت التكاليف الفردية والاجتماعية، ولها في النفس ركيزة من العقيدة في الله الواحد، توحد البواعث والأهداف من التكاليف والأعمال. والرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة هي رابطة الأسرة. ومن ثم يربط السياق بِرَّ الوالدين بعبادة الله؛ إعلانا لقيمة هذا البر عند الله: ﴿**وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما وقل لها قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا**﴾.

بهذه العبارات الندية، والصور الموحية، يستجيش القرآن الكريم وجدان البرِّ والرحمة في قلوب الأبناء. ذلك أن الحياة وهي مندفعة في طريقها بالأحياء، توجه اهتمامهم القوى إلى الأمام. إلى الذرية إلى الناشئة الجديدة، إلى الجيل المقبل، وقلما توجَّهَ اهتمامُهم إلى الوراء، إلى الأبوّة. إلى الحياة المولية. إلى الجيل الذاهب. ومن ثم تحتاج البنوّة إلى استجاشة وجدانها بقوة لِتَنْعَطِف إلى الخلف وتتلفت إلى الآباء والأمهات. إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد. إلى التضحية بكل شئ حتى بالذات... ومن ثم لايحتاج الآباء إلى توصية بالأبناء.

إنما يحتاج الأبناء إلى استجاشة وجدانهم بقوة ليذكروا واجب الجيل الذي أنفق رحيقه كلَّه حتى أدركه الجفاف! وهنا يجئ الأمر بالإحسان بالوالدين في صورة قضاء من الله يحمل معنى الأمر المؤكد بعد الأمر المؤكد بعبادة الله... ثم يأخذ السياق في تَضْليل الجو كلِّه بأرق الظلال، وفي استجاشة الوجدان بذكريات الطفولة ومشاعر الحب والعطف والحنان: ﴿**إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما**﴾. فالكبر له جلاله، وضعف الكبر له

إيحاؤه. وكلمة ﴿**عندك**﴾ تصور معنى الالتجاء والاحتماء في حالة الكبر والضعف ﴿**فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما**﴾. وهي أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب: ألاّ يظهر من الولد مايدلُّ على الضجر والضيق. وما يشئ بالإهانة وسوء الأدب.

﴿**وقل لهما قولا كريما**﴾. وهي مرتبة أعلى إيجابية أن يكون كلامه لهما يشئ بالإكرام والإحترام. ﴿**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**﴾. وهنا يشف التعبير ويلطف. ويبلغ شعاف القلب وحنايا الوجدان فهى الرحمة ترق وتلطف حتى لكأنها الذل الذي لايرفع عينا ولا يرفض أمرا. وكأنما للذل جناحٌ يخفضه إيذانا بالسلام والاستسلام. ﴿**وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا...**﴾ فهى الذكرى الحانية: ذكرى الطفولة الضعيفة يرعاها الوالدان. وهما اليوم في مثلها من الضعف والحاجة إلى الرعاية والحنان. وهو التوجه إلى الله أن يرحمهما فرحمة الله أوسع. ورعاية الله أشمل. وجنات الله أرحب.

وهو أقدر على جزائهما بما بَذَلاَ من دمهما وقلبهما مما لايقدر على جزائه الأبْنَاءُ!.. ولأن الانفعالات والحركات موصولة بالعقيدة في السياق فإنه يعقب على ذلك برجع الأمر كله لله الذي يعلم النوايا، ويعلم ما وراء الأقوال والأفعال: ﴿**ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا...**﴾ فجاء هذا النص قبل أن يمضى في بقية التكاليف والواجبات والآداب ليرجع إليه كل قول وكل فعل. ولفتح باب التوبة والرحمة لمن يخطئ أو يُقصّر... ثم يرجعْ فيتوب من الخطإ والتقصير.

ومادام القلب صالحا فإن باب المغفرة مفتوح والأوّابون هم الذين كلما أخطأوا عادوا إلى ربهم مستغفرين... ويمضى السياق بعد الوالدين إلى ذوى القربى أجمعين ويصل بهم المساكين وابن السبيل متوسعا في القرابات حتى تشمل الروابط الإنسانية بمعناها الكبير: ﴿**وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرا. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا. وإما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا...**﴾ والقرآن يجعل لِذِى القربى والمسكين وابن السبيل حقا في الأعناق يُوَفِّى بالإنفاق... فليس هو فضلا من أحد على أحد... إنما هو الحق الذي فرضه الله ووصله بعبادته وتوحيده.

والحق الذي يؤديه المكلف فيبرء ذمته. ويصل المودّة بينه وبين من يعطيه وإن هو إلاّ مؤدّما عليهِ لِلهِ. وينهى القرآن عن التبذير. والتبذير: الإنفاق في غير حق فليس هي الكثرة والقلة في الإنفاق... إنما هو موضع الإنفاق. ومن ثَمَّ كان المبذرون إخوان الشياطين؛ لأنهم ينفقون في الباطل، وينفقون في الشر وينفقون في المعصية... فهم رفقاء الشياطين وصحابهم... ﴿**وكان الشيطان لربه كفورا...**﴾ لا يؤدى حق النعمة؛ كذلك إخوانُه المبذِّرون، لايؤدون حق النعمة. وحقها أن ينفقوها في الطاعات والحقوق غير متجاوزين ولا مبذّرين. فإذا لم يجد إنسان مايؤدى به حق ذى القربى... واستحيا أن يواجههم، وتوجه إلى الله يرجو أن يرزقه ويرزقهم فليعدهم إلى ميسرة. وليقل لهم قولا لينا. فلا يضيق بهم صدره، ولا يسكت ويَدَعُهم فيحسوا بالضيق في سكوته ففى القول الميسور عوض وأمل وتجمُّل.

وبمناسبة التبذير والنهى عنه يأمر بالتوسط في الإنفاق ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**﴾. فقد جاءت هذه الآية بمعرفة حقيقة من الحقائق الدقيقة. فكانت من الحكمة بمكان... فبينت أن المحمود في العطاء هو الوسط الواقع بين طرفى الإفراط والتفريط. وهذه الأوساط هي حدود المحامد بين المذامّ من كل حقيقة لها طرفان... فالطرفان إفراط وتفريط. وكلاهما مقرُّ مفاسِدَ للمصدر وللمورد. وبينهما وسط. وهو العدل... فالإنفاق والبذل حقيقة أحد طرفيها الشح. وهو مفسدة للمحاويج ولصاحب المال إذ يجر إليه كراهية الناس إياه وكراهيته إياهم... فيعيش ملوما بينهم.

والطرف الآخر التبذير والإسراف. وفيه مفاسد لذى المال وعشيرته؛ لأنه يصرف ماله عن مستحقه إلى مصارف غير جديرة بالصرف... فيضيع ماله فيما لايُجدى... فيعيش فقيرا مغبونا محسورا على مافات وضاع هباءً منثورا!.. فالوسط هو وضع المال في مواضعه وهو الحد الذي عبر عنه في الآية بنفى حالين بَيْنَ لاَ و لاَ... ثم يعقب على الأمر بالتوسط بأن الرازق هو الله. هو الذي يبسط في الرزق ويوسع وهو الذي يقدر في الرزق ويضيق. ومعطى الرزق هو الآمِرُ بالتوسط في الإنفاق: ﴿**إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا...**﴾ فيبسط الرزق لمن يشاء عن خبرة وبصر.

ويقدر الرزق لمن يشاء عن خبرة وبصر. ويأمر بالقصد والاعتدال، وينهى عن البخل والسرف. وهو الخبير البصير بالأقوام في جميع الأحوال. وقد أنزل هذا القرآن يهدى للتى هي أقوم في جميع الأحوال. كان بعض أهل الجاهلية يقتلون البنات خشية الفقر والإملاق. فلما قرر في الآية السابقة أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أتبعه بالنهى عن قتل الأولاد خشية الإملاق، في المكان المناسب من السياق... فمادام الرزق بيد الله فلا علاقة إذنْ بين الإملاق وكثرة النسل أو نوع النسل... إنما الأمر كله إلى الله. ومتى انتفت العلاقة بين الفقر والنسل من تفكير الناس وصححت عقيدتهم من هذه الناحية فقد انتفى الدافع إلى تلك الفعلة الوحشية المنافية لفطرة الأحياء وسنة الحياة ﴿**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا...**﴾ إن انحراف العقيدة وفسادها ينشئ آثاره في حياة الجماعة الواقعية.

ولايقتصر على فساد الاعتقاد والطقوس التعبدية. وتصحيح العقيدة ينشئ آثاره في صحة المشاعر وسلامتها. وفي سلامة الحياة الاجتماعية واستقامتها. وهذا المثل من وأد البنات مثل بارز على آثار العقيدة في واقع الجماعة الإنسانية. وشاهد على أن الحياة لايمكن إلا أن تتأثر بالعقيدة، وأن العقيدة لايمكن أن تعيش في معزل عن الحياة... ثم نقف هنا لحظة أمام مثل من دقائق التعبير القرآنى العجيبة!.. ففى هذا الموضع قدم رزق الأبناء على رزق الآباء ﴿**نحن نرزقهم وإياكم...**﴾ وفي سورة الأنعام قدم رزق الآباء على رزق الأبناء ﴿**نحن نرزقكم وإياهم**﴾ وذلك بسبب اختلاف آخر في مدلول النصّين... فكان التقديم والتأخير وفق مقتضى الدلالات التعبيرية هنا وهناك. ومن النهى عن قتل الأولاد إلى النهى عن الزنا: ﴿**ولاتقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا...**﴾ فبَيّنَ قتِلِ الأولاد والزنا صلةٌ ومناسبةٌ ـ وقد توسط النهى عن الزنا بين النهى عن قتل الأولاد والنهى عن قتل النفس ـ لذات الصلة وذات المناسبة.

إن في الزنا قتلا من نواحٍ شتَّى: إنه قتلٌ ابتداءً؛ لأنه إراقة لمادة الحياة في غير موضعها يتبعه غالبا الرغبة في التخلص من آثاره بقتل الجنين قبل أن يتخلق أو بعد أن يتخلق قبل مولده أو بعد مولده... فإذا ترك المولود للحياة ترك في الغالب لحياة شريرة، أو حياة مهينة... فهى حياة مضيعة في المجتمع على نحوٍ مِنَ

الأنحاء. . . فهو قتل في صورة أخرى قتل للجماعة التي يفشو فيها فتضيع الأنساب وتختلط الدماء. وتذهب الثقة في العرْض والولد وتتحلل الجماعة وتتفكك روابطها فتنتهي إلى ما يشبه الموت بين الجماعات. وهو قتل للجماعة من جانب آخر؛ إذْ إنّ سهولة قضاء الشهوة عن طريقه يجعل الحياة الزوجية نافلةً لا ضَرُورة لها، ويجعل الأسرة تبعة لاداعى إليها، والأسرة هي المحضن الصالح للفراخ الناشئة لا تصح فطرتها ولا تسلم تربيتها إلا فيه.

والقرآن يحذر من مجرد مقاربة الزنا. وهي مبالغة في التحرز؛ لأن الزنا تدفع إليه شهوة عنيفة. فالتحرز من مجرد مقاربة أضمن فعند المقاربة من أسبابه لا يكون هناك ضمان. ومن ثم يأخذ الإسلام الطريق على أسبابه الدافعة توقيًا للوقوع فيه: يكره الاختلاط في غير ضرورة. ويحرم الخلوة. وينهى عن التبرج بالزينة. ويحض على الزواج لمن استطاع. ويكره الحواجز. التي تمنع من الزواج كالمغالاة في المهور. وينفى الخوف من العيلة والإملاق بسبب الزواج ويوقع أشد العقوبة على الجريمة حين تقع، وعلى رمى المحصنات الغافلات دون برهان ويختم النهى عن قتل الأولاد وعن الزنى بالنهي عن قتل النفس إلا بالحقَ: ﴿**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا**﴾. فالإسلام دينُ الحياة ودين السلام. فقتل النفس عنده كبيرة تلى الشرك بالله. فالله واهب الحياة، وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه وفي الحدود التي يرسمها. وكل نفس هي حَرَمٌ لايُمَسُّ. وحرامٌ إلا بالحق.

وهذا الحق الذي يبيح قتل النفس محدد لا غموض فيه. وليس متروكا للرأى ولا متأثرًا بالهوى. والحق الذي تُقْتَلُ به النفسُ جاء به التنزيل وبينته سنة الرسول. . . فمن قتل مظلوما بغير الحق التي ذكر فقد جعل الله لوليه سلطانا على القاتل: إن شاء طلب قتله قصاصا. وإن شاء عفا عن القتل وأخذَ الديةَ. وإن شاء عفا عن القتل والدية. وفي مقابل هذا السلطان الكبير ينهاه الإسلام عن الإسراف في القتل استغلالا لهذا السلطان. والإسراف في القتل يكون بقتل غير القاتل أو قتل أكثر من واحد. أو بالتمثيل بالمقتول. . . فقد كانت الجاهلية تسرف في القتل بأنواع من حمى الغضب والانفعال على غير هدى.

وعلل هذا النهى بقوله إنه كان منصورا. . . ثم بعد أن ينتهى السياق من حرمة

العرض وحرمة النفس يتحدّث عن حرمة مال اليتيم وحرمة العهد: ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هي أحسن. وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا..**﴾ فالإسلام يحفظ على المسلم دمه وعرضه وماله... ولكنه يشدد في مال اليتيم ويبرز النهى عن مجرد قربه إلا بالتى هي أحسن. ذلك أن اليتيم ضعيف عن تدبير ماله. ضعيف عن الذود عنه. والجماعة الإسلامية مكلفة برعاية اليتيم وماله حتى يبلغ أشده ويرشد ويستطيع أن يدبّر ماله وأن يدافع عنه.

ومما يلاحظ في هذه الأوامر والنواهى أن الأمور التي يكلف بها كل فرد بصفته الفردية جاء الأمر والنهى فيها بصيغة المفرد أما الأمور التي تناط بالجماعة فقد جاء الأمر أو النهى فيها بصيغة الجمع... ففى الإحسان للوالدين وإيتاء ذى القربى والمسكين وابن السبيل وعدم التبذير والتوسط في الإنفاق بين البخل والسرف وفي التثبت من الحق والنهى عن الخيلاء والكبر كان الأمر أو النهى بصيغة المفرد لما لها من صبغة فردية. وفي النهى عن قتل الأولاد وعن الزنا وعن قتل النفس والأمر برعاية مال اليتيم والوفاء بالعهد وإيفاء الكيل والميزان كان الأمر أو النهى بصيغة الجمع لما لها من صبغة جماعية.

وقد أكد الإسلام على الوفاء بالعهد وشدد لأن هذا الوفاء مناط الاستقامة والثقة والنظافة في ضمير الفرد وفي حياة الجماعة وقد تكرر الحديث عن الوفاء بالعهد في صور شتى... فمن الوفاء بالعهد إلى إيفاء الكيل والميزان: ﴿**وأوفوا الكيل إذ كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾ والمناسبة بين الوفاء بالعهد وإيفاء الكيل والميزان ظاهرة في المعنى واللفظ... فالانتقال في السياق ملحوظ التناسق. وإيفاء الكيل والاستقامة في الوزن أمانة في التعامل ونظافة في القلب يستقيم بهما التعامل في الجماعة، وتتوفر بهما الثقة في النفوس، وتتم بهما البركة في الحياة: ﴿**ذلك خير وأحسن تأويلا...**﴾ خير في الدنيا وأحسن مآلاً في الآخرة والطمع في الكيل والوزن قذارة وصغار في النفس. وغش وخداع في التعامل. تتزعزع بهما ويتبعها الكساد. وتقل بهما البركة في محيط الجماعة... فيرتد هذا على الأفراد؛ وهم يحسبون أنهم كاسِبُون بالتطفيف. وهو كسب ظاهرى ووقتى؛ لأن الكساد في الجماعة يعود على الأفراد بعد حين.

وهذه حقيقة أدركها بعيد الفهم والنظر في عالم التجارة فاتبعوها، ولم تكن

الدافع الاخلاقى أو الحافز الدينى هو الباعث عليها بل مجرد إدراكها في واقع السوق بالتجربة العملية. . . وهكذا يحقق الإسلام دائما أهداف الحياة العملية وهو ماضٍ في طريقه إلى آفاقه الوضيئة وآماده البعيدة ومجالاته الرحيبة. . . والمنهج الإسلامى هو منهج الوضوح والاستقامة والنصاعة. . . فلا يقوم شئ فيه على الظن أو الوهم أو الشبهة: ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا**. . .﴾ فهذه الكلمات القليلة تقيم منهجا كاملا للقلب والعقل يشمل المنهج العلمى الذي عرفه الناس حديثا. . . ويضيف إليه استقامة القلب ومراقبة الله.

ميزة الإسلام على المناهج العقلية الجافة. . . فالتثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم. ومنهج الإسلام الدقيق ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة ولم يبق مجال للظن والشبهة في عالم الحكم والقضاء والتعامل. ولم يبق مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم. والأمانة العلمية التي يشيد بها الناس في العصر الحديث ليس سوى طرف من الأمانة العقلية القلبية التي يعلن القرآن تبعتها الكبرى، ويجعل الإنسان مسؤولا عن سمعه وبصره وفؤاده أمام واهب السمع والبصر والفؤاد. . . إنها أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب.

أمانة يسأل عنها صاحبها، وتسأل عنها الجوارح والحواس والعقل والقلب جميعا. أمانة يرتعش الوجدان لدقتها وجسامتها كلما نطق اللسان بكلمة، وكلما روى الإنسان رواية، وكلما أصدر حكما على شخص أو أمر أو حادثة. ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم**. . .﴾ فلا تتبع ما لم تعلمه علم اليقين، وما لم تثبت من صحته: من قول يقال ورواية تروى. ومن ظاهرة تفسر أو واقعة تعلل. ومن حكم شرعى أو قضية اعتقادية. وهكذا تتضافر النصوص على التقدير في ذلك المنهج الكامل المتكامل الذي لا يأخذ العقل وحده بالتحرج في أحكامه، والتثبت في استقرائه. . . إنما يصل ذلك التحرج بالقلب في خواطره وتصوراته وفي مشاعره وأحكامه. . . فلا يقول اللسان كلمة ولا يروى حادثة ولا ينقل رواية ولا يحكم العقل حكما ولا يبرم الإنسان أمرًا إلا وقد تثبت من كل جزئية ومن كل ملابسة

ومن كل النتيجة. . . فلم يبق هناك شك ولا شبهة في صحتها! إن القرآن يهدى للتى هي أقوم حقا وصدقا.

وتختم هذه الأوامر والنواهى المرتبطة بعقيدة التوحيد بالنهى عن الكبر الفارغ والخيلاء الكاذبة: ﴿**ولاتمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا**. . .﴾ فالإنسان حين يخلو قلبه من الشعور بالخالق القاهر فوق عباده تأخذه الخيلاء بما يبلغه من ثراء أو سلطان أو قوة أو جمال. . . فلو تذكر أن ما به من نعمة فمن الله، وأنه ضعيف أمام حول الله وقوته لطامن من كبريائه وخفف من خيلائه. ومشى على الأرض هونا لاتيها ولا مرحا. . . والقرآن يُجْبِهُ المتطاول المختال المرح بضعفه وعجزه وضآلته: ﴿**إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا**﴾. فالإنسان بجسمه ضئيل هزيل لا يبلغ شيئا من الأجسام الضخمة التي خلقها الله. إما هو قوى بقوة الله عزيز بعزه الله. كريم بروحه الذي نفخه الله فيه؛ ليتصل به ويراقبه ولا ينساه.

ودائما شعاره: لاحول ولا قوة إلا بالله! هذا التضامن والتواضع الذي يدعو إليه القرآن بترذيل المرح والخيلاء أدب مع الله وأدب مع الناس. أدب نفسى وأدب اجتماعى وما يترك هذا أدب إلى الخيلاء والعجب إلا فارغ صغير القلب صغير الاهتمامات يكرهه الله لبطره ونسيان نعمته ويكرهه الناس لانتفاشه وتعاليه: ﴿**كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها**﴾. ويختم الأوامر والنواهى كما بدأها يربطها بالله وعقيدة التوحيد والتحذير من الشرك. وبيان أنها بعض الحكمة التي يهدى إليها هذا القرآن الذي أوحاه الله إلى الرسول: ﴿**ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا**. . .﴾ وهو ختام يشبه الابتداء. . . فتجيء محبوكة الطرفين موصولة القاعدة الكبرى التي يقيم عليها الإسلام بناء الحياة: قاعدة توحيد الله، وعبادته دون سواه.

2 - توجيه التوبيخ والملام
لكل المشركين وعبدة الأصنام

النص

أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (40) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (41) قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (42) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (43) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (44) وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (45) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (46) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (47) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (48) وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (49) * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (50) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ

فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ
إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿51﴾
يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿52﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ
إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا
مُّبِينًا ﴿53﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ
وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿54﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ
زَبُورًا ﴿55﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ
كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿56﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ
وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿57﴾
وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿58﴾
وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ
وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿59﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ
وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ

وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ
إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (60) * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ
فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61)
قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62) قَالَ اذْهَبْ فَمَن
تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (63) وَاسْتَفْزِزْ
مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ
وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ
وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65) رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ
الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (66)
وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ
فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا (67)
أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا
ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (68) أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ
فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ
ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (69) * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ
وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿70﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿71﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿72﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**أفأصفاكم ربكم بالبنين. . .**﴾ الإصفاء جعل الشيء صفوا. بمعنى خالصًا لكم دونه. ﴿**واتخذ من الملائكة إناثا**﴾: جعل لنفسه الإناث التي تكرهونها. ﴿**إنكم لتقولون قولا عظيما**﴾: بهتانا عظيما لايقوله عاقل. . . ﴿**ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا**﴾: التصريف يطلق على عدة معاني: منها التبيين والتوضيح. ومنها تغيير شئ بشئ مثل تصريف الدينار بالدراهم. ومنها تغيير الاتجاه؛ مثل: تصريف الرياح. والنفور: هروب الوحشي والدابة بجزع وخشية من الأذى مما ترى أو تسمع. قل لو كان معه آلهة كما تقولون ﴿**إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيل**﴾: إذن كلمة دالة على الجواب والجزاء.

وابتغاء السبيل: طلب طريق الوصول إلى الشيء. ﴿**سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا**﴾: تنزه وتباعد عن قولهم: إن الملائكة بنات الله. وإن مع الله آلهة أخرى. . . ﴿**يسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن. . .**﴾ تسبيح الكائنات دلالتها على تنزيه الخالق بما لايليق بجلاله. ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم. . .**﴾ فالإنسان لايدرك تسبيح الكائنات إدراكا كاملا ولا يؤمن به إيمانا صادقا إلا اذا آمن بهذا القرآن بما فيه من إخبار بالمغيبات. . . ﴿**وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا**﴾. فالحجاب المستور هنا: هو الفارق بين من يؤمن بالقرآن وما فيه من أخبار بالمغيبات وبين من يكفر به وينكر الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب.

﴿**وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا. . .**﴾ فالذين لا يؤمنون بالآخرة في معزل عن فهم القرآن الفهم الدقيق بما في قلوبهم من الأغطية الحاجبة. ووقر آذانهم وصممهم عن سماع القرآن. ﴿**وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفورا**﴾: إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة. ﴿**نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذهم نجوى. . .**﴾ فهم يستمعون إلى النبى حين يقرأ القرآن. . . ولكن استماعهم لم يكن بغرض الفهم ولكن لغرض التشويش والتشويه. . . ﴿**وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه**﴾. إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحورا: هذا هو نتيجة استماعهم للقرآن. وهذا خلاصة ما تحصل لهم منه.

وهذا هو نتيجة مناجاتهم ومؤامراتهم. . . ﴿**انظر كيف ضربوا لك الأمثال. . . فضلوا فلا يستطيعون سبيلا**﴾: انظر إلى هؤلاء الظلمة كيف يتآمرون ويضربون الأمثال للرسول يصفونه تارة مسحورا وأخرى مجنونا وغيرها كاهنا وشاعرا إلى غير ذلك. . . ﴿**فضلوا فلايستطيعون سبيلا**﴾؛ لاستشعارهم أن ما يصفون به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ باطل لا ينطلى على عاقل. . . وفي النهاية فلا يجدون أن يقولوا إلا هذا: ﴿**وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا. . .**﴾ فهذا هو سبب تكذيبهم للرسول ولِمَا جاء به. . . وهو خلاصة ما تناجوا به مختفين. . . ثم أظهروه معلنين مستغربين!. . . ﴿**قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم**﴾ فلا بد أن تبعثوا ولو كنتم حجارة أو حديدا او خلقا أشد وأبعد مما تحله الحياة من العظام والرفات فسيقولون: من يعيدنا؟ الجواب: قل الذي فطركم أول مرة.

وهذا الجواب مستغرب عندهم فسينغضون إليك رؤوسهم. فإنغاض الرأس تحريكه من أعلى إلى أسفل والعكس. وهو تحريك الاستهزاء. ويقولون متى هو. وهو استفهام تهكم. فجاء الرد حاسما قاطعا لاستهزائهم وتهكمهم: قل: عسى أن يكون قريبا. . . وعندما يأتى فلا تستطيعون له ردا: ﴿**يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا. . .**﴾ فهذا خطاب للكفار القائلين: من يعيدنا؟ والقائلين: متى هو؟ ومعناه: أنه وإن طال. فهو قليل بالنسبة لأيام الله. ﴿**وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون. وقل لعبادى يقولوا التي هي أحسن**﴾: أمر

للرسول بأن يقول للمؤمنين أن يقولوا الكلمة الطيبة التي هي أحسن كلمة تقال؛ لأن الشيطان يسرع بالإفساد ويثير فيهم نزغة التفوق والتفرق إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا.

﴿**ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا**﴾: زيادة أن الهداية والضلال من جعل الله تعالى؛ وأن النبئ غير مسؤول عن استمرار من استمر في الضلالة إزالة للحرج عنه فيما يجده من عدم اهتداء مَنْ يدعوهم. . . ﴿**وربك أعلم بمن في السماوات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيئين على بعض وآتينا داوود زبورا**﴾: تكملة لآية ﴿**ربكم أعلم بكم. . .**﴾ الآية. وهي كالمقدمة لقوله: ﴿**ولقد فضلنا بعض النبيئين على بعض**﴾. الآية. وخص داوود هنا؛ لأن الزبور ذكر فيه أن الأرض يرثها عبادى الصالحون والزبور كتاب أنزله الله على داوود ضاع كما ضاع كتاب موسى بسبب كفر اليهود ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا**﴾: يأمر الله رسوله بأن يقول للمشركين: ﴿**ادعوا الذين زعمتم من دونه. . . فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا**﴾ الكشف: الإزالة.

والتحويل: نقل الشئ من مكان إلى مكان. ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا**﴾. أولئك الأنبياء المفضلون يدعون ربهم يبتغون إليه الوسيلة بالعمل الصالح ويتسابقون في طلب القرب. فهم يرجون رحمته ويخافون عذابه حذرا ورغبة ورهبة وخشوعا وتعبدا. ﴿**وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا**﴾. وما من قرية كافرة كائنة ما كانت إلا نحن مهلكوها بالاستئصال، أو بالعذاب الشديد والنكال في الدنيا قبل يوم القيامة. ولعذاب الآخرة أشد وأبقى. كان ذلك الوعيد في كتب الله المنزلة على رسله وفي مقدمتها القرآن الخاتم الخالد. . . والكتاب المسطور: المكتوب سطورا.

﴿**وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون. . .**﴾ أي: ما صرفنا عن إرسال الآيات التي طلبها المشركون من الرسول إلا تكذيبُ المشركين بها من الأولين الذين بعث الله إليهم الرسل بالآيات. ﴿**وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا**

بها. . .﴾ فمبصرة بمعنى واضحة الدلالة على صدق صالح في دعوته لقومه. . . فكذبوه، فعقروها. **﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾** لامباراة بين الرسل وقومهم. **﴿واذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾**: فهم في قبضته وتحت تصرفه. . . **﴿فلا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون. وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس. . .﴾** فمعجزة الرسول التي جاءت عن طريق الرؤيا هي اختبار وامتحان للناس.

والشجرة الملعونة في القرآن: هي شجرة الزقوم التي ذكرت في القرآن. **﴿ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا﴾**: إذن فلا فائدة من إتيان الآيات التي يقترحها المشركون. . . **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا﴾**: تذكير للناس بما حصل من إبليس من عناد وكفر واستكبار عن أمر الله. . . فهو مثل ما حصل من قريش نحو دعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم. **﴿قال أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتنى إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا﴾**: الاحتناك وضع الراكب اللحام في حنك الفرس ليركبه ويسيّره.

﴿قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفورا﴾ جواب من الله تعالى عن سؤال إبليس التأخير إلى يوم القيامة. والجزاء: ما يعطى جزاء على العمل. والموفور: الكثير غير المنقوص. **﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك. . .﴾** الاستفزاز: طلب الفزّ. وهو الخفة والانزعاج وترك التثاقل. والصوت هنا مراد به صوت قائد الجيش. والإجلاب جمع الجيش وسوقه. والخيل: الفرسان والرجال: المشاة. **﴿وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم. . .﴾** مشاركة الشيطان في الأموال جعل كسبها وإنفاقها من الحرام وفي الحرام.

ومشاركته في الأولاد جعلهم من الزنى وجعل تربيتهم فاسدة. . . ومعنى عِذْهم: أعطهم المواعيد بحصول ما يرغبونه من الأموال والأولاد وزينة الدنيا. . . **﴿وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾**: الغرور: إظهار الشئ المكروه في صورة المحبوب الحسن **﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا﴾**: ليس لإبليس سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين

يتولونه والذين هم به مشركون. كما تقدم في سورة النحل ﴿**ربكم الذي يزجى لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما**﴾: مقارنة بين فعل الله بعباده وفعل الشيطان بأوليائه حيث استفزهم إلى عبادة الأصنام التي لاتنفع عابدها ولا تضر نابذها فاللهُ ربُّ العباد هو الذي يسوق الفلك في البحر لنفعهم. . . وجملة ﴿**إنه كان بهم رحيما**﴾: تنبيه لموقع الامتنان ليرفضوا عبادة غيره مما لا أثر له في هذه المنة. ﴿**وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه**﴾: دليل على أن النفع والضر بيد الله.

وضر البحر هو الإشراف على الغرق ومعنى ضل: غاب وانصرف. فلا تجدون في ذلك الموقف إلا ربكم الله الحق. . . ﴿**فلما نجاكم إلى البر أعرضتم**﴾. الكلام هنا مستعمل في التعجب والاستغراب! حيث عند الخوف تقبلون على الله، وعند الأمن تعرضون عنه ﴿**وكان الإنسان كفورا**﴾: من طبيعة الإنسان نسيان النعمة ونظره إلى اللحظة التي هو فيها. ﴿**أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لاتجدوا لكم وكيلا. أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا**﴾: الخسف انقلاب ظاهر الأرض في باطنها من الزلزال. والحاصب: الرامى بالحصباء. والوكيل: الموكل إليه القيام بِمُهِمّ موكله. والتارة: المرة المتكررة. والقاصف: التي تقصف. وهي الريح الشديدة التي تقطع ما تمر به وأصل القصف الكسر. والتبيع مبالغة في التابع الذي يشتد في أخذ الثأر.

﴿**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾: المراد ببنى آدم جميع النوع. والتكريم جعله كريمًا. والحمل: الوضع على المركب. والفرق بين التفضيل والتكريم بالعموم والخصوص. فالتكريم منظور فيه إلى تكريمه بذاته والتفضيل منظور فيه إلى تشريفه فوق غيره. ﴿**يوم ندعو كل أناس بإمامهم. . .**﴾ الإمام: المتبوع في قومه. وأطلق هنا على رسول كل أمة. ﴿**فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً**﴾: تفريع وتفصيل لقوله: ﴿**يوم ندعو كل أناس بإمامهم**﴾. وأخذ الكتاب باليمين علامة السعادة ﴿**ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا**﴾: المراد بالأعمى هنا: أعمى البصيرة وهو الشقى الذي سلك طريق الضلال فانتهى به في الآخرة إلى النار وبئس القرار.

مبحث الإعراب

﴿**أفأصفاكم**﴾ الهمزة للاستفهام. والفاء للتفريع. وأصفاكم فعل ماض والضمير المتصل به مفعول. ﴿**ربكم**﴾ فاعل. ﴿**بالبنين**﴾ متعلق بأصفاكم. ﴿**واتخذ**﴾ معطوف على أصفاكم. والفاعل ضمير يعود على ربكم. ﴿**من الملائكة**﴾ متعلق باتخذ. ﴿**إناثا**﴾ مفعول به. ﴿**إنكم**﴾ إن واسمها. ﴿**لتقولون قولا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**عظيما**﴾ نعت للمفعول. وجملة لتقولون في محل رفع خبرُ إنّ واللام لتوكيد الخبر. وجملة ﴿**إنكم لتقولون**﴾ تقرير مبيّن لمعنى الإنكار. ﴿**ولقد صرفنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق ولام التوكيد وواو الاعتراض. والجملة معترضة لا محل لها من الإعراب. ﴿**فى هذا**﴾ متعلق بصرفنا. ﴿**القرآن**﴾ عطف بيان لاسم الإشارة. ﴿**ليذكّروا**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. وواو الجماعة فاعل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بصرفنا. ﴿**وما يزيدهم**﴾ فعل وفاعل منفى بما. والفاعل ضمير يعود على التصريف. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**إلا نفورا**﴾ بدل من المفعول الثانى المقدر. والتقدير: وما يزيدهم تصريف وتوضيح القرآن شيئا إلا نفورا وهروبا. . . قل: لو حرف امتناع لامتناع متضمنة معنى الشرط.

كان فعل ماضٍ ناقص. معه متعلق بمحذوف خبر كان مقدم. آلهة اسم كان مؤخر. والجملة فعل الشرط. كما تقولون فعل وفاعل. وما موصولة. والكاف في محل نصب نعت لمصدر مقدر. ﴿**إذن**﴾ جواب وجزاء. ﴿**لابتغوا**﴾ فعل وفاعل. واللام لتوكيد الجواب. ﴿**إلى ذى**﴾ متعلق بابتغوا. ﴿**العرش**﴾ مضاف إلى ذى. ﴿**سبيلا**﴾ مفعول به. ﴿**سبحانه**﴾ مفعول مطلق. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**وتعالى**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على ذى العرش. وهو الله تعالى. ﴿**عما**﴾ متعلق بتعالى. ﴿**يقولون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**عُلُوًّا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**كبيرا**﴾ نعت له. ﴿**يسبح**﴾ فعل مضارع. ﴿**له**﴾ متعلق به.

﴿**السماوات**﴾ فاعل. ﴿**السبع**﴾ نعت للسماوات. ﴿**والأرض**﴾ عطف على السماوات. ﴿**ومن**﴾ معطوف كذلك. ﴿**فيهن**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَن ﴿**وإن**﴾ حرف نفى. والواو للعطف. ﴿**من شئ**﴾ مبتدأ جُرّ بمن الزائدة. ﴿**إلا يسبح**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستثناء. والفاعل ضمير يعود على شيء والجملة في

محل رفع بدل من الخبر المقدر. ﴿**بحمده**﴾ متعلق بيسبح. ﴿**ولكن**﴾ حرف استدراك. والواو للعطف. ﴿**لاتفقهون تسبيحهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**إنه**﴾ إن واسمها. ﴿**كان**﴾ اسمها ضمير يعود على الله المفهوم من سياق الكلام. ﴿**حليما غفورا**﴾ خبَرَانِ لكان. وجملة كان في محل رفع خبرُ إنّ.

وجملة إنه كان تعليل. ﴿**وإذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. والواو للعطف. ﴿**قرأت القرآن**﴾ فعل وفاعل ومفعول. فعل الشرط. ﴿**جعلنا**﴾ فعل وفاعل جواب الشرط. ﴿**بينك**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**وبين**﴾ معطوف على بينك. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى بين. ﴿**لا يؤمنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى. وجملة ﴿**لايؤمنون**﴾ صلة الذين. ﴿**بالآخرة**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**حجابا**﴾ مفعول به. ﴿**مستورا**﴾ نعت له. ﴿**وجعلنا**﴾ معطوف على جعلنا بينك... ﴿**على قلوبهم**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**أكنة**﴾ مفعول به. ﴿**أن يفقهوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول.

﴿**وفى آذانهم**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**وقرًا**﴾ مفعول به. ﴿**واذا ذكرت ربك**﴾ مثل ﴿**وإذا قرأت القرآن**﴾. ﴿**فى القرآن**﴾ متعلق بذكرت. ﴿**وحده**﴾ حال من ربك. ﴿**ولّوا**﴾ فعل وفاعل جواب الشرط. ﴿**على أدبارهم**﴾ متعلق بولّوْا. ﴿**نفورا**﴾ حال من فاعل ولوا. ﴿**نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أعلمُ**﴾ خبره. ﴿**بما**﴾ متعلق بأعلم. ﴿**يستمعون**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**به**﴾ متعلق بيستمعون. ﴿**إذ**﴾ ظرف مبنى على السكون في محل نصب متعلق بأعلم. ﴿**يستمعون**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿**إليك**﴾ متعلق بيستمعون. ﴿**وإذ**﴾ معطوف على الظرف قبله. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**نجوى**﴾ خبرُه. والجملة مضافة إلى الظرف. ﴿**إذ يقول الظالمون**﴾ بدل من قوله: ﴿**وإذ هم نجوى**﴾.

﴿**إن تتبعون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى. ﴿**إلا رجلا**﴾ بدل من المفعول المقدر. وإلاّ ملغاة. ﴿**مسحورا**﴾ نعت لرجل. وجملة ﴿**إن تتبعون إلا رجلا مسحورا**﴾ في محل نصب مقول القول. ﴿**انظر**﴾ فعل أمر... ﴿**كيف**﴾ في محل نصب على الحال. ﴿**ضربوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل جر مضافة إلى كيف. ﴿**لك**﴾ متعلق بضربوا. ﴿**الأمثال**﴾ مفعول به. ﴿**فضلوا**﴾ فعل وفاعل. مفرع على ضربوا. ﴿**فلا يستطيعون سبيلا**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف

النفى وحرف التفريع. والجملة مرتبة على ما قبلها. وقالوا فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**أإذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**كنا**﴾ كان واسمها. ﴿**عظاما**﴾ خبرها. ﴿**ورفاتا**﴾ معطوف عليه. والجملة فعل الشرط.

﴿**إنا**﴾ إن واسمها. ﴿**لمبعوثون**﴾ فعل وفاعل. واللام لتوكيد الخبر. والجملة في محل رفع خبرُ إنّ. وجملة ﴿**إنّا لمبعوثون**﴾ جواب الشرط. ﴿**خلقا**﴾ منصوب على الحال من ضمير الجماعة المرفوع... ﴿**جديدا**﴾ نعت له. ﴿**قل: كونوا حجارة**﴾ كان واسمها وخبرها. والجملة في محل نصب مقول القول. ﴿**أو حديدًا أو خلقا**﴾ معطوفان على حجارة. مما متعلق بمحذوف نعت لقوله: ﴿**خلقا**﴾. يكبر فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على ما. والجملة صلة ما. ﴿**فى صدوركم**﴾ متعلق بيكبر. ﴿**فسيقولون**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه السين وفاء التفريع. ﴿**مَنْ**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**يعيدنا**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَن. والضمير المتصل بالفعل مفعول: والجملة في محل رفع خبر المبتدإ.

وجملة ﴿**مَنْ يعيدنا**﴾ في محل نصب مقول القول. ﴿**قل الذى**﴾ في محل رفع فاعل لفعل مقدر. والتقدير: يعيدكم الذى. ﴿**فطركم**﴾. صلة الذى. ﴿**أول**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**مرة**﴾ مضاف إلى أول. ﴿**فسينغضون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التنفيس وفاء التفريغ. ﴿**إليك**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**رءوسهم**﴾ مفعول به. ﴿**ويقولون**﴾ معطوف على قوله: ﴿**فسينغضون متى**﴾ اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**قل عَسَى**﴾ فعل ماض ناقص يرفع الاسم وينصب الخبر. ﴿**أن يكون**﴾ منصوب بأن المصدرية. واسم يكون مستتر. ﴿**قريبا**﴾ خبر يكون. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب خبر عسى. واسمها ضمير يعود على البعث.

﴿**يوم**﴾ منصوب على الظرفية متعلق باذكر مقدر. ﴿**يدعوكم**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الذى... ﴿**فتستجيبون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التعقيب. ﴿**بحمده**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وتظنون**﴾ معطوف على تستجيبون. ﴿**إن لبثتم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى. ﴿**إلا قليلا**﴾ استثناء من أعم الأزمان. ﴿**وقل لعبادى**﴾ متعلق بقل. ﴿**يقولوا**﴾ مجزوم في

جواب الأمر. ﴿**التى**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**هى**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أحسن**﴾ خبره. والجملة صلة التى. ﴿**إن الشيطان**﴾ إن واسمها. ﴿**ينزع**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الشيطان. ﴿**بينهم**﴾ متعلق ينزع.

وجملة ﴿**ينزع بينهم**﴾ في محل رفع خبر إن. وجملة ﴿**إن الشيطان**. . .﴾ تعليل. إن الشيطان مثل ما قبلها. ﴿**كان**﴾ اسمها ضمير يعود على الشيطان. ﴿**للإنسان**﴾ متعلق بما بعده ﴿**عدوًا**﴾ خبر كان. ﴿**مبينا**﴾ نعت له. وجملة كان. . . خبر إن. والجملة تعليل للتعليل السابق ﴿**ربكم أعلم**﴾ مبتدأ وخبر. ﴿**بكم**﴾ متعلق بأعلم. ﴿**إن يشأ**﴾ فعل مضارع مجزوم بإن فعل الشرط والفاعل ضمير يعود على ربكم. ﴿**يرحمكم**﴾ مجزوم في جواب الشرط. ﴿**أو إن يشأ يعذبكم**﴾ معطوف على ﴿**إن يشأ يرحمكم**﴾. ﴿**وما أرسلناك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفى وواو العطف. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بما بعده ﴿**وكيلًا**﴾ حال من ضمير المخاطب. ﴿**وربكم أعلم**﴾ معطوف على ﴿**ربكم أعلم بكم**﴾. ﴿**بمن**﴾ متعلق بأعلم. ﴿**فى السماوات**﴾ متعلق بفعل مقدر. صلة ﴿**من**﴾. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات.

﴿**ولقد فضلنا بعض**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام التوكيد وواو العطف. ﴿**النبيئين**﴾ مضاف الى بعض ﴿**وآتينا داوود زبورا**﴾ فعل وفاعل ومفعولان. والواو للعطف. ﴿**قل ادعوا**﴾ فعل أمر وواو الجماعة فاعل. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**زعمتم**﴾ فعل وفاعل. صلة الذين ﴿**من دونه**﴾ متعلق بادعوا. ﴿**فلا يملكون كشف**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفى وفاء التعقيب. ﴿**الضر**﴾ مضاف إلى كشف. ﴿**ولا تحويلا**﴾ معطوف على كشف الضر. ﴿**عنكم**﴾ متعلق بكشف. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**يدعون**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**يبتغون**﴾ فعل وفاعل. والجملة بيان ليدعون. ﴿**إلى ربهم**﴾ متعلق بيبتغون.

﴿**الوسيلة**﴾ مفعول به. ﴿**أيّهم**﴾ مبتدأ. ﴿**أقرب**﴾ خبره. ﴿**ويرجون رحمته**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والواو للعطف. ﴿**ويخافون عذابه**﴾ معطوف على يرجون رحمته. ﴿**إن عذاب**﴾ إنّ واسمها. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**كان**﴾ اسمها ضمير يعود على عذاب ﴿**محذورا**﴾ خبر كان. وجملة كان محذورا في محل رفع

خبر إنّ. وجملة ﴿**إن عذاب. ربك...**﴾ تعليل. ﴿**وإن**﴾ حرف نفى دخل عليه واو العطف. ﴿**من قرية**﴾ محلها رفع بالابتداء. ومن زائدة. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**مهلكوها**﴾ خبر نحن. ﴿**قبل**﴾ متعلق بمهلكوها. ﴿**يوم**﴾ مضاف إلى قبل. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. وجملة ﴿**إلا نحن مهلكوها**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**من قرية**﴾. ﴿**أو معذبوها**﴾ معطوف على مهلكوها. ﴿**عذابا**﴾ مفعول. ﴿**شديدا**﴾ نعت له.

﴿**كان ذلك**﴾ كان واسمها. ﴿**فى الكتاب**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**مسطورا**﴾ خبر كان. ﴿**وما منعنا**﴾ فعل ماضٍ دخل عليه حرف النفى وواو العطف. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**أن نرسل**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل نحن. وأن وما دخلت عليه في تأويل. مصدر مجرور بمن مقدرة متعلق بِمَنَعَنَا. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**أن**﴾ حرف مصدر. ﴿**كذب**﴾ فعل ماضٍ. ﴿**بها**﴾ متعلق بكذب. ﴿**الأولون**﴾ فاعل كذب. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع بدل من الفاعل المقدر. والتقدير: وما منعنا من إرسال الآيات شئ إلا تكذيبُ الأولين بها (!) ﴿**وما نرسل**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفى وواو العطف. والفاعل نحن. ﴿**بالآيات**﴾ متعلق بنرسل.

﴿**إلا تخويفا**﴾ بدل من المفعول به المقدر. ﴿**وإذ**﴾ في محل نصب ظرف للزمان الماضى متعلق بفعل مقدر. ﴿**قلنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿**لك**﴾ متعلق بقلنا. ﴿**إن ربك**﴾ إن واسمها. ﴿**أحاط**﴾ فعل ماضٍ والفاعل ضمير يعود على ربك. ﴿**بالناس**﴾ متعلق بأحاط. وجملة إن ربك في محل نصب مقول القول. ﴿**وما جعلنا الرؤيا**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي وواو العطف. ﴿**التي**﴾: في محل نصب نعت للرؤيا. ﴿**أريناك**﴾: فعل وفاعل ومفعول صلة التى. ﴿**إلا فتنة**﴾ بدل من المفعول الثانى المقدر. والشجرة معطوف على الرؤيا. الملعونة نعت للشجرة. في القرآن متعلق بالملعونة.

﴿**ونخوفهم**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**فما يزيدهم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفى وفاء التعقيب. والفاعل ضمير يعود على التخويف والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**إلا طغيانا**﴾ بدل من المفعول الثانى المقدر. ﴿**كبيرا**﴾ نعت له.

﴿**وإذ قلنا للملائكة**﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملة ﴿**وإذ قلنا لك**﴾. ﴿**اسجدوا**﴾ أمر للملائكة بالسجود. ﴿**لآدم**﴾ متعلق باسجدوا. ﴿**فسجدوا**﴾ فعل وفاعل مرتب على فعل الأمر. ﴿**إلا إبليس**﴾ منصوب على الاستثناء. ﴿**قال: أأسجد**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**لمن**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**خلقت**﴾ فعل وفاعل صلة مَنْ. ﴿**طينا**﴾ حال من الموصول.

﴿**قال: أرأيتك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذى**﴾ في محل رفع خبره. ﴿**كرمت**﴾ فعل وفاعل. ﴿**عليّ**﴾ متعلق بكرمت. وجملة ﴿**كرمت**﴾ صلة الموصول. ﴿**لئن أَخَّرْتَنِي**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه إن الشرطية ولام القسم. ﴿**إلى يوم**﴾ متعلق بأخرتنى. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**لأحتنكن**﴾ فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والفاعل ضمير المتكلم. واللام للتوكيد. والجملة واقعة في جواب القسم سدت مسد جواب الشرط. ﴿**ذريته**﴾ مفعول به. ﴿**إلا قليلا**﴾ منصوب على الاستثناء. ﴿**قال: اذهب**﴾ فعل أمر موجه إلى إبليس. ﴿**فمن**﴾ اسم شرط دخل عليه فاء التفريع. ﴿**تبعك**﴾ فعل الشرط. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف حال من الفاعل. ﴿**فإن جهنم**﴾ إن واسمها. والفاء رابطة للجواب. ﴿**جزاؤكم**﴾ خبر إنّ. جزاءً مفعول مطلق. ﴿**موفورا**﴾ نعت له.

﴿**واستفزز**﴾ معطوف على اذهب. ﴿**مَن**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول. ﴿**استطعت**﴾ فعل وفاعل صلة مَن. ﴿**منهم بصوتك**﴾ متعلقان باستفزز. ﴿**وأجلب**﴾ مثل واستفزز. ﴿**عليهم بخيلك**﴾ متعلقان بأجلب. ﴿**ورجلك**﴾ معطوف على خيلك. ﴿**وشاركهم**﴾ مثل ما سبقه. ﴿**فى الأموال**﴾ متعلق بشاركهم. ﴿**والأولاد**﴾ معطوف على الأموال وعِدْهم كذلك. ﴿**وما يعدهم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفى وواو العطف. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**الشيطانُ**﴾ فاعل. ﴿**إلا غرورا**﴾ بدل من المفعول الثانى المقدر. ﴿**إن عبادى**﴾ إن واسمها. ﴿**ليس**﴾ فعل ماضٍ ناقص. ﴿**لك**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**سلطان**﴾ اسم ليس. وجملة ﴿**ليس لك عليهم سلطان**﴾ في محل رفع خبرُ إنّ.

وجملة ﴿**إن عبادى**﴾ بيانية. ﴿**وكفى**﴾ فعل ماضٍ. والواو للعطف. ﴿**بربك**﴾ فاعل جُرَّ بحرف الجر الزائد. ﴿**وكيلا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**ربكم**﴾ مبتدأ مرفوع بالضمة. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**الذى**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**يزجى**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على ﴿**ربكم**﴾. والجملة صلة الذى. ﴿**لكم**﴾ متعلق بيزجى. ﴿**الفلك**﴾ مفعول به. ﴿**فى البحر**﴾ متعلق بيزجى. ﴿**لتبتغوا**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل واو الجماعة فاعل وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بيزجى. ﴿**من فضله**﴾ متعلق بِلِتَبْتَغُوا. ﴿**إنه**﴾ إن واسمها. ﴿**كان**﴾ اسمها ضمير يعود على ربكم. ﴿**بكم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**رحيما**﴾ خبر كان.

وجملة ﴿**كان بكم رحيما**﴾ في محل رفع خبر إنّ. وجملة ﴿**إنه كان بكم رحيما**﴾ تعليل وتنبيه لموقع الامتنان. ﴿**وإذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. والواو للعطف. ﴿**مسّكم**﴾ فعل ماضٍ. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الضر**﴾ فاعل. ﴿**فى البحر**﴾ متعلق بمسكم. وجملة ﴿**مسكم الضر**﴾ فعل الشرط. ﴿**ضل من**﴾ فعل وفاعل والجملة جواب الشرط. ﴿**تدعون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة مَنْ. ﴿**إلا إياه**﴾ منصوب على الاستثناء. ﴿**فلما نجاكم**﴾ جملة شرطية دخل عليها حرف التعقيب. ﴿**إلى البر**﴾ متعلق بنجاكم. ﴿**أعرضتم**﴾ فعل وفاعل جواب الشرط. ﴿**وكان الإنسان كفورا**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها تذييل. ﴿**أفأمنتم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التفريع وحرف الاستفهام. ﴿**أن يخسف**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير يعود على ﴿**ربكم**﴾. ﴿**بكم**﴾ متعلق بيخسف. ﴿**جانب**﴾ مفعول به.

﴿**البر**﴾ مضاف إلى جانب. ﴿**أو يرسل**﴾ معطوف على ﴿**يخسف**﴾. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بيرسل. ﴿**حاصبا**﴾ مفعول به. ﴿**ثم لا تجدوا**﴾ معطوف على ﴿**يرسل**﴾. ﴿**لكم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وكيلا**﴾ مفعول به. ﴿**أم أمنتم**﴾ معطوف على قوله: ﴿**أفأمنتم**﴾. ﴿**أن يعيدكم**﴾ مثل ﴿**أن يخسف**﴾ كلٌّ منهما مؤول بمصدر منصوب بأمنتم. فيه متعلق بيعيدكم. ﴿**تارة**﴾ منصوب على الظرفية: ﴿**أخرى**﴾ نعت لتارة منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**فيرسل**﴾ مرتب على قوله: ﴿**أن يعيدكم**﴾. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بيرسل. ﴿**قاصفا**﴾ مفعول به. ﴿**من الريح**﴾ متعلق بمحذوف نعت لقاصف.

﴿**فيغرقَكم**﴾ مرتب على قوله: ﴿**فيرسل... بما**﴾ متعلق بيغرقكم. ﴿**كفرتم**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**ثم لا تجدوا**﴾ معطوف على قوله: ﴿**فيغرقكم**﴾. ﴿**لكم**﴾ متعلق بلا تجدوا. ﴿**علينا به**﴾ متعلقان بما بعدهما: ﴿**تبيعا**﴾ مفعول به. ﴿**ولقد كرمنا بنى...**﴾ فعل وفاعل. ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. وواو العطف. ﴿**آدم**﴾ مضاف إلى ﴿**بنى**﴾ مجرور بالفتحة لمنعه من الصرف. ﴿**وحملناهم**﴾ معطوف على ﴿**كرّمنا بنى آدم**﴾. ﴿**فى البر**﴾ متعلق بحملناهم. ﴿**والبحر**﴾ معطوف على البر. ﴿**ورزقناهم**﴾ مثل ﴿**وحملناهم**﴾. ﴿**من الطيبات**﴾ متعلق برزقناهم. ﴿**وفضلناهم**﴾ كذلك. ﴿**على كثير**﴾ متعلق بفضلناهم.

﴿**ممن**﴾ متعلق بمحذوف نعت لكثير. ﴿**خلقنا**﴾ فعل وفاعل صلة مَن. ﴿**تفضيلا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**يوم**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بفعل مقدر. والتقدير: اذكر يوم. ﴿**ندعو**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. ﴿**كل**﴾ مفعول به. ﴿**أناس**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**بإمامهم**﴾ متعلق بندعو. ﴿**فمن**﴾ اسم شرط. والفاء للتفريع. ﴿**أوتى**﴾ فعل ماضٍ مبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**كتابه**﴾ مفعول ثان لأوتى. ﴿**بيمينه**﴾ متعلق بأوتى. ﴿**فأولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يقرءون كتابهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. وجملة يقرءون في محل رفع خبر المبتدإ. وجملة المبتدإ والخبر في محل جزم جواب الشرط والرابط فيها الفاء.

﴿**ولا يظلمون**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل معطوفة على يقرءون. ﴿**فتيلاً**﴾ مفعول ثان. ﴿**ومن**﴾ عطف على ﴿**فمن أوتى**﴾. ﴿**كان**﴾ اسمها ضمير يعود على مَنْ. في هذه متعلق بما بعده: ﴿**أعمى**﴾ خبر كان منصوب بفتحة مقدرة على الألف. وجملة ﴿**كان في هذه أعمى**﴾ فعل الشرط. ﴿**فهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**فى الآخرة**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**أعمى**﴾ خبر المبتدإ مرفوع بضمة مقدرة على الألف. والجملة في محل جزم جواب الشرط والفاء رابطة للجواب. ﴿**وأضل**﴾ عطف على الخبر. ﴿**سبيلا**﴾ نصب على التمييز.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**أفأصفاكم ربكم بالبنين...**﴾ هذا الكلام مفرع على كلام مقدر يدل على تقديره المفرع عليه؛ والتقدير: أفضّلكم الله فأعطاكم البنين وجعل لنفسه البنات؟

ومناسبته لما قبله أن نسبة البنات إلى الله ادعاءُ آلهة تنتسب إلى الله بالبنوّة... فلما نهوا عن أن يجعلوا مع الله إلها آخر خصص بالتحذير عبادة الملائكة؛ لئلا يتوهموا أن عبادة الملائكة ليست كعبادة الأصنام... فجملة ﴿**أفأصفاكم ربكم بالبنين...**﴾ متفرعة على جملة ﴿**ولا تجعل مع الله إلها آخر...**﴾ وجملة ﴿**واتخذ من الملائكة إناثا**﴾ موصولة بما قبلها وجملة ﴿**إنكم لتقولون قولا عظيما**﴾ تقرير لمعنى الإنكار وبيان له. وأكد فعل تقولون بمصدره تأكيدًا لِمَعْنَى الإنكار. وجعله مجرّد قولٍ؛ لأنه لايعْدُو أن يكون كلاما صدر عن غير رَوِيّة... والعظيم القوى. والمراد هنا أنه عظيم في الفساد والبطلان. بقرينة سياق الإنكار. ولا أبلغ في تقبيح قولهم من وصفه بالعظيم!.. ﴿**ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا**﴾: لما ذكر فظاعة قولهم إن الملائكة بنات الله أعقب ذلك بأن في القرآن هدْيًا كافيًا، ولكنهم يزدادون نفورا من تدبّره... فجملة: ﴿**ولقد صرفنا في هذا القرآن**﴾ معترضة مقترنة بواو الاعتراض والضمير عائد إلى الذين عبدوا الملائكة وزعموهم بنات الله.

والتصريف هنا كناية عن التبيين بمختلف البيان ومتنوعه... وجملة وما يزيدهم إلا نفورا في موضع الحال وهو حال مقصود منه التعجيب من حال ضلالتهم؛ إذ كانوا يزدادون نفورا من كلامٍ فُصِّلَ وَبُيِّن لتذكيرهم. واستعير هنا لإعراضهم تنزيلا لهم منزلة الدواب والأنعام. قل لو كان معه آلهة كما تقولون إذاً لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا: عود إلى إبطال تعدد الآلهة زيادة في استئصال عقائد المشركين من عروقها... فالجملة استئناف ابتدائى بعد قوله: ﴿**ولا تجعل مع الله إلهًا آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا**﴾. والمخاطب بالأمر بالقول هو النبئ - صلى الله عليه وسلم - لدمغهم بالحجة المقنعة بفساد قولهم. وللاهتمام بها افتتحت بقل. وجملة كما تقولون معترضة للتنبيه على أن تعدد الآلهة لاتحقق له وإنما هو مجرد قول عارٍ عن المطابقة لما في نفس الأمر. وإذن دالة على الجواب والجزاء فهى مؤكدة لمعنى الجواب الذي يدل عليه اللام المقترنة بجواب لو الامتناعية الدالة على امتناع حصول جوابها لأجل امتناع وقوع شرطها.

والمعنى: فليس هناك آلهة ولا هناك مغالبة ومطالبة للألوهية. ﴿**سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا**﴾: إنشاء تنزيه لله تعالى عما ادعوه من وجود شركاء له في

الإلهية. وهو نتيجة لبطلان قولهم. **﴿يسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾**: هذه الآية جاءت دليلا على تنزيه الله عما يقول المشركون... وجملة **﴿إنه كان حليما غفورا﴾** استئناف يفيد التعريض بأن مقالتهم تقتضى تعجيل العقاب لهم في الدنيا لولا أن الله عاملهم بالحلم والإمهال. وفي ذلك تعريض بالحث على الإقلاع عن مقالتهم ليغفر الله لهم.

﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا﴾: الآية موصولة بالعطف على ما قبلها عطف قصة على قصة... فإنه لمّا نوّه بالقرآن في قوله: **﴿إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم...﴾** ثم أعقب بما اقتضاه السياق من الإشارة إلى ما جاء به القرآن من أصول العقيدة وجوامع الأعمال وما تخلل ذلك من المواعظ والعبر، عاد هنا إلى التنبيه على عدم انتفاع المشركين بهدى القرآن بمناسبة الإخبار عن عدم فقههم دلالة الكائنات على تنزيه الله تعالى عن النقائص. وتنبيها للمشركين على وجوب إقلاعهم عن بهتهم وعنادهم. وتأمينا للنبئ عن مكرهم به وإضمارهم إضراره، وقد كانت قراءته القرآنَ تغيظهم وتثير في نفوسهم الانتقام. ولما كان إنكارهم البعث هو الأصل الذي استبعدوا به دعوة النبئ حتى زعموا أنه يقول محالا... استحضروا في هذا الكلام بطريق الموصولية لما في الصلة من الإيمان إلى علة جعل ذلك الحجاب بينه وبينهم... ووصف الحجاب بالمستور مبالغة في حقيقة جنسه.

﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا﴾: عطف جعل على جعل. والتصريح باعادة فعل الجعل يؤذن بأن هذا الجعل آخر، فيرجح أن يكون جعل الحجاب المستور جعل الصرفة عن الإضرار ويكون هذا جعل عدم التدبر في القرآن خلقة في نفوسهم... **﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفورا﴾**: لما كان الإخبار عنهم قبل هذا يقتضى أنهم لايفقهون معانى القرآن تبع ذلك بأنهم يعرضون عن فهم ما فيه خيرُهم. وفي هذا المعنى قوله تعالى: **﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾**.

وتخصيص الذكر بالكون في القرآن لمناسبته الكلام على أحوال المشركين في

استماع القرآن: ﴿**نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى**﴾! : فالجملة مستأنفة استئنافا بيانيا. وافتتاح الجملة بضمير العظمة ـ نحن ـ لإظهار العناية بمضمونها. وأعلمُ اسم تفضيل مستعمل في معنى قوة العلم وتفصيله. والباء في قوله: ﴿**بما يستمعون**﴾ لتعدية اسم التفضيل. والباء في يستمعون به للملابسة. وإذ ظرف ليستمعون به. وإذ هم نجوى عطف على إذ يستمعون اليك. وإذ يقول بدل من إذ هم نجوى بدل بعض من كل. ووقع إظهار في مقام الإضمار في ﴿**إذ يقول الظالمون. . .**﴾ للدلالة على أن باعث قولهم ذلك هو الظلم.

وقولهم: ﴿**إن تتبعون إلا رجلا مسحورا**﴾ مراد به قصر الاتباع على من كان على هذه الحالة. انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا: هذه الآية فصلت عما قبلها لاستئنافها استئنافا ابتدائيًّا. والتعبير بفعل النظر إشارة إلى أنه بلغ من الوضوح أن يكون منظورا. والاستفهام بكيف للتعجيب من حالة تمثلهم للنبئ ـ بالمسحور .. . . وأصل ضرب وضع الشئ وتثبيته. وهو هنا مستعار للإبراز والبيان تشبيها للشئ المبرز المبيَّن بالشئ المثبت. وجمع الأمثال هنا وإن كان المحكى عنهم أنهم مثلوه بالمسحور وهو مثل واحد؛ لأن المقصود التعجيب من هذا المثل ومن غيره فيما يصدر عنهم من قولهم: هو شاعر. هو كاهن. هو مجنون. هو ساحر. هو مسحور.

﴿**فضلوا فلا يستطيعون سبيلا**﴾: فرع ضلالهم على ضرب أمثالهم؛ لأن ما ضربوه من الأمثال كله باطل وضلال وقوة في الكفر. وتفريع ﴿**فلا يستطيعون سبيلا**﴾ على تفريع فضلّوا؛ لتوغلهم في الحيرة على ضلالهم في ضرب تلك الأمثال. . . والجملة تمثيل لحال ضلالهم بحال الذي وقف في فيفاء لا يدرى من أية جهة يسلك إلى المقصود. والمعنى على هذا: أنهم تحيروا كيف يصفون حالك للناس لتوقعهم أن الناس يكذِّبُونهم. . . فلذلك جعلوا يتنقلون في وصفه من صفة إلى صفة لاستشعارهم أن ما يصفونه به باطل لايطابق الواقع. ﴿**وقالوا أئِذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا**﴾: وصلت الأية بالعطف على ما قبلها. والاستفهام انكارى.

وتقديم الظرف من قوله: ﴿**أئذا كنا. . .**﴾ للاهتمام به؛ لأن مضمونه هو دليل الاستحالة في ظنهم. . . فالإنكار متسلط على جملة ﴿**إنا لمبعوثون خلقا جديدا**﴾

وأصل تركيب الجملة: أئنا لمبعوثون إذا كنا عظامًا ورفاتًا؟! ﴿**قل كونوا حجارة أو حديدًا أو خلقا مما يكبر في صدوركم**﴾: هذا جواب عن قولهم في الآية السابقة... وقرينة ذلك مقابلة فعل كنا في مقالهم بقوله: ﴿**كونوا...**﴾ ومقابلة عظاما ورفاتا في مقالهم بقوله ﴿**حجارة أو حديدا...**﴾ مقابلة أجسام واهية بأجسام صلبة مثل الحجارة أو الحديد أوأشد... والمعنى: لو كنتم حجارة أو حديدا لأحياكم الله؛ لأن الحجارة والحديد أبعد عن قبول الحياة من العظام والرفات. والتفريع في قوله: ﴿**فسيقولون: من يعيدنا**﴾؟ على جملة قل: ﴿**كونوا حجارة...**﴾ الخ وجعل سؤالهم هنا عن المعيد لاعن أصل الإعادة: لأن البحث عن المعيد أدخل في الاستحالة من البحث عن أصل الإيمان فهو بمنزلة الجواب بالتسليم الجدلى بعد الجواب بالمنع... فإنهم نفو إمكان إحياء الموتى... ثم انتقلو الى التسليم الجدلى؛ لأن التسليم الجدلى أقوى في معارضة الدعوى من المنع... والأستفهام في من يعيدنا تهكمى. ولما كان قولهم هذا محقق الوقوع في المستقبل أمر النبئ بأن يجيبهم عندما يقولونه جواب تعيين لمن يعيدهم ابطالا لِلَازِم التهكم وهو الأستحالة في نظرهم بقوله: قل الذي فطركم أول مرة إجراء لظاهر استفهامهم على أصله بجملة على خلاف مرادهم؛ لأن ذلك أجدر على طريقة الأسلوب الحكيم لزيادة المحاجة.

وجى بالمسند إليه موصولا لقصد ما في الصلة من الإيماء إلى تعليل الحكم بأن الذي فطرهم أول مرة قادرٌ على إعادة خلقهم... فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو؟ قل: ﴿**عسى أن يكون قريبا: يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا...**﴾ فمعنى هذا الرد واضح من السياق. ﴿**وقل لعبادى يقولوا التي هي أحسن...**﴾ فهذه الآية شديدة الاتصال بالتى قبلها. وهذا تأذيب عظيم في مراقبة اللسان وما يصدر منه. والمراد بقوله: لعبادى: المؤمنون: كما هو المعروف من اصطلاح القرآن في هذا العنوان.

وجملة: ﴿**إن الشيطان ينزغ بينهم**﴾ تعليل للأمر بقول التي أحسن. وجملة ﴿**إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا**﴾ تعليل لجملة ينزغ بينهم. وعلة العلة علة. وذكر كان للدلالة على أن صفة العداوة أمر مستقر في خِلْقَةِ الشيطان. ﴿**ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا**﴾: هذه الآية

تفسير وتوضيح لقوله: ﴿**قل لعبادى يقولوا التي هي أحسن**...﴾ ثم بعدما بين مايجب على المؤمنين من القول الحسن، وما هو خاص بالرسول من البلاغ والتبيين وجَّه إليه هذا الخطاب بقوله: ﴿**وربك أعلم بمن في السماوات والأرض... ولقد فضلنا بعض النبيئين على بعض وآتينا داوود زبورا**...﴾ فهذه الآية رد على استغراب المشركين من إرسال محمد دون غيره من صناديد قريشٍ... ﴿**وقالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**﴾؟!.. وخص داوود وزبوره بالذكر؛ لأن فيه ﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون**﴾.

﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا**﴾: جاءت هذه الآية معترضة بين قوله: ﴿**ولقد فضلنا بعض النبيئين على بعض**...﴾ وبين قوله: ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة**...﴾ لتفرق بين دعوة الحق وهي دعوة الرسل... وبين دعوة الباطل، وهي دعوة المشركين الأصنام... فجملة: ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه**...﴾ مقصود بها النبيئون، زيادة في تمييزهم وتفضيلهم، وأن دعاءهم مستجاب بخلاف من يدعو الأصنام التي لا تملك شيئا ولا تمنع ضرا عنها ولا عن عابديها. وجملة ﴿**إن عذاب ربك كان محذورا**﴾: تذييل مقرر لما تضمنه موقف النبيئين من التعظيم والإجلال والخشية من الكبير المتعال... فهم في موقف الأدب مع ربهم... فلا يزيدهم القرب من رضاه إلا إجلالا له وخوفا من غضبه.

وهو تعريض بالمشركين الذين ركبوا رؤوسهم وتوغلوا في الغرور فزعموا أن شركاءهم شفعاؤهم عند الله. ﴿**وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا**﴾: لما عرّض بالتهديد للمشركين في قوله: ﴿**إن عذاب ربك كان محذورا**﴾. وتحداهم بقوله: ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا**﴾، جاء بصريح التهديد على مسمع منهم بأن كل قرية مثل قريتهم في الشرك لا يعدوها عذاب الاستئصال. وهو يأتى على قرية وأهلها أو عذاب الانتقام بالسيف والأسر والذل... والتقييد بكونه قبل يوم القيامة زيادة في الإنذار والوعيد. ودخول من الزائدة على إن النافية لتأكيد استغراق مدخولها باعتبار الصفة المقدرة.

أي: جميع القرى الكافرة، كي لا يحسب أهل مكة عدم شمولهم والكتاب المسطور هو جنس الكتب التي أنزلت على الرسل. وفي مقدمتها القرآن الكريم. ﴿**وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون**﴾!: فهذه الآية موصولة بالعطف على قوله: ﴿**وإن من قرية إلا نحن مهلكوها**...﴾ لزيادة كشف شبهة أخرى من شُبَه تكذيبهم؛ إذ كانوا يسألون النبئ أن يأتيهم بآيات على حسب اقتراحهم... فلو كانت الآيات تفيد لأفادت من كان قبلهم من الأمم المكذبة... فجملة ﴿**وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها**﴾ في محل الحال من فاعل نرسل. وضمير منعنا... فثمود اقترحوا على صالح آية... فلما كذبوا بها أخذهم عذاب الاستئصال... ﴿**وما نرسل بالآيات إلا تخويفا**﴾: نرسل بالآيات للتحذير والتخويف.

ولما لم ينفع التخويف والتحذير فلا فائدة في الإرسال بالآيات لعدم جدواها... ﴿**أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم**...﴾ فجملة ﴿**وَإِذْ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس**﴾. جيئ بها هنا تسلية للنبئ على حزنه من تكذيب قومه اياه... فالحملة موصولة بما قبلها بالعطف. وهو يذكّره بهذا الوعد الذي لايتخلف فلا تحزن لإفترائهم وتطاولهم فسننتقم منهم. ﴿**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا**﴾: وصل الكلام بالعطف على ما قبله. والمقصود ان الآيات لاتفيد المعاند. والدليل على ذلك ما حصل للرسول من الرؤيا الصادقة.

وكذلك ذكر شجرة الزقوم التي ورد وصفها في القرآن الكريم. كل ذلك كان دليلا على صدق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم. ومع هذا التخويف لم يزدادوا إلا طغيانا كبيرا. ﴿**وَإِذْ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على الآية التي قبلها والمقصود منها هو تذكير النبي بما لقى الأنبياء قبله من معاندة الأعداء والحسدة من عهد آدم حين حسده إبليس على فضله. وجملة ﴿**قال أأسجد**﴾ مستأنفة استئنافا بيانيا؛ لأن استثناء إبليس من حكم السجود لم يفد أكثر من عدم السجود. وهذا يثير في نفس السامع أن يسأل عن سبب التخلف عن هذا الحكم منه. فيجاب بما صدر منه حين الاتصاف بعدم السجود أنه عصيان لأمر الله ناشئ عن جهله وغروره.

وجملة ﴿**قال أرأيتك. . .**﴾ بدل اشتمال من جملة ﴿**أأسجد لمن خلقت طينا**﴾ باعتبار ما اشتملت عليه من تحقير آدم وتغليط الإرادة من تفضيله، فقد أعيد إنكار التفضيل بقوله: أرأيتك المفيد للإنكار. وعلل الإنكار بإضمار المكر لذريته؛ ولذلك فصلت جملة قال: ﴿**أرأيتك**﴾ عن جملة: ﴿**قال أأسجد**﴾. وأرأيتك تركيب يفتتح بها الكلام الذي يراد تحقيقه والاهتمام به. ومعناه: أخبرنى عما رأيت. واسم الإشارة في قوله: ﴿**هذا الذي كرمت علىّ**﴾ مستعمل في التحقير. وجملة ﴿**لئن أخرتنى إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا**﴾ مستأنفة استئنافا ابتدائيا. وهي جملة قَسَميَّة. والخبر مستعمل في الدعاء. وهو طلب التأخير إلى يوم يبعثون.

والاحتناك: وضْعُ الراكب اللجام في حنك الفرس ليركبه ويسيّره. فهو هنا تمثيل لجلب ذرية آدم إلى مراده من الإفساد والإغواء بتسيير الفرس على ما يريد راكبه واستثنى إبليس من ذرية آدم قليلا. وهم عباد الله المخلصون الذين لاسلطان له عليهم. . . ﴿**قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا**﴾: هذا جواب من الله تعالى عن سؤال إبليس التأخير إلى يوم القيامة؛ ولذلك فصلت جملة قال على طريقة المحاورات والذهاب مستعمل هنا في الاستمرار على العمل. وقوله: ﴿**فمن تبعك منهم**﴾ تفريع عليه وأعيد جزاء للتأكيد اهتماما وفصاحة؛ لأنه أحسن في جريان وصف الموفور على موصوف متصل به دون فصل. والاستفزاز في قوله: ﴿**واستفزز من استطعت منهم بصوتك**﴾ مستعمل تمثيلا لحالة إبليس بحال قائد الجيش إذا أراد استنفارهم.

﴿**وأجلب عليهم بخيلك ورجلك**﴾: تمثيل لحال صرف قوته ومقدرته على الإضلال بحال قائد الجيش يجمع فرسانه ورجالته. والمعنى: اجمع لمن اتبعك من ذرية آدم وسائل الفتنة والوسوسة لإضلالهم. . . فجعلت وسائل الوسوسة بتزيين المفاسد وتفظيع المصالح كاختلاف أصناف الجيش. . . فهذا تمثيل حال الشيطان وحال متبعيه من ذرية آدم بحال من يغزو قوما بجيش عظيم من فرسان ورجّالة. وشاركهم في الأموال والأولاد. . . فالمشاركة في الأموال أن يكون للشيطان نصيب في أموالهم. وهي أنعامهم وزروعهم وعروض تجارتهم من كسبها من الحرام وصرفها في الحرام. . . والمشاركة في الأولاد حيث أمرهم بوأد البنات.

وأن يستولدوهم من الزنا. . . وأن يسموهم بأسماء المعبودات. . . ومعنى عدْهم: أعظم المواعيد بحصول ما يرغبونه. . . وحذف مفعول وعدهم للتعميم للموعود به. والمقام دال على أن المقصود أن يعدهم بما يرغبون؛ لأن العدة هي التزام إعطاء المرغوب. وسمّاه وعدا لأنه يوهمهم حصوله فيما يستقبل. . . فلا يزالون يتنظرونه كشأن الكذاب أن يحترز عن الأخبار بالعاجل لقرب افتضاحه. . . فيجعل مواعيده كلها للمستقبل؛ ولذلك اعترض بجملة ﴿**وما يعدهم الشيطان إلا غرورا**﴾. وإظهار اسم الشيطان في قوله: ﴿**وما يعدهم الشيطان. . .**﴾ دون أن يؤتى بضميره المستتر؛ لأن هذا الاعتراض جملة مستقلة. فلو كان فيها ضمير عائد إلى ما في جملة أخرى لكان في النثر شبه عيب التضمين في الشعر. ولأن هذه الجملة جارية مجرى المثل فلا يحس اشتمالها على ضمير ليس من أجزائها. ﴿**إن عبادى ليس لك عليهم سلطان**﴾. فهذه الجملة من تمام الكلام المحكي بقال اذهب.

وهي جملة مستأنفة استئنافا بيانيا ناشئا عن قوله: ﴿**فمن تبعك منهم**﴾. وقوله: ﴿**واستفزز من استطعت منهم. . .**﴾ فإن مفهوم: ﴿**من تبعك. . . ومن استطعت. . .**﴾ من قبيل مفهوم الصفة فيفيد أن فريقا من ذرية آدم لا يتبع إبليس فلا يحتنكه. وهذا المفهوم يفيد أن الله قد حفظ هذا الفريق من الشيطان. وذلك يثير سؤالا في خاطر إبليس ليعلم الحائل بينه وبين ذلك الفريق بعد أن علم في نفسه علما إجماليا أن فريقا لايحتنكه؛ لقوله: ﴿**لأحتنكن ذريته إلا قليلا**﴾. فوقعت الإشارة إلى تعيين هذا الفريق بالوصف وبالسبب: فأما الوصف ففى قوله: عبادى المفيد أنهم تمحضوا لعبودية الله تعالى كما تدل عليه الإضافة.

وأما السبب ففى قوله: ﴿**وكفى بربك وكيلا**﴾ المفيد أنهم توكلوا على الله واستعاذوا به من الشيطان. ﴿**ربكم الذي يزجى لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما**﴾: استئناف ابتدائى. وهو عود إلى تقرير أدلة الانفراد بالتصريف في العالم المشوبة بما فيها من النعم على الخلق والدالة بذلك الشوب على إتقان الصنع ومحكم التدبير لنظام هذا العالم وسيادة الإنسان فيه وعليه. وافتتحت الجملة بالمسند إليه معرفا بالإضافة ومستحضرا بصفة الربوبية لاستدعاء إقبال السامعين على الخبر المؤذن بالأهمية حيث افتتح بما يترقب منه خير عظيم

لكونه من شؤون الإله الحق وخالق الخلق ومدبر شؤونهم تدبير اللطيف الخبير.

وجيء بالجملة الاسمية لدلالتها على الدوام والثبات وتعريف طرفيها للدلالة على الانحصار. وجئ بالصلة فعلا مضارعا للدلالة على تكرر ذلك وتجدده. فحصلت في هذه الجملة على إيجازها معان جمة خصوصية. وفي ذلك حَدُّ الإعجاز. ويزجى: يسوق سوقا بطيئا. شبه تسخير الفلك للسير في الماء بإزجاء الدابة المثقلة بالحمل. وهذا امتنان على الناس كلهم مناسب لعموم الدعوة. وجملة ﴿**إنه كان بكم رحيما**﴾ تعليل وتنبيه لموقع الامتنان ليرفضوا عبادة غيره مما لا أثر له في هذه المِنّة. ﴿**وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا**﴾: بعد أن ألزمهم الحجة على حقّ إلهيةِ الله تعالى بما هو من خصائص صنعه باعترافهم أعقبه بدليل آخر من أحوالهم المتضمنة إقرارهم بانفراده بالتصرف ثم بالتعجيب من مناقضة أنفسهم عند زوال اضطرارهم.

فجملة ﴿**وإذا مسكم الضر في البحر**﴾ خبر مستعمل في التقرير وإلزام الحجة... وجملة: ﴿**فلما نجاكم إلى البر أعرضتم**﴾ خبر مستعمل في التعجيب والتوبيخ. وجملة وكان الإنسان كفورا اعتراض وتذييل لزيادة التعجب منهم ومن أمثالهم. ﴿**أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لاتجدوا لكم وكيلا**﴾: تفريع على جملة أعرضتم. وما بينهما اعتراض. وفرّع الاستفهام التوبيخى على إعراضهم عن الشكر وعودهم إلى الكفر. وفي هذا تنبيه على أن السلامة في البر نعمة عظيمة... فالإنسان معرض للخطر في البر كما هو في البحر. ﴿**أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا**﴾: هذه الآية معطوفة بحرف أم. وهي للإضراب الانتقالى. ويقدر معها الاستفهام.

أى: أو هل كنتم آمنين من العود إلى ركوب البحر مرة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح... إلخ: وجملة ثم ﴿**لاتجدوا لكم علينا به تبيعا**﴾: ارتقاء في التهديد بعدم وجود منقذ لهم بعد تهديدهم بالغرق؛ لأن الغريق قد يجد منقذا. ﴿**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾: هذه الآية جاءت بمناسبة العبرة والمنة على

المشركين من حيث كونهم من بنى آدم لا من حيث كونهم على دين الحق... فلقد كرم الله بنى آدم من حيث جعلهم خلفاء في الأرض... فالأوصاف المثبتة هنا إنما هي أحكام النوع من حيث هو كما هو، شأن الأحكام. التي تُسنَدُ إلى الجماعات.

والفرق بين التفضيل والتكريم بالعموم والخصوص... فالتكريم منظور فيه إلى تكريمه في ذاته... والتفضيل منظور فيه إلى تشريفه فوق غيره والإتيان بالمفعول المطلق في قوله: تفضيلا. لإفادة ما في التنكير من التعظيم... ﴿**يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون قتيلا. ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا**﴾: هذه الآية جاءت مستأنفة استئنافا ابتدائيا. والمناسبة هي الانتقال من التهديد بعاجل العذاب إلى التهديد بآجل العذاب في الآخرة. وبيان حال الناس يومئذ... فيوم منصوب بفعل مقدر. والتقدير: اذكر يوم ندعو... والمراد بالإمام هنا المُتَّبع في الحق أو في الباطل؛ لإظهار الحقائق كما هي عليه. وفرع على هذا قوله؛ فمن أوتى كتابه بيمينه... فهو تفريع التفصيل لما أجمله قوله: ﴿**يوم ندعو كل أناس بإمامهم**﴾.

والإتيان بإسم الإشارة بعد فاء الجواب: أما للتنبيه على أنهم دون غيرهم يقرءون كتابهم؛ لإظهار المسرة والفرح... وعطف ومن كان في هذه أعمى... عطف القسيم على قسيمه فهو في حيز الشرط. ولما كان القسيم المعطوف عليه هم من أوتى كتابه بيمينه علم أن المعطوف بضد ذلك يؤتى كتابه بالشمال. فاستغنى عن ذكر ذلك. وأتى له بصلة أخرى، وهي كونه أعمى حكما آخر من أحواله الفظيعة في ذلك اليوم. والإشارة بهذه إلى معلوم من المقام؛ وهو الدنيا. والمراد بالعمى في الدنيا الضلالة في الدين أطلق عليها العمى على وجه الاستعارة. وعمى الآخرة نتيجة عمى الدنيا... فهو أشد من عمى الدنيا لإمكان الخلاص منه بخلاف عمى الآخرة فلا خلاص منه.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثًا إنكم لتقولون قولا عظيما**﴾: في هذا التوجيه اتجاه هذا السؤال الذي يحمل الاستنكار

والاستغراب والتهكم من هذا القول الذي يقوله المشركون إلى المخاطبين الذين واجهتهم دعوة الإسلام أول ما واجهت. . . فأنكرت عليهم هذا القول: من أن الملائكة بنات الله! تعالى الله عن الولد والصاحبة كما تعالى عن الشبيه والشريك. وتهكمت بهم على نسبة البنات لله وهم يعدون البنات أدنى من البنين ويقتلون البنات خوف الفقر أو العار. ومع هذا يجعلون الملائكة إناثا. وينسبون تلك الإنات الى الله! فإذا كان الله هو واهب البنين والبنات، فهل أصفاهم بالبنين المفضلين واتخذ لنفسه الإنات المفضولات؛! وهذا كله على سبيل مجاراتهم في ادعاآتهم لبيان ما فيها من تفكك وتهافت. . . وإلا فالقضية كلها مستنكرة من الأساس: ﴿**إنكم لتقولون قولا عظيما. . .**﴾ عظيما في شناعته وبشاعته. . . عظيما في جرأته ووقاحته. . . عظيما في ضخامة الافتراء فيه. . . عظيما في خروجه عن التصور والتصديق.

﴿**ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا. . .**﴾ فقد جاء القرآن بالتوحيد. وسلك إلى تقرير هذه العقيدة وإيضاحها طرقا شتى، وأساليب متنوعة ووسائل متعددة ليذكروا. . . فالتوحيد لايحتاج إلى أكثر من التذكر والرجوع إلى الفطرة ومنطقها، وإلى الآيات الكونية ودلالتها. ولكنهم يزيدون نفورًا كلما سمعوا هذا القرآن. نفورا من العقيدة التي جاء بها، ونفورا من القرآن ذاته خيفة أن يغلبهم على عقائدهم الفاسدة التي يستمسكون بها: عقائد الشرك والوهم والترهات. ﴿**قل لو كان معه آلهة كما تقولون**﴾. فالقضية من أصلها ممتنعة. فليس هنالك آلهة مع الله ـ كما يقولون. . . والآلهة التي يدعونها ما هي إلا خلق من خلق الله. سواء كانت نجما أو كوكبا. . . إنسانا أو حيوانا. . . نباتا أو جمادا. . . فهذه كلها تتجه إلى الخالق حسب ناموس الفطرة الكونية. . . فلو كان هنالك غير هذه وادعيتم ألوهيته لظهر للعيان مناضلا مطالبا مدافعا عن ألوهيته.

﴿**وما كان معه من إله إذًا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض. . . إذن لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا**﴾: هو جواب الشرط الممتنع الوقوع والإمكان: ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا اللهُ لفسدتا**﴾. وذِكْرُ العرشِ هنا يوحى بالتعالى والتسامى على أى شئ فكل شئ مخلوق تحت تصرفه وقهره. . . ثم يعقب على ذلك بتنزيه الله في علاه: ﴿**سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا. . .**﴾ ثم يرسم

السياق للكون كله بما فيه ومن فيه مشهدا فريدا تحت عرش الله، يتوجه كله إلى الله، يسبح له ويجد الوسيلة إليه ﴿**يسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن...**﴾ فهو تعبير تنبض به كل ذرة في هذا الكون الكبير، وتنتفض رُوحًا حيَّة تسبّحُ اللهَ.

فإذا الكون كله حركةٌ وحياةٌ، وإذا الوجود كله تسبيحةٌ واحدةٌ شجية رخية ترتفع في جلال إلى الخالق الواحد الكبير المتعال. وإنه لمشهد كونى فريد حين يتصور القلب كل حصاة وكل حجر، كل حبة وكل ورقة. كل زهرة وكل ثمرة، كل نبتة وكل شجرة، كل حشرة وكل زاحفة كل حيوان وكل إنسان، كل دابة على الأرض وكل سابحة في الماء والهواء... ومعها سكان السماء كلها تسبح الله وتتوجه إليه في علاه. وإن الوجدان ليرتعش وهو يستشعر الحياة تدب في كل ما حوله مما يراه ومما لا يراه. وكلما همّت يدُه أن تلمس شيئا، وكلما همت رجله أن تطأ شيئا سَمِعَهُ يسبح لله وينبض بالحياة: ﴿**وإن من شئ إلا يسبح بحمده...**﴾ يسبح بطريقته ولغته ولكن لا تفقهون تسبيحهم... لاتفقهونه محجوبون بصفاقة الطين، ولأنكم لم تتسمعوا بقلوبكم ولم توجهوها إلى أسرار الوجود الخفية، وإلى النواميس التي تنجذب إليها كل ذرة في هذا الكون الكبير.

وحين تشف الروح وتصفو فتتسمع لكل متحرك أو ساكن وهو ينبض بالروح ويتوجه بالتسبيح... فإنها تتهيأ للاتصال بالملإ الأعلى وتدرك من أسرار هذا الوجود مالا يدركه الغافلون: ﴿**إنه كان حليما غفورا...**﴾ وذكر الحلم هنا والغفران بمناسبة ما يبدو من البشر من تقصير في ظل هذا الموكب الكونى المسبح بحمد الله. بينما البشر في جحود وفيهم من يشرك بالله، ومن ينسب له البنات، ومن يغفل عن حمده وتسبيحه، والبشر أولى من كل شئ في هذا الكون بالتسبيح والمعرفة والتوحيد: ولولا حلم الله وغفرانه لأخذ البشر أخذ عزيز مقتدر. ولكنه يمهلهم ويذكرهم ويعظهم ويزجرهم... ولقد كان كبراء قريش يستمعون إلى القرآن ولكنهم يجاهدون قلوبهم ألا ترقّ له، ويمانعون فطرتهم أن تتأثر به... فجعل الله بينهم وبين الرسول حجابا. حجابا خفيا. وجعل على قلوبهم كالأغلفة فلا تفقه القرآن، وجعل في آذانهم كالصمم فلا تعى ما فيه من توجيه: ﴿**وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا، وجعلنا على**

قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرًا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا. . .﴾ نفورا من كلمة التوحيد التي تهدد وضعهم الاجتماعى القائم على أوهام الوثنية وتقاليد الجاهلية.

وإلا. . . فقد كان كبراء قريش أذكى من أن يخفى عليهم ما في عقائدهم من تهافت وما في الإسلام من تماسك، وأعرف بالقول من أن يغيب عنهم ما في القرآن من سمو وارتفاع وامتياز. وهم الذين لم يكونوا يملكون أنفسهم من الاستماع إليه والتأثر به، على شدة ما يمانعون قلوبهم ويدافعونها. ولقد كانت الفطرة تدفعهم إلى التسمع والتأثّر والكبرياء تدفعهم عن التسليم والإذعان. . . فيطلقون التهم على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقدرون بها عن المكابرة والعناد: **﴿وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا. . .﴾** فهذه الكلمة ذاتها تحمل في ثناياها دليل تأثرهم بالقرآن. . . فهم يستكثرون في دخيلتهم أن يكون هذا قول بشر؛ لأنهم يحسون فيه شيئا غير بشرى، ويحسون دبيبه الخفى في مشاعرهم فينسبون قائله إلى السحر.

يرجعون إليه هذه الغرابة في قوله، وهذا التميز في حديثه، وهذا التفوق في نظمه. . . فمحمدٌ إذَنْ لا ينطق عن نفسه إنما ينطق عن السحر بقوة غير قوة البشر! ولو أنصفوا لقالوا: إنه من عند الله فما يمكن أن يقول هذا إنسان، ولا خلق آخر من خلق الله: **﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾**. ضربوا لك الأمثال بالمسحورين ولست بمسحور. . . إنما أنت رسول. . . فضلوا ولم يهتدوا، وحاروا فلم يجدوا طريقا يسلكونه: لا إلى الهدى، ولا إلى تعليل موقفهم المريب! ذلك قولهم عن القرآن وعن الرسول وهو يتلو عليهم القرآن وفيه ذكر الآخرة والبعث. . . وقد كانت قضية البعث مثار جدل طويل بين الرسول والمشركين. واشتمل القرآن الكريم على الكثير من هذا الجدل. مع بساطة هذه القضية ووضوحها عند من يتصور طبيعة الحياة والموت، وطبيعة البعث والحشر.

ولقد عرضها القرآن الكريم في هذا الضوء مرات ولكن القوم لم يكونوا يتصورونها بهذا الوضوح وبتلك البساطة. . . فكان يصعب عليهم تصور البعث بعد البلى والفناء المسلط على الأجسام: **﴿وقالوا أأذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾**؟! ذلك أنهم لم يكونوا يتدبرون أنهم لم يكونوا أحياء أصلا ثم

كانوا، وأن النشأة الآخرة ليست أعسر من النشأة الأولى. . . فكان الرد على ذلك التعجب ﴿**قل: كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم. . .**﴾ فالعظام والرفاث فيها رائحة البشرية وفيها ذكرى الحياة والحديد والحجارة أبعد عن الحياة.

فيقال لهم: كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا آخر. أو غُلٌّ في البعد عن الحياة من الحجارة والحديد مما يكبر في صدوركم أن تتصوروه وقد نفخت فيه الحياة. . . فسيبعثكم الله. وهم لا يملكون أن يكونوا حجارة أو حديدا أو خلقا آخر. . . ولكنه قول للتحدى. وفيه كذلك ظل التوبيخ والتقريع. . . فالحجارة والحديد جماد لا يحس ولا يتأثر، وفي هذا إيماء من بعيد إلى مافى تصورهم من جمود وتحجر! فسيقولون: من يعيدنا؟ من يردنا إلى الحياة إن كنا رفاتا وعظاما، أو خلقا آخر أشد إيغالا في الموت والخمود؟ ﴿**قل: الذي فطركم أول مرة. . .**﴾ فهو رد يرجع المشكلة إلى تصور بسيط واضح مريح. . . فالذى أنشأهم إنشاء قادر على أن يردهم أحياء. . . ولكنهم لا ينتفعون بهذا الجواب ولا يقتنعون: فسينغضون إليك رءوسهم. . . ينغضونها علوّا أو سفلا استنكارا واستهزاء. : ويقولون: متى هو؟ استبعادا لهذا الحادث واستنكارا.

﴿**قل عسى أن يكون قريبا. . .**﴾ فالرسول لا يعلم موعده تحديدا. . . ولكن لعله أقرب مما يظنون. وما أجدرهم أن يخشوا وقوعه وهم في غفلتهم يكذبون ويستهزءون. . . ثم يرسم مشهدا سريعا لذلك اليوم: ﴿**يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا**﴾. وهو مشهد يصور أولئك المكذبين بالبعث المنكرين له، وقد قاموا يلبون دعوة الداعى وألسنتهم تلهج بحمد الله. ليس للناس سوى هذه الكلمة من قول ولا جواب. فالمؤمن يقولها بلسانه من صميم قلبه. والمنكر يقولها بلسان حاله حيث تظهر حقيقة الحمد خاصة بالله. ويومئذ تنطوى الحياة الدنيا كما ينطوى الظل. وتصوير الشعور بالدنيا على هذا النحو يصغر من قيمتها في نفوس المخاطبين فإذا هي قصيرة قصيرة. . . فلا يبقى من ظلالها في النفس وصورها في الحس إلا أنها لمحة مرت وعهد زال وظل تحول ومتاع قليل.

التوجيه الثاني: ﴿**وقل لعبادى يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا**﴾: في هذا التوجيه إلتفات إلى عباد الله المؤمنين

ليوجههم الرسول أن يقولوا الكلمة الطيبة وينطقوا دائما بالحسنى على وجه الإطلاق وفي كل مجال. . . فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه. . . بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة. . . فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت. وبالرد السئ يتلوها. . . فإذا جَوُّ الودّ والمحبةِ والوفاقِ مشوبٌ بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء. والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب وتندّى جفافها. وتجعلها في الود الكريم. ﴿**إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا**﴾: يلتمس سقطات فَمِهِ ونثرات لسانه. . . فيغرى بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه والكلمة الطيبة تسد عليه الثغرات، وتقطع عليه الطريق، وتحفظ حرم الأخوة آمنا من نزغاته ونفثاته. ﴿**ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأيعذبكم وماأرسناك عليهم وكيلا**﴾.

﴿**وربك أعلم بمن في السماوات والأرض**﴾: هذا الكلام موجه إلى المخاطبين بالقرآن يعلمهم فيه أن العلم المطلق لله. وهو يرتب على كامل علمه بهم: رحمتهم أو عذابهم فمنهم من آمن ومنهم من كفر. . . ومنهم مرسل مختار. . . ﴿**فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها. . . وما أرسلناك عليهم وكيلا. . .**﴾ فعند البلاغ تنتهى وظيفة الرسول وعلم الله الكامل يشمل من في السماوات والأرض من ملائكة ورسل وإنس وجن وكائنات لايعلم إلا الله ماهى؟ وما قدرها؟ وما درجتها. وبهذا العلم المطلق بحقائق الخلائق فضل الله بعض النبيئين على بعض. ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات. . . ولقد فضلنا بعض النبيئين على بعض وآتينا داوود زبورا**﴾: هذا نموذج مِنْ عَطَاءِ الله لأحد أنبئائه. وهو من مظاهر التفضيل.

وخص الزبور هنا لما فيه أن الأرض يرثها عبادى الصالحون. وهو تعريض بالمشركين من أهل مكة بأن المسلمين سيرثون أرضهم وينتصرون عليهم. ﴿**قل: ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا**﴾: لما كان النصر مكتوبا للرسول ولمن تبعه من المؤمنين تحداهم بأن يدعوا شركاءهم لينصروهم ويمنعوهم مما يحصل لهم من القهر والهزيمة والقتل والأسر. كما وقع بعد ذلك لهم يوم بدر وما تلاها من أحداث ﴿**سيهزم الجمع ويولّون الدبر**﴾.

﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا**﴾: هذه الأوصاف اتصف بها الأنبئاء

ومن تبعهم من عباد الله الصالحين الذين اختارهم الله لنصرة دينه والذود عن كيانه ﴿**وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا**﴾: لما عرّض بالتهديد للمشركين في قوله: ﴿**إن عذاب ربك كان محذورا**﴾. وتحداهم بقوله: ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا**﴾. جاء بالتهديد الصريح على مسمع منهم بأن كل قرية مثل قريتهم في الشرك لايعدوها عذاب الاستئصال وهو يأتى على القرية وأهلها... أو عذاب الانتقام بالسيف والذل والأسر والخوف والجوع وهو يأتى على أهل القرية مثل ما سيحصل لأهل بدر وغيرهم من القتل والأسر والتشريد والقهر... وهذا قد سطر في الكتاب فلا بد أن يقع كما قُدّر وسُطّر.

﴿**وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا**﴾: طلب المشركون من قريش أن يأتيهم الرسول بآيات كما أتى بها موسى وعيسى وغيرهما... فلم يجبهم إلى هذا الطلب؛ إذ لو جاءتهم كما طلبوا وكفروا بها لأخذهم عذاب الاستئصال كما أخذ من قبلهم من الأمم المكذبة... إن معجزة محمد هي القرآن. وهو كتاب يرسم منهجا كاملا للحياة، ويخاطب العقل والقلب، ويلبى الفطرة القويمة، ويبقى مفتوحا للأجيال المتتابعة تقرؤه وتؤمن به إلى يوم القيامة. أما الخارقة المادية فهى تخاطب جيلا واحدا من الناس... على أن كثرة من كانوا يشاهدون الآيات لم يؤمنوا بها.

وقد ضرب السياقُ المثل لثمود الذين جاءتهم الناقة وفق ما طلبوا واقترحوا آية واضحة فظلموا بها أنفسهم وأوردوها موارد الهكلة تصديقا للوعيد بإهلاك المكذبين بالآية الخارقة. وما كانت الآيات إلا إنذارًا وتخويفا بحتمية الهلاك بعد مجيء الآيات، هذه التجارب البشرية اقتضت أن تجئ الرسالة الأخيرة غير مصحوبة بالخوارق؛ لأنها رسالة الأجيال المقبلة جميعها لا رسالة جيل واحد يراها. ولأنها رسالة الرشد البشرى تخاطب مدارك الإنسان جيلا بعد جيل. وتحترم إدراكه الذي تتميز به بشريته والذي من أجله كرّمه الله على كثير من خلقه.

أما الخوارق التي وقعت للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأولها خارقة الإسراء والمعراج... فلم تتخذ معجزة مصدقة للرسالة... إنما جعلت فتنة للناس

وابتلاء: ﴿**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس...**﴾ إما إحاطة الله بالناس فقد كانت وعدا من الله لرسوله بالنصر وعصمة له من أن تمتد أيديهم إليه: ﴿**وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا**﴾. ولقد أخبرهم بوعد الله له، وبما أطلعه الله عليه في رؤياه الكاشفة الصادقة. ومنه شجرة الزقوم التي يخوف الله بها المكذبين. فكذّبوا بذلك... فماذا كانت الخوارق صانعة مع القوم لو كانت هي آية رسالته كما كانت علامة الرسالات قبله ومعجزة المرسلين؟. وما زادتهم خارقة الإسراء ولا زادهم التخويف بشجرة الزقوم إلا طغيانا كبيرا.

إن الله تعالى لم يقدر إهلاك المشركين من قريش بعذاب من عنده. ومن ثَمّ لم يرسل إليهم بخارقة... فقد اقتضت إرادة الله تعالى أن يهلك المكذبين بالخوارق أما قريش فقد أُمهلت ولم تُؤخذ بالإبادة كقوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ومن المكذبين من قريش من آمن بعد ذلك وكان من جند الإسلام الصادقين ومنهم من أنجب المؤمنين الصادقين. وظل القرآن ـ معجزة الإسلام ـ كتابا مفتوحا لجيل محمد وللأجيال بعده... فآمن به من لم يشهد الرسول وعصره وصحابتَه... إنما قرأ القرآن أو صاحب من قرأه... وسيبقى القرآن كتابا مفتوحا للأجيال ليهتدى به من هم بعدُ في ضمير الغيب. وقد يكون منهم من هو أشد إيمانا وأصلح عملا وأنفع للإسلام من كثير سبقوه.

وفى ظل الرؤيا التي رآها الرسول ـ واطلع فيها على ما اطلع عوالم. والشجرة الملعونة يطعم منها أتباع الشياطين... يجئ مشهد إبليس الملعون يهدد ويتوعد بإغواء الضالين: ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا...**﴾ إن السياق يكشف عن الأسباب الأصلية لضلال الضالين فيعرض هذا المشهد هنا ليحذر الناس وهم يطلعون على أسباب الغواية ويرون إبليس عدوهم وعدو أبيهم يتهددهم بها عن إصرار سابق قديم. إنه حسد إبليس لآدم يجعله يذكر الطين ويغفل نفخة الله في هذا الطين! ويعرض إبليس بضعف هذا المخلوق واستعداده للغواية، فيقول في تبجح: ﴿**أرأيتك هذا الذي كرمت علىّ...**﴾ أترى هذا الذي جعلته أكرم منى عندك؟ ﴿**لئن أخرتنى إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا**﴾ فلأستولين عليهم وأحتويهم وأملك زمامهم وأجعلهم في

قبضة يدى أصرف أمرهم ويغفل إبليس عن استعداد الإنسان للخير والهداية استعداده للشر والغواية عن حالته التي يكون فيها متصلا بالله فيرتفع ويسمو ويعتصم من الشر والغواية.

ويغفل عن أن هذه هي مزية هذا المخلوق التي ترفعه على ذوى الطبيعة الواحدة التي لا تعرف إلا طريقا واحدا تسلكه بلا إرادة. فالإرادة هي سر هذا المخلوق العجيب وتشاء إرادة الله أن يطلق لرسول الشر والغواية الزمام. يحاول محاولته مع بنى الإنسان ﴿**قال: اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفورا...**﴾ اذهب فحاول محاولتك... اذهب مأذونا في إغوائهم... فهم مزودون بالعقل والإرادة، يملكون أن يتبعوك أو يعرضوا عنك... فمن تبعك منهم مُغَلِّبًا جانب الغواية في نفسه على جانب الهداية، معرضا عن نداء الرحمان إلى نداء الشيطان، غافلا عن آيات الله في الكون، وآيات الله المصاحبة للرسالات... فإن جهنم جزاؤكم أنت وتابعوك جزاء موفورا.

﴿**واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك**﴾: هذا تجسيم لوسائل الغواية والإحاطة والاستيلاء على القلوب والمشاعر والعقول... فهي المعركة الصاخبة. تستخدم فيها الأصوات والخيل والرجل على طريقة المعارك والمبارزات. يرسل فيها الصوت فيزعج الخصوم ويخرجهم من مراكزهم الحصينة. أو يستدرجهم للفخ المنصوب والمكيدة المدبرة... فإذا استدرجوا إلى العراء أخذتهم الخيل وأحاطت بهم الرجال. وشاركْهم في الأموال والأولاد هذه الشركة تتمثل في أوهام الوثنية الجاهلية؛ إذ كانوا يجعلون في أموالهم نصيبا للآلهة المدعاة... فهى للشيطان. وفي أولادهم نذورا للآلهة أو عبيدا لها... فهى للشيطان. مثل: عبد اللات. وعبد مناة... وأحيانا كانوا يجعلونها للشيطان رأسا. مثل: عبد الحارث.

كما تتمثل في كل مالٍ يجيءُ من حرام. أو يتصرف فيه بغير حق، أو ينفق في إثم. وفي كل ولد يجئ من حرام... ففيه شركة للشيطان والتعبير يصور في عمومه شركة تقوم بين إبليس وأتباعه تشمل الأموال والأولاد وهما قوام الحياة. وإبليس مأذون في أن يستخدم وسائله كلها، ومنها الوعود المغرية الكاذبة: وعْدهم، وما يعدهم الشيطان إلا غرورا. كالوعد بالإفلات من العقوبة والقصاص،

والوعد بالغنى من الأسباب الحرام، والوعد بالغلبة والفوز بالوسائل القذرة والأساليب الخسيسة. ولعل أشد الوعود إغراء الوعد بالعفو والمغفرة بعد الذنب والخطيئة.

وهى التغرة التي يدخل منها الشيطان على كثير من القلوب التي يعز عليه غزوها من ناحية المجاهرة بالمعصية والمكابرة. فيتلطف حينئذ إلى تلك النفوس المتحرجة، ويزين لها الخطيئة وهو يلوح لها بسعة الرحمة الإلهية وشمول العفو والمغفرة اذهب مأذونا في إغواء من يجنحون إليك... ولكن هنالك من لاسلطان لك عليهم لأنهم مزودون بحصانة تمنعهم منك ومن خيلك ورجلك: إن عبادى ليس لك عليهم سلطان. فمتى اتصل القلب بالله، واتجه إليه بالعبادة. ومتى ارتبط بالعروة الوتقى التي لا انفصام لها... متى أيقظ في ضميره النفخة العلوية فأشرقت وأنارت... فلا سلطان حينئذ للشيطان على ذلك القلب الموصول بالله، وهذا الروح المشرق بنور الإيمان... وكفى بربك وكيلا: يعصم وينصر ويبطل كيد الشيطان.

التوجيه الثالث: ﴿ربكم الذي يزجى لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما﴾: في هذا التوجيه: لفت الانتباه إلى ما يبيته الشيطان للناس من شر وأذى ونقمة، وإلى ما عند الله من خير ووقاية ونعمة... فيعرض السياق هذا المشهد:. مشهد الفلك في البحر ـ نموذجا للحظات الشدة والحرج؛ لأن الشعور بيد الله في الخضم أقوى وأشد حساسية، ونقطة من الخشب أو المعدن تائهة في الخضم تتقاذفها الأمواج والتيارات والناس متشبثون بهذه النقطة على كف الرحمان! إنه مشهد يحس به من كابده. ويحس بالقلوب الخافقة الواجفة المتعلقة بكل هزة وكل رجفة في الفلك صغيرا كان أو كبيرا حتى عابرات المحيطات الجبارة التي تبدو في بعض اللحظات كالريشة في مهب الريح على ثبج الموج الجبار! والتعبير يلمس القلوب لمسة قوية.

وهو يشعر الناس أن يد الله تزجى لهم الفلك في البحر وتدفعه ليبتغوا من فضله **﴿إنه كان بكم رحيما﴾** فالرحمة هي أظهر ما تستشعره القلوب في هذا الأوان ثم ينتقل بهم من الإزجاء الرخيّ إلى الاضطراب العتّى، حتى ينسى في الفلك المتناوح بين الأمواج كل قوة وكل سند وكل مجير إلا الله، فيتجهون إليه

وحده في لحظة الخطر لايَدْعُون أحدا سواه: ﴿**ضل من تدعون إلا إياه...**﴾ ولكن الإنسان هو الإنسان... فما أن تنجلى الغمرة وتحس قدماه ثبات الأرض من تحته حتى ينسى لحظة الشدة فينسى الله، وتتقاذفه الأهواء وتجرفه الشهوات؟، وتغطى على فِطْرته التي جلاها الخطر، ﴿**فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا**﴾، إلا من اتصل قلبه بالله فأشرق واستنار.

وهنا يستجيش السياق وجْدَانَ المخاطبين بتصوير الخطر الذي تركوه في البحر وهو يلاحقهم في البر، أو هم يعودون إليه في البحر، ليشعروا أن الأمن والقرار لا يكونان إلاّ في جوار الله وحماه، لا في البر ولا في البحر، لا في الموجة الرخية والريح المواتية، ولا في الملجإ الحصين والمنزل المريح: ﴿**أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لاتجدوا لكم وكيلا. أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا**﴾. إن البشر في قبضة الله في كل لحظة وفي كل بقعة.

إنهم في قبضته في البر كما هم في قبضته في البحر... فكيف يأمنون؟ كيف يأمنون أن يخسف بهم جانب البر بزلزال أو بركان؟!.. أو يرسل عليهم عاصفة بركانية تقذفهم بالحمم والماء والطين والأحجار فتهلكهم دون أن يجدوا لهم من دون الله وكيلا يحميهم ويدفع عنهم؟! أم كيف يأمنون أن يردهم الله إلى البحر فيرسل عليهم ريحا قاصفة تقصف الصوارى وتحطم السفين فيغرقهم بسبب كفرهم وإعراضهم... فلا يجدون من يطالب بعدهم بتبعة إغراقهم؟ ألا إنها الغفلة أن يعرض الناس عن ربهم ويكفروا... ثم يأمنوا أخذه وكيده وهم يتوجهون إليه وحده في شدة ثم ينسونه بعد النجاة. كأنها آخر شدة يمكن أن يأخذهم بها الله ذلك وقد كرم الله هذا المخلوق البشرى على كثير من خلقه. كرمه بخلقته على تلك الهيأة، بعد الفطرة التي تجمع بين الطين والنفخة، فتجمع بين الأرض والسماء في ذلك الكيان.

وكرمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته، والتي استأهل بها الخلافة في الأرض، يغيّر فيها ويبدل، وينتج فيها وينسىء، ويركب فيها ويحلل، ويبلغ بها الكمال المقدر للحياة، وكرمه بتسخير القوى الكونية له في الأرض، وإمداده بعون القوى الكونية في الكواكب والأفلاك. وكرمه بذلك الاستقبال الفخم الذي استقبله

به الوجود، وبذلك الموكب الذي تسجد فيه الملائكة ويعلن فيه الخالق جل شأنه تكريم هذا الإنسان. وكرمه بإعلان هذا التكريم كله في كتابه المنزل من الملإ الأعلى الباقى في الأرض... القرآن!: ﴿**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر...**﴾ فالحمل في البر والبحر يتم بتسخير النواميس وجعلها موافقة لطبيعة الحياة الإنسانية ومارکب فيها من استعدادات. ﴿**ورزقناهم من الطيبات...**﴾ فالإنسان ينسى ما رزقه الله من الطيبات بطول الألفة... فلا يذكر الكثير من هذه الطيبات التي رُزقها إلا حين يُحرمُها فعندئذ يعرف قيمة ماكان يستمتع به... ولكنه سرعان ما يعود فينسى... هذه الشمس. هذا الهواء. هذا الماء. هذه الصحة. هذه القدرة على الحركة. هذه الحواس. هذا العقل. هذه المطاعم والمشارب والمشاهد... هذا الكون الطويل العريض الذي استُخلف فيه، وفيه من الطيبات مالا يحصيه.

﴿**وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾: فضلناهم بهذا الاستخلاف في ملك الأرض الطويل العريض، وبما رُكّب في فطرتهم من استعدادات تجعل المخلوق الإنسانى فذّا بَيّنَ الخلائق في مُلك الله. ومن التكريم أن يكون الإنسان قيما على نفسه، متحملا تبعة اتجاهه وعمله... فهذه هي الصفة الأولى التي بها كان الإنسان إنسانا: حرية الاتجاه وفردية التبعة. وبها استخلف في دار العمل... فمن العدل أن يلقى جزاء اتجاهه وثمرة عمله في دار الحساب: ﴿**يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً**﴾. ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا... وهو مشهد يصور الخلائق محشورة... وكل جماعة تُنادى بعنوانها... باسم المنهج الذي اتبعته، أو الرسول الذي اقتدت به. أو الإمام الذي ائتمّت إليه في الحياة الدنيا. تنادى ليسلم لها كتاب عملها وجزائها في الدار الآخرة!: ﴿**فمن أوتى كتابه بيمينه**﴾ فهو فرح بكتابه يقرأه ويتملاه... فيوفى أجره لاينقص منه شيئا ولو قدر الخيط الذي يتوسط النواة!. ومن عمى في الدنيا عن دلائل الهدى فهو في الآخرة أعمى عن طريق الخير. وأشدُّ ضلالاً وجزاؤه معروف... ولكن السياق يرسمه في المشهد المزدحم الهائل: أعْمى ضالاً يتخبط... لا يجد من يهديه ولا ما يهتدى به... ويَدعُه كذلك لا يقرر في شأنه أمرا، لأن مشهد العمى والضلال في ذلك الموقف العصيب هو وحده جزاء مرهوب يؤثر في القلوب!.

3 ـ الرد على محالات المشركين وعلى موقفهم من الرسالة والرسول الأمين

النص

وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ اِ۬لذِے أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ
وَإِذاً لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلاًۖ (73) وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ
تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـٔاً قَلِيلاً (74) إِذاً لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ اَ۬لْحَيَوٰةِ
وَضِعْفَ اَ۬لْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراًۖ (75)
وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ اَ۬لْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَاۖ
وَإِذاً لَّا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلاًۖ (76) سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ
مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاًۖ (77) أَقِمِ اِ۬لصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ اِ۬لشَّمْسِ
إِلَىٰ غَسَقِ اِ۬ليْلِ وَقُرْءَانَ اَ۬لْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ اَ۬لْفَجْرِ كَانَ
مَشْهُوداًۖ (78) وَمِنَ اَ۬ليْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ
مَقَاماً مَّحْمُوداًۖ (79) وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِے مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِے
مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّےِ مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰناً نَّصِيراًۖ (80)
وَقُلْ جَآءَ اَ۬لْحَقُّ وَزَهَقَ اَ۬لْبَٰطِلُۖ إِنَّ اَ۬لْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقاًۖ (81)
وَنُنَزِّلُ مِنَ اَ۬لْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَۖ
وَلَا يَزِيدُ اُ۬لظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَاراًۖ (82) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى اَ۬لْإِنسَٰنِ
أَعْرَضَ وَنَٰٓا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ اُ۬لشَّرُّ كَانَ يَـُٔوساًۖ (83) قُلْ كُلٌّ

يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿84﴾ * وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿85﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿86﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿87﴾ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿88﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿89﴾ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿90﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿91﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿92﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿93﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿94﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿95﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿96﴾
وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ
أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ
عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ
سَعِيرًا ﴿97﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا
كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿98﴾
* أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ
أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ
إِلَّا كُفُورًا ﴿99﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ
خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿100﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ
فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿101﴾
قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ
وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿102﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم
مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿103﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿104﴾
وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿105﴾
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿106﴾

قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿107﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿108﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿109﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿110﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿111﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

كاد من أفعال المقاربة. والفتن والفتون: معاملة يلحق منها ضر واضطراب النفس في أنواع من المعاملة يعسر دفعها. وتضمن معنى يفتنونك يصرفونك عن الذي أوحينا إليك... وهو القرآن. ﴿**لتفترى علينا غيره**﴾: لتقول علينا غير الذي أوحينا إليك مما اقترحوه. ﴿**وإذن لا تخذوك خليلا**﴾: لو اتبعت ما اقترحوا لكنت لهم صديقا ووليا. ﴿**ولولا أن ثبتناك**﴾: لولا عصمتنا وتثبيتنا لقاربت أن تميل إليهم شيئا يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة اختيالهم ﴿**إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات**﴾: لو قاربت أن تركن إليهم أدنى ركون. لأذقناك عذابا في الحياة وفي الممات عذابا شديدا مضاعفا أضعافا كثيرة!.. ﴿**ثم لاتجد لك علينا نصيرا**﴾ يناصرك ويزيل عنك ذلك العذاب المضاعف... ﴿**وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها**﴾: الاستفزاز الحمل على الترحل. والمراد من الأرض مكة.

﴿وإذن لا يلبثون خلفك إلا قليلا﴾: لو أخرجوك من مكة مكرها لما بقوا بعدك فيها إلازمنا يسيرا: **﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا. . .﴾** فهى سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا. . . فما خرج نبئ من أرضه إلا وقَدْ عمَّ ساكنيها العذابُ. . . فإما بالاستئصال وإما بالأسر والتشريد والقتال. . . وقد حصل لقريش ما توعّدهم به من أنواع القهر والنكال. . . فمات من مات ومن بقى دخل تحت راية الإسلام. . **﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل﴾**: إقامة الصلاة المواظبة عليها وإدامتها. والدلوك: من أحوال الشمس. بمعنى زوالها. أو ميلها عن وسط السماء. وغسق الليل ظلمته. وهو وقت غيبوبة الشفق.

وقد جمعت الآية أوقاتا أربعة: صلاة الظهر وصلاة العصر وصلاة المغرب وصلاة العشاء. ثم عطف قوله: **﴿وقرآن الفجر﴾** على الصلاة؛ لأنها الوقت الخامس من الصلاة المفروضة وقوله: **﴿إنّ قرآن الفجر كان مشهودا﴾** بيان لوجه تخصيص صلاة الصبح باسم القرآن تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار. كما ورد في الحديث الصحيح. . . **﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾**: التهجد: الصلاة في أثناء الليل. وهو مشتق من الهجود وهو النوم والراحة والهدوء. والنافلة الزيادة في الأمر المحبوب. **﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾**: عسى: كلمة رجاء، والرجاء من الله. وَعْدٌ مُحقّقٌ. والمقام محل القيام. والمقام المحمود: الموقف الذي يُحمدُ فيه صاحبُه.

﴿وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعلى لى من لدنك سلطانا نصيرا﴾: المدخل والمخرج بضم الميم: اسم مكان الإدخال والإخراج. والصدق المرضى المحفوف بالمكارم والكمال. والسلطان النصير: الحجة والتأييد. **﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾**: ظهر الحق الذي دعا إليه الرسول. وزهق الباطل الذي تمسك به المشركون. والزهوق: الاضمحلال والانتهاء بعد الوجود والظهور. . . ذهب وكأنه لم يكن. **﴿وننزّلُ من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾**: الشفاء: حقيقته زوال الداء. ويستعمل في زوال ما هو نقص وضلال وعائق عن النفع. . . وهذا الشفاء والرحمة من القرآن خاص بالمؤمنين: **﴿ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا﴾**.

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشركان يؤوسا﴾: المراد بالإنسان هنا الإنسان الكافر. . . والمراد بالإنعام: إعطاء النعمة مثل الصحة والغنى والجاه والإعراض: الصد عن الخير. والنأى: البعد. . . أى: تباعد ومال بجانبه. واليؤوس: شديد اليأس من الخير. ولا يخطر بباله زوال الشر. **﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾**: الشاكلة الطريقة والسيرة المعتادة التي ينشأ عليها صاحبها. **﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا﴾**: كلام جامع لتعليم المخاطبين بعموم علم الله. **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾**: المسؤول: الرسول. والسائل هنا. مجهول. والقصد منه التعميم لكل سائل يسأل عن هذا الأمر المجهول. والروح: يُطْلق على الأمر الغيبى الذي لا تدركه حواس الإنسان ولا يدخل تحت إدراكه بحال. مثل روح الإنسان الذي به قوام حياته.

ويُطلق على القرآن وعلى الملك الذي جاء به. والروح: أمر من أمر الله لا يدرك الإنسان منه شيئا إلا عن طريق الوَحْيِ. والوحى خاصّ بالأنبئاء. وقد خُتموا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا. وما أوتيتم من العلم إلا قليلا. **﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا﴾**: هذا امتنان على الرسول بما أوحى إليه من القرآن الذي هو من أمر الله. وليس لأى إنسان قدرةٌ على إنشائه ونظمه. . . فلو شاء الله أن يذهبه لذهب به دون أن يجد الرسول وكيلا يدافع عنه: **﴿إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا. . .﴾** لكن رحمة من ربك نفت مشيئة الذهاب بالذى أوحينا إليك فهو باقٍ لايَزُولُ: **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعض لبعض ظهيرا. . .﴾** ففي هذه الآية زيادة الامتنان.

وشدة التحدى والتعجيز لمن شك في القرآن أنه من أمر الله فليجتمع الإنس والجن وليأتوا بمثل هذا القرآن وليظاهر بعضهم لبعض وليفعلوا ما يشاءون. . . فلا يمكنهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن في أي حال من الأحوال. . . فهذه الآية مقحمة للمشركين في التحدي بإعجاز القرآن. **﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾**: في هذه الآية زيادة في الامتنان والتعجيز. وقد تقدم مثل معنى كلمات هذه الآية في آيات سابقة. **﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى**

تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾: لن نصدقك بأنك رسول الله إلينا. . . والتفجير: الشق باتساع. ومنه سمى فجر الصباح فجرا.

والينبوع: اسم للعين الكثيرة النبع التي لا ينضب ماؤها. **﴿أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا﴾**: الجنة البستان الذي سترت أرضه بالنخيل والعنب. وتفجير الأنهار خلالها دوام جَرْي الأنهار فيها. **﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا﴾**: اسقاط السماء: هبوطها. . . والكِسَف: القِطَع. والزعم: القول المستبعد. **﴿أو تأتى بالله والملائكة قبيلا﴾**: الاتيان بالشئ: إحضاره. . . والقبيل: الجماعة من جنس واحد. **﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾**: قصر مشيد مزين بالذهب. **﴿أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه﴾**: الرقى في السماء: الصعود. . . ولن يؤمنوا بهذا الصعود حتى يأتيهم بكتاب يقرؤونه. . . ولما كان اقتراحهم اقتراح مُلاجّة وعناد أمره الله أن يجيبهم بما يدل على التعجب من كلامهم بكلمة **﴿سبحان ربى﴾** التي تستعمل في التعجب.

﴿هل كنت إلا بشرا رسولا﴾: استفهام إنكارى. ينفى ما اقترحوه. **﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾**. ما منع الناس من الإيمان شئ إلا استغرابهم من بعث الله رسلا من البشر!. . فهم يريدون أن يبعث الله رسلا من الملائكة! وهذا أمر لا يمكن: **﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا﴾**: لكل جنس رسول من جنسهم. . . فلو وجد ملائكة في الأرض لكان رسولهم من الملائكة. والمعنىٰ: لو كنتم ملائكة لنزلنا عليكم من السماء ملكًا. فلما كنتم بشرا أرسلنا إليكم بشرا مثلكم. **﴿قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم﴾**: هذا رد لجميع مقترحاتهم المتقدمة على وجه الإجمال والمراد بالشهيد هنا: الشهيد المحق على المبطل. وجملة **﴿إنه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾** تعليل للاكتفاء بالله تعالى. **﴿ومن يهد الله فهو المهتدى﴾**: المراد بالهدى: الهدى إلى الإيمان بما جاء به الرسول.

﴿ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه﴾: مقابل **﴿من يهد الله فهو المهتدى. ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما﴾**: الحشر: جمع الناس من مواضع متفرقة إلى مكان واحد. وتضمن الحشر هنا معنى المشى فعداه

بعلى والمقصود من ذلك: الجمع بين التشويه والتعذيب. بكما: فاقدى الكلام. عميا: فاقدي الإبصار: وصما: فاقدى السمع. ﴿**مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا**﴾: المأوى المنزل والمقر الدائم. والخبت نقص اللهب واحماؤه. والسعير: لهب النار. مشتقّ من سعَّر النار إذا هيج وقودها. ﴿**ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا**﴾: الإشارة إلى ما تقدم... والجزاء: العوض عن عمل ولهذا الجزاء سببان: كفرهم بالآيات... وتكذيبهم بالبعث... ﴿**أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم**﴾: الاستفهام هنا إنكاري مشوب بتعجيب من انتفاء علمهم. والرؤية: مستعملة في الاعتقاد. والمثل المشابه.

﴿**وجعل لهم أجلا لاريب فيه**﴾: الأجل الزمان المجعول غاية يبلغ إليها في حال من الأحوال. ومعنى لاريب فيه لاينبغى فيه ريب. إنما هو حق ثابت لا بد أن يقع في وقته المحدّد. ﴿**فأبى أكثر الناس إلاكفورا**﴾: تفريع على ما تقدم... ﴿**قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذًا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا**﴾: هذا رد لما اقترحوه. ومعناه أن هذا ليس بعظيم في جانب خزائن رحمة الله لو شاء أن يظهره لكم... وأدمج في هذا الرد بيان ما فيهم من البخل والشح والتقتير. والقتور: الشديد البخل. مشتق. من القتر. وهو التضييق في الإنفاق. ﴿**ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات**﴾: في هذا الكلام مثل للمعاندين، وتسلية للرسول ـ والآيات التسع التي أوتيها موسى: عصا. سنة. بحر. جراد. وقمل... يد ودم بعد الضفادع طوفان.

والخطاب في قوله: ﴿**فاسأل بنى اسرائيل إذ جاءهم...**﴾ للنبي ـ صلى الله عليه وسلم... ﴿**فقال له فرعون إنى لأظنك يا موسى مسحورا**﴾: سحرت فتخبط عقلك فصرت تهرف بالكلام الباطل. ﴿**قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإن لأظنك يا فرعون مثبورا**﴾: الإشارة بهؤلاء إلى الآيات البينات التسع. والبصائر الحجج المفيدة للبصيرة. والمثبور: الذي أصابه الثبور. وهو الهلاك. وهذا إنذار وتهديد لفرعون بقرب هلاكه ﴿**فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا**﴾: قصد فرعون إخراج بنى اسراءيل من مصر... فخرج بنوا اسراءيل فأتبعهم فرعون بجنوده بغيا وعدوا... فكانت النهاية

إغراقه وجنوده جميعا. ﴿**وقلنا من بعده لبنى إسرايل اسكنوا الأرض**﴾. أرض الشام... ﴿**فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا**﴾: وعد الآخرة ما وعد الله به الخلائق على ألسنة الرسل من البعث والحشر. واللفيف الجماعات المختلطون من أصناف شتى.

وقيل جمع اليهود في مكان واحد آخر الزمان والآن يجتمعون في فلسطين. يأتون من كل أنحاء العالم ثبوت القرآن ليكون القضاء عليهم في هذا المكان. ﴿**وبالحق أنزلناه وبالحق نزل**﴾: ضمائر الغيبة عائدة إلى القرآن المعروف من المقام. ومعنى الحق: الأول: الثابت الذي لاريب فيه. والحق الثانى: مقابل الباطل. ﴿**وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا**﴾: هذا الكلام موجه إلى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأنت خصوصيتك تبشير المؤمنين وإنذار الكافرين. ﴿**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزّلناه تنزيلا**﴾. من معانى القرآن: الكتاب المنزل المقروء المفرق المبين على حسب الوقائع؛ ﴿**لتقرأه على الناس على مكث**﴾. على تمهّل وتثبت حتى يسهل حفظه وفهمه.

﴿**قل آمنوا به أو لا تؤمنوا**﴾: لما ظهرت حقيقة القرآن استوت حالهم في الإيمان به أو عدمه... ﴿**إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا. ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا**﴾: الذين أتوا العلم: الدين علموا ببعثة الرسول الموعود على ألسنة الرسل بأوصاف معلومة وعلامات واضحة وهم كثيرون من العرب واليهود والنصارى وغيرهم من بقية الشعوب. ووصفهم بالإيمان الصادق ﴿**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاما تدعوا فله الأسماء الحسنى**﴾: الله والرحمان أسماء خاصان به لا يطلقان على أحد سوى الله. وهما في مقدمة الأسماء الحسنى التي سمى بهما نفسه في كتابه.

﴿**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها واتبع بين ذلك سبيلا**﴾: الجهر بالصلاة رفع الصوت القوى بالقراءة والتكبير... والمخافتة بها: خفض الصوت حتى لا يسمع وإنما الأمر المطلوب التوسط بين الجهر القوى والسر الخفى. ﴿**وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا**﴾: في ختام هذه السورة يأتي هذا التوجيه إلى الرسول ليعلن على

الناس هذه الكلمات والواضحة الدالة على التنزيه والتحميد والتكبير؛ ليكون شعار كل مؤمن مخاطب بهذا الكلام العظيم! . .

مبحث الإعراب

﴿**وإن**﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. ﴿**كادوا**﴾ كاد واسمها. ﴿**ليفتنونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. واللام لتوكيد الخبر. والجملة في محل نصب خبر كاد. وكاد واسمها وخبرها في محل رفع خبرُ إنّ المخففة. وجملة ﴿**وإن كادوا**﴾ معطوفة على ماقبلها. ﴿**عن الذى**﴾ متعلق بيفتنونك. ﴿**أوحينا**﴾ فعل وفاعل صلة الذى. ﴿**إليك**﴾ متعلق بأوحينا. ﴿**لتفترى**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير المخاطب. وأنْ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بيفتنونك. ﴿**علينا**﴾ متعلق بتفترى. ﴿**غيره**﴾ مفعول به. ﴿**وإذن**﴾ الواو للعطف. ﴿**وإذن**﴾ ظرف مضافة إليه جملة مقدرة.

﴿**لاتخذوك**﴾ فعل وفاعل ومفعول واللام مقوية لجواب إذًا. ﴿**خليلا**﴾ مفعول ثان. ﴿**ولولا**﴾ حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿**أن ثبتناك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه أن المصدرية. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع على الابتداء، وخبره محذوف. أى: لولا شيُّنا إياك موجود. ﴿**لقد كدت**﴾ كاد واسمها دخل عليها قد واللام. ﴿**تركن**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**إليهم**﴾ متعلق بتركن. ﴿**شيئا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**قليلا**﴾ نعت له. وجملة تركن في محل نصب خبر كاد. وجملة ﴿**لقد كدت**﴾ جوابية لامحل لها من الإعراب. ﴿**إذن لأذقناك**﴾. مثل قوله: ﴿**وإذن لاتخذوك خليلا**﴾. ﴿**ضعف**﴾ مفعول ثان. ﴿**الحياة**﴾ مضاف إلى ضعف. ﴿**وضعف الممات**﴾ معطوف على ضعف الحياة.

﴿**ثم لاتجد**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفى وحرف العطف. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**لك علينا**﴾. متعلقان بما بعدُ: ﴿**نصيرا**﴾ مفعول به. ﴿**وإن كادوا ليستفزونك**﴾ إعرابها مثل إعراب قوله: ﴿**وإن كادوا لفتنونك**﴾. ﴿**من الأرض**﴾ متعلق بيستفزونك. ﴿**ليخرجوك**﴾ مثل لتفترى في إعرابها. ﴿**منها**﴾

متعلق بيخرجوك. ﴿**وإذن لا يلبثون**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف النفى وأداة الجواب. ﴿**خلفك**﴾ ظرف متعلق بيلبثون. ﴿**إلا قليلا**﴾ نعت لظرف مقدر.

والتقدير: لا يلبثون خلفك إلا زمانًا قليلا. ﴿**سنة**﴾ مفعول مطلق. ﴿**من**﴾ في محل جر مضاف إلى سنة. ﴿**قد أرسلنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. والجملة صلة من. ﴿**قبلك من رسلنا**﴾ متعلقان بأرسلنا. ﴿**ولا تجد**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفى وواو العطف. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**لسنتنا**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**تحويلا**﴾ مفعول به. ﴿**أقم**﴾ فعل أمر حرك بالكسرة لالتقاء الساكنين. ﴿**الصلاة**﴾ مفعول به. ﴿**لدلوك**﴾ متعلق بأقم. ﴿**الشمس**﴾ مضاف إلى دلوك. ﴿**إلى غسق الليل**﴾ معطوف على قوله: لدلوك الشمس. ﴿**وقرآنَ**﴾ معطوف على الصلاة. ﴿**الفجر**﴾ مضاف إلى قرآن. ﴿**إن قرآن الفجر**﴾ إن واسمها. ﴿**كان**﴾ اسمها ضمير يعود على قرآن الفجر. ﴿**مشهودًا**﴾ خبرها. وجملة ﴿**كان مشهودا**﴾ في محل رفع خبرُ إنّ. وجملة ﴿**إن قرآن الفجر كان مشهودا**﴾ تعليل.

﴿**ومن الليل**﴾ متعلق بما بعد: ﴿**فتهجد**﴾ فعل أمر دخل عليه فاء التعقيب. ﴿**به**﴾ متعلق به. ﴿**نافلة**﴾ مفعول مطلق. أى: فتهجد من الليل تهجدًا نافلة. ﴿**لك**﴾ متعلق بنافلة. ﴿**عسى**﴾ اسم عسى ضمير. ﴿**أن يبعثك**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**ربك**﴾ فاعل. ﴿**مقاما**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**محمودا**﴾ نعت له. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب خبرُ عسى. ﴿**وقل: رب**﴾ منادى حذفت ياؤه وياء المتكلم تخفيفا. ﴿**أدخلنى**﴾ فعل دعاء. ﴿**مدخل**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**صدق**﴾ مضاف إلى مدخل. ﴿**وأخرجنى مخرج صدق**﴾ معطوف على قوله: ﴿**أدخلنى مدخل صدق**﴾. وهو مثله في الإعراب. ﴿**واجعل**﴾ معطوف على ادخلنى. ﴿**لى**﴾ متعلق باجعل. ﴿**من لدنك**﴾ كذلك. ﴿**سلطانا**﴾ مفعول به. ﴿**نصيرا**﴾ نعت له. ﴿**وقل: جاء الحق**﴾ فعل وفاعل والجملة مقول القول. ﴿**وزهق الباطل**﴾ معطوف على جاء الحق.

﴿**إن الباطل**﴾ إن واسمها. ﴿﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على الباطل. ﴿**زهوقا**﴾ خبر كان. وجملة ﴿**كان زهوقا**﴾ خبرُ إنّ. وجملة ﴿**إن الباطل كان زهوقا**﴾ تعليل. ﴿**وننزل**﴾ فعل مضارع. وفاعله نحن. والواو للعطف. ﴿**من القرآن**﴾ متعلق بالفعل. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**هو**﴾ في محل رفع

مبتدأ. ﴿**شفاءٌ**﴾ خبره. والجملة صلة ما. ﴿**ورحمة**﴾ معطوف على ﴿**شفاء للمؤمنين**﴾ متعلق برحمة. ﴿**ولا يزيد**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفى وواو العطف. . . والفاعل ضمير يعود على القرآن. ﴿**الظالمين**﴾ مفعول به أول. ﴿**إلا خساراً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**وإذا**﴾ ظرف زمان متضمن معنى الشرط. ﴿**أنعمنا**﴾ فعل وفاعل. فعل الشرط. ﴿**على الإنسان**﴾ متعلق بأنعمنا.

﴿**أعرض**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على الإنسان. والجملة جواب إذا. ﴿**ونأى**﴾ معطوف على أعرض. ﴿**بجانبه**﴾ متعلق بنأى. ﴿**وإذا مسه الشر**﴾ عطف على قوله: ﴿**وإذا أنعمنا. . . كان يؤوسًا**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها جواب إذا. ﴿**قل: كل**﴾ مبتدأ. والتنوين فيه عوض عن المضاف إليه. ﴿**يعمل**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على كل. . . والجملة خبر المبتدإ. ﴿**على شاكلته**﴾ متعلق بيعمل. وجملة ﴿**كل يعمل. . .**﴾ مقول القول. ﴿**فربكم**﴾ مبتدأ دخل عليه فاء التفريع. ﴿**أعلم**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**بمن**﴾ متعلق بأعلم. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أهدى**﴾ خبره مرفوع بضمة مقدرة على الألف. والجملة صلة مَنْ.

﴿**سبيلا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**ويسألونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول والواو للعطف. ﴿**عن الروح**﴾ متعلق بيسألونك. ﴿**قل: الروح**﴾ مبتدأ. ﴿**من أمر**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**ربى**﴾ مضاف إلى أمر مجرور بكسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. والجملة مقول القول. ﴿**وما أوتيتم**﴾ فعل ماضٍ مبنى للمجهول. ونائب الفاعل ضمير المخاطبين وما نافية. والواو للعطف. ﴿**من العلم**﴾ متعلق بأوتيتم. ﴿**إلا قليلا**﴾ بدل من المفعول الثانى المقدر؛ ﴿**ولئن**﴾ اللام موطئة للقسم. وإن شرطية. والواو للعطف. ﴿**شئنا**﴾ فعل وفاعل. فعل الشرط.

﴿**لنذهبن**﴾ فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والجملة جواب القسم سدّت مسدّ جواب الشرط. ﴿**بالذى**﴾ متعلق بنذهبن. ﴿**أوحينا**﴾ فعل وفاعل صلة الذى. ﴿**إليك**﴾ متعلق بأوحينا. ﴿**ثم لاتجد**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفى وحرف العطف. . . والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**لك**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**علينا به**﴾ متعلقان بما بعدهما: ﴿**وكيلا**﴾ مفعول به. ﴿**إلا رحمة**﴾ استثناء منقطع. ﴿**من ربك**﴾ متعلق برحمة. ﴿**إن فضله**﴾ إن واسمها. ﴿**كان**﴾

اسمها ضمير يعود على الفضل. ﴿**عليك**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**كبيرا**﴾ خبر كان. وجملة كان خبرُ إنّ. وجملة ﴿**إن فضله...**﴾ تعليل. ﴿**قل: لئن**﴾ قسم وشرط. ﴿**اجتمعت الإنس**﴾ فعل وفاعل. فعل الشرط.

﴿**والجن**﴾ معطوف على الإنس. ﴿**على أن يأتوا**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بعلى متعلق باجتمعت. ﴿**بمثل**﴾ متعلق بيأتوا. ﴿**هذا**﴾ في محل جر مضاف إلى مثل. ﴿**القرآن**﴾ عطف بيان لهذا. ﴿**لايأتون**﴾ فعل مضارع وواو الجماعة فاعل. ولا نافية. وجملة ﴿**لا يأتون**﴾ جواب القسم سدت مسد جواب الشرط. ﴿**بمثله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولو كان بعضهم**﴾ كان واسمها. دخلت عليها لو الوصلية وواو الحال. ﴿**لبعض**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**ظهيرا**﴾ خبر كان. وجملة ﴿**ولو كان بعضهم**﴾. في موقع الحال من ضمير الجماعة. ﴿**ولقد صرفنا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**للناس**﴾ في هذا متعلقان بصرفنا. ﴿**القرآن**﴾ عطف بيان لهذا. ﴿**من كل**﴾ متعلق بصرفنا. ﴿**مثل**﴾ مضاف إلى كل.

﴿**فأبى أكثرُ**﴾ فعل وفاعل والفاء للتعقيب. ﴿**الناس**﴾ مضاف إلى أكثر. ﴿**إلا كفورا**﴾ منصوب على الاستثناء. ﴿**وقالوا**﴾ فعل وفاعل معطوف على ما قبله. ﴿**لن نؤمن**﴾ فعل مضارع منصوب بلن. والفاعل نحن. والجملة مقول القول. ﴿**لك**﴾ متعلق بنؤمن. ﴿**حتى تفجر**﴾ فعل مضارع منصوب بأن بعد حتى. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**لنا من الأرض**﴾ متعلقان بتفجر. ﴿**ينبوعا**﴾ مفعول به. ﴿**أو تكون**﴾ معطوف على تفجر. ﴿**لك**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان مقدم. ﴿**جنة**﴾ اسمها مؤخر. ﴿**من نخيل**﴾ متعلق بمحذوف نعت لجنة. ﴿**وعنب**﴾ معطوف على نخيل ﴿**فتفجر**﴾ مرتب على تكون. ﴿**الأنهار**﴾ مفعول به. ﴿**خلالها**﴾ ظرف. ﴿**تفجيرا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**أو تسقط**﴾ فعل مضارع منصوب عطف على ما قبله.

﴿**السماء**﴾ مفعول به. ﴿**كما زعمت**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف. أي: اسقاطا مماثلا لزعمك. ﴿**وما**﴾ مصدرية. ﴿**علينا**﴾ متعلق بتسقط. ﴿**كسفا**﴾ منصوب على الحال من السماء. ﴿**أو تأتي**﴾ عطف على ما قبله منصوب مثله. ﴿**بالله**﴾ متعلق بتأتي. ﴿**والملائكة**﴾ معطوف على الله. ﴿**قبيلا**﴾ منصوب على الحال من المعطوف والمعطوف عليه. ﴿**أو يكون لك بيت من زخرف**﴾

إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملة ﴿**أو تكون لك جنة من نخيل**. **أو ترقى**﴾ معطوف على ما قبله منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**في السماء**﴾ متعلق بترقى. ﴿**ولن نؤمن**﴾ فعل مضارع منصوب بلن. والواو للعطف. ﴿**لرقيك**﴾ متعلق بنؤمن. ﴿**حتى تنزل**﴾ إعرابها مثل اعراب حتى تفجر... ﴿**علينا**﴾ متعلق بتنزل.

﴿**كتابا**﴾ مفعول به: ﴿**نقرؤه**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة نقرؤه نعت لكتاب. ﴿**قل: سبحان**﴾ مفعول مطلق. ﴿**ربى**﴾ مضاف إلى سبحان مجرور بكسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. ﴿**هل**﴾ حرف استفهام بمعنى ما. ﴿**كنت**﴾ كان واسمها. ﴿**إلا بشرا**﴾ خبر كان. ﴿**رسولا**﴾ نعت له. ﴿**وما منع**﴾ فعل ماضى دخل عليه حرف النفى وواو العطف. ﴿**الناس**﴾ مفعول به. ﴿**أن يؤمنوا**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بمنع... ﴿**إذ**﴾ ظرف. ﴿**جاءهم**﴾ الضمير المتصل مفعول. ﴿**الهدى**﴾ فاعل جاء. والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء مفرغ.

﴿**أن قالوا**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع فاعل منع. أى: ما منع الناس من الإيمان حين مجئ الهدى إليهم: إلا قولهم: ﴿**أبعث الله بشرا**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**رسولا**﴾ نعت لبشر. ﴿**قل: لو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿**كان في الأرض**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان مقدم. ﴿**ملائكة**﴾ اسم كان مؤخر. ﴿**يمشون**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لملائكة. مطمئنين منصوب على الحال من ضمير الملائكة. ﴿**لنزلنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة جواب لو. ﴿**عليهم من السماء**﴾ متعلقان بنزلنا. ﴿**ملكا**﴾ مفعول به. ﴿**رسولا**﴾ نعت له. وجملة ﴿**لو كان في الأرض ملائكة**﴾ مقول القول: ﴿**قل كفى**﴾ فعل ماضٍ. ﴿**بالله**﴾ فاعل كفى جر بحرف الجر الزائد، ﴿**شهيدا**﴾ منصوب على التمييز.

﴿**بينى**﴾ متعلق بشهيدا، ﴿**وبينكم**﴾ معطوف على بينى. ﴿**إنه**﴾ إن واسمها. ﴿**كان**﴾ اسمها ضمير يعود على الله. ﴿**بعباده**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**خبيرا بصيرا**﴾ خبرَانِ لِكان. وجملة كان... خبرُ إنّ. وجملة ﴿**إنه كان**﴾ تعليل.

﴿**ومن**﴾ اسم شرط جازم. والواو للعطف. ﴿**يهد الله**﴾ فعل وفاعل. فعل الشرط. ﴿**فهو المهتدى**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر في محل جزم جواب الشرط والفاء رابطة للجواب. ﴿**ومن يضلل**﴾ جملة شرطية معطوفة على الجملة الشرطية قبلها. ﴿**فلن تجد لهم أولياء**﴾ دخلت الفاء في جواب الشرط لوجود لن الداخلة على الفعل. من دونه متعلق بأولياء. ﴿**ونحشرهم**﴾ فاعل نحشر نحن. والواو للعطف. ﴿**يوم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**على وجوههم**﴾ متعلق بمحذوف حال من مفعول نحشرهم. ﴿**عميا**﴾ حال من ضمير الجماعة المجرور. ﴿**وبكما وصما**﴾ معطوفان على الحال.

﴿**كلما خبت**﴾ جملة شرطية، وفاعل خبث ضمير يعود على جهنم من قوله: ﴿**مأواهم جهنم**﴾ والجملة من المبتدإ والخبر بيانية. ﴿**زدناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. جواب كلما. والجملة بيانية. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ أول. ﴿**جزاؤهم**﴾ مبتدأ ثان. ﴿**بأنهم كفروا**﴾ أن واسمها وجملة خبرها في تأويل مصدر مجرور بالباء متعلق بمحذوف خبر المبتدإ الثاني. والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدإ الأول. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بكفروا. ﴿**وقالوا**﴾ معطوف على كفروا. ﴿**أئذا**﴾ ظرف دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**كنا**﴾ كان واسمها. ﴿**عظاما**﴾ خبرها. ﴿**ورفاتا**﴾ معطوف على عظامًا. ﴿**إنا**﴾ إن واسمها. ﴿**لمبعوثون**﴾ خبرُ إنّ. واللام لتوكيد الخبر.

﴿**وخلقا جديدا**﴾ منصوبان على الحال. ﴿**أولم يروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى الجازم. وواو العطف. وحرف الاستفهام. ﴿**أن الله**﴾ أن واسمها. ﴿**الذى**﴾ في محل نصب نعت لله. ﴿**خلق**﴾ فعل ماضٍ صلة الذى. السماوات مفعول به. ﴿**والأرض**﴾ عطف على السماوات. ﴿**قادرٌ**﴾ خبرُ أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بيروا. أى. أولم يعلموا قدرة الله في خلق السماوات... ﴿**على أن يخلق**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بعلى متعلق بقادر. ﴿**مثلهم**﴾ مفعول به. ﴿**وجعل**﴾ معطوف على قوله: ﴿**أولم يروا أن الله**﴾. ﴿**لهم**﴾ متعلق بجعل. ﴿**أجلا**﴾ مفعول به. ﴿**لا ريب**﴾ لا واسمها. ﴿**فيه**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا. ﴿**فأبى الظالمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التفريع.

﴿إلا كفورا﴾ بدل من المفعول المقدر. **﴿قل﴾**: لو حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. **﴿أنتم﴾** فاعل بفعل مقدر يفسره ما بعده. **﴿تملكون﴾** فعل وفاعل. **﴿خزائن﴾** مفعول به. **﴿رحمة﴾** مضاف إلى خزائن. **﴿ربى﴾** مضاف إلى رحمة. **﴿إذن لأمسكتم﴾** فعل وفاعل والجملة جواب لو. **﴿خشية﴾** مفعول لأجله. **﴿الإنفاق﴾** مضاف إلى خشية. **﴿وكان الإنسان قتورا﴾**. الجملة من كان واسمها وخبرها تذييل. **﴿ولقد آتينا موسى﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. **﴿تسع﴾** مفعول ثان. **﴿آيات﴾** مضاف إلى تسع. **﴿بينات﴾** نعت لآيات. **﴿فاسأل﴾** فعل أمر. والفاء للتفريع. **﴿بنى﴾** مفعول به. **﴿إسراءيل﴾** مضاف إلى بنى مجرور بالفتحة لمنعه من الصرف. **﴿إذ﴾** ظرف متعلق بآتينا. **﴿جاءهم﴾** الفاعل ضمير يعود على موسى. والضمير المنصوب عائد إلى بنى إسراءيل.

﴿فقال له﴾ متعلق بقال، **﴿فرعون﴾** فاعل قال. **﴿إنى﴾** إنّ واسمها. **﴿لأظنك﴾** الجملة خبر إنّ. وجملة **﴿إنى لأظنك﴾** مقول القول. **﴿ياموسى﴾** منادى مبنى على ضم مقدر في محل نصب. **﴿مسحورا﴾** مفعول ثان لأظنك. **﴿قال﴾** موسى. **﴿لقد علمت﴾** فعل وفاعل دخل عليه قد واللام... **﴿ما﴾** حرف نفى. **﴿أنزل﴾** فعل ماضٍ. **﴿هؤلاء﴾** مفعول أنزل مبنى على الكسر في محل نصب. **﴿إلا ربُّ﴾** بدل من الفاعل المقدر... **﴿السماوات﴾** مضاف إلى رب. **﴿الأرض﴾** معطوف على السماوات. **﴿بصائر﴾** حال من الآيات. **﴿وإنى لأظنك يافرعون مثبورا﴾** إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملة **﴿وإنى لأظنك ياموسى مسحورا﴾**. **﴿فأراد﴾** فعل ماضٍ والفاء للتعقيب. والفاعل ضمير يعود على فرعون.

﴿أن يستفزهم﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول أراد. من الأرض متعلق بالفعل. **﴿فأغرقناه﴾** فعل وفاعل ومفعول. والفاء للتعقيب. **﴿ومَنْ﴾** في محل نصب معطوف على الضمير المنصوب. **﴿معه﴾** متعلق بمحذوف صلة من. **﴿جميعا﴾** منصوب على الحال. **﴿وقلنا﴾** معطوف على أغرقنا. **﴿من بعده لبنى﴾** متعلقان بقلنا. **﴿إسراءيل﴾** مضاف إلى بنى. **﴿اسكنوا﴾** أمر لبنى إسراءيل. **﴿الأرض﴾** مفعول به. **﴿فاذا جاء وعد﴾** فعل وفاعل جملة شرطية مرتبة

على ما قبلها. ﴿**الآخرة**﴾ مضاف إلى وعد. ﴿**جئنا**﴾ فعل وفاعل جواب الشرط. ﴿**بكم**﴾ متعلق بجئنا. ﴿**لفيفا**﴾ منصوب على الحال من الضمير المجرور. . . ﴿**وبالحق**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**أنزلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول.

﴿**وبالحق**﴾ معطوف على قوله وبالحق. . . ﴿**نزل**﴾ فاعله ضمير يعود على القرآن. ﴿**وما أرسلناك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفى وواو العطف. ﴿**إلا مبشرا**﴾ مفعول ثان. ﴿**ونذيرا**﴾ معطوف عليه. ﴿**وقرآنا**﴾ منصوب على الحال من الضمير في قوله: ﴿**فرقناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**لتقرأه**﴾ لام الجر جار للمصدر المؤول متعلق بفرقناه. ﴿**على الناس على مكث**﴾ متعلقان بتقرأه. ﴿**ونزلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**تنزيلا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**قل: آمنوا**﴾ أمر للمخاطبين. ﴿**به**﴾ متعلق بآمنوا. ﴿**أولا تؤمنوا**﴾ معطوف على آمنوا. . . ﴿**إن الذين**﴾ إن واسمها. ﴿**أوتوا**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل صلة الذين. ﴿**العلم**﴾ مفعول ثان لأوتوا. ﴿**من قبله**﴾ متعلق بأوتوا.

﴿**إذا يتلى**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على القرآن والجملة فعل الشرط. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بيتلى. ﴿**يخرون**﴾ فعل وفاعل جواب الشرط. ﴿**للأذقان**﴾ متعلق بيخرون. ﴿**سجدا**﴾ منصوب على الحال من ضمير الجماعة. ﴿**ويقولون**﴾ معطوف على يخرون. ﴿**سبحان**﴾ مفعول مطلق. ﴿**ربنا**﴾ مضاف إلى ﴿**سبحان**﴾. والضمير فيه مضاف إليه. وجملة الشرط وجوابه وما عطف عليه خبر إنّ. إن مخففة من الثقيلة. كان وعدُ كان واسمها. ﴿**ربنا**﴾ مضاف إلى ﴿**وعد**﴾. ﴿**لمفعولا**﴾ خبر كان. واللام فارقة بين إن المخففة وإن النافية. ﴿**ويخرون**﴾ معطوف على يخرون السابقة. ﴿**للأذقان**﴾ متعلق بالفعل. ﴿**يبكون**﴾: فعل وفاعل. والجملة حال من الضمير ﴿**يخرون**﴾. ﴿**ويزيدهم خشوعًا**﴾: عطف على ما قبله والفعل نصب مفعولين. ﴿**قل: ادعوا**﴾ أمر للمخاطبين. ﴿**اللهَ**﴾ مدعوّ. ﴿**أو ادعوا الرحمان**﴾ معطوف على ادعوا الله. ﴿**أيًا مَا**﴾ أداة شرط جازم.

﴿**تدعوا**﴾ فعل الشرط مجزوم بحذف النون. ﴿**فله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**الأسماء**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**الحسنى**﴾ نعت للأسماء. وجملة ﴿**فله الأسماء الحسنى**﴾ في محل جزم جواب الشرط. ﴿**ولا تجهر**﴾ جزم الفعل بلا الناهية.

والواو للعطف. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**بصلاتك**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولا تخافت بها**﴾ معطوف على قوله: ﴿**ولا تجهر بصلاتك**﴾. ﴿**وابتغ**﴾ فعل أمر معطوف على النهي قبله. ﴿**بين**﴾ متعلق بابتغ. ﴿**ذلك**﴾ في محل جر مضاف إلى بين. ﴿**سبيلا**﴾ مفعول به. ﴿**وقل: الحمد**﴾ مبتدأ. ﴿**لله**﴾ متعلق بمحذوف خبر. ﴿**الذى**﴾ في محل جر نعت لله. ﴿**لم يتخذ ولدا**﴾ فاعل يتخذ ضمير يعود على الله. ﴿**ولم يكن**﴾ معطوف على لم يتخذ. ﴿**له**﴾ متعلق بيكن. ﴿**ولى**﴾ فاعل يكن التامة. ﴿**من الذل**﴾ متعلق بولى. ﴿**وكبره**﴾ معطوف على ما قبله من الأمر. ﴿**تكبيرا**﴾ مفعول مطلق.

مبحث الأسلوب البلاغي

الآية متصلة بالعطف على ما قبلها. وهو انتقال من وصف وإبطال مقالهم في تكذيب النبئ ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى ذكر حال آخر من حال معارضتهم وإعراضهم. وهي حال طمعهم في أن يستنزلوا الرسول لأن يقول قولا فيه حسن ذكر لآلهتهم ليتنازلوا إلى مصالحته وموافقته إذا وافقهم في بعض ما سألوه. وعدى يفتنونك بحرف عن لتضمينه معنى يصرفونك عن القرآن لتفترى علينا غيره. وجملة ﴿**وإذًا لاتخذوك خليلا**﴾ عطف على جملة ﴿**وإن كادوا ليفتنونك...**﴾ ووجه عطفها بالواو دون الاقتصار على أداة الجزاء لأنه باعتبار كونه من أحوالهم التي حاوروا النبئ فيها وألحّوا عليه ناسب أن يعطف على جملة أحوالهم. والتقدير: فلو صرفوك عن بعض ما أوحينا إليك لاتخذوك خليلا. ﴿**ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا**﴾: هذه مِنّةٌ أخرى ومقام آخر من مقام الرسول تجاه المشركين... ﴿**إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات**﴾: فصلت هذه الآية عن الآية التي قبلها؛ لأنها وقعت جزاء الجملة ﴿**لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا**﴾ والمعنى: لو تركن إليهم لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات.

وجملة ﴿**ثم لا تجد لك علينا نصيرا**﴾ معطوفة على جملة لأذقناك... فموقعها تحقيق عدم الخلاص من تلك الإذاقة. ولهذا جاء العطف بثم. ﴿**وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها**﴾: كلام متصل بالعطف على جملة ﴿**وإن كادوا ليفتنونك...**﴾ فهو تعداد لسيآت أعمالهم. والضمائر متحدة. ترجع كلها إلى كفار قريش. والمعنى: كادوا أن يخرجوك من بلدك. وذلك بأن هموا

بأن يُخرجوه كرها. . . ثم صرفهم الله عن ذلك ليكون خروجه بغير إكراه حين خرج مهاجرا عن غير علم منهم لأنهم ارتاوا بعد زمان أن يبقوه بينهم حتى يقتلوه. والتعريف في الأرض تعريف العهد. وقوله ﴿**ليخرجوك**﴾ تعليل للاستفزاز. ﴿**وإذن لايلبثون خلفك إلا قليلا**﴾: عطف على جملة ﴿**وإن كادوا ليستفزونك من الأرض. . .**﴾ وفي الآية إيماء إلى أن الرسول سيخرج من مكة وأن الذين تسببوا في إخراجه لايلبثون بعده بمكة إلازمنا قليلا. . . منّةَ من ﴿**قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا**﴾: الآية مستأنفة استئنافا بيانيا سبب كون لبثهم بعده قليلا. وجملة ﴿**ولا تجد لسنتنا تحويلا**﴾ اعتراض لتكملة البيان.

والمعنى: أن ذلك كائن لا محالة؛ لأننا أجريناه على الأمم السالفة، ولأن عادتنا لاتتحول. والتعبير بلا تجد مبالغة في الانتفاء. ﴿**أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا**﴾: مناسبة هذه الآية لما قبلها أن الله تعالى لما امتنّ على النبى بالعصمة وبالنصر ذكّره بشكر النعمة بأن أمره بأعظم عبادة يعبده بها. . . فالجملة استئناف ابتدائي والإقامة مجاز في المواظبة والإدامة. واللام في لدلوك الشمس بمعنى عند. وقد جمعت الآية أوقات الصلوات الخمس: الظهر والعصر عند دلوك الشمس. والمغرب والعشاء عند الغسق. والفجر المعبر عنه بقرآن الفجر.

وجملة ﴿**إن قرآن الفجر كان مشهودا**﴾ علة لبيان وجه تخصيص صلاة الصبح باسم القرآن بأنها مشهودة. تشهدها الملائكة وعباد الله الصالحون. وهو بيان لزيادة فضلها وبركتها. . . فلا يواظب عليها إلا المؤمنون الصادقون ﴿**ومن الليل فتهجد به نافلة لك**﴾: هذه الآية متصلة بالعطف على الآية التي قبلها. وقدم المجرور المتعلق بتهجد على متعلقه اهتماما به، وتحريضا عليه. وبتقديمه اكتسب معنى الشرط والجزاء، فجعل مُتَعَلّقَهُ بمنزلة الجزاء فأدخلت عليه فاء الجزاء. وهذا مستعمل في الظروف والمجرورات المتقدمة على متعلقاتها. وهو استعمال فصيح. ومنه قوله تعالى: ﴿**وفى ذلك فلينافس المتنافسون**﴾ وضمير به للقرآن المذكور في قوله: ﴿**وقرآن الفجر**﴾. واللام في قوله نافلة لك لام العلة.

وفي هذا دليل على أن الأمر بالتهجد خاص بالنبئ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالأمر للوجوب. وبذلك انتظم في عداد الصلوات الواجبة. فبعضها واجبة عليه

وعلى الأمة، وبعضها واجب عليه خاصة. وفي هذا الإيجاب عليه زيادة تشريف له؛ ولهذا أعقب بوعد أن يبعثه مقاما محمودا: ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا. وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج مصدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا**﴾: لما أمر الله رسوله بالشكر الفعلى عطف عليه الأمر بالشكر اللسانى بأن يبتهل إلى ربه بسؤال التوفيق في الخروج من مكان والدخول إلى مكان كى لايضره أن يستفزه أعداؤه من الأرض ليخرجوه منها. ومع ما فيه من المناسبة لقوله: ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا**﴾.

فلما وعده بأن يقيمه مقاما محمودا ناسب أن يسأل أن يكون ذلك حاله في كل مقام يقومه. والمدخل والمخرج بضم الميم وبفتح الحرف الثالث. أصله اسم مكان الإدخال والإخراج. اختير هنا الإسم المشتق من الفعل المتعدى للإشارة إلى أن المطلوب دخول وخروج مُيسَّران من الله تعالى وواقعان بإذنه. وذلك دعاء بكل دخول وخروج مباركين لتتم المناسبة بين المسؤول وبين الموعود به. وهو المقام المحمود. وهذا السؤال يعم كل مكان يدخل إليه ومكان يخرج منه وقد عمت هذه الدعوة جميع المداخل إلى ما يقدر له الدخول إليه.. وجميع المخارج التي يخرج منها حقيقة أو مجازا... ثم عطف عليه سؤال التأييد والنصر في تلك المداخل والمخارج وغيرها من الأقطار النائية والأعمال القائم بها غيره من أتباعه وأعدائه بنصر أتباعه وخذل أعدائه. والسلطان في هذا المقام كلمة جامعة على طريقة استعمال المشترك في معانيه. تشمل أن يجعل له الله تأييد وحُجّة وغلبة ومُلْكا عظيما!.. وقد آتاه الله ذلك كله... فنصره على أعدائه.

وسخر له أسباب النصر... فنصر بالرعب لمسيرة شهر. والتعبير مبالغة في الناصر... فصار هذا الوصف تقييدا للسلطان بأنه لم يسأل سلطاناً للاستعلاء على الناس. وإنما سأل سلطاناً لنصره فيما يطلب النصرة. وهو التبليغ وبث الإسلام في الناس. ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**﴾: أعقب تلقينه الدعاء بسداد أعماله وتأييده فيها بأن لقنه هذا الإعلان المنبئ بحصول إجابة الدعوة الملهمة بإبراز وعده بظهور أمره في صورة الخبر عن شيءٍ مضَى. ولما كانت دعوة هي لإقامة الحق وإبطال الباطل كان الوعد لظهور الحق وعدا بظهور أمر الرسول وفوزه على أعدائه. واستحفظه هذه الكلمة الجليلة إلى أن ألقاها يوم فتح مكة على

مسامع من كانوا أعداءه. . . وجملة ﴿**إن الباطل كان زهوقا**﴾ تذييل للجملة التي قبله لما فيه من عموم يشمل كل باطل في كل زمان.

وإذا كان هذا شأن الباطل كان الثبات والانتصار شأن الحق؛ لأنه ضد الباطل فإذا انتفى الباطل ثبت الحق. وبهذا كانت الجملة تذييلا لجميع ما تضمنته الجملة التي قبلها. ودل فعل كان على أن الزهوق شنشنة الباطل وشأنه في كل زمان أنه يظهر ثم يضمحل. ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على آية ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل. . .**﴾ على ما في تلك الجملة والجمل التي سبقتها من معنى التأييد للنبيء - صلى الله عليه وسلم - ومن الإغاظة للمشركين ابتداءً من قوله: ﴿**وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك. . .**﴾ فإنه بعد أن امتنّ عليه بأن أيده بالعصمة من الركون إليهم وتبشيره بالنصرة عليهم وبالخلاص من كيدهم. وبعد أن هددهم بأنهم صائرون قريبا إلى هلاك، وأن دينهم صائر إلى الاضمحلال، أعلن له ولهم في هذه الآية: أن ما منه غيظهم وحنقهم، وهو القرآن الذي طمعوا أن يسألوا النبيء أن يبدله بقرآن ليس فيه ذكر أصنامهم بسوء، أنه لايزال متجددا مستمرا. . . فيه شفاء للرسول وأصحابه. . . وخسارة لمناوئيه وأعدائه ولأن القرآن مصدر الحق ومدحض الباطل أعقب قوله ﴿**جاء الحق وزهق الباطل بقوله: وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا**﴾ ولهذا اختير للإخبار عن التنزيل الفعل المضارع المشتق من فعل المضاعف للدلالة على التجديد والتكرير والتكثير. . . ومن القرآن بيان لما في ما من الإبهام وتقديم البيان لتحصيل غرض الاهتمام بذكر القرآن مع غرض الثناء عليه بطريق الموصولية بقوله: ﴿**ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا**﴾ للدلالة على تمكن ذلك الوصف منه بحيث يعرف به.

واستعمل الشفاء هنا مجازا في زوال ما هو نقص وضلال وعائق عن النفع من العقائد الباطلة والأعمال الفاسدة والأخلاق الذميمة، تشبيها له ببرء القسم. والمعنى أن القرآن كله شفاء ورحمة للمؤمنين، ويزيد خسارة للكافرين؛ لأن كل آية من القرآن؛ من أمره ونهيه، ومواعظه وقصصه وأمثاله، ووعده ووعيده. كل آية من ذلك مشتملة على هَدْيٍ وصلاح حال المؤمنين المتعينة، ومشتملة بضد ذلك

على ما يزيد غيظ المستمرين على الظلم من التعدى والتحدى والكفر والشرك... فيزدادون بذلك خسارا بزيادة آثامهم واستمرارهم على فساد أخلاقهم وبعدما بينهم وبين الإيمان. وقد تقدم ما يماثل هذا في قوله تعالى: ﴿..**فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون. وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوسا**﴾: لما كان القرآن نعمة عظيمة للناس، وكان إعراض المشركين عنه حرمانا لهم من خيرات كثيرة، ولم يكن من شأن أهل العقول السليمة أن يرضوا بالحرمان من الخير، كان الإخبار عن زيادته الظالمين خسارا مستغربا من شأنه أن يثير في نفوس السامعين التساؤل عن سبب ذلك، أعقب ذلك ببيان السبب النفسانى الذي يوقع العقلاء في مهواة هذا الحرمان وذلك بعد الاشتغال بما هو فيه من نعمة هَوِيَهَا وأولع بها... فهذه الجملة مضمونها مقصود بذاته استفيد بيانها بوقوعها عقب التي قبلها... والجملة شرطية بأداة شرط محقق. فجوابه محقق: ﴿**أعرض ونأى بجانبه. وإذا مسه الشركان يؤوسا**﴾ مثله. وحذف متعلق أعرض. ونأى للدلالة عليه بقوله: ﴿**أنعمنا على الإنسان**﴾ والمعنى: أعرض عنا وأجفل منا.

وجملة وإذا مسه الشركان يؤوسا احتراس من أن يتوهم السامع من التقييد بقوله ﴿**وإذا أنعمنا**﴾ أنه إذا زالت عنه النعمة صلح حاله... فبيّن أن حاله ملازم لنكران الجميل في السراء والضراء... فإذا زالت النعمة عنه لم يقلع عن الشرك والكفر ويتب إلى الله... ولكنه ييأس من الخير ويبقى حنقا ضيق الصدر لا يعرف كيف يتدارك أمره... فهذا الإنسان الذي لم يهتد بهدى القرآن وإنما بقى على غريزته يتمتع ويأكل كما تأكل الأنعام. ﴿**قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا**﴾: هذه الآية تذييل مقرر لما سبق... وهو تنهية للغرض الذي ابتدئ من قوله: ﴿**ربكم الذي يزجى لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما...**﴾ الراجع إلى التذكير بنعم الله تعالى على الناس في خلال الاستدلال على أنه المتصرف الوحيد. وإلى التحذير من عواقب كفران النعم.

وإذ قد ذكر في خلال ذلك فريقان في قوله: ﴿**يوم ندعوا كل أناس**

بإمامهم...﴾ الخ الاية. وقوله: **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾**. ولما في كلمة كل من العموم كانت الجملة تذييلا. والتنوين عوض عن المضاف إليه. أي: كل أحد مما شمله عموم قوله: **﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾**. وقوله: **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا وقوله: وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشركان يؤوسًا﴾**. وهذه الجملة في الآية تجرى مجرى المثل.

وفرع عليه قوله: **﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا﴾**. وهو كلام جامع لتعليم الناس بعموم علم الله تعالى. والترغيب للمؤمنين والإنذار للمشركين، مع تشكيكهم في حقيقة دينهم لعلهم ينظرون. **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾**: هذه الآية متصلة بالعطف على ما قبلها... فمرجع ضمير يسألونك هو مرجع الضمائر المتقدمة... فالسائلون عن الروح هم كفار قريش. وسؤالهم عن الروح معناه: أنهم سألوا عن بيان ماهية ما يعبر عنه في اللغة العربية بالروح والتي يَعْرِف كل أحد بوجه الإجمال أنها حالة فيه. والروح يطلق على الموجود الخفى المنتشر في سائر الجسد الإنسانى الذي دلت عليه آثاره من الإدراك والتفكير. وهذا الإطلاق هو الذي في قوله تعالى: فإذا سويته ونفخت فيه من روحى.

ويطلق الروح على الكائن الشريف المكون بأمر إلهى بدون سبب اعتيادى ومنه قوله تعالى: **﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا...﴾** ويطلق لفظ الروح على الملك الذي ينزل بالوحى على الرسل. وهو جبريل عليه السلام. ومنه قوله تعالى: **﴿نزل به الروح الأمين على قلبك...﴾** ولما كانت عقول الناس قاصرة عن فَهْم حقيقة الروح وكيفية اتصالها بالبدن وكيفية انتزاعها منه وفي مصيرها بعد ذلك الانتزاع، أجيبوا بأن الروح من أمر الله، ومن الأشياء الخاصة به. وجملة **﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾** تذييل مقرر لمضمون ما قبله... **﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ثم لاتجد لك به علينا وكيلا إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا﴾**: هذه الآية متصلة بالعطف على آية **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين...﴾** لما بينهما من المناسبة... واللام موطئة للقسم المحذوف قبل الشرط.

وجملة ﴿**لنذهبن بالذى أوحينا إليك**﴾ جواب القسم. وهو دليل جواب الشرط ومُغْنٍ عنه. وقد تقدم في مبحث الإعراب. ﴿**ولنذهبن بالذى أوحينا**﴾ بمعنى لنذهبنه عنك. وهو أبلغ من نذهبه. وثم للترتيب الرتبى؛ لأن نفى الطمع في استرجاع المسلوب أشد على النفس من سلبه. فذكره أدخل في التنبيه على الشكر، والتحذير من الغرور. والمراد بالوكيل هنا المدافع والشفيع... ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى. ولما فيه من معنى التعهد والمطالبة عدى إلى المردود بالباء. وذكر هنا وكيلا وفي الآية قبلها نصيرا؛ لأن معنى هذه على فرض سلب نعمة الاصطفاء... فالمطالبة بإرجاع النعمة شفاعة ووكالة عنه. وأما الآية قبلها فهى في فرض إلحاق عقوبة به. فمدافعة تلك العقوبة أو الثأر بها نصر.

والاستثناء في قوله: ﴿**إلا رحمة من ربك**﴾ منقطع... فحرف إلا الاستثناء فيه بمعنى الاستدراك. وهو استدراك على ما اقتضاه فعل الشرط من توقع ذلك. أى: لكن رحمة من ربك نفت مشيئة الذهاب بالذى أوحينا إليك فهو باق غير مذهوب به. وهذا إيماء إلى بقاء القرآن وحفظه. وقد تقدم هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾. وموقع ﴿**إن فضله كان عليك كبيرا**﴾ موقع التعليل للاستثناء المنقطع وزيادة فعل كان لتوكيد الجملة زيادة على توكيدها بحرف التوكيد المستعمل في معنى التعليل والتفريع. ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**﴾: هذه الآية مفصولة عما قبلها فلم تعطف لأنها مستأنفة استئنافا بيانيا... وزيادة في الامتنان بهذا الفضل الكبير وافتتاحه بقل لاهتمام به.

وهذا تنويه بشرف القرآن... فكان هذا التنويه امتنانا على الذين آمنوا به، وهم الذين كان لهم شفاء ورحمة وتحديا بالعجز على الإتيان بمثله للذين أعرضوا عنه. وهم الذين لايزيدهم إلا خسارا. وذكر الجن مع الإنس للتعميم. ولإبطال زعم المشركين بأن الجن يقدرون على الأعمال العظيمة، وأن ما يأتى به البشر من الغرائب كان بإعانة الجن... والمراد بالمماثلة للقرآن: المماثلة في مجموع الفصاحة والبلاغة والمعانى والآداب والشرائع وهي نواحى إعجاز القرآن اللفظى والعلمى. ولو وصلية. وهي تفيد أن ما بعدها مظنة أن لايشمله ما قبلها. وفائدة هذه الجملة تأكيد معنى الاجتماع وهذه الآية مفحمة لكل من عارض القرآن في

التحدى بإعجاز القرآن. . . ﴿**ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا**﴾: لما تحدى الله بلغاء المشركين بالإعجاز تطاول عليهم بذكر فضائل القرآن على ما سواه من الكلام مدمجا في ذلك النعى عليهم إذ حرموا أنفسهم الانتفاع بما في القرآن من كل مثل.

وذكرت هنا ناحية من نواحى إعجازه. وهي ما اشتمل عليه من أنواع الأمثال. . . فجملة ﴿**ولقد صرفنا**﴾ معطوفة على جملة ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن**﴾، مشاركة لها في حكمها المتقدم بيانه، زيادة في الامتنان والتعجيز. وتأكيدها بلام القسم وحرف التحقيق لرد إنكار المشركين أنه من عند الله. فمورد التوكيد هو فعل صرفنا الدال على أنه من عند الله، وزيد في هذه الآية قيد ﴿للناس﴾ دون الآية السابقة؛ لأن هذه الآية واردة في مقام التحدى والإعجاز، فكان الناس مقصودين به قصدا أصليا مؤمنهم وكافرهم بخلاف الآية المتقدمة؛ فإنها في مقام توبيخ المشركين خاصة. . . ووجه تقديم أحد المتعلقين بفعل صرفنا على الآخر: أن ذكر الناس أهم في هذا المقام لأجل كون الكلام مسوقا لتحديهم والحجة عليهم.

وإن كان ذكر القرآن أهم بالأصالة؛ لأن الاعتبارات الطارئة تقدم في الكلام البليغ على الاعتبارات الأصلية؛ لأن الاعتبارات الأصلية لتقررها في النفوس تصير متعارفة؛ فتكون الاعتبارات الطارئة أعزَّ منالا. ومن هذا باب تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر. وذكر في هذه الآية متعلق التصريف بقوله: ﴿**من كل مثل**﴾ بخلاف الآية السابقة؛ لأن ذكر ذلك أدخل في الإعجاز. . . فإن كثرة أغراض الكلام أشد تعجيزا لمن يروم معارضته عن أن يأتى بمثله؛ إذ قد يقدر بليغ من البلغاء على غرض من الأغراض ولا يقدر على غرض آخر. . . فعجزُهم عن معارضة سورة من القرآن مع كثرة أغراضه عجز بيّن من جهتين؛ لأنهم عجزوا عن الإتيان بمثله ولو في بعض الأغراض. وتنوين مثلٍ للتعظيم والتشريف. وكل يفيد العموم.

وحذف مفعول أبى للقرينة. . . وفي قوله: ﴿**إلا كفورا**﴾ تأكيد الشئ بما يشبه ضده. ﴿**وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا**﴾: هذه الآية وما بعدها متصلة بالعطف على قوله: ﴿**فأبى أكثر الناس إلا كفورا**﴾ إظهارا لقوة

جحودهم وإعلاما بشدّة كفرهم وعنادهم... فحكى الله امتناعهم عن الإيمان بحرف ﴿**لن**﴾ المفيدة لنفى المستقبل دون حد بوقت... ﴿**أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا**﴾: مطلب آخر فيه نوع من التهكم... حيث خصوه بهذا المطلب... وقولهم: ﴿**أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا...**﴾ انتقال من تحديه بخوارق فيها منافع لهم... إلى تحديه بخوارق فيها مضرتهم... ﴿**أو تأتى بالله والملائكة قبيلا**﴾: زيادة في العناد... ﴿**أو تكون لك بين من زخرف**﴾: ترق في هذه المطالب استهزاء وتهكما حتى ظهرت حقيقة هذا المراد: ﴿**أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه**﴾!.. ولما كان اقتراحهم اقتراح ملاجّة وعناد أمره الله بأن يجيبهم بما يدل على التعجيب من كلامهم بكلمة ﴿**سبحان ربى**﴾! التي تستعمل في التعجيب... ثم بالاستفهام الإنكارى، وصيغة الحصر المقتضية قصر نفسه على البشرية والرسالة... ﴿**وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا**﴾: بعد أن عدت أشكال عنادهم ومظاهر تكذيبهم أعقبت ببيان العلة الأصلية التي تبعث على الجحود في جميع الأمم. وهي توهمهم استحالة أن يبعث الله للناس برسالة بشرا مثلهم... فذلك التوهم هو مثار ما يأتونه من المعاذير... فالذين هذا أصل معتقدهم لايرجى منهم أن يؤمنوا ولو جاءتهم كل آية!.

وما قصدهم من مختلف المقترحات الا إرضاء أوهامهم بالتنصل من الدخول في الدين. فلو أتاهم الرسول بما سألوه لاتنقلوا فقالوا: ان ذلك سحر... أو قلوبنا غلف... أو نحو ذلك... ومع ما في هذا من بيان أصل كفرهم هو أيضا ردٌّ بالخصوص لقولهم... وإلقاء هذا الكلام بصيغة أداة العموم جعله تذييلا مقررًا لمضمون ما مضى من حكاية تفننهم في أساليب التكذيب والتهكم. والظاهر حمل التعريف في الناس على الاستغراق فإن الله حكى مثل ذلك عن كل أمة كذبت رسولها: فقال ـ حكاية عن قوم نوح: ﴿**ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين**﴾. وحكى مثله عن هود: ﴿**ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذًا لخاسرون**﴾.

وعن قوم صالح: ﴿**ما أنت إلا بشر مثلنا**﴾. وعن قوم شعيب: ﴿**وما أنت إلا**

بشر مثلنا﴾. وحكى عن قوم فرعون: ﴿**قالوا أنؤمن لبشرين مثلنا**. . .﴾ وقال في قوم محمد: ﴿**بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب**﴾. وإذ شمل العموم كفار قريش أمر الرسول بأن يجيبهم عن هذه الشبهة بقوله: ﴿**لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا**﴾. فاختص الله رسوله باجتثات هذه الشبهة من أصلها اختصاصا لم يلقّنه من سبق من الرسل. . . فإنهم تلقوا الشبهة باستنصار الله على أقوامهم. . . فقد ادخر الله لرسوله قواطع الأدلة على إبطال الشرك وشبه الضلالة بما يناسب كونه خاتم النبيئين. ﴿**قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم**﴾: بعد أن خص الله محمدا بتلقين الحجة القاطعة للضلالة أردف ذلك بتلقينه أيضا ما لقنه الرسل السابقين من تفويض الأمر إلى الله وتحكيمه في أعدائه. فأمره بقل كفى بالله، تسلية له وتثبيتا لنفسه وتعهدا له بالفصل بينه وبينهم.

وفى هذا رد لمجموع مقترحاتهم المتقدمة على وجه الإجمال. والشهيد كناية عن النصير والحاكم؛ لأن الشهادة سبب الحكم. والقرينة بينى وبينكم؛ لأن ظرف بين يناسب معنى الحكم. وجملة ﴿**إنه كان بعباده خبيرا بصيرا**﴾ تعليل للاكتفاء به تعالى. ﴿**ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه**﴾: الكلام متصل بما قبله بالعطف على قوله: ﴿**وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى**. . .﴾ جمعا بين المانع الظاهر المعتاد من الهدى، وبين المانع الحقيقى. وهو حرمان التوفيق من الله تعالى. . . فمن أصر على الكفر مع وضوح الدليل لذى العقول فذلك لأن الله لم يوفقه. وأسباب الحرمان غضب الله على من لايلقى عقله لتلقى الحق، ويتخذ هواه رائدا له في مواقف الجدّ. . . والتعريف في المهتدى تعريف العهد الذهنى؛ فالمعرف مساو للنكرة. . . فكأنه قيل: فهو مهتدٍ.

وفائدة الإخبار عنه بأنه مهتدٍ التوطئة إلى ذكر مقابله، وهو ﴿**ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء**﴾ كما يقال: من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا فلان. ﴿**ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا**﴾: هذه الآية متصلة بالعطف على ما قبلها؛ لزيادة بيان نفى الولى المراد من قوله: ﴿**فلن تجد لهم أولياء من دونه**. . .﴾ وهذا جزاء مناسب للجرم؛ لأنهم روجوا الضلالة في صورة الحق، ووسموا الحق بسمات الضلال. فكان

جزاؤهم أن حولت وجوههم أعضاء مشى عوضا عن الأرجل... ثم كانوا عميا وبكما جزاء أقوالهم الباطلة على الرسول وعلى القرآن. وصما جزاء امتناعهم عن سماع الحق.

وجملة مأواهم جهنم استئناف بياني. وكذلك جملة: ﴿**كلما خبت زدناهم سعيرا. ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا**﴾: الإشارة إلى ما تقدم من قوله: ﴿**ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما...**﴾ إلخ الآية بتأويل المذكور. وجملة: ﴿**وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا**﴾ عطف على جملة ﴿**بأنهم كفروا بآياتنا**﴾. فذكر وجه اجتماع تلك العقوبات لهم، وذُكِرَ سببان: أحدهما الكفر بالآيات، ويندرج فيه صنوف من الجرائم، تفصيلا وجمعا. تناسبها العقوبة التي في قوله: ﴿**ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم...**﴾ وثانيهما إنكارهم البعث بقولهم: ﴿**أئذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا**﴾.

﴿**أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم**﴾: هذه الجملة معطوفة على جملة ﴿**ذلك جزاؤهم**﴾ باعتبار ما تضمنته الجملة المعطوف عليها من الردع عن قولهم: ﴿**أئذا كنا عظاما ورفاتا...**﴾ فبعد زجرهم عن إنكارهم البعث بأسلوب التهديد عطف عليه إبطال اعتقادهم بطريق الاستدلال بقيان التمثيل في الإمكان. وهو كاف في إقناعهم هنا؛ لأنهم إنما أنكروا البعث باعتقاد استحالته كما أفصح عنه حكاية كلامهم بالاستفهام الإنكارى، وإحالتهم ذلك مستندة إلى أنهم صاروا عظاما ورفاتا. والاستفهام في ﴿**أولم يروا**﴾ إنكارى مشوب بتعجيب من انتفاء علمهم؛ لأنهم لما جرت عقائدهم على استبعاد البعث كانوا بحال من لم تظهر له دلائل قدرة الله تعالى: فيؤول الكلام إلى إثبات أنهم علموا ذلك في نفس الأمر.

وجملة: ﴿**وجعل لهم أجلا لاريب فيه**﴾ معطوفة على جملة ﴿**أو لم يروا...**﴾ وجملة: ﴿**فأبى الظالمون إلا كفورًا**﴾ تفريع على الجملتين باعتبار ما تضمنتاه من الإنكار والتعجيب... فالتفريع من تمام الإنكار، والتعجيب من حالهم. واستثناء الكفور من الإباية تأكيد للشئ بما يشبه ضده. واختير الكفور هنا تنبيها على أنهم كفروا بما يجب اعتقاده وكفروا نعمة المنعم عليهم فعبدوا غير

المنعم. ﴿**قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذًا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورًا**﴾: جاءت هذه الآية رد لما اقترحوه من قولهم: ﴿**لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا**...﴾ الى آخر الآيات... فمعنى الرد أن هذا ليس بعظيم في جانب خزائن رحمة الله لو شاء أظهره لكم.

وأدمج في هذا الرد ببيان ما فيهم من البخل عن الإنفاق في سبيل الخير. وأدمج في ذلك أيضا تذكيرهم بأن الله أعطاهم من خزائن رحمته فكفروا نعمته وشكروا الأصنام التي لا نعمة لها. ولو هنا دخلت على الاسم ومن شأنها أن تدخل على الفعل. فتقديم الاسم هنا مراد به تقوية الكلام من حيث ذكر الاسم أوّلاً ليكون فاعلا بفعل مقدر. تم ذكر أخيرا مع فعل مذكور... وأكد جواب لو بزيادة إذن فيه لتقوية معنى الجوابية، ولأن في إذن معنى الجزاء. وجملة: ﴿**وكان الإنسان قتورا**﴾ اعتراضية في آخر الكلام. وهي تفيد تذييلا لأنها عامة الحكم. ﴿**ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات**﴾ فهذه الآية اتصلت بالعطف على ما سبق من عناد المشركين باقتراحهم المعنت فكان ذكر ما آتاه الله موسى من الآيات وعدم إجداء ذلك في فرعون وقومه تنظيرا لما سأله المشركون.

والمقصود: أننا آتينا موسى تسع آيات بينات للدلالة على صدقه فلم يهتد فرعون وقومه وزعموا ذلك سحرا... ففى ذلك مثلٌ للمكابرين كلهم وما قريش إلا منهم! ففى هذا مثل للمعاندين تسلية للرسول... فقد حصلت بقوله: ﴿**ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات**﴾ الحجة على المشركين الذين يقترحون الآيات فجاءت مطالب قريش في العد كما حصل لموسى من الآيات... فآيات موسى لم تقنع فرعون وقومه، ولم تكن لليهود هداية... بل كفروا بموسى وآياته... ثم صاروا بعد ذلك حجر عترة لكل من يريد أن يهتدى الهدى الصحيح... فمن هذا كان الاعتناء في هذه السورة بالمقارنة بين رسالة محمد ورسالة موسى إقامة للحجة على المشركين الذين كذبوا بالرسالة بعلة أن الذي جاءهم بشر. وللحجة على اليهود الذين ظاهروا المشركين، ولقنوا من بعدهم الإلحاد في الرسالة الإسلامية ليصفو لهم الجو في البلاد والعباد... ثم انتقل بعد ذلك بطريقة التفريع التسجيل ببنى إسراءيل استشهادا بهم على المشركين.

وإدماجا للتعريض بهم بأنهم ساووا المشركين في إنكار نبوءة محمد ـ صلى

الله عليهم وسلم ـ ومظاهرتهم المشركين وتلقين الشبه للمتشككين؛ تذكيرا لهم بحال فرعون وقومه: ﴿**فاسأل بنى إسراءيل إذ جاءهم فقال له فرعون إنى لأظنك ياموسى مسحورًا. قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإنى لأظنك يافرعون مثبورا**﴾: لم يبق في نفس فرعون شك في أن تلك الآيات لا تكون إلا بتسخير الله؛ إذ لا يقدر عليها غير الله، وأنه إنما قال: ﴿**وإنى لأظنك ياموسى مسحورا**﴾ عنادا ومكابرة وكبرياء. وأكد كلام موسى بلام القسم وحرف التحقيق تحقيقا لحصول علم فرعون بذلك.

والإشارة بهؤلاء إلى الآيات التسع جى لها باسم إشارة العاقل. وهو استعمال مشهور. وعبر عن الله بطريق إضافة وصف الرب للسماوات والأرض تذكيرا بأن الذي خلق السماوات والأرض هو القادر على أن يخلق مثل هذه الخوارق وفي ذكر هذا من قصة موسى إتمام لتمثيل حال معاندى الرسالة المحمدية بحال من عاند رسالة موسى. وجاء في جواب موسى لفرعون بمثل ماشافهه فرعون به من قوله: ﴿**وإنى لأظنك ياموسى مسحورا**﴾ مقارعة له وإظهارا لكونه لايخافه وأنه يعامله معاملة المثل. ﴿**فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا**﴾: أكملت قصة المثل بما فيه تعريض بتمثيل الحالين إنذارا للمشركين بأن عاقبة مكرهم وكيدهم ومحاولاتهم صائرة إلى ماصار إليه مكر فرعون وكيده، ففرع على تمثيل حالى الرسالتين وحالى المرسل إليهما، ذكر عاقبة الحالة الممثل بها نذارة للممثلين بذلك المصير. والاستفزاز كناية عن الإبعاد.

﴿**وقلنا من بعده لبنى إسراءيل اسكنوا الأرض**﴾: معطوفة على جملة ﴿**فأغرقناه ومن معه جميعا. فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا**﴾: هذا تعقيب على ما حصل في الدنيا بما يحصل في الآخرة من الجزاء على الأعمال... ﴿**وبالحق أنزلناه وبالحق نزل**﴾: عود إلى التنويه بشأن القرآن فهو متصل بقوله: ﴿**ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا**﴾. فلما عطف عليه ﴿**وقالوا لن نؤمن لك...**﴾ الآيات إلى هنا وسمحت مناسبة ذكر تكذيب فرعون موسى، عاد الكلام إلى التنويه بالقرآن لتلك المناسبة. وقد وصف القرآن بصفتين عظيمتين. كل واحدة منهما تحتوى على ثناء عظيم وتنبيه للتدبّر فيهما.

وقد ذكر فعل النزول مرتين، وذكر له في كل مرة متعلق متماثل اللفظ لكنه

مختلف المعنى... فعلق إنزال الله إياه بأنه بالحق. فكان معنى الحق الثابت الذي لاريب فيه ولا كذب... فهو كقوله تعالى: ﴿**ذلك الكتاب لاريب فيه...**﴾ فهو رد لتكذيب المشركين أن يكون القرآن وحيا من عند الله. وعلق نزول القرآن بأنه بالحق... فكان معنى الحق الثانى مقابل الباطل... فهو مشتمل على الحق الذي به قوام صلاح الناس وفوزهم في الدنيا والآخرة. كما قال تعالى: ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل...**﴾ وقوله: ﴿**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله...**﴾ وضمائر الغيبة عائدة إلى القرآن المعروف من المقام. والباء في الموضعين للمصاحبة؛ لأنه مشتمل على الحق والهدى. والمصاحبة تشبه الظرفية.

وتقديم المجرور في الموضعين على عامله للقصر ردًا على المنكرين الذين ادّعوا أنه أساطير الأولين أو سحر مبين... أو نحو ذلك... ﴿**وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا**﴾: هذا تحقيق لحقية بعثة الرسول إثر تحقيق حقية إنزال القرآن عليه. وفي هذا الحق نفع لمن اتبعه، وضر على من أعرض عنه... والقصر للرد على الذين سألوه أشياء من تصرفات الله، والذين ظنّوا أن لايكون الرسول بشرا. ﴿**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا**﴾: متصل بالعطف على جملة ﴿**أنزلناه...**﴾ وما بينهما من قوله: ﴿**وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا**﴾ جملة معترضة جئ بها للغرض الذي ذكر قبل.

ومعنى ﴿**فرقناه**﴾ جعلناه فرقا... فهو مبين ومفصل على حسب النوازل والأحداث التي تقتضى التوضيح والتفصيل... وقد علل بقوله: ﴿**لتقرأه على الناس على مكث...**﴾ فهما علتان: أن يُقرأ على الناس. وذلك علة لجعله قرآنا... وأن يقرأ على مهل وبطء. وهي علة لتفريقه... والحكمة في ذلك أن يكون ألفاظه ومعانيه أثبتَ في نفوس السامعين. وجملة ﴿**ونزّلناه تنزيلا**﴾ معطوفة على جملة ﴿**وقرآنا فرقناه**﴾. وفي فعل نزّلناه المضاعف، وتأكيده بالمفعول المطلق إشارة إلى تفريق إنزاله المذكور في قوله: ﴿**وبالحق أنزلناه... قل آمنوا به أولا تؤمنوا**﴾: استئناف خطاب للنبئ ليلقنه بما يقوله للمخاطبين من المشركين الذين لم يؤمنوا بأن القرآن منزل من عند الله. فإنه بعد أن أوضح لهم الدلائل على أن مثل ذلك القرآن لايكون إلا منزلا من عند الله من قوله: ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**﴾.

فعجزوا عن الإتيان بمثله... ثم ببيان فضائل ما اشتمل عليه بقوله: **﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل...﴾** ثم بالتعرض إلى ما اقترحوه من الإتيان بمعجزات أُخَرَ... ثم يكشف شبهتهم التي يموّهون بها امتناعهم من الإيمان برسالة بشر، وبين لهم غلطتهم أو مغالطتهم... ثم بالأمر بإقامة الله شهيدا بينه وبينهم... ثم بتهديدهم بعذاب الآخرة... ثم بتمثيل حالهم مع رسولهم بحال فرعون وقومه مع موسى وما عجل لهم من عذاب الدنيا بالاستئصال... ثم بكشف شبهتهم بتنجيم القرآن، أعقب ذلك بتفويض النظر في ترجيح الإيمان وعدمه عند الله تعالى فالأمر في قوله: آمنوا للتسوية. وجزم لاتؤمنوا بالعطف على المجزوم وحرف لاحرف نفى وليس حرف نهى. وهو كناية عن الإعراض عنهم واحتقارهم وقلة المبالاة بهم. ويندمج فيه مع ذلك تسلية الرسول... وتهديد لمن استنكف عن القبول.

وجملة **﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله...﴾** الخ. تعليل لمعنى التسوية بين إيمانهم به وعدمه، أو تعليل لفعل قل، أو لكليهما شأن العلل التي تردُ بعد جمل متعددة. ولذلك فصلت. وموقع إن فيها موقع فاء التفريع. أى. إنما كان إيمانكم بالقرآن وعدمه سواء؛ لأنه مستغن عن إيمانكم به بإيمان الذين أوتوا العلم من قبل نزوله... فهم أرجح منكم أحلاما وأفضل مقاما، وهم الذين أوتوا العلم... فإنهم إذا ما يسمعونه يؤمنون به ويزيدهم إيمانا بما تحقق عندهم من الوعد الذي في كتبهم... وفي هذا تعريض بأن الذين أعرضوا عن الإيمان بالقرآن جهلة وأهل جاهلية. والمراد بالذين أوتوا العلم الذين قرأوا الكتب التي فيها الوعد ببعثة محمد... وفيها وصفه ووصف أصحابه... وفيها الحكم بنسخ كل حكم كان قبله... وأنه خاتم الأنبياء... ففى هذه الآية إخبار بمغيب.

وهؤلاء الذين أوتوا العلم وصفوا بأوصاف تدل على صدق ما هم عليه وأنهم مؤمنون مسلمون محسنون مثل ما اتصف به أصحاب محمد ومن هم على منهجهم... **﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمان أيًا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾**: في هذا الكلام رد على المشركين حيث جعلوا كثرة الأسماء تدل على تعدد مسمياتها... وتعليم للمسلمين بأن تعدد أسماء الله لاينافى التوحيد... فكثرة أسماء الله تدل على ذات واحدة اتصفت بأسماء تدل على عظمة الله سبحانه

وتعالى. . . ﴿**فأيّاما تدعوا فله الأسماء الحسنى**﴾. ومعنى ﴿**ادعوا الله أو ادعوا الرحمان**﴾: ادعوا هذا الاسم أو هذا الاسم. فالمسمى واحد. والتقدير: سموا ربكم الله، أو سموه الرحمان. والله علم على الذات. . . والرحمان وصف خاص بالذات. وهما اسمان خاصّان بالله تعالى لايطلقان على غير الله تعالى.

﴿**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا**﴾: في هذا الكلام توجيه للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يقتصد في دعائه بذكر أسماء ربه عند صلاته. . . فلا يجهر بها حتى يخرج عن المعتاد: ﴿**ادعوا ربكم تضرّعا وخفية إنه لايحب المعتدين**﴾. ولا يخافت بها فلا يسمعه أحد. . . فشرعت الصلاة على هذا المبدإ: في بعضها الجهر المعتاد. . . وفي بعضها السر المفيد. . . ﴿**وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا**﴾: هذه الآية متصلة بالعطف على ما قبلها لما فيها من تحقيق التوحيد ينفى أى شريك من ولد أو شريك أو ولى لأن ذلك علامة العجز والذل والاحتياج. فالله أكبر من كل ما يخطر في بال بشر. ومن هذين التوجهين نفهم كيفية العبادة، وكيفية النطق بالتوحيد.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذًا لاتخذوك خليلا**﴾: في هذا التوجيه بيان محاولات المشركين من أهل مكة مع الرسول حيث حاولوه عن أشياء منها: تبديل القرآن أو إتيانه بقرآن غير هذا القرآن. . . ويعدد هنا السياق هذه المحاولات: أولها محاولة فتنته عما أوحى الله إليه، ليفترى عليه غيره، وهو الصادق الأمين. . . فقد حاولوا هذه المحاولة في صور شتى. . . منها مساومتهم له أن يعبدوا إلهه في مقابل أن يترك التنديد بآلهتهم وما كان عليه آباؤهم. . . ومنها مساومة بعضهم له أن يجعل أرضهم حراما كالبيت العتيق الذي حرمه الله. . . ومنها طلب بعض الكبراء أن يجعل لهم مجلسا غير مجلس الفقراء. . . والنص يشير إلى هذه المحاولات ولا يفصلها؛ ليذكر فضل الله على الرسول في تثبيته على الحق، وعصمته من الفتنة. ولو تخلى عنه تثبيت الله وعصمته لركن إليهم فاتخذوه خليلا. . . هذه المحاولات التي عصم الله منها رسوله، هي محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات دائما: محاولة

إغرائهم لينحرفوا ـ ولو قليلا ـ عن استقامة الدعوة وصلابتها، ويرضوا بالحلول الوسط التي يُغرونهم بها في مقابل مغانم كثيرة... ومن جملة الدعوات من يفتن بهذا عن دعوته؛ لأنه يرى الأمْر هيِّنًا.

فأصحاب السلطان لايطلبون إليه أن يترك دعوته كلية... إنما يطلبون تعديلات طفيفة؛ ليلتقى الطرفان في منتصف الطريق... وقد يدخل الشيطان على حامل الدعوة من هذه الثغرة... فيتصور أن خير الدعوة في كسب أصحاب السلطان إليها... ولو بالتنازل عن جانب منها ولكن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق. وصاحب الدعوة الذي يقبل التسليم في جزء منها ولو يسيرًا وفي إغفال طرف منها ولو ضئيلا لايملك أن يقف عندما سلم به أول مرة؛ لأن استعداده للتسليم يتزايد كلما رجع خطوة إلى الوراء!.. والمسألة مسألة إيمان بالدعوة كلها... فالذى ينزل عن جزء منها مهما صغر... والذي يسكت عن طرف منها مهما ضؤل، لا يمكن أن يكون مؤمنا بدعوته حق الإيمان.

فكل جانب من جوانب الدعوة في نظر المؤمن هو حق كالآخر وليس فيها فاضل ومفضول. وليس فيها ضرورى ونافلة. وليس فيها ما يمكن الاستغناء عنه. وهي كُلٌّ متكامِلٌ يفقد خصائصه كلها حين يفقد أحد أجزائه؛ كالمركّب يفقد خواصه كلها إذا فقد أحد عناصره... وأصحاب السلطان يستدرجون أصحاب الدعوات... فإذا سلموا في الجزء فقدوا هيبتهم وحصانتهم، وعرف المتسلطون أن استمرار المساومة، وارتفاع السعر ينتهيان إلى تسليم الصفقة كلها. والتسليم في جانب ـ ولو ضئيلا ـ من جوانب الدعوة لكسب أصحاب إلى صفها هو هزيمة روحية بالاعتماد على أصحاب السلطان في نصرة الدعوة. والله وحده هو الذي يعتمد عليه المؤمنون بدعوتهم.

ومتى بدت الهزيمة في أعماق السريرة فلن تنقلب الهزيمة نصرا. لذلك امتن الله على رسوله أن ثبته على ما أوحى الله، وعصمه من فتنة المشركين له، ووقاه الركون إليهم ـ ولو قليلا ـ ورحمه من عاقبة هذا الركون، وهي عذاب الدنيا والآخرة مضاعفًا وفقدان المعين والنصير: **﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا. إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا**

نصيرا﴾. وعندما عجز المشركون عن استدراج الرسول إلى هذه الفتنة حاولوا استفزازه من الأرض: **﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها. . .﴾** ولكن الله أوحى إليه أن يخرج هو مهاجرا، لما سبق في علمه عن عدم إهلاك قريش بالإبادة. ولو أخرجوا الرسول عنوة وقسرا لحل بهم الهلاك، **﴿وإذًا لا يلبثون خلفك إلا قليلا. . .﴾** فهذه هي سُنَّةُ الله النافذة: **﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾**.

ولقد جعل الله هذه سنةً جاريةً لا تتحول؛ لأن إخراج الرسل كبيرة تستحق التأديب الحاسم، وهذا الكون تُصرّفه سُنَنٌ مطردة لا تتحول أمام اعتبار فردى. وليست المصادفات العابرة هي السائدة في هذا الكون. إنما هي السنن المطردة الثابتة. . . فلما لم يرد الله أن يأخذ قريشا بعذاب الإبادة كما أخذ المكذبين من قبل لحكمة علوية لم يُرْسِل الرسول بالخوارق، ولم يقدّر أن يخرجوه عنوة. . . بل أوحى إليه بالهجرة ومضت سنة الله في طريقها لا تتحول. . . بعد ذلك يوجه الله رسوله إلى الاتصال به، واستمداد العون منه، والمضيّ في طريقه، يعلن انتصار الحق وزهوق الباطل: **﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا، ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾** وقل رب أدخلته مدخل صدق وأخرجته مخرج صدق واجعل له من لدنك سلطانًا نصيرًا وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وفي هذا بيان أوقات الصلوات الخمس التي فرضت على المؤمنين، وفي مقدمتهم الرسول الكريم. . . ثم خص بتهجد الليل نافلة له ليكون له المقام المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون. . . وبعد الصلاة الواجبة والنافلة الدعاء الدائم الذي هو زاد المؤمن القائم بواجب المطلوب الدائم: **﴿وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا﴾**.

وهو دعاء يُعَلِّمُه الله لنبيئه ليدعوه به، ولتتعلم أمته كيف تدعوا الله وفيم تتجه إليه: دعاء بصدق المدخل وصدق المخرج. . . فهو تعبير عن صدق رحلة الحياة كلها: بدئها وختامها. أولها وآخرها. وما بين الأول والآخر. وللصدق هنا قيمته بمناسبة ما حاوله المشركون من فتنته عما أنزل الله عليه ليفترى على الله غيره. وللصدق كذلك ظلاله: ظلال الثبات والاطمئنان والنظافة والإخلاص. **﴿واجعل**

لى من لدنك سلطانا نصيرا﴾: قوة وهيبة أستعلى بهما على سلطان الأرض وقوة المشركين. وكلمة من لدنك تصور القرب والاتصال بالله والاستمداد من عونه مباشرة واللجوء إلى حماه وصاحب الدعوة لا يمكن أن يستمد السلطان إلا من الله. ولا يمكن أن يهاب إلا بسلطان الله. لا يمكن أن يستظل بحاكم أو ذى جاه فيضره ويمنعه ما لم يكن اتجاهه قبل ذلك إلى الله.

والدعوة قد تغزو قلوب ذوى السلطان والجاه فيصبحون لها جندا وخدما فيفلحون ولكنها هي لا تفلح إن كانت من جند السلطان وخدمه. فهى من أمر الله وهي أعلى من ذوى السلطان والجاه. بهذا السلطان المستمد من الله أعلن مجئ الحق بقوته وصدقه وثباته، وزهوق الباطل واندحاره وجلائه. . . فمن طبيعة الصدق أن يحيا ويثبت. ومن طبيعة الباطل أن يتوارى ويزهق. **﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا. . .﴾** إن الباطل كان زهوقا حقيقة لدنية يقررها بصيغة التوكيد ـ وإن بدا للنظرة الأولى أن للباطل صولة ودولة ـ فالباطل ينتفخ وينتفخ وينفش: لأن الباطل لا يطمئن إلى حقيقة؛ ومن ثم يحاول أن يموه على العين، وأن يبدو عظيما كبيرا ضخما راسخا. . . ولكنه هش سريع العطب، كشعلة الهشيم ترتفع في الفضاء عاليا ثم تخبو سريعا وتستحيل إلى رماد؛ بينما الجمرة الذاكية تدفئ وتنفع وتبقى. . . فالباطل لا يحمل عناصر البقاء في ذاته. . . إنما يستمد صولته الموقوتة من عوامل خارجية وأسناد غير طبيعية فإذا تخلخلت تلك العوامل، ووهت هذه الأسانيد تهاوى وانهار. . . فأما الحق فمن ذاته يستمد عناصر وجوده؛ وقد تقف ضده الأهواء، وتقف ضده الظروف، ويقف ضده السلطان. . . ولكن ثباته واطمئنانه يجعل له العقبى ويكفل له البقاء؛ لأنه من عند الله الذي جعل الحق من أسمائه وهو الحى الباقى الذي لايزول. إن الباطل كان زهوقا. . . ومن ورائه الشيطان، ومن ورائه السلطان. . . ولكن وعد الله أصدق، وسلطان الله أقوى.

وما من مؤمن ذاق طعم الإيمان إلا وذاق معه حلاوة الوعد، وصدق العهد، ومن أوفى بعهده من الله؟ ومن أصدق من الله حديثا؟!. **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾**: في القرآن شفاء وفي القرآن رحمة لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان، فأشرقت وتفتحت لتلقى ما في القرآن

من روح وطمأنينة وأمان. في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة. . . فهو يصل القلب بالله فيسكن ويطمئن، ويستشعر الحماية والأمن. ويرضى فيستروح الرضى من الله والرضى عن الحياة. والقلق مرض، والحيرة نصب، والوسوسة داء. ومن ثم هو رحمة للمؤمنين. وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزعات الشيطان ونزعات النفس.

وهى من ثم آفات القلب تصيبه بالمرض والضعف والتعب، وتدفع به إلى التحطم والبلى والانهيار. . . ومن ثم هو رحمة للمؤمنين وفي القرآن شفاء من الاتجاهات المختلة في الشعور والتفكير. فهو يعصم العقل من الشطط، ويطلق له الحرية في مجالاته المثمرة، ويكفه عن إنفاق طاقته فيما لا يجدى، ويأخذه بمنهج سليم مضبوط. يجعل نشاطه منتجا ومأمونا. ويعصمه من الشطط والزلل. وكذلك هو في عالم الجسد ينفق طاقاته في اعتدال بلا كبت ولا شطط. فيحفظه سليما معافى، ويدخر طاقاته للنتاج المثمر. . . ومن ثم هو رحمة للمؤمنين وفي القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء الجماعات، وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنينتها. . . فتعيش الجماعة في ظل نظامه الاجتماعى وعدالته الشاملة في سلامة وأمن وطمأنينة. ومن ثم هو رحمة للمؤمنين.

﴿**ولا يزيد الظالمين إلا خسارا**﴾: فهم لا ينتفعون بما فيه من شفاء ورحمة. وهم في غيظ وقهر من استعلاء المؤمنين به، وهم في عنادهم وكبريائهم يشتطون في الظلم والفساد. وهم في الدنيا مغلوبون من أهل هذا القرآن فهم خاسرون. وفي الآخرة معذبون بكفرهم به ولجاجهم في الطغيان. . . فهم خاسرون!: ﴿**ولا يزيد الظالمين إلا خسارا. . .**﴾ فأما حين يُترك الإنسان بلا شفاء ولا رحمة ـ حين يترك لنزعاته واندفاعاته فهو في حال النعمة متبطر معرض لايشكر ولا يذكر. . . وهو في حال الشدة يائس من رحمة الله تظلم في وجهه فجاج الحياة. وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوسًا. . . والنعمة تطغى وتبطر ما لم يذكر الإنسان واهبها فيحمد ويشكر والشدة تيئس وتقنط ما لم يتصل الإنسان بالله فيرجوا ويأمل، ويطمئن إلى رحمة الله وفضله فيتفاءل ويستبشر. ومن هنا تتجلى قيمة الإيمان وما فيه من رحمة في السراء والضراء سواء ثم يقرر السياق أن كل فرد وكل فريق يعمل وفق طريقته واتجاهه. . . والحكم على الاتجاهات

والأعمال موكول لله: قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا. وفي هذا التقرير تهديد خفى بعاقبة العمل والاتجاه؛ ليأخذ كلٌّ حذرَه... ويحاول أن يسلك سبيل الهدى، ويجد طريقه إلى الله.

التوجيه الثاني: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾: في هذا التوجيه محاولة أخرى من محاولاتهم المتعددة والمستمرة وهو رد عن سؤال سأله المعارضون للدعوة، والمحاولون لإبطالها... أو التشكيك فيها على أضعف الأحوال... فهم يسألون الرسول عن ماهية الروح. والمنهج الذي سار عليه القرآن ـ وهو المنهج الأقوم ـ أن يجيب الناس عما هم في حاجة إليه، وما يستطيع إدراكهم البشرى بلوغه ومعرفته... فلا يبدد الطاقة العقلية التي وهبها الله لهم فيما لا ينتج ولا يثمر، وفي غير مجالها الذي تملك وسائله وتحيط به... فلما سألوه عن الروح أمره الله أن يجيبهم بأن الروح من أمر الله، اختص بعلمه دون سواه. وليس في هذا حجر على العقل البشرى أن يعمل... ولكنّ فيه توجيها لهذا العقل أن يعمل في حدوده وفي مجاله الذي يدركه.

فلا جدوى من الخبط في التيه، ومن إنفاق الطاقة فيما لايملك العقل إدراكه؛ لأنه لايملك وسائل إدراكه. والروح غيب من غيب الله لايدركه سواه، وسر من أسراره القدسية أودعه هذا المخلوق البشرى وبعض الخلائق التي لانعلم حقيقتها. وعلم الإنسان محدود بالقياس إلى علم الله المطلق. وأسرار هذا الوجود أوسع من أن يحيط بها العقل البشرى المحدود. والإنسان لايدبر هذا الكون فطاقته ليست شاملة. إنما وهب منها بقدر محيطه وبقدر حاجته ليقوم بالخلافة في الأرض، ويحقق فيها ما شاء الله أن يحققه في حدود علمه القليل ولقد أبدع الإنسان في هذه الأرض ما أبدع؛ ولكنه وقف حسيرا أمام ذلك السر اللطيف ـ الروح ـ لايدرى ما هو، ولا كيف جاء، ولا كيف يذهب، ولا أين كان ولا أين يكون، إلا ما يخبر به العليم الخبير في التنزيل.

وما جاء في التنزيل هو العلم المستيقن؛ لأنه من العليم الخبير. ولو شاء الله لحرم البشرية منه، وذهب بما أوحى إلى رسوله ولكنها رحمة الله وفضله: **﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا. إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا﴾**. والله يمتن على رسوله بهذا الفضل. فضل إنزال

الوحى، واستبقاء ما أوحى به إليه. والمنّة على الناس أكبر. . . فهم بهذا القرآن في رحمة وهداية ونعمة أجيالا بعد أجيال. وكما أن الروح من الأسرار التي اختص الله بها فالقرآن من صنع الله الذي لا يملك الخلق محاكاته، ولا يملك الإنس والجن ـ وهما يمثلان الخلق والخفى ـ أن يأتوا بمثله ولو تظاهروا وتعاونوا في هذه المحاولة: ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. . .**﴾ فهذا القرآن ليس ألفاظا وعبارات يحاول الإنس والجن أن يحاكوها. إنما هي كسائر ما يبدعه الله يعجز. المخلوقون أن يصنعوه. هو كالروح من أمر الله لايدرك الخلق سرَّه الشامل الكامل، وإن أدركوا بعض أوصافه وخصائصه وآثاره.

والقرآن بعد ذلك منهج حياة كامل. منهج ملحوظ فيه نواميس الفطرة التي تصرف النفس البشرية في كل أطوارها وأحوالها والتي تصرف الجماعات الإنسانية في كل ظروفها وأطوارها. . . ومن ثم فهو يعالج النفس المفردة، ويعالج الجماعة المتشابكة، بالقوانين الملائمة للفطرة المتغلغلة في وشائحها ودروبها ومنحنياتها الكثيرة. يعالجها علاجا متكاملا متناسق الخطوات في كل جانب في الوقت الواحد. . . فلا يغيب عن حسابه احتمال من الاحتمالات الكثيرة، ولا ملابسة من الملابسات المتعارضة في حياة الفرد وحياة الجماعة؛ لأنّ مشرع هذه القوانين هو العليم بالفطرة في كل أحوالها وملابساتها المتشابكة.

أما النظم البشرية فهى متأثرة بقصور الإنسان وملابسات حياته. . . ومن ثم فهى تقصر عن الإحاطة بجميع الاحتمالات في الوقت الواحد. وقد تعالج ظاهرة فردية أو اجتماعية بدواء يؤدى بدوره إلى بروز ظاهرة أخرى تحتاج إلى علاج جديد. إن إعجاز القرآن أبعد مدى من إعجاز نظمه ومعانيه. . . وعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله هو عجز كذلك عن إبداع منهج كمنهجه يحيط بما يحيط به: ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا.

وهكذا قصر إدراكهم عن التطلع إلى آفاق الإعجاز القرآنية فَرَاحُوا يطلبون تلك الخوارق المادية!: ﴿**وقالوا لئن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا. أو يكون لك بيت من زخرف أو**

ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه﴾!!! ويتعنتون في اقتراحاتهم الدالة على الطفولة العقلية، أو يتبجحون في حق الذات الإلهية بلا أدب ولا تحرج! لم ينفعهم تصريف القرآن للأمثال والتنويع فيها لعرض حقائقه في أساليب شتى تناسب شتى العقول والمشاعر، وشتى الأجيال والأطوار. . . **﴿فأبى أكثر الناس إلا كفورا. . .﴾** وعلقوا إيمانهم بالرسول بأن يفجر لهم من الأرض ينبوعا! أو بأن تكون له جنة ـ خاصة به ـ من نخيل وعنب يفجر الأنهار خلالها تفجيرا! أو أن يأخذهم بعذاب من السماء فيسقطها عليهم قطعا كما أنذرهم أن يكون ذلك يوم القيامة! أو أن يأتى بالله والملائكة قبيلا يناصره ويدفع عنه كما يفعلون هم في قبائلهم! أو أن يكون له بيت من المعادن الثمينة! أو أن يرقى في السماء. ولا يكفى أن يعرج إليها وهم ينظرونه. بل لابد أن يعود إليهم ومعه كتاب محبّر يقرأونه! وتبدو طفولة الإدراك والتصور.

كما يبدو التعنت في هذه المقترحات الساذجة. . . وهم يسوون بين البيت المزخرف والعروج إلى السماء. . . أو بين تفجير الينبوع من الأرض ومجئ الله سبحانه والملائكة قبيلا!. والذي يجمع في تصورهم بين هذه المقترحات كلها هي أنها خوارق. . . فإذا جاءهم بها نظروا في الإيمان له والتصديق به!. وغفلوا عن الخارقة الباقية في القرآن، وهم يعجزون عن الإتيان بمثله في نظمه ومعناه ومنهجه. . . ولكنهم لا يلمسون هذا الإعجاز بحواسهم فيطلبون ما تدركه الحواس. والخارقة ليست من صنع الرسول، ولا هي من شأنه. إنما هي من أمر الله سبحانه وِفْقَ تقديره وحكمته.

وليس من شأن الرسول أن يطلبها إذا لم يعطه الله إياها. . . فأدب الرسالة وإدراك حكمة الله في تدبيره يمنعان الرسول أن يقترح على ربه ما لم يصرّح له به. . . **﴿قل: سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا﴾**. فهو يقف عند حدود بشريته، ويعمل وفق تكاليف رسالته. لايقترح على الله ولا يتزيد فيما كلفه إياه. . . ولقد كانت الشبهة التي عرضت من قبل أن يأتيهم محمد ومن بعد ما جاءهم، والتي صدتهم عن الإيمان بالرسل وما معهم من الهدى أنهم استبعدوا أن يكون الرسول بشرا ولا يكون ملكا: **﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا. . .﴾** فقد نشأ هذا الوهم من عدم إدراك الناس لقيمة بشريتهم وكرامتها على الله.

كذلك نشأ هذا الوهم من عدم إدراكهم لطبيعة الكون وطبيعة الملائكة، وأنهم ليسوا بمهيئين للاستقرار في الأرض وهم في صورتهم الملائكية حتى يميزهم الناس ويستيقنوا أنهم ملائكة: **﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا. . .﴾** فلو قدر الله أن الملائكة تعيش في الأرض لصاغهم في صورة آدمية؛ لأنها الصورة التي تتفق مع نواميس الخلق وطبيعة الأرض، كما قال في آية آخرى: **﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾**. والله قادر على كل شئ. . . ولكنه خلق نواميس وبرأ مخلوقاته وفق هذه النواميس بقدرته واختياره، وقدر أن تمضى النواميس في طريقها لا تتبدل ولا تتحول، ولتُحقّق حكمته في الخلق والتكوين، غير أن القوم لايدركون!. . وما دامت هذه سنة الله في خلقه فهو يأمر الرسول أن ينهى معهم الجدل، وأن يكل أمره وأمرهم إلى الله يُشهده عليهم، ويدع لهم التصرف في أمرهم وهو الخبير البصير بالعباد جميعا: **﴿قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم إنه كان بعباده خبيرا بصيرا. . .﴾** وهو قول يحمل رائحة التهديد.

أما عاقبته فيرسمها في مشهد من مشاهد القيامة مخيف: **﴿ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا. . .﴾** ولقد جعل الله للهدى والضلال سننا، وترك الناس لهذه السنن يسيرون وفقها ويتعرضون لعواقبها. ومن هذه السنن أن الإنسان مهيأ للهدى والضلال وفق ما يحاوله لنفسه من السير في طريق الهدى أو طريق الضلال. . . فالذى يستحق هداية الله بمحاولته واتجاهه يهديه الله؛ وهذا هو المهتدى حقا؛ لأنه اتبع هدى الله.

والذين يستحقون الضلال بالإعراض عن دلائل الهدى وآياته لايعصمهم أحد من عذاب الله: **﴿فلن تجد لهم أولياء من دونه. . .﴾** فيحشرهم يوم القيامة في صورة مهينة مزرية: **﴿على وجوههم عميا وبكما وصما. . .﴾** ومطموسين محرومين من جوارحهم التي تهديهم في هذا الزحام، جزاء ما عطلوا هذه الجوارح في الدنيا عن إدراك دلائل الهدى. مأواهم جهنم في النهاية لا تبرد ولا تفتر: **﴿كلما خبت زدناهم سعيرا﴾**. وهي نهاية مفزعة وجزاء مخيف. . . ولكنهم يستحقونه بكفرهم بآيات الله: **﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا﴾**. واستنكروا

البعث واستبعدوا وقوعه: ﴿**وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا**﴾. والسياق يعرض هذا المشهد كأنه هو الحاضر الآن، وكأنما الدنيا التي كانوا فيها قد انطوت صفحتها وصارت ماضيا بعيدا... وذلك على طريقة القرآن في تجسيم المشاهد وعرضها واقعة حية، تفعل فعلها في القلوب والمشاعر قبل فوات الأوان.

التوجيه الثالث: ﴿**أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لاريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا**﴾: في هذا التوجيه يعود السياق ليجادلهم بالمنطق الواقعي الذي يرونه فيغفلونه... فأية غرابة في البعث والله خالق هذا الكون الهائل قادر على أن يخلق مثلهم فهو قادر إذن على أن يعيدهم أحياء. ﴿**وجعل لهم أجلا لاريب فيه**﴾ أنظرهم إليه وأجلهم إلى موعده... ﴿**فأبى الظالمون إلا كفورا...**﴾ فكان جزاؤهم عادلا بعد منطق الدلالات، ومنطق المشاهدات، ووضوح الآيات. على أن أولئك الذين يقترحون على الرسول تلك المقترحات المتعنتة من بيوت الزخرف، وجنات النخيل والأعناب، والينابيع المتفجرة... بخلاء أشحاء حتى لو أن رحمة الله قد وكلت إليهم خزائنها لأمسكوا وبخلوا خوفا من نفادها.

ورحمة الله لاتنفد ولا تغيض: ﴿**قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذًا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا**﴾. وهو صورة بالغة للشح... فإن رحمة الله وسعت كل شئ ولا يخشى نفادها ولا نقصها... ولكن نفوسهم لشحيحة تمنع هذه الرحمة وتبخل بها لو أنهم كانوا هم خزنتها!.. وعلى أية حال فان كثرة الخوارق لاتنشئ الايمان في القلوب الجاحدة وهاهوذا موسى قد أوتى تسع آيات بينات ثم كذب بها فرعون وقومه... فحل بهم العذاب جميعا: ﴿**ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إنى لأظنك ياموسى مسحورا**﴾.

﴿**قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإنى لأظنك يافرعون مثبورا فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا...**﴾ فهذا المثل من قصة موسى وبنى إسراءيل يُذكر لتناسقه مع سياق السورة وذكر المسجد الأقصى في أولها وطرق من قصة بنى إسراءيل وموسى...

وكذلك يعقب عليه بذكر الآخرة والمجئ بفرعون وقومه لمناسبة مشهد القيامة القريب في سياق السورة ومصير المكذبين بالبعث الذي صوره هذا المشهد. والآيات التسع المشار إليها هنا هي اليد البيضاء والعصا، وما أخذ الله به فرعون وقومه من السنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم... ﴿**فاسأل بنى إسراءيل إذ جاءهم...**﴾ فهم شهداء على ما كان بين موسى وفرعون: ﴿**فقال له فرعون إنى لأظنك ياموسى مسحورا...**﴾ فكلمة الحق وتوحيد الله والدعوة إلى ترك الظلم والطغيان والإيذاء لا تصدر في عرف الطاغية إلا من مسحور لايدرى ما يقول! بما يستطيع الطغاة من أمثال فرعون أن يتصوروا هذه المعانى ولا أن يرفع أحد رأسه ليتحدث عنها. وهو يملك قواه العقلية!.. فأما موسى فهو قوى بالحق الذي أرسل به مشرقا منيرا؛ مطمئن إلى نصرة الله له: ﴿**قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإتى لأظنك يا فرعون مثبورا...**﴾ هالكا مدمرا جزاء تكذيبك بآيات الله وأنت تعلم أن لا أحد غيره يملك هذه الخوارق.

وإنها لواضحة مكشوفة منيرة للبصائر. حتى لكأنها البصائر تكشف الحقائق وتجلوها... عندئذ يلجأ الطاغية إلى قوته المادية... ويعزم أن يزيل بنى إسراءيل من أرض مصر ليُنهى أمرهم ويبيدهم خارجها: ﴿**فأراد أن يستفزهم من الأرض...**﴾ فعندئذ تحق على الطاغية كلمة الله، وتجرى سنته بإهلاك الظالمين، وتوريث المستضعفين الصابرين: ﴿**فأهلكناه ومن معه جميعا...**﴾ وهكذا كانت عاقبة التكذيب بالآيات: ﴿**وقلنا من بعده لبنى إسراءيل اسكنوا الأرض**﴾: هي أرض الميعاد التي وعد الله إبراهيم وإسحاق أن يسكنها ذريتهما إن صلحوا واستقاموا... ولكنهم قالوا ياموسى: ﴿**إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها...**﴾ ذلك مثل من الخوارق، وكيف استقبلها المكذبون، وكيف جرت سنة الله مع المكذبين... ﴿**فإذا جاء وعد الآخرة جئنابكم لفيفا**﴾!.. ففى الدنيا لَلْقضاء النهائى!. وفي الآخرة لعذاب النار وبئس القرار.

أما هذا القرآن فقد جاء بالحق ليكون آية دائمة، ونزل مفرقا ليقرأ على مهل في الزمن الطويل: ﴿**وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا. وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا**﴾. فقد جاء هذا القرآن

ليربى أمة، ويقيم لها نظاما فتحمله هذه الأمة إلى مشارق الأرض ومغاربها، وتعلّم به البشرية هذا النظام وفق المنهج الكامل المتكامل. . . ومن ثم فقد جاء هذا القرآن مفرقا وفق الحاجات الواقعية لتلك الأمة، ووفق الملابسات التي صاحبت فترة التربية الأولى. . . فالتربية تتم في الزمن الطويل. . . وبالتجربة العملية في الزمن الطويل. . . جاء ليكون منهجا عمليا يتحقق جزءا جزءا في مرحلة الإعداد. . . لا فِقْهًا نظريًا ولا فكرة تجريدية تعرض للقراءة والاستمتاع الذهنى!. . وتلك حكمة نزوله مفترقا لا كتابا كاملا منذ اللحظة الأولى.

ولقد تلقاه الجيل الأول من المسلمين على هذا المعنى. تلقوه توجيها يطبق في واقع الحياة كلما جاءهم منه أمر أو نهى، وكلما تلقوا منه أدبا أو فريضة. ولم يأخذوه متع عقلية أو نفسية كما كانوا يأخذون الشعر والأدب. ولا تسلية وتلهية كما كانوا يأخذون القصص والأساطير. . . فتكيفوا به في حياتهم اليومية. تكيفوا به في مشاعرهم وضمائرهم. . . وفي سلوكهم ونشاطهم. . . وفي بيوتهم ومعاشهم. . . فكان منهج حياتهم الذي طرحوا كل ماعداه مما ورثوه ومما عرفوه ومما مارسوه قبل أن يأتيهم هذا القرآن قال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن.

ولقد أنزل الله هذا القرآن قائما على الحق: ﴿**وبالحق أنزلناه. . .**﴾ فنزل ليقر الحق في الأرض ويثبته: وبالحق نزل. . . فالحق مادته والحق غايته. . . ومن الحق قوامه، وبالحق اهتمامه. . . الحق الأصيل الثابت في ناموس الوجود، والذي خلق الله السماوات والأرض قائمين به، متلبسا بها، والقرآن مرتبط بناموس الوجود كله، يشير إليه ويدل عليه وهو طرف منه. . . فالحق سداه ولحمته، والحق مادته وغايته. والرسول مبشر ومنذر بهذا الحق الذي جاء به. وهنا يأمر الله رسوله أن يجبه القوم بهذا الحق، ويدع لهم أن يختاروا طريقهم.

إن شاءوا آمنوا بالقرآن، وإن شاءوا لم يؤمنوا، وعليهم تبعة ما يختارون لأنفسهم. . . ويضع أمام أنظارهم نموذجا من تلقى الذين أوتوا العلم من قبله ممن سمعوا وعلموا ببعثة الرسول المبشر به في التوراة والإنجيل من قبل القرآن. . . وهم الذين إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين. . . فلعل لهم فيه قدوة وأسوة وهم

الأمّيّون الذين لم يؤتوا علما ولا كتابا: **﴿قل آمنوا به أولا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا﴾**.

﴿ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا. . .﴾ فهو مشهدٌ موحٍ يلمس الوجدان. مشهد الذين أوتوا العلم من قبل القرآن. وهم يسمعونه فيخشعون **﴿ويخرون للأذقان سجدا﴾** إنهم لا يتمالكون أنفسهم. . . فهم لايسجدون ولكن يخرون للأذقان سجدا. . . ثم تنطق ألسنتهم بما خالج مشاعرهم من إحساس بعظمة الله وصدق وعده: **﴿سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا. . .﴾** ويغلبهم التأثر فلا تكفى الألفاظ في تصوير ما يجيش في صدورهم منه. . . فإذا الدموع تنطلق معبرة عن ذلك التأثر الغامر الذي لاتصوره الألفاظ: **﴿ويخرون للأذقان يبكون. . . ويزيدهم خشوعا﴾** فوق ما استقبلوه به من خشوع. إنه مشهد مصور لحالة شعورية غامرة.

يرسم تأثير هذا القرآن في القلوب المتفتحة لاستقبال فيضه. . . العارفة بطبيعته وقيمته بسبب ما أوتيت من العلم قبله. . . والعلم المقصود هو ما أنزله الله من الكتب قبل القرآن. . . فهى التي بشّرت ببعثة الرسول محمد. . . وبصفته وصفة أصحابه. . . فهذا المشهد الموحى للذين أوتوا العلم من قبل يعرضه السياق بعد تخيير القوم في أن يؤمنوا بهذا القرآن أو لا يؤمنوا. . . ثم يعقب عليهم بتركهم يدعون الله بما شاءوا من الأسماء وقد كان مشركوا قريش بسبب أوهامهم الجاهلية ينكرون تسمية الله بالرحمان: **﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمان قالوا وما الرحمان﴾**؟!. إظهارا للاستبعاد والنفور: **﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمان أيامًا تدعوا فله الأسماء الحسنى. . .﴾** فأسماء الله الحسنى كثيرة دالة على صفات عظيمة وكبيرة. . . فهى صفات للواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد. . . يدعو بها المؤمن في صلاته متقربا بها إلى ربه في خشوع وتذلل وخضوع: **﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا. وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا﴾**. وتختم السورة كما بدأت بتنزيه الله: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾** فليخص هذا الختام محور السورة الذي دارت عليه والذي بدأت ثم ختمت به. الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا.

4 ـ إنزال هذا الكتاب تحذير من الخطإ وتحرض على الصواب



النص

بسم الله الرحمن الرحيم

* الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا (1) قيما
لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن
لهم أجرا حسنا (2) ماكثين فيه أبدا (3) وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا (4)
ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من
أفواههم إن يقولون إلا كذبا (5) فلعلك باخع
نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (6)
إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا (7)
وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا (8) أم حسبت أن
أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (9)
إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك
رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا (10) فضربنا على آذانهم
في الكهف سنين عددا (11) ثم بعثناهم لنعلم أي

ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴿12﴾ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ
نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿13﴾
وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿14﴾
هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم
بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿15﴾
وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ
يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿16﴾
۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ
وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ
ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ
فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿17﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ
وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ
ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا
وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿18﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ
قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ
قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ
هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا

فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ
أَحَدًا ﴿19﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿20﴾
وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ
لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا
عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ
لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿21﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ
كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ
وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم
مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ * فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا
وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿22﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ
ذَٰلِكَ غَدًا ﴿23﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ
وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿24﴾
وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿25﴾
قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ
فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿26﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**الحمد**﴾: الثناء الجميل على الفعل الاختيارى الجميل. ﴿**لله**﴾: مستحق له لذاته سبحانه. ﴿**الذى**﴾: صفة لله. ﴿**أنزل**﴾: صلته. ﴿**على عبده**﴾: محمد. ﴿**الكتاب**﴾: القرآن المكتوب في المصحف المقروء باللسان. المحفوظ في الجنان... ﴿**ولم يجعل له عوجا**﴾: انحرافا في اللفظ ولا في المعنى. بل جعله ﴿**قيما**﴾: هاديا مبينا نافعا صالحا للدنيا والآخرة. ﴿**لينذر**﴾: ليخوف الذين لم يؤمنوا بهذا الكتاب. ﴿**بأسا شديدا من لدنه**﴾: عذابا شديدا في الدنيا والاخرة من عند الله الذي لا يعذب عذابه أحد. ﴿**ويبشر**﴾: يخبر بما فيه البشرى بالسعادة والفوز والفلاح... ﴿**المؤمنين**﴾: الذين آمنوا به وبما جاء به... ﴿**الذين يعملون الصالحات**﴾: يقرنون العمل الصالح بالإيمان. ﴿**أن لهم أجرا حسنا**﴾: يبشرهم بمالهم مقابل إيمانهم وعملهم الصالح من الأجر الحسن المعد لهم يوم القيامة... ﴿**ماكثين فيه**﴾: مستقرين فيه استقرار دائما أبداً.

﴿**وينذر الذين قالوا اتخذوا الله ولدا**﴾: مثل اليهود الذين قالوا: عزير ابن الله. والنصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله. والمشركون الذين قالوا: الملائكة بنات الله. ﴿**ما لهم به من علم ولا لآبائهم**﴾: قالوا هذا الكلام دون علم منهم ولا لمن كان قبلهم من الآباء. ﴿**كبرت كلمة تخرج من أفواههم**﴾: ما أشدها كلمة خارجة من الأفواه دون وعى! ﴿**إن يقولون إلا كذبا**﴾: ما يقول هؤلاء شيئا إلا كذبا محضا لم يقم عليه دليل من عقل أو نقل. فلعلك بعد هذا تهتم بهم وتتعب نفسك ﴿**باخع نفسك**﴾ ومهلكها لأجل ما هم عليه من العناد والكفر بهذا الحديث الذي تحدث به القرآن... فأنت في حال أسف وشدة كرب من حالهم!.. فلا تبتئس بما كانوا يعملون.

﴿**إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا**﴾: جعل الله ما على الأرض زينة ليختبر الناس في أعمالهم ليظهر الأحسن من الحسن. والأسوأ من السوء... فيجازيهم على ذلك. ﴿**وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا**﴾: ترابا قاحلاً لاحياة فيه وذلك نهاية الحياة على الأرض... ﴿**أم حسبت أن أصحاب**

الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾: أم للإضراب الانتقالى من غرض إلى غرض. حسبت ظننت. وأصحاب الكهف الفتية الذين ذهبوا إلى الغار فمكثوا فيه سنين. والرقيم الشئ المرقوم المعلم بعلامات... ولعل أصحاب الكهف جعلوا فيه كتابات وعلامات كما هو مشاهدٌ في الكهوف التي يطرقها الناس للمأوى والالتجاء.

وهى آية عجيبة ولكنها لم تكن بأعجب من إحياء الموتى وبعثهم للحساب. **﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾**: ابتداء قصة أصحاب الكهف، حين التجأوا إلى الكهف واتخذوه مأوى لهم... **﴿فقالوا: ربنا رب السماوات والأرض لن ندعُوَ من دونه إلها لقد قلنا إذًا شططا﴾**: الفتية جمع فتى. وهو الشاب المكتمل. والربط على القلب شدة العزم والتصميم كما سيأتى... **﴿فقالوا ربنا...﴾** إلخ هو شعارهم الذي صمموا عليه. ثم سألوا الله أن يقدر لهم أحوالا تكون عاقبتها حصول ما خولهم من الثبات على الدين الحق والنجاة من مناواة المشركين... فعبر عن ذلك التقدير بالتهيئة التي هي إعداد أسباب حصول الشئ. والأمر هنا الشأن والحال الذي يكونون فيه. والرشد بفتحتين الخير وإصابة الحق والنفع والصلاح.

﴿فضربنا على آذانهم﴾: وضعنا على آذانهم غشاوة منعتهم من السماع حتى لا يفيقوا من نومهم: **﴿ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾**: البعث هنا الإيقاظ من نومهم... فاختلف فيهم حزبان من الناس اختلفت أقوالهم في مدة لبثهم في الكهف. وأحصى اسم تفضيل. **﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾**: قص النبأ بالحق سرد الخبر الذي يهم بالصدق والتوضيح، والربط على القلب تقدم معناه. وهو مستعمل هنا في تثبيت الإيمان وعدم التردد فيه... **﴿فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذن شططا﴾**: القول الشطط الإفراط في مخالفة الحق والصواب.

﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بَيّن فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾: هؤلاء افتروا على الله كذبا حين أشركوا مع الله غيره بالعبادة... فقد كذبوا عليه ظلما... **﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فَأْوُوا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا﴾**: الاعتزال

التباعد والانفراد عن مخالطة الشئ. والمرفق ما يرتفق به وينتفع. ﴿**وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه: تزّاور عن كهفهم**﴾ تميل عنه فلا تدخل أشعتها داخله. ﴿**وتقرضهم**﴾ تنصرف عنهم. وذات اليمين وذات الشمال يمين الكهف وشماله.

من هذا نعلم أن الكهف مفتوح من الجهة الشمالية الشرقية والفجوة المتسع من داخل الكهف ذلك من آيات الله: إشارة إلى ما ذكر من حال القوم في الكهف. ﴿**من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن يجد له وليا مرشدا**﴾: بيان لما اقتضاه اسم الإشارة من تعظيم أمر الآية وأصحابها... والمرشد الذي يبين للحيران وجه الرشد. ﴿**وتحسبهم أيقاظا وهم رقود**﴾: الأيقاظ جمع يقظ. والرقود جمع راقد. ﴿**ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال**﴾: التقليب تغيير وضع الشئ من جهة إلى جهة. ﴿**وكَلْبُهُم باسط ذراعيه بالوصيد**﴾: الكلب الذي كان مع أهل الكهف راقد ماد يديه في باب الكهف. محافظة عليهم... ﴿**لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا**﴾: الاطلاع الإشراف على الشئ ورؤيته من مكان مرتفع. والفرار الهروب وهو بيان للتولى. ﴿**ولملّئت**﴾ مبالغة في الملء. والرعب الخوف الشديد وهو بيان للملء الزائد على المعتاد.

﴿**وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم**﴾: ومثل ما أَنَامَهُمُ الله أيقظهم. فهما آيتان عظيمتان لأجل أن يسأل بعضهم بعضا كم لبثوا في الكهف؟ قال قائل منهم كم لبثتم؟ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم... فبعضهم قال لبثنا يوما. والبعض الآخر قالوا لبثنا بعض يوم. ﴿**قالوا ربكم أعلم بما لبثتم...**﴾ ثم فوضوا إلى ربهم، وأخذوا في البحث على شئ يهمّهم... ﴿**فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدًا إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا**﴾: الورق: الفضة المسكوكة، وهي الدراهم. والمدينة: البلد الكبير المأهول بالسكان. والأزكى: الأطيب والأحسن. والرزق: القوت. والتلطف: عدم إظهار العنف في الفعل والقول. وعدم الإشعار: نفى الاعلام... والظهور البروز دون ساتر. والرجم: الرمى بالحجارة حتى الموت.

والملة: الدين. ﴿**وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة**

لاريب فيها﴾: العثور على الشئ: الاطلاع عليه والظفر به بعد الطلب. ووعد الله: هو إحياء الموتى للبعث. **﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾**: التنازع: الجدل القوى. والأمر هنا بمعنى الشأن. **﴿فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم﴾**: البنيان: الحائط المبنى بالطوب والطين... **﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لَنَتَّخِذَنَّ عليهم مسجدا﴾**: اتخاد المساجد على قبور الصالحين عادة قديمة نهى عنها الإسلام. **﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾**: معنى المفردات في هذه الآية واضح. فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهرا: التمارى: تفاعل مشتق من المرية، وهي الشك.

والتمارى هنا بمعنى المجادلة... والمراء الظاهر هو الذي لاسبيل إلى إنكاره ولا يطول الخوض فيه؛ لوضوحه، **﴿ولاتستفت فيهم منهم أحدا﴾**: الاستفتاء: طلب الفتوى، وهي الخبر عن أمر علميّ مما لايعلمه كل أحد: **﴿ولا تقولن لشئ إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله﴾**: نهى عن قول الشخص إنى سأفعل شيئا مصمما عليه دون أن يقول إن شاء الله. **﴿واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا﴾**: ذكر الله عند نسيان الشئ أمر مطلوب. ورجاء الهداية من الله من أقرب الطرف شئ محبوب. **﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا﴾**: اللبث في المكان: المكث فيه دون تنقل. وثلاث مائة سنين بالحساب الشمسى. وازدياد تسع سنين بالحساب القمرى. **﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾**: رد العلم في أصحاب الكهف إلى الله تعالى دون أحد من الناس... فالله هو العالم بهم بيّن ما أراد بيانه وأخفى مه أراد إخفاءه؛ لأنه هو الذي اختص بعلم الغيب: **﴿له غيب السماوات والأرض أبصر به وأسمع! . مالهم من دونه من ولى ولا يشرك في حكمه أحدا﴾**.

مبحث الإعراب

﴿الحمد﴾ مبتدأ مرفوع بالضمة. **﴿لله﴾** متعلق بمحذوف خبر. **﴿الذى﴾** في محل جر نعت لله. **﴿أنزل﴾** فاعله ضمير يعود على الله. **﴿على عبده﴾** متعلق بأنزل. **﴿الكتاب﴾** مفعول به منصوب بالفتحة. **﴿ولم يجعل﴾** الفعل مجزوم بلم. والواو للعطف. والفاعل ضمير يعود على الله. **﴿له﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿عوجا﴾**

مفعول به. والجملة اعتراضية **﴿قَيِّمًا﴾** منصوب على الحال من الكتاب. **﴿لينذر﴾** فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير يعود على الله. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بأنزل. **﴿بأسا﴾** مفعول به. **﴿شديدا﴾** نعت له. من لدنه متعلق بمحذوف نعت ثان لبأسا.

﴿ويبشر﴾ معطوف على قوله: لينذر. **﴿المؤمنين﴾** مفعول به منصوب بالياء. **﴿الذين﴾** في محل نصب نعت للمؤمنين. **﴿يعملون الصالحات﴾** فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. **﴿أنّ﴾** مصدرية. **﴿لهم﴾** متعلق بمحذوف خبر أن مقدم. **﴿أجرا﴾** اسم أنّ مؤخر. **﴿حسنا﴾** نعت له. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بيبشر. أي: ويبشر المؤمنين بكون الأجر الحسن لهم. **﴿ماكثين﴾** حال من ضمير المؤمنين. **﴿فيه﴾** متعلق به. **﴿أبدا﴾** منصوب على الظرفية. **﴿وينذر﴾** معطوف على يبشر. **﴿الذين﴾** في محل نصب مفعول به. **﴿قالوا﴾** صلة الذين. **﴿اتخذ الله ولدا﴾** فعل وفاعل ومفعول. والجملة مقول القول. **﴿ما﴾** نافية. **﴿لهم﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿به﴾** متعلق بما بعده: **﴿من علم﴾** مجرور لفظا مرفوع محلا مبتدأ مؤخر. والجملة حال من الضمير في قالوا.

﴿ولا لآبائهم﴾ معطوف على مالهم. **﴿كبرت﴾** فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على المقولة. وهي اتخذ الله ولدا. **﴿كلمة﴾** تمييز. **﴿تخرج﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الكلمة. والجملة نعت للكلمة. **﴿من أفواههم﴾** متعلق بتخرج. **﴿إن يقولون﴾** فعل وفاعل دخلت عليه إن النافية. **﴿إلا كذبا﴾** مستثنى من المفعول المقدر. بدل منه. وجملة: **﴿إن يقولون إلا كذبا﴾** تذييل. **﴿فلعلك﴾** لعل واسمها دخل عليها حرف التفريع. **﴿باخع﴾** خبر لعل. **﴿نفسك﴾** مفعول باسم الفاعل. **﴿على آثارهم﴾** متعلق بباخع. **﴿إن لم يؤمنوا﴾** فعل وفاعل دخلت عليه لم الجازمة وإن الشرطية. **﴿بهذا﴾** متعلق بيؤمنوا.

﴿الحديث﴾ بدل من اسم الإشارة. **﴿أسفا﴾** مفعول لأجله. وجملة الشرط اعتراضية. واستغنت عن الجواب بجملة ما قبلها. . . **﴿إنا﴾** إنّ واسمها. **﴿جعلنا ما﴾**: فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إنّ. **﴿على الأرض﴾** متعلق بمحذوف صلة ما. **﴿زينة﴾** مفعول ثان لجعلنا. **﴿لها﴾** متعلق بزينة. وجملة إنا جعلنا. . .

تعليل. ﴿**لنبْلُوَهم**﴾: إعرابها مثل إعراب لينذر بأسا. . . ﴿**أيهم**﴾ مبتدأ. ﴿**أحسن**﴾ خبره. ﴿**عملا**﴾ تمييز. ﴿**وإنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لجاعلون**﴾ خبر إنّ مرفوع بالواو. واللام لتوكيد الخبر. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول أول. ﴿**عليها**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**صعيدا**﴾ مفعول ثان. ﴿**جُرُزًا**﴾ نعت له. ﴿**أم**﴾ للإضراب الانتقالى من غرض إلى غرض وهي منقطعة بمعنى بل. وهي ملازمة لتقدير الاستفهام معها.

﴿**حَسِبْتَ**﴾ فعل وفاعل. ﴿**أن أصحاب**﴾ أنّ واسمها. ﴿**الكهف**﴾: مضاف إلى أصحاب. ﴿**والرقيم**﴾ معطوف على الكهف. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**من آياتنا**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**عجبا**﴾ خبر كان. وجملة ﴿**كانوا من آياتنا عجبًا**﴾ خبرُ أنّ وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول حسبت. ﴿**إذ**﴾ ظرف متعلق بما قبله. ﴿**أوى الفِتْيَةُ**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿**إلى الكهف**﴾ متعلق بأوى. ﴿**فقالوا**﴾ فعل وفاعل مرتب على ما قبله. ﴿**ربنا**﴾ منادى بحذف حرف النداء. ﴿**آتنا**﴾ فعل دعاء مبنى على حذف حرف العلة. والضمير المتصل به مفعول أول. ﴿**من لدنك**﴾ متعلق بآتنا. ﴿**رحمة**﴾ مفعول ثان. ﴿**وهيئ**﴾ معطوف على آتنا. ﴿**لنا من أمرنا**﴾ متعلقان بهيئ. ﴿**رشدا**﴾ مفعول به. وجملة ﴿**آتنا**﴾ وما عطف عليه مقول القول.

﴿**فضربنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه فاء التفريع. ﴿**على آذانهم في الكهف**﴾ متعلقان بضربنا. ﴿**سنين**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**عددا**﴾ نعت لسنين. ﴿**ثم بعثناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول مرتب على ما قبله بحرف ثُمّ ﴿**لنعلم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل نحن. ﴿**أيُّ**﴾ مبتدأ. ﴿**الحزبين**﴾ مضاف لأيّ. ﴿**أحصى**﴾ خبر المبتدإ مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿**لما**﴾ متعلق بأحصى. ﴿**لبثوا**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**أمدا**﴾ تمييز لاسم التفضيل. وجملة: ﴿**أي الحزبين أحصى**﴾ في محل نصب مفعول نعلم. ﴿**نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**نقص**﴾ فعل مضارع والفاعل نحن. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**عليك**﴾ متعلق بنقص. ﴿**نبأهم**﴾ مفعول به. ﴿**بالحق**﴾ متعلق بمحذوف حال من نبأهم. ﴿**إنهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**فتية**﴾ خبر إنّ. والجملة بيانية.

﴿**آمنوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لفتية. ﴿**بربهم**﴾ متعلق بآمنوا.

﴿**وزدناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على آمنوا. ﴿**هدى**﴾ مفعول ثان. ﴿**وربطنا**﴾ فعل وفاعل والواو للعطف. ﴿**على قلوبهم**﴾ متعلق بربطنا. ﴿**إذ**﴾ ظرف متعلق بربطنا. ﴿**قاموا**﴾ فعل وفاعل. والجملة مضافة إلى الظرف. ﴿**فقالوا**﴾ مرتب على ما قبله، ﴿**ربنا**﴾ مبتدأ. ﴿**ربّ**﴾ خبره. ﴿**السماوات**﴾ مضاف إلى رب. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. والجملة مقول القول. ﴿**لن ندعو**﴾ فعل مضارع منصوب بلن. والفاعل نحن. ﴿**من دونه**﴾ متعلق بندعو. ﴿**إلها**﴾ مفعول به. ﴿**لقد قلنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. إذن جوابية. والتنوين عوض عن جملة.

﴿**شططا**﴾ نعت لمصدر مقدر مفعول مطلق. ﴿**هؤلاء**﴾ مبنى على الكسر في محل رفع مبتدأ. ﴿**قومنا**﴾ بدل من اسم الإشارة. ﴿**اتخذوا**﴾ فعل وفاعل والجملة خبر المبتدإ. ﴿**من دونه**﴾ متعلق باتخذوا. ﴿**آلهة**﴾ مفعول به. ﴿**لولا**﴾ أداة تحضيض ﴿**يأتون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**بسلطان**﴾ متعلق بيأتون. ﴿**بين**﴾ نعت لسلطان. ﴿**فمن**﴾ اسم استفهام دخل عليه فاء التفريع. في محل رفع مبتدأ. ﴿**أظلم**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**ممن**﴾ متعلق بأظلم. ﴿**افترى**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**على الله**﴾ متعلق بافترى. ﴿**كذبا**﴾ مفعول به. ﴿**وإذ اعتزلتموهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. فعل شرط إذ. ﴿**وما**﴾ في محل نصب معطوف على الضمير المنصوب.

﴿**يعبدون**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**إلا الله**﴾ بمعنى غير الله منصوب على الاستثناء. ﴿**فَأْوُوا**﴾ جواب الشرط. قرن بالفاء لأنه فعل طلب. ﴿**إلى الكهف**﴾ متعلق بأووا. ﴿**ينشر**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الطلب. ﴿**لكم**﴾ متعلق به. ﴿**ربكم**﴾ فاعل ينشر. ﴿**من رحمته**﴾ متعلق بينشر. ﴿**ويهيئ**﴾ معطوف على ينشر. ﴿**لكم من أمركم**﴾ متعلقان بيهيئ. ﴿**مرفقا**﴾ مفعول به. ﴿**وترى**﴾ فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الألف. والفاعل ضمير المخاطب والواو للعطف. ﴿**الشمس**﴾ مفعول به. ﴿**إذا طلعت**﴾ فعل الشرط. ﴿**تزاورُ**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على الشمس. والجملة جواب الشرط.

﴿**عن كهفهم**﴾ متعلق بتزّاور. ﴿**ذات**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**اليمين**﴾ مضاف إلى ذات. ﴿**وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال**﴾ معطوف على الشرط الأول

وجوابه. وهو مثله في الإعراب. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**فى فجوة**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**منه**﴾ متعلق بمحذوف نعت لفجوة. وجملة: ﴿**وهم في فجوة منه**﴾ حال من ضمير أصحاب الكهف. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**من آيات**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى آيات. والجملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب. ﴿**من اسم**﴾ شرط جازم... ﴿**يهد**﴾ فعل الشرط مجزوم بحذف الياء. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**فهو**﴾ مبتدأ.

﴿**المهتدى**﴾ خبره. والجملة جواب الشرط. قرنت بالفاء لأنها اسمية. ﴿**ومن يضلل**﴾ معطوفة على من يهد الله. ﴿**فلن تجد**﴾ فعل مضارع منصوب بلن. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**له**﴾ متعلق بتجد. ﴿**وليا**﴾ مفعول به. ﴿**مرشدا**﴾ نعت له. وجملة ﴿**فلن تجد له وليا مرشدا**﴾ جواب الشرط. وقرنت بالفاء لوجود لن. ﴿**وَتَحْسِبُهُمْ**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**أيقاظا**﴾ مفعول ثان بتحسب. ﴿**وهم رقود**﴾ مبتدأ وخبر. والواو للعطف. ﴿**ونقلبهم**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**ذات**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**اليمين**﴾ مضاف إلى ذات. ﴿**وذات الشمال**﴾ عطف على ذات اليمين.

﴿**وكلبهم**﴾ مبتدأ. ﴿**باسط**﴾ خبر. ﴿**ذراعيه**﴾ مفعول باسم الفاعل منصوب بالياء. ﴿**بالوصيد**﴾ متعلق بباسط. والجملة عطف على ما قبلها. ﴿**لو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿**اطّلعت**﴾ فعل وفاعل. فعل الشرط. ﴿**عليهم**﴾ متعلق باطلعت. ﴿**لوليت**﴾ فعل وفاعل جواب الشرط. ﴿**منهم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**فرارا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**ولملئت**﴾ معطوف على لوليت. والفعل مبنى للمجهول. ﴿**منهم**﴾ متعلق بما بعده: رعبا منصوب على التمييز. ﴿**وكذلك**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر مقدر. واسم الإشارة في محل جر مضاف إلى الكاف. والواو للعطف. ﴿**بعثناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**ليتساءلوا**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. وواو الجماعة فاعل. ﴿**بينهم**﴾ متعلق بالفعل قبله.

﴿**قال قائل**﴾ فعل وفاعل. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لقائل. ﴿**كم**﴾ اسم استفهام في محل نصب. ﴿**لبثتم**﴾ فعل وفاعل. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لبثنا**﴾

فعل وفاعل. ﴿**يوما**﴾ ظرف منصوب. ﴿**أو بعض يوم**﴾ معطوف على ما قبله. وجملة: ﴿**كم لبثتم**﴾، وجملة ﴿**لبثنا**﴾ مقول القول. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ربكم**﴾ مبتدأ. ﴿**أعلمُ**﴾ خبر. بما متعلق بأعلم. ﴿**لبثتم**﴾ فعل وفاعل صلة ما. وجملة المبتدإ والخبر مقول القول. ﴿**فابعثوا**﴾ جملة الطلب مفرعة على ما قبلها. ﴿**أحدكم**﴾ مفعول به. ﴿**بورقكم**﴾ متعلق بابعثوا. ﴿**هذه**﴾ في محل جر نعت لورق. ﴿**إلى المدينة**﴾ متعلق بابعثوا. ﴿**فلينظر**﴾ فعل مضارع مجزوم بلام الأمر. والفاعل ضمير يعود على أحدكم. والجملة مُرَتَّبَةٌ على ما قبلها. ﴿**أيها**﴾ مبتدأ. ﴿**أزكى**﴾ خبر. طعاما تمييز. ﴿**فليأتكم**﴾ مرتب على قوله: فلينظر. ﴿**برزق**﴾ متعلق بيأتكم. ﴿**منه**﴾ متعلق بمحذوف نعت لرزق.

﴿**وليتلطف**﴾ عطف على ما قبله. ﴿**ولا يشعرن**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والفاعل ضمير يعود على ما عاد عليه ضمائر الرفع. ولا ناهية والواو للعطف. ﴿**بكم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**أحدا**﴾ مفعول به. ﴿**إنهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**إن يظهروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط الجازم. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بيظهروا. ﴿**يَرْجُمُوكم**﴾ جواب الشرط. ﴿**أو يعيدوكم**﴾ معطوف عليه. ﴿**في ملتهم**﴾ متعلق بيعيدوكم. ومجموع جملتى الشرط وجوابه دليل على خبر إنّ. وجملة ﴿**إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم**﴾ تعليل لما قبله من الأوامر. ﴿**ولن تفلحوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى الناصب. والواو للعطف. ﴿**إذًا**﴾ جواب وجزاء. ﴿**أبدا**﴾ ظرف زمان منصوب بالفتحة. ﴿**وكذلك**﴾ مثل ما سبقها.

﴿**أعثرنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بأعثرنا. ﴿**ليعلموا**﴾ مثل ليتساءلوا. ﴿**أنّ وعد**﴾ أن واسمها. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى وعد. ﴿**حق**﴾ خبرُ أنّ. ﴿**وأن الساعة**﴾ عطف على أن وعد. ﴿**لاريب**﴾ لا واسمها. ﴿**فيها**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا. وجملة ﴿**لاريب فيها**﴾ خبر أنّ. إذ ظرف متعلق بأعثرنا. ﴿**يتنازعون**﴾ فعل وفاعل. والجملة مضافة إلى الظرف. بينهم متعلق بيتنازعون. ﴿**أمرهم**﴾ مفعول به. ﴿**فقالوا**﴾ فعل وفاعل مفرع على يتنازعون. ﴿**ابنوا**﴾ جملة الطلب مقول القول. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بابنوا. ﴿**بنيانا**﴾ مفعول به. ﴿**ربهم**﴾ مبتدا. ﴿**أعلم**﴾ خبر. ﴿**بهم**﴾ متعلق به. ﴿**قال الذين**﴾ فعل وفاعل. ﴿**غلبوا**﴾ صلة الذين. ﴿**على أمرهم**﴾ متعلق بغلبوا.

﴿**لنتخذنّ**﴾ فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والفاعل نحن. واللام لزيادة التوكيد. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بنتخذن. ﴿**مسجدا**﴾ مفعول به. وجملة ﴿**لنتخذن عليهم مسجدا**﴾ مقول القول. ﴿**سيقولون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التنفيس. ﴿**ثلاثة**﴾ خبر لمبتدإ محذوف. ﴿**رابعهم**﴾ مبتدأ. ﴿**كَلْبُهُم**﴾ خبره. ﴿**ويقولون خمسة سادسهم كلْبُهم**﴾ معطوف على قوله: ﴿**سيقولون**. . .﴾ الخ. ﴿**رجما**﴾ منصوب على الحال من ضمير يقولون. ﴿**بالغيب**﴾ متعلق به. ﴿**ويقولون سبعة**﴾ معطوف ﴿**كذلك**﴾. ﴿**وثامنهم كلبهم**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر حال من المبتدإ المحذوف. . . وكل من جملة ﴿**رابعهم كلبهم**﴾، وجملة ﴿**سادسهم كلبهم**﴾ في موضع النعت لاسم العدد الذي قبلها.

﴿**قل: ربي**﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. . . وياء المتكلم مضافة إلى رب. حركت بالفتحة للتخفيف. ﴿**أعلم**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**بِعِدّتِهِم**﴾ متعلق بأعلم. وجملة ﴿**ربي أعلم**﴾ مقول القول. ﴿**ما**﴾ نافية. ﴿**يعلمهم**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**إلا قليل**﴾ بدل من الفاعل المقدر؛ والتقدير: ﴿**ما يعلمهم أحد إلا قليل**﴾. ﴿**فلا تمار**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والفاء للتفريع. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**فيهم**﴾ متعلق بتمار. ﴿**إلا مراء**﴾ مفعول مطلق. ﴿**ظاهرا**﴾ نعت له. ﴿**ولاتستفت**﴾ معطوف على لاتمار. وهما مجزومان بحذف الياء. ﴿**فيهم منهم**﴾ متعلقان بلا تستفت. ﴿**أحدا**﴾ مفعول به.

﴿**ولاتقولن**﴾ عطف نَهْيٍ عَلَى نَهْيٍ. والفعل مبنى على الفتح في محل جزم. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**لشيء**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إني**﴾ إن واسمها. فاعل خبرها. ﴿**ذلك**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**غدا**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**أن يشاء الله**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. والمصدر المنسبك من أن يشاء الله مستثنى من عموم المنهيات. ومفعول ﴿**يشاء الله**﴾ محذوف دل عليه ما قبله كما هو شأن فعل المشيئة. والتقدير: إلا قولا شاءه الله فأنت غير منهى عن أن تقوله. ﴿**واذكر**﴾ عطف على النهى. ﴿**ربك**﴾ مفعول به. ﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط.

﴿**نسيت**﴾ فعل وفاعل. وهو فعل الشرط. وجواب الشرط محذوف دل عليه

قوله: ﴿**واذكر ربك**﴾. ﴿**وقل**﴾ عطف على جملة ما قبلها... ﴿**عسى**﴾ اسمها ضمير يعود على الله. ﴿**أن يهدينى**﴾ منصوب بأن. وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. ﴿**ربى**﴾ فاعل... ﴿**وأن يهدينى**﴾ خبر عسى. ﴿**لأقرب**﴾ متعلق بيهديني. ﴿**من هذا**﴾ متعلق بأقرب. ﴿**رشدا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**ولبثوا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**في كهفهم**﴾ متعلق بلبثوا ﴿**ثلاث**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**مائة**﴾ مضاف إلى مائة. ﴿**سنين**﴾ بدل من ثلاث مائة ﴿**وازدادوا**﴾ عطف على ثلاث مائة سنين. ﴿**تسعا**﴾ مفعول به. ﴿**قل: الله**﴾ مبتدأ. ﴿**أعلمُ**﴾ خبر. بما متعلق بأعلم. ﴿**لبثوا**﴾ فعل وفاعل صلة ما. وجملة ﴿**الله أعلم**﴾ مقول القول. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم.

﴿**غيبُ**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**السماوات**﴾ مضاف إلى غيب. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**أبصر به**﴾ صيغة تعجب على وزن أَفعِلْ. ﴿**وأسمع**﴾ معطوف على أبْصِرْ. ﴿**ما**﴾ نافية. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**من دونه**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**من ولّى**﴾ مبتدأ مؤخر جُرّ بمن الزائدة لفظا ورُفع محلا. ﴿**ولا يشرك**﴾ فعل مضارع منفى بلا. والواو للعطف. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**فى حكمه**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**أحدا**﴾ مفعول به.

مبحث الأسلوب البلاغى

سورة الكهف مكية. وآياتها مائة وخمس. ومناسبتها لما قبلها ابتدئت بالحمد كما ختمت التي قبلها بالحمد. وافتتحت الأولى بالتسبيح. وهذه بالتحميد. ووصف الرسول فيهما بأحبّ الأوصاف إليه: سبحان الذي أسرى بعبده... ﴿**الحمد لله الذي أنزل على عبده... الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب**﴾: جملة الحمد لله مستأنفة استئنافا بيانيا لقوله في السورة السابقة: ﴿**الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا...**﴾ فهو بيان وتفصيل لما أجمل من معنى الحمد المستحق لله... فهو حمد على النعمة بعد الحمد الذاتى... فالحمد الأول الحمد الكامل في ذاته. والحمد الثانى الحمد المكمل لغيره.

وأول من يستحق النعمة العبد المقرب إلى ربه وهو محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأعظم نعمة إنزال الكتاب القيم على الرسول الأعظم.. ﴿**ولم يجعل له**

عوجا﴾: وصل الكلام بالعطف على ما قبله ليزيل عن الكتاب كل شائبة نقص أو خلل أو إبهام أو إيهام... **﴿قيما﴾**: حال مؤسسة لمعنى الكتاب الكامل المكمل. وهي صفة مشبهة مبالغة من القيام المجازى الذي يطلق على دوام تعهد شئ وملازمة صلاحه؛ لأن التعهد يستلزم القيام لرؤية والشيء والتيقظ لأحواله. والمراد به هنا أنه قيم على هدى الأمة وإصلاحها... فكماله متعدٍ بالنفع. **﴿لينذر بأسا شديدا من لدنه﴾**: أنزل الله الكتاب لينذر الذين لم يؤمنوا بهذا الكتاب بالبأس الشديد في الدنيا.

وهذا إيماء بالتهديد للمشركين بما سيلقونه من القتل والأسر بأيدى المسلمين. وذلك بأس من لدنه تعالى؛ لأنه بتقديره وأمره عباده أن يفعلوه. **﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا﴾**: موصول بالعطف على قوله: **﴿لينذر...﴾** فهو سبب آخر لإنزال الكتاب أثارته مناسبة ذكر الإنذار ليبقى الإنذار موجها إلى غيرهم. وذكر الإيمان والعمل الصالح للإشارة إلى أن استحقاق ذلك الأجر بحصول ذلك، لأمرين... والمكث الاستقرار في المكان. شبه ما لهم من الأجر والملائمات بالظرف الذي يستقر فيه حَالُّه؛ للدلالة على أن الأجر الحسن كالمحيط بهم لا يفارقهم طرفة عين... فأبَدًا مراد به الدوام الزائد على المكث الطويل.

﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا﴾: موصول بالعطف على ما قبله تعليل آخر لإنزال الكتاب على عبده، جعل تاليا لقوله: **﴿لينذر بأسا شديدا من لدنه﴾** باعتبار أن المراد هنا إنذار مَخْصُوصُ مقابل لما بَشّر به المؤمنين. وهذا إنذارٌ بجزاءٍ خالدين فيه، وهو عذاب الآخرة... فالأول إنذار بعذاب الدنيا. والثانى بعذاب الآخرة المقابل للأجر الحسن... والذين قالوا اتخذ الله ولدا كل من نسب إلى الله الولد على اختلاف نحلهم وشيعهم... والتعبير عنهم بالموصول ـ الذين ـ وصلته **﴿قالوا اتخذ الله ولدا﴾**؛ لأنهم عرفوا بهذه المقالة بين الناس تشنيعا عليهم!.. وإيماء إلى أنهم استحقوا ما أنذروا به لأجلها ولغيرها... فمضمون الصلة من موجبات ما أنذروا به؛ لأن العلل تتعدد. وجملة ما لهم به من علم حال من الذين قالوا. والضمير المجرور بالياء عائد إلى القول المفهوم من قالوا. ومِنْ لتوكيد النفى.

والفائدة ذكر هذه الحال أنها أشنع في كفرهم. وهي أن يقولوا كذبا ليست لهم فيه شبهة. وعطف ولالآبائهم لقطع حجتهم؛ لأنهم كانوا يقولون: ﴿**إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**. . .﴾ فإذا لم يكن لآبائهم حجة على ما يقولون فليسوا جديرين بأن يقلدوهم. ﴿**كبرت كلمة تخرج من أفواههم**﴾: استئناف بالتشاؤم بذلك القول الشنيع. ووجه فصل الجملة أنها مخالفة للتى قبلها بالانشائية المخالفة للخبرية. وكلمة كبُرت مستعملة في التعجيب من شدة هذه الكلمة في الشناعة بقرينة المقام. ودل على قصد التعجيب منها انتصاب ﴿**كَلِمَةً**﴾ على التمييز. وجملة تخرج من أفواههم صفة لكلمة مقصود بها استعظام جرأتهم على النطق بها ووقاحتهم في قولها.

والتعبير بالفعل المضارع لاستحضار صورة خروجها من أفواههم تخييلا لفظاعتها. وفيه إيماء إلى أن مثل ذلك الكلام ليس له مصدر غير الأفواه. وجملة ﴿**إن يقولون إلا كذبا**﴾ مؤكدة لمضمون جملة تخرج من أفواههم؛ لأن الشئ الذي تنطق به الألسن ولا تحقق له في الخارج ونفس الأمر هو الكذب. . . ﴿**فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا**﴾: تفريع على ما تقدم من فعل المكذبين وقولهم. ولعل هنا مستعملة في تحذير الرسول من الاغتمام والحزن على عدم إيمان من لم يؤمنوا من قومه. وذلك في معنى التسلية لقلة الاكثرات بهم.

وهذا تمثيل لحال الرسول في شدة حرصه على اتباع قومه له وفي غمه من إعراضهم، وتمثيل لحالهم في النفور والإعراض بحال من فارقه أهلُه وأحبّتُهُ. . . فهو يرى آثار ديارهم ويحزن لفراقهم. . . ﴿**إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها**﴾: موقع إن في صدر هذه الجملة موقع التعليل للتسلية التي تضمنها قوله: فلعلك باخع نفسك على آثارهم. . . وأوثر الاستدلال بحال الأرض التي عليها الناس لأنها أقرب إلى حِسِّهِم. . . وقد جاء نظم هذا الكلام على أسلوب الإعجاز في جمع معان كثيرة يصلح اللفظ لها من مختلف الأغراض المقصودة. وعلل هذا الكلام بقوله: لنبلوهم أيهم أحسن عملا. . . فمجموع الناس متفاوتون في حسن العمل.

ومن درجات التفاوت في هذا الحسن تعلم بطريق الفحوى درجة انعدام

الحسن من أصله؛ وهي حالة الكفر وسوء العمل. وقوله: **﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جُرُزًا﴾** تكميل للعبرة وتحقيق لفناء العالم. **﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾**: انتقال من غرض إلى غرض. ولما كان هذا من المقاصد التي أنزلت السورة لبيانها لم يكن هذا الانتقال اقتضابا. . . بل هو كالانتقال من الديباجة والمقدمة إلى المقصود. على أن مناسبة الانتقال إليه تتصل بقوله تعالى: **﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾**؛ إذ كان مما صرف المشركين عن الإيمان إحالتهم الإحياء بعد الموت. . . فكان ذكر أهل الكهف وبعثهم بعد خمودهم سنين طويلة مثالا لإمكان البعث. وأم هذه هي أم المنقطعة بمعنى بل وهي ملازمة لتقدير الاستفهام معها. يقدر بعدها حرف استفهام. والاستفهام المقدر بعد أم تعجيبي.

والتقدير: أحسبت أن أصحاب الكهف كانوا عجبا من بين آياتنا؟!. . فإن إماتة الأحياء بعد حياتهم أعظم من عجب إنامة أهل الكهف. وفيه لفت لعقول السامعين عن الاشتغال بعجائب القصص إلى أن الأولى لهم الاتعاظ بما فيها من العبر والأسباب وآثارها. . . فلذلك ابتدئ ذكر أحوالهم بقوله: **﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا. . .﴾** فأعلم السامعين بثبات إيمانهم بالله ورجائهم فيه. . . **﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا﴾**: تفريع على ما تقدم. . . والضرب على الآذان كناية عن الإنامة.

وهذه الكناية من خصائص القرآن لم تكن معروفة قبل هذه الآية. وهي من الإعجاز. . . **﴿ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾**: ثم بعدما مضت تلك المدة الطويلة أيقظناهم من نومتهم يقظة مفزوع كما يبعث البعير من مبركه. وحسّن هذه الاستعارة هنا أن المقصود من هذه القصة إثبات البعث بعد الموت فكان في ذكر لفظ البعث تنبيه على أن في هذه الإفاقة دليلٌ على إمكان البعث وكيفيته. وعلل هذا البعث بقوله: **﴿لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا. . .﴾** والمعنى ليظهر اضطراب الناس في ضبط تواريخ الحوادث واختلال خرصهم وتخمينهم إذا تصدّوا لها. ويعلم تفريط كثير من الناس في تحديد الحوادث وتأريخها.

﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾: لما اقتضى قوله: **﴿لنعلم أى الحزبين**

أحصى﴾ أن في نبإ أهل الكهف تخرصات ورجما بالغيب أثار ذلك في النفس تطلعا إلى معرفة الصدق وخبره في أمرهم، من أصل وجود القصة إلى تفاصيلها من مخبر لا يُشك في صدق خبره، كانت جملة **﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾** استئنافا بيانيا لجملة **﴿لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا. . .﴾** فهذا شروع مجمل القصة والاهتمام بمواضع العبرة منها. وقدم منها ما فيه وصف ثباتهم على الإيمان ومنابذتهم الكفر ودخولهم الكهف. وتقديم المسند إليه على المسند الفعلى في جملة نحن نقص عليك يفيد الاختصاص. أي: نحن لا غيرُنا يقص قصصًا بالحق وجملة إنهم فتية مبينة للقصص والنبإ. وافتتاح الجملة بحرف التأكيد لمجرد الاهتمام.

﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾: زيادة هذه الأوصاف سبب مباشر في زيادة الهدى. . . **﴿وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذًا شططا﴾**: الربط على القلب مستعار إلى تثبت الإيمان وعدم التردد فيه وتعدية فعل ربطنا بحرف الاستعلاء للمبالغة في الشد. **﴿وإذ قاموا﴾** ظرف للربط. **﴿فقالوا ربنا رب السماوات. . .﴾** الخ مرتب على قيامهم. . . وجملة **﴿لقد قلنا إذًا شططا﴾** استئناف بيانى لما أفاده توكيد النفى بلن، وإن وجود أداة الجواب في خلال الجملة ينادى على كونها متفرعة على التي قبلها. والشطط مستعار للإفراط في شئ مكروه.

﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بَيّن فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾: استئناف بيانى لما اقتضته جملة **﴿لقد قلنا إذاً شططا. . .﴾** والإشارة إلى قومهم بهؤلاء لقصد تمييزهم بما سيخبر به عنهم. وفي هذه الإشارة تعريض بالتعجب من حالهم وتفضيح صنعهم. وهو من لوازم قصد التمييز. وجملة **﴿اتخذوا﴾** خبر عن اسم الإشارة. وهو خبر مستعمل في الإنكار عليهم دون الإخبار. . . وجملة **﴿لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن﴾** مؤكدة للجملة التي قبلها باعتبار أنها مستعملة للإنكار؛ لأن مضمون هذه الجملة يقوى الإنكار عليهم. ولولا حرف تحضيض. حقيقته الحث على تحصيل مدخولها.

وكما كان الإتيان سلطان على ثبوت الإلهية للأصنام التي اتخذوها آلهة متعذرا بقرينة أنهم انكروه عليهم انصرف التحضيض إلى التبكيت والتغليط. وجملة **﴿فمن**

أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ مفرعة ما قبلها من اتخاذهم من دون الله آلهة لاسلطان لهم به. ﴿**وَإِذِ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا﴾**: اتصلت هذه الاية بالعطف على ما قبلها إظهارا للمقصد الأهم من القصة في الدلالة على ثباتهم إلى نهاية المطاف... ﴿**فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا...﴾** فقد أووا إلى الكهف فاستراحوا وناموا فيه... ﴿**وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه﴾**: وصل الكلام بالعطف على ما قبله بمناسبة الإشارة إلى تحقيق رجائهم في ربهم حين قال بعضهم لبعض: ﴿**ينشر لكم ربكم من رحمته...﴾** وهذا حال عظيم وهو ما هيأ الله لهم في أمرهم من مرفق. وأن ذلك جزاؤهم على اهتدائهم. وهو من لطف الله بهم. والخطاب لغير معين.

والمعنى يرى من تمكنه الرؤية. وهذا كثير في الاستعمال... وقد أوجز من الخبر: أنهم لما قال بعضهم لبعض: ﴿**فأووا إلى الكهف﴾** أنهم أووا إليه ودل عليه قوله في صدر القصة ﴿**إذ أوى الفتية إلى الكهف...﴾** فرُدّ عجزُ الكلام على صدره. تزّاور تميل وتنحرف. وفيه إدغام التاء في الزاى. والإتيان بفعل المضارع للدلالة على تكرر ذلك كل يوم. والتعريف في اليمين والشمال عوض عن المضاف إليه. بمعنى يمين الكهف وشماله، فدل على أن فم الكهف كان مفتوحا إلى الشمال الشرقى، فالشمس إذا طلعت تطلع على جانب الكهف، ولا تحرقه أشعتُها. وإذا غربت كانت أشعتها أبعد عن فم الكهف منها حين طلوعها.

وهذا وضع عجيب يسّره الله لهم بحكمته ليكون داخل الكهف بحالة اعتدال فلا ينتاب البلى أجسادهم. وذلك من آيات قدرة الله. ﴿**ذلك من آيات الله﴾**. والإشارة بقوله: ذلك إلى المذكور من قوله: ﴿**وترى الشمس...﴾** وآيات الله دلائل قدرته وعنايته بأوليائه ومؤيدى دين الحق. والجملة معترضة في خلال القصة للتنويه بأصحابها. والإشارة للتعظيم. ﴿**من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾**: استئناف بيانى لما اقتضاه اسم الإشارة من تعظيم أمر الآية وأصحابها. وعموم من الشرطية يشمل المتحدث عنهم بقرينة المقام.

والمعنى أنهم كانوا مهتدين لأن الله هداهم فيمن هدى بخلاف مقابلهم من

الذين أضلهم الله. . . فعموا عن الهدى وتاهوا في الضلال. . . ﴿**وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال**﴾: اتصال بالعطف على بقية القصة. وما بينهما اعتراض. والخطاب فيه كالخطاب في قوله: وترى الشمس. وهو انتقال إلى ما في حالهم من العبرة لمن لو رآهم من الناس، مدمَج فيه بيان كرامتهم وعظيم قدرة الله في شأنهم. وهو تعجيب من حالهم لمن لو رآهم من الناس. وصيغ فعل تحسبهم مضارعا للدلالة على أن ذلك يتكرر مدة طويلة. والإتيان بالمضارع في نقلبهم للدلالة على التجدد بحسب الزمن المحكى.

﴿**وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد**﴾: جملة حالية، زيادة في وصف الهيئة التي هم عليها داخل الكهف، وحال كلبهم في مدخله يحرسهم: ﴿**لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئيت منهم رعبا. . .**﴾ فهم في حالة يُخيّل للمطلع عليهم أنهم في مكان أمين نائمون. . . فتحصل له هيبة ورهبة منهم فيولى هاربا عنهم. وكذلك بعثناهم: الجملة متصلة بالعطف على الجمل التي قبلها. . . والإشارة بقوله: ﴿**وكذلك**﴾ إلى المذكور من إنامتهم وكيفيتها. أى: كما أَنَمْنَاهُمْ مدة طويلة بعثناهم. ووجه الشبه أن في الإفاقة آية على عظيم قدرة الله تعالى مثل آية الإنامة. ﴿**ليتساءلوا بينهم**﴾ تعليل لقوله ﴿**بعثناهم**﴾. والمعنى بعثناهم فتساءلوا فيما بينهم: ﴿**قال قائل منهم: كم لبثتم**﴾؟ والجملة بيان لجملة ﴿**ليتساءلوا. . .**﴾ وسميت هذه المحاورة تساؤلا؛ لأنها تحاور عن تطلب كلٍّ رأيَ الآخر للوصول إلى تحقيق المدة.

﴿**قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم**﴾: هذا جواب بعض المسؤولين. وعندما لم يقتنعوا بالجواب واختلفوا رجعوا فعدلوا عن القول بالظن إلى تفويض العلم إلى الله تعالى: قالوا: ﴿**ربكم أعلم بما لبثتم. . .**﴾ وتفريع قولهم ﴿**فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة**﴾ على قولهم ﴿**ربكم أعلم بما لبثتم**﴾؛ لأنه في معنى فدعوا الخوض في مدة اللبث فلا يعلمها إلا الله وخذوا في شئ آخر مما يهمكم. وهو قريب من الأسلوب الحكيم. والإشارة بهذه إلى دراهم معينة عندهم. ﴿**فلينظر أيّها أزكى طعاما**﴾ جملة مرتبة على قولهم ﴿**فابعثوا أحدكم. . .**﴾ ورتب عليه فليأتكم برزق منه. وليتلطف جملة مقصود بها أخذ الحيطة والحذر مما عسى أن يكون منه مما يلفت الانتباه: ﴿**إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبدا**﴾.

وفى هذا الأسلوب شدة في التحذير للجميع: الباعثين والمبعوث... ﴿**وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها...**﴾ فالكلام موصول بالعطف على ما قبله من قوله: ﴿**وكذلك بعثناهم...**﴾ والقول في التشبيه والإشارة في وكذلك نظير القول في الذي سبقه. وقد كان الحديث عن أهل الكهف في تلك المدينة يتناقله أهلها... فيسّر الله لأهل المدينة العثور عليهم للحكمة التي في قوله: ﴿**ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها... إذ يتنازعون بينهم أمرهم**﴾: الظرف متعلق بأعثرنا. أى: أعثرنا عليهم أهل المدينة حين تنازعوا... ﴿**فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم**﴾: هذا الكلام مفرع على ما قبله... ﴿**قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذنّ عليهم مسجدا**﴾: الذين غلبوا على أمرهم ولاة الأمر في المدينة... ﴿**سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم**﴾: لما شاعت قصة أهل الكهف حين نزل بها القرآن صارت حديث النوادى... فكانت مثار تحرصات في معرفة عددهم، وحصر مدة مكثهم في كهفهم، وربما أملى عليهم المتنصرة من العرب في ذلك قصصا.

وقد نبههم القرآن إلى ذلك وأبهم على عموم الناس الإعلام بذلك لحكمة، وهي أن تتعود الأمة بترك الاشتغال فيما ليست منه فائدة للدين أو للناس. وضمير يقولون عائد إلى خبر مذكور؛ لأنه معلوم من المقام. ﴿**ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب**﴾: جملة معطوفة على ما قبلها... واستعير الرجم هنا لرمى الكلام من غير روية ولا تثبت. ﴿**ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم**﴾: معطوف على ما سبقه كذلك.. وجملة ﴿**قل ربى أعلم بعدتهم**﴾ مستأنفة استئنافا بيانيا لما تثيره جملة ﴿**سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم**﴾ إلى آخرها من ترقب تعيين ما يعتمد عليه من أمر عدتهم... فأجيب بأن يحال العلم بذلك على علام الغيوب. وإسناد اسم التفضيل إلى الله تعالى.

يفيد أن علم الله بعدتهم هو العلم الكامل، وأن علم غيره مجرد ظن وحدس قد يصادف الواقع وقد لايصادفه. وجملة ﴿**ما يعلمهم إلا قليل**﴾ كذلك مستأنفة استئنافا بيانيا؛ لأن الإخبار عن الله بأنه الأعلم يثير في نفوس السامعين أن يسألوا: هل يكون بعض الناس عالما بعدتهم علما غير كامل؟ فأجيب بأن قليلا من الناس يعلمون ذلك... ولا محالة هم من اطلعهم الله على ذلك بوحى... ﴿**فلا تمار**

فيهم إلا مراء ظاهرا﴾: هذا الكلام مفرع على ما قبله مما وقع من الإختلاف في عدد أهل الكهف. . . وهذا التفريع وما عطف عليه معترض في أثناء القصة. والمراد بالمراء فيهم المراء في عدتهم كما هو مقتضى التفريع. والمراء الظاهر هو الذي لاسبيل إلى إنكاره ولا يطول الخوض فيه. وذلك مثل قوله: **﴿قل ربى أعلم بعدتهم﴾**.

وقوله: **﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾**. فإن هذا مما لا سبيل إلى إنكاره وإبائه؛ لوضوح حجته. وما وراء ذلك محتاج إلى الحجة فلا ينبغى الاشتغال به؛ لقلة جدواه. **﴿ولا تستفت فيهم منهم أحدا﴾**: موصول بالعطف على ما قبله. . . فالمراد من النهى عن استفتائهم الكناية عن جهلهم بأمر أهل الكهف. . . وفيه كناية رمزية عن حصول علم النبئ. بحقيقة أمرهم بحيث هو غنى عن استفتاء أحد. . . **﴿ولا تقولن لشئ إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله﴾**: الكلام موصول بالعطف على ما قبله يوجه فيه المخاطب إلى ما ينبغى أن يقوله إذا أراد أن يفعل شيئا في المستقبل. . . فلا ينبغى أن يجزم عليه قبل أن يقول: **﴿إلا أن يشاء الله﴾**.

وظاهر الآية اقتصار إعمالها على الإخبار بالعزم على فعل في المستقبل. واذكر ربك إذا نسيت: موصول بالعطف على ما قبله من النهى. . . فهو توجيه للمخاطب إلى ضبط النفس والتيقظ لأوامر الله ونواهيه. **﴿وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا﴾**: عطف على جملة **﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾**. أى: اذكر أمره ونهيه وقل في نفسك **﴿عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا. ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا﴾**: رجوع إلى بقية القصة بعد أن تخلل الاعتراض بينها بقوله: **﴿فلا تمار فيهم. . .﴾** إلى قوله: **﴿رشدا﴾**. والمراد باللبث هنا لبثهم في الكهف نائمين. . . ثم بعثهم. . . والثلاث مائة سنة شمسية تكون ثلاث مائة وتسع سنين قمرية، كما هو معلوم في التقديم الزمنى. . . فهذا من علم القرآن وإعجازه العلمى الذي لم يكن لعموم العرب علم به.

﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾: تفويض العلم إلى الله دائما في الأمور الغيبية مثل ما قص من أمر أصحاب الكهف. . . فليس للناس علم بهذا. وإنما يأتى العلم به عن طريق الوحى. . . فما أخبر به حق. وما سكت عنه فهو غيب لايعلمه إلا الله: **﴿له غيب السماوات والأرض. . .﴾** فتقديم الخبر في الجار والمجرور لإفادة

الاختصاص. وذلك ردٌّ على الذين يزعمون علم خبر أهل الكهف ونحوهم... وأبصر به وأسمع صيغتا تعجيب من عموم علمه تعالى بالمغيبات من المسموعات والمبصرات. وهو العلم الذي لايشاركه فيه أحد: ﴿**ما لهم من دونه من ولى ولايشرك في حكمه أحدا**﴾. وهنا انتهت قصة أصحاب الكهف بما تخللها. وقد أكثر المفسرون من رواية الأخبار الموضوعة فيها.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا. قيّما...**﴾ في هذا التوجيه لفت النظر إلى ما في إنزال الكتاب من الفوائد والعبر. فالبدء فيه بالحمد لله بدء فيه استقامة، وفيه صرامة. وفيه حمدٌ لله على إنزاله الكتاب على عبده بهذه الاستقامة لاعوج فيه ولا التواء، ولا مداراة ولا مداورة: لينذر بأسا شديدا من لدنه ومن ذا الآية الأولى تتضح المعالم... فلا لبس في العقيدة ولا غموض: الله هو الذي أنزل الكتاب... والحمدُ لَهُ على تنزيله... ومحمد هو عبد الله... فالكل إذن عبيد الله وليس لله من ولد ولا شريك. والكتاب لاعوج له... قيّما... يتكرَّرُ معنى الاستقامة مرة عن طريق نفى العوج، ومرة عن طريق إثبات الاستقامة، توكيدا لهذا المعنى وتشديدا فيه.

والغرض من إنزال الكتاب واضح صريح: ﴿**لينذر بأسا شديدا من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا...**﴾ ويغلب ظل الإنذار الصارم في التعبير كله. فهو يبدأ به على وجه الإجمال: لينذر بأسا شديدا من لدنه... ثم يعود إليه على وجه التخصيص: ﴿**وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا...**﴾ وبينهما تبشير للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بهذا القيد الذي يجعل للإيمان دليله العملى الظاهر المستند إلى الواقع الأكيد... ثم يأخذ في كشف المنهج الفاسد الذي يتخذونه للحكم على أكبر القضايا وأخطرها. قضية العقيدة: ﴿**ما لهم به من علم ولا لآبائهم...**﴾ فما أشنع وما أفظع أن يفضوا بهذا القول بغير علم هكذا جزافا: ﴿**كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا**﴾!.

وتشترك الألفاظ بنظمها في العبرة، وجرسها في النطق، في تفظيع هذه الكلمة التي يقولونها... فهو يبدأ بكلمة كبُرتْ، لتُجْبِهَ السامعَ بالضخامة والفظاعة وتملأ

الجو بهما. ويجعل الكلمة الكبيرة تمييزا لضَميرها في الجملة: ﴿**كبرت كلمة**﴾، زيادة في توجيه الانتباه إليها. ويجعل هذه الكلمة ﴿**تخرج من أفواههم**﴾ خروجا، كأنما تنطلق منها جزافا وتندفع منها اندفاعا: ﴿**تخرج من أفواههم**﴾. وتشارك لفظة أفواههم بجرسها في تكبير هذه الكلمة وتفظيعها. وبذلك يشترك نظم الجملة وجرس اللفظة في تصوير المعنى ورسم الظل. ويعقب على ذلك بالتوكيد عن طريق النفى والاستثناء: ﴿**إن يقولون إلا كذبا**﴾.

ويختار للنفى كلمة إنْ لا كلمة ما؛ لأن في الأولى صرامة بالسكون الواضح، وفي لفظ ما شئ من الليونة بالمد... وذلك لزيادة التشديد في الاستنكار، ولزيادة التوكيد لكذب هذه الكلمة الكبيرة... وفيما يشبه الإنكار يخاطب الرسول الذي كان يحزنه أن يكذب قومه بالقرآن ويُعرضوا عن الهدى، ويذهبوا في الطريق الذي يعلم أنه مؤدٍّ بهم إلى الهلاك... فيما يشبه الإنكار يقال للرسول: ﴿**فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا...**﴾ فلعلك قاتل نفسك أسفا وحزنا عليهم إن لم يؤمنوا بهذا القرآن. وما يستحق هؤلاء أن تحزن عليهم وتأسف... فدعهم فقد جعلنا ما على الأرض من زخرف ومتاع وأموال وأولاد... جعلناه اختيارا وامتحانا لأهلها؛ ليتبين من يحسن منهم العمل في الدنيا ويستحق نعمتها كما يستحق نعيم الآخرة: ﴿**إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا**﴾. والله يعلم... ولكنهُ يجزى على ما يصدر من العباد فعلا، وما يتحقق منهم في الحياة عملا. ويسكت عمن لا يحسنون العمل فلا يذكرهم؛ لأن مفهوم التعبير واضح. ونهاية هذه الزينة محتومة. فستعود الأرض مجردة منها وسيهلك كل ما عليها، فتصبح قبل يوم القيامة سطحا أجردًا خشنا جدبا: ﴿**وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا**﴾. وفي التعبير صرامة، وفي المشهد الذي يرسمه كذلك. وكلمة جرزا تصور معنى الجدب بجرسها اللفظي، كما أن كلمة صعيدا ترسم مشهد الاستواء والصلادة!.

التوجيه الثاني: ﴿**أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا..**﴾: في هذا التوجيه يتجه الخطاب إلى الرسول مستفهما عن أصحاب الكهف وما في قصتهم من العجب والاستغراب... فتعرض القصة نموذجا للإيمان في النفوس المؤمنة، كيف تطمئن به، وتؤثره على زينة الأرض ومتاعها،

وتلجأ به إلى الكهف حين يعز عليها أن تعيش به مع الناس. وكيف يرعى الله هذه النفوس المؤمنة، ويقيها الفتنة، ويشملها بالرحمة. وفي القصة روايات شتى، وأقاويل كثيرة؛ فقد وردت في بعض الكتب القديمة وفي الأساطير بصور شتى. ونحن نقف فيها عند حد ما جاء في القرآن؛ فهو المصدر الوحيد المستيقن، ونطرح سائر الروايات والأساطير التي اندست في التفاسير بلا سند صحيح. وبخاصة أن القرآن الكريم قد نهى عن استفتاء غير القرآن فيها، وعن المراء فيها والجدل رجمًا بالغيب.

إن الطريقة التي اتبعت في عرض هذه القصة من الناحية الفنية هي طريقة التلخيص الإجمالي أولاً، ثم العرض التفصيلي أخيرًا. . وهي تعرض في مشاهد وتترك بين المشاهد فجوات يعرف ما فيها من السياق. وهي تبدأ هكذا: ﴿**أم حسبك أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا. إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدًا. فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددًا. ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدًا**﴾. وهو تلخيص يجمل القصة، ويرسم خطوطها الرئيسية العريضة. فنعرف أن أصحاب الكهف فتية - لا نعلم عددهم - آووا إلى الكهف وهم مؤمنون. وأنّه ضرب على آذانهم في الكهف - ناموا - سنين عديدة لا نعلم عددها، وأنّهم بعثوا من رقدتهم الطويلة، وأنّه كان هناك فريقان يتجادلان في شأنهم، ثم لبثوا في الكهف فبعثوا ليتبين أي الفريقين أدق إحصاء، وأنّ قصتهم على غرابتها ليست بأعجب آيات الله.

وفي صفحات هذا الكون من العجائب وفي ثناياه من الغرائب ما يفوق قصة أصحاب الكهف والرقيم. وبعد هذا التلخيص المشوق للقصة يأخذ السياق في التفصيل. ويبدأ هذا التفصيل بأنّ ما سيقصه الله منها هو فصل الخطاب في الروايات المتضاربة، وهو الحق اليقين. . . ﴿**نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنّهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى**﴾: هذا هو المشهد الأول من مشاهد القصة: ﴿**إنّهم فتية آمنوا بربهم، وزدناهم هدى**﴾ بإلهامهم كيف يدبرون أمرهم. ﴿**وربطنا على قلوبهم**﴾ فإذا هي ثابتة راسخة مطمئنة إلى الحق الذي عرفت، معتزة بالإيمان الذي اختارت؛ ﴿**إذ قاموا**﴾، والقيام حركة تدل على العزم والثبات. . . ﴿**فقالوا ربنا رب السماوات والأرض**﴾: فهو رب هذا الكون كله، لن ندعو من دونه إلها.

فهو واحد بلا شريك، ﴿**لقد قلنا إذًا شططا**. . .﴾ ثم يلتفتون إلى ما عليه قومهم فيستنكرونه، ويستنكرون المنهج الذي يسلكونه في تكوين العقيدة. ﴿**هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن**. . .﴾ فهذا هو طريق الإعتقاد: أن يكون للإنسان دليل قوى يستند إليه، وبرهان له سلطان على النفوس والعقول. . . وإلا فهو الكذب الشنيع؛ لأنه الكذب على الله: ﴿**فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا**﴾؟!. وإلى هنا يبدو موقف الفتية واضحا صريحا حاسما، لاتردد فيه ولا تلعثم. ﴿**إنهم فتية**﴾: أشداء في أجسامهم. . . أشداء في إيمانهم. . . أشداء في استنكار ما عليه قومهم. . ولقد تبين الطريقان. . واختلف المنهجان. . فلا سبيل إلى الالتقاء، ولا للمشاركة في الحياة. . . ولا بد من الفرار بالعقيدة؛ إنهم ليسوا رسلا إلى قومهم فيواجهونهم بالعقيدة الصحيحة ويدعونهم إليها، ويتلقونها كما يتلقاه الرسل.

إنما هم فتية تبين لهم الهدى في وسطٍ ظالم كافر. فلا حياة لهم في هذا الوسط إن هم أعلنوا عقيدتهم وجاهروا بها. وهم لا يطيقون كذلك أن يداروا لقوم ويداوروهم، ويعبدوا ما يعبدون من الآلهة على سبيل التقية ويخفوا عبادتهم لله. والأرجح أن أمرهم قد كشف، فلا سبيل لهم إلا أن يفروا بدينهم إلى الله، وأن يختاروا الكهف على زينة الحياة. وقد أجمعوا أمرهم فهم يتناجون بينهم: ﴿**وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا**﴾. وهنا ينكشف العجب في شأن القلوب المؤمنة. فهؤلاء الفتية الذين يعتزلون قومهم، ويهجرون ديارهم، ويفارقون أهلهم، ويتجردون من زينة الأرض ومتاع الحياة، هؤلاء الذين يأوون إلى الكهف الضيق الخشن المظلم هم يستروحون رحمة الله، ويحسون هذه الرحمة ظليلة فسيحة ممتدة: ﴿**ينشر لكم ربكم من رحمته**﴾.

ولفظة ينشر يلقى ظلال السعة والبحبوحة والانفساح. . . فإذا الكهف فضاء فسيح رحيب وسيع تنتشر فيه الرحمة وتتسع خيوطها، وتمتد ظلالها، وتشملهم بالرفق واللين والرخاء. . . إن الحدود الضيقة لتنزاح. وإن الجدران الصلدة لترق. . . وإن الوحشة الموغلة لتشف. . . فإذا الرحمة والرفق والراحة والارتفاق إنه الإيمان. . . وما قيمة الظواهر؟ وما قيمة القيم والأوضاع والمدلولات التي

تعارف عليها الناس في حياتهم الأرضية؟ إن هنالك عالما آخر في جنبات القلب المعمور بالإيمان، المأنوس بالرحمان، عالما تظلله الرحمة والرفق والاطمئنان والرضوان! . .

التوجيه الثالث: ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه. .﴾: في هذا التوجيه لفت نظر الرسول إلى هؤلاء الفتية الذين حظوا بالرضى والقبول. . . فهو مشهد تصويرى عجيب. . . ينقل بالكلمات هيئة الفتية في الكهف كما يلتقطها شريط متحرك. . . والشمس تطلع على الكهف فتميل عنه كأنها متعمدة. ولفظ تزاور تصور مدلولها وتلقى ظل الإرادة في عملها. والشمس تغرب فتجاوزهم إلى الشمال وهم في فجوة منه. . . وقبل أن يكمل نقل المشهد العجيب يعلق على وضعهم ذاك بأحد التعليقات القرآنية التي تتخلل سياق القصص لتوجيه القلوب في اللحظة المناسبة: ذلك من آيات الله. . . وضعهم هكذا في الكهف والشمس لاتنالهم بأشعتها وتقرب منهم بضوئها. وهم في مكانهم لايموتون ولا يتحركون ﴿**من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا**﴾: للهدى والضلال ناموس. . . فمن اهتدى بآيات الله فقد هداه الله وفق ناموسه وهو المهتدى حقا. ومن لم يأخذ بأسباب الهدى ضل، وجاء ضلاله وفق الناموس الإلهى فقد أضله الله إِذَنْ، ولن تجد له مِن بَعْدُ هَادِيًا.

ثم يمضى السياق يكمل المشهد العجيب. وهم يقلبون من جنب إلى جنب في نومتهم الطويلة. فيحسبهم الرائى أيقاظا وهم رقود. وكلبهم ـ على عادة الكلاب ـ باسط ذراعيه بالفناء قريبا من باب الكهف كأنه يحرسهم، وهم في هيئتهم هذه يثيرون الهيبة والرعب في قلب من يطلع عليهم، إذ يراهم نياما كالأيقاظ، يتقلبون. . . فذلك من تدبير الله كى لا يعبث بهم عابث حتى يحين الوقت المعلوم. وفجأة تدب فيهم الحياة فلننظر ولنسمع: وتحسبهم أيقاظا وهو رقود ونقبلهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا، وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم.

إن السياق يحتفظ بالمفاجأة في عرض القصة. . . فيعرض هذا المشهد والفتية يستيقظون وهم لايعرفون كم لبثوا منذ أن أدركهم النعاس. . . إنهم يفركون

أعينهم، ويلتفت أحدهم إلى الآخر فيسأل: قال: ﴿**كم لبثتم**﴾؟ كما يسأل من يستيقظ من نوم طويل. ولا بد أنه كان يحس بآثار نوم طويل. . . ﴿**قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم**﴾! . . . ثم رأوا أن يتركوا هذه المسألة التي لاطائل وراء البحث فيها، ويدعوا أمرها إلى الله ـ شأن المؤمن في كل ما يعرض له مما يجهله ـ وأن يأخذوا في شأنٍ عمليٍّ. . . فهم جائعون. ولديهم نقود فضية خرجوا بها من المدينة: ﴿**قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه. . .**﴾ فليختر أطيب طعام في المدينة فليأتكم بشئ منه. وهم يحذرون أن ينكشف أمرهم ويعرف مخبؤهم فيأخذهم أصحاب السلطان في المدينة فيقتلوهم رجما ـ بوصفهم خارجين على الدين لأنهم يعبدون إلها واحدا في المدينة المشركة ـ أو يفتنوهم عن عقيدتهم بالتعذيب.

وهذه هي التي يتّقونها؛ لذلك يوصون مبعوثهم أن يكون حذرًا لَبِقًا: ﴿**وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا. إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذًا أبدا. . .**﴾ فلا يفلح من يرتد عن الإيمان إلى الشرك، وإنها للخسارة الكبرى. وهكذا نشهد الفتية يتناجون فيما بينهم حذرين خائفين. لايدرون أن الأعوام قد كرّت، وأن عجلت الزمن قد دارت، وأن أجيالا قد تعاقبت، وأن مدينتهم التي يعرفونها قد تغيرت معالمها، وأن المتسلطين الذين يخشونهم على عقيدتهم قد دالت دولتهم. وأن قصة الفتية الذين فروا بدينهم في عهد الملك الظالم قد تناقلها الخلف عن السلف؛ وأن الأقاويل حولهم متعارضة؛ حول عقيدتهم وحول الفترة التي مضت منذ اختفائهم.

وهنا يسدل الستار على مشهدهم في الكهف ليرفع على مشهد آخر. وبين المشهدين فجوة متروكة في السياق القرآني ونفهم أن أهل المدينة اليوم مؤمنون. . . فهم شديدوا الحفاوة بالفتية المؤمنين بعد أن انكشف أمرهم بذهاب أحدهم لشراء الطعام، وعرف الناس أنه أحد الفتية الذين فروا بدينهم منذ عهد بعيد. ولنا أن نتصور ضخامة المفاجأة التي اعترت الفتية ـ بعد أن أيقن صاحبهم أن المدينة قد مضى عليها العهد الطويل منذ أن فارقوها؛ وأن الدنيا قد تبدلت من حولهم. . . فلم يعد لشئ مما ينكرونه، ولا لشئ مما يعرفونه موجودا!، وأنهم من جيل قديم مضت عليه القرون، وأنهم أعجوبة في نظر الناس وحسّهم. . فلن يمكن أن يعاملوهم كبشر عاديين، وأن كل ما يربطهم بجيلهم من قرابات ومعاملات ومشاعر

وعادات وتقاليد. . . كله قد تقطع. . . فهم أشبه بالذكرى الحية منهم بالأشخاص الواقعية، فيرحمهم الله من هذا كله فيتوفاهم، لنا أن نتصور هذا كله أما السياق القرآنى فيعرض المشهد الآخير: مشهد وفاتهم والناس خارج الكهف يتنازعون في شأنهم: على أى دين كانوا، وكيف يخلدونهم ويحفظون ذكراهم للأجيال، ويعمد مباشرة إلى العبرة المستفادة من هذا الحادث العجيب: ﴿**وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا**﴾ إن العبرة في خاتمة هؤلاء الفتية هي دلالتها على البعث بمثَل واقعىّ قريب محسوس يقرّب إلى الناس قضية البعث. . . فيعلمون أن وعد الله بالبعث حق وأن الساعة لاريب فيها. وعلى هذا النحو بعث الله الفتية من نومتهم وأعثر قومهم عليهم.

وقال بعض الناس ﴿**ابنوا عليهم بنيانا. . .**﴾ فلا يحدد عقيدتهم. . . ربهم أعلم بهم وبما كانوا عليه من عقيدة وقال أصحاب السلطان في ذلك الأوان: لنتخذن عليهم مسجدا، والمقصود معبد، كما هو شأن الأمم المتدينة قبل الإسلام. ويسدل الستار على هذا المشهد. . . ثم يرفع لنسمع الجدل حول أصحاب الكهف ـ على عادة الناس يتناقلون الروايات والأخبار، ويزيدون فيها وينّقصون، ويضيفون إليها من خيالهم جيلا بعد جيل، حتى تتضخم وتتحول، وتكثر الأقاويل حول الخبر الواحد أو الحادث الواحد كلما مرت القرون: ﴿**سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل رَبِّيَ أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل. . .**﴾ فهذا الجدل حول عدد الفتية لا طائل وراءه. وإنه ليستوى أن يكونوا ثلاثة أو خمسة أو سبعة. أو أكثر. . . فأمرهم موكول إلى الله. وعلمهم عند الله. وعند القليلين الذين أعلمهم الله بوحيه. . . فلا ضرورة إذن للجدل الطويل حول عددهم.

التوجيه الرابع: ﴿**فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا. . .**﴾: في هذا التوجيه يوجه القرآنُ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى ترك الجدل في هذه القضية، وإلى عدم استفتاء أحد من المجادلين في شأنهم. . . ومن المدعين معرفة كل شئ: ماضٍ ومستقبل. . . تمشيا مع منهج الإسلام في

صيانة الطاقة العقلية أن تتبدد في غير ما يفيد. . . وفي ألا يقْفُ المسلم ما ليس له به علم وثيق سديد. وهذا الحادث الذي طواه الزمن هو من الغيب الموكول إلى علم الله. وبمناسبة النهى عن الجدل في غيب الماضى يرد النهى عن الحكم على غيب المستقبل وما يقع فيه. . . فالإنسان لايدرى ما يكون في المستقبل حتى يقطع برأى فيه: **﴿ولا تقولن لشئ إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا﴾**.

إن كل حركة وكل نأمة. بل كل نفس من أنفاس الحى مرهون بإرادة الله. وسجف الغيب مسبل بحجب ما وراء اللحظة الحاضرة. وعين الإنسان لا تمتد إلى ما وراء الستر المسبل. وعقله مهما علم قاصر كَلِيل. . . فلا يقل إنسان إنى فاعل ذلك غدا. و**﴿غدا﴾** في غيب الله وأستار غيب الله دون العواقب. وليس معنى هذا أن يقعد الإنسان لايفكر في أمر المستقبل ولا يدبر له؛ وأن يعيش يوماً بيوم ولحظة بلحظة ولا يصل ماضى حياته بحاضره وقابله. . . كلا. . . ولكن معناه أن يحسب حساب الغيب وحساب المشيئة التي تدبره. وأن يعزم ما يعزم ويستعين بمشيئة الله على ما يعزم ويستشعر أن يد الله فوق يده. . . فلا يستبعد أن يكون لله تدبير غير تدبيره. . . فإن وَفّقَهُ الله إلى ما اعتزم فيها.

وإن جرت مشيئة الله بغير ما دبر لم يحزن ولم ييأس؛ لأن الأمر لله أولا وأخيرا. . . فليفكر الإنسان وليدبر. . . ولكن ليشعر أنه إنما يفكر بتيسير الله. ويدبر بتوفيق الله، وأنه لا يملك إلا ما يمده الله به من تفكير وتدبير. ولن يدعو هذا إلى كسل أو تراخ، أو ضعف أو فتور. بل على العكس يمده بالثقة والقوة والاطمئنان والعزيمة؛ لأنه الأصل الذي كان مجهولا له فكشف عنه الستار. هذا هو المنهج الذي يأخذ به قلب المسلم. . . فلا يشعر بالوحدة والوحشة وهو يفكر ويدبر. ولا يحس بالغرور والتبطر وهو يفلح وينجح. ولا يستشعر بالقنوط واليأس وهو يفشل ويخفق. بل يبقى في كل أحواله متصلا بالله قويا بالاعتماد عليه شاكرا لتوفيقه إياه مسلما بقضائه وقدره غير متبطّر ولا قنوط. واذكر ربك إذا نسيت: إذا نسيت هذا التوجيه والاتجاه فاذكر ربك وارجع إليه. . . وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا: من هذا النهج الذي يصل القلب دائما بالله في كل مايهم به وكل ما يتوجه إليه. وتجئ كلمة عسى. وكلمة لأقرب.

للدلالة على ارتفاع هذا المرتقى وضرورة المحاولة الدائمة للاستواء عليه في جميع الأحوال. وإلى هنا لم نكن نعلم: كم لبث الفتية في الكهف... فلنعرفه الآن؛ لنعرفه على وجه اليقين **﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض أبصر به وأسمع...﴾** فهذا هو فصل الخطاب في أمرهم يقرره عالم غيب السماوات والأرض. ما أبصره! وما أسمعه! سبحانه! فلا جدال بعد هذا ولا مراء. ويعقب على القصة بإعلان الوحدانية الظاهرة الأثر في سير القصة وأحداثها: **﴿ما لهم من دونه من ولى ولا يُشْرِكُ في حكمه أحدا﴾**!..

5 - توجيه الكلام إلى الرسول ليتميز فيه المرفوض من المقبول

النص

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (27) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28) وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30) أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (31) * وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا

وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿32﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثُمُرٌ
فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿33﴾
وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿34﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ
خَيْرًا مِّنْهُمَا مُنقَلَبًا ﴿35﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ
بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿36﴾
لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيَ أَحَدًا ﴿37﴾ وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ
أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿38﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيَ أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿39﴾
أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿40﴾ وَأُحِيطَ بِثُمُرِهِۦ
فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيَ أَحَدًا ﴿41﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿42﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ
هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿43﴾ * وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿44﴾
ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ

رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿45﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ
بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿46﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ
رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿47﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ
صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ
رَبُّكَ أَحَدًا ﴿48﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ
أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ
بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿49﴾ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿50﴾
وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿51﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ
فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿52﴾
* وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ
أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿53﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ
وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ
أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿54﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ

وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا ءَايَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿55﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿56﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿57﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿58﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك**﴾: التلاوة: ترديد القراءة بالدوام عليها... وتلاوة القرآن: ترديده على أسماع الناس... ﴿**لامبدل لكلماته**﴾: التبديل: التغيير بالزيادة والنقص. بإخفاء بعضه بترك تلاوة مالا يرضون بسماعه من إبطال شرك المشركين وضلالهم. ﴿**ولن تجد من دونه ملتحدا**﴾: الملتحد: مكان الالتحاد. والالتحاد: الميل إلى جانب. وهو هنا بمعنى الملجأ والمخبأ: ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه**﴾: احبس نفسك حبس ملازمة. والصبر: الشدّ بالمكان بحيث لايفارقه. ﴿**والذين يدعون ربهم**﴾: المؤمنون الذين اتبعوا الدعوة والتزموا الطاعة صباح مساء. وإرادة وجه الله الاخلاص لله في العبادة دون غرض نفسى. ﴿**ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة**

الحياة الدنيا﴾: لايجاوزهم نظرك إلى غيرهم. تريد مجالسة الأشراف والأغنياء وأصحاب الدنيا. **﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾**: أصل الإغفال إيجاد الغفلة. وهي الذهول عن تذكر الشئ.

وأريد بها هنا غفلة خاصة وهي الغفلة المستمرة المستفادة من جعل الاغفال من الله تعالى طبيعة فيهم وما بالطبع لايتخلف. واتباع الهوى ناتج عن هذه الطبيعة. فالغفلة خلقة في قلوبهم واتباع الهوى كسب من قدرتهم. والأمر: الشأن والحال. والفُرُط: الظلم والاعتداء. وهو مأخود من الفروط. وهو السبق. فلان أفرط في الظلم سبق غيره ابتداءً وانتهاءً. **﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾**: قل لهم هذا القول. وبعده فلا عذر لأحد... **﴿إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها﴾**: المراد بالظالمين: المشركون الذين رفضوا الدعوة وقاموا ضدّ الحق فوضعوا الشئ في غير موضعه.

والسرادق: ما يجعل حاجزا محيطا بالمكان المهيأ لتكريم الداخل فيه أو حفظه والعناية به. **﴿وإن يستغيثوا يُغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾**؛ الاستغاثة: طلب الانقاذ من شدة... أو طلب نجدة تمنعهم منها، **﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾** يزيد في شدة ما هم فيه. والمهل: دردى الزيت. والتشبيه في سواد اللون وشدة الحرارة. وشيّ الوجوه: صليّها بالنار الحارقة لشدة اشتعالها مما يزيدها إلتهابا وشدة ألم. بئس وساء: كلمتان موضوعتان للذم وفظاعة الحال. والمرتفق: المتّكأ. وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد في اتكاء مريح رائق... ولكن لا يكون هذا مع فظاعة الحال. **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملا﴾**: الإضاعة: جعل الشئ ضائعا.

وحقيقة الضيعة تلف الشئ من مظنة وجوده وعدم الانتفاع به... والمعنى: إنا لا نَحرم مَن أحسن عملا أجر عمله. **﴿أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار﴾**: تقدم معنى هذه الكلمات عدة مرات. **﴿يُحلّون فيها من أساور من ذهب﴾**: التحلية التزيين. الحلية الزينة. والأساور جمع سوار. والسوار: حلية تجعل في الذراع، والذهب: معدن ثمين معروف. **﴿ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق﴾**: اللباس: ستر البدن. والثياب: جمع ثوب. وهو نوع من اللباس. واللون الأخضر معروف. والسندس: الحرير الرقيق... والإستبرق الحرير الغليظ المنسوج بخيوط الذهب.

﴿**متكئين فيها على الأرائك**﴾: الاتكاء: جلسة الراحة والترف. و﴿**الأرائك**﴾: جمع أريكة. وهي سرير مزين في مكان خاص. وهو من شعار الملوك وأهل الترف المنعمين... ﴿**نعم الثواب وحسنت مرتفقا**﴾: نِعم وحسُن مقابل. بئس وساء والمرتفق هنا مستعمل في معناه الحقيقى بخلاف مقابله المتقدم. ﴿**واضرب لهم مثلا رجلين**﴾: تقدم معنى ضرب المثل في عدة مواضع... وضرب المثل هنا برجلين أحدهما غنى والآخر فقير. والغنى كافر مُزْدَهٍ بماله. والفقير مؤمن راض بما عنده حامد لربه... والغنى له بستانان من نخيل وعنب وزرع... ومعنى ﴿**حففناهما**﴾: أحطناهما. ﴿**كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا**﴾: أثمرت الجنتان إثمارا كثيرا فلم ينقص في القيمة ولا في المقدار... ﴿**وفجرنا خلالهما نهرا**﴾: تفجير الماء غزارة اندفاعه في سيره.

والنَهْر: الماء الجارى الدائم بالفتح والسكون. ﴿**وكان له ثُمر**﴾: الثمر بضم الثاء والميم المال الكثير المختلف من النقدين والأنعام والجنات والمزارع... ﴿**فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا**﴾: الصاحب المقارن والملازم... ويطلق على المخاصم. والمراد بالصاحب هنا الرجل الآخر من الرجلين. والمحاورة مراجعة الكلام بين متكلمَيْن. والقائل هنا هو صاحب الجنتين يفتخر على الفقير بكثرة ماله وعزة نفره... فالعزة ضد الذل. والنفر عشيرة الرجل الذين ينفرون معه. ﴿**ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منهما منقلبا**﴾: معنى ظالم لنفسه مشرك مكذب بالبعث بطر بنعمة الله عليه.

والظن هنا بمعنى الاعتقاد. وإذا انتفى الظن بذلك ثبت الظن بضده. وتبيد تهلك وتفنى. والأمد مراد منه طول المدة. والمنقلب المكان الذي يُرجع إليه. لئن حصل لى بعث كما تقول لأجدن جنات خيرا من هذين الجنتين... ﴿**قال له صاحبه وهو يحاوره: أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا**﴾: الاستفهام في قوله: أكفرت... مستعمل في التعجب والإنكار. والخلق من تراب: خلق آدم أصل البشر. والنطفة ماء الرجل. مشتقة من النطف وهو السيلان. وسواك: عدّل خلقك... ﴿**لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدًا**﴾: لكنا مركب من لكنْ ومن ضمير المتكلم أنا. وهو ضمير رفع.

﴿**ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله**﴾: لولا هنا للتوبيخ. . . وما شاء الله شئ شاءه الله لى. ولا قوة إلا بالله: لاقوة لى على إنشائها. . . فهى فضل ونعمة وهبت من الله لمن يشاء إنعامه. . . ﴿**إن ترنى أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتينى خيرا من جنتك**. .﴾: عسى للرجاء وهو طلب الأمر القريب الحصول. أراد به الدعاء لنفسه. . . وعلى صاحبه. . . ﴿**ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا**﴾: الحسبان الهلاك المقدر. بحساب دقيق لا دخل لمخلوق فيه. . . ﴿**فتصبح صعيدا زلقا**﴾، والصعيد وجه الأرض. والزلق مصدر زلقت الرِّجل إذا اضطربت وزلت على الأرض فلم تستقر. ﴿**أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا**﴾: الغور مصدر غار الماء إذا ساخ الماء في الأرض وتبدد في أغوارها. . . ﴿**وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها**﴾: الإحاطة الأخذ من كل جانب. مأخوذة من إحاطة العدو بالقوم إذا غزاهم. . . فهلك ماله فأصبح حسيرا نادما لا يملك شيئا.

﴿**ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا**﴾: حكاية لندمه على ما فرط منه حين لا ينفعه الندم بعد حلول العذاب. ﴿**ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا**﴾: الفئة الجماعة التي يفىء إليها الشخص لتحميه. والنصر المنع والحماية. . . ﴿**هنالك الولاية لله الحق**﴾: هنا لك إشارة إلى المكان البعيد استعملت هنا للأمر العجيب. والولاية مصدر ولِيَ إذا ثبت له الولاء. والحق وصف لله تعالى. ﴿**هو خير ثوابا وخير عقبا**﴾: هو الذي ثوابه خير وعاقبة ولايته خير. بخلاف الغير فلا ثواب له يُرْجَى، وما له إلا الشر.

﴿**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح**﴾: الحياة الدنيا الحياة الناقصة لزوالها. . . وتطلق على حياة الأفراد الأولى، وتقابلها حياة الآخرة. . . فهذا المثل منطبق على الحياة الدنيا بإطلاقيها. واختلاط النبات وفْرتُه والتفاف بعضه ببعض بسبب الماء النازل من السماء. وأصبح مستعملة بمعنى صار. والهشيم المفتت. والهشْم الكسر والتفتيت. ﴿**وتذروه الرياح**﴾ تفرقه في الهواء. ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾: يفتخر الإنسان بماله وأبنائه وينسى حقيقة الدنيا وما هي عليه. . وينسى ما وعد الله به من الثواب على العمل الصالح الدائم: ﴿**والباقيات الصالحات خير عند ربك**

ثوابا وخير أملا...﴾ وينسى كذلك: **﴿ويوم نُسَيّرُ الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نعادر منهم أحدا﴾**، فهو توضيح لما سيقع يوم القيامة من تيسير الجبال وإزالتها وإبدال الأرض وتسويتها، وحشرهم عليها جميعا فلم يغب أحد عنها... **﴿يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية... وعرضوا على ربك صفا...﴾** فيخاطبهم موبخا: **﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا...﴾** فاليوم خاب ظنكم وبطل زعمكم. وهأنتم أولاء الآن أمام ربكم يحاسبكم على ما عملتم. **﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾**: كل كلمة من هذا الكلام تفسر نفسها بنفسها... فكل تفسير لها يزيدها غموضا... فلا تحتاج إلى تفسير من أحد كائنا من كان!..

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا﴾: تقدم معنى كلمات هذه الجملة... **﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾**: إبليس من الجن وليس من الملائكة... والفسق التجاوز عن الطاعة، وأصله قول العرب: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها. وأطلق الفسق في مواضع من القرآن على العصيان العظيم. والأمر بمعنى المأمور. بمعنى ترك وابتعد عما أمره الله به من السجود لآدم. **﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدوّ بئس للظالمين بدلا﴾**: الاستفهام مستعمل في الإنكار والتوبيخ للمشركين. والذرية النسل. وذرية الشيطان الشياطين الكافرين من الجن. والعدوّ ضد الولى.

والمشركون اتخذوا العدو وليا. **﴿وبئس للظالمين بدلا﴾**: إنشاء ذم لإبليس وذريته باعتبار اتخاذ المشركين إياهم أولياء. ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم: الإشهاد جعل الغير شاهدا. والإشهاد هنا: إحضار المشاركة في العمل أو الإعانة عليه. وجملة وما كنت متخذ المضلين عضدا تذييل لجملة ما أشهدتهم. والعضد: العظم الذي بين المرفق والكتف. والمراد به هنا المعين على العمل... والمساعد في الأمر المهم. **﴿ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا﴾**: يوم القيامة يقول الله للمشركين نادوا... والنداء طلب الإقبال للنصرة والشفاعة.

والاستجابة الكلام الدال على سماع النداء والأخذ في الإقبال على المنادى. . . والموبق مكان الوبوق. وهو المهلك. . . والموبق هنا أريد به جهنم. ﴿**ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا**﴾: الظن مستعمل هنا في معنى التحقق. وهو من استعمالاته. والمواقعة مفاعلة من الوقوع. وهو الحصول. والمصرف مكان الصرف بمعنى التخلّص والمجاوزة. ﴿**ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا**﴾: تقدم الكلام على نظير هذه الآية. . . والناس اسم عام لكل من يبلغه القرآن في سائر العصور المستقبلة. والإنسان يطلق على فرد من أفراد الناس. وشيء: اسم مفرد متوغل في العموم.

والجدل الكلام الذي يحاول به إبطال ما في كلام المخاطب من رأي. والمراد هنا مطلق الجدل. وبخاصة ما كان منه بباطل. فالمعنى أن كل إنسان في طبعه الحرص على إقناع المخالف بأحقية معتقدِهِ أو عمله. ﴿**وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا**﴾: ما منع الناس من الإيمان شيء إلا تقليد سنة الأولين من العناد والطغيان وطريقتهم في تكذيب الرسل. والقِبَلُ: المقابل للظاهر. ﴿**وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين**﴾: المراد بالمرسلين جميع الرسل. وطبيعة عملهم التبشير والإنذار، لا المجادلة التي لم يقصد منها إلا العناد والإنكار والاستكبار: ﴿**ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق. . .**﴾ فالجملة هذه مفيدة معنى الاستدراك.

وإدحاض الحق: إزالته. وأصله الإزلاق. ﴿**واتخذوا آياتى وما أنذروا هزؤا**﴾: الآيات: آيات القرآن. والإنذار ما فيه من التهديد بالوعيد. والهزؤ السخرية. ﴿**ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه**﴾: الاستفهام مستعمل في الإنكار. والتذكير هنا التخويف. والآيات ما في القرآن من الإنذار والتحذير. والإعراض التباعد والإنكار وعدم الاعتبار. والنسيان مستعمل في التغاضى عن العمل. وما قدمت يداه مستعمل في الكفر والمعاصى. . . ﴿**إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا**﴾: سبب الإعراض والنسيان ما كان فيهم من قساوة القلب وصم الآذان عن فهم ما جاء به القرآن: ﴿**وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذًا أبدا**﴾: فلن يهتدوا ماداموا على هذه الحال.

﴿**وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب**﴾: ترغيب في تدارك الأمر بعد الترهيب من الإعراض والنسيان فهم بكسبهم مستحقون للعذاب العاجل: ﴿**لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب**﴾: بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا: الموعد: وقت حلول العذاب بهم. والموئل: مفعِل من وأل بمعنى لجأ. ﴿**وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا**﴾: الإشارة إلى القرى البائدة من قوم عاد وثمود والذين من بعدهم... والظلم الشرك وتكذيب الرسل. والمُهلك مصدر ميمى من أهلك. والموعد: وقت الإهلاك.

مبحث الإعراب

﴿**واتل**﴾ فعل أمر للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والواو للعطف. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به.

﴿**أوحى**﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على ما. والجملة صلة ما. ﴿**إليك**﴾ متعلق بأوحى. ﴿**من كتاب**﴾ بيان لما. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى كتاب. ﴿**لا مبدل**﴾ لا واسمها مبني على الفتح في محل نصب. ﴿**لكلماته**﴾ متعلق بمبدل. وخبر لا مقدر، والتقدير: لا مبدّل لكلمات الله موجود، ﴿**ولن تجد**﴾ فعل مضارع منصوب بلن. والفاعل ضمير المخاطب. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**من دونه**﴾ متعلق بتجد. ﴿**ملتحدا**﴾ مفعول به. ﴿**واصبر**﴾ فعل أمر. والفاعل أنت. عطف على ما قبلها. ﴿**نفسك**﴾ مفعول به. ﴿**مع**﴾ ظرف متعلق باصبر. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى الظرف. ﴿**يدعون ربهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الذين. ﴿**بالغداة**﴾ متعلق بيدعون.

﴿**والعشي**﴾ معطوف على الغداة. ﴿**يريدون وجهه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة حال من الضمير المرفوع في يدعون. ﴿**ولا تعد**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والواو للعطف. ﴿**عيناك**﴾ فاعل مرفوع بالألف. ﴿**عنهم**﴾ متعلق بتعْدُ. ﴿**تريد**﴾ فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**زينة**﴾ مفعول به. ﴿**الحياة**﴾ مضاف إلى زينة. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. مجرور بكسرة مقدرة على الألف. وجملة ﴿**تريد**﴾ في محل نصب حال من المضاف إليه في: ﴿**عيناك**﴾. ﴿**ولا تطع**﴾ عطف نهى على نهى. ﴿**مَن**﴾ في

محل نصب مفعول به. ﴿**أغفلنا قلبه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة من. ﴿**عن ذكرنا**﴾ متعلق بأغفلنا. ﴿**واتبع**﴾ معطوف على أغفلنا. والفاعل ضمير يعود على من.

﴿**هواه**﴾ مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**وكان أمره فرطا**﴾: الجملة من كان واسمها وخبرها معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿**وقل**﴾ فعل أمر. والواو للعطف. ﴿**الحق**﴾ خبر مبتدإ محذوف. أى: هذا الحق كائنا. ﴿**من ربكم. فمن شاء**﴾ جملة شرطية مرتبة على ما قبلها. ﴿**فليؤمن**﴾ جواب الشرط لدخول فاء الربط. والفعل مجزوم بلام الأمر. ﴿**ومن شاء فليكفر**﴾ عطف على جملة الشرط وجوابه. وجملة الحق من ربكم في محل نصب مقول القول. ﴿**إنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أعتدنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل رفع خبر إنّ. ﴿**للظالمين**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**نارا**﴾ مفعول به. أحاط فعل ماضٍ. ﴿**بهم**﴾: متعلق بأحاط. ﴿**سرداقُها**﴾ فاعل. ﴿**وإن يستغيثوا**﴾ جملة شرطية معطوفة على ما قبلها.

﴿**يغاثوا**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول مجزوم في جواب الشرط. ﴿**بماء**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**كالمهل**﴾ الكاف في محل جر نعت لماء. والمهل مجرور بالكاف. ﴿**يشوي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على وصف الماء. ﴿**بئس**﴾ فعل ماضٍ. ﴿**الشراب**﴾ فاعل. ﴿**وساءت النارُ. مرتفقا**﴾ منصوب على التمييز والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**إنّ الذين**﴾ إن واسمها. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**وعملوا**﴾ عطف على الصلة. ﴿**الصالحات**﴾ مفعول به.

﴿**إنا**﴾ إن واسمها. ﴿**لانضيع**﴾ فعل مضارع منفى بلا. والفاعل نحن. ﴿**أجر**﴾ مفعول به. ﴿**من**﴾ في محل جر مضاف إلى أجر. ﴿**أحسن**﴾ فعل ماضٍ والفاعل ضمير يعود على من. وجملة أحسن صلة مَن. ﴿**عملا**﴾ مفعول به. وجملة ﴿**لا نضيع**﴾ خبرُ إنّ الثانية. وجملة ﴿**إنّا لا نضيع...**﴾ خبرُ ﴿**إنّ الذين آمنوا...**﴾ ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**جناتُ**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**عدن**﴾ مضاف إلى جنات. وجملة ﴿**لهم جنات**﴾ في محل رفع خبرُ ﴿**أولئك**﴾. ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع. ﴿**من تحتهم**﴾ متعلق بتجرى. ﴿**الأنهار**﴾ فاعل، وجملة: ﴿**تجرى من تحتهم الأنهار**﴾ صفة لجنات عدن.

﴿**يحلون**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول. وواو الجماعة نائب الفاعل. ﴿**فيها**﴾

متعلق بيحلون. ﴿**من أساور**﴾ من صلة، وأساور مجرور بالفتحة لمنعه من الصرف، وهو في محل نصب مفعول بيحلون، ﴿**من ذهب**﴾ بيان لأساور. ﴿**ويلبسون**﴾ معطوف على يُحلّون. ﴿**ثيابا**﴾ مفعول به. ﴿**خضرا**﴾ نعت للثياب. ﴿**من سندس**﴾ بيان للثياب. ﴿**وإستبرق**﴾ معطوف على سندس. ﴿**متكئين**﴾ حال من ضمير الجماعة المرفوع. ﴿**فيها على الأرائك**﴾ متعلقان بمتكئين. ﴿**نعم الثوابُ**﴾ فعل وفاعل. ﴿**وحسنت**﴾ معطوف على نعم. والفاعل ضمير يعود على جنات عدن. ﴿**مرتفقا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**واضرب**﴾ فعل أمر معطوف على ما قبله. ﴿**لهم**﴾ متعلق باضرب. ﴿**مثلا**﴾ مفعول به. ﴿**رجلين**﴾ بدل من مثلا، منصوب بالياء. ﴿**جعلنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لأحدهما**﴾ متعلق بجعلنا.

﴿**جنتين**﴾ معطوف على جعلنا. ﴿**وحققناهما بنخل**﴾ متعلق بحققنا. . . ﴿**وجعلنا**﴾ عطف على ما قبله. ﴿**بينهما**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**زرعا**﴾ مفعول به. ﴿**كلتا**﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿**والجنتين**﴾ مضاف إلى ﴿**كلتا**﴾. ﴿**آتت**﴾ فعل ماضٍ والفاعل ضمير يعود على الجنتين. ﴿**أكلها**﴾ مفعول به. وجملة ﴿**آتت**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**ولم تظلم**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والفاعل ضمير يعود على الجنة. والجملة معطوفة على آتت. ﴿**منه**﴾ متعلق بتظلم. ﴿**شيئا**﴾ مفعول به. ﴿**وفجرنا**﴾ فعل وفاعل معطوف على جعلنا، ﴿**خلالهما**﴾ ظرف متعلق بفجرنا. ﴿**نهرا**﴾ مفعول به. ﴿**وكان له**﴾ متعلق بكان التامة. ﴿**ثمرٌ**﴾ فاعل كان. ﴿**فقال**﴾ مرتب على ما قبله. ﴿**لصاحبه**﴾ متعلق بقال. ﴿**وهو**﴾ مبتدأ. والواو للحال. ﴿**يحاوره**﴾ فعل مضارع. والفاعل هو. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة في محل رفع خبر المبتدإ.

وجملة: ﴿**وهو يحاوره**﴾ حال من فاعل قال. ﴿**أنا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أكثر**﴾ خبره. ﴿**منك**﴾ متعلق بأكثر. ﴿**مالا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**وأعز نفرا**﴾ معطوف على ﴿**أكثر منك مالا**﴾. ﴿**ودخل**﴾ فعل ماضٍ. والواو للعطف. والفاعل ضمير يعود على صاحب الجنتين. ﴿**جنته**﴾ مفعولٌ به. ﴿**وهو ظالم**﴾ الجملة من المبتدإ والخبر في محل نصب حال من فاعل دخل. ﴿**لنفسه**﴾ متعلق بظالم. ﴿**قال**﴾ صاحب الجنتين. ﴿**ما أظن**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفى. ﴿**أن تبيد**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. ﴿**هذه**﴾ فاعل مبنى على الكسر في محل

رفع. ﴿أبدا﴾ منصوب على الظرفية. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول أظن.

﴿وما أظن﴾ معطوف على ما أظن أن تبيد... ﴿الساعة﴾ مفعول أول. ﴿قائمة﴾ مفعول ثان. ﴿ولئن﴾ الواو للعطف. واللام للقسم. وإن شرطية جازمة. ﴿رددت﴾ فعل ماضٍ مبنى للمجهول. وضمير المتكلم نائب الفاعل. والجملة في محل جزم فعل الشرط. ﴿إلى ربى﴾ متعلق برددت. ﴿لأجدنّ﴾ فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. واللام واقعة في جواب القسم. والجملة سدّت مسد جواب الشرط. ﴿خيرا﴾ مفعول به. ﴿منهما﴾ متعلق بالمفعول. ﴿منقلبا﴾ تمييز. ﴿قال له﴾ متعلق بقال. ﴿صاحبه﴾ فاعل. ﴿وهو﴾ مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿يحاوره﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على صاحبه. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة ﴿وهو يحاوره﴾ في محل نصب حال من صاحبه.

﴿أكفرت﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿بالذى﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿خلقك﴾ فعل ماضٍ والفاعل ضمير يعود على الذى. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة خلقك صلة الذى. ﴿من تراب﴾ متعلق بخلقك. ﴿ثم من نطفة﴾ معطوف على قوله: ﴿من تراب﴾. ﴿ثم سواك﴾ فعل ماض والفاعل ضمير يعود على الذي والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿رجالاً﴾: مفعول ثان لسواك بمعنى صيّرك.. ﴿لكنا﴾: حرف استدراك أدغم فيه ضمير المتكلم. والتقدير: لكن أنا، وأنا في محل رفع مبتدأ: ﴿هو﴾: في محل رفع مبتدأ ثاني. ﴿والله﴾ خبر هو: ﴿ربي﴾: بدل. وجملة: ﴿هو الله﴾ خبر أنا.. والمعنى: لكن أنا أعترف وأقر بهذا الكلام؛ ﴿هو الله ربي. ولا أشرك﴾: فعل مضارع دخل عليه حرف النفى. والفاعل ضمير المتكلم. والجملة معطوفة على ما قبلها. بربى متعلق بالفعل قبله.

﴿أحدا﴾ مفعول به. ﴿ولولا﴾ حرف تحضيض. والواو للعطف. ﴿إذ دخلت جنتك﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه أداة الشرط. ﴿قلت﴾ فعل وفاعل. جواب الشرط. ﴿ما شاء الله﴾ فعل وفاعل دخلت عليه ما، وهي نكرة موصوفة. أى: شئ شاءه الله لى. ﴿لا قوة﴾ لا النافية للجنس واسمها مبنى على الفتح في

محل نصب. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء. ﴿**بالله**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا. وجملة ﴿**ما شاء الله لا قوة إلا بالله**﴾ مقول القول. ﴿**إن ترني**﴾ فعل مضارع دخلت عليه إن الشرطية الجازمة وعلامة جزمه حذف الألف. والفاعل ضمير المتكلم. والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. ﴿**أنا**﴾ ضمير فصل. ﴿**أقل**﴾ مفعول ثان. ﴿**منك**﴾ متعلق بأقل. ﴿**مالا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**وولدا**﴾ معطوف عليه.

﴿**فعسى ربي**﴾ عسى واسمها. والفاء رابطة للجواب. ﴿**أن يؤتيني**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير يعود على ربى. وياء المتكلم مفعول أول. ﴿**خيرا**﴾ مفعول ثان. ﴿**من جنتك**﴾ متعلق بخيرا. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب خبرُ عسى. وجملة ﴿**فعسى ربي...**﴾ جواب الشرط. ﴿**ويرسل**﴾ معطوف على ﴿**أن يؤتينى**﴾. ﴿**عليها**﴾ متعلق بيرسل. ﴿**حسبانا**﴾ مفعول به. ﴿**من السماء**﴾ متعلق بمحذوف نعت لحسبانا. ﴿**فتصبح**﴾ مرتب على يرسل. واسم تصبح ضمير يعود على الجنة. ﴿**صعيدا**﴾ خبر تصبح. ﴿**زلقا**﴾ نعت لصعيدا. ﴿**أو يصبح ماؤُها غورا**﴾ الجملة من يصبح واسمها وخبرها معطوفة على قوله: ﴿**فتصبح صعيدا زلقا**﴾. ﴿**فلن تستطيع**﴾ فعل مضارع منصوب بلن. والفاء للتعقيب. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**له**﴾ متعلق بتستطيع. ﴿**طلبا**﴾ مفعول به.

﴿**وأحيط**﴾ فعل ماضٍ مبنى للمجهول معطوف على ما نتج من الكلام السابق أى: حصل ما كان متوقعا ﴿**وأحيط بثمره**﴾. ﴿**فأصبح**﴾ مرتب على ما قبله. ﴿**يقلب**﴾ فاعله ضمير يعود على صاحب الجنة. والجملة خبرُ أصبح. ﴿**كفّيْهِ**﴾ مفعول به. على ما متعلق بمحذوف حال من فاعل يقلب. أى: متحسرا على ما أنفق صلة ما فيها متعلق بأنفق. ﴿**وهي**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**خاوية**﴾ خبره. ﴿**على عروشها**﴾ متعلق به. والجملة حال من الجنة المذكورة سابقا. ﴿**ويقول**﴾ عطف على قوله: ﴿**يقلب...**﴾ ﴿**ياليتنى**﴾ ليت واسمها أدخل عليها حرف النداء. ﴿**لم أشرك**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم، والفاعل ضمير المتكلم. والجملة خبر ليت.

﴿**بربي**﴾ متعلق بأشرك. ﴿**أحدا**﴾ مفعول به وجملة ﴿**ياليتنى لم أشرك...**﴾ مقول القول. ﴿**ولم تكن**﴾ مجزوم بلم. والواو للعطف. ﴿**له**﴾ متعلق به. ﴿**فئة**﴾

فاعل تكن. ﴿**ينصرونه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة نعت لفئة. ﴿**من دون**﴾ متعلق بينصرونه. الله مضاف إلى دون. ﴿**وما كان**﴾ اسم كان يعود على صاحب الجنة. وما نافية والواو للعطف. ﴿**منتصرا**﴾ خبر كان. ﴿**هنالك**﴾ ظرف للمكان البعيد. في ذلك المكان تقصر ﴿**الولاية لله الحق...**﴾ فالولاية مبتدأ. ﴿**لله**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**الحق**﴾ نعت لله. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**خير**﴾ خبره. ﴿**ثوابا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**وخير عقبا**﴾ معطوف على خير ثوابا. ﴿**واضرب لهم**﴾ مَثَلَ.مِثْلُ، ﴿**واضرب لهم مثلا...**﴾ والواو للعطف. ﴿**الحياة**﴾ مضاف إلى مثل. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة.

﴿**كماء**﴾ الكاف في محل رفع خبر لمبتدإ محذوف. وماء مجرور بالكاف.أي: هي مثلُ ماء. ﴿**أنزلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة نعت لماء. ﴿**من السماء**﴾ متعلق بأنزلنا. ﴿**فاختلط**﴾ مرتب على أنزلناه. ﴿**به**﴾ متعلق به. ﴿**نباتُ**﴾ فاعل. ﴿**الأرض**﴾ مضاف إلى نبات. ﴿**فأصبح**﴾ مرتب على اختلط... ﴿**هشيما**﴾ خبرُ أصْبَحَ. واسمها ضمير يعود على نبات الأرض. ﴿**تذروه**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الرياح**﴾ فاعل. ﴿**وكان الله**﴾ كان واسمها. ﴿**على كل**﴾ متعلق بخبر كان. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**مقتدرا**﴾ خبر كان. والجملة تذييل. ﴿**المال**﴾ مبتدأ. ﴿**والبنون**﴾ معطوف عليه. ﴿**زينة**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**الحياة**﴾ مضاف إلى زينة. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. ﴿**والباقيات**﴾ عطف على المال... ﴿**الصالحات**﴾ نعت للباقيات. ﴿**خير**﴾ خبر الباقيات. ﴿**عند**﴾ متعلق بخير ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى عند.

﴿**ثوابا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**وخير**﴾ عطف على خير ثوابا. ﴿**عقبا**﴾ تمييز. ﴿**ويوم**﴾ عطف على جملة ﴿**واضرب لهم مَثَلَ الحياة الدنيا...**﴾ فلفظ يوم منصوب بفعل مضمر. تقديره: اذكر. ﴿**نسيّر**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. ﴿**الجبال**﴾ مفعول به. ﴿**وترى**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب. وهو معطوف على نسيّر. ﴿**الأرض**﴾ مفعول به. ﴿**بارزة**﴾ حال من الأرض. ﴿**وحشرناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. معطوف على نسير... ﴿**فلم نغادر**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والفاء للتعقيب والفاعل نحن. ﴿**منهم**﴾ متعلق بنغادر. ﴿**أحدا**﴾ مفعول به. ﴿**وعرضوا**﴾ فعل ماضٍ مبنى للمجهول وواو الجماعة نائب الفاعل.

وهو معطوف على ما قبله ﴿**على ربك**﴾ متعلق بعرضوا. ﴿**صفا**﴾ حال من واو الجماعة. ﴿**لقد جئتمونا**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام التوكيد. ﴿**كما خلقناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه ما المصدرية وكاف التشبيه. أي: جئتمونا مجيئا مثل خلقنا إياكم. ﴿**أول**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**مرة**﴾ مضاف إلى أول. ﴿**بل زعمتم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الإضراب. ﴿**أنْ**﴾ مخففة من الثقلية واسمها ضمير الشأن. ﴿**لن نجعل**﴾ فعل مضارع منصوب بلن. والفاعل نحن، والجملة خبرُ أن المخففة. ﴿**لكم**﴾ متعلق بنجعل. ﴿**موعدا**﴾ مفعول به. وأن المخففة وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول زعمتم. والمعنى: بل زعمتم عدم جعل موعد لكم يجعلكم عندنا. ﴿**ووضع الكتاب**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل معطوفة على قوله: ﴿**وعرضوا على ربك صفا**﴾.

﴿**فترى**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب. والفاء للتعقيب. ﴿**المجرمين**﴾ مفعول به. ﴿**مشفقين**﴾ حال من المجرمين. ﴿**مما**﴾ متعلق بمشفقين. ﴿**فيه**﴾ متعلق بجملة فعلية صلة ما. ﴿**ويقولون**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**ياويلتنا**﴾ منادى منصوب بالفتحة. ﴿**ما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**لهذا**﴾ متعلق بمحذوف خبر. ﴿**الكتاب**﴾ عطف بيان لاسم الإشار. وجملة ﴿**ما لهذا الكتاب**﴾ مقول القول. ﴿**لايغادر**﴾ فعل مضارع منفى بلا. والفاعل ضمير يعود على الكتاب. والجملة حال من ﴿**الكتاب**﴾. ﴿**صغيرة**﴾ مفعول به. ﴿**ولا كبيرة**﴾ معطوف عليه. ﴿**إلا أحصاها**﴾ فعل ماضٍ دخل عليه حرف الاستثناء. والفاعل ضمير يعود على الكتاب. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**ووجدوا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**عملوا**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**حاضرا**﴾ مفعول ثان.

﴿**ولا يظلم ربك أحدا**﴾ فعل وفاعل ومفعول والجملة معطوفة على جملة ﴿**ووجدوا ما عملوا حاضرا. وَإِذْ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس**﴾: تقدم إعرابها في سورة البقرة. وتكررت في عدة سور. ﴿**كان**﴾: اسم كان ضمير يعود على إبليس. ﴿**من الجن**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿**ففسق**﴾ فعل ماضٍ والفاعل ضمير يعود على إبليس. والفاء للتعقيب. ﴿**عن أمر**﴾ متعلق بفسق. ﴿**ربه**﴾ مضاف إلى أمر. ﴿**أفتتخذونه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه فاء

التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**وذريته**﴾ معطوف على الضمير المنصوب. . . ﴿**أولياء**﴾ مفعول ثان.

﴿**من دوني**﴾ متعلق بتتخذونه. ﴿**وهم لكم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**عدوّ**﴾ خبره. والجملة حال. ولكم متعلق بعدو. ﴿**بئس**﴾ فعل ماضٍ ﴿**للظالمين**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**بدلا**﴾ منصوب على التمييز. وفاعل بئس محذوف يفسره التمييز. أي: بئيس البدلُ إبليس وذريتُه. ﴿**ما أشهدتهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفى. ﴿**خلق**﴾ مفعول. ثان. ﴿**السماوات**﴾ مضاف إلى خلق. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**ولا خلق أنفسهم**﴾ معطوف على خلق السماوات. ﴿**وما كنت متخذ**﴾ كان واسمها وخبرها. دخل عليها حرف النفي. والواو للعطف. ﴿**المضلين**﴾ مضاف إلى اسم الفاعل. ﴿**عضدا**﴾ مفعول ثان. ﴿**ويوم**﴾ معطوف على قوله: ﴿**وإذ قلنا**﴾. وهو متعلق بفعل مقدر كما تقدم. . . ﴿**يقول**﴾ فاعله ضمير يعود على الله المفهوم من السياق.

﴿**نادوا**﴾ فعل أمر للجماعة. ﴿**شركائي**﴾ مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. . . وياء المتكلم مضافة إلى شركاء. وحركت بالفتحة للتخفيف. الذين في محل نصب نعت لشركائي. ﴿**زعمتم**﴾ فعل وفاعل صلة الذين. ﴿**فدعوهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفاء للتعقيب. وجملة ﴿**نادوا شركائي**﴾ مقول القول. ﴿**فلم يستجيبوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى الجازم وحرف التعقيب. ﴿**لهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وجعلنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**بينهم**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**موبقا**﴾ مفعول به. ﴿**ورأى المجرمون النار**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على قوله: ﴿**وجعلنا بينهم موبقا**﴾. ﴿**فظنوا**﴾ فعل وفاعل مرتب على رأى. . . ﴿**أنهم**﴾ أنّ واسمها. ﴿**مواقعوها**﴾ خبرُ أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول ظن. ﴿**ولم يجدوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لم وواو العطف. ﴿**عنها**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**مصرفا**﴾ مفعول به.

﴿**ولقد صرفنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق ولام التوكيد. والواو للعطف. ﴿**في هذا**﴾ متعلق بصرفنا. ﴿**القرآن**﴾ عطف بيان. ﴿**للناس**﴾ متعلق بصرفنا. ﴿**من كل**﴾ كذلك. ﴿**مثل**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**وكان الإنسان أكثر**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها تذييل. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى أكثر. ﴿**جدلا**﴾

منصوب على التمييز. **﴿وما منع﴾** فعل ماضٍ دخل عليه حرف النفى وواو العطف. **﴿الناس﴾** مفعول به. **﴿أن يؤمنوا﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف المصدر الناصب. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بمن متعلق بمنع. **﴿إذ﴾** ظرف متعلق بالفعل قبله.

﴿جاءهم﴾ فعل ماضٍ والضمير المتصل به مفعول. **﴿الهدى﴾** فاعل جاء. **﴿ويستغفروا ربهم﴾** فعل وفاعل ومفعول معطوف على قوله: **﴿يؤمنوا﴾**. **﴿إلا﴾** أداة استثناء. **﴿أن تأتيهم﴾** فعل مضارع منصوب بأن. والضمير المتصل به مفعول. **﴿سنةُ﴾** فاعل. **﴿الأولين﴾** مضاف إلى سنة. **﴿أو يأتيهم العذاب﴾** معطوف على **﴿أن تأتيهم سنة الأولين﴾**. **﴿قبلا﴾** حال من العذاب. وفاعل **﴿منع﴾** مقدر يعلم من المصدر المنسبك من قوله: **﴿إلا أن تأتيهم سنة الأولين﴾**؛ والتقدير: وما منع الناسَ من الإيمان شئ إلا إتيانُ سنةِ الأولين إياهم. وهو عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة الذي يقابلهم. **﴿وما نرسل﴾** فعل مضارع دخل عليه حرف النفى والواو للعطف. والفاعل نحن. **﴿المرسلين﴾** مفعول به. **﴿إلا مبشرين﴾** مستثنى من أحوال عامة محذوفة: أى: ما نرسل المرسلين في حال إلا في حال كونهم مبشرين. **﴿ومنذرين﴾** معطوف على مبشرين.

﴿ويجادل الذين﴾ فعل وفاعل معطوف على ما قبله. **﴿كفروا﴾** فعل وفاعل صلة الذين. **﴿بالباطل﴾** متعلق بيجادل. **﴿ليدحضوا﴾** فعل وفاعل دخل عليه لام التعليل والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. وهو مؤول بمصدر مجرور بلام التعليل متعلق بيجادل. **﴿به﴾** متعلق بيدحضوا. **﴿الحق﴾** مفعول به. **﴿واتخذوا آياتي﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه واو العطف. **﴿وما﴾** في محل نصب معطوف على آياتى. **﴿أنذروا﴾** الفعل ونائب الفاعل صلة ما. **﴿هزؤا﴾** مفعول ثان. **﴿ومن﴾** اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. **﴿أظلم﴾** خبر المبتدإ. **﴿ممن﴾** متعلق بأظلم. **﴿ذُكّر﴾** فعل ماضٍ مبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير يعود على من. والجملة صلة من. **﴿بآيات﴾** متعلق يُذكّر. **﴿ربه﴾** مضاف إلى آيات. **﴿فأعرض﴾** مرتب على ذُكّر. **﴿عنها﴾** متعلق بأعرض.

﴿ونسى ما﴾ في محل نصب مفعول به. **﴿قدمت﴾** يداه فعل وفاعل صلة ما. **﴿إنا﴾** إنّ واسمها. **﴿جعلنا﴾** فعل وفاعل والجملة خبر إنّ. **﴿على قلوبهم﴾** متعلق

بجعلنا. ﴿**أكنّة**﴾ مفعول به. ﴿**أن يفقهوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر، والتقدير: ﴿**إنا جعلنا على قلوبهم**﴾ مانعا من الفهم. ﴿**وفي آذانهم**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**وقرا**﴾ مفعول به. ﴿**وإن تدعهم**﴾ فعل مضارع مجزوم بإن. والفاعل ضمير المخاطب. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والواو للعطف. ﴿**إلى الهدى**﴾ متعلق بتدعهم.

﴿**فلن يهتدُوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى الناصب، والفاء رابطة لجواب الشرط. ﴿**إذًا**﴾ جوابية. ﴿**أبدا**﴾ ظرف منصوب بالفتحة. متعلق بلن يهتدوا. ﴿**وربك**﴾ مبتدأ. ﴿**الغفور**﴾ خبره. ﴿**ذو**﴾ نعت له. ﴿**الرحمة**﴾ مضاف إلى ذو. ﴿**لو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿**يؤاخذهم**﴾ فعل الشرط. وفاعل يؤاخذ ضمير يعود على ربك. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**بما**﴾ متعلق بيؤاخذهم. ﴿**كسبوا**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**لعجل**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير مثل ما قبله. ﴿**لهم**﴾ متعلق بعجل. ﴿**العذاب**﴾ مفعول به. وجملة لعجل لهم العذاب جواب الشرط. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم.

﴿**موعد**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**لن يجدوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى الناصب. ﴿**من دونه**﴾ متعلق بلن يجدوا. ﴿**موئلا**﴾ مفعول به. وجملة ﴿**لن يجدوا من دونه موئلا**﴾ نعت لموعد. ﴿**وتلك**﴾ في محل نصب مفعول لفعل مقدر يفسره ﴿**أهلكناهم**﴾. ﴿**القرى**﴾ عطف بيان لاسم الإشارة منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**أهلكناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة تفسيرية. ﴿**لما ظلموا**﴾ متعلق بأهلكناهم. أى: أهلكناهم حين استمر ظلمهم ولم يقلعوا عنه. ﴿**وجعلنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**لمهلكهم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**موعدا**﴾: مفعول به.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدّل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا...**﴾ ووجه الربط بين هذه الآية وما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر قصة أصحاب الكهف، وكانت من المغيبات... ودل اشتمال القرآن عليها على أنها وحى معجز من حيثية الاشتمال، وإن كانت جهة إعجازه غير منحصرة في

ذلك، أمر الله رسوله بالمواظبة على درسه بقوله: ﴿**واتل ما أوحى إليك**﴾ فالكلام متعلق بما قبله من النواهى. والأمر في قوله: ﴿**واتل**﴾، كناية عن الاستمرار. وما ﴿**أوحى**﴾ مفيد للعموم والملتحد: مكان الالتحاد. وجاء بصيغة الافتعال؛ لأن أصله تكلف الميل. ويفهم من صيغة التكلف أنه مفرٌّ من مكروه بتكلف الخائف أن يأوى إليه... فلذلك كان الملتحد بمعنى الملجأ. والمعنى: لن تجد شيئا ينجيك من عقاب الله.

والمقصود من هذا تأييس المشركين مما طمعوا فيه ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى. يريدون وجهه**﴾: وصل الكلام بالعطف على قوله: ﴿**واتل ما اوحى إليك...**﴾ فهذا رد على ما طلبوا من طرد المؤمنين الفقراء من مجلس يكونون فيه مع النبئ... كما تقدم في سورة الأنعام... وما هنا أكد إذ أمره بملازمتهم. ولتضمين فعل اصبر معنى الملازمة عُلِّق به ظرف مع. والتعبير بالموصول في قوله ﴿**مع الذين...**﴾ للإيماء إلى تعليل الأمر بملازمتهم. وجملة ﴿**يريدون وجهه**﴾ في موضع الحال.

ووجه الله مجاز في إقباله على العبد... ثم أكد الأمر بمواصلتهم بالنهى عن أقل إعراض عنهم: ﴿**ولا تعد عيناك عنهم...**﴾ وظاهر لا تعد عيناك عنهم، نهى العينين عن أن تعدُوَ عن الذين يدعون ربهم... فضمن فعل العدو معنى الإعراض فعدى إلى المفعول بِعَنْ وكان حقه أن يتعدى إليه بنفسه. يقال: عداه إذا جاوزه. ومعنى نهى العينين نهى صاحبهما. فيؤول إلى معنى ﴿**ولا تعدَّ عينيك عنهم**﴾. وهو إيجاز بديع. وجملة ﴿**تريد زينة الحياة الدنيا**﴾ حال من كاف الخطاب؛ لأن المضاف جزء من المضاف إليه وهذا الكلام تعريض بحماقة سادة المشركين الذين جعلوا همّهم وعنايتهم بالأمور الظاهرة، وأهملوا الاعتبار بالحقائق والمكارم النفسية فاستكبروا عن مجالسة أهل الفضل والعقول الراجحة والقلوب النيرة، وجعلوا همهم الصور الظاهرة.

﴿**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**﴾: الكلام موصول بالعطف على ما قبله. وهو نهى جامع عن ملابسة شئ مما يأمره به المشركون. والمقصود من النهى تأسيس قاعدة أعمال الرسول والمسلمين تجاه رغائب المشركين، وتأسيس المشركين من نوال شئ مما رغبوه من النبئ - صلى

الله عليه وسلم ـ. وأصل الإغفال إيجاد الغفلة. وهي الذهول عن تذكر الشئ. وأريد بها هنا غفلة خاصة. وهي الغفلة المستمرة المستفادة من جعل الإغفال من الله تعالى كناية عن كونه في خلقة تلك القلوب. وما بالطبع لا يتخلف. وقد اعتضد هذا المعنى بجملة واتّبع هواه... فإن اتباع الهوى يكون عن بصيرة لا عن ذهول. وزيادة فعل الكون في قوله وكان أمره فرطا؛ للدلالة على تمكن الخبر من الاسم.

﴿**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾: الكلام موصول بالعطف على ما قبله... فبعد أن أمر الله نبيئه بما فيه نقض ما يفتعلونه من مقترحاتهم وتعريض بتأييسهم من ذلك، أمره بأن يصارحهم بأنه لا يعدل عن الحق الذي جاءه من الله، وأنه مبلغه بدون هوادة، وأنه لا يرغب في إيمانهم ببعضه دون بعض، ولا يتنازل إلى مشاطرتهم في رغباتهم بشطر الحقّ الذي جاء به وأن إيمانهم وكفرهم موكول إلى أنفسهم. والأمر في قوله: ﴿**فليؤمن... فليكفر**﴾ للتسوية المكنى بها عن الوعد والوعيد. وقدم الإيمان على الكفر؛ لأن إيمانهم مرغوب فيه ومطلوب منهم.

وجملة ﴿**إنا أعتدنا للظالمين نارا...**﴾ مستأنفة استئنافا بيانيا؛ لأن ما دل عليه الكلام من إيكال الإيمان والكفر إلى أنفسهم وما يفيده من الوعيد كلاهما يثير في النفوس أن يقول قائل: فماذا يلاقى من شاء... فاستمر على الكفر؛ فيجاب بأن الكفر وخيم العاقبة عليهم. وتنوين ﴿**نارًا**﴾ للتهويل والتعظيم. وزيادة أحاط بهم سرداقا مبالغة في إحاطة العذاب بهم. وهنا تخييل لاستعارة مكنية بتشبيه النار بالدار. وأثبت لها سرادق... وشأن السرادق يكون في بيوت أهل الترف... فإثباته لدار العقاب استعارة تهكمية!: ﴿**وإن يستغيثوا بعاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوهَ...**﴾ الإغاثة هنا للزيادة مما استغيث من أجله على سبيل التهكم أيضا... فهو من تأكيد الشئ بما يشبه ضده والمُهْل له معان كثيرة أشبهها هنا أنه دُرْدِي الزيت... ففيه التشبيه بسواد اللون وشدة الالتهاب... فلا يزيدهم إلا حرارة. ولذلك عقبه بقوله: ﴿**يشوى الوجوه**﴾. وهو استئناف ابتدائى. والوجه أشد الأعضاء تألما من حر النار.

وجملة ﴿**بئس الشراب**﴾ مستأنفة ابتدائية أيضا، لتشنيع ذلك الماء...

والمخصوص بذم بئس محذوف دل عليه ما قبله؛ والتقدير: بئس الشراب ذلك الماء! وجملة **﴿وساءت مرتفقا﴾** معطوفة على جملة يشوى الوجوه... فهي مستأنفة أيضا. ولإنشاء ذم تلك النار بما فيها. وشأن المرتفق أن يكون مكان استراحة؛ فإن إطلاق ذلك على النار تهكم، كما أطلق على ما يراد به عذابهم لفظ الإغاثة. وكما أطلق على مكانهم السرادق. **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجْرَ من أحسن عملا﴾**: جملة مستأنفة استئنافا بيانيا، مراعى فيه حال السامعين من المؤمنين؛ فإنهم حين يسمعون ما أعد للمشركين تتشوق نفوسهم إلى معرفة ما أعد للذين آمنوا ونبذوا الشرك فأعلموا أن عملهم مرعيٌّ عند ربهم.

وجريا على عادة القرآن في تعقيب الوعيد بالوعد والترهيب بالترغيب وافتتاح الجملة بحرف التوكيد إنّ لتحقيق مضمونها. وإعادة حرف إنّ في الجملة المخبر بها عن المبتدإ الواقع في الجملة الأولى لمزيد العناية والتحقيق... والإضاعة تطلق مجازا على انعدام الانتفاع بشئ موجود... ويطلق على منع التمكين من شئ والانتفاع به تشبيها للممنوع بالضائع في اليأس من التمكن منه. **﴿أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار...﴾** فصلت عما قبلها فلم تعطف بيانا لما أجمل في الآية السابقة... وافتتاح الآية باسم الإشارة لأجل الأوصاف التي ذكرت من قوله: **﴿آمنوا وعملوا الصالحات﴾**. واللام في لخم لام الملك... ووجه إيثار إضافة تحت إلى ضميرهم دون ضمير الجنات زيادة تقرير المعنى الذي أفادته لام الملك.

فاجتمع في هذا الخبر عدة مقررات لمضمونه. وهي التأكيد مرتين وذكر اسم الإشارة ولام الملك وجر اسم الجهة بمن وإضافة اسم الجهة إلى ضميرهم. والمقصود من ذلك التعريض بإغاظة المشركين؛ لتتقرر بشارة المؤمنين أتم تقرر. وجملة **﴿يُحلّون﴾** مبنية للمجهول بيان لإنعام الله عليهم. بأصناف الزينة من حلى ولباس وراحة. وجملة **﴿متكئين فيها على الأرائك﴾** في موضع الحال من ضمير **﴿يلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبراق﴾**. وجملة **﴿نعم الثواب﴾** استئناف مدح. ومخصوص فعل المدح محذوف لدلالة ما تقدم عليه. والتقدير: نعم الجنات الموصوفة بما ذكر.

وعطف عليه فعل مدح ثان. وهو **﴿وحسنت مرتفقا﴾**. وهذا مقابل قوله في

حكاية أهل النار: ﴿**وساءت مرتفقا**﴾ والمرتفق هنا مستعمل في معناه الحقيقى بخلاف مقابله المتقدم. ﴿**واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على ما تقدم من قوله: ﴿**وقل الحق من ربكم...**﴾ الخ الآيات... فإنه بعد أن بين لهم ما أعد لأهل الشرك وهم الفريق المرفوض... وذكر ما يقابله مما أعد للذين آمنوا. وهم الفريق المقبول، ضرب مثلا لحال الفريقين بمثل قصة أظهر الله فيها تأييده للمؤمن وإهانته للكافر. ﴿**ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منهما منقلبا**﴾: جملة ودخل جنته في موضع الحال من ضمير قال. والمراد به الرجل الغنى، ومعه الرجل الفقير.

وأفرد الجنة هنا وهما جنتان لأن الدخول لا يكون إلا لإحداهما... وقوله مع صاحبه في هذه الحال دال على كفره وظلمه وبطره بنعمة ربه وتبجحه على صاحبه... حتى ظهر لصاحبه المؤمن فرد عليه مستفهما مستغربا: ﴿**قال له صاحبه ـ وهو يحاوره ـ: أكفرت بالذى خلقك من تراب... ثم من نطفة... ثم سواك رجلا**﴾؟!... ثم يستدرك الرجل الصالح رادّا على صاحبه الكافر يبين له ما عليه هو من الإيمان بالله ربه. ويبين له ما يجب أن يكون عليه من شكر نعمة ربه، ويخوفه من النهاية المفجعة الخطيره: ﴿**لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا. ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لاقوة إلا بالله إن ترنى أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتينى خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يُصبح مارها غورا فلن تستطيع له طلبا**﴾.

فوقع كل ما توقع من هلاك الجنتين اللّتين كانتا سببا في افتخاره وتبجحه على صاحبه المؤمن الفقير. ﴿**وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها...**﴾ فهذا عقاب الدنيا بسبب طغيانه واحتقاره المؤمن الفقير... فإنه لما اعتز بتلك النعم وتوسل بها للتكذيب بوعد الله استحق عقاب الله بسلب تلك النعم عنه كما سلبت النعمة عن قارون حين قال: ﴿**إنما أوتيته على علم عندي**﴾. وبهذا كان هذا المثل موضع العبرة للمشركين الذين جعلوا

النعمة وسيلة للترفع عن مجالس الدعوة لأنها تجمع قوما يرونهم أحط منهم وطلبوا من النبئ - صلى الله عليه وسلم - طردهم عن مجلسه.

﴿**ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا**﴾: إن هذا الكلام حكاية لما يقوله الكافر يوم القيامة كما ذهب إليه بعض المفسرين. وهو الظاهر من سياق الكلام السابق واللاحق... فقوله: ﴿**هنالك الولاية لله الحق تقرير وتأكيد لقوله: ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا**﴾. وهنالك إشارة إلى الدار الآخرة: لأن في تلك الدار الولاية لله الحق. ويناسب قوله: ﴿**هو خير ثوابا وخير عقبا**﴾. ويكون كقوله تعالى: ﴿**لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**﴾. وهو إيجاز بديع وتوجيه لزوال الدنيا السريع.

ويؤيد هذا الرأى ما يأتى من قوله تعالى: ﴿**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا...**﴾ فهنا يتناسق الكلام في السياق بوحدة الموضوع وترتب بعضه مع بعض وضرب هذا المثل للناس بحالة الدنيا ومصيرها بحالة نبات أَيْنَعَ بسبب هطول الماء عليه حتى بلغ غايته من النمو والزهو... ثم اعتراه الذبول والاضمحلال... فشبهت هيئة إقبال نِعَم الدنيا في الحياة مع الشباب والجدة وزخرف العيش لأهله... ثم نقلص ذلك بزوال نفعه... ثم انقراضه أشتاتا، بهيئة إقبال الغيث منبت الزرع ونشأته عنه ونضارته ووفرته... ثم أخذه في الانتقاص وانعدام التمتع به. ثم تطايره أشتاتا في الهواء. تشبيها لمركب محسوس بمركب محسوس.

وجملة ﴿**وكان الله على كل شئ مقتدرا**﴾ جملة معترضة في آخر الكلام. موقعها التذكير بقدرة الله تعالى على خلق الأشياء وأضدادها، وجعل أوائلها مفضية إلى أواخرها. وترتيبهُ أسباب الفناء على أسباب البقاء، وذلك اقتدار عجيب! وقد أفيد ذلك على أكمل وجه بالعموم الذي في قوله: ﴿**على كل شيء**﴾. وهو بذلك العموم أشْبَهَ التذْيِيلَ. وهذه الآية عطفت على ما قبلها عطف عام على خاص. ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا**﴾: فصلت هذه الآية عما قبلها فلم تعطف؛ لأنها في مقام الموعظة والعبرة

والتذكير بمصير أهل المال والبنين. والاغتباط بالمال والبنين شنشنة معروفة في العرب. ﴿**والباقيات الصالحات**﴾ صفتان جَرَتَا على موصوف محذوف أى: الأعمال الصالحات الباقيات... فهى خيْرٌ من زينة الحياة الدنيا التي هي غير باقية.

وكان مقتضى الظاهر في ترتيب الوصفين أن يقدم الصالحات على الباقيات... ولكن خولف مقتضى الظاهر هنا فقدم الباقيات للتنبيه على أن ما ذُكر قبله إنما كان مفضولا لأنه ليس بباق. وهو ﴿**المال والبنون**﴾ فكان هذا التقديم قاضيا لحق الإيجاز لإغنائه عن كلام محذوف؛ تقديره: أن ذلك ليس بباق، والباقيات من الصالحات خير منه. فكان قوله: ﴿**فأصبح هشيما تذروه الرياح**﴾ مفيدا للزوال بطريقة التمثيل، وهو من دلالة التضمن. وكان قوله: ﴿**والباقيات**﴾ مفيدا زوال غيرها بطريقة الالتزام. فحصل دلالتان غير مطابقتين. وهما أوقع في صناعة البلاغة. وحصل بثانيتهما تأكيد لمفاد الأولى. فجاء كلاما مؤكدا موجزا.

وتقديم المال على البنين في الذكر لأنه أسبق خطورا لأذهان الناس؛ لأنه يرغب فيه الصغير والكبير والشاب والشيخ ومن له من الأولاد ما كفاه فبهذا التقرير تظهر فائدة الصالحات من الأعمال العاجلة والآجلة في الحال والمآل. ﴿**ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا**﴾: وصلت هذه الآية وما بعدها بالعطف على آية ﴿**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا**﴾ وما بعدها... فبعد أن بين لهم تعرض ما هم فيه من نعيم إلى الزوال على وجه الموعظة أعقبه بالتذكير بما بعد ذلك الزوال بتصوير حال البعث وما يترقبهم فيه من العذاب على كفرهم به.

وذلك مقابلة لضده المذكور في قوله: ﴿**والباقيات الصالحات خير...**﴾ والخطاب في قوله: ﴿**وترى الأرض بارزة**﴾. للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجملة ﴿**وحشرناهم**﴾ معطوفة على جملة ﴿**نسير الجبال**﴾ على تأويله بنحشرهم؛ بأن أطلق الفعل الماضى على المستقبل تنبيها على تحقُّق وقوعه. وعرضوا على ربك صفا: متصل بالعطف على قوله: ﴿**وحشرناهم...**﴾ وعرض الشئ إحضاره ليرى حاله وما يحتاجه؛ ومنه عرض الجيش على الأمير ليرى حالهم وعدتهم. وهو هنا مستعار لإحضارهم حيث يعلمون أنهم سيتلقون ما يأمر الله به في شأنهم.

وعدل عن الاضمار إلى التعريف بالإضافة بقوله: ﴿**على ربك**﴾؛ دون أن يقال: علينا؛ لتضمّن الإضافة تنويها بشأن المضاف إليه؛ بأن في هذا العرض وما فيه من التهديد نصيبا من الانتصار للمخاطب؛ إذ كذبوه حين أخبرهم وأنذرهم بالبعث. وجملة ﴿**لقد جئتمونا**﴾ مقول لِقول محذوف دل عليه أنّ الجملة خطابٌ للمعروضين فتعين تقرير القول والخبر في قوله: ﴿**لقد جئتمونا**﴾ مستعمل في التهديد والتغليظ والتنديم على إنكارهم البعث. والمجئ مجاز في الحضور.

شبهوا حين موتهم بالغائبين وشبهت حياتهم بعد الموت بمجئ الغائب. وقوله: ﴿**كما خلقناكم أول مرة**﴾ واقع موقع المفعول المطلق المفيد للمشابهة. والمقصود التعريض بخطئهم في إنكارهم البعث. والإضراب في قوله: ﴿**بل زعمتم أن لن بجعل لكم موعدا**...﴾ انتقال من التهديد وما معه من التعريض بالتغليظ إلى التصريح بالتغليظ في قالب الإنكار. فالخبر مستعمل في التغليظ مجازا وليس مستعملا في مدلوله الأصلى. ﴿**ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه**﴾: الكلام موصول بالعطف على قوله وعرضوا... والكتاب مراد به الجنس. وتفرع على وضع الكتاب بيان حال المجرمين عند وضعه: والتعبير بالمضارع في جملة ﴿**ويقولون يا ويلتنا**...﴾ لاستحضار الحالة الفظيعة.

ونداء الويل ندبة للتوجع... وأصله نداء استعمل مجازًا لتنزيل مالا ينادى منزلة ما يُنَادَى لقصد حضوره؛ كأنه يقول: هذا وقتك فاحضرى!. ثم شاع ذلك فصار لمجرد العرض من النداء وهو التوجُّع ونحوه... والوَجلة تأنيث الويل للمبالغة، وهو سوء الحال والهلاك. والاستفهام في قولهم: ﴿**ما لهذا الكتاب**...﴾ مستعمل في التعجب وجملة لايغادر في موضع الحال. هي مثار التعجب. ﴿**صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها**﴾: الصغيرة والكبيرة وصفان لموصوف محذوف... وتقديم ذكر الصغيرة لأنها أهم من حيث تعلق التعجب من إحصائها، وعطفت عليها الكبيرة لإرادة التعميم في الإحصاء والاستثناء من عموم أحوال الصغيرة والكبيرة... فالاستثناء هنا من تأكيد الشئ بما يشبه ضده.

وجملة ﴿**ووجدوا ما عملوا حاضرا**...﴾ في موضع الحال من ضمير يقولون... وجملة ﴿**ولا يظلم ربك أحدا**﴾ عطف على جملة ﴿**ووجدوا**...﴾ لما أفهمته الصلة من أنهم لم يجدوا غير ما عملوا... فعوملوا بمثل ما عملوا: ﴿**ولا**

يظلم ربك أحدا!. وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾: وصل الكلام بالعطف على ما قبله تفننا لغرض الموعظة الذي سيقت له هذه الجمل. وهو التذكير بعواقب اتباع الهوى، والإعراض عن الصالحات. وبِمَدَاحِضِ الكبرياء والعجب واحتقار الفضيلة، والابتهاج بالأعراض التي لا تكسب أصحابها كَمَالاً نفسيًا، وكما وُعّظوا بآخر أيام الدنيا ذُكّروا هنا بالموعظة في أول أيامها وهو يوم خلق آدم.

وهذا أيضا تمهيد وتوطئة لقوله: **﴿ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم﴾**. فإن الإشراك كان من غرور الشيطان بنى آدم ولها أيضا مناسبة بما تقدم من الآيات التي أنحت على الذين افتخروا بجاههم وأموالهم، واحتقروا فقراء أهل الإسلام ولم يميزوا بين الكمال الحق والغرور الباطل... فكان في قصة إبليس نَحْوَ آدم مثل لهم... وهذه القصة تكررت في مواضع كثيرة من القرآن. وهي في كل موضع تشتمل على شئ لم تشتمل عليه في الأخر. ولها في كلّ موضع ذكرت فيه عبرة تخالف عبرة غيره فذكرُها في سورة البقرة ـ مثلا ـ إعلام بمبادئ الأمور. وذكرُها هنا تنظير للحال وتوطئة للانكار والتوبيخ. وقس على ذلك.

والفسق هنا مجاز في التجاوز والعدول في قوله: **﴿عن أمر ربه...﴾** إلى التعريف بطريق الإضافة دون الضمير لتفظيع فسق الشيطان عن أمر الله بأنه فسق عبد عن أمر من تجب عليه طاعته لأنه مالكه وجملة كان من الجن بيان لأصل إبليس. وجملة **﴿ففسق عن أمر ربه﴾** مفرعة عليه **﴿أفتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾**: مفرع على التذكير بفسق الشيطان وعلى تعاظمه على أصل النوع الإنسانى إنكار اتخاذه واتخاذ جنده أولياء؛ لأن تكبره على آدم يقتضى عداوته للنوع، ولأن عصيانه أمر مالكه يقتضى أنه لا يرجى منه خير، وليس أهلا لأن يتبع. والاستفهام مستعمل في الإنكار والتوبيخ للمشركين.

وجملة **﴿وهم لكم عدوّ﴾** جملة حالية. وجملة **﴿بئس للظالمين بدلا﴾** مستانفة لإنشاء ذم إبليس وذريته باعتبار اتخاذ المشركين إياهم أولياء. وإظهار الظالمين في موضع الاضمار للتشهير بهم، ولما في الاسم الظاهر من معنى الظلم الذي هو ذم لهم. **﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾**: تتنزل هذه الجملة منزلة التعليل للجملتين اللتين قبلها... فإنهم لمّا لم يشهدوا خلق

السماوات والأرض لم يكونوا شركاء الله في الخلق بطريق الأولى. والإشهاد هنا كناية عن إحضار خاص، وهو إحضار المشاركة في العمل أو الإعانة عليه. ونفى هذا الشهود يستلزم نفى المشاركة في الخلق والإلهية بالأولى... فإن خلق السماوات والأرض كان قبل وجود إبليس وذريته... فهو استدلال على انتفاء إلهيتهم بسبق العدم على وجودهم. وكل ماجاز عليه العدم استحال عليه القدم. والقدم من لوازم الإلهية.

وجملة ﴿**وما كنت متخذ المضلين عضدا**﴾ تذييل لجملة ما أشهدتهم... والعدول عن الإضمار بأن يقال: وما كنت متخذهم، إلى المضلين لإفادة الذم ولأن التذييل ينبغى أن يكون كلاما مستقلا. والعضد يطلق مجازا على المعين على العمل. ﴿**ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم**﴾: اليوم الذي يقع فيه هذا القول هو يوم الحشر. وهو انتقال من إبطال معبودية الشيطان والجن إلى إبطال إلهية جميع الآلهة التي عبدها المشركون مع بيان ما يعتريهم من الخيبة واليأس يومئذ. وقد سلك في إبطال إلهيتها طريق الأسلوب المنطقى. وهو الاستدلال على انتفاء الماهية بانتفاء لوازمها... فإنه إذا انتفى نفعُها للذين يعبدونها، استلزم ذلك انتفاء إلهيتها. وحصل بذلك تشخيص خيبتهم ويأسهم من النجاة.

وأمره إياهم بمناداة شركائهم مستعمل في معناه مع إرادة لازمه، وهو إظهار باطلهم بقرينة فعل الزعم ولذلك لم يسعهم إلا أن ينادوهم حيث قال: ﴿**فدعوهم**﴾ لطمعهم فإذا نادوهم نبين خيبة طمعهم... ﴿**فلم يستجيبوا لهم**﴾. وجملة ﴿**وجعلنا بينهم موبقا**﴾ جعلت تمهيدا لما بعدها: ﴿**ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا**﴾. اتصلت هذه الآية بالعطف على قوله وجعلنا بينهم موبقا. أى: جعلنا الموبق ورآه المجرمون. وذكر المجرمين إظهارٌ في مقام الإضمار؛ للدلاله على ما يفيده المجرمون من تلبسهم بما استحقوا به عذاب النار. وكذلك عبر بالنار في مقام الإضمار للموبق للدلالة على أن الموبق هو النار فهو شبيه بعطف البيان والظن مستعمل في معنى التحقق... والمواقعة مفاعلة من الوقوع. وهو الحصول لقصد المبالغة.

والمصرف مكان الصرف. والمعنى لم يجدوا مكان ينصرفون إليه ليتخلصوا

من عذاب النار. ﴿**ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل**﴾: الكلام متصل بالعطف على الجمل السابقة التي ضربت لهم فيها الأمثال... ولما كان في ذلك لهم مقنع وما لهم منه مدفع عاد إلى التنويه بهدى القرآن عَوْدًا ناظرا إلى قوله: ﴿**واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك...**﴾ وقوله: ﴿**وقل الحق من ربكم**﴾ فأشار لهم أن هذه الأمثال التي قرعت أسماعَهم هي من جملة هدى القرآن الذي تبرموا منه.

وقدم ذكر القرآن. هنا على الناس؛ لأن ذكر القرآن أهم من ذكر الناس بالأصالة. ولا مقتضى للعدول عنه هنا... بل الآمر بالعكس؛ لأن الكلام جار في التنويه بشأن القرآن، وأنه ينزل بالحق لابهوى النفس. وجملة وكان الإنسان أكثر شئ جدلا: تذييل. وهو مؤذن بكلام محذوف على وجه الإيجاز. والتقدير: فجادلوا فيه وكان الإنسان... وجدلا تمييز لنسبة الأكثرية إلى الإنسان. فالمراد بالجدل هنا شدة الخصومة بالباطل، والمماراة من الجدل الذي هو الفشل. والمجادلة الملاومة... والمعنى أنّ جدَله أكثر من جدل كل مجادل.

﴿**وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا**﴾: الكلام هنا متصل بالعطف على ما قبله. وكان العطف بالواو دون الفاء لتكون الجملة مستقلة اهتماما بمضمونها... فتكون فائدة مستقلة تُستأْهل توجه العقول إلى وعيها لذاتها لا لأنها فرع على غيرها. وعموم الناس هنا أشمل من عموم لفظ الناس في قوله: ﴿**ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس...**﴾ فإن ذلك يعم الناس الذين يسمعون القرآن في أزمان ما بعد نزول تلك الآية. وهذا يعم الناس كلهم الذين امتنعوا من الإيمان بالله. وكذلك عموم لفظ الهدى يشمل هدى القرآن وما قبله من الكتب الإلهية وأقوال الانبياء كلها... فكانت هذه الجملة قياسا تمثيليا بشواهد التاريخ وأحوال تلقى الأمم دعوات رسلهم.

والمعنى: ما منع هؤلاء المشركين من الإيمان بالقرآن شئ يمنع مثله... ولكنهم كالأمم الذين قبلهم الذين جاءهم الهدى بأنواعه من كتب وآيات وإرشاد إلى الخير. والمراد: ما منعهم من الإيمان إلا سبب إتيان سنة الأولين لهم أو إتيان العذاب. وسبب ذلك هو التكبر والمكابرة والتمسك بالضلال. وهذا كناية عن

انتفاء إيمانهم إلا أن يحل بهم أحد العذابين. . . وفي هذه الكناية تهديد وإنذار وتحذير وحث على المبادرة بالاستغفار من الكفر. ﴿**وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين**﴾: وصل الكلام بما قبله بالعطف. . . فبعد أن أشار إلى جدالهم في هدى القرآن بما مهد له من قوله: وكان الإنسان أكثر شئ جدلا، وأشار إلى أن الجدال فيه مجرد مكابرة وعناد، وأنه لا يحف بالقرآن ما يمنع من الإيمان به، كما لم يحف بالهدى الذي أرسل إلى الأمم ما يمنعهم الإيمان به، أعقب ذلك بأن وظيفة الرسل التبليغ بالبشارة والنذارة، لا التصدى للمجادلة؛ لأنها مجادلة لم يقصد منها الاسترشاد بل الغاية منها إبطال الحق.

وجملة ﴿**ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق متصلة بقوله: وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين. . .**﴾ وكلتا الجملتين مرتبطة لجملتى ﴿**ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شئ جدلا. . .**﴾ وترتيب هذه الجمل في الذكر جار على ترتيب معانيها في النفس، بحيث يشعر بأن كل واحدة منها ناشئ معناها على معنى التي قبلها. . . فكانت جملة ﴿**ويجادل الذين كفروا بالباطل**﴾ مفيدة معنى الاستدراك. والمعنى: أرسلنا الرسل مبشرين ومنذرين بما فيه مقنع لطالب الهدى. . . ولكن الذين جادلوه بالباطل لإزالة الحق لا لقصد آخر. والإدحاض هنا مجاز في الإزالة. وهو العلة في المجادلة.

وجملة ﴿**واتخذوا آياتي**﴾ متصلة بجملة ﴿**ويجادل الذين كفروا بالباطل. . .**﴾ فإنهم ما قصدوا بالمجادلة الاهتداء. . . ولكن أرادوا إدحاض الحق واتخاذ الآيات كلها وبخاصة آيات الإنذار هزؤًا وعطف على الآيات وما أنذروا عطف خاص على عام؛ لأنه أبلغ في الدلالة على توغل كفرهم وحماقة عقولهم. والاستهزاء بالآيات: هو الاستهزاء عند سماعها. كما يفعلون عند سماع آيات الإخبار بالبعث وعند سماع آيات الوعيد والإنذار بالعذاب. ﴿**ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه**﴾: وصل الكلام بما قبله لكونه نتيجة لما سبقه من مجادلة واستهزاء وإعراض وغفلة عن سوء ما فعلوا وقالوا. . . فجاء الاستفهام هنا مرادًا به الإنكار عن عملهم. . . والآية مصوغة بصيغة العموم والمقصود الأول منها مشركوا أهل مكة.

وجملة ﴿**إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه**﴾ مستأنفة بيانية نشأت على

جملة ﴿**ونسى ما قدمت يداه. . .**﴾ وهو يفيد معنى التعليل بالمآل. والأكنة مراد بها الشئ الحائل أو المانع. والوقر: مراد به المانع من السماع. . . فالسماع وسيلة من وسائل الإدراك. وجملة ﴿**وإن تدعهم إلى الهدى**﴾ عطف على جملة ﴿**إنا جعلنا على قلوبهم**﴾. وهي متفرعة عليها، ولكنها لم تعطف بالفاء؛ لأن المقصود جعل ذلك في الإخبار المستقلة.

وجملة ﴿**فلن يهتدوا إذًا أبدا**﴾: جواب الشرط. وأكد نفى اهتدائهم بحرف توكيد النفى وهو لن. وبلفظ أبدا المؤكد لمعنى لن، مؤكد لمعنى لن، وبحرف الجزاء المفيد تسبب الجواب على الشرط. وإنما حصل معنى الجزاء باعتبار تفرع جملة الشرط على جملة الاستئناف البيانى. بمعنى أن نلك مسبب على فطر قلوبهم على عدم قبول الحق. ﴿**وربك الغفور ذو الرحمة**﴾: ترغيب بعد الترهيب. وتوجيه الخطاب للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إيماء إلى أن مضمون الخبر تكريم له لو يؤاخذهم بما كسبوا لَعَجّل لهم العذاب: بيان لقوله: ﴿**وربك الغفور ذو الرحمة. بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا**﴾: بل هنا للإضراب الإبطالي عن مضمون جواب لو. . . وأكد النفى بلن في قوله: ﴿**لن يجدوا. . .**﴾ ردا على إنكارهم، إذ هم يحسبون أنهم مفلتون من العذاب حين يرون أنه تأخر مدة طويلة. ﴿**وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على جملة بل لهم موعد: والإشارة بتلك إلى مقدر في الذهن. . . فالعرب الذين سمعوا هذا الكلام يعرفون آثار القرى التي هلكت ـ وهم يرونها في طريقهم إلى الشام وإلى اليمن ـ فكانت كالحاضرة حين الإشارة.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا**﴾: في هذا التوجيه يتجه الخطاب إلى الرسول ليتلو ما أوحى إليه من كتاب ربه. وفيه فصل الخطاب ـ وهو الحق الذي لا يأتيه الباطل ـ وهو الباقى الذي لا يبدل ولا يُغيَّر. . . فربك هو الملجأ الذي تأوى إليه كما أوى أهل الكهف إليه. . . ثم يتجه السياق بتوجيه الرسول إلى أن يكون مع المؤمنين الصادقين الذين يتجهون إلى الله. وأن يغفل ويترك ويهمل الذين يغفلون عن ذكر الله: ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه. .**﴾ فالله غايتهم

يتجهون إليه بالغداة والعشى في أوقات الصلاة، لا يتحولون عنه ولا يبتغون إلا رضاه، وما يبتغونه أجلّ وأعلى من كل ما يبتغيه طلاب الحياة. اصبر نفسك مع هؤلاء. صاحبْهم وجالسْهم وعلّمْهم... ففيهم الخير، وعلى مثلهم تقوم الدعوات... فالدعوات لا تقوم على من يعتنقونها لأنها غالبه، ومن يعتنقونها ليقودوا بها الأتباع ومن يعتنقونها ليحققوا بها الأطماع، وليتجروا بها في سوق الدعوات تشترى منهم وتباع إنما تقوم الدعوات بهذه القلوب التي تتجه إلى الله خالصة له، لا تبغى جاها ولامتاعا ولا انتفاعا.

إنما تبغى وجهه وترجو رضاه: ﴿**ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا...**﴾ لا يتحول اهتمامك عنهم إلى مظاهر الحياة التي يستمتع بها أصحاب الزينة... فهذه زينة الحياة الدنيا لا ترتفع إلى ذلك الأفق العالى الذي يتطلع إليه من يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه: ﴿**ولا تُطِعْ من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا...**﴾ لا تطع فيما يطلبون من تمييز بينهم وبين الفقراء فلو ذكروا الله لطامنوا من كبرائهم، وخففوا من غلوائهم، وخفّضوا من تلك الهامات الشامخة، واستشعروا جلال: الله الذي تتساوى في حماه النفوس، فلا فرق بين رئيس ومرؤوس وأحسوا رابطة العقيدة التي يُصبح الناسُ فيها إخوةً؛ ولكنهم إنما يتّبعون أهواءهم أهواء الجاهلية، ويُحكِّمون مقاييسها في العباد. فهم وأقوالهم سفهٌ ضائع لا يستحق إلا الإغفال جزاء ما غفلوا عن ذكر الله.

لقد جاء الإسلام ليسوى بين الرؤوس أمام الله فلا تفاضل بينها بمال ولا نسب ولا جاه. فهذه أوهام زائفة وقيم زائلة... إنما التفاضل بمكانها عند الله. ومكانها عند الله يوزن بقدر اتجاهها إليه وتجردها له. وماعدا هذا فهو الهوى والسفه والبطلان. ﴿**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا**﴾: أغفلنا قلبه حين اتجه إلى ذاته وإلى ماله وإلى أبنائه وإلى متاعه ولذائذه وشهواته... فلم يعد في قلبه متسع لله. والقلب الذي يشتغل بهذه الشواغل ويجعلها غاية حياته لا جرم يغفل عن ذكر الله فيزيده الله غفلة ويملى له فيما هو فيه... حتى تفلت الأيام من بين يديه ويلقى ما أعده الله لأمثاله الذين يظلمون أنفسهم ويظلمون غيرهم: ﴿**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر...**﴾ بهذه العزة وبهذه الصراحة وبهذه الصرامة... فالحق لا يَنْثَنِى ولا ينحنى.

إنما يسير في طريقه قيّما لاعوج فيه. قويا لا ضعف فيه صريحا لا مداورة فيه! : ﴿**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.**﴾ ومن لم يعجبه الحق فليذهب، ومن لم يجعل هواه تبعا لما جاء من عند الله فلا مجاملة على حساب العقيدة؛ ومن لم يَحْنُ هامته ويطامن من كبريائه أمام جلال الله فلا حاجة بالعقيدة إليه. إن العقيدة ليست ملكا لأحد حتى يجامل فيها إنما هي ملك لله والله غنى عن العالمين. والعقيدة لا تعتز ولا تنتصر بمن لا يريدونها لذاتها خالصةً، ولا يأخذونها كما هي بلا تحوير. والذي يترفع عن المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه لا يرجى منه للإسلام ولا للمسلمين خير.

ثم يعرض ما أُعِدَّ للكافرين وما أُعِدّ للمؤمنين في مشهد من مشاهد القيامة: ﴿**إنا اعتدنا للظالمين نارا..**﴾ أعددناها وأحضرناها... فهى لا تحتاج إلى جهد لإيقادها ولا تستغرق زمنا لإعدادها! والتعبير هنا يلقى ظل السرعة والتهيؤ والاستعداد والأخذ المباشر إلى النار المعدة المهيأة للاستقبال. وهي نار ذات سرادق يحيط بالظالمين فلا سبيل إلى الهرب ولا أمل في النجاة والإفلات ولا مطمع في منفذ تهبّ منه نسمة أو يكون فيه استرواح: ﴿**أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه**﴾!. فإن استغاثوا من الحريق والظمإ أغيثوا بماء كدرٍ منتنٍ محرق يشوى الوجوه بالقرب منه... فكيف بالحُلُوق والبطون التي تتجرعه؟!: ﴿**بئس الشراب**﴾ الذي يغاث به الملهوفون من الحريق... ﴿**وساءت مرتفقا...**﴾ ويا لسوء النار وسرادقها مكانا للارتفاق والاتكاء.

وفى ذكر الارتفاق في سرادق النار تهكمٌ مريرا. ولكنها مقابلة مع ارتفاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات هنالك في الجنان. وبينما هؤلاء كذلك إذ الذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات عدن: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا. أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يُحلّوْن فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبراق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا**﴾. ومن شاء فليختر. ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. ومن شاء فليجالس الفقراء من المؤمنين أو يبتعد عنهم ليرتفق في سرادق النار... وليرى ما يرى ويذيق ما يذيق من عذاب النار.

التوجيه الثاني: ﴿**واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجّرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر...**﴾: في هذا التوجيه يخاطب الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يضرب لأهل مكة مثلا للقيم الزائلة والقيم الباقية. ويُرسَمُ فيه نموذجان واضحان للنفس المعتزة بزينة الحياة، والنفس المعتزة بالله. وكلاهما نموذج إنسانى لطائفة من الناس: صاحب الجنتين نموذج للرجل الثرى، تذهله الثروة، وتبطره النعمة فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة. فها هو ذا صاحب الجنتين تمتلئ نفسه بهما، ويزدهيه النظر إليهما فيحس بالزهو ويختفش كالديك ويختال كالطاووس، ويتعالى على صاحبه الفقير: ﴿**فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا...**﴾ ثم يخطو بصاحبه إلى إحدى الجنتين، وملء نفسِه البطر، وملء جنبه الغرور، وقد نسى الله، ونسى أن يشكره على ما أعطاه؛ وظن أن هذه الجنان المثمرة لن تبيد أبدا، وأنكر قيام الساعة أصلا.

وهبها قامت فسيجد هنالك الرعاية والإيثار! أليس من أصحاب الجنان في الدنيا فلا بد أن يكون جنابُه ملحوظا في الآخرة؟!: ﴿**ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منهما منقلبا**﴾. إنه الغرور يخيل لذوى الجاه والسلطان والمتاع والثراء أن القيم التي يعاملهم بها أهل هذه الدنيا الفانية تظل محفوظة لهم حتى في الملإ الأعلى فما داموا يستطيلون على أهل هذه الأرض فلا بد أن يكون لهم عند السماء مكان ملحوظ!. فأما صاحبه الفقير الذي لا مال له ولا نفر، ولا جنة عنده ولا ثمر.. فإنه معتز بما هو أبقى وأقلى. معتز بعقيدته وإيمانه. معتز بالله الذي تعنو له الجباه فهو يَجْبَهُ صاحبه المتبطر المغرور منكرا عليه بطرَه وكبرَه، ويذكّره بمنشئِه المهين من ماء وطين ويوجهه إلى الأدب الواجب في حق المنعم.

وينذره عاقبة البطر والكبر. ويرجو عند ربه ما هو خير من الجنة والثمار: ﴿**قال له صاحبه وهو يحاوره، أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة، ثم سواك رجلا: لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا. ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترنى أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتينى**

خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا. . .﴾ وهكذا تنتفض عزة الإيمان في النفس المؤمنة. . . فلا تبالى المال والنفر، ولا تدارى الغنى والبطر، ولا تتلعثم في الحق، ولا تجامل فيه الأصحاب.

وهكذا يستشعر المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال، وأن ما عند الله خير من أعراض الحياة، وأن فضل الله عظيم، وهو يطمع في فضل الله، وأن نقمة الله جبارة، وأنها وشيكة أن تصيب الغافلين المتبطرين. وفجأة ينقلنا السياق من مشهد الماء والازدهار إلى مشهد الدمار والبوار: **﴿وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها. . .﴾** فهو مشهد شاخص كامل: المثل كله مدمر كأنما أخذ من كل جانب: فلم يسلم منه شئ.

والجنة خاوية على عروشها مهشمة محطمة وصاحبها يقلب كفيه أسفا وحزنا على مالِهِ الضائع وجهده الذاهب. . . فيذهب به هذا الأسف إلى الفناء كما فنيت جنتاه وضاع كل أمل وجاه. . . وفجأة نجده في ساحة القيامة يندب حظه ويتحسر على ما فاته من الإيمان والهداية: **﴿ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا. . .﴾** فقد ترك كل شئ في الدنيا فهلك وانتهى. . . ويأتى إلى ربه فريدا وحيدا يتذكر ما كان له من مال ونفر، ويتذكر ما كان يرجوه من معبوداته من عزة ونصر. . . ويتذكر ما قاله لصاحبه حين يفتخر عليه بماله من عزة ونفر. . . ويتذكر ويتذكر ويتذكر. . . ولكن ما فات مات. وكل ما هو آت آت: هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا.

التوجيه الثالث: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾: في هذا التوجيه مشهد الدنيا بما فيها وعليها يضرب مثلا لماء نزل من السماء سقى الأرض فانبتت وأينعت وازدهت وازدهرت. . . ثم ذبلت فانهارت وتلاشت. . . فهذا هو شريط الحياة يعرض أمام الأبصار فإذا هو كالجنة المضروبة التي سبق فيها الحوار. . . فإذا هي حياة قصيرة قصيرة لابقاء لها ولا قرار ولقد استخدم النسق اللفظى في تقصير عرض المشاهد بالتعقيب الذي تدل عليه الفاء: **﴿ماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح﴾** فما أقصرها حياة! وما أهونها حياة!.

وبعد أن يلقى مشهد الحياة الذاهبة ظله في النفس يقرر السياق بميزان العقيدة قيم الحياة التي يتعبدها الناس في الأرض والقيم الباقية التي تستحق الاهتمام: ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا**﴾. المال والبنون زينة الحياة؛ والإسلام لا ينهى عن المتاع بالزينة في حدود الطيبات، ولكنه يعطيها القيمة التي تستحقها الزينة في ميزان الخلود ولا يزيد... إنهما زينة ولكنهما ليسا قيمة فما يجوز أن يوزن بهما الناس، ولا أن يُقدّروا على أساسهما في الحياة... إنما القيمة الحقة للباقيات الصالحات من الأعمال وفي الأعمال وفي الأفعال والأقوال والعبادات والمعاملات. فإذا كان أمل الناس عادة يتعلق بالأموال والبنين فإن ﴿**الباقيات الصالحات خير ثوابا وخير أملا**﴾، وعندما تتعلق بها القلوب ويناط بها الرجاء ويرتقب المؤمنون نتاجها وثمارها يوم الجزاء.

وهكذا يتناسق التوجيه فيها للرسول في أن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه... مع إيحاء قصة الجنتين... مع ظل المثل المضروب للحياة الدنيا... مع هذا التقرير الأخير في الحياة وما بعد الحياة... وتشترك كلها في تصحيح القيم بميزان العقيدة. وتتساوق كلها في السورة وفق قاعدة التناسق الفنى والتناسق الوجدانى في القرآن. ﴿**ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا**﴾: واذكر ذلك اليوم الذي يكون للباقيات الصالحات وزن فيه وحساب... ذلك اليوم الذي تتحرك فيه الجبال الراسخة فتُسيّر، فكيف بالقلوب؟!. وتتبدى فيه الأرض عارية، وتبرز فيه صفحتها مكشوفة لا نجاد فيها ولا وهاد، ولا جبال فيها ولا وديان، وكذلك تنكشف خبايا القلوب فلا تخفى منها خافية.

ومن الحشر الجامع الذي لا يخلّف أحدا إلى العرض الشامل: ﴿**وعرضوا على ربك صفا...**﴾ فهذه الخلائق التي لا يحصى لها عدد منذ أن قامت البشرية على ظهر هذه الأرض إلى نهاية الحياة الدنيا... هذه الخلائق كلها محشوة مجموعة مصفوفة..لم يتخلف منها أحد... فالأرض مكشوفة مستوية لاتُخْفِى أحدًا... وهنا يتحول السياق من الوصف إلى الخطاب... فكأنما المشهد حاضر اللحظة شاخص نراه ونسمع ما يدور فيه... ونرى الخزى على وجوه القوم الذين كذبوا بذلك الموقف وأنكروه: ﴿**لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن**

لن نجعل لكم موعدا. . .﴾ وإنا لنكاد نلمح الخزى على الوجوه، والذل في الملامح وصوت الجلالة الرهيب يجبه هؤلاء المجرمين بالتأنيب: **﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾** وكنتم تزعمون أن ذلك لن يكون!. . ثم يرسم مشهدا آخر: مشهد إحضار الكتب وما فيها: **﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين: مما فيه. . .﴾** فهذا هو سجل أعمالهم يوضع أمامهم، وهم يتملونه ويراجعونه. . . فإذا هو شامل دقيق. . . وهم خائفون من العاقبة، ضيقوا الصدور بهذا الكتاب الذي لا يترك شاردة ولا واردة.

ولا تندّ عنه صغيرة ولا كبيرة: **﴿ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾**. وهي قولة المحسور المغيظ الخائف المتوقع لأسوإ العواقب، وقد ضبط مكشوفا لا يملك تفلُّتًا ولا هربا ولا مغالطة ولا مداورة: **﴿ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾**. هؤلاء المجرمون الذين وقفوا ذلك الموقف كانوا يعرفون أن الشيطان عدو لهم. . ولكنهم تولوه فقادهم إلى ذلك الموقف العصيب. . . فما أعجب أن يتولَّه إبليس وذريته وهم لهم عدو منذ ما كان بين آدم وإبليس: **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾**.

وهذه الإشارة إلى تلك القصة القديمة تجئ هنا للتعجيب من أبناء آدم الذين يتخذون إبليس وذريته أولياء من دون الله، بعد ذلك العداء القديم. واتخاذ إبليس وذريته أولياء يتمثل في تلبية المعصية والتولى عن دواعى الطاعة. ولماذا يتولون أعداءهم هؤلاء وليس لديهم علم ولا لهم قوة. . . فالله لم يشهدهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم فيطلعهم على غيْبِهِ والله لا يتخذهم عضدا فتكون لهم قوة: **﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا. . .﴾** إنما هم خلق من خلق الله. . . لا يعلمون غيبَه. ولا يستعين بهم سبحانه!.

فهل يتخذ الله سبحانه غير المضلين عضدا؟ إنما هو تعبير فيه مجاراة لأوهام المشركين لتتبعها واستئصالها. . . فالذين يتولون الشيطان ويشركون به مع الله إنما يسلكون هذا المسلك توهما منهم أن للشيطان علما خفيا وقوة خارقة. . .

والشيطان مضل... والله يكره الضلال والمضلين... فلو أنه ـ على سبيل الفرض والجدل ـ كان متخذا له مساعدين لما اختارهم من المضلين... ثم يعرض مشهد من مشاهد القيامة يكشف عن مصير الشركاء ومصير المجرمين: ﴿**ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا...**﴾ فهم الآن في الموقف الذي لا تجدى فيه دعوى بلا برهان... والديان يطالبهم أن يأتوا بشركائهم الذين زعموا... ويأمرهم أن يدعوهم ليحضروا... وإنهم لفى ذهول ينسون أنها الآخرة فينادون... ولكن الشركاء لا يجيبون!.. فهم بعض خلق الله الذين لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئا في الموقف المرهوب. وقد جعل الله بين المعبودين وعبادهم مهلكة لايجتازها هؤلاء ولا هؤلاء.. إنها النار. ويتطلع المجرمون.. فتمتلىء نفوسهم بالخوف والهلع، وهم يتوقعون في كل لحظة أن يقعوا فيها. وما أشق توقع العذاب وهو حاضرا، وقد أيقنوا أن لا نجاة منها ولا مخلص: ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا...

التوجيه الرابع: ﴿**ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شئ جدلا**﴾ في هذا التوجيه لفت نظر الإنسان ليعتبر بالأمثال التي جاء بها هذا القرآن... ولكن الإنسان صرف نظره عن هذا البيان، وتعلق بما هو هالك وفان... فيعبر السياق هنا عن هذا الإنسان في هذا المقام بأنه شئ، وأنه أكثر شئ جدلا... ذلك كى يطامن الإنسان من كبريائه، ويقلل من غروره، ويشعر أنه خلق من مخلوقات الله الكثيرة، وأنه أكثر هذه الخلائق جدلا.

بعدما صرّف الله في هذا القرآن من كل مثل. ثم يعرض السياق الشبهة التي تعلق بها من لم يؤمنوا ـ وهم كثرة الناس ـ على مدار الزمان والرسالات: ﴿**وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا...**﴾ فلقد جاءهم من الهدى ما يكفى للاهتداء... ولكنهم كانوا يطلبون أن يحل بهم ما حل بالمكذبين من قبلهم من هلاك ـ استبعاداً لوقوعه واستهزاء ـ ويستمرون في العناد والشقاق والمكابرة.. فلا يرجعون إلى ربهم ويستغفرون لذنوبهم... حتى يقع بهم ما وقع لأمثالهم... أو أن يأتيهم العذاب مواجهة يرونه عيانا ويتأكدون من وقوعه بهم... فهو عذاب الاستئصال في الدنيا... وعذاب المآل في الآخرة. وليس هذا أو ذاك من شأن الرسل... فأخذ

المكذبين بالهلاك ـ كما جرت سنة الله في الأولين بعد مجئ الخوارق وتكذيبهم بها ـ أو إرسال العذاب كله يوم حضور موعده وأجله كلُّه من أمر الله... أما الرسل فهم مبشرون المؤمنين بالنعيم والمقيم... ومنذرون المكذبين بالخزى والعذاب الأليم: **﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتى وما أنذروا هزؤا﴾**.

والحق واضح... ولكن الذين كفروا يجادلون بالباطل ليغلبوا به الحق ويبطلوه، وهم حين يطلبون الخوارق، ويستعجلون بالعذاب لايبغون اقتناعا إنما هم يستهزئون بالآيات والنذر ويسخرون... فهؤلاء الذين يستهزئون بآيات الله ونذره لا يرجى منهم أن يفقهوا هذا القرآن، ولاأن ينتفعوا به؛ لذلك جعل الله على قلوبهم أغطية تحول دون فقهه، وجعل في آذانهم كالصمم فلا يستمعون إليه وقدّر عليهم الضلال ـ بسبب استهزائهم وإعراضهم ـ **﴿فلن يهتدوا إذًا أبدا...﴾** فللهدى قلوب مفتحة مستعدة للتلقى: **﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذًا أبدا﴾**.

﴿وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا﴾. إن الله يمهل رحمة بالناس... ولا يهمل... بل لهم موعد تحقيقا للوعد... وتدقيقا للعدل... فموعد الدنيا فيه شئ من العذاب... وموعد الآخرة توفية للحساب **﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا﴾**: تحذير لهؤلاء المغرورين بما حصل لأولئك المقهورين... فلا يغرنهم إمهال الله لهم... فإن موعدهم بعد ذلك... وسنة الله لا تتخلف... والله لا يخلف الميعاد.

6 ـ قصتا الخضر وذى القرنين
يجهلهما أهل الكتاب من الفريقين

النص

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿59﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ
بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿60﴾
فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿61﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ
وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿62﴾ * قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿63﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا
وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿64﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن
تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿65﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿66﴾
وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿67﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ
صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿68﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى
عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿69﴾ فَٱنطَلَقَا
حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا
لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿70﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ

صَبْرًا ﴿71﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي

عُسْرًا ﴿72﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ

نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكُرًا ﴿73﴾

* قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِن سَأَلْتُكَ

عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِي عُذْرًا

فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا

فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ

لَتَّخَذتَّ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ

بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ

يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ

يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا

أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَن يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا

خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ

لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا

وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا

وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي

ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا * وَيَسْأَلُونَكَ

عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي اِ۬لْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَےْءٖ سَبَباٗ فَاتَّبَعَ سَبَباً
حَتَّيٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ اَ۬لشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٖ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماٗۖ (83) قُلْنَا يَٰذَا اَ۬لْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن
تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناٗۖ (84) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ
ثُمَّ يُرَدُّ إِلَيٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَاباٗ نُّكْراٗۖ (85) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحاٗ
فَلَهُۥ جَزَآءً اِ۬لْحُسْنَيٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراٗۖ (86) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً
حَتَّيٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ اَ۬لشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَيٰ قَوْمٖ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْراٗ (87) كَذَٰلِكَۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراٗۖ (88) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً
حَتَّيٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ اَ۬لسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماٗ لَّا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ قَوْلاٗۖ (89) قَالُواْ يَٰذَا اَ۬لْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ
فِي اِ۬لْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَيٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سُدّاٗۖ (90)
قَالَ مَا مَكَّنِّے فِيهِ رَبِّے خَيْرٞ فَأَعِينُونِے بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماًۖ (91)
ءَاتُونِے زُبَرَ اَ۬لْحَدِيدِۖ حَتَّيٰٓ إِذَا سَاوَيٰ بَيْنَ اَ۬لصَّدَفَيْنِ قَالَ اَ۪نفُخُواْۖ
حَتَّيٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَاراٗ قَالَ ءَاتُونِےٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراٗۖ (92)
فَمَا اَ۪سْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اَ۪سْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْباٗۖ (93)
قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٞ مِّن رَّبِّےۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّے جَعَلَهُۥ دَكّاٗۖ وَكَانَ وَعْدُ
رَبِّے حَقّاٗۖ (94) * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعْضٖۖ وَنُفِخَ فِي اِ۬لصُّورِ
فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعاٗۖ (95) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٖ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضاً (96)

ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿97﴾
أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ
إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿98﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ
أَعْمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿99﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ
أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿100﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ
بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿101﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿102﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ
عَنْهَا حِوَلًا ﴿103﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ
قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿104﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ
مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ
رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿105﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية:

﴿**وإذ قال موسى لفتاه...**﴾ موسى: رسول الله الذي أنزل عليه التوراة وفتى موسى: خادمه وتابعه... والفتى جمعه فتية وفتيان. وتقدم معناه في قوله: ﴿**إنهم فتية**. **لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا**﴾: أبرح مضارع برح بمعنى زال. ومعناه هنا: لا أكف عن السير حتى أبلغ... ومجمع البحرين هو التقاء خليج العقبة بالبحر الأحمر جنوب سيناء الغربى. والمضى الذهاب والسير.

والحقب اسم للزمان الطويل غير منحصر المقدار. . . فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما. . . عندما وصل موسى وفتاه إلى المكان المطلوب ترك الحوت هناك. . . **﴿واتخذ سبيله في البحر سربا﴾**: ذهب الحوت في البحر ساربا. **﴿فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا﴾**: جاوزا تعديا المكان الذي كانا فيه.

والغداء: ما يؤكل أول النهار: مشتق من كلمة الغدوة. وضده العشاء. لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا: النصب التعب والإعياء. قال أرأيت: كلمة أرأيت يراد بها التهويل والتعجيب. يقال أرأيت ما نابنى من أمر كذا؟!. **﴿إذ أوينا إلى الصخرة﴾**: حين أقمنا والتجأنا إلى الصخرة. والصخرة: الحجر الكبير. فإنى نسيت الحوت: تركته في ذلك المكان. وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره: ما أنسانى ذكر الحوت شئ إلا الشيطان بوسوسته فانشغلت عنه بأمر آخر. **﴿واتخذ سبيله في البحر عجبا﴾**: أخذ الحوت طريقه في البحر مثيرا للعجب والغرابة.

قال ذلك ما كنا نبغى: الإشارة بذلك إلى ما تضمنه خبر الفتى من فقد الحوت. وهذا هو المطلوب لنا. **﴿فارتدا على آثارهما قصصا﴾**: فرجعا على طريقهما التي أتيا منها. والقصص: مصدر قص الأثر إذا توخى متابعته كيلا يُخْطئا الطريق الأول. . . **﴿فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾**: المراد بالعبد: الخضر. وعند ولدن: ظرفان يدلان على القرب أو الخصوصية الدالة على التقريب والتشريف. **﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا﴾**: طلب موسى من الخضر اتّباعه ليعلمه علما لم يكن يعلمه موسى.

والرشد: إصابة الخير، والاستغناء به عن طلب الغير. . . **﴿قال إنك لن تستطيع معي صبرا. . .﴾** علم الخضر أن موسى لا يتحمل ما سيرى من عمله في الظاهر فأعلمه أنه لن يستطيع معه صبراً. . . **﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾**: كيف هنا للاستفهام الإنكارى في معنى النفى. أى: وأنت لا تصبر على ما لم تحط به خبرا. والإحاطة هنا مستعملة في التمكن من الشئ وإدراكه من جميع جوانبه. والخُبْر إدراك الشئ على ما هو عليه إدراكا كاملا وشاملا. **﴿قال ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا﴾**: أكد موسى للخضر أنه يصبر ويطيع أمره إذا أمره. وذلك بمشيئة الله تعالى.

﴿قال فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا﴾: قال الخضر لموسى هذا الكلام محذرا له من التسرع في الاعتراض عليه عندما يرى منه شيئا ظاهره مخالف للمعهود... حتى يكون الخضر هو الذي يذكر له المقصود... **﴿فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها﴾**: الانطلاق الذهاب والمشى. مشتق من الإطلاق، وهو ضد التقييد؛ لأن الدابة إذا حُلّ عقالها مشت. وأصله مطاوع أطلقه. والركوب في السفينة الدخول فيها. والخرق الثقب والشق... وهو ضد الالتئام. **﴿قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا﴾**: الإغراق الإلقاء في الماء.. والشئ الإمْر: الفظيع المنكر شديد الضرر. قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا: أتُقِرُّ أنّى قلت إنك لا تستطيع معى صبرا.

﴿قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا﴾: المؤاخذة مفاعلة من الأخذ. والإرهاق تحمل مالا يطاق. والعسر الشدة. والمعنى لا تحملنى أمرا لا أطيقه... بل بالمسامحة والصفح... **﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غُلاَمًا فقتله﴾**: لقيه صادفه. والغلام الطفل الذي لم يبلغ الحلم وقد قاربه. والقتل إزهاق الروح. قال أقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا: النفس الزاكية النامية التي ستبلغ مبلغ الكمال... والشئ النكرُ: ما تستنكره العقول وتستقبحه. **﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا﴾**: تقدم معنى هذه الجملة في الجملة السابقة مثلها.

﴿قال إن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا﴾: قال موسى للخضر هذا الكلام اعتذارا لما حصل منه من إنكار القتل. **﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيّفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾**: الاستطعام طلب الطعام. والتضييف الإقامة بما ينوب الضيف. والجدار: الحائط المبنى. ومعنى يريد أن ينقض: أشرف على الانقضاض والانقضاض هنا. السقوط. وإقامة الجدار: تسوية ميله. واتخاذ الأجر: أخذ العوض عن العمل.

قال هذا فراق بينى وبينك: قال الخضر لموسى: هذا الذي حصل الآن هو **﴿فراق بيننا. سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا﴾**: سأخبرك الخبر المهم بحقيقة ما يؤول إليه ما فعلت: **﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر**

فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾: المساكين هنا بمعنى ضعفاء الحال الذين يرتزقون من جهدهم ولا يحسنون صنعة أخرى يرتزقون منها... ومعنى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة نصبا هو ملك بلادهم بالمرصاد منهم ومن أمثالهم يسخر كل سفينة يجدها غصْبًا.

والغصب: أخذ الشئ ظلما. **﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا﴾**: الأبوان: الأب والأم. والإرهاق: أن تحمل الإنسان على ما لا يطيقه. والطغيان: مجاوزة القدر في المعاصى والظلم حتى يصل به إلى الكفر... وزكاة: صلاحا ونماء في الخير. **﴿وأقرب رحما﴾**: طاعة وتعطفا ورأفة بوالديه. **﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا﴾**. الجدار الذي أصلحه الخضر. وكان تحت هذا الجدار مالا مدفونًا... **﴿وكان أبوهما صالحا...﴾** فماله من حلال وقصده من دفنه نفعُ ولديه بهذا المال... **﴿فأراد ربك أن أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما﴾**.

﴿رحمة من ربك وما فعلته عن أمري﴾: ما فَعَلَهُ الخضر كان رحمة من الله لأصحاب السفينة ولأبوى الغلام، وللغلامين اليتيمين. وكان بأمر من الله، لا بأمر الخضر... **﴿ذلك تأويل ما لم تَسْطِعْ عليه صبرا﴾**: الإشارة بذلك إلى المذكور السابق... **﴿ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا﴾**: ذو القرنين: رجل صالح آتاه الله ملكا واسعا وعَمِل عملا صالحا خلّده القرآن، وكان مجهولا لا يعرفه أحد من الناس حتى جاء خبره في هذا القرآن **﴿إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا﴾**: التمكين: جعل الشئ راسخا ثابتا بحيث لا يزعزع قوته أحد. والأرض الذي تمكن منها: ملكه الواسع غربا وشرقا وشمالا والسبب هنا أطلق على ما يتوسل به إلى الشئ من علم ومقدرة من آلات التسخير. فذو القرنين ملك من الملوك الكبار، وعبد صالح من عباد الله الأخيار... **﴿فاتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما﴾**: السبب هنا الطريق التي سلكها في مسيرِهِ إلى جهة الغرب. ومغرب الشمس مكان غروبها... فوجدها تغرب في عين حمئة، ووجد عندها قوما من الناس.

﴿قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا﴾: عندما وصل ذو القرنين إلى هذا المكان ووجده عامرًا بالناس أَمَرَه الله أن يتصرف ويحكم بما يرى

منهم من خير وطاعة، أو شر وعصيان: ﴿**قال أما من ظلم فسوف نعذبه**﴾ بما يستحقه من سوء تصرفه حسب المنهج المتبع في شرع الله... ثم يرد يوم القيامة إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا... ﴿**وأما من آمن بالله**﴾ وعمل بشريعته فيجازى في الدنيا بالحياة الطيبة... ﴿**وسنقول له من أمرنا يسرا**﴾ يوم يرجع إلى ربه... ﴿**ثم اتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا**﴾: اتجه دو القرنين إلى جهة الشرق.

وبلغ جهة قاصية منه حيث بخال أن لاعمران وراءها. فمطلع الشمس مكان الطلوع. الستر يطلق على الشئ الساتر لشئ آخر. والواقى والمانع والحاجز... ومعناه هنا صالح لكل منها... ﴿**كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا**﴾: الكاف للتشبيه. والمشبه به شئ تضمنه الكلام السابق... والإشارة إلى ما ذكر... والإحاطة بالشئ خبر العلم به على التفصيل بدقة... ﴿**ثم اتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا**﴾: السّدّ الجبل. والمراد بالسدين هنا الجبلان. ومعنى ﴿**لا يكادون يفقهون قولا**﴾: أنهم لايعرفون شيئا من قول غيرهم ﴿**قالوا ياذا القرنين إنّ ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض**﴾: ياجوج وماجوج أمة كثيرة العدد. مشتق من الأجّ. وهو الخلط. ﴿**فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا**﴾: الخرج والخراج: المال الذي يدفع للملك مقابل ما يقوم به من عمل.

والسد: مراد به هنا الحاجز الذي يكون بين الجبلين. ﴿**قال ما مكني فيه ربي خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما**﴾: قال ذو القرنين: ما آتانى الله من المال والقوة خير من الخراج الذي عرضتموه... ولكن أعينونى بالعمل. والردم: البناء القوى المختلط بعدة مواد... ﴿**آتونى زبر الحديد**﴾: جمع زبرة وهي القطعة. والحديد معدن معروف من قديم. ﴿**حتى إذا ساوى بين الصدفين**﴾. المساواة: جعل الأشياء متساوية متكاملة... والصدفان: مثنى الصدف. وهما جانبا الجبلين. وهو ردم ما بينهما من فراغ بقطع الحديد.

﴿**قال انفخوا حتى إذا جعله نارا**﴾: نفخ النار تسليط الهواء عليها بآلات تختلف باختلاف الأوقات. وتشتعل في الحديد حتى ينصهر ويختلط بعضه ببعض... ﴿**قال آتونى أفرغ عليه قطرا**﴾: الإفراغ: الصب. والقطر: النحاس

المذاب. وعندما يصب النحاس المذاب على الحديد المنصهر يلتئم بعضه ببعض ويشتد ويكون سدا منيعا: **﴿فما اسْطَاعُوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا﴾**. وأصبح سدا منيعًا لايمكن ارتقاؤه... ولا يمكن نقبه بالفؤوس والمعاول. **﴿قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا﴾**: كلام قاله ذو القرنين بعدما فرغ من بناء السد العظيم.

﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾: وتركت ياجوج وماجوج في مكانها المحجوز تموج كأمواج البحر بعضها في بعض لكثرتها المهولة. **﴿ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾**: نفخُ الصُّورِ: الإعلام بمجيئ يوم القيامة، وفيه يجمع ياجوج وماجوج وبقية الناس فوجا بعد فوج. وتعرض جهنم يومئذ للكافرين الذين عميت أبصارهم وصمت آذانهم عن ذكر الله... فلم يستمعوا لما يتلى من الآيات وما فيها من تحذير وترهيب وإنذار بهذا اليوم العسير: **﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء﴾**: الحسبان: الظن الباطل. واتخاذ عباد الله أولياء من دون الله عمل باطل... فالاستفهام للإنكار على هذا الظن الباطل.

﴿إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾: أعتدنا: أعددنا. والإعداد التهيئة. والنُّزُولُ ما يعد للنزيل والضيف من القرى... **﴿قل هل نُنَبِّئُكُم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾**: النبأ الخبر المهم. وأخسر عمل ما يُعتقد حسنه وهو أسوأ ما يكون. والذي يحسب هذا حَسَنًا هو أخسر الخاسرين. وهو من ضل سعيه في الحياة الدنيا..: **﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه: فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾**: الآيات القرآن والمعجزات ولقاء الله يوم القيامة.

والحبط: البطلان والدحض. ونفى إقامة الوزن مستعمل في عدم الاعتداد بالشئ وفي حقارته... **﴿ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلي هزؤا﴾**: الاشارة إلى ما تقدم من حبط العمل وعدم منفعته. وبقى الجزاء من جنس العمل وهو الكفر واتخاذ الآيات والرسل هزؤا. **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾**: الفردوس

البستان يجمع كل ما يكون في البساتين. وأصل الفردوس السعة. والنزل: المنزل وما هيئ للضيف. ﴿**لايبغون عنها حولا**﴾: لا يملون منها فيريدون التحول عنها... ﴿**قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لَنَفِدَ البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا**﴾: المداد: ما تمد به فتيلة الإضاءة من الدهن... وكلمات الله ما يدل على شئ من علمه مما يُوحَى إلى رسله أن يبلغوه.

فكل معلوم يمكن أن يخبر به... فإذا أخبر به صار كلمة؛ ولذلك يطلق على المعلومات كلمات؛ لأن الله أخبر بكثير منها ولو شاء لأخبر بغيره. والنفاد: الفناء والاضمحلال والمدد: ما يمَد به الشئ ليزداد. ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد**﴾: البشر: الإنسان... ومحمد إنسان مثل كل إنسان. غير أنه رسول أوحى الله إليه برسالة فيها توحيد الإله. وهو إله كل إنسان. وهو الله سبحانه وتعالى: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**﴾. وهذه تكملة للموحى به، وهو الإيمان بالبعث والعمل الصالح المشروع من عند الله والإخلاص فيه لله دون سواه.

مبحث الإعراب

﴿**وإذْ**﴾ ظرف لما مضى من الزمان في محل نصب متعلق بفعل مقدر، وتقديره: اذكر. ﴿**إذْ قال موسى**﴾ فعل وفاعل. وهذه الجملة معطوفة على جملة ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم...**﴾ ﴿**لفتاه**﴾ متعلق بقال. ﴿**لاأبرح**﴾ فعل مضارع ناقص منفى بلا. وضمير المتكلم اسم أبرح. والجملة مقول القول. ﴿**حتى أبلغ**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدحتى. مجمع مفعول به. ﴿**البحرين**﴾ مضاف إلى مجمع وأن المضمرة وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحتَّى متعلق بلا أبرح.

وتقدير الكلام ﴿**لا أبرح**﴾ أنا سائرًا حتى بلوغى مجمع البحرين. ﴿**أو أمضي حقبا**﴾ معطوف على ﴿**أبلغ مجمع البحرين**﴾. مثلها في الإعراب. ﴿**فلما**﴾ الفاء للتفريع ولما ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**بلغا**﴾ فعل وفاعل. وهو فعل الشرط. ﴿**مجمع**﴾ مفعول به. ﴿**بينهما**﴾ مضاف ﴿**إلى مجمع**﴾. ﴿**نسيا**﴾ فعل وفاعل. والجملة جواب الشرط. ﴿**حوتهما**﴾ مفعول به. ﴿**فاتخذ**﴾ مرتب على الفعل قبله.

وفاعل اتخذ ضمير يعود على الحوت. ﴿**سبيله**﴾ مفعول به. ﴿**في البحر**﴾ متعلق باتخذ. ﴿**سربا**﴾ منصوب على الحال من ضمير الحوت. ﴿**فلما جاوزا قال لفتاه...**﴾ مرتب على قوله: ﴿**فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما**﴾. وهي جملة شرطية مثل سابقتها. ﴿**آتنا**﴾ فعل أمر. والمأمور الفتى. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول.

﴿**غداءنا**﴾ مفعول ثان. ﴿**لقد لقينا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. من سفرنا متعلق بلقينا. هذا في محل جر نعت لسفرنا. نصبا مفعول به. قال الفتى لموسى: ﴿**أرأيت**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**إذ أوينا**﴾ فعل وفاعل في محل جر مضاف إلى الظرف. ﴿**إلى الصخرة**﴾ متعلق بأوينا. ﴿**فإني**﴾ إنّ واسمها. ﴿**نسيت**﴾. ﴿**الحوت**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إنّ. والجملة مرتبة بالفاء على ﴿**إذ أوينا**﴾. ﴿**وما أنسأنيه**﴾ فعل ماضٍ دخل عليه حرف النفى وواو العطف. وياء المتكلم مفعول أول. وضمير الغائب مفعول ثانٍ.

﴿**إلا الشيطان**﴾ بدل من الفاعل المقدر؛ والتقدير: وما أنسانيه أحدٌ إلا الشيطانُ. ﴿**أن أذكره**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير المتكلم. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب بدل من المفعول الثانى. ﴿**واتخذ سبيله في البحر عجبا**﴾ هذه الجملة معطوفة على جملة ﴿**فاتخذ سبيله في البحر سربا**﴾. وهي مثلها في الإعراب. والفرق بينهما أن هذه عطفت بالواو وتلك رتبت بالفاء. وهنا ذكر عجبا، وهناك ذكر سربا. ﴿**قال موسى**﴾ ـ عليه السلام ـ ذلك في محل رفع مبتدأ. ﴿**ما**﴾ في محل رفع خبره. ﴿**كنا**﴾ كان واسمها.

﴿**نبغي**﴾ فعل مضارع والفاعل نحن. والجملة خبر كان. وجملة ﴿**كنا نبغي**﴾ صلة ما. ﴿**فارتدا**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**على آثارهما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**قصصا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**فوجدا عبدا**﴾ فعل وفاعل ومفعول مرتب على ما قبله بالفاء. ﴿**من عبادنا**﴾ متعلق بمحذوف نعت لعبد. ﴿**آتيناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة نعت ثان لعبد. ﴿**رحمة**﴾ مفعول ثان. ﴿**من عندنا**﴾ متعلق بمحذوف نعت لرحمة. ﴿**وعلمناه**﴾ معطوف على ﴿**آتيناه**﴾. ﴿**من لدنا**﴾ متعلق

بالفعل قبله. ﴿**علما**﴾ مفعول ثان. ﴿**قال له**﴾ متعلق بقال. ﴿**موسى**﴾ فاعل. ﴿**هل**﴾ حرف استفهام.

﴿**أتبعك**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. وضمير المخاطب مفعول. ﴿**على أن تعلمني**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بعلى متعلق بأتبعك. ﴿**مما**﴾ متعلق بتعلمنى. ﴿**عُلّمْتَ**﴾: صلة ما. ﴿**رشدا**﴾ مفعول تعلمنى. قال الخضر عليه السلام. ﴿**إنك**﴾ إن واسمها. ﴿**لن تستطيع**﴾ فعل مضارع منصوب بلن. والفاعل ضمير المخاطب وجملة ﴿**لن تستطيع**﴾ خبرُ إنّ. وجملة ﴿**إنك لن تستطيع**﴾ مقول القول. ﴿**معي**﴾ متعلق بلن تستطيع. ﴿**صبرا**﴾ مفعول به. ﴿**وكيف تصبر**﴾ فعل مضارع دخل عليه اسم الاستفهام وواو الحال. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**على ما**﴾ متعلق بتصبر. ﴿**لم تحط**﴾ صلة ما. ﴿**به**﴾ متعلق بلم تحط.

﴿**خبرا**﴾ منصوب على التمييز. وجملة ﴿**وكيف تصبر على ما لم تحط به خُبْرًا**﴾ في موضع الحال من ضمير موسى في قوله: ﴿**لن تستطيع...**﴾ ﴿**قال موسى... ستجدني**﴾ فعل مضارع والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب مفعول أول. وفتحت الياء تخفيفا. والفاعل ضمير المخاطب يعود على الخضر. ﴿**إن شاءَ الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط والجملة معترضة. ﴿**صابرا**﴾ مفعول ثان لتجدنى. ﴿**ولا أعصى**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفى وواو العطف. والفاعل ضمير المتكلم يعود على موسى. ﴿**لك**﴾ متعلق بالفعل قبله.

﴿**أمرا**﴾ مفعول به. وجملة ﴿**ستجدني...**﴾ وما عطف عليه مقول القول. قال الخضر... ﴿**فإن اتبعتني**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الشرط وفاء التعقيب. ﴿**فلا تسألنّي**﴾ فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد المدغمة في نون الوقاية في محل جزم بلا الناهية. والجملة جواب الشرط. والفاء رابط للجواب. ﴿**عن شيء**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**حتى أحدث**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**لك**﴾ متعلق بأحدث. منه متعلق بما بعده: ذكرا مفعول به. فانطلقا فعل وفاعل دخل عليه حرف التعقيب. ﴿**حتى**﴾ بمعنى إلى. إذا ظرف زمان متعلق بما يأتى من قوله: ﴿**خرقها...**﴾ ﴿**ركبا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**في السفينة**﴾ متعلق بالفعل قبله.

﴿**خرقها**﴾ فعل ماضٍ والفاعل ضمير يعود على الخضر والضمير المتصل بالفعل. خرقها: فعل وفاعل ومفعول. ﴿**قال**﴾ موسى: ﴿**أخرقتها**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الاستفهام، ﴿**لتغرق**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**أهلها**﴾ مفعول به. وجملة أخرقتها لتغرق أهلها مقول القول. ﴿**لقد جئت شيئا**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. ﴿**إمرا**﴾ نعت لشئ. قال الخضر: ﴿**ألم أقل**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم والهمزة للاستفهام. والفاعل ضمير المتكلم. والجملة مقول قال: ﴿**إنك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لن تستطيع**﴾ فعل مضارع منصوب بلن. والفاعل ضمير المخاطب. وجملة ﴿**لن تستطيع**﴾ خبرُ إنّ. ﴿**معي**﴾ متعلق بتستطيع. ﴿**صبرا**﴾ مفعول به. والجملة مقول ألم أقل.

﴿**قال**﴾ موسى: ﴿**لا تؤاخذني**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والنون للوقاية، وياء المتكلم في محل نصب مفعول. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**بما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**نسيت**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**ولا ترهقني**﴾ معطوف على لاتؤاخذنى وهو مِثْلُهُ في الإعراب. ﴿**من أمري**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**عسرا**﴾ مفعول به. ﴿**فانطلقا**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**حتى إذا لقيا**﴾ مثل حتى إذا ركبا في السفينة. ﴿**غلاما**﴾ مفعول به. ﴿**فقتله**﴾ مرتب على لقيا. قال موسى: ﴿**أقتلت نفسا**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**زاكية**﴾ نعت لنفس. ﴿**بغير**﴾ متعلق بأقتلت. ﴿**نفس**﴾ مضاف لغير. وجملة ﴿**أقتلت نفسا...**﴾ مقول قال. ﴿**لقد جئت شيئا**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. ﴿**نكرا**﴾ نعت لشئ. ﴿**قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا**﴾ إعراب هذه الجمل مثل ما سبقها من قوله: ﴿**قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا**﴾. وزاد هنالك. وهو متعلق بأقل.

﴿**قال**﴾ موسى: ﴿**إن سألتك**﴾ فعل وفاعل ومفعول فعل الشرط إنْ. ﴿**عن شئ**﴾ متعلق بسألتك. ﴿**بعدها**﴾ منصوب على الظرفية والضمير فيه مضاف إليه. متعلق بسألتك. ﴿**فلا تصاحبني**﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط. وتصاحبنى مجزوم بلا الناهية. وهو مثل ﴿**لا تؤاخذنى**﴾ في الإعراب. ﴿**قد بلغت**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. ﴿**من لدني**﴾ متعلق ببلغت. ﴿**عذرا**﴾ مفعول به. ﴿**فانطلقا**

حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ إعرابها مثل إعراب جملة فانطلقا حتى إذا. . . السابقتين. **﴿استطعما أهلها﴾** فعل وفاعل ومفعول. والجملة في محل جر نعت لقرية. **﴿فأبوا﴾** فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. **﴿أن يضيفوهما﴾** فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. والفعل مؤول بمصدر مفعول أبوا. أي: فأبوا تضييفهما.

﴿فوجدا﴾ فعل وفاعل مرتب على قوله: **﴿أتيا أهل قرية. . .﴾** **﴿فيها﴾** متعلق بوجدا. **﴿جدارا﴾** مفعول به. **﴿يريد﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير الجدار. **﴿أن ينقضّ﴾** فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل هو. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول يريد. وجملة يريد أن ينقض في محل نصب نعت لجدار. **﴿فأقامه﴾** فعل ماض. دخل عليه فاء التعقيب والفاعل ضمير يعود على الخضر. والضمير المتصل بالفعل مفعول. **﴿قال﴾** موسى: **﴿لو شئت﴾** جملة شرطية. **﴿لاتخذت﴾** فعل وفاعل. واللام رابط لجواب الشرط. **﴿عليه﴾** متعلق باتخذت. **﴿أجراً﴾** مفعول به.

قال الخضر: **﴿هذا﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿فراق﴾** خبر المبتدإ. **﴿بيني﴾** مضاف إلى فراق. **﴿وبينك﴾** معطوف على بيني. وجملة هذا فراق. مقول القول. **﴿سأنبئك﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. والضمير المتصل بالفعل مفعول. **﴿بتأويل﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿ما﴾** في محل جر مضاف إلى تأويل. **﴿لم تستطع﴾** فعل مضارع مجزوم بلم. والفاعل ضمير المخاطب. **﴿عليه﴾** متعلق بتستطع. **﴿صبرا﴾** مفعول به. **﴿أما السفينة﴾** مبتدأ دخلت عليه أداة التفصيل. **﴿فكانت﴾** فعل ماضٍ ناقص دخل عليه حرف الربط واسم كان ضمير يعود على السفينة. **﴿لمساكين﴾** متعلق بمحذوف خبر كانت. **﴿يعملون﴾** فعل وفاعل والجملة في محل جر نعت لمساكين.

﴿في البحر﴾ متعلق بيعملون. **﴿فأردت﴾** فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. **﴿أن أعيبها﴾** فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير المتكلم. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول أردت. **﴿وكان وراءهم﴾** متعلق بمحذوف خبر كان. **﴿ملك﴾** اسم كان مؤخر. والجملة في محل نصب حال من ضمير مساكين. **﴿يأخذ﴾** فاعله ضمير يعود على ملك.

﴿**كل**﴾ مفعول به. ﴿**سفينة**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**غصبا**﴾ مفعول مطلق وجملة يأخذ كل سفينة... في محل رفع نعت لملك. وجملة ﴿**وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين**﴾ مثل جملة ﴿**أما السفينة فكانت لمساكين**﴾ في الإعراب. وجملة ﴿**فخشينا**﴾ مثل جملة ﴿**فأردت**﴾.

﴿**أن يرهقهما**﴾ مثل أن أعيبها في الإعراب. ﴿**طغيانا**﴾ مفعول ثان ليرهقهما. ﴿**وكفرا**﴾ معطوف عليه. ﴿**فأردنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه فاء التعقيب. ﴿**أن يبدلهما**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول أردنا. ﴿**ربهما**﴾ فاعل يبدل. ﴿**خيرا**﴾ مفعول ثان. ﴿**منه**﴾ متعلق بخيرا. ﴿**زكاة**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**وأقرب رحما**﴾ عطف على قوله: ﴿**خيرا منه زكاة**﴾. ﴿**وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة**﴾. مثل سابقتيها في الإعراب. وجملة. ﴿**وكان تحته كنز لهما مثل وكان وراءهم ملك... وكان أبوهما صالحا**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها معطوفة على كان قبلها... ﴿**فأراد ربك**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**أن يبلغا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة.

﴿**أشدهما**﴾ مفعول به. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بأراد. ﴿**ويستخرجا كنزهما**﴾ معطوف على قوله: ﴿**أن يبلغا أشدهما**﴾. وهو مثله في الإعراب. ﴿**رحمةً**﴾ مفعول لأجله. ﴿**من ربك**﴾ متعلق برحمة. ﴿**وما فعلته**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفى وواو العطف. ﴿**عن أمرى**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ذلك تأويل مالم تَسْطِعْ عليه صبرا**﴾ تقدم إعراب مثلها... ﴿**ويسألونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**عن ذي**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**القرنين**﴾ مضاف إلى ذى. ﴿**قل: سأتلو**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**عليكم منه**﴾ متعلقان بسأتلو. ﴿**ذكرا**﴾ مفعول به.

﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**مكنا**﴾ فعل وفاعل والجملة خبر إنّ. ﴿**له في الأرض**﴾ متعلقان بمكنا. ﴿**وآتيناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على مكنا. ﴿**من كل**﴾ متعلق بآتيناه. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**سببا**﴾ مفعول ثانٍ لآتينا. ﴿**فاتّبع**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على ذى القرنين. والفاء للتعقيب. ﴿**سببا**﴾ مفعول به. ﴿**حتى إذا بلغ**﴾ تقدم إعراب مثلها في قوله: ﴿**حتى إذا ركبا... مغرب**﴾ مفعول به. ﴿**الشمس**﴾ مضاف إلى ﴿**مغرب**﴾. ﴿**وجدها**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل

ضمير يعود على ﴿**ذى القرنين**﴾. والضمير المتصل بالفعل مفعول.

﴿**تغرب**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الشمس. ﴿**في عين**﴾ متعلق بتغرب. ﴿**حمئة**﴾ نعت لعين. ﴿**ووجد**﴾ معطوف على وجدها. ﴿**عندها**﴾ متعلق بوجد. قوما مفعول به. ﴿**قلنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ياذا**﴾ منادى منصوب بالألف. ﴿**القرنين**﴾ مضاف إلى ﴿**ذا.**﴾ إمّا حرف تفصيل وتوزيع. ﴿**أن تعذب**﴾ فعل ماضٍ منصوب بأن المصدرية والفاعل ضمير يعود على ﴿**ذى القرنين**﴾. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع على الابتداء والخبر مقدر؛ والتقدير: إما تعذيبك واقع بهم. ﴿**وإما أن تتخذ**﴾ معطوف على ﴿**إما أن تعذب**﴾. ﴿**فيهم**﴾ متعلق بتتخذ.

﴿**حسنا**﴾ مفعول به، ﴿**قال ذو القرنين**﴾: أما أداة تفصيل. ﴿**من**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**ظلم**﴾ فعل ماضٍ، والفاعل ضمير يعود على من والجملة صلة من. ﴿**فسوف**﴾ نعذبه فعل مضارع دخل عليه حرف التسويف وفاء الربط والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**ثم يُرَدُّ**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول معطوف بثم على ﴿**نُعَذِّبُه**﴾ ونائب الفعل ضمير يعود على من. ﴿**إلى ربه**﴾ متعلق بيرد. ﴿**فيعذبه**﴾ مرتب على يرد. ﴿**عذابا**﴾ مفعول به. ﴿**نكرا**﴾ نعت لعذاب. ﴿**وأما من آمن**﴾ معطوف على قوله: ﴿**أما من ظلم**﴾. وهو مثله في الإعراب. ﴿**وعمل**﴾ معطوف على آمن.

﴿**صالحا**﴾ مفعول به. ﴿**فله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. والفاء للربط. ﴿**جزاءُ**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**الحسنى**﴾ مضاف إلى جزاء مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿**وسنقول**﴾ فعل مضارع معطوف على قوله: فله جزاء الحسنى. والفاعل نحن. ﴿**له**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**من أمرنا**﴾ كذلك. ﴿**يسرا**﴾ نعت لمصدر نقول. أي: نقول له قولا يسرا. ﴿**يسرا**﴾: مفعول مطلق منصوب بالفتحة. ﴿**ثم اتبع سببا**﴾ عطف على قوله: ﴿**فاتبع سببا**﴾. وجملة ﴿**حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم**﴾: مثل جملة ﴿**حتى إذا بلغ مغرب الشمس... لم نجعل**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والفاعل نحن. ﴿**لهم من دونها**﴾ متعلقان بنجعل.

﴿**سترا**﴾ مفعول به. ﴿**كذلك**﴾ الكاف للتشبيه في محل رفع خبر لمبتدإ مقدر. والتقدير: الأمرُ مثلُ ذلك. ﴿**وقد أحطنا**﴾ فعل وفاعل والجملة حال لوجود

الواو وقد. ﴿**بما**﴾ متعلق بأحطنا. ﴿**لديه**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**خبرا**﴾ مفعول به ﴿**ثم اتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما**﴾: مثل إعراب ما سبقها. ﴿**لا يكادون**﴾ يكاد واسمها دخل عليها حرف النفى. ﴿**يفقهون**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل نصب خبرُ يكاد. ﴿**قولا**﴾ مفعول به. وجملة ﴿**لايكادون**﴾ في محل نصب نعت ﴿**لقوم**﴾. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ياذا**﴾ منادى منصوب بالألف. ﴿**القرنين**﴾ مضاف إلى ذا.

﴿**إن ياجوج وماجوج**﴾ إنّ واسمها. ﴿**مفسدون**﴾ خبر إنّ. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**فهل نجعل**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام وفاء التفريع. والفاعل نحن. ﴿**لك**﴾ متعلق بنجعل. ﴿**خرجا**﴾ مفعول به. ﴿**على أن تجعل**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بعلى متعلق بنجعل لك خرجا. ﴿**بيننا**﴾ متعلق بنجعل. ﴿**وبينهم**﴾ معطوف على بيننا. ﴿**سدا**﴾ مفعول به. ﴿**قال**﴾ ذو القرنين. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل رفع مبتدأ. ﴿**مكني**﴾ فعل ماضٍ والنون للوقاية وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. ﴿**فيه**﴾ متعلق بمكنى. ﴿**ربى**﴾ فاعل مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. وجملة مكنى فيه ربى صلةُ ما.

﴿**خير**﴾ خبر المبتدإ. وجملة ﴿**ما مكني فيه ربي خير**﴾ مقول القول. ﴿**فأعينونى**﴾ فعل أمر للجماعة. والفاء للتفريع. ﴿**بقوة**﴾ متعلق بفعل الأمر. ﴿**أجعل**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**بينكم وبينهم**﴾ المعطوف والمعطوف عليه متعلق بأجعل. ﴿**ردما**﴾ مفعول به. ﴿**آتوني**﴾ فعل أمر للجماعة، وياء المتكلم مفعول. أول، ﴿**زبر**﴾ مفعول ثان. ﴿**الحديد**﴾ مضاف إلى زبر. ﴿**قال**﴾ ذو القرنين: ﴿**انفخوا**﴾ أمر للجماعة. ﴿**حتى**﴾ حرف غاية وجر. ﴿**إذا**﴾ في محل جر بحتى. ﴿**جعله**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على ذى القرنين. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**نارا**﴾ مفعول ثان وجملة ﴿**جعله نارا**﴾ في محل جر مضاف إلى الظرف.

﴿**قال آتوني**﴾ إعرابها مثل إعراب سابقتها. في قوله: ﴿**آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين**﴾. ﴿**أفرغ**﴾ مجزوم في جواب الأمر. ﴿**عليه**﴾ متعلق بأفرغ. ﴿**قطرا**﴾ مفعول به. تنازعه ﴿**آتونى وأفرغ**﴾. أى آتونى قطرا أفرغْهُ على

الحديد. ﴿**فما اسْطَاعُوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى وفاء التعقيب. ﴿**أن يظهروه**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول اسطاعوا. أي: فما اسطاعوا ظهوره. ﴿**وما اسْتَطَاعُوا**﴾ معطوف على ﴿**فما اسطاعوا. . . له**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**نقبا**﴾ مفعول به.

﴿**قال**﴾ ذو القرنين: ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**رحمة**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**من ربى**﴾ متعلق برحمة. ﴿**فإذا جاء وعدُ**﴾ جملة شرطية دخل عليها فاء التفريع. ﴿**ربى**﴾ مضاف إلى وعد. ﴿**جعله**﴾ جواب الشرط. ﴿**دكا**﴾ مفعول ثان لجعل. ﴿**وكان وعد ربى**﴾ كان واسمها. حقا خبرها. وجملة ﴿**وكان وعد ربى حقا**﴾ تذييل. ﴿**وتركنا بعضهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**يومئذ**﴾ متعلق بتركنا. ﴿**يموج**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على بعضهم. ﴿**في بعض**﴾ متعلق بيموج. وجملة يموج في محل نصب مفعول ثان لتركنا. ﴿**ونفخ**﴾ فعل ماضٍ مبنى للمجهول. ﴿**في الصور**﴾ نائب الفاعل والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**فجمعناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول مرتب على ما قبله. ﴿**جمعا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**وعرضنا جهنم**﴾ معطوف على ما قبله. وهو مثله في الإعراب. ﴿**يومئذ**﴾ متعلق بعرضنا. ﴿**للكافرين**﴾ كذلك.

﴿**عرضا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**الذين**﴾ في محل جر نعت للكافرين. ﴿**كانت أعينهم**﴾ كان واسمها. ﴿**في غطاء**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿**عن ذكرى**﴾ متعلق بغطاء. وجملة ﴿**كانت أعينهم في غطاء. . .**﴾ صلة الموصول. ﴿**وكانوا**﴾ معطوف على كانت أعينهم. ﴿**لايستطيعون سمعا**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفى والجملة في محل نصب خبر كان. ﴿**أفحسب الذين**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التفريع وحرف الاستفهام. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**أن يتخذوا عبادي**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول حسب سدّ مسدّ مفعوليها. ﴿**من دوني**﴾ متعلق بما بعده: أولياء مفعول ثان ليتخذوا. ﴿**إنّا**﴾ إن واسمها. ﴿**أعتدنا جهنم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة في محل رفع خبر إنّ. ﴿**للكافرين**﴾ متعلق بأعتدنا.

﴿نزلا﴾ مفعول به. وجملة **﴿إنا أعتدنا﴾**. تقرير لما قبلها... **﴿قل: هل نبئكم﴾** فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. **﴿بالأخسرين﴾** متعلق بننبئكم. **﴿أعمالا﴾** منصوب على التمييز. وجملة هل ننبئكم. مقول القول. **﴿الذين﴾** في محل جر بدل من الأخسرين. **﴿ضل سعيهم﴾** فعل وفاعل. صلة الموصول. **﴿في الحياة﴾** متعلق بسعيهم. **﴿الدنيا﴾** نعت للحياة. **﴿وهم﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿يحسبون﴾** فعل وفاعل. والجملة في محل رفع خبر المبتدإ. وجملة **﴿وهم يحسبون﴾** في محل نصب حالٌ من الضمير في سعيهم.

﴿أنهم﴾ أن واسمها. **﴿يحسنون﴾** فعل وفاعل والجملة خبر أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول يحسبون. **﴿صنعا﴾** منصوب على التمييز. **﴿أولئك﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿الذين﴾** في محل رفع خبر المبتدإ. **﴿كفروا﴾** صلة الموصول. **﴿بآيات﴾** متعلق بكفروا. **﴿ربهم﴾** مضاف إلى آيات. **﴿ولقائه﴾** معطوف على آيات. **﴿فحبطت أعمالهم﴾** فعل وفاعل. والجملة مرتبة على ما قبلها. **﴿فلا نقيم﴾** فعل مضارع دخل عليه حرف النفى وفاء الربط. **﴿لهم يوم﴾** متعلقان بنقيم. **﴿القيامة﴾** مضاف إلى يوم. **﴿وزنا﴾** مفعول به. **﴿ذلك﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿جزاؤهم﴾** خبر المبتدإ. **﴿جهنم﴾** بدل من الخبر بدل مطابق. **﴿بما﴾** متعلق بجزاؤهم.

﴿كفروا﴾ ما وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء. أى جزيناهم بسبب كفرهم. **﴿واتخذوا آياتي﴾** فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. **﴿ورسلي﴾** معطوف على آياتي. **﴿هزؤا﴾** مفعول ثانٍ. **﴿إن الذين﴾** إنّ واسمها. **﴿آمنوا﴾** صلة الموصول. **﴿وعملوا﴾** معطوف على آمنوا. **﴿الصالحات﴾** مفعول به منصوب بالكسرة. **﴿كانت لهم جنات﴾** اسم كانت. **﴿الفردوس﴾** مضاف إلى جنات. **﴿نزلا﴾** خبر كانت. وجملة **﴿كانت لهم جنات الفردوس نزلا﴾** في محل رفع خبرُ إنّ، **﴿خالدين﴾** حال من الضمير في لهم. **﴿فيها﴾** متعلق بخالدين. **﴿لايبغون﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى. **﴿عنها﴾** متعلق بما بعده: **﴿حولا﴾** مفعول به. **﴿قل: لو كان البحر﴾** كان واسمها دخل عليها حرف الشرط. **﴿مدادا﴾** خبر كان. **﴿لكلمات﴾** متعلق بمدادا. **﴿ربي﴾** مضاف إلى كلمات.

﴿لنفد البحرُ﴾ فعل وفاعل جواب لو. واللام رابط للجواب. **﴿قبل﴾** متعلق بنفد. **﴿أن تَنفِدَ كلمات﴾** فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مضاف إلى قبل. **﴿ربي﴾** مضاف إلى كلمات. **﴿ولو جئنا﴾** فعل وفاعل دخلت عليه لو الوصلية وواو العطف. **﴿بمثله﴾** متعلق بجئنا. **﴿مددا﴾** منصوب على التمييز. وجملة **﴿ولو جئنا بمثله مددا﴾** في موضع الحال. **﴿قل: إنما﴾** كافة ومكفوفة. **﴿أنا﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿بشرٌ﴾** خبره. **﴿مثلكم﴾** نعت لبشر. **﴿يوحى﴾** فعل مضارع مبنى للمجهول. **﴿إليّ﴾** نائب الفاعل. **﴿أنما إلهكم إله واحد﴾**. أنما كافة ومكفوفة. إلهكم مبتدأ. إله خبره، واحد نعت له. والجملة تفسيرية. وجملة **﴿إنما أنا بشر مثلكم﴾** مقول القول.

وجملة **﴿يوحى إلي﴾** نعت ثان لبشر. وجملة **﴿أنما إلهكم إله واحد﴾** مفسرة لقوله: **﴿يوحى إليّ... فمن كان﴾** اسم كان ضمير يعود على من. ومن شرطية. والفاء للتفريع. **﴿يرجو﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على اسم كان... والجملة في محل نصب خبر كان. **﴿لقاء﴾** مفعول به. **﴿ربه﴾** مضاف إلى لقاء. **﴿فليعمل﴾** فعل مضارع مجزوم بلام الأمر والفاء رابطة لجواب الشرط. والفاعل ضمير يعود على من كان يرجوا. **﴿عملا﴾** مفعول به. **﴿صالحاً﴾** نعت له. **﴿ولا يشرك﴾** مجزوم بلا الناهية. والواو للعطف. والجملة معطوفة على قوله: **﴿فليعمل﴾**. **﴿بعبادة﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿ربه﴾** مضاف إلى عبادة. **﴿أحدا﴾** مفعول به.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا﴾: وصل الكلام بالعطف على ما تقدم من قصة آدم وإبليس ومن قبله ضرب المثل برجلين: صالح وطالح. مؤمن وكافر... وهنا يأتى بقصة نبئ مرسل مع عبد صالح ملهم ومرشد. وهذه القصة لم يذكرها اليهود ولا النصارى التي يزعمون أنها من عند موسى وعيسى... وفي هذه القصة وغيرها من قصص هذه السورة تحدٍّ سافِرٌ لأهل الكتاب ولغيرهم من علماء التاريخ والآثار حيث جهلوا أكبر الأنباء المهمة... فجاء بها هذا القرآن الذي أنزله الله على رسوله الأمى الذي عاش في

أمة أمية لا تدرى شيئا عما حدث. والفتى هنا مستعمل مجازا في التابع والخادم. . . فإضافة الفتى إلى ضمير موسى على معنى الاختصاص.

وابتدئت القصة بحكاية كلام موسى المقتضى تصميما على أن لا يترك ما هو فيه من السير والبحث إلى أن يبلغ ما كان يبغيه. وحذف ذكر الغرض الذي سار لأجله موسى لأنه سيُذْكَرُ بَعْدُ. وهو حذف إيجاز وتشويق. له موقع عظيم في حكاية القصة لإخراجها عن مطروق القصص إلى أسلوب بديع الحُكْم والأمثال قضاءً لحقِّ الإعجاز. ﴿**فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا**﴾. الفاء للتفريع والفصيحة؛ لأنها تفصح عن كلام مقدر. والتقدير: فسارا حتى بلغا مجمع البحرين وأضيف مجمع إلى بينهما على سبيل التوسع. وجملة ﴿**نسيا حوتهما**﴾ جواب لما.

وجملة ﴿**فاتخذ سبيله في البحر سربا**﴾ مرتبة على ﴿**نسيا حوتهما. فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا**﴾: جملة شرطية عقبت بالفاء للدلالة على العجلة وسرعة السير حتى بلغ منهم الجهد والجوع مبلغا عجيبا: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا. قال ﴿**أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا**﴾: هنا ينتبه الفتى فيعلم موسى بما حصل عند الصخرة التي استراحا عندها. فانتبه موسى لكلامه: ﴿**قال: ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا. . . فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما**﴾: ترتب على رجوعهما إلى المكان الذي فيه الصخرة ونسيا فيه الحوت وجود ما يريد موسى من هذا السفر وهو التقاؤه بالعبد الصالح الخضر. . . ﴿**قال له موسى: هل أتّبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا**﴾؟: الكلام مستأنف مبنى على سؤال نشأ من السياق. كأنه قيل: فماذا جرى بينهما من الكلام؟ فقيل: قال له موسى: عل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا؟ وهو استئذان منه في اتباعه له على وجه التعلُّم.

ولقد راعى موسى في سوق الكلام غاية التواضع مع الخضر!. قال: ﴿**إنك لن تستطيع معى صبرا**﴾: رد الخضر على موسى بكلام مؤكد بحرف إن وبحرف لن تحقيقا لمضمون هذا الكلام تحذيرا منه لموسى. وتنبيهًا على ما يستقبله منه حتى يقدم على متابعته إن شاء على بصيرة وعلى غير اغترار. . . فمناط التأكيدات

في جملة ﴿**إنك لن تستطيع معى صبرا**﴾ إنما هو تحقيق خطورة أعماله وغرابتها في المتعارف بحيث لا تَتَحَمَّلُ ولهذا علله بقوله: ﴿**وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا**﴾؟!. وهو إيذان بأنه يتولى أمورا خفية المدار منكرة الظواهر. والرجل الصالح لاسيما صاحب الشريعة لا يتمالك أن يشمئز عند مشاهدتها. ﴿**قال ستجدنى ـ إن شاء الله صابرا ـ ولا أعصى لك أمرا**﴾: رد موسى هذا فيه أدب واعتذار على ما سيحصل منه في المستقبل.

ولما كان هذا الصبر الكامل يقتضى طاعة الآمر فيما يأمر به عطف عليه ما يفيد الطاعة بقوله: ﴿**ولا أعصى لك أمرا. قال فإن اتبعتنى فلا تسألنّي عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا**﴾: فرع هذا القول على القول قبله لإظهار الإذن لموسى بالمتابعة مع الشرط اللاّزم تنفيذه... ﴿**فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها**﴾: تعقيب على المحاورة السابقة... ففى الكلام إيجاز دل عليه قوله: ﴿**إذا ركبا في السفينة...**﴾ فأصل الكلام: حتى استأجرا سفينة فركباها. فلما ركبا في السفينة ﴿**خرقها**﴾. وتعريف السفينة تعريف العهد الذهنى. ﴿**قال: أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا**﴾: الاستفهام في قوله: أخرقتها للإنكار. ومحل الإنكار هو العلة بقوله: ﴿**لتغرق أهلها**﴾؛ لأن العلة ملازمة للفعل المستفهم عنه. وتأكيد إنكاره بقوله: لقد جئت شيئا إمرا.

﴿**قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا**﴾: استفهام تقرير وتعريض باللوم على عدم الوفاء بما التزم. ﴿**قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا**﴾: اعتذر موسى بالنسيان وكان قد نسى التزامه بما غشى ذهنه من مشاهدة ما ينكره. والنهى مستعمل في التعطف والتماس عدم المؤاخذة. والإرهاق هنا مستعمل مجازا في المعاملة بالشدة. ﴿**فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله**﴾: يدل تفريع قوله ﴿**فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما**﴾ عن اعتذار موسى على أن الخضر قبل عذره وانطلقا مصطحبين. وقوله ﴿**فقتله**﴾ تعقيب لفعل لقيا تأكيد للمبادرة المفهومة من تقديم الظرف... فكانت المبادرة بقتل الغلام عند لقائه أسرع من المبادرة بخرق السفينة حين ركوبها. ﴿**قال أقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا**﴾: إنكار موسى في إنكار ذلك جرى على نسق كلامه في إنكار خرق السفينة سوى أنه وصف هذا الفعل بأنه نكر... فهو أشد من الشئ الإمر؛ لأن هذا فساد حاصل والآخر ذريعة فساد.

ووصف النفس بالزاكية لأنها نفس غلام لم يبلغ الحلم فلم يقترف ذنبا. . . **﴿قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا﴾**: كان جواب الخضر هذا على نسق جوابه السابق إلا أنه زاد ماحكى في الآية بكلمة لَكَ، وهو تصريح بمتعلق فعل القول واللام في قوله لك لام التبليغ. والقصد منه زيادة تقوى الكلام وتبليغه إلى السامع. وكان التقرير والإنكار مع ذكر لام تعدية القول أقوى وأشد. **﴿قال إن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا﴾**: لم يعتذر موسى بالنسيان هنا كما اعتذر في المرة الأولى. . ولكنه عدل إلى المبادرة باشتراط ما تطمئن إليه نفس صاحبه بأنه إن عاد للسؤال الذي لا يبتغيه صاحبه فقد جعل له أن لايصاحبه بعده. . . **﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾**: الكلام مرتب على ما قبله بالفاء وتركيب هذه الآية مثل تركيب ما سبقها من قوله: **﴿فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها. . .﴾** وقوله: **﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله. . .﴾** فرد عليه موسى مسرعا مستغربا ما فعل من إقامة الجدار دون مقابل، نظرا لما فعل أهل القرية معهم من حرمان وسوء اعتبار.

قال: **﴿هذا فراق بيني وبينك﴾**: قال الخضر لموسى: هذا آخر ما بيننا من صحبة تنتهى الآن. . . ولكن لا أفارقك حتى أنبئك بحكمة ما فعلت من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار. . . **﴿سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا: أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا. . .﴾** جملة **﴿سأنبئك﴾** مستأنفة استئنافا بيانيا، تقع جوابا لسؤال يهجس في خاطر موسى عن أسباب الأفعال التي فعلها الخضر. . . ففصّل له الأسباب تفصيلا كاملا. . . فتصرف الخضر في أمر السفينة تصرف برعى المصلحة الخاصة. . . فأصحابها مساكين لا يحسنون عملا غير العمل في البحر. . . فلو أخذ الملك منهم سفينتهم لفقدوا كل شئ وصاروا عَالَةً على الغير.

﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشيا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما. . .﴾ فتصرف الخضر في قتل الغلام تصرف بوحى من الله جارٍ على قطع فسادٍ خاصٍّ علمه الله، وأعلم به الخضر بالوحى فليس من مقام التشريع العام. **﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في**

المدينة وكان تحته كَنْزٌ لَهُمَا وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾. فتصرُّف الخضر في الجدار تصرُّفٌ عن إرادة الله اللطف باليتيمين جزاء لأبيهما على صلاحه. وقد أسند الإرادة في قصة الجدار إلى الله تعالى دون القصتين السابقتين. فقد أسند الخضر الأولى إلى نفسه. وأسند الثانية إلى ضمير المتكلمين... بخلاف قصة الجدار... فتلك كرامة لأبى الغلامين... فأسندت إلى الله تعالى وحدهِ وقوله: ﴿**رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى...**﴾ تصريح بما يزيل إنكار موسى على الخضر تصرفاته هذه بأنها رحمة ومصلحة... فالإنكار فيها بعد معرفة تأويلها.

ثم زاد بأنه فعلها عن وحى من الله. فانتصب رحمة على المفعول لأجله فينازعه كل من أردت... وأردنا... وأراد ربك... وجملة ﴿**ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا**﴾ فذلكة للجمل التي قبلها ابتداء من قوله: ﴿**أما السفينة...**﴾ فالإشارة بذلك إلى المذكور في الكلام السابق. وهو تلخيص للمقصود، كموصلة المدرس في آخر درسه... ﴿**ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا**﴾: الكلام موصول بالعطف على ما قبله من قصة أهل الكهف والرجلين الذين ضربا بهم المثل، وقصة موسى والخضر. والظاهر أن السائلين: قريش. والمسؤول عنه خبر رجل من عظماء العالم عرف بلقب ذى القرنين كانت أخبار سيرته خفية مجملة مغلقة.

فسألوا النبئ عن تحقيقها وتفصيلها. وأذن له الله أن يبين منها ما هو موضع العبرة للناس في شؤون الصلاح والعدل، وفي عجيب صنع الله تعالى في اختلاف أحوال الخلق. ولم يتجاوز القرآن ذكر هذا الرجل بأكثر من لقبه المشتهر به إلى تعيين اسمه وبلاده وقومه؛ لأن ذلك من شؤون أهل التاريخ والقصص. وليس من أغراض القرآن... فكان منه الاقتصار على ما يفيد الأمة من هذه القصة عبرة حِكْميّة أو خُلقية. والمراد بالسؤال عن ذى القرنين السؤال عن خبره... فحذف المضاف إيجاز الدلالة للمقام. وكذلك حذف المضاف في قوله: منه... أى: من خبره. و﴿**من**﴾ تبعيضية. وجعل المتلوّ نفسه ذكرا مبالغة بالوصف بالمصدر. والسين في قوله: ﴿**سأتلو...**﴾ لتحقيق الوعد. وجعل خبر ذى القرنين تلاوة وذكرا؛ لأنه من خبر القرآن لا من خبر غيره.

﴿**إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شئ سببا**﴾: شروع في تلاوة الذكر المعهود حَسْبَمَا هو الموعود. والتمكين ههنا الإقدار وتمهيد الأسباب. يقال: مكّنه ومكّن له ومعنى الأول جعله قادرا وقويا. ومعنى الثانى جعل له قدرة وقوّة. ولتلازمهما. في الوجود وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر؛ كما في قوله تعالى: ﴿. . .**مكناهم في الأرض مالم نمكن لكم**﴾. وكل شئ مستعمل هنا في الأشياء الكثيرة. وأطلق السبب هنا على ما يتوصل به إلى الشئ من علم أو مقدرة أو آلات التسخير على وجه الاستعارة. ﴿**فاتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا**﴾: ترتب الآية على قوله: ﴿**وآتيناه من كل شئ سببا**﴾. فالسبب هنا الطريق. وهناك الوسائل اللازمة لهذه الطريق. فالاستعمال مجاز بقرينة ذكر الاتّباع والبلوغ.

والدليل على إرادة غير معنى السبب في قوله: ﴿**وآتيناه من كل شئ سببا**﴾ إظهار اسم السبب دون إضماره؛ لأنه لما أريد به معنى غير ما أريد بالأول حسُنَ إظهارُ اسمه تنبيها على اختلاف المغيبين. والمراد بمغرب الشمس المكان الذي يتخيل الناظر فيه أن الشمس غربت فيه؛ إذ ليس للشمس مغرب حقيقى إلا فيما يلوح للتخيل. وجملة ﴿**ووجد عندها قوما**﴾ معطوفة على قوله: ﴿**وجدها تغرب في عين حمئة. . .**﴾ وتنكير ﴿**قوما**﴾ يؤذن بأنهم أمة غير معروفة ولا مألوفة حالة عقائدهم وسيرتهم فجملة قلنا ياذا القرنين. . . استئناف بيانى لما أشعر به تنكير قوما من إثارة سؤال عن حالهم وعما لاقاه بهم ذو القرنين، وقد دل قوله ﴿**إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا**﴾ على أنهم أهل فترة وأن ذا القرنين أول رسول إليهم، وأن قول الله هذا وحى أوحاه الله إليه بتبليغهم رسالة الله. . . فنفّذ أمر الله فيهم حيث قال: ﴿**أمّا من ظلم فسوف نعذبه. . . ثم يُردّ إلى ربه. . . فيعذبه عذابا نكرا. وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا**﴾.

واجتلاب حرف الاستقبال في قوله: فسوف نعذبه. . . يشير إلى أنه سيدعوه إلى الإيمان فإن أصر على الكفر يعذبه. وقد صرح بهذا المفهوم في قوله: ﴿**وأما من آمن وعمل صالحا. . .**﴾ وهو دليل على أنهم أهل فترة. والإيمان والكفر

يظهران بعد دعوة الرسول. التعذيب الأول تعذيب الدنيا. . والتعذيب الثانى تعذيب الآخرة. ووصف الثانى بالنكر دون الأول؛ لأن الأول ينتهى والثانى باق أبدا وإن آمن حسبما هو مقرر في الدعوة، وعمل صالحا حسبما هو مشروع في شريعة ذى القرنين، ﴿**فله جزاء الحسنى**﴾ في الدنيا والآخرة. ﴿**وسنقول له من أمرنا يسرا. . . ثم اتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا**﴾: مطلع الشمس جهة الشرق حيث اتجه إلى الشرق، بعدما بلغ منتهى المعمورة من الغرب. . . وهذا ما اتخذه المسلمون في فتوحاتهم شرقا وغربا. . . فقد وجدوا الناس في حَالٍ يرثى لها من الجوع والعرى والجهل وسوء الحال. . . كذلك. وقد أحطنا بما لديه خبرا: جملة اعتراضية بين قوله: ﴿**ثم اتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس**﴾. وبين قوله: ﴿**ثم اتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين. . .**﴾ والجملة كناية عن كون ما أعطى لذى القرنين من عظمة شئ لا يحيط به إلا علام الغيوب!. . ﴿**ثم اتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا**﴾: هذا هو المسير الثالث أو الدفع الثالث.

وهو أوغل وأصعب وأجهل في الآفاق وفي النفوس. . . فالأرض وعرة بعيدة، والقوم متوغلون في البداوة والبلاهة فلا يفهمون ما يقصده من يخاطبهم. . . ﴿**قالوا ياذا القرنين إن ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا**﴾: فصل الكلام عما قبله لأنه مستأنف للمحاورة. وافتتاحهم الكلام بالنداء أنهم نادوه نداء المستغيثين المضطرين. وأكدوا كلامهم بقولهم: إن ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض. والاستفهام في ﴿**فهل نجعل لك خرجا**﴾ مستعمل في العرض والفاء لتفريع العرض على إفسادهم في الأرض. ﴿**قال ما مكنى فيه ربى خير**﴾: فصل الكلام لكونه محاورة. وذو القرنين لا يحتاج من القوم الخراج. وإنما يريد منهم القوة والوقوف معه في العمل والانتاج: ﴿**فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما. . .**﴾ وقوله: ﴿**آتونى زبر الحديد**﴾ هو أمر لهم بمناولة قطع الحديد الجاهزة. فالايتاء مستعمل في حقيقة معناه.

وليس تكليفا للقوم بأن يجلبوا له الحديد من معادن وقوله: ﴿**حتى إذا ساوى بين الصدفين**﴾ أشعر حتى بشى له غاية قبلها. وهو كلام محذوف تقريره فآتوه زبر

الحديد فنضّدها وبناها حتى إذا جعل ما بين الصدفين مساويا لعلو الصدفين وهذا من إيجاز الحذف. **﴿قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا﴾**: الأمر موجه للعملة. وحذف متعلق انفخوا لظهوره من كون العمل في صنع الحديد. والتقدير: انفخوا في الكيران. وهي آلات ينفخ بها فيشتد اشتعال النيران... ثم أفرغ النحاس المذاب على الحديد المنصهر فالتأم وشد بعضه بعضا... فما اسطاعوا أن يظهروه وما اسطاعوا له نقبا: الفاء فصيحة أفصحت عن كلام مقدر؛ والتقدير: فعلوا ما أمروا به من إيتاء القطر فأفرغه عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صَلْبًا فجاء ياجوج وماجوج فقصدوا أن يعلوه فما اسطاعوا... وقصدوا أن ينقبوه **﴿فما اسطاعوا...﴾** واسْطَاعوا تخفيف استطاعوا. والجمع بينهما تفنن في اللفظ، وتمعُّن في المعنى... لأن استطاعة نقب السد أقوى من تسلقه قال هذا رحمة من ربى: هذه الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا؛ لأنه لما آذّن الكلام بانتهاء حكاية وصف الردم كان ذلك مُثِيرًا سؤال مَنْ يسأل: ماذا صدر من ذى القرنين حين أتم هذا العمل العظيم؟ فيجاب بجملة **﴿قال هذا رحمة من ربى...﴾** وفرع عليه **﴿فإذا جاء وعد ربى جعله دكا﴾** نُطقًا بالحكمة لأنه يعلم أن كل حادث صائر إلى زوال.

وجملة **﴿كان وعد ربى حقا﴾** تذييل للعلم بأنه لا بد له من أجل ينتهى إليه. وهذه الجملة بعمومها وما فيها من حكمة كانت تذييلا بديعا. **﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾**: الكلام متصل بالعطف على ما قبله. ابتداء من قوله: **﴿حتى إذا بلغ بين السدين...﴾** فهذه الجملة لذكر صنع الله تعالى في هذه القصة الثالثة من قصص ذى القرنين، إذ ألهمه دفع فساد ياجوج وماجوج. وهي بمنزلة جملة **﴿قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا﴾**. وجملة **﴿كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا...﴾** فجاء أسلوب حكاية هذه القصص الثلاث على نسق واحد.

ويومئذ هو يوم إتمام بناء السد المستفاد من قوله: **﴿فما اسْطَاعُوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا﴾**. ويموج يضطرب تشبيها بموج البحر. **﴿ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا. وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا. الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لايستطيعون سمعا﴾**: هذا الكلام متصل بما قبله. وهو

تخلُّصٌ من أغراض الاعتبار بما في القصة من إقامة المصالح في الدنيا على أيدي من اختاره الله لإقامتها من خاصة أوليائه، إلى غرض التذكير بالموعظة بأحوال الآخرة. وهو تخلص يؤذن بتشبيه حال تموجهم بحال تموج الناس في المحشر؛ تذكيرا للسامعين بأمر الحشر، وتقريبا بحصوله في خيال المشركين. . . فإن القادر على جمع أمة كاملة وراء هذا السد بفعل من يبشره لذلك من خلقه هو الأقدر على جمع الأمم في الحشر بقدرته. وقد تقدم أن من أهم أغراض هذه السورة إثبات البعث. واستعمل الماضى موضع المضارع تنبيها على تحقيق وقوعه.

والنفخ في الصور تمثيلية مكنية تشبيها لحال الداعى المطاع وحال المدعو الكثير العدد السريع الإجابة بحال الجند الذين ينفذون أمر القائد بالنفير فينفخون في بوق النفير وبحال بقية الجند جين يسمعون بوق النفير فيسرعون إلى الخروج، وتأكيد فعلى ـ جمعناهم ـ وعرضنا ـ بمصدريهما لتحقق أنه جمع حقيقى وعرض حقيقى ليسا من المجاز. وفي تنكير الجمع والعرض تهويل. ونعت الكافرين بالذين كانت أعينهم في غطاء. . . للتنبيه على أن مضمون الصلة هو سبب عرض جهنم لهم. . . والغطاء مستعار لعدم الانتفاع بدلالة البصر على تفرد الله بالإلهية. . . ونفى استطاعتهم السمع أنهم لشدة كفرهم لاتطاوعهم نفوسهم للاستماع. . . فنفى الاستطاعة مستعمل في نفى الرغبة، وفي الإعراض.

﴿**أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء**﴾: أعقب وصف حرمانهم الانتفاع بدلائل المشاهدات على وحدانية الله وإعراضهم عن تفريع الإنكار على صلة الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى. . . لأن حسبانهم ذلك نشأ عن كون أعينهم في غطاء وكونهم لا يستطيعون سمعا. والاستفهام إنكارى. والإنكار عليهم فيما يحسبونه يقتضى أن ماظنوه باطل. وصيغ فعل الاتخاذ بصيغة المضارع للدلالة على تجدده منهم وأنهم غير مقلعين عنه. وإظهار الذين كفروا دون أن يقال: أفحسبوا بإعادة الضمير إلى الكافرين في الآية قبلها، لقصد استقلال الجملة بدلالتها، وزيادة في إظهار التوبيخ لهم.

وجملة ﴿**إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا**﴾. مقررة لإنكار انتفاعهم بأوليائهم. فأكد بأن جهنم أعدت لهم نزلا فلا محيصَ لهم عنها؛ ولذلك أكد بحرف إنّ. وإطلاق اسم النزل على العذاب استعارة علاقتها التهكم. ﴿**قل هل ننبئكم**

بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾: هذه الآية جاءت مستأنفة استئنافا ابتدائيا معترضة بين الجمل السابقة واللاحقة. وافتتحت بالأمر بالقول للاهتمام بالمقول باصغاء السامعين؛ لأن مثل هذا الافتتاح يشعر بأنه في غرض مهم وكذلك الافتتاح باستفهامهم عن إنبائهم استفهاما مستعملا في العرض؛ لأنه بمعنى أتحبون أن ننبئكم بالأخسرين أعمالا؟! وهو عرض تهكم. وفي قوله ﴿**بالأخسرين أعمالا**. . .﴾ تلميح؛ إذ عدل فيه عن طريقة الخطاب إلى طريقة الغيبة بحيث يستشرفون إلى معرفة هؤلاء الأخسرين فما يروعهم إلا أن يعلموا أن المخبر عنهم هم أنفسهم. وقوله ﴿**الذين ضل سعيهم**. . .﴾ بدل من ﴿**الأخسرين أعمالا**. . .﴾ وفي هذا الإطناب زيادة التشويق إلى معرفة هؤلاء الأخسرين حيث أجرى عليهم من الأوصاف ما يزيد السامع حرصا على معرفة الموصوفين بتلك الأوصاف والأحوال. والضلال خطأ السبيل.

شبه سعيهم غير المثمر بالسير في طريق غير موصلة. والسعى هنا مجاز في العمل. وبين ﴿**يحسبون ويحسنون**﴾ جناس مصحف. كما هو معلوم في علم البديع. ﴿**أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا**﴾: اسم الإشارة يعود إلى الذين اتخذوا من دون الله أولياء لما في اسم الاشارة من البعد. وسبب اتخاذهم آلهة من دون الله أنهم لا يؤمنون بآيات الله ولا بلقائه. ﴿**فحبطت أعمالهم وخسروا كل شئ في الدنيا**. . . **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا**﴾. ونفى إقامة الوزن مستعمل في عدم الاعتداد بالشئ، وفي حقارته. . . وجعل عدم إقامة الوزن مفرعا على حبط أعمالهم؛ لأنهم بحبط أعمالهم صاروا محقرين لاشئ لهم من الصالحات.

﴿**ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزؤا**﴾: الإشارة إلى ما تقدم من وعيد الكافرين في قوله: ﴿**إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا**. . .﴾ وبين سبب هذا المصير الخطير وهو كفرهم واتخاذهم آيات الله ورسله هزؤا. ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا**﴾: هذا مقابل قوله: ﴿**إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا**﴾، على عادة القرآن في ذكر البشارة بعد الإنذار. وتأكيد الجملة للاهتمام بها؛ لأنها جاءت في مقابلة جملة إنا أعتدنا وهي مؤكدة؛ كى لا يظن ظان أن جزاء المؤمنين غير مهتم بتوكيده مع ما في التوكيدين من تقوية للإنذار وتقوية البشارة.

وجعل المسند إليه الموصول بصلة الإيمان وعمل الصالحات للاهتمام بشأن أعمالهم. . . فلذلك خولف نظم الجملة التي تقابلها. فلم يقل: جزاؤهم الجنة. وقد تقدم نظير هذا في هذه السورة. وفي الإتيان بكانت دلالة على أن استحقاقهم الجنات أمر مستقر من قبل مهيأ لهم. وجيء بلام الاستحقاق تكريما لهم. وجمع الجنات إيماء إلى سِعَةِ نعيمهم. . . والفردوس البستان المجامع لكل ما يكون في البساتين. واضافة الفردوس إلى الجنات بيانية. وكل من ﴿**خالدين. . . ولا يبغون**﴾ حال بَعْدَ حال وهي حال متداخلة. وهما زيادة في تقوية توكيد الخبر. . . ﴿**قل: لو كان البحر مدادا الكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا**﴾: لما ابتدئت هذه السورة بالتنويه بشأن القرآن. . . ثم أفيض فيها من أفانين الإرشاد والإنذار والوعد والوعيد وذكر فيها من أحسن القصص ما فيه عبرة وموعظة، وما هو خفى من أحوال الأمم حول الكلام إلى الإيذان بأن كل ذلك قليل من عظيم علم الله تعالى. فهذا استئناف ابتدائى.

وهو انتقال إلى التنويه بعلم الله مفيض العلم على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن المشركين لما سألوه عن أشياء يظنونها مُفْحِمَة للرسول وأن لا قبل له بعلمها علّمه الله إياها، وأخبر عنها أصدق خبر، وبينها بأقصى ما تقبله أفهامهم، وبما يقصر عنه علم الذين أغروا المشركين بالسؤال عنها. وكان آخرها ذى القرنين، أتبع ذلك بما يعلم منه سعة علم الله تعالى، وسعة ما يجرى على وفق علمه من الوحى إنْ أراد إبلاغ بعض ما في علمه إلى أحد من رسله. وفي هذا رد عجز السورة على صدرها. شبهت كلمات الله هنا بالسراج المضئ لأنه يهدى إلى المطلوب كما شبه نور الله وهديه بالمصباح في قوله تعالى: ﴿**مثل نوره كمشكاة فيها مصباح. . .**﴾ ويكون المداد تخييلا بالزيت الذي يمد به السراج.

وهذا التوجيه أحق بالاعتبار من توجيه المداد بالحبر الذي تكتب به الكلمات؛ لأن هذا سيأتى في سورة لقمان. ويكون الكلام خاليا من التكرار. وهذا الكلام كناية عن عدم تناهى معلومات الله تعالى التي منها تلك المسائل التي سألوا عنها النبئ. ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد**﴾: استئناف ثان انتقل به من التنويه إلى سعة علم الله تعالى وأنه لا يعجزه أن يوحى إلى رسوله بعلم كل ما يسأل عن الإخبار به، إلى إعلامهم بأن الرسول لم يبعث للإخبار عن

الحوادث الماضية والقرون الخالية، ولا أن من مقتضى الرسالة أن يحيط على الرسول بالأشياء فيتصدى للإجابة عن أسئلة تلقى إليه... فالحصر في قوله: ﴿**إنما أنا بشر مثلكم**﴾ قصر الموصوف على الصفة... وهو إضافى للقلب. والمعنى: ما أنا إلا بشر لا أتجاوز البشرية إلى العلم بالمغيبات. وأدمج في هذا أهم ما يوحى إليه وما بعث لأجله، وهو توحيد الله والسعى لما فيه السلامة عند لقائه. فهذا من رد العجز على الصدر من قوله في أول السورة: لينذر بأسا شديدا من لدنه إلى قوله: ﴿**إن يقولون إلا كذبا**﴾. وتفريع ﴿**فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**﴾؛ هو من جملة الموحى به إليه... فجاء النظم بطريقة بديعة في إفادة الأصول الثلاثة: التوحيد والبعث والعمل الصالح؛ إذ جعل التوحيد أصلا وفرع عليه الأصلان الآخران. وأكد الإخبار بالوحدانية بالنهى عن الإشراك بعبادة الله تعالى. وحصل مع ذلك رد العجز على الصدر. وهو أسلوب بديع.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا**﴾: في هذا التوجيه لفت الأنظار إلى ما في هذه القصة من الاعتبار. وذلك أن اليهود لم يذكروها في أسفارهم التي يسمونها الكتب المقدسة عندهم. وكذلك النصارى لم تذكرها أَنَاجيلُهُم ولا رسائلهم المعروفة عندهم بالعهد الجديد. وجاءت في القرآن تفضح ادّعاء اليهود أنهم أهل العلم والكتاب الأول وهذه الحلقة من قصة موسى مع العبد الصالح لا تذكر في القرآن كله إلا في هذا الموضع من هذه السورة التي احتوت كثيرا من الأحداث الغريبة والمثيرة للانتباه وتفتح الأسماع لما يتلى من الأحداث العجيبة... والقرآن لا يحدد المكان الذي وقعت فيه هذه القصة إلا بأنه مجمع البحرين... ولا يحدد التاريخ الذي وقعت فيه القصة من حياة موسى... كذلك لا يذكر القرآن شيئا عن العبد الصالح الذي لقيه موسى.

من هو؟ ما اسمه؟... وهناك روايات كثيرة عن ابن عباس وعن غيره في هذه القصة!.. والأرجح من واقع تاريخ بنى إسراءيل بعد خروجهم من مصر وبقائهم في سيناء أن مجمع البحرين هو مجمع خليجى العقبة والسويس في البحر

الأحمر. . . ونفهم من سياق القصة فيما بعد هدف من رحلته هذه التي اعتزمها، وأنه كان يقصد من ورائها أمرا. . . فهو يعلن تصميمه على بلوغ مجمع البحرين مهما تكن المشقة. . . ومهما يكن الزمن الذي ينفقه في الوصول. . . ﴿**فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا**. . .﴾ حكاية الحوت المنسى واتخاذه في البحر سربا كانت آية من آيات الله لموسى يعرف بها موعده. . . فأدرك موسى أنه جاوز الموعد: ﴿**فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا**. . .﴾ فالموعد هو المكان الذي حدده ربه له للقاء العبد الصالح وأنه هنالك عند الصخرة: ﴿**قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا**. . .﴾ ثم عاد على أثره هو وفتاه فوجداه: قال ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا.

﴿**فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما**. . .﴾ ويبدو أن ذلك اللقاء كان سِرّ موسى وحده مع ربه فلم يطلع عليه فتاه حتى لقياه. ومن ثم ينفرد موسى والعبد الصالح في المشاهد التالية للقصة: ﴿**قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا**. . .﴾ بهذا الأدب اللائق بنبئ يستفهم ولا يجزم، ويطلب العلم الراشد من العبد الصالح العالم ولكن علم الرجل ليس هو العلم البشرى الواضح الأسباب القريب النتائج. إنما هو جانب من العلم اللدنى بالغيب أطلعه الله عليه بالقدر الذي أراده، للحكمة التي أرادها.

ومن ثم فلا طاقة لموسى بالصبر على الرجل وتصرفاته ولو كان نبيئا رسولا؛ لأن هذه التصرفات حسب ظاهرها قد تصطدم بالمنطق العقلى، وبالأحكام الظاهرة، ولابد من إدراك ما وراءها من الحكمة المغيَّبة؛ وإلا بقيت عجيبة تثير الاستنكار؛ لذلك يخشى العبد الصالح الذي أوتى العلم اللدنى على موسى ألا يصبر على صحبته وتصرفاته: ﴿**قال إنك لن تستطيع معى صبرا. وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا**﴾؟!. ويعزم موسى على الصبر والطاعة ويستعين الله ويقدم مشيئته: ﴿**قال ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا**﴾ فيزيد الرجل توكيدا وبيانا، ويذكر له شرط صحبته قبل بدء الرحلة، وهو أن يصبر فلا يسأل ولايستفسر عن شئ من تصرفاته حتى يكشف له عن سرها: ﴿**قال فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا**﴾.

ويرضى موسى. . . وإذا نحن أمام المشهد الأول لهما: ﴿**فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها**﴾. سفينة تحملهما وتحمل معهما ركابا، وهم في وسط اللجة؛ ثم يجئ هذا العبد الصالح فيخرق السفينة! إن ظاهر الأمر هنا أن هذه الفعلة تعرض السفينة وركابها لخطر الغرق وتؤدى بهم إلى هذا الشر؛ فلماذا يقدم الرجل على هذا الشر؟!. لقد نسى موسى ما قاله هو، وما قاله صاحبه أمام هذا التصرف العجيب الذي لا مبرر له في نظر المنطق العقلى! والإنسان قد يتصور المعنى الكلى المجرد، ولكنه عندما يصطدم بالتطبيق العملى لهذا المعنى والنموذج الواقعى منه يستشعر له وقعا غير التصوري والنظرى، فالتجربة العملية ذات طعم آخر غير التصور المجرد.

وها هو ذا موسى الذي نُبّه من قبْلُ إلى أنه لا يستطيع صبرا على ما لم يحط به خبرا؛ فاعتزم الصبر واستعان بالمشيئة وبذل الوعد وقبل الشرط هاهو ذا يصطدم بالتجربة العملية لتصرفات هذا الرجل فيندفع مستنكرا: ﴿**قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا**﴾! وفي صبْرٍ ولُطف يذكره العبد الصالح بما كان قد قاله منذ البداية: ﴿**قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا**﴾؟. . ويعتذر موسى بنسيانه، ويطلب إلى الرجل أن يقبل عذره ولا يرهقه بالمراجعة والتذكير: ﴿**قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا**. . .﴾ فيقبل الرجل اعتذاره. . . فتجدنا أمام المشهد الثانى: ﴿**فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله**﴾. فإن كانت الأولى خرق سفينة واحتمال غرق من فيها، فهذه قتل نفس قتل عمد لا مجرد احتمال.

وهي فظيعة كبيرة لم يستطع موسى أن يصبر عليها على الرغم من تذكيره لوعده: ﴿**قال أقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا**. . .﴾ فليس ناسيا في هذه المرة ولا غافلا. . . ولكنه قاصد. قاصد أن ينكر هذا النكر الذي لا يصبر على وقوعه ولا يتأول له أسبابا. . . فالغلام في نظره برئ لم يرتكب ما يوجب القتل؛ بل لم يبلغ الحلم حتى يكون مؤاخذا على ما يصدر منه. ومرة أخرى يرده العبد الصالح إلى شرطه الذي شرطه ووعده الذي وعد، ويذكره بما قاله له أول مرة. والتجربة تصدقه بعد التجربة: ﴿**قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا**. .﴾ وفي هذه المرة يعين أنه قال له: ألم أقل لك؟ لك أنت على التعيين والتحديد. . . فلم تقتنع وطلبت الصحبة وقبلت الشرط. . . ويعود موسى إلى

نفسه، ويجد أنه خالف عن وعده مرتين... فيندفع ويقطع على نفسه الطريق ويجعلها آخر فرصة أمامه: ﴿**قال إن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا...**﴾ وينطلق السياق... فإذا نحن أمام المشهد الثالث: ﴿**فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه...**﴾ إنهما جائعان، ومن حقهما طلب ما يسد الجوعة... ولكنهما في قرية أهلها بخلاء، لا يطعمون جائعا، ولا يستضيفون ضيفا... والأشبه أن يكونوا من سلف اليهود... فلا يتعلقون بخيط من أصل العرب الذين يوصفون بالكرم والجود.

ثم يجد أن جدارا مائلا يهمّ أن ينقض... والتعبير يخلع على الجدار حياة وإرادة كالأحياء؛ فإذا الرجل الغريب الجائع يشغل نفسه بإقامة الجدار دون مقابل! وهنا يشعر موسى بالتناقض في الموقف. ما الذي يدفع هذا الرجل أن يجهد نفسه، ويقيم جدارهم بالانقضاض في قرية لم يقدم لهما أهلها الطعام وهما جائعان... وقد أبوا أن يستضيفوهما؟! أفلا أقل من أن يطلب عليه أجرا يأكلان منه؟!: ﴿**قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا**﴾! وكانت هي الفاصلة. فلم يعد لموسى من عذر، ولم يعد للصحبة بينه وبين الرجل مجال: ﴿**قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا**﴾. وإلى هنا كان موسى ـ ونحن الذي نتابع سياق القرآن ـ أمام مفاجآت متوالية لا نعلم لها سرا.

وموقفنا منها كموقف موسى. بل نحن لا نعرف من هو هذا الذي يتصرف تلك التصرفات العجيبة... فلم ينبئنا القرآن باسمه، تكملة للجو الغامض الذي يحيط بنا. وما قيمة اسمه؟ إنما يراد به أن يمثل الحكمة الإلهية العليا، التي لا ترتب النتائج القريبة على المقدمات المنظورة، بل تهدف إلى أغراض بعيدة لا تراها العين المحدودة... فعدم ذكر اسمه يتفق مع الشخصية المعنوية التي يمثلها. وإن القوى الغيبية لتتحكم في القصة منذ نشأتها... فهاهوذا موسى يريد أن يلقى هذا الرجل الموعود. فيمضى في طريقه... ولكن فتاه ينسى غداءهما عند الصخرة، وكأنما نسيه ليعودا... فيجد هذا الرجل هناك وكان لقاؤه يفوتهما لو سارا في وجهتهما، ولو لم تردهما الأقدار إلى الصخرة كرة أخرى... كل الجو غامض مجهول، وكذلك اسم الرجل الغامض المجهول في سياق القرآن... ثم

يأخذ السر في التجلى: ﴿**أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا. . .**﴾ فبهذا العيب نجت السفينة من أن يأخذها ذلك الملك الظالم غصبا.

وكان الضرر الصغير الذي أصابها اتقاء للضرر الكبير الذي يكنه الغيب لها لو بقيت على سلامتها. ﴿**وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفراً فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما**﴾. فهذا الغلام الذي لايبدو في حاضره ومظهره أنه يستحق القتل، قد كشف ستر الغيب عن حقيقته للعبد الصالح فإذا هو في طبيعته كافر طاغ تكمن في نفسه بذور الكفر والطغيان وتزيد على الزمن بروزا وتحققا. . . فلو عاش لأرهق والديه المؤمنين بكفره وطغيانه، وقادهما بدافع حبهما له أن يتبعاه في طريقه. . . فأراد الله ووجه إرادة عبده الصالح إلى قتل هذا الغلام الذي يحمل طبيعة كافرة طاغية، وأن يبدلهما الله خلقا خيرا منه وأرحم بوالديه.

ولو كان الأمر موكولاً إلى العلم البشرى الظاهر لما كان له إلا الظاهر من أمر الغلام، ولما كان له عليه من سلطان، وهو لم يرتكب بعدما يستحق عليه القتل شرعا. وليس لغير الله ولمن يطلعه من عباده على شئ من غيبه أن يحكم على الطبيعة المغيبة لفرد من الناس. ولا أن يرتب على هذا العلم حكما غير حكم الظاهر الذي تأخذ به الشريعة ولكنه أمر الله القائم على علمه بالغيب البعيد. ﴿**وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا**﴾.

فهذا الجدار الذي أتعب الرجل نفسه في إقامته ولم يطلب عليه أجرا من أهل القرية ـ وهما جائعان وأهل القرية لا يضيفونهما ـ كان يخبئ تحته كنزا ويغيب وراءه مالا لغلامين يتيمين ضعيفين في المدينة. ولو ترك الجدار ينقضّ لظهر من تحته الكنز فلم يستطع الصغيران أن يدفعا عنه. ولما كان أبوهما صالحا فقد نفعهما الله بصلاحه في طفولتهما وضعفهما فأراد أن يكبرا ويشتد عودهما ويستخرجا كنزهما وهما قادران على حمايته. . . ثم ينفض الرجل يده من الأمر فهى رحمة الله التي اقتضت هذا التصرف. وهو أمر الله لا أمره. . . فقد أطلعه على الغيب

في هذه المسألة وفيما قبلها، ووجهه إلى التصرف فيها وفق ما أطلعه عليه من غيبه فالآن ينكشف الستر عن حكمة ذلك التصرف كما انكشف عن غيب الله الذي لا يطلع عليه أحد إلا من ارتضى.

وفي دهشة السر المكشوف والستر المرفوع يختفى الرجل من السياق كما بدأ. لقد مضى في المجهول كما خرج من المجهول. فالقصة تمثل الحكمة الكبرى. وهذه الحكمة لا تكشف عن نفسها إلا بمقدار. ثم تبقى مغيبة في علم الله وراء الأستار. وهكذا ترتبط في سياق السورة قصة موسى والعبد الصالح بقصة أصحاب الكهف في ترك الغيب لله، الذي يدبر الأمر بحكمته وفق علمه الشامل الذي يقصر عنه البشر الوافقون وراء الأستار. لايكشف لهم عما وراءها من الأسرار إلا بمقدار!..

التوجيه الثاني: ﴿ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا..﴾: في هذا التوجيه جواب الذين سألوا الرسول عن ذى القرنين... فأوحى الله إليه بما هو وارد هنا من سيرته وليس أَمَامَنَا مصدر آخر غير القرآن في هذه السيرة... فنحن لا نملك التوسع فيها بغير علم... وقد وردت في التفاسير أقوال كثيرة... ولكنها لا تعتمد على يقين. وينبغى أن تؤخذ بحذر؛ لما فيها من إسراءيليات وأساطير. وقد سجل السياق القرآنى لذى القرنين ثلاث رحلات: واحدة إلى المغرب... وواحدة إلى المشرق... وواحدة إلى مكان بين السدين... فلنتابع السياق في هذه الرحلات الثلاث: يبدأ الحديث عن ذى القرنين بشئ عنه: **﴿إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شئ سببا...﴾** لقد مكن الله له في الأرض. فأعطاه سلطانا واسعا وطيد الدعائم. ويسر له أسباب الحكم والفتح. وأسباب البناء والعمران. وأسباب السلطان والمتاع. وسائر ما هو من شأن البشر أن يمكنوا فيه في هذه الحياة... **﴿فاتبع سببا﴾** ومضى في وجه ما هو ميسر له.

وسلك طريقه إلى جهة الغرب: **﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما...﴾** ومغرب الشمس هو المكان الذي يرى الرائى أن الشمس تغرب عنده وراء الأفق وهو يختلف بالنسبة للمواضع... فبعض المواضع يرى الرائى فيها أن الشمس تغرب خلف جبل وفي بعض المواضع يرى أنها تغرب في الماء كما في المحيطات الواسعة والبحار. وفي بعض المواضع يرى

أنها تغرب في الرمال إذا كان في صحراء مكشوفة على مد البصر.. والظاهر من النص أن ذا القرنين غرب حتى وصل إلى نقطة على شاطئ المحيط الأطلسي - وكان يسمى بحر الظلمات ويظن أن اليابسة تنتهى عنده - فرأى الشمس تغرب فيه. والأرجح أنه كان عند مصب أحد الأنهار، حيث تكثر الأعشاب ويتجمع حولها طين لزج هو الحمأ.

وتوجد البرك وكأنها عيون الماء، فرأى الشمس تغرب هناك. وعلى كل... فيتعذر تحديد المكان بالضبط؛ لأن النص لا يحدده وليس لنا مصدر آخر موثوق به نعتمد عليه في تحديده. وكل قول غير هذا ليس مأمونا؛ لأنه لا يستند إلى مصدر صحيح. عند هذه الحمئة وجد ذو القرنين قوما: ﴿**قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا**﴾. كيف قال الله هذا القول لذى القرنين؟ أكان ذلك وحيا إليه؟ وهو الأرجح فيما يظهر من النص - أم أنه حكاية حال إذ سلطه الله على القوم وترك له التصرف في أمرهم. فكأنما قيل له: دونك وإياهم... فإما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا بعد تبليغهم الدعوة. والأرجح من ظاهر النص أنهم أهل فترة.

﴿**قال أما من ظلم فسوف نعذبه.. ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا. وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا...**﴾ فأعلن أن للذى رفض الدعوة بعد أن عرف حقيقتها وتعدى على الحق عذابه الدنيوى وعقابه... وأنه بعد ذلك يرد إلى ربه... فيعذبه عذابا فظيعا لا نظير له فيما يعرفه البشر. أما الذي استجاب. فآمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى والمعاملة الطيبة والتكريم والمعونة والتيسير. وهذا هو حكم دستور الحكم الصالح... فالمؤمن الصالح ينبغى أن يجد الكرامة والتيسير والجزاء الحسن عند الحاكم. والمعتدى الظالم يجب أن يلقى العذاب والإيذاء... وحين يجد المحسن في الجماعة جزاء إحسانه جزاء حسنا ومكانا كريما وعونا وتيسيرا.

ويجد المعتدى جزاء إفساده عقوبة وإهانة وجفوة... عندئذ يجد الناس ما يحفزهم إلى الصلاح والإنتاج. أما حين يضطرب ميزان الحكم فإذا المعتدون المفسدون مقربون إلى الحاكم مقدمون في الدولة؛ وإذا العاملون الصالحون منبوذون أو محاربون... فعندئذ تتحول السلطة في يد الحاكم سوط عذاب وأداة

إفساد. ويصير نظام الجماعة إلى الفوضى والفساد... ثم عاد ذو القرنين من رحلة المغرب إلى رحلة المشرق، ممكنّا له في الأرض، ميسّرة له الأسباب: ﴿**ثم اتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا. كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا...**﴾ وما قيل عن مغرب الشمس يقال عن مطلعها. فالمقصود هو مطلعها من الأفق الشرقى في عين الرائى. والقرآن لم يحدد المكان... ولكنه وصف طبيعته وحال القوم الذين وجدهم ذوالقرنين هناك فالأرض مكشوفة... والقوم مكشوفون للشمس دون ساتر.

ولقد أعلن ذو القرنين من قبلُ دستوره في الحكم... فلم يتكرر بيانه هنا، ولا تصرفه في رحلة المشرق؛ لأنه معروف من قبل. وقد علم الله كل ما لديه من أفكار واتجاهات... ﴿**ثم اتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا. قالوا ياذا القرنين إن ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربي خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما. آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا. فما اسْطَاعُوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا...**﴾ ونحن لا نستطيع أن نجزم بشئ عن المكان الذي بلغ إليه ذو القرنين بين السدين. ولاماهما هذان السدان؟ كل ما يؤخذ من النص أنه وصل إلى منطقة بين حاجزين تفصلهما فجوة.

فوجد هنالك قوما متخلفين وعندما وجدوه فاتحا قويا، وتوسموا فيه القدرة والصلاح... عرضوا عليه أن يقيم لهم سدا في وجه ياجوج وماجوج الذين يهاجمونهم من وراء الحاجزين ويغيرون عليهم من ذلك الممر. فيعيثون في أرضهم فسادا؛ ولا يَقْدِرُونَ هُمْ على دفعهم وصدهم... وذلك في مقابل خراج من المال يجمعونه له من بينهم. وتبعا للمنهج الصالح الذي أعلنه ذلك المِلِك الصالح من مقاومة الفساد في الأرض. فقد رد عليهم عرضهم الذي عرضوه من المال؛ وتطوع بإقامة السد؛ ورأى أن أيسر طريقة لإقامته هي ردم الممر بين الحاجزين... فطلب إلى أولئك القوم أن يعينوه بقوتهم المادية. ﴿**فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما**﴾. فجمعوا له قطع الحديد وكومها في الفتحة بين الحاجزين فأصبحا كانهما صدفتان تغلقان ذلك الكوم بينهما.

وأصبح الركام بمساواة القمتين. ﴿**قال انفخوا**﴾ على النار لصهر الحديد. ﴿**حتى إذا جعله نارا**﴾ كله لشدة توهجه واحمراره... ﴿**قال آتونى أفرغ عليه قطرا**﴾ يتخلل الحديد ويختلط به فيزيده صلابة... وقد استخدمت هذه الطريقة حديثا في تقوية الحديد فوجد أن إضافة نسبة من النحاس إليه تضاعف مقاومته وصلابته. وكان هذا الذي هدى الله إليه ذا القرنين وسجله في كتابه الخالد سبقا للعلم البشرى الحديث بقرون لا يعلم عددها إلا الله. بذلك التحم الحاجزان، وأغلق الطريق على ياجوج وماجوج... ﴿**فما اسْطَاعُوا أن يظهروه**﴾ ويتسوروه... ﴿**وما استطاعوا له نقبا**﴾ فينفذوا منه... وتعذر عليهم أن يهاجموا أولئك القوم الضعاف. فآمنوا واطمأنوا.

ونظر ذو القرنين إلى العمل الضخم الذي قام به فلم يأخذه البطر والغرور، ولم تسكره نشوة القوّة والعلم. ولكنه ذكر الله فشكره، ورد إليه العمل الصالح الذي وفقه إليه، وتبرأ من قوته إلى قوة الله، وفوض إليه الأمر، وأعلن ما يؤمن به من أن الجبال والحواجز والسدود ستُبَدّل: ﴿**قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاً وكان وعد ربى حقًّا**﴾، وبذلك تنتهى هذه الحلقة من سيرة ذى القرنين. النموذج الطيب للحاكم الصالح ـ يمكنه الله في الأرض وييسر له الأسباب. فيجتاح الأرض شرقا وغرباً. ولكنه لا يتجبر ولا يتكبر ولا يطغى ولا يتبطر ولا يتخذ من الفتوح وسيلة للغنم المادى والاستغلال الأفراد والجماعات والأوطان ـ ولا يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق، ولا يسخر أهلها في أغراضه وأطماعه. إنما ينشر العدل في كل مكان يحل به، ويساعد المحتاجين ويدرأ عنهم العدوان دون مقابل.

ويستخدم القوة التي يسرها الله له في التعمير والإصلاح ودفع العدوان وإحقاق الحق... ثم يُرجع كل خير يحققه الله على يديه إلى رحمة الله وفضل الله، ولا ينسى وهو في إبان سطوته قدرة الله وجبروته، وأنه راجع إلى الله. وهذا النموذج حققه المسلمون الفاتحون في عهد الخلافة عندما انطلقوا غربا حتى المحيط الاطلسى وشرقا حتى توغلوا في أصقاع شاسعة لا يعلم مداها إلا الله وفي الشمال حتى صحارى سيبيريا. فوجدوا بشرا لا يحصى عددهم، وأنواع لا تعرف لغاتهم ولا تنحصر سماتهم. فعلموهم وحضروهم وأناروا لهم طريق الهدى.

فأسلم الملايين على أيديهم. حتى خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات.

فسلط عليهم من سامهم سوء العذاب من الجهل والفقر والضعف الجسدى والنفسى. فهم اليوم غثاء كغثاء السيل... ﴿**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾! ثم بعدما تم بناء السد وحشر ياجوج وماجوج وراءه وانحصر فسادهم على أنفسهم... فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله: ﴿**وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض**﴾ ثم ينتقل السياق إلى الغرض المقصود من هذه السورة، وهو البعث والحساب والجزاء على حسب الأعمال من ثواب أو عقاب: ﴿**ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا. أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا**﴾. والسياق هنا يبرز الفريق الخاسر، ويترك الفريق الفائز إلى آخر الكلام.

التوجيه الثالث: ﴿**قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.**﴾: في هذا التوجيه لفت الانتباه إلى القيم التي ينبنى عليها العمل، وما يترتب عليه في النهاية وتوجيه الانتباه في السياق إلى الفرقة الضالة، وهم الأكثرون في الدنيا. وهم الذين اتجهت السورة من أولها إلى تتبع أقوالهم وأفعالهم وإظهارها في مظهر مصوّر بالأشخاص جماعاتٍ وأفراداً على حسب ما ظهر من أول السورة إلى آخرها. فعندما يبلغ السياق من استثارة التطلع والانتظار إلى هذا الحد يكشف عنهم فإذا هم: ﴿**الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه**﴾. فهم متميزون بميزتين: الكفر بآيات ربهم. والكفر بلقائه.

وهذان السمتان اللتان اتسم بهما جميع الكفرة في كل زمان وفي كل مكان. وما أرسل الله الرسل إلا للتحذير منهما والتخويف من نتائج ما يترتب عليهما. ﴿**فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا. ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزؤا**﴾. والآن ينتهى بهم الضلال إلى أسوإ حال وأتعس مآل! ويتم التعاون في المشهد بعرض كفة المؤمنين في ميزان القيم الصحيحة يوم القيامة: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا**

خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾. وهذا النزل في جنات الفردوس في مقابل ذلك النزل في نار جهنم. . . ثم هذه اللفتة الدقيقة العميقة إلى طبيعة النفس البشرية وإحساسها بالمتاع في قوله ﴿**لا يبغون عنها حولا**. . .﴾ وهي تحتاج منا إلى وقفة بإيزاء ما فيها من عمق ودقة. فهم خالدون في جنات الفردوس.

ولكن النفس البشرية حوّل قلب!. تمل الاطراد وتسأم البقاء على حال واحدة أو مكان واحد. وإذا اطمأنت على النعيم منه التغير والنفاد فقدت حرصها عليه وإذا مضى على وتيرة واحدة فقد تسأمه. بل قد تنتهى إلى الضيق به، والرغبة في الفرار منه. هذه هي الفطرة التي فطر عليها الإنسان لحكمة عليا تناسب خلافته للأرض ودوره في هذه الخلافة. فهذا الدور يقتضى تحوير الحياة وتطويرها حتى تبلغ الكمال المقدر لها في علم الله. ومن ثَمّ ركز في الفطرة البشرية حب التغيير والتبديل، وحب الكشف والاستطلاع، وحب الانتقال من حال إلى حال، ومن مكان إلى مكان، ومن مشهد إلى مشهد، ومن نظام إلى نظام. . . وذلك كى يندفع الإنسان في طريقه: يغير في واقع الحياة، ويكشف عن مجاهل الأرض، ويبدع في نظم المجتمع وفي أشكال المادة، ومن وراء التغير والكشف والإبداع ترتقى الحياة وتتطور؛ وتصل شيئا فشيئا إلى الكمال المقدر لها في علم الله، نعم إنه مركود.

فى الفطرة كذلك ألفة القديم والتعلق بالمألوف والمحافظة على العادة. ولكن ذلك كله بدرجة لا تشل عملية التطور والإبداع، ولا تعوق الحياة عن الرقى والارتفاع، ولا تنتهى بالأفكار والأوضاع إلى الجمود والركود. إنما هي المقاومة التي تضمن التوازن مع الاندفاع. وكلما اختل التوازن فغلب الجمود في بيئة من البيئات انبعثت الثورة التي تدفع بالعجلة دفعة قوية قد تتجاوز حدود الاعتدال. وخير الفترات هي فترات التعادل بين قوتى الدفع والجذب، والتوازن بين الدوافع والضوابط في جهاز الحياة فأما إذا غلب الركود والجمود. . . فهو الإعلان بانحسار دوافع الحياة، وهو الايذان بالموت في حياة الأفراد والجماعات في السواء. هذه هي الفطرة المناسبة لخلافة الإنسان وظيفة.

ولو بغيت النفس بفطرة الأرض وعاشت في هذا النعيم المقيم الذي لا تخشى عليه النفاد، ولا تتحول هي عنه، ولا يتحول هو عنها لانقلب النعيم جحيما لهذه النفس بعد فترة من الزمان؛ ولأصبحت الجنة سجنا لنزلائها يودون لو يغادرونه

فترة ولو إلى الجحيم ليرضوا نزعة التغيير والتبديل. ولكن بارئ هذه النفس ـ وهو أعلم بها ـ يحول رغباتها، فلا تعود تبغى التحول عن الجنة، وذلك في مقابل الخلود الذي لا تحول له ولا نفاد: ﴿**قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا. . .**﴾ فهذه الآية تقارن بين علم البشر المحدود وبين علم الله الذي ليست له حدود. والبحر هذا المثال يمثل علم الإنسان الذي يظنه واسعا غزيرا. وهو على سعته وغزارته محدود.

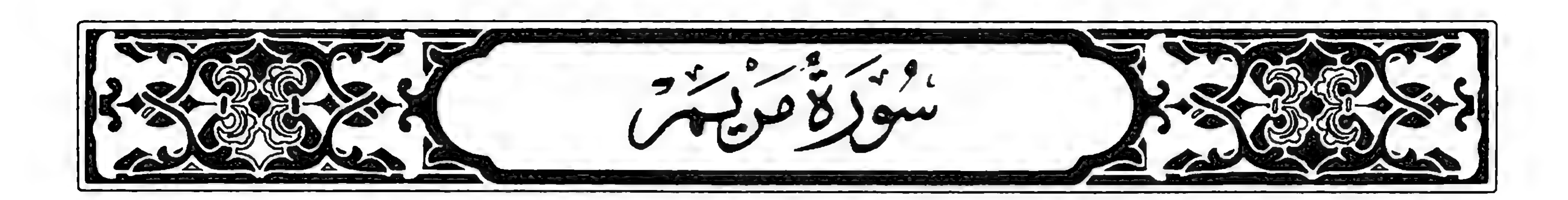
وكلمات الله يمثل العلم الإلهى الذي لا حدود له، والذي لا يدرك البشر نهايته. . . ولقد يغتر البشر بما يكشفونه من أسرار في أنفسهم وفي الآفاق. . . فتأخذهم نشوة الظفر العلمى. . . فيحسبون أنهم علموا كل شئ، أو أنهم في الطريق. . . ولكن المجهول يواجههم بآفاقه المترامية التي لاحد لها. . . فإذا هم ما يزالون على خطوات من الشاطئ والخضم أمامهم أبعد من الأفق الذي تدركه أبصارهم. فليعلم الإنسان ما يعلم. وليكشف من أسرار هذا الوجود ما يكشف. ولكن ليطئمن من غروره العلمى. فسيظل أقصى ما يبلغه علمه أن يكون البحر مدادا في يده، وسينفد البحر وكلمات الله لا تنفد. . . ولو أمده الله ببحر مثله فسينتهى من بين يديه وكلمات الله ليس لها نفاد.

وفى ظل هذا المشهد الذي يتضاءل فيه علم الإنسان ينطلق الإيقاع الثالث والأخير في السورة فيرسم أعلى أفق للبشرية ـ وهو أفق الرسالة الكاملة الشاملة ـ فإذا هو قريب محدود بالقياس إلى الأفق الأعلى الذي تتقاصر دونه الأبصار مهما أوتيت من قوة الأنوار واستمدت قوتها من زيوت البحار. إنه أفق الألوهية الأسمى: ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد**﴾، فمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشر يتلقى من ذلك الأفق الأسْمَى. بشر يستمد نوره من ذلك النور الذي لا ينضب. بشر لا يتجاوز الهدى الذي يتلقاه من مولاه. بشر يتعلّم فيَعْلم فيُعلِّم. . . فمن كان يرجو أن يتطلع إلى القرب من ذلك الجوار الأسنى فلينتفع بما يتعلم من الرسول الذي يتلقى، وليأخذ بالوسيلة التي لا وسيلة سواها. ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**﴾. هذا جواز المرور إلى ذلك اللقاء الأثير المبرور.

وهكذا تختم السورة ـ التي بدأت بذكر الوحى والتوحيد ـ بتلك الإيقاعات

المتدرجة في العمق والشمول... حتى تصل إلى نهايتها. فيكون هذا الايقاع الشامل العميق الذي ترتكز عليه سائر الأنغام في لحن العقيدة الكبير!. وبانتهاء السورة ينتهى الجزء الخامس عشر. وذلك نظر لوحدة الموضوع في هذه السورة... حتى يتوحد البحث وينسجم النظر.

1 - ابتداء الكلام بقصة زكرياء ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* كٓهيعٓصٓ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآءَ (1)
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا (2) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي
وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا (3) وَإِنِّي
خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي
مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (4) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ
وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (5) يَٰزَكَرِيَّآءُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ
لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (6) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ
لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ
عِتِيًّا (7) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ
وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا (8) قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّي ءَايَةً
قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (9) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (10)

يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿11﴾ وَحَنَانًا
مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿12﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿13﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ
يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿14﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ
إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿15﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن
دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا
سَوِيًّا ﴿16﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿17﴾
قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿18﴾
قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿19﴾
قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً
لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿20﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ
بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿21﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ
يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿22﴾ فَنَادَىٰهَا مِن
تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿23﴾ وَهُزِّيٓ
إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تَسَّٰقَطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿24﴾
فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا
فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿25﴾
فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا

فَرِيًّا ﴿26﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ
وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿27﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن
كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿28﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ
وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿29﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿30﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ
يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿31﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿32﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿33﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ
أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿34﴾ وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿35﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿36﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ
يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿37﴾
وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿38﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿39﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿كهيعص﴾: حروف هجاء مرسومة بمسمياتها ومقروءة بأسمائها **﴿ذكر رحمة ربك عبده زكرياء﴾**: معنى ذكر الرحمة بلوغها وإصابتها. ورحمة ربك زكرياء ما

وهب له من خير وفضل بالولد الرضى. . . ﴿**إذ نادى ربه نداء خفياً**﴾: أصل النداء رفع الصوت بطلب الإقبال ويطلق على الدعاء بطلب حاجة. والنداء الخفي طلب الحاجة سراً. ﴿**قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً**﴾: وهن العظم ضعفه ورخاوته ورقته. . . وشيب الرأس ابيضاض شعره. ﴿**ولم أكن بدعائك رب شقياً**﴾: الشقي ضد السعيد. ومعناه هنا المحروم الخائب. ﴿**وإني خفت الموالى من ورائي**﴾: الخوف توقع المكروه في المستقبل. والموالى العصبة وأقرب القرابة. وهو جمع مولى بمعنى الولي: ومعنى من ورائي من بعد حياتي.

والوراء الخلف. ﴿**وكانت امرأتي عاقراً**﴾: العاقر الأنثى التي لا تلد. ﴿**فهب لي من لدنك ولياً**﴾: الهبة ما تعطي تكريماً بلا استحقاق. ﴿**يرثني ويرث من آل يعقوب**﴾: الوراثة استحقاق ما يخلفه الميت. وآل يعقوب ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. ﴿**واجعله رب رضياً**﴾: مرضياً عندك قولاً وفعلاً. . ﴿**يا زكرياء إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا**﴾: التبشير الإعلام بوقوع شيء يسر. والغلام الولد الذكر الذي يعيش حتى يكون غلاماً يافعاً. . اسمه يحيى بم يسبق أن سمي به أحد قبله. ﴿**قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً**﴾: كلمة أنى بمعنى كيف، أوْ مِنْ أيْن.

والعتيُّ مصدر من عتا العود إذا يبس. وفيه فرق بينه وبين العتوّ الذي هو الطغيان. ﴿**قال كذلك قال ربك هو عليّ هين**﴾: الهين بتشديد الياء السهل حصوله. وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً: لم تكن موجوداً. والشيء الموجود. ﴿**قال رب اجعل لي آية**﴾: أراد نصب علامة على وقوع الحمل بالغلام. ﴿**قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً**﴾: لا تقدر على أن تكلم الناس مدة ثلاث ليال بأيامها. وسويّ فعيل بمعنى مفعول وهو الكامل في العدد أو الصفة. وضده المتفاوت فيهما.

﴿**فخرج على قومه من المحراب**﴾: خرج على. . طلع والمحراب بيت مخصّص للعبادة، والوحي الإشارة الخفية. وما خفي من الكلام. . والمراد به هنا الإشارة. . ﴿**فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً**﴾: أشار إليهم بأن يصلوا في هذين الوقتين: أول النهار وآخره. ﴿**يا يحيى خذ الكتاب بقوة**﴾: مقول لقول مقدر. والأخذ مراد به التفهم والتدبر. والكتاب التوراة والقوة المراد بها العزيمة

والثبات. ﴿**وآتيناه الحكم صبياً**﴾: أعطيناه فهماً وعلماً حال صغره على غير المعتاد. ﴿**وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقياً**﴾: الحنان الشفقة والرحمة والعطف على الغير. والزكاة طهارة النفس ونقاؤها من الخبائث. والتقوى تجنب ما يضر.

﴿**وبَراً بوالديه ولم يكن جبار عصياً**﴾: البر المتصف بالبر. والجبار المستخف بحقوق الغير. مشتق من الجبر، وهو الغصب والقسر. والعصي شديد العصيان. وهو مخالفة الأمر. ﴿**وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً**﴾: السلام هنا مراد به السلامة من المكروه. وهذه الأحوال الثلاثة المذكورة أحوال ابتداء أطوار: طور الورود على الدنيا.. وطور الارتحال عنها.. وطور الورود على الآخرة.. ﴿**واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً**﴾: اذكر يا محمد نبأ مريم الذي نقصه عليك في الكتاب. والكتاب القرآن. ﴿**إذ انتبذت**﴾ عندما انفردت واعتزلت في مكان شرقي.. ﴿**فاتخذت من دونهم حجاباً**﴾: اتخاذ الحجاب جعل شيء يحجب عن الناس... ﴿**فأرسلنا إليها روحنا**﴾: إرسال الروح إليها بعث الْمَلَك إلى مريم ليبشرها بعيسى.. ﴿**فتمثل لها بشراً سوياً**﴾: التمثل تكلف المماثلة. وهو ظهوره لها في صورة إنسان والبشر السوي الإنسان الكامل في أوصافه.

﴿**قالت إني أعوذ بالرحمان منك إن كنت تقياً**﴾: تعوذت منه بالرحمان لأنها حسبت أنه بشر «اختبأ لها ليراودها عن نفسها.. ﴿**قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً**﴾: رد عليها بقوله: أنا لست بشراً ﴿**وإنما أنا رسول ربك**﴾ أرسلني ﴿**لأهب لك**﴾ ولداً طاهراً نقياً مباركاً مترقّياً من سِنٍّ إلى سِنٍّ على الخير والصلاح. ﴿**قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً**﴾: كيف يكون لي ولد بدون نكاح عقد زواج أو بغاء؟!.. فالبغي المرأة الزانية التي تبغي الرجال للفسق بها. ﴿**قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً**﴾: رد الملك على مريم بهذا الكلام ليعلمها أن الأمر قد تم وانقضى.. فلا غرابة في هذا ولا مراجعة في رده؛ لأن هبة هذا الغلام لمريم كرامة لها، وجعله آية للناس ورحمة كرامة للغلام.

فحملته ﴿**فانتبذت به مكاناً قصياً**﴾: الحمل العلوق. يقال حملت المرأة ولداً. وهو الأصل. ويقال حملت به. والمكان القصي البعيد عن الناس. أي: ابتعدت

عن أهلها واعتزلت الناس. . **﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة﴾**: أجاءها معناه ألجأها. وأصله جاءها عدى بالهمزة فقيل أجاءها. والمخاض طلق الحامل. وهو تحرك الجنين للخروج. وجذع النخلة الأصل الذي يتفرع منه الجريد. **﴿قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً﴾**: عندما حصل لها ما حصل تمنت أن تكون ماتت قبل هذا الأمر الغريب الخطير. وتمنت أن تكون نسياً منسياً. والنسي الشيء الحقير الذي شأنه أن ينسى.

﴿فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً﴾: المنادى المولود الذي لا زال تحتها لم ترفعه مبادرة للتسلية والبشارة لإزالة الحزن والحسرة: والسري الجدول من الماء. **﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً﴾**: هز الجذع تحريكُهُ. وتساقط تتنازل. والرطب التمر الطري قبل جفافه. والجنى قريب السقوط ولم يبق على الأرض مدة. **﴿فكلي واشربي وقري عيناً﴾**: كلي من الرطب واشربي من الماء. وقري عيناً بهذا الخير: المولود الجديد. والرطب الفريد والماء العتيد والظل المديد. . . **﴿فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمان صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾**: إن رأيت أحداً من الناس **﴿فقولي إني نذرت. . . فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً﴾**: دلت الفاء على أن مريم جاءت قومها عقب انتهاء الكلام الذي كلمها ابنها.

وقومها أهل محلتها تحمله بين يديها معلنة به غير ساترة. قالوا مؤنّبين لها وموبّخين: **﴿يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً﴾**: الفرى يطلق على الفرى وهو الكذب. وعلى الإفراء وهو قطع الشيء لإفساده. **﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً﴾**: الأخت مؤنث الأخ. وهو اسم يضاف إلى اسم آخر. وأضيفت الأخت إلى هارون زيادة في التأنيب والتوبيخ، لأنها خالفت سيرة أبويها. . . فكانت امرأة سوء وكانت بغيًا: والسَّوْء العمل الضار والقبيح. . . فأشارت إليه: أشارت مريم إلى عيسى ليسألوه فيجيبهم. . . **﴿قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً﴾**: أنكروا أن يكلموا من ليس من شأنه أن يتكلم. . . وأنكروا أن تحيلهم على مكالمته. . . والمهد فراش الصبي وما يمهد لوضعه.

﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيئاً وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً.

والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾: هذا هو كلام عيسى الصريح الذي كلمهم به وهو في المهد. وكلماته في هذا واضحة المعاني. **﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون﴾**: المشار إليه في الكلام الوصف الذي اتصف به عيسى في قول الله وفي كلامه الذي كلم به من حوله وهو في المهد. وهو الحق الذي لا شك فيه. أما الكلام الذي تكلم به النصارى واليهود في عيسى فهو الامتراء والافتراء والكذب والبهتان: **﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه! . إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾**: تقدم معنى هذا الكلام.

وهو كلام أتى به للرد على النصارى في زعمهم أن عيسى ابن الله. **﴿وأن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾**: هذا هو الحق الثابت الذي يجب أن يقال... فاختلف الأحزاب من بينهم: حاد عن الصراط المستقيم الأحزاب... فاختلفوا بينهم في الطرائق التي سلكوها... فلم يتفقوا على شيء... **﴿فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾**: كلام يشمل كل كافر.... **﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾**: ما أسمعهم! وما أبصرهم! في ذلك اليوم... **﴿لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾**: الظالمون يشمل الكفار من أهل الكتاب والمشركين. واليوم الآن في الدنيا... والضلال المبين الكفر الواضح الفاضح الذي لا يستره شيء ويكشف عن كل شيء.

﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾: الحسرة الندامة الشديدة الداعية إلى التلهف. والمراد بيوم الحسرة يوم الحساب. والإنذار والتخويف والتحذير... إذ قضى الأمر ظرف للحسرة. وهم في غفلة والحال أنهم غافلون الآن عما يحل بهم. **﴿وهم لا يؤمنون﴾** ما داموا على هذه الحال. إنا **﴿نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون﴾**. إنا نحن ننفرد بالملك والبقاء بعد الهلاك والفناء. وإلينا يرجعون يوم اللقاء.

مبحث الإعراب

﴿كَهَيَعصَ﴾ حروف مسرودة لا محل لها من الإعراب. **﴿ذكر﴾** خبر لمبتدأ محذوف. أي: هذا ذكر. **﴿رحمة﴾** مضاف إلى ذكر. **﴿ربك﴾** مضاف إلى رحمة. من إضافة المصدر إلى فاعله. **﴿عبده﴾** مفعول بالمصدر. وهو رحمة

ربك. ﴿**زكرياء**﴾ عطف بيان لعبده. ﴿**إذ**﴾ ظرف لما مضى من الزمان في محل نصب متعلق بالمصدر. ﴿**نادى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على زكرياء. والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿**ربه**﴾ معمول بنادى. ﴿**نداء**﴾ مفعول مطلق. ﴿**خفياً**﴾ نعت له ﴿**قال**﴾ زكرياء: ﴿**رب**﴾ منادى حذف منه حرف النداء وياء المتكلم تخفيفاً.

﴿**إني**﴾ إن واسمها. ﴿**وهن**﴾ ﴿**العظم**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر إن وجملة إني وهن العظم مقول القول. ﴿**مني**﴾ متعلق بمحذوف حال من العظم. وجملة قال رب إني وهن العظم منى تفسير لنادى. ﴿**واشتعل الرأس**﴾ معطوف على قوله: وهن العظم مني. ﴿**شيباً**﴾ منصوب على التمييز. محول عن الفاعل. . . ﴿**ولم أكن**﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم بلم. واسمه ضمير المتكلم. ﴿**بدعائك**﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿**رب**﴾ منادى مثل سابقه. ﴿**شقياً**﴾ خبر أكن. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**وإني**﴾ إن واسمها ﴿**خفت الموالي**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إن. والجملة معطوفة على قوله: واشتعل. . ﴿**من ورائي**﴾ متعلق بمحذوف ينساق إليه الذهن. أي: فعل الموالي من بعدي.

﴿**وكانت امرأتي عاقراً**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها معطوفة على ما قبلها. ﴿**فهب**﴾ فعل دعاء مبني على السكون: دخل عليه فاء التعقيب. ﴿**لي من لدنك**﴾ متعلقان بهب. ﴿**ولياً**﴾ مفعول به. ﴿**يرثني**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على وليا» والنون للوقاية وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. ﴿**ويرث**﴾ معطوف على يرثني. ﴿**من آل**﴾ متعلق بيرث. ﴿**يعقوب**﴾ مضاف إلى آل مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة. وجملة يرثني في محل نصب نعت لوليّا. ﴿**واجعله**﴾ معطوف على هب لي. . . والضمير المتصل بالفعل مفعول أول، ورضياً مفعول ثان.

﴿**يا زكرياء**﴾ منادى مبني على الضم في محل نصب. إنا إن واسمها. ﴿**نبشرك**﴾ فعل مضارع والفاعل نحن والجملة خبر إن. ﴿**بغلام**﴾ متعلق بنبشرك. ﴿**اسمه**﴾ مبتدأ. ﴿**يحيى**﴾ خبره. مرفوع بضمة مقدرة على الألف. والجملة نعت لغلام. ﴿**لم نجعل**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والفاعل نحن. ﴿**له من قبل**﴾ متعلقان بنجعل. ﴿**سمياً**﴾ مفعول به.

﴿**قال**﴾ زكرياء: ﴿**رب**﴾ منادى حذف منه حرف النداء وياء المتكلم. ﴿**أنى**﴾ استفهام مستعمل في التعجيب في محل نصب ظرف. ﴿**يكون**﴾ فعل مضارع تام. ﴿**لي**﴾ متعلق به. ﴿**غلام**﴾ فاعل يكون. ﴿**وكانت امرأتي عاقراً**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها في محل نصب حال من ضمير زكرياء في قوله: لي غلام. ﴿**وقد بلغت**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق وواو العطف. ﴿**من الكبر**﴾ متعلق ببلغت. ﴿**عتياً**﴾ مفعول به. ﴿**قال**﴾ الفاعل ضمير يعود على الرب. ﴿**كذلك**﴾ في محل نصب مفعول مقدم قال ربك﴾ فعل وفاعل. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**على**﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿**هيّن**﴾ مرفوع بالضمة الظاهرة.

﴿**وقد خلقتك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق وواو الحال. فالجملة في موضع الحال من ضمير الغيبة الذي في قوله: هو عليّ هين. ﴿**من قبلُ**﴾ متعلق بخلقتك. ﴿**ولم تك شيئاً**﴾ الجملة من لم تك واسمها وخبرها معطوفة على قوله: وقد خلقتك من قبل. ﴿**قال رب**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**اجعل**﴾ فعل دعاء. ﴿**لي**﴾ متعلق باجعل. ﴿**آية**﴾ مفعول به. ﴿**قال (الله) آيتك**﴾ مبتدأ. ﴿**أن لا تكلم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. ولا نافية. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**الناس**﴾ مفعول به، ﴿**ثلاث**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**ليال**﴾ مضاف إلى ثلاث. ﴿**سوياً**﴾ حال من ضمير المخاطب. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع خبر المبتدأ.

والتقدير: آيتك عدم استطاعتك تكليم الناس ثلاثة أيام حال كونك سَويّ الجسم معافى. وجملة المبتدأ والخبر مقول القول. ﴿**فخرج**﴾ فعل ماض دخل عليه فاء التعقيب. والفاعل هو. ﴿**على قومه من المحراب**﴾ متعلقان بخرج. ﴿**فأوحى**﴾ مرتب على ما قبله. ﴿**إليهم**﴾ متعلق بأوحى. ﴿**أن**﴾ تفسيرية. ﴿**سبحوا**﴾ فعل أمر للجماعة تفسير لأوحى. ﴿**بكرة**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**وعشياً**﴾ معطوف على بكرة. ﴿**يا يحيى**﴾ منادى مبني على ضمة مقدرة في محل نصب؛ لأنه مفرد عَلَم. ﴿**خذ**﴾ فعل أمر حرك بالكسرة للتخلص من التقاء الساكنين. ﴿**الكتاب**﴾ مفعول به. ﴿**بقوة**﴾ متعلق بخذ. ﴿**وآتيناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**الحكم**﴾ مفعول ثان. ﴿**صبياً**﴾ حال من الضمير المنصوب في آتيناه. ﴿**وحناناً**﴾ معطوف على الحكم.

﴿من لدنا﴾ متعلق بمحذوف نعت «لحناناً» **﴿وزكاة﴾** عطف على الحكم. **﴿وكان﴾** اسم كان ضمير يعود على يحيى. **﴿تقياً﴾** خبر كان. **﴿وبراً﴾** عطف على خبر كان. **﴿بوالديه﴾** متعلق بما قبله. **﴿ولم يكن جباراً عصياً﴾** معطوفة على قوله: وكان تقياً وبراً. . . **﴿وسلام﴾** مبتدأ. **﴿عليه﴾** متعلق بمحذوف خبره. والجملة معطوفة على قوله: وآتيناه الحكم صبياً. **﴿يوم﴾** متعلق بما تعلق به الخبر. **﴿وُلد﴾** نائب الفاعل. **﴿ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾** معطوفان على يوم ولد. وحياً حال من نائب فاعل يبعث. **﴿واذكر﴾** فعل أمر. والواو للعطف. **﴿في الكتاب﴾** متعلق باذكر. **﴿مريم﴾** مفعول به منصوب بالفتحة. **﴿إذِ انتبذت﴾** فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مريم. والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. والظرف متعلق باذكر.

﴿من أهلها﴾ متعلق بانتبذت. **﴿مكاناً﴾** منصوب على الظرفية. **﴿شرقياً﴾** نعت لمكاناً. . **﴿فاتخذت﴾** مرتب على انتبذت. **﴿من دونهم﴾** متعلق باتخذت. **﴿حجاباً﴾** مفعول به. **﴿فأرسلنا﴾** فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. **﴿إليها﴾** متعلق بأرسلنا. **﴿روحنا﴾** مفعول به. **﴿فتمثل﴾** مرتب على أرسلنا. وفاعل تمثل ضمير يعود على روحنا. **﴿لها﴾** متعلق بتمثل. **﴿بشراً﴾** حال من الضمير المرفوع. **﴿سوياً﴾** نعت له. **﴿قالت﴾** مريم. **﴿إني﴾** إنّ واسمها. **﴿أعوذ﴾** فعل مضارع، والفاعل ضمير المتكلم. **﴿بالرحمان منك﴾** متعلقان بأعوذ. **﴿إن﴾** كنت كان واسمها دخل عليها حرف الشرط. **﴿تقياً﴾** خبر كان. وجواب الشرط مقدر يدل عليه ما قبله. والتقدير: إن كنت تقياً فلا تقربني؛ لأني أعوذ بالرحمان منك.

﴿قال﴾: **﴿إنما﴾** كافة ومكفوفة. **﴿أنا﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿رسول﴾** خبره. **﴿ربك﴾** مضاف إلى رسول. **﴿لأهب﴾** فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير المتكلم. **﴿لك﴾** متعلق بأهب. **﴿غلاماً﴾** مفعول به. **﴿زكياً﴾** نعت له. **﴿قالت: أنى يكون لي غلام﴾** تقدم إعراب مثله في قول زكرياء. **﴿ولم يمسسني﴾** فعل مضارع مجزوم بلم. والنون للوقاية والياء في محل نصب مفعول به. **﴿بشر﴾** فاعل، **﴿ولم أكُ﴾** فعل مضارع ناقص مجزوم بلم. وحذفت النون الساكنة للتخفيف. واسم أكن ضمير المتكلمة. **﴿بغياً﴾** خبر أكن. قال: **﴿كذلك﴾** الكاف في محل نصب مفعول **﴿قال ربك﴾** وذلك مجرور

بالإضافة. ﴿**هو عليّ هيّن**﴾ تقدم إعراب مثلها قريباً. ﴿**ولنجعله**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول به. ﴿**آية**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**للناس**﴾ متعلق بآية. ﴿**ورحمة**﴾ معطوف على آية. ﴿**منا**﴾ متعلق بمحذوف نعت رحمة. ﴿**وكان**﴾ اسم كان ضمير يعود على الوهب المأخوذ من قوله: لأهب لك. . . ﴿**أمراً**﴾ خبر كان. مقضياً نعت له. ﴿**فحملته**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التعقيب. والضمير المتصل بالفعل مفعول.

﴿**فانتبذت**﴾ مرتب على حملت. ﴿**به**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**مكاناً**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**قصياً**﴾ نعت له. ﴿**فأجاءها**﴾ مرتب على ما قبله. ﴿**المخاض**﴾ فاعل. ﴿**إلى جذع**﴾ متعلق بأجاءها. . ﴿**النخلة**﴾ مضاف إلى جذع. ﴿**قالت**﴾: ﴿**يا ليتني**﴾ ليت واسمها. دخل عليها حرف النداء. ﴿**مت**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر ليت. ﴿**قبل**﴾ متعلق بمت. ﴿**هذا**﴾ في محل جر مضاف إلى قبل. ﴿**وكنت نسياً**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها معطوفة على مت. ﴿**منسياً**﴾ نعت لنسياً. ﴿**فناداها**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التعقيب. والفاعل ضمير يعود على المولود. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**من تحتها**﴾ متعلق بناداها. ﴿**أن**﴾ تفسيرية. ﴿**لا تحزني**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. وياء المخاطبة فاعل. والجملة لا محل لها من الإعراب.

﴿**قد جعل ربك**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. ﴿**تحتك**﴾ متعلق بجعل. ﴿**سرياً**﴾ مفعول به. ﴿**وهزي**﴾ فعل أمر. ﴿**إليك**﴾ بجذع متعلقان بهزي. ﴿**النخلة**﴾ مضاف إلى جذع. ﴿**تساقط**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر. ﴿**عليك**﴾ متعلق بتساقط والفاعل ضمير. ﴿**رطباً**﴾ مفعول. . ﴿**جنياً**﴾ نعت له. ﴿**فكلي**﴾ فعل أمر دخل عليه حرف التعقيب. ﴿**واشربي**﴾ معطوف عليه. ﴿**وقري**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**عيناً**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**فإما**﴾ الفاء للتعقيب. إن شرطية جازمة أدغمت في ما الزائدة. ﴿**ترين**﴾ فعل الشرط دخلت عليه نون التوكيد الثقيلة. ونون الرفع حذفت للجازم. وياء المخاطبة حذفت لالتقاء الساكنين. ﴿**من البشر**﴾ متعلق بالفعل قبله.

﴿**أحداً**﴾ مفعول به. ﴿**فقولي**﴾ جواب الشرط دخلت عليه فاء الربط. ﴿**إني**﴾ إن واسمها. ﴿**نذرت**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر إن. ﴿**للرحمان**﴾ متعلق

بنذرت. ﴿**صوماً**﴾ مفعول به. وجملة إني نذرت.. مقول القول. ﴿**فلن أكلم**﴾ فعل مضارع منصوب بلن والفاء للتعقيب. والفاعل ضمير المتكلمة. ﴿**اليوم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إنسياً**﴾ مفعول به. ﴿**فأتت**﴾ فعل ماض مرتب على ما قبله. والفاعل هي. ﴿**به**﴾ متعلق بأتت. ﴿**قومها**﴾ مفعول به.

﴿**تحمله**﴾ فعل مضارع. والفاعل هي. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة تحمله في محل نصب حال من فاعل أتت. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**يا مريم**﴾ منادى مبني على الضم في محل نصب. ﴿**لقد جئت**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. ﴿**شيئاً**﴾ مفعول به. ﴿**فريا**﴾ نعت له. ﴿**يا أخت**﴾ منادى منصوب بالفتحة. ﴿**هارون**﴾ مضاف إلى أخت مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة. ﴿**ما كان أبوك امرأ**﴾ كان واسمها وخبرها دخل عليها حرف النفي. ﴿**سوء**﴾ مضاف إلى امرأ. ﴿**وما كانت أمك بغيا**﴾ عطف على ماكان أبوك امرأ.. وهو مثلها في الإعراب. ﴿**فأشارت**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التعقيب والفاعل هي. ﴿**إليه**﴾ متعلق بأشارت.

﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**كيف**﴾ اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب. نُكَلّم﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. ﴿**من**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به. ﴿**كان**﴾ فعل ماض ناقص. واسمها ضمير يعود على من. ﴿**في المهد**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**صبياً**﴾ خبر كان. وجملة كان في المهد صبياً صلة من. وجملة كيف نُكلم من كان في المهد.. مقول القول. ﴿**قال**﴾: ﴿**إني عبد**﴾ إن واسمها وخبرها. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عبد. والجملة مقول القول. ﴿**آتاني**﴾ فعل ماض والفاعل ضمير يعود على الله. وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. ﴿**الكتاب**﴾ مفعول ثان. ﴿**وجعلني نبيئاً. وجعلني مباركاً**﴾ معطوفان على آتاني الكتاب. ﴿**أينما**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بمباركاً. ﴿**كنت**﴾ فعل وفاعل. ﴿**وأوصاني**﴾ معطوف على ما قبله.

﴿**بالصلاة**﴾ متعلق بأوصاني. ﴿**والزكاة**﴾ معطوف على الصلاة. ﴿**ما دمت**﴾ دام واسمها. وما مصدرية ظرفية. ﴿**حياً**﴾ خبر دام. ﴿**وبراً**﴾ عطف على مباركاً. ﴿**بوالدتي**﴾ متعلق ببراً. ﴿**ولم يجعلني**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والواو للعطف. والفاعل ضمير يعود على الله. وياء المتكلم في محل نصب مفعول أول. ﴿**جباراً**﴾

مفعول ثان. ﴿**شقياً**﴾ نعت له. ﴿**والسلام**﴾ مبتدأ والواو للعطف. ﴿**على**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلق بالخبر. ﴿**ولدت**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. وضمير المتكلم في محل رفع نائب فاعل. ﴿**ويوم أموت ويوم أبعث حياً**﴾ معطوفان على يوم ولدت. وحياً منصوب على الحال من نائب فاعل أبعث. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**عيسى**﴾ خبره. ﴿**ابن**﴾ نعت لعيسى. ﴿**مريم**﴾ مضاف إلى ابن مجرور بالفتحة للعلمية والتأنيث. ﴿**قول**﴾ نعت ثان لعيسى.

﴿**الحق**﴾ مضاف إلى قول. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع نعت ثالث لعيسى. ﴿**فيه**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**يمترون**﴾ فعل وفاعل صلة الذي. ﴿**ما**﴾ نافية ﴿**كان**﴾ ثبت لله متعلق به. ﴿**أن يتخذ**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع فاعل كان. ﴿**من ولد**﴾ من صلة. وولد مفعول به جر لفظاً ونصب محلاً. ﴿**سبحانه**﴾ مفعول مطلق منصوب بالفتحة. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**إذا قضى أمراً**﴾ جملة شرطية. جوابها: ﴿**فإنما يقول له كن فيكون**﴾ سبق إعراب مثل هذا الكلام. ﴿**وأن الله**﴾ أن واسمها. ﴿**ربي**﴾ خبرها مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم.. ﴿**وربكم**﴾ معطوف على ربي.

أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام علة مقدر.. ﴿**فاعبدوه**﴾ أمر للجماعة تعقيب على ما قبله. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**صراط**﴾ خبره. ﴿**مستقيم**﴾ نعت لصراط. والجملة بيانية لا محل لها من الإعراب. ﴿**فاختلف الأحزاب**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التفريع. ﴿**من بينهم**﴾ متعلق باختلف. ﴿**فويل**﴾ مبتدأ. والفاء للتعقيب. ﴿**للذين**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**من مشهد**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**يوم**﴾ مضاف إلى مشهد. ﴿**عظيم**﴾ نعت ليوم. ﴿**أسمع بهم**﴾ صيغة تعجب يؤتى بها على صيغة فعل الأمر. والضمير المجرور بالباء فاعل أسمع. ﴿**وأبصر**﴾ معطوف على أسمع. ﴿**يوم**﴾ متعلق بما قبله. ﴿**يأتوننا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة في محل جر مضافة إلى يوم. ﴿**لكن**﴾ حرف استدراك.

﴿**الظالمون**﴾ مبتدأ. ﴿**اليوم**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**في ضلال**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿**مبين**﴾ نعت لضلال. ﴿**وأنذرهم**﴾ فعل أمر.. ﴿**يوم**﴾ مفعول ثان. ﴿**الحسرة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**إذ**﴾ بدل من يوم. ﴿**قضي**﴾ فعل

ماض مبني للمجهول. ﴿**الأمر**﴾ نائب الفاعل. والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**في غفلة**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. والجملة حال من الضمير المنصوب في أنذرهم. ﴿**وهم لا يؤمنون**﴾ عطف على قوله: وهم في غفلة. ﴿**إنا**﴾ إن واسمها. ﴿**نحن**﴾ ضمير متصل. ﴿**نرث**﴾ فعل مضارع والفاعل نحن. ﴿**الأرض**﴾ مفعول به. وجملة نرث في محل رفع خبر إنّ. ﴿**ومن**﴾ في محل نصب عطف على الأرض. ﴿**عليها**﴾ متعلق بمحذوف صلة من. ﴿**وإلينا**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**يرجعون**﴾ فعل ونائب فاعل والجملة معطوفة على قوله إنا نحن نرث الأرض. وجملة إِنّا نحن نرث الأرض تذييل لختم القصة على عادة القرآن في تذييل الأعراض عند الانتقال منها إلى غيرها.

مبحث الأسلوب البلاغي

هذه السورة سميت بسورة مريم. ووجه التسمية أنها بسطت فيها قصة مريم.. وعدد آياتها تسع وتسعون. ومناسبتها لسورة الكهف أنها صححت أخطاء أهل الكتاب في ذكر الرسل وأنسابهم وتاريخهم.. كما كانت سورة الكهف تبين جهل أهل الكتاب بالتاريخ والأحداث والوقائع.. فذكرت قصة أهل الكهف.. وقصة موسى والخضر، وذي القرنين ووقائعه مع أهل المغرب والمشرق وأهل ما بين السدين وبناء السد على ياجوج وماجوج.. وهي قصص لا يعرفها أهل الكتاب. يدور سياق هذه القصة على محور التوحيد، ونفي الولد والشريك.. فهي تكذب أهل الكتاب في ادعائهم: أن عزير والمسيح ابنا الله. ويلم بقضية البعث القائمة على قضية التوحيد.. والقصص هو مادة هذه السورة.

وتصحح أغلاط وأخطاء وتزييف أهل الكتاب في ذكرهم الكذب على الأنبئاء ونسبهم وما نسبوه إليهم وما نسبوا أنفسهم هم لهم وإليهم.. فهي تبدأ بقصة زكرياء ويحيى.. فقصة مريم ومولد عيسى.. فَطَرَقٌ من قصة إبراهيم مع أبيه.. ثم تعقبها إشارات إلى النبيئين: إسحاق ويعقوب، وموسى وهارون، وإسماعيل وإدريس وآدم ونوح. ويستغرق هذا القصص حوالى ثلثي السورة. ويسير السياق مع موضوعات السورة في أشواط ثلاثة: الشوط الأول ـ يتضمن قصة زكرياء ويحيى،وقصة مريم وعيسى.. والتعقيب على هذه القصة بالفصل في قضية عيسى التي كثر فيها الجدل، واختلفت فيها أحزاب اليهود والنصارى. والشوط الثاني

يتضمن حلقة من قصة إبراهيم مع أبيه وقومه واعتزاله لملة الشرك وما عوضه الله من ذرية انتشرت بعده.. ثم إشارات إلى قصص النبيئين ومن اهتدى بهم ومن خلفهم من الغواة ومصير هؤلاء وأولئك.. وينتهي بإعلان الربوبية الواحدة التي تعبد بلا شريك.. والشوط الثالث والأخير يبدأ بالجدل حول قضية البعث ويستعرض بعض مشاهد القيامة.. فنأخذ بالدرس الأول: كاف. ها. يا. عين. صاد. هذه الأحرف المتقطّعة التي تبدأ بها بعض السور، أنها نماذج من الحروف التي يتألف منها هذا القرآن.. فيجيء نسقاً جديداً لا يستطيعه البشر مع أنهم يملكون الحروف ويعرفون الكلمات.. ولكنهم يعجزون أن يصوغوا منها مثل ما تصوغه القدرة المبدعة لهذا القرآن.. وبعدها تبدأ القصة الأولى.

قصة زكرياء ويحيى. والرحمة قوامها. والرحمة تظللها. ومن ثم يتقدمها ذكر الرحمة: ﴿**ذكر رحمة ربك عبده زكرياء..**﴾ فكان في تقديم الخبر بأن الله رحم عبده زكرياء اهتمام بهذه المنقبة له. والإنبئاء بأن الله يرحم من التجأ إليه. مع ما في إضافة رب إلى ضمير النبيء - ﷺ - وإلى ضمير زكرياء - عليه السلام - من التنويه بهما. وافتتحت قصة مريم وعيسى بما يتصل بها من شؤون آل بيت مريم وكافلها؛ لأن في تلك الأحوال كلها تذكيراً برحمة الله تعالى وكرامته لأوليائه. ﴿**إذ نادى ربه نداء خفياً**﴾: ظرف لرحمة ربك.. وإنما كان نداؤه خفيا؛ لأنه رأى أنه أدخل في الإخلاص مع رجائه أن الله يجيب دعوته. ولا منافاة بين كونه نداء وكونه خفيا؛ لأنه نداء من يسمع الخفاء: ﴿**قال رب إني وهن العظم مني**﴾.

﴿**واشتعل الرأس شيبا..**﴾ فهذا الكلام بيان وتفسير لجملة نادى ربه. وهي وما بعدها تمهيد للمقصود من الدعاء. وهو قوله: ﴿**فهب لي من لدنك وليا..**﴾ ووصف من حاله ما تشتد معه الحاجة إلى الولد حالا ومآلاً.. فكان وهن العظم وعموم الشيب حالاً مقضيا للاستعانة بالولد مع ما يقتضيه من اقتراب الأجل عادة.. والخبران من قوله: ﴿**وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا**﴾ مستعملان مجازا في لازم الإخبار. وهو الاسترحام لحاله. وإسناد الوهن إلى العظم دون غيره مما شمله الوهن في جسده؛ لأنه أوجز من الدلالة على عموم الوهن جميع بدنه.. وشبه عموم الشيب شعر رأسه أو غلبته عليه باشتعال النار في الفحم بجامع انتشار شيء لامع في جسم أسود تشبيهاً مركباً تمثيلياً قابلاً لاعتبار التفريق في التشبيه. وهو أبدع أنواع المركب.

وجملة ﴿**ولم أكن بدعائك رب شقيا**﴾ معترضة بين الجمل التمهيدية. وأطلق نفي الشقاوة والمراد حصول ضدها. وهو السعادة على طريق الكناية. ومثل هذا التركيب جرى في كلامهم مجرى المثل في حصول السعادة من شيء. وهذا تمهيد للإجابة من طريق غير طريق التمهيد الذي في الجمل المصاحبة له بل هو طريق الحث على استمرار جميل صنع الله معه، وتوسل إليه بما سلف له معه من الاستجابة. وجملة ﴿**وإني خفت الموالي من ورائي**﴾. موصولة بالعطف على جملة ﴿**إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا**﴾ وجملة ﴿**وكانت امرأتي عاقراً**﴾ موصولة كذلك.. ﴿**فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب**﴾ مفرع على التمهيد المتقدم.. فإن ما ذكره من كبر السن وضعف القوى وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه عن حصول الولد بتوسط الأسباب العادية.. فاستوهبه على الوجه الخارق للعادة.. وجملة ﴿**يرثني ويرث من آل يعقوب**﴾ بيان للصفة التي يتصف بها الولي الموهوب.. وجملة ﴿**واجعله رب رضيا**﴾ موصولة بالعطف على جملة ﴿**فهب لي من لدنك.. يا زكرياء إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا**﴾: هذا الكلام مقول قول مقدر دل عليه السياق عقب الدعاء إيجازا.. والخبر في قوله اسمه يحيى مستعمل في الأمر.. ونفى السمى ليحيى يعني معنيين: نفى من يسمى مثله يحيى. ونفى من يتصف بصفة من صفاته الدالة على ميزته.. فهذه مزايا وفضائل وهبت له ولأبيه.

﴿**قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا**﴾: جملة ﴿**قال رب أَنَّى..**﴾ جواب للبشارة. والتعجب مكنى به عن الشكر.. فهو اعتراف بأنها عطية عزيزة غير مألوفة.. ﴿**قال كذلك قال ربك هو على هين**﴾: فصلت هذه الجملة لأنها جرت على طريقة المحاورة. وهي جواب عن تعجبه. وجملة ﴿**هو عليَّ هين**﴾ استئناف بياني. وجملة ﴿**وقد خلقتك من قبل**﴾ دليل على جملة ﴿**هو عليَّ هين.. قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا**﴾: حوار بين زكريا وبين الله تعالى. ﴿**فخرج على قومه من المحراب**﴾: مرتب على قبله. ﴿**فأوحى إليهم**﴾ مرتب عليه.

﴿**أن سبحوا**﴾: تفسير لأوحى ﴿**بكرة وعشيا**﴾: ظرفان للتسبيح. ﴿**يا يحيى خذ الكتاب بقوة**﴾: هذه الجملة مقول قول محذوف، بقرينة أن هذا الكلام خطاب

ليحيى، فلا محالة أنه صادرٌ من قائل. ولا يناسب إلا أنه يكون قولا من الله تعالى. وهو انتقال من البشارة به إلى نبوءته.. فهذا ابتداء ذكر فضائل يحيى. وطوى ما بين ذلك لعدم تعلق الغرض به. والسياق يدل عليه. والأخذ مستعار للتفهّم والتدبّر. والقوة المراد بها قوة معنوية. وهي العزيمة والثبات. ﴿**وآتيناه الحكم صبيا**﴾: هذا الكلام موصول بالعطف على جملة القول المحذوف. وهذا يقتضي أن الله أعطاه استقامة الفكر وإدراك الحقائق في حال الصبا على غير المعتاد. ﴿**وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا**﴾: متصل بالعطف على ما قبله. وهي أوصاف ذاتية في يحيى: الحنان والزكاة والتقوى.

وزيادة على هذه الثلاث: ﴿**وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا. وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا**﴾. وبهذا الثناء العطر تنتهي قصة زكرياء ويحيى وتبتدىء قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام: ﴿**واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا..**﴾ فالكلام متصل بقوله: ﴿**ذِكْرُ رحمة ربك عبده زكرياء..**﴾ فهو عطف قصة على قصة. والمراد بالذكر التلاوة. والكتاب القرآن. وفي افتتاح القصة بهذا زيادة اهتمام بها، وتشويق للسامع أن يتعرّفها ويتدبّرها. وإذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيا بداية قصة مريم حين انعزلت واتخذت مكاناً شرقيا من منازل أهلها.. ﴿**فاتخذت من دونهم حجابا**﴾: مرتب على ماقبله.. ﴿**فأرسلنا إليها روحنا**﴾: مرتب على ﴿**فاتخذت**.. **فتمثل لها بشرا سويا**﴾: مرتب على ﴿**فأرسلنا إليها روحنا.. قالت إني أعوذ بالرحمان منك إن كنت تقيا**﴾: بادرته بالتعوذ منه قبل أن يكلمها مبادرة بالإنكار على ما توهمته من قصده الذي هو المتبادر من أمثاله في مثل تلك الحالة.. فجملة ﴿**إني أعوذ بالرحمان منك**﴾ خبرية؛ ولذلك أكدت بحرف التوكيد.

وقولها: ﴿**إن كنت تقيا**﴾ تذكير له بالموعظة بأن عليه أن يتقي الله ربه.. فجيء هذا بصيغة الشرط المؤذن به بالشك في تقواه قصد لتهييج خشيته. وكذلك اجتلاب فعل الكون الدال على كون التقوى مستقرة فيه. وهذا أبلغ وعظ وتذكير وحث على العمل بتقواه. ﴿**قال إنما أنا رسول ربك لأهب لكِ غلاما زكيا**﴾: القصر في قوله: ﴿**إنما أنا رسول**﴾.. قصر إضافي. رداً على قولها: ﴿**إن كنت تقيا**﴾ المقتضى اعتقادها أنه بشر. أي: أنا لست بشرا.. ﴿**قالت أنى يكون لي**

غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا﴾: هذا رد من مريم على قول الرسول لأهب لك غلاما زكيا تستبعد أن يكون ولد بدون نكاح شرعي أو بغاء.. فرد الرسول بقوله: **﴿كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا﴾**. وما على الرسول إلا البلاغ!.

وجواب الرسول هنا نظير ما حصل في قصة زكرياء: **﴿كذلك قال ربك هو علي هين﴾** وهو عدول عن إبطال مرادها من المراجعة إلى بيان هَوَن هذا الخلق في جانب قدرة الله، على طريقة الأسلوب الحكيم. وهذا قطع وإنباء بأن التخليق قد حصل في رحمها: **﴿فحملته فانتبذت به مكانا قصيا..﴾** فحملت بالغلام في فور تلك المراجعة.. وتعاقبت الأفعال بعضها إلى بعض: **﴿فحملته فانتبذت به..﴾** فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة.

وجملة **﴿قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا﴾**: استئناف بياني؛ لأن السامع يتشوف إلى معرفة حالها عند إبان وضع حملها بعد ما كان أمرها مستترا غير مكشوف بين الناس وقد آنَ أن ينكشف فيجاب السامع بأنها تمنت الموت قبل ذلك.. فهي في حالة من الحزن ترى أن الموت أهون عليها من الوقوع فيها. والمشار إليه في قولها: قبل هذا هو الحمل. أرادت أن لا يُتطرق عرضها بطعن ولا تجر على أهلها معرة. ولم تتمن أن تكون ماتت بعد بدو الحمل؛ لأن الموت حينئذ لا يدفع الطعن في عرضها بعد موتها ولا المعرة عن أهلها إذ يشاهد أهلها بطنها بحملها وهي ميتة فتطرقها القالة. ووصف النسي بمنسى مبالغة في نسيان ذكرها.. فهي تمنت الموت وانقطاع ذكرها بين أهلها من قبل ذلك.. **﴿فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا﴾**: ناداها المولود عند وضعه قبل أن ترفعه مبادرة للتسلية والبشارة بدل الحزن والخوف: لما فيها من الكرامة.

وجملة **﴿قد جعل ربك تحتك سريا﴾** خبر مراد به التعليل لجملة **﴿ألا تحزني. وهزي إليك بجذع النخلة تسّاقط عليك رطباً جنياً: فكلي واشربي وقري عينا..﴾** فهذا المولود وهذا الماء وهذا الرطب كرامة لك... فكلي الرطب واشربي الماء وقري عينا بالمولود... **﴿فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمان صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾**: تعقيب هذا الكلام على ما قبله تلقين لمريم وإرشاد لقطع المراجعة مع من يريد مجادلتها.. فعلمها أن تنذر صوماً يقارنه

انقطاع عن الكلام؛ فتكون في عبادة وتستريح من سؤال السائل ومجادلة الجاهلين.. ﴿**فأتت به قومها تحمله**﴾: تعقيب على ما حصل لمريم من وضع المولود وكلامه وما لقيته من حزن ومسرة فانتهى أمرها إلى أن جاءت بالمولود قومها تحمله بين يديها معلنة به غير ساترة؛ لأنها قد علمت أن الله سيبّرئها مما يتهم به مثلُ من جاء في حالتها.

وجملة ﴿**قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً**﴾: مستأنفة استئنافاً بيانياً. والقصد منها التوبيخ والتقريع... ﴿**يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً**﴾: زيادة في التوبيخ والتقريع.. فالمقصود من هذا الكلام الكناية عن كونها أتت بأمر ليس من شأن أهلها. وهم أرادوا ذمَّها فأتوا بكلام صريحه ثناء على أبويها مُقتض أنَّ شأنها أن تكون مثل أبويها.. ﴿**فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً**﴾: تعقيب على كلامهم.. ولما كانت إشارتها بمنزلة مراجعة كلام حكى حوارهم الواقع عقب الإشارة. بجملة القول مفصولة غير معطوفة.

وزيادة فعل الكون في ﴿**من كان في المهد صبياً**﴾ للدلالة على تمكن المظروفية في المهد من هذا الذي أحيلوا على مكالمته. وذلك مبالغة منهم في الانكار وتعجب من استخفافها بهم. ﴿**قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيئاً**﴾. استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق الكلام. كأنه قيل: فماذا كان بعد ذلك؟ فقيل: قال عيسى عليه السلام: ﴿**إني عبد الله..**﴾ ففيه رد على من زعم أن عيسى إله.. والتعبير عن إيتاء الكتاب بفعل المضي مراد به أن الله قدر إيتاءه إياه. والكتاب الشريعة التي من شأنها أن تكتب. والمراد بالكتاب الإنجيل. وما بعده من قوله: ﴿**وجعلني نبيئاً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني..**﴾ إلى آخر ما قال عيسى تفصيل لما في معنى الكتاب من الشريعة. ذلك: إشارة إلى من فصلت نعوته الجليلة التي ذكرها بقوله: ﴿**إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيئاً وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً**﴾.

﴿**والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً**﴾ وما في الإشارة من معنى البعد للدلالة على علو مرتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس: ﴿**عيسى ابن مريم**﴾. لا ما يصفه

النصارى. وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الأبلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفاً بأضداد ما يصفونه.. فاستحضار الشخص بصفات غير صفاته تبديل لشخصيته.. فلمّا وصفوه بغير ما هو صفته جُعِلُوا منزلة من لا يعرفونه.. فاجتلب اسم الإشارة ليتميز الموصوف أكمل تمييز عند الذين يريدون أن يعرفوه حق معرفته.

والمقصود بالتمييز تمييز صفاته الحقيقية عن الصفات الباطلة التي ألصقوها به. لا تمييز ذاته عن الذوات؛ إذ ليست ذاته بحاضرة وقت نزول الآية ﴿**قول الحق الذي فيه يمترون**﴾: هذا هو الحق وهو الوصف الذي ذكره القرآن لعيسى ـ عليه السلام ـ لا ما يقوله اليهود والنصارى فيه من الامتراء والاختلاف الذي حصل بين اليهود والنصارى، وما حصل بين النصارى بعضهم مع بعض.. ﴿**ما كان لله أن يتخذ من ولد ـ سبحانه ـ إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون**﴾: جملة ﴿**ما كان لله أن يتخذ من ولد**﴾ تقرير لمعنى العبودية، أو تفصيل لجملة ﴿**الذي فيه يمترون**﴾: اكتفاء بإبطال قول النصارى إن عيسى ابن الله؛ لأنه أهم بالإبطال؛ إذ هو تقرير لعبودية عيسى وتنزيه لله تعالى، عما لا يليق بجلاله من اتخاذ الولد ومن شائبة الشرك؛ ولأنه القول الناشئ عن الغلو في التقديس.. فكان فيما ذكر من صفات المدح لعيسى ما قد يقوى شبهة النصارى فيه.. بخلاف قول اليهود فقد ظهر بطلانه بما عُدّد لعيسى من صفات الخير.. وصيغة ما كان لله أن يتخذ من ولد: تفيد انتفاء الولد عن الله تعالى بأبلغ وجه؛ لأن ما كان تفيد مبالغة النفي. وأن يتخذ منفى على أي وجه.

ومن ولد تشمل أي نوع يطلق عليه ولد حقيقة أو مجازاً.. فجملة ﴿**إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون**﴾ بيان لجملة ﴿**ما كان لله أن يتخذ من ولد**﴾؛ لإبطال شبهة النصارى؛ إذ جعلوا تكوين إنسان بأمر التكوين عن غير سبب معتاد دليلاً على أن المكون ابن لله تعالى.. فأشارت الآية إلى أن هذا يقتضي أن تكون أصول الموجودات أبناء لله وإن كان ما يقتضيه لا يخرج عن الخضوع إلى أمر التكوين. ﴿**وأن الله ربي وربكم فاعبدوه**﴾: من تمام كلام عيسى المتقدم.. فجملة ﴿**هذا صراط مستقيم**﴾ تذييل وفذلكة لما سبقه. والإشارة إلى مضمون ما تقدم. والمراد بالصراط المستقيم اعتقاد الحق. شبه بالصراط المستقيم على التشبيه

البليغ. ﴿**فاختلف الأحزاب من بينهم**﴾: الفاء لتفريغ الإخبار بحصول الاختلاف على الأخبار بأن هذا صراط مستقيم.

والمراد بالأحزاب أحزاب النصارى.. وانحصرت الأحزاب في الكفر بالله تعالى.. فلذلك ذيل بقوله: ﴿**فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم**﴾. وقد دخلوا في عموم الذين كفروا بالله. وعبر عنهم بالموصول إيذاناً بكفرهم جميعاً. وإشعاراً بعلة الحكم. ﴿**أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا**﴾: ما أسمعهم وما أبصرهم في ذلك اليوم. والاستدراك الذي أفاده قوله: ﴿**لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين**﴾؛ راجع إلى ما يفيده التقييد بالظرف في قوله: ﴿**يوم يأتوننا**﴾، من ترقب سوء حالهم يوم القيامة الذي يقتضي الظن بأنهم الآن في سعة من الحال.. فأفيد أنهم متلبسون بالضلال المبين. وهو من سوء الحال لهم لما يتبعه من اضطراب الرأي والتباس الحال على صاحبه.

وتلك نُكْتَةُ التقييد بالظرف في قوله: اليوم في ضلال مبين. والتعبير عنهم بالظالمون اظهار في مقام الإضمار: للإيذان بأنهم في ذلك ظالمون لأنفسهم. ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة**﴾: عقّب تحذيرهم من عذاب الآخرة والتداء على سوء ضلالهم في الدنيا بالأمر بإنذارهم استقصاء في الإعذار لهم. والمراد بيوم الحسرة يوم الحساب. أضيف اليوم إلى الحسرة لكثرة ما يحدث فيه من تحسر المجرمين على ما فرّطوا فيه من أسباب النجاة.. ﴿**إذ قضى الأمر**﴾: إذ ظرف بدل من يوم الحسرة. وجملة ﴿**وهم في غفلة**﴾: حال من الأمر. ومعنى ﴿**وهم لا يؤمنون**﴾: استمرار عدم إيمانهم إلى حلول قضاء الأمر يوم الحسرة.. فاختيار صيغة المضارع فيه دون صيغة اسم الفاعل لما يدل عليه المضارع من استمرار الفعل وقتاً فوقتاً استحضاراً لذلك الاستمرار العجيب في طوله وتمكنه.

﴿**إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون**﴾: هذه الآية التي ختمت بها هذه القصة تذييل مقرر لمضمون ما تقدم. وتأكيد جملة ﴿**إنا نحن نرث الأرض ومن عليها**﴾ بحرف التأكيد وضمير الفصل لدفع الشك؛ لأن الكفار المتحدث عنهم في ذلك ينكرون البعث وما يترتب عليه من جزاء.. فهم ينكرون أن الله يرث الأرض ومن عليها بهذا المعنى. وأفاد هذا التذييل التعريف بتهديد المشركين بأنهم لا مفر لهم من الكون في قبضة الرب الواحد الذي أشركوا بعبادته بعض ما

على الأرض. وأن آلهتهم ليست بمرجوة لنفعهم إذ ما هي إلا مما يرثه الله تعالى. ولهذا كان موقع جملة ﴿**وإلينا يرجعون**﴾ بيّنا.. فالتقديم مفيد للقصر..

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**كَهيعَصَ. ذكر رحمة ربك عبده زكرياء**﴾. إذ نادى ربه نداء خفياً.. في هذا التوجيه لفت الانتباه إلى ما في هذه السورة من إزالة ما تعلق بقصة عيسى وأمه مريم من التلبيس والانتباه. تبدأ القصة الأولى: قصة زكرياء ويحيى، تمهيداً لقصة مريم وابنها عيسى.. فهي تبدأ والرحمة قوامها، والرحمة تظللها، ومن ثم يتقدمها ذكر الرحمة.. ﴿**إذ نادى ربه نداء خفياً**﴾: إن زكرياء يناجي ربه بعيداً عن عيون الناس، بعيداً عن أسماعهم، في عزلة يخلص فيها لربه. ويكشف له عما يثقل كاهله ويكرب صدره: قال ـ وهو يناديه في قرب واتصال ـ ربّ.. بلا واسطة.. حتى.. ولا حرف النداء.. وإن ربه ليسمع ويرى من غير دعاء ولا نداء.. ولكن المكروب يستريح إلى البث، ويحتاج إلى الشكوى. والله الرحيم بعباده يعلم ذلك من فطرة البشر.. فيحب منهم أن يدعوه وأن يشكوه ما تضيق به صدورهم فيستجيب لهم.. فيريحوا أعصابهم من العبء المرهق، وتطمئن قلوبهم إلى أنهم قد عهدوا بأعبائهم إلى من هو أقوى وأقدر، ويستشعروا صلتهم بالجناب الذي لا يضام من يلجأ إليه، ولا يخيب من يتوكل عليه.

﴿**قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً**﴾: إنه يشكو إلى ربه وهن العظم. وحين يهن العظم يكون الجسم كله قد وهن؛ فالعظم هو أصلب ما فيه، وهو قوامه الذي يقوم به ويتجمع عليه. ويشكو إليه اشتغال الرأس شيباً. والتعبير المصور.. يجعل الشيب كأنه نار تشتعل، ويجعل الرأس كله كأنما تشمله هذه النار المشتعلة. فلا يبقى في الرأس المشتعل سواد. ووهن العظم واشتعال الرأس شيباً كلاهما كناية عن الشيخوخة وضعفها الذي يعانيه زكرياء ويشكوه إلى ربه وهو يعرض عليه حاله ورجاءه.. ثم يعقب عليه بقوله: ﴿**ولم أكن بدعائك رب شقياً**﴾. معترفاً بأن الله قد عوّده أن يستجيب إليه إذا دعاه. فلم يشق مع دعائه لربه، وهو في فتوته وقوته، فما أحوجه الآن في هرمه وكبره أن يستجيب الله له ويتم نعمته عليه.. فإذا صور حاله، وقدم رجاءه، ذكر ما يخشاه، وعرض ما يطلبه.. إنه يخشى من بعده..

يخشاهم ألا يقوموا على تراثه بما يرضاه. وتراثه هو دعوته التي يقوم عليها.. ـ وهو أحد أنبياء بني إسراءيل البارزين ـ وأهله الذين يرعاهم ـ ومنهم مريم التي كان قيماً عليها وهي تخدم المحراب الذي يتولاه ـ وما له الذي يحسن تدبيره وإنفاقه في وجهه. وهو يخشى الموالي من ورائه على هذا التراث كله، ويخشى ألا يسيروا فيه سيرته.. قيل لأنه بعهدهم غير صالحين للقيام على ذلك التراث: **﴿وإني خفت الموالي من ورائي.. وكانت امرأتي عاقراً..﴾** فلم تعقب ولم يكن له من ذريته من يملك تربيته وإعداده لوراثته وخلافته. ذلك ما يخشاه.. فأما ما يطلبه فهو الولي الصالح يصور أمله في ذلك الوريث الذي يحسن الوراثة، ويحسن القيام على تراثه وتراث النبوة من آبائه وأجداده: **﴿فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب﴾**.

ولا ينسى زكرياء النبيء الصالح أن يصور أمله في ذلك الوريث الذي يرجوه في كبره وضعفه: **﴿واجعله رب رضياً..﴾** لاجباراً ولا غليظاً، ولا متبطراً ولا طموحاً.. فلفظة رضيّ تلقى هذه الظلال فالرضى الذي يرضى ويُرضى. وينشر ظلال الرضى فيما حوله ومن حوله.. ذلك دعاء زكرياء لربه في ضراعة وخفية. والألفاظ والمعاني والظلال والإيقاع الرضي كلها تشارك في تصوير مشهد الدعاء.. ثم ترتسم لحظة الاستجابة في رعاية وعطف ورضى.. فالرب ينادي عبده من الملإ الأعلى: **﴿يا زكرياء..﴾** ويعجل له البشرى: **﴿إنا نبشرك بغلام..﴾** ويغمره بالعطف فيختار اسم الغلام الذي بشره به: **﴿اسمه يحيى..﴾** وهو اسم فذ غير مسبوق: **﴿لم نجعل له من قبل سميا..﴾** إنه فيض الكرم الإلهي يغدقه على عبده الذي دعاه في ضراعة، وناجاه في خفية، وكشف له عما يخشى، وتوجه إليه فيما يرجو.

والذي دفعه إلى دعاء ربه خوفه الموالي من بعده على تراث العقيدة وعلى تدبير المال والقيام على الأهل بما يرضي الله. وعلم الله ذلك من نيته فأغدق عليه وأرضاه. وكأنما أفاق زكرياء من غمرة الرغبة وحرارة الرجاء، على هذه الاستجابة القريبة للدعاء.. فإذا هو يواجه الواقع.. إنه رجل شيخ بلغ من الكبر عتيا، وهن عظمه واشتغل شيبه، وامرأته عاقر لم تلد له في فتوته وشبابه.. فكيف يا ترى سيكون له غلام؟ إنه ليريد أن يطمئن، ويعرف الوسيلة التي يرزقه الله بها هذا

الغلام: ﴿**قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيا**﴾. إنه يواجه الواقع، ويواجه معه وعد الله. وإنه ليثق بالوعد، ولكنه يريد أن يعرف كيف يكون تحقيقه مع ذلك الواقع الذي يواجهه ليطمئن قلبه.

وهي حالة نفسية طبيعية في مثل موقف زكرياء النبي الصالح، الإنسان الذي لا يملك أن يغفل الواقع.. فيشتاق أن يعرف كيف يغيره الله: هنا يأتيه الجواب عن سؤاله: أن هذا هين على الله سهل، ويذكره بمثل قريب في نفسه: في خلفته وهو ايجاده بعد أن لم يكن. وهو مثل لكل حي، ولكل شيء في هذا الوجود: ﴿**قال كذلك قال ربك هو عليّ هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً**﴾. وليس في الخلق هيّن وصعب على الله، ووسيلة الخلق للصغير والكبير، وللحقير والجليل واحدة: كن فيكون، والله هو الذي جعل العاقر لا تلد. وجعل الشيخ الفاني لا ينسل؛ وهو قادر على إصلاح العاقر وإزالة سبب العقم، وتجديد قوة الإخصاب في الرجل.

وهو أهون في اعتبار الناس من إنشاء الحياة ابتداء.. وإن كان كل شيء هيناً على القدرة إعادة أو إنشاء!.. ومع ذلك فإن لهفة زكرياء على الطمأنينة تدفع به أن يطلب آية وعلامة على تحقيق البشرى فعلاً. فأعطاه الله آية تناسب الجو النفسي الذي كان فيه الدعاء وكانت فيه الاستجابة.. ويؤدى بها حق الشكر لله الذي وهبه على الكبر غلاماً.. وذلك أن ينقطع عن دنيا الناس ويحيا مع الله ثلاث ليال ينطلق لسانه إن سبح ربه، ويحتبس إذا كلم الناس وهو سِويٌّ معافى في جوارحه لم يصب لسانه عوج ولا آفة: ﴿**قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً**..﴾ وكان ذلك: ﴿**فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً**..﴾ ذلك ليعيشوا في مثل الجو الذي يعيش فيه، وليشكروا الله معه على ما أنعم عليه وعليهم من بعده.

ويترك السياق زكرياء في صمته وتسبيحه، ويسدل عليه الستار في هذا المشهد، ويطوي صفحته ليفتح الصفحة الجديدة على يحيى. يناديه ربه من الملإ الأعلى: ﴿**يا يحيى خذ الكتاب بقوة**..﴾ لقد ولد يحيى وترعرع وصار صبياً، في الفجوة التي تركها السياق بين المشهدين. على طريقة القرآن في عرضه الفني للقصص، ليبرز أهم الحلقات والمشاهد، وأشدها حيوية وحركة. وهو بهذا النداء

العلوي ليحيى قبل أن يتحدث عنه بكلمة؛ لأن مشهد النداء مشهد رائع عظيم، يدل على مكانة يحيى، وعلى استجابة الله لزكرياء في أن يجعل له من ذريته ولياً يحسن الخلافة بعده في العقيدة وفي العشيرة. فها هوذا أول موقف ليحيى هو موقف انتدابه ليحمل الأمانة الكبرى ولقد ورث يحيى أباه زكرياء، ونودي ليحمل العبء، وينهض بالأمانة في قوة وعزم لا يضعف ولا يتهاون ولا يتراجع عن تكاليف الوراثة.

وبعد النداء يكشف السياق عما زُوّد به يحيى لينهض بالتبعة الكبرى: ﴿**وآتيناه الحكم صبياً وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقياً. .**﴾ فهذه هي المؤهلات التي زوده الله بها، وأعده وأعانه على احتمال ما كلفه إياه عندما ناداه. . آتاه الحكمة صبياً. . فكان فذاً في زاده، كما كان فذّاً في اسمه وفي ميلاده. . فالحكمة تأتي متأخرة ولكن يحيى قد زوّد بها صبياً وآتاه الحنان هبة لَدُنّيّة لا يتكلفه ولا يتعلمه؛ إنما هو مطبوع عليه ومطبوع به. والحنان صفة ضرورية للنبيء المكلف رعاية القلوب والنفوس، وتألفها واجتذابها إلى الخير في رفق. وآتاه الطهارة والعفة ونظافة القلب والطبع، يواجه بها أدران القلوب ودنس النفوس. . فيطهرها ويزكيها. وكان تقياً موصولاً بالله متحرجاً معه مراقباً له. يخشاه ويستشعر رقابته عليه في سره ونجواه. . ﴿**وبراً بوالديه**﴾ يحسن بهما ويكرمهما ويطيعهما. . ﴿**ولم يكن جباراً عصياً. .**﴾ بل مكرماً تقياً. . ﴿**وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً**﴾. ذلك هو الزاد الذي آتاه الله يحيى في صباه وأكرمه الله به إلى أن أماته وتوفاه. وهو زاده إلى يوم أن يلقاه. . وهنا يسدل الستار على يحيى كما أسدل من قبل على زكرياء. وقد رسم الخط الرئيسي في حياته وفي منهجه وفي اتجاهه وبرزت العبرة من القصة في دعاء زكرياء واستجابة ربه له، وفي نداء يحيى وما زوده الله به. ولم يعد في تفصيلات القصة بعد ذلك ما يزيد شيئاً في عبرتها ومغزاها.

التوجيه الثاني: ﴿**واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً. . .**﴾: في هذا التوجيه لفت النظر إلى ما في ميلاد عيسى من العبر. . وقصة ميلاد عيسى من مريم العذراء أعجب من ميلاد يحيى من زكرياء. . وقد تدرج السياق من القصة الأولى. . ووجه العجب فيها هو ولادة العاقر من بعلها الشيخ. . إلى القصة الثانية ووجه العجب فيها هو ولادة العذراء من غير بعل. .

وهي أعجب وأغرب.. وإذا نحن تجاوزنا حادث خلق الإنسان أصلاً وإنشائه على هذه الصورة فإن حادث ولادة عيسى ابن مريم يكون أعجب ما شهدته البشرية في تاريخها كله.. ويكون حادثاً فذاً، لا نظير له من قبله ولا من بعده. والبشرية لم تشهد خلق نفسها، وهو الحادث العجيب الضخم في تاريخها! لم تشهد خلق الإنسان الأول من غير أب وأم.

وقد مضت القرون بعد ذلك الحادث.. فشاءت الحكمة الإلهية أن تبرز العجيبة الثانية في مولد عيسى من غير أب: على غير السنة التي جرت منذ وجد الإنسان على هذه الأرض؛ ليشهدها البشر.. ثم تظل في سجل الحياة الإنسانية بارزة فذة تتلفت إليها الأجيال، إن عز عليها أن تتلفت إلى العجيبة الأولى التي لم يشهدها إنسان. لقد جرت سنة الله التي وضعها لامتداد الحياة بالتناسل من ذكر وأنثى في جميع الفصائل والأنواع بلا استثناء.. حتى المخلوقات التي لا يوجد فيها ذكر وأنثى متميزان تتجمع في الفرد الواحد منها خلايا التذكير والتأنيث.. جرت هذه السنة أحقاباً طويلة حتى استقر في تصور البشر أن هذه الطريقة الوحيدة، ونسوا الحادث الأول.

حادث وجود الإنسان لأنه خارج عن القياس.. فأراد الله أن يضرب لهم مثل عيسى ابن مريم ليذكرهم بحرية القدرة وطلاقة الإرادة، وأنها لا تحتبس داخل النواميس التي تختارها. ولم يتكرر حادث عيسى لأن الأصل هو أن تجري السنة التي وضعها الله، وأن ينفّذ الناموس الذي اختاره وهذه الحادثة الواحدة تكفي لتبقى أمام أنظار البشرية معلماً بارزاً على حرية المشيئة، وعدم احتباسها داخل حدود النواميس.. ونظراً لغرابة الحادث وضخامته.. فقد عز على فرق من الناس أن تتصوره على طبيعته وأن تدرك الحكمة في إبرازه.. فجعلت تضفي على عيسى ابن مريم صفات ألوهية وتصوغ حول مولده الخرافات والأساطير، وتعكس الحكمة من خلقه على هذا النحو العجيب - وهي إثبات القدرة الإلهية التي لا تتقيد - تعكسها فتشوه عقيدة التوحيد.

والقرآن في هذه السورة يقص كيف وقعت هذه العجيبة، ويبرز دلالتها الحقيقية وينفي تلك الخرافات والأساطير. والسياق يخرج القصة في مشاهد مثيرة حافلة بالعواطف والانفعالات التي تهز من يقرؤها هزاً كأنما هو يشهدها..

فالمشهد الأول في هذا التوجيه فتاة عذراء قديسة وهبتها أمها وهي في بطنها لخدمة المعبد ـ لا يعرف عنها أحد إلا الطهر والعفة.. ولا يعرف عن أسرتها إلا الطيبة والصلاح من قديم.. فها هي ذي تخلو إلى نفسها لشأن من شؤونها التي تقتضي التواري من أهلها والاحتجاب عن أنظارهم.. ﴿**فاتخذت من دونهم حجاباً**﴾ ولا يحدد السياق هذا الشأن..ربما لأنه شأن خاص جداً من خصوصيات الفتاة وها هي ذي في خلوتها، مطمئنة إلى انفرادها.. ولكن ها هي ذي تفاجأ مفاجأة عنيفة.. إنه رجل مكتمل سوي: ﴿**فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً**..﴾ وها هي ذي تنتفض انتفاضة العذراء المذعورة يفجؤها رجل في خلوتها.. فتلجأ إلى الله تستعيذ وتستنجد وتستثير مشاعر التقوى في نفس الرجل، والخوف من الله والتَحَرُّج من رقابته في هذا المكان الخالي: ﴿**قالت إني أعوذ بالرحمان منك إن كنت تقيا**..﴾ فالتقي ينتفض وجدانه عند ذكر الرحمان، ويرجع عن دفعة الشهوة ونزغ الشيطان.

وهنا يتمثل الخيال لتلك العذراء الطيبة البريئة ذات التربية الصالحة التي نشأت في وسط صالح، وكفلها زكرياء، بعد أن نذرت لله جنيناً.. وهذه هي الهزة الأولى: ﴿**قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا**..﴾ وليتمثل الخيال مقدار الفزع والخجل. وهذا الرجل السوي ـ الذي لم تثق بعد بأنه رسول ربها ـ فقد تكون حيلة فاتك يستغل طيبتها ـ يصارحها بما يخدش سمع الفتاة الخجول: وهو أنه يريد أن يهب لها غلاماً وهما في خلوة ـ وهذه هي الهزة الثانية ثم تدركها شجاعة الأنثى المهددة في عرضها.. فتسأل في صراحة: كيف؟.. ﴿**قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا**..﴾ هكذا بصراحة وبالألفاظ المكشوفة.. فهي والرجل في خلوة. والغرض من مباغتته لها قد صار مكشوفاً.. فما تعرف هي بعد كيف يهب لها غلاماً؟ وما يخفف من روع الموقف أن يقول لها: إنما أنا رسول ربك.. و لا أنه مرسل ليهب لها غلاماً طاهراً غير مدنس المولد، ولا مدنس السيرة ليطمئن بالها. لا.. فالحياء هنا لا يجدى والصراحة أولى.. فكيف؟ وهي عذراء لم يمسسها بشر، وما هي بغيٌّ.. فتقبل الفعلة التي تجيء منها بغلام! ويبدو من سؤالها أنها لم تكن تتصور حتى اللحظة ـ وسيلة أخرى لأن يهبها غلاما إلا الوسيلة المعهودة بين الذكر والأنثى.

وهذا هو الطبيعي بحكم التصور البشري: ﴿**قال كذلك قال ربك هو علي هين**

ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا. .﴾ فهذا الأمر الخارق الذي لا تتصور مريم وقوعه هين على الله. . فأمام القدرة التي تقول للشيء كن فيكون كل شيء هين. سواء جرت به السنة المعهودة أو جرت بغيره. . والروح يخبرها بأن ربها يخبرها بأن هذا هين عليه. وأنه أراد أن يجعل هذا الحادث العجيب آية للناس، وعلامة على وجوده وقدرته وحرية إرادته. ورحمة لبني إسراءيل أولا وللبشرية جميعا. . بإبراز هذا الحادث الذي يقودهم إلى معرفة الله وعبادته وابتغاء رضوانه.

بذلك انتهى الحوار بين الروح الأمين ومريم العذراء. ولا يذكر السياق ماذا كان بعد الحوار. . فهنا فجوة من فجوات العرض الفني للقصة. . ولكنه يذكر أن ما أخبرها به من أن يكون لها غلام وهي عذراء لم يمسسها بشر، وأن يكون هذا الغلام آية للناس ورحمة من الله: أن هذا قد انتهى أمره وتحقق وقوعه: **﴿وكان أمراً مقضيا. .﴾** ثم تمضي القصة في مشهد جديد من مشاهدها. . فتعرض هذه العذراء الحائرة في موقف آخر أشد هولا: **﴿فحملته فانتبذت به مكاناً قصيا. .﴾** فهذه هي الهزة الثالثة. والسياق لا يذكر كيف حملته، ولا كم حملته. . فلنشهد مريم تنتبذ مكاناً قصيا عن أهلها في موقف أشد هولا من موقفها الأول. . فلئن كانت في الموقف الأول تواجه الحصانة والتربية والأخلاق بينها وبين نفسها.

فهي هنا وشيكة أن تواجه المجتمع بالفضيحة. . ثم هي تواجه الآلام الجسدية بجانب الآلام النفسية: **﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً. .﴾** توَاجه المخاض الذي أجاءها إجاءة إلى جذع النخلة واضطرها اضطراراً إلى الاستناد عليها ـ وهي وحيدة فريدة ـ تُعاني حيرة العذراء في أول مخاض، ولا علم لها بشيء ولا معين لها في شيء. . فإذا هي قالت: **﴿ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً. .﴾** فإننا لنكاد نرى ملامحها، ونحس اضطراب خواطرها، ونلمس مواقع الألم فيها، وهي تتمنى لو ماتت من زمان قبل هذا ونُسِيت فلا تذكر ولا تخطر على بال أحد!. . وفي حدة الألم وغمرة الهول تقع المفاجأة الكبرى: **﴿فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً﴾**. وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً.

﴿فكلي واشربي وقري عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت

للرحمان صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾. يالله! طفل وُلد اللحظة يناديها من تحتها: يُطمئن قلبها ويصلها بربها ويرشدها إلى طعامها وشرابها ويدلها على حجتها وبرهانها. ﴿**ألا تحزني. . قد جعل ربك تحتك سرياً. . .**﴾ فلم ينسك ولم يتركك. . بل أجرى لك تحت قدميك جدولاً سارياً. . وهذه النخلة التي تستندين إليها هزيها. . فتساقط عليك رطباً. . فهذا طعام وذاك شراب. والطعام الحلو مناسب للنفساء. والرطب والتمر من أجود طعام النفساء. . فكلي من الرطب واشربي من الماء. هنيئاً مريئاً. ﴿**وقري عيناً. .**﴾ فأما إذا واجهت أحداً من الناس فأعلميه بطريقة غير الكلام أنك نذرت للرحمان صوماً يمنعني من حديث الناس. ولا تجيبي أحداً عن سؤال.

فأتت به قومها تحمله: أتت بهذا الطفل الذي نطق وأرشدها وطمأنها. . ثم يكشف عن حقيقته بعد ذلك. . فلنشهد هذا المشهد المثير. . إننا لنتصور الدهشة التي تعلو وجوه القوم ـ ويبدو أنهم أهل بيتها الأقربون في نطاق ضيق محدود ـ وهو يرون ابنتهم الطاهرة العذراء الموهوبة للمعبد العابدة المنقطعة للعبادة يرونها تحمل طفلاً! ﴿**قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً. .**﴾ فها هي ألسنتهم تنطق بالتقريع والتأنيب. . ثم يتحول السخط إلى تهكم مرير: ﴿**ياأخت هارون. .**﴾ النبي الذي ينتسب إليه صالحو بني إسراءيل. . ﴿**ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً. .**﴾ حتى تأتي بهذه الفعلة التي لا يأتيها إلا بنات آباء السوء والأمهات البغايا! وتنفذ مريم وصية الطفل العجيب التي لقنها إياها: ﴿**فأشارت إليه. .**﴾ فماذا نقول في العجب والغيظ الذي ساورهم وهم يرون عذراء تواجههم بطفل. . ثم تتبجح فتسخر ممن يستنكرون فعلتها فتصمت وتشير لهم إلى الطفل ليسألوه عن سرها! ﴿**قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً**﴾؟!. . ولكن ها هي ذي الخارقة العجيبة تقع مرة أخرى: ﴿**قال: إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيئاً وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً. وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً. والسلام عليّ يومّ ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً**﴾.

هكذا يعلن عيسى ـ عليه السلام ـ عبوديته لله. . فليس هو ابنه كما تدعى فرقة. . وليس هو إلهاً كما تدعي فرقة. . وليس هو ثالث ثلاثة هم إليه واحد وهم ثلاثة كما تدعي فرقة. . ويعلن أن الله جعله نبيئاً. . لا ولداً ولا شريكاً. . وبارك

فيه.. وأوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته.. والبر بوالدته والتواضع مع عشيرته.. فله إذاً حياةٌ محدودةٌ ذاتُ أمد.. وهو يموت ويبعث. وقد قدر الله له السلام والأمان والطمأنينة يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً. والنص صريح هنا في موت عيسى وبعثه. وهو لا يحتمل تأويلاً في هذه الحقيقة ولا جدالاً. ولا يزيد السياق القرآني شيئاً على هذا المشهد. لا يقول كيف استقبل القوم هذه الخارقة. ولا ماذا كان بعدها من أمر مريم وابنها العجيب. ولا متى كانت نبوءته التي أشار إليها وهو يقول: ﴿**آتاني الكتاب وجعلني نبيئاً**﴾. ذلك أن حادث ميلاد عيسى هو المقصود في هذا الموضع.. فحين يصل به السياق إلى ذلك المشهد الخارق يسدل الستار ليعقب بالغرض المقصود في أنسب موضع من السياق.

التوجيه الثالث: ﴿**ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون..**﴾: في هذا التوجيه خلاصة الكلام في حقيقة عيسى عليه السلام. ذلك عيسى ابن مريم لا ما يقوله المؤلهون له، أو المتهمون لأمه في مولده.. ذلك هو في حقيقته وذلك واقع نشأته. ذلك هو قول الحق الذي فيه يمترون ويشكون.. ﴿**ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه**﴾: تعالى وتنزه. فليس من شأنه أن يتخذ ولداً. والولد إنما يتخذه الفانون للامتداد، ويتخذه الضعفاء للإعانة والنصرة. والله باق لا يخشى فِناء، قادر لا يحتاج معيناً. والكائنات كلها توجد بكلمة كن: ﴿**إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون..**﴾ فما يريد تحقيقه يحققه بتوجه الإرادة لا بالولد والمعين.. ثم يعود السياق يقرر ما قاله عيسى: ﴿**وأن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم..**﴾ فلا يبقى بعد شهادة عيسى وشهادة قصته مجال للأوهام والأساطير. فهذا هو المقصود بذلك التعقيب في لغة التقرير وإيقاع التقرير.

وبعد هذا التقرير يعرض السياق اختلاف الفرق والأحزاب في أمر عيسى.. فيبدو هذا الاختلاف مستنكراً نابياً في ظل هذه الحقيقة الناصعة: ﴿**فاختلف الأحزاب من بينهم..**﴾ فهذا الاختلاف ظهر في فرق النصارى الذين اختلفوا وتفرقوا أحزاباً وطوائف متنازعة متنافرة على مدى التاريخ الطويل في القديم والحديث.. فالسياق هنا ينذر الكافرين الذين ينحرفون عن الإيمان بوحدانية الله. ينذرهم بمشهد يوم عظيم. تشهد جموع أكبر، وترى ما يحل بالكافرين المنحرفين: فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم.. فويل لهم من ذلك المشهد

في يوم عظيم! بهذا التنكير للتفخيم والتهويل: المشهد الذي يشهده الثقلان: الإنس والجان.

وتشهده الملائكة في حضرة الجبار الذي أشرك به الكفار.. ثم يأخذ السياق بالتهكم بهم وبإعراضهم عن دلائل الهدى في الدنيا، وهم في ذلك المشهد أسمع الناس وأبصر الناس! أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا.. فما أعجب حالهم!: لا يسمعون ولا يبصرون حين يكون السمع والبصر وسيلة للهدى والنجاة. وهم أسمع شيء وأبصر شيء يوم يكون السمع والبصر وسيلة للخزي، ولأسماعهم ما يكرهون وتبصيرهم ما يخافون في مشهد يوم عظيم! لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين! وأنذرهم يوم الحسرة: يوم تشتد الحسرات.. حتى لكان اليوم ممّحض للحسرة لا شيء فيه سواها.. فهي الغالبة على جَوّه لكثرة المتحسّرين فيه! أنذرهم هذا اليوم الذي لا تنفع فيه الحسرات: ﴿**إذ قضى الأمر..**﴾ فلا رجوع ولا أمل فيه. وهم في غفلة منه ومما سيقع فيه: وهم في غفلة.. فما داموا في هذه الغفلة في هذه الدنيا فما يقع في بالهم شيء مما سيلاقونه في ذلك اليوم العصيب: وهم لا يؤمنون ما داموا غافلين من هذا المصير الرهيب! ﴿**إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون**﴾.

2 ـ القسم الثاني من أقسام ذكر الرسل
ذكر إبراهيم والأنبياء أهل الصدق والفضل

النص

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51) وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (52) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (53) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ

كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (53) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا (54) وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ
إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (55) وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا (56)
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ
وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا
وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا * (57)
* فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ
فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (58) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ
يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا (59) جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ
بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا (60) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا
وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (61) تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ
عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا (62) وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ
أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (63)
رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ
لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا (64)

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيئاً**﴾: اتل على الناس قصة إبراهيم وبلغها إياهم.. فعساهم باستماع قصته يقلعون عَمّا هم فيه من القبائح. والصديق بتشديد الدال مبالغة في الاتصاف بالصدق والتصديق. والنبئ: فعيل بمعنى مفعول. من أنبأه بالخبر. والمراد هنا: أنه منبأ من جانب الله تعالى بالوحي. والأكثر أن يكون النبئ مرسلاً للتبليغ. وهو معنى شرعي. فالنبئ فيه حقيقة عرفية. ﴿**إذ قال لأبيه: يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً..**﴾ إذ هنا: اسم زمان مجرد عن الظرفية؛ لأن إذ ظرف منصرف على التحقيق.

والمعنى اذكر إبراهيم في زمان قوله لأبيه.. وأبو إبراهيم آزر. كما تقدم في سورة الأنعام.. ﴿**ويا أبتِ**﴾: أصلها يا أبي. حذفوا ياء المتكلم وعوضوا عنها تاء تعويضاً على غير قياس. وآزر كان ممن يعبد الأصنام الجامدة من خشب مصورة أو حجر منحوتة.. ﴿**يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً..**﴾ العلم الذي جاء إبراهيم الوحي.. فهو رسول إلى قومه عامة وإلى أبيه خاصة. وكان آزر زعيماً لقومه واتباع الرسول واجب على كل أحد ولو كان أباً: ﴿**فاتبعني أهدك صراطاً سوياً**﴾. يعني به طريق الحق. ﴿**يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمان عصياً..**﴾ عبادة الأصنام من وحي الشيطان ولما كان سبباً في عبادتها جعل كأنه هو المعبود.

والعصي: كثير العصيان. وأقبح عصيان هو عصيان الرحمان. يأبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمان فتكون للشيطان ولياً.. أخاف أن يمسك عذاب: أحذرك من الوقوع فيما يسبب لك العذاب الواقع من الرحمان فتقترن في النار مع الشيطان.. فالولي: الصاحب والتابع، ومَن حالُهما حالٌ واحدة وأمرهما جميع.. فعبر بالولاية عن المقارنة في المصير. ﴿**قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم..**﴾ رغب عن الشيء: تجافى عنه وتركه على سبيل البغض له. والاستفهام للإنكار. وآلهة الأب ينبغي أن تُحبَّب ولا تُبْغض.

﴿**يا إبراهيم**﴾: ناداه لزيادة التعجب من ترك آلهة أبيه. ولهذا حذّره من هذا الرفض: ﴿**لئن لم تنته**﴾ عن هذا الرفض ﴿**لأرجمنك**﴾ بالحجارة حتى تموت.. ﴿**واهجرني ملياً..**﴾ الهجر: قطع المكالمة وقطع المعاشرة. والمراد به الطرد والخلع.. وملياً: طويلاً. أي: لا أراك بعد اليوم! ﴿**قال: سلام عليك..**﴾ فهو سلام توديع ومتاركة. ومن حلم إبراهيم أن كانت متاركته أباه مشوبه بالإحسان في معاملته في آخر لحظة. وأظهر حرصه على هداه فقال: ﴿**سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً..**﴾ والحفى: الشديد البر والألطاف. وأعتزلكم وما تدعون من دون الله.. الاعتزال الترك أي: أترككم وأترك الذين تدعونهم من دون الله. وأدعو ربي وحده رجاء أن لا أكون محروماً من قبول العبادة واستجابة الدعاء.

فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبيأً: لما اعتزل إبراهيم أباه وقومه وخرج مهاجراً إلى ربه واستوحش بذلك الفراق وهبه الله ذرية يستأنس بها... فامتدت الذرية من إبراهيم إسحاق ويعقوب. وكل منهما نبيء ورسول... ﴿**فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب. ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا...**﴾ المراد من ﴿**رحمتنا**﴾: النبوءة. ولسان الصدق، الثناء الحسن. والعلى: الرفعة والشرف وعلو المكانة.... ﴿**واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبيئاً**﴾: المخلِص: اسم فاعل. من أخلص إذا كان الإخلاص صفته. فلا يتعدى إلى مفعول. وهو مشتق من الخلوص. وهو التمحص وعدم الخلط.

﴿**وناديناه من جانب الطور الأيمن...**﴾ النداء: الكلام الدال على طلب الإقبال. وأصله جهر الصوت لإسماع البعيد. والطور: الجبل الواقع بين بلاد الشام ومصر في شبه جزيرة سيناء. وجانبه: ناحيته السفلى. والأيمن الجهة الجنوبية التي تكون على يمين مقابله ومقابل جهة الشمس نحو الجهة الشرقية. ﴿**وقربناه نجياً...**﴾ التقريب: أصله الجعل بمكان القرب. والنجي: المخصوص بحديث السر. ﴿**ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيئاً**﴾. هارون: أخو موسى أرسله الله مساعداً لموسى في دعوته... ﴿**واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيئاً...**﴾ إسماعيل: هو الابن البكر لإبراهيم، وشريكه في بناء الكعبة.

وخصّ بوصف صدق الوعد لأنه اشتهر به، وتركه خُلُقا في ذريته، وجعله الله نبيئاً ورسولاً إلى قومه. ﴿**وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً**﴾: قد كان من شريعته الصلاة والزكاة وشؤون الحنيفية ملة أبيه إبراهيم. عمل بها وأمر أهله أن يعملوا بها. وكان مرضياً عند الله ربه؛ إذ أكرمه وأنعم عليه نعماً كثيرة. ﴿**واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبيئاً. ورفعناه مكاناً علياً**﴾. إدريس: اشتهر في القرآن بهذا الاسم ولم يذكر القرآن نسبه ولا مكانه وزمانه، ومن هم قومه؟ فلنقف على ما ذكر القرآن ﴿**ورفعناه مكاناً علياً**﴾: هو شرف النبوءة والصديقية العالية التي بلغها كرامة من الله له.. ﴿**أولئك الذين أنعم الله عليهم**﴾. اسم الإشارة عائد إلى المذكورين من أول السورة إلى هنا.

وقد أنعم الله عليهم بنعم كثيرة. ودخل معهم كل من لم يذكر من النبيئين: من ذرية آدم وممن كان مع نوح في السفينة، ومن ذرية إبراهيم... ومن ذرية إسراءيل - يعقوب. ﴿**وممن هدينا واجتبينا**...﴾ كل هؤلاء كانوا ﴿**إذا تتلى عليهم آيات الرحمان خروا سجداً وبكياً**...﴾ فهؤلاء بما فيهم من هذه الأوصاف الجليلة أنعم الله عليهم: بعضهم بالرسالة... وبعضهم بالصديقية... وبعضهم بالهداية التي تتبع الرسالة... فاجتمعت هذه الأوصاف كلها في خَلَفهم من أمة محمد ﷺ حيث قال الله فيهم: ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً**...﴾ ولكن خلف من بعد أولئك خلف وساروا في غير طريقهم وعملوا غير ما عملوا... ﴿**فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً**﴾: الخلف بسكون اللام عقب السوء. والخلف بفتح اللام عقب الخير.

وهو هنا يشمل جميع الأمم التي ضلت بعد رسولها من عهد نوح إلى عهد محمد... والإضاعة: التفريط بإهمال العرض النفيس. والصلاة من أنفس ما يقال عنه نفيس. واتباع الشهوات اتباع كل ما هو قبيح وخسيس. والغي الضلال وما ينتج عنه من أهوال... ﴿**إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً**...﴾ لكن من رجع عن غيه وجاء إلى ربه بالإيمان والعمل الصالح يقبله ربه ويدخله جنته موفور الأجر ومغفور الوزر، مع الذين أنعم الله

عليهم. . . : **﴿جنات عدن التي وعد الرحمان عباده بالغيب إنه كان وعده مأتياً. لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً. تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً. وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً﴾**. الظلم في قوله لا يظلمون شيئاً: هو بمعنى النقص والإجحاف والمطل. وشيء: اسم بمعنى موجود. بمعنى لا ينقصون شيئاً من موجودات الجنة. . . بل يوفونها كاملة دائمة جاهزة. . . وجنات عدن: جمع جنة. . . والعدن الإقامة الدائمة. . . وعد الرحمان عباده. . . فالله وعد المؤمنين الصالحين جنات عدن. والغيب: مصدر غاب. . . فكل ما غاب عن المشاهدة فهو غيب. . . والوعد المأتي: الذي يأتيه غيره، والجنة الموعودة يأتيها المؤمنون.

﴿لا يسمعون فيها لغواً. . .﴾ اللغو: فضول الكلام وما لا طائل تحته. وضده الكلام المفيد ومنه السلام. ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً: لهم رزقهم غير محصور ولا مقدر. تلك الجنة بما فيها حق موروث ثابت لكل من ثبتت له التقوى. تقول الملائكة لكل مؤمن في الجنة عندما تدخل عليه تكرّمه بالسلام عليه: وما نتنزل إلا بأمر ربك. . . وهو مثل قوله تعالى: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم﴾**.

ومعنى **﴿له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً﴾**: أن هذا التكريم لا نهاية له ولا حصر له. . . فهو نزل من غفور رحيم. . . فلا ينسى عباده ولا يغفل عنهم. **﴿رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته. . .﴾** فهذا بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى. . . فإن من بيده ملكوت السماوات والأرض وما بينهما كيف يتصور أن يحوم حول ساحة سبحاته الغفلة والنسيان؟!. . . والاصطبار: شدة الصبر على الأمر الشاق. **﴿هل تعلم له سمياً﴾**: السمي المماثل في الاسم والصفة. أي: سمى يماثله في ذاته وصفاته وأفعاله. **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**.

مبحث الإعراب

﴿واذكر﴾ فعل أمر. والواو للعطف. وهو عطف على قوله: واذكر في

الكتاب مريم المعطوف على قوله: ذكر رحمة ربك عبده زكرياء. في﴿**الكتاب**﴾ متعلق باذكر. ﴿**إبراهيم**﴾ مفعول به. ﴿**إنه**﴾ إن واسمها. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على إبراهيم. ﴿**صديقاً نبيئاً**﴾ خبران لكان. وجملة كان صديقاً نبيئاً في محل رفع خبر إن. وجملة إنه كان صديقاً نبيئاً واقعة موقع التعليل لا محل لها من الإعراب. ﴿**إذ**﴾ في محل نصب بدل من إبراهيم. ﴿**قال**﴾ فاعله ضمير يعود على إبراهيم. ﴿**لأبيه**﴾ متعلق بقال. ﴿**يأبت**﴾ منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المبدلة تاء مكسورة. لِمَ: دخلت لام الجر على ما الاستفهامية فحذف ألفها. وهي قاعدة مطردة عند دخول حروف الجر على أدوات الاستفهام. مثل: فيم.. وعلام.. ﴿**تعبد**﴾ فاعله ضمير المخاطب يعود على أبي إبراهيم.

﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به. لا﴿**يسمع**﴾ فعل مضارع منفى بلا. وفاعله ضمير يعود على ما. وجملة لا يسمع صلة ما. ولا﴿**يبصر ولا يغني**﴾ معطوفان على «لا يسمع». ﴿**عنك**﴾ متعلق بالفعل قبله.﴿**شيئاً**﴾ مفعول به. ﴿**يأبت**﴾... ﴿**إني**﴾ إن واسمها. ﴿**قد جاءني**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق ﴿**من العلم**﴾ متعلق بجاءني. ﴿**ما**﴾ في محل رفع فاعل جاء. ﴿**لم يأتك**﴾ مجزوم بلم. والفاعل ضمير يعود على ما. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة صلة ما. وجملة قد جاءني من العلم ما لم يأتك في محل رفع خبر إن. ﴿**فاتبعني**﴾ فعل أمر مفرع على ما قبله. ﴿**أهدك**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر. وعلامة جزمه حذف الياء. والفاعل ضمير المتكلم، يعود على إبراهيم والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**صراطاً**﴾ مفعول ثان.

﴿**سوياً**﴾ نعت له... ﴿**يا أبت**﴾ ﴿**لا تعبد**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**الشيطان**﴾ مفعول به. إن﴿**الشيطان**﴾ إن واسمها. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على الشيطان. ﴿**للرحمان**﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿**عصياً**﴾ خبر كان. وجملة كان واسمها وخبرها في محل رفع خبر إن. وجمله إن الشيطان... تعليل، ﴿**يا أبت**﴾... إني إن واسمها. ﴿**أخاف**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. والجملة خبر إنّ. ﴿**أن يَمَسّك**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**عذاب**﴾ فاعل... ﴿**من الرحمان**﴾ متعلق بمحذوف نعت لعذاب. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب

مفعول أخاف. أي: أخاف إمساس العذاب الكائن من الرحمان إياك... ﴿فتكون﴾ مرتب على أن يَمَسّك. واسم تكون ضمير المخاطب.

﴿للشيطان﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿ولياً﴾ خبر تكون. ﴿قال﴾ فاعله ضمير يعود على أبي إبراهيم. ﴿أراغب﴾ اسم فاعل دخل عليه حرف الاستفهام مبتدأ. ﴿أنت﴾ فاعل سد مسد الخبر. ﴿عن آلهتي﴾ متعلق براغب... ﴿يا إبراهيم﴾ منادى مبنى على الضم في محل نصب. ﴿لئن﴾ لام القسم وإن الشرطية. ﴿لم تنته﴾ فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الياء. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿لأرجمنك﴾ فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والفاعل ضمير المتكلم. والجملة جواب القسم سدت مسد جواب الشرط لوجود اللام فيها. ﴿واهجرني﴾ فعل أمر. والفاعل ضمير المخاطب. والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب مفعول. ﴿ملياً﴾ نعت للظرف الزمان المقدر. والتقدير: اهجرني زماناً طويلاً.

وجملة واهجرني معطوفة على قوله: لئن لم تنته لأ رجمنك... ﴿قال﴾ إبراهيم: ﴿سلام﴾ مبتدأ. ﴿عليك﴾ متعلق بمحذوف خبر. ﴿سأستغفر﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف التنفيس. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿لك﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿وربي﴾ منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم معمول لأستغفر. وياء المتكلم في محل جر بالإضافة. وحركت بالفتحة للتخفيف. ﴿إنه﴾ إن واسمها. ﴿كان﴾ اسمها ضمير يعود على ربي. ﴿بي﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿حفياً﴾ خبر كان. وجملة كان بي حفياً خبر إن. وجملة أنه كان بي حفياً تعليل. ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير المتكلم. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة عطف على سأستغفر... ﴿وما﴾ عطف على الضمير المنصوب.

﴿تدعون﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿من دون متعلق بتدعون ﴿الله﴾ مضاف إلى دون. وأدعو فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿ربي﴾ معمول أدعو منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... والجملة عطف على قوله: وأعتزلكم... ﴿عسى﴾ فعل ماض ناقص. واسمها ضمير. ﴿أن لا أكون﴾ فعل مضارع ناقص دخل عليه حرف النفي وأن المصدرية الناصبة. واسمه ضمير المتكلم. ﴿بدعاء﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿ربي﴾ مضاف إلى دعاء. شقياً خبر

أكون. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب خبر عسى. وجملة عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا في محل نصب حال من فاعل أدعو.

﴿**فلما**﴾ الفاء للتعقيب. ولما حرف وجود؛ لاقتضاء وجود جوابه عند وجود شرطه. ﴿**اعتزلهم** ﴾ فعل ماض فعل الشرط. ﴿**وما يعبدون من دون**﴾ الله تقدم إعراب مثلها في قوله: وما يدعون من دون الله... ﴿**وهبنا**﴾ فعل وفاعل. جواب الشرط. ﴿**له**﴾ متعلق بوهبنا. ﴿**إسحاق**﴾ مفعول به. ﴿**ويعقوب**﴾ معطوف عليه. ﴿**وكلا**﴾ مفعول أوّل مقدم. ﴿**جعلنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**نبيئاً**﴾ مفعول ثان بجعلنا. ﴿**ووهبنا**﴾ معطوف على وهبنا. ﴿**لهم من رحمتنا**﴾ متعلقان بوهبنا. ويحتمل أن تكون مَنْ تبعيضية في محل نصب مفعول به. ﴿**وجعلنا**﴾ معطوف على وهبنا. ﴿**لهم**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**لسان**﴾ مفعول به، ﴿**صدق**﴾ مضاف إليه. ﴿**علياً**﴾ نعت للسان.

﴿**واذكر في الكتاب**﴾ موسى إعرابها مثل إعراب واذكر في الكتاب إبراهيم. ﴿**إنه كان مخلصاً**﴾ مثل إنه كان صديقاً. ﴿**وكان رسولاً نبيئاً**﴾ معطوف على كان مخلصاً. ﴿**وناديناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. معطوف على ما قبله. ﴿**من جانب**﴾ متعلق بناديناه. ﴿**الطور**﴾ مضاف إلى جانب. ﴿**الأيمن**﴾ نعت لجانب. ﴿**وقربناه**﴾ معطوف على ناديناه. ﴿**نجياً**﴾ حال من الضمير المنصوب. ووهبنا ﴿**له من** رحمتنا﴾: مثل ما سبق في إعراب مثلها. ﴿**أخاه**﴾ مفعول به. ﴿**هارون**﴾ عطف بيان له ﴿**نبيئاً**﴾ حال من هارون. ﴿**واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق**﴾ مثل ما سبق في نظيره. ﴿**الوعد**﴾ مضاف إلى صادق. ﴿**وكان رسولاً نبيئاً**﴾ مثل ما سبق في نظيره. ﴿**وكان**﴾ اسمها ضمير يعود على إسماعيل. ﴿**يأمر**﴾ فعل مضارع. وفاعله ضمير يعود على إسماعيل.

﴿**أهله**﴾ مفعول به. ﴿**بالصلاة**﴾ متعلق بيأمر. ﴿**والزكاة**﴾ معطوف على الصلاة. وجملة يأمر خبر كان، ﴿**وكان**﴾ مثل سابقتها. ﴿**عند**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**ربه**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**مرضياً**﴾ خبر كان. ﴿**واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبيئاً**﴾ مثل ما سبق... ﴿**ورفعناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**مكاناً**﴾ مفعول فيه. ﴿**علياً**﴾ نعت له. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع خبر. ﴿**أنعم الله**﴾ فعل وفاعل صلة الذين... ﴿**عليهم**﴾ متعلق بأنعم. ﴿**من**

﴿**النبيئين**﴾ بيان للمنعم عليهم. ﴿**من ذرية**﴾ بدل من النبيئين. ﴿**آدم**﴾ مضاف إلى ذرية. مجرور بالفتحة لمنعه من الصرف.

﴿**ومن** ﴾ معطوف على ما قبله.﴿**حملنا**﴾ فعل وفاعل صلة مَنْ. ﴿**مع**﴾ متعلق بحملنا. ﴿**نوح مضاف إلى مع.** ﴿**ومن ذرية**﴾ ﴾ معطوف على ما عُطِفَ عليه سابقه. ﴿**إبراهيم**﴾ مضاف إلى ذرية. مجرور بالفتحة مثل آدم.﴿**وإسراءيل**﴾ معطوف على إبراهيم. ﴿**وممن**﴾ معطوف مثل ما سبقه. ﴿**هدينا**﴾ فعل وفاعل صلة من. ﴿**واجتبينا**﴾ معطوف على هدينا. ﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. تتلى فعل مضارع مبنى للمجهول. فعل الشرط. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بتتلى. ﴿**آيات**﴾ نائب الفاعل. ﴿**الرحمان**﴾ مضاف إلى آيات. ﴿**خروا**﴾ فعل وفاعل. جواب الشرط. ﴿**سجداً**﴾ حال من ضمير الفاعل في خرّوا.

﴿**وبكياً**﴾ معطوف على «سجداً» وجملة إذا تتلى عليهم آيات الرحمان. . . بيانية. ﴿**فخلف**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التعقيب. ﴿**من بعدهم**﴾ متعلق بخلف. ﴿**خلف**﴾ فاعل. ﴿**أضاعوا الصلاة**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة نعت لخلف. ﴿**واتبعوا الشهوات**﴾ عطف على أضاعوا الصلاة. ﴿**فسوف يلقون غياً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف التسويف وفاء التعقيب. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء. ﴿**من**﴾ في محل رفع مبتدأ. وإلا بمعنى لكن. ﴿**تاب**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على من. والجملة صلة مَنْ. ﴿**وآمن وعمل**﴾ معطوفان على تاب. ﴿**صالحاً**﴾ مفعول بعمل. ﴿**فأولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ والفاء للربط. ﴿**يدخلون الجنة**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر أولئك. وجملة فأولئك يدخلون الجنة خبر المبتدأ.

﴿**ولايظلمون**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. وواو الجماعة نائب الفاعل. ﴿**شيئاً**﴾ مفعول ثان بيظلمون. والجملة معطوفة على يدخلون. ﴿**جنات**﴾ بدل من الجنة. ﴿**عدن**﴾ مضاف إلى جنات. التي في محل نصب نعت لجنات باعتبار جنة واحدة. ﴿**وعد الرحمان عباده**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة التي. ﴿**بالغيب**﴾ متعلق بمحذوف حال من المضمر العائد إلى الجنات. ﴿**إنه**﴾ إن واسمها. ﴿**كان وعده مأتياً**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها في محل رفع خبر إنّ. وجملة إنه كان وعده مأتياً تعليل. ﴿**لايسمعون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف

النفي. فيها متعلق بالفعل قبله. ﴿**لغواً**﴾ مفعول به. إلا ﴿**سلاماً**﴾ مفعول بفعل مقدر واقع بعد إلاّ، والتقدير: لكن يسمعون سلاماً. وجملة لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً حال من عباده، ﴿**ولهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم.

﴿**رزقهم**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**فيها**﴾ متعلق بالخبر المتقدم. ﴿**بكرة**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بالخبر. ﴿**وعشياً**﴾ معطوف على بكرة. والجملة معطوفة على قوله: لا يسمعون فيها لغواً... ﴿**تلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الجنة**﴾ خبره. ﴿**التي**﴾ في محل رفع نعت لجنة. ﴿**نورث**﴾ فعل مضارع والفاعل نحن. ﴿**من عبادنا**﴾ متعلق بنورث. ﴿**مَنْ**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**كان**﴾ اسمها ضمير يعود على مَنْ. ﴿**تقياً**﴾ خبر كان. وجملة كان تقياً صلة مَنْ. وجملة نورث... صلة التي. وجملة تلك الجنة مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ﴿**وما نتنزل**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي وواو العطف. والفاعل نحن. ﴿**إلا بأمر**﴾ متعلق بمقدر بعد إلا مستثنى مما قبله؛ والتقدير: وما نتنزل بأمر أحد لكن نتنزل بأمر ربك، ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى أمر. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**ما**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**بين**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما.

﴿**أيدينا**﴾ مضاف إلى بين. ﴿**وما خلفنا**﴾ معطوف على ما بين أيدينا. ﴿**وما بين ذلك**﴾ معطوف على ما عطف عليه سابقه. ﴿**وما كان ربك نسياً**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها معطوفة على ما قبلها... ﴿**رب**﴾ خبر لمبتدأ محذوف. هو ربُّ. ﴿**السماوات**﴾ مضاف إلى رب. والأرض معطوف على السماوات. ﴿**وما**﴾ في محل جر معطوف على السماوات. ﴿**بينهما**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**فاعبده**﴾ فعل أمر دخل عليه فاء التفريع. ﴿**واصطبر**﴾ معطوف على فاعبده... ﴿**لعبادته**﴾ متعلق باصطبر. ﴿**هل**﴾ حرف استفهام. ﴿**تعلم** ﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**له**﴾ متعلق بتعلم. ﴿**سمياً**﴾ مفعول بتعلم.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**واذكر في الكتاب إبراهيم...**﴾ الكلام متصل بالعطف عل قوله: ﴿**ذكر رحمة ربك عبده زكرياء...**﴾ وقوله: ﴿**واذكر في الكتاب مريم...**﴾ ومناسبة الكلام لما قبله: اشتمالها على تجهيل أهل الكتاب من ذكرهم في كتبهم قصص

الأنبياء مزيفة مغلوطة... ومن نسبة النصارى الألوهية إلى عيسى... ونسبة العرب الألوهية إلى الأصنام وهو مثل نسبة قوم إبراهيم الألوهية لأصنامهم... فكان الإتيان بقصة إبراهيم بعدما ذكر من قصة زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام... فهو أصل جميع من ذُكِرُوا قَبْلُ. وأول من بنى لله بيتاً لعبادة الله وحده. ولما كان إبراهيم قد جاء بالخيفية وخالفها العرب بالإشراك وهم ورثة إبراهيم كان لتقديم ذكره على البقية الموقع الجليل من البلاغة.

وفي ذلك تسلية للنبيء - ﷺ - على ما لقي من مشركي قومه لمشابهة حالهم بحال قوم إبراهيم. وقد جرى سرد خبر إبراهيم على أسلوب سرد قصة مريم... وجملة ﴿**إنه كان صديقاً نبيئاً**﴾ استئناف مسوق لتعليل موجب الأمر. وُصف إبراهيم بالصديق لفرط صدقه في امتثال ما يكلفه الله به... وتأكيد هذا الخبر بحرف التوكيد وبإقحام فعل الكون للاهتمام بتحقيقه زيادة في الثناء عليه: ﴿**إذ قال لأبيه يا أبت: لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً**﴾. وافتتح إبراهيم خطابه أباه بندائه مع أن الحضور مغن عن النداء قصد الإحضار سمعه وذهنه لتلقى ما سيلقيه إليه. وتوجه إلى أبيه بخطابه بوصف الأبوة إيماء إلى أنه مخلص له النصيحة.

وألقى إليه حجة فساد عبادته في صورة الاستفهام عن سبب عبادته وعمله المخطىء. وابتدأ بالحجة الراجعة إلى الحس؛ إذ قال له: ﴿**لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر...**﴾ فذلك حجة محسوسة.... ثم اتبعها بقوله: ﴿**ولا يغنى عنك شيئاً...**﴾ ثم انتقل إلى دفع ما يخالج عقل أبيه من النفور عن تلقى الإرشاد من ابنه بقوله: ﴿**يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً...**﴾ فإعادة ندائه بوصف الأبوة تأكيد لإحضار الذهن ولإمحاص النصيحة المستفاد من النداء الأول. وتفريع أمره بأن يتبعه على الإخبار بما عنده من العلم دليل على أن أحقيّة العالم بأن يتبع مركوزة في غريزة العقول لم يزل البشر يتقصون مظان المعرفة والعلم لجلب ما ينفع واتقاء ما يضر.

وفي قوله: ﴿**أهدك صراطاً سوياً**﴾ استعارة مكنية، شُبّه إبراهيم بهادي الطريق البصير بالثنايا، وإثبات الصراط السوي قرينة التشبيه... ثم ثبّطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان أنه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب

لضرر عظيم... فإنه في الحقيقة عبادة للشيطان لما أنه الآمر به... فقال: ﴿**يا أبت لا تعبد الشيطان...**﴾ فإن عبادتك للأصنام عبادة له؛ إذ هو الذي يسولها لك ويغريك عليها. وقوله ﴿**إن الشيطان كان للرحمان عصياً**﴾ تعليل لموجب النهي وتأكيد له، ببيان أنه شديد العصيان للرب الواسع الرحمة. وذكر وصف «عصياً» الذي هو من صيغ المبالغة في العصيان مع زيادة فعل كان للدلالة على أنه لا يفارق عصيان ربه، وأنه متمكن منه... فلا جرم أنه لا يأمر إلا بما ينافي الرحمة... فلذلك اختير وصف الرحمان من بين صفات الله تعالى، تنبيهاً على أن عبادة الأصنام توجب غضب الله... فتفضى إلى الحرمان من رحمته....فمن كان هذا حاله جدير بأن لا يُتبع.

وإظهار اسم الشيطان في مقام الإضمار إذ لم يقل إنه كان للرحمان عصياً، لإيضاح إسناد الخبر إلى المسند إليه، ولزيادة التنفير من الشيطان؛ لأن في ذكر صريح اسمه تنبيهاً إلى النفرة منه، ولتكون الجملة موعظة قائمة بنفسها. ﴿**يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمان فتكون للشيطان ولياً**﴾: لا جرم أنه لما قرر له أن عبادته الأصنام اتباع لأمر الشيطان عصي الرحمان انتقل إلى توقع حرمانه من رحمة الله بأن يحل به عذاب من الله... فحذره من عاقبة أن يصير من أولياء الشيطان الذين لا يختلف البشر في مذمتهم وسوء عاقبتهم. وكنّى بالولاية هنا عن المقارنة في المصير. ﴿**قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم**﴾: فصلت جملة ﴿**قال...**﴾. لوقوعها في المحاورة... والاستفهام للإنكار. إنكاراً لتجافي إبراهيم عن عبادة أصنامهم. وإضافة الآلهة إلى ضمير نفسه إضافة ولاية وانتساب إلى المضاف، لقصد تشريف المضاف إليه.

وقد جاء في جوابه دعوة ابنه بمنتهى الجفاء والغنجهية بعكس ما في كلام إبراهيم من اللين والرقة... فدل ذلك على أنه كان قاسي القلب، بعيد الفهم، شديد التصلب في الكفر. وجملة ﴿**أراغب أنت...**﴾ جملة اسمية مركبة من مبتدأ وفاعل يسد مسد الخبر، على اصطلاح النحاة طرد القواعد التركيب اللفظي. ولكنهم لما اعتبروا الاسم الواقع ثانياً بعد الوصف فاعلاً ساداً مساد الخبر، فقد أثبتوا لذلك الاسم حكم المسند إليه، وصار للوصف المبتدأ حكم المسند، فمن أجل ذلك كان المصير إلى مثل هذا النظم في نظر البلغاء هو مقتضى كون المقام

يتطلب جملة اسمية للدلالة على ثبات المسند إليه. ويتطلب الاهتمام بالوصف دون الاسم لغرض يوجب الاهتمام به. . . فيلتجىء البليغ إلى الإتيان بالوصف أولاً وبالإتيان بالاسم ثانياً.

ولما كان الوصف له عمل فعله تعين على النحاة اعتبار الوصف مبتدأ؛ لأن للمبتدإ عراقة في الأسماء واعتباره مع ذلك متطلباً فاعلاً، وجعلوا فاعله ساداً مسد الخبر. فصار للتركيب شبهان، والتحقيق أنه في قوة خبر مقدم ومبتدإ مؤخر. . . فدل النظم في هذه الآية على أن أبا إبراهيم ينكر على إبراهيم تمكن الرغبة عن آلهتهم من نفسه، ويهتم بأمر الرغبة عن الآلهة، لأنها موضع العجب. والنداء في قوله: يا إبراهيم تكملة لجملة الإنكار والتعجب؛ لأن المتعجب من فعله مع حضوره يقصد بندائه تنبيهه على سوء فعله؛ كأنه في غيبة عن إدراك فعله. فالمتكلم ينزله منزلة الغائب فيناد به لإرجاع رشده إليه، وجملة ﴿**لئن لم تنته لأرجمنك**﴾ مستأنفة. واللام موطئة للقسم تأكيداً لكونه راجمه إن لم ينته عن كفره بآلهتهم. والرجم كناية مشهورة في معنى القتل بذلك الرمي. وإسناد أبي إبراهيم ذلك إلى نفسه بمجاز عقلي؛ لأنه هو الآمر به. وجملة ﴿**واهجرني ملياً**﴾ موصول على ما قبله بالعطف وذلك أنه هدده بعقوبة آجلة إن لم يقلع عن كفره بآلهتهم، وبعقوبة عاجلة. وهي طرده من معاشرته وقطع مكالمته. ﴿**قال سلام عليك**﴾: بادر إبراهيم أباه بالسلام قبل الكلام، إشارة إلى أنه لا يسوءه ذلك الهجر في ذات الله تعالى ومرضاته.

ومن حلم إبراهيم ـ عليه السلام ـ أن كان متاركته أباه مشوبة بالإحسان في معاملته في آخر لحظة. وأظهر حرصه على هداه فقال: ﴿**سأستغفر لك ربي. . .**﴾ بأن يهديه الله إلى التوحيد فيغفر له الشرك الماضي؛ إذ لم يكن إبراهيم تلقى نهياً من الله عن الاستغفار للمشرك. . فجملة ﴿**سأستغفر لك ربي**﴾ مستأنفة. وعلامة الاستقبال والفعل المضارع مؤذنان بأنه يكرر الاستغفار في المستقبل. وجملة ﴿**إنه كان بي حفياً**﴾ تعليل لما يتضمنه الوعد بالاستغفار من رجاء المغفرة استجابة لدعوة إبراهيم بأن يوفق أبا إبراهيم للتوحيد ونبذ الإشراك، ﴿**وأعتزلكم وما تدعون من دون الله**﴾: الجملة موصولة بالعطف على ما قبلها. فأظهر إبراهيم العزم على اعتزالهم، وأنه لا يتوانى في ذلك ولا يتأسف له؛ إذ كان في ذات الله تعالى. . .

﴿**وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين. . .**﴾ وضمير جماعة المخاطبين عائد إلى أبي إبراهيم وقومه تنزيلاً لهم منزلة الحضور في ذلك المجلس. وعطف على ضمير القوم أصنامهم للإشارة إلى عداوته لتلك الأصنام إعلاناً بتغيير المنكر.

وعبر عن الأصنام بطريق الموصولية بقوله: ﴿**ما تعبدون من دون الله**﴾ للإيماء إلى وجه بناء الخبر وعلة اعتزاله إياهم وأصنامهم. والدعاء العبادة؛ لأنها تستلزم دعاء المعبود. وزاد على الإعلان باعتزال الأصنام الإعلان بأنه يدعو الله: ﴿**وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً**﴾. وعبر عن الله بوصف الربوبية المضاف إلى ضمير نفسه للإشارة إلى انفراده من بينهم بعبادة الله تعالى. . . فالإضافة هنا تفيد معنى القصر الإضافي. مع ما تتضمنه الإضافة من الاعتزاز بربوبية الله إياه، والتشريف لنفسه بذلك، وفي ﴿**عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً**﴾ تعريض بشقاء المشركين في عبادة آلهتهم.

وفي تصدير الكلام بعسى من إظهار التواضع ومراعاة حسن الأدب والتنبيه على حقيقة الحق من أن الإجابة والإثابة بطريق التفضل منه عزَّ وجلَّ لا بطريق الوجوب. وأن العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى. ﴿**فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون اللَّه وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبيئاً**﴾: الكلام مرتب ومفرع على ما قبله. وطوى ذكر اعتزاله إياهم بعد أن ذكر عزمه عليه إيجازاً في الكلام للعلم بأن مثله لا يعزم أمراً إلا نفذ عزمه، واكتفاء بذكر ما ترتب عليه من جعل عزمه حدثاً واقعاً قد حصل جزاؤه عليه من ربه. . فإنه لما اعتزل أباه وقومه واستوحش بذلك الفراق وهبه الله ذرية يأنس لهم؛ إذ وهبه إسحاق ابنه، ويعقوب ابن ابنه، وجعلهما نبيئين، وحسبك بهذه مكرمة له عند ربه.

﴿**ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً**﴾: كما وهب الله لإبراهيم إسحاق ويعقوب وهب الله لهما الذكر الجميل والثناء الجليل. فاللسان هنا مجاز في الذكر والثناء. فلسان الصدق ثناء الخير والتبجيل. ووصف بالعلوّ مجازاً للشرف ذلك الثناء الجميل. وقد رتب جزاء الله إبراهيم على نبذه أهل الشرك ترتيباً بديعاً: إذ جُوزِيَ بنعمة الدنيا، وهي العقب الشريف، ونعمة الآخرة، وهي الرحمة. ﴿**واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبيئاً**﴾: أفضت

مناسبة ذكر إبراهيم ويعقوب إلى أن يذكر موسى في هذا الموضع؛ لأنه أشرف نبئ من ذرية إسحاق ويعقوب. والقول في جملة ﴿**واذكر. .**﴾ وجملة ﴿**إنه كان. .**﴾ كالقول في نظيريهما في ذكر إبراهيم. . وخص موسى بعنوان المخلص؛ لأن ذلك مزيته. . فإنه أخلص في الدعوة إلى الله. . فاستخفّ بأعظم جبّار! وهو فرعون. . والجمع بين قوله: ﴿**وكان رسولاً نبيئاً**﴾ لتأكيد الوصف؛ لأن كل رسول نبي، كما هو معروف. . وجملة وناديناه من جانب الطور الأيمن متصل بالعطف على ما قبله. . وأطلق النداء على طلب الاقبال مجازاً مرسلاً. وهذا النداء هو الكلام الموجه إليه من جانب الله تعالى: ﴿**إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي**﴾.

وجملة ﴿**وقربناه نجياً**﴾ موصولة بالعطف على ما قبلها وأريد بالتقريب هنا التقريب المجازي. وهو الوحي. و﴿**نجيا**﴾ حال مؤكدة لمعنى التقريب. وهي مجاز أيضاً. شبه الكلام الذي لم يُكلّم بمثله أحداً، ولا أطْلَع عليه أحداً بالمناجاة. وهي المحادثة السرية. ﴿**ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيئاً**﴾: وصل الكلام بالعطف على ما قبله زيادة في التنويه بموسى عليه السلام. ومعنى هبة أخيه له: أن الله عززه به وجعله عوناً له في دعوته. . ﴿**واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيئاً**﴾: الكلام موصولٌ بالعطف على الكلام على إبراهيم وعلى موسى. . فخص إسماعيل بالذكر هنا تنبيهاً على جدارته بالاستقلال؛ إذ لم يعش مع أبيه وإنما عاش في البلد الحرام. . فصار بذلك جدَّ أمَّةٍ مستقلة. . وهو الابن البكر لإبراهيم وشريكه في بناء الكعبة.

وخص إسماعيل بوصف صدق الوعد لأنه اشتهر به وتركه خُلقُاً في ذريته. وجعله الله نبيئاً ورسولاً إلى قومه، مثل موسى. . وخص بالحرص على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة اتباعاً للملة الحنيفية، ملة أبيه إبراهيم: ﴿**رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي. .**﴾ فلهذا ﴿**كان عند ربه مرضياً. واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبيئاً. ورفعناه مكاناً علياً**﴾: الكلام في هذه الآية مثل الكلام في نظيراتها من الآية السابقة. . وإدريس نبئ ورسول في الخمسة والعشرين المذكورين في القرآن. ولم يذكر نسبه ولا قومه. . وإنما أشاد به ووصفه بالصديقية والرفعة والرتبة العلية. . وما ذكره المفسرون عنه منقول من أخبار الشعوب وخرافاتهم كما نقله اليهود عنهم في توراتهم. . ﴿**أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيئين**﴾:

فصل الكلام عما قبله فلم يعطف عليه. فالكلام مستأنف استئنافاً ابتدائياً فصد به التقرير لما تقدم من الكلام على الرسل الكرام.. فاسم الإشارة عائد إلى المذكورين من قوله: ﴿**ذكر رحمة ربك عبده زكرياء**﴾ إلى هنا. والاتيان به دون الضمير للتنبيه على أن المشار إليهم جديرون بما يذكر بعد اسم الإشارة لأجل ما ذكر مع المشار إليهم من الأوصاف.

والمذكور بعد اسم الإشارة هو مضمون قوله: ﴿**أنعم الله عليهم**﴾. وقوله ﴿**من النبيئين**﴾ بيان وتوضيح على المنعم عليهم.. وقوله ﴿**من ذرية آدم**﴾ بيان للأنبئاء السابقين من قبل عهد نوح.. وقوله: ﴿**وممن حملنا مع نوح**﴾ بيان للأنبياء الذين جاءوا بعد نوح.. وقوله ﴿**ومن ذريته إبراهيم وإسراءيل**﴾ بيان بخصوص إبراهيم وذريته: إسماعيل، وإسراءيل ومن جاءوا بعده من الأنبئاء من ذريته وهم أنبئاء بني إسراءيل. وقوله: ﴿**وممن هدينا واجتبينا**﴾ بيان للعموم بعد الخصوص. وهم الذين اتبعوا أولئك الأنبئاء من الصديقين والشهداء والصالحين إلى يوم الدين.

وجملة ﴿**إذا تتلى عليهم آيات الرحمان خروا سجداً وبكياً**﴾، مستأنفة دالة على شكرهم نِعَمَ الله عليهم. وتقريبه إياهم بالخضوع له بالسجود عند تلاوة آياته وبالبكاء الناشئ عن انفعال: انفعالاً مختلطاً من التعظيم والخوف.. ﴿**فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً**﴾: ترتيب وتفريع وتعقيب على أولئك الذين أنعم الله عليهم، بطوائف من ذرياتهم لم يَقْتَدُوا بصالحي أسلافهم. وهم المعنيون بالخلف. والخلْف بسكون اللام عقب السوء. والخلَف بفتح اللام عقب الخير. والخلف هنا يشمل جميع الأمم التي ضلتّ من عهد قوم نوح إلى يوم القيامة.. وإضاعة الصلاة سببها اتباع الشهوات.. والإضاعة بمجاز في التفريط بتشبيهه بإهمال العرض النفيس.

وإضاعة الصلاة واتباع الشهوات وَصْفَانِ جامعان لأصناف الكفر والفسوق. ويترتب على هذين الوصفين ما يلقونه من الجزاء في المستقبل: فسوف يلقون غياً.. ﴿**إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً**﴾: لكن من رجع عن غيه وكفره وفسوقه فسوف يلقى جزاءه ناجزاً نافذاً. وهو دخولهم الجنة ويوفون أجورهم فيها بغير حساب.. ثم أبدل من الجنة جنات متعددة دائمة البقاء موعودة لهم عند ربهم غائبة عنهم الآن: ﴿**جنات عدن التي**

وعد الرحمان عباده بالغيب. .﴾ فجملة **﴿إنه كان وعده مأتياً﴾** تعليل لجملة التي وعد الرحمان عباده بالغيب. والمعنى: يدخلون الجنة وعداً من الله واقعاً.

وهذا تحقيق للبشارة. والمأتى الذي يأتيه غيره. وقد استعير الإتيان لحصول المطلوب المترقب، تشبيهاً لمن يحصل الشيء بعد أن سعى لتحصيله بمن مشى إلى مكان حتى أتاه، وتشبيهاً للشيء المحصل بالمكان المقصود. ففي قوله **﴿مأتياً﴾** تمثيلية اقتصر من أجزائها على إحدى الهيئتين، وهي تستلزم الهيئة الأخرى؛ لأن المأتى لا بد له من آتٍ. وجملة **﴿لا يسمعون فيها لغواً﴾**، حال من عباده. وانتفاء اللغو هنا كناية عن انتفاء أقل المكدرات والمنغصات في الجنة. . وكناية عن جعل مجازاة المؤمنين في الجنة بضد ما كانوا يلاقونه في الدنيا من أذى المشركين ولغوهم. وقوله: **﴿إلا سلاماً﴾**، استثناء منقطع. وهو مجاز من تأكيد الشيء بما يشبه ضده. . وجيء في قوله: **﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً﴾** بالجملة الإسمية للدلالة على ثبات ذلك ودوامه. . فيفيد التكرر المستمر. . وهو أخص من التكرر المفاد بالفعل المضارع وأكثر.

وتقديم الظرف للاهتمام بشأنهم وإضافة رزق إلى ضميرهم لزيادة الاختصاص. والجمع بين البكرة والعشي كناية عن استغراق الزمن. والمعنى: لهم رزقهم في الجنة غير محصور ولا مقدّر. . بل كلما شاءوا. . فلذلك لم يذكر الليل. وجملة **﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾**: مستأنفة ابتدائية. واسم الإشارة لزيادة التمييز تنويهاً بشأنها. وأجريت عليها الصفة بالموصول وصلته تنويهاً بالمتقين وأنهم أهل الجنة. . واستعير الميراث في قوله: **﴿نورث. .﴾** للعطية المدخرة لمعطاها تشبيهاً بمال الموروث الذي يصير إلى وارثه آخر الأمر. **﴿وما نتنزّل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً﴾**: وصل هذا الكلام بالعطف على ما قبله زيادة في تكريم المتقين في الجنة بخطاب الملائكة لكل فرد من أفراد أهل الجنة قائلين له هذا الكلام. . وهو ما يوضحه قول الله تعالى في سورة فصلت: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم﴾**.

وجملة ﴿**وما كان ربك نسياً**﴾: تذييل لما قبله.. فهو كلام موجه لكل مخاطب، ويدخل فيه الرسول ـ ﷺ ـ دخولاً أولياً. والمعنى لا ينسى ربك أحداً ممن يستحق الثواب وممن يستحق العقاب..فهو رب السماوات والأرض وما بينهما.. ثم أمر المخاطب بعبادة الله وحده حتى يكون من عباد الله المكرمين، لا من الخَلْفِ المطرودين.. ﴿**واصطبر لعبادته**﴾: المقصود بالاصطبار هنا الثبات الذي يكون سببه استقرار العقيدة ودوام العبادة.. وجملة ﴿**هل تعلم له سميا**﴾ تذييل مقرر لما تضمنه الأمر بالعبادة والدوام عليها.. والاستفهام هنا بمعنى النّفي.. فالله رب السماوات والأرض وما بينهما ورب الدنيا والآخرة.. لا شبيه له ولا مثيل ولا سمي له بوجه من وجوه التأويل.. فلهذا كني بانتفاء العلم بِسَمِيّه عن انتفاء وجود سمي له؛ لأن العلم يستلزم وجود المعلوم، وإذا انتفى مماثله انتفى من يستحق العبادة غيره.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيئاً**﴾: في هذا التوجيه ذكر إبراهيم مع أبيه.. وتبدو في هذه الحلقة شخصية إبراهيم الرضي الحليم..ويصف الله إبراهيم بأنه كان صديقاً نبيئاً.. فلفظة صديق تحتمل معنى أنه كثير الصدق، وأنه كثير التصديق. وكلتاهما تناسب شخصية إبراهيم: ﴿**إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا..**﴾ بهذا اللطف في الخطاب يتوجه إبراهيم إلى أبيه. يحاول أن يهديه إلى الخير الذي هداه الله إليه وعلمه إياه. وهو يتحبب إليه.. فيخاطبه: ﴿**يا أبت..**﴾ فيسأله: ﴿**لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا..**﴾ والأصل في العبادة أن يتوجه بها الإنسان إلى من هو أعلى من الإنسان وأعلم وأقوى. وأن يرفعها إلى مقام أسمى من مقام الإنسان وأسنى.. فكيف يتوجه بها إذن إلى ما هو دون الإنسان.. بل إلى ما هو في مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان! لا يسمع ولا يبصر ولا يملك ضُرًّ لمن كفر به.. ولا يملك نفعا لمن عبده وآمن به.. فقد كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام، كما هو حال قريش الذين واجههم الإسلام.

هذه هي اللمسة الأولى التي يبدأ بها إبراهيم دعوته لأبيه.. ثم يتبعها بأنه لا يقول هذا من نفسه.. إنما هو العلم الذي جاءه من الله فهداه. ولو أنه أصغر من

أبيه سناً وأقل تجربة. . ولكن المدد العلوي جعله يفقه ويعرف الحق. . فهو ينصح أباه الذي لم يتلق هذا العلم؛ ليتبعه في الطريق الذي هدى إليه: ﴿**يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سويا**. .﴾ فليس هناك غضاضة في أن يتبع الوالد ولده، إذا كان الولد على اتصال بمصدر أعلى. . فإنما يتبع ذلك المصدر ويسير في الطريق إلى الهدى. وبعد هذا الكشف عما في عبادة الأصنام من نكارة. . وبيان المصدر الذي يستمد منه إبراهيم ويعتمد عليه في دعوة أبيه. . يبين له أن طريقه هو طريق الشيطان، وهو يريد أن يهديه إلى طريق الرحمان. . فهو يخشى أن يغضب الله عليه فيقضي عليه أن يكون من أتباع الشيطان: يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمان عصيا.

﴿**يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمان فتكون للشيطان وليا**. .﴾ فالشيطان هو الذي يغري بعبادة الأصنام من دون الله. . فالذي يعبدها كأنما يتعبّد الشيطان. . والشيطان عاص للرحمان. . وإبراهيم يحذر أباه أن يغضب الله عليه فيعاقبه فيجعله ولياً للشيطان وتابعاً. . فهداية الله لعبده إلى الطاعة نعمة. . وقضاؤه عليه أن يكون من أولياء الشيطان نقمة. . نقمة تقوده إلى عذاب أشد وخسارة أفدح يوم يقوم الحساب. . ولكن هذه الدعوة اللطيفة بأحب الألفاظ وأرقها لا تصل إلى القلب المشرك القاسي. . فإذا أبو إبراهيم يقابله بالاستنكار والتهديد والوعيد: ﴿**قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم؟ لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا**﴾! . . أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم؟! وكاره لعبادتها ومعرض عنها؟! أو بلغ بك الأمر إلى هذا الحد من الجراءة؟! فهذا إنذار لك بالموت الفظيع إن أنت أصررت على هذا الموقف الشنيع: ﴿**لئن لم تنته لأرجمنك**﴾! . . فاغرب عن وجهي وابعد عني طويلا؛ استبقاء لحياتك إن كنت تريد النجاة: ﴿**واهجرني مليا**. .﴾ بهذه الجهالة تلقى الرجل الدعوة إلى الهدى.

وبهذه القسوة قابل القول المؤدب المهذب. وذلك شأن الإيمان مع الكفر. . وشأن القلب الذي هذبه الإيمان والقلب الذي أفسده الطغيان. . فلم يغضب إبراهيم الحليم، ولم يفقد بره وعطفه وأدبه مع أبيه: قال: ﴿**سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً**. .﴾ سلام عليك. . فلا جدال ولا أذى ولا رد للتهديد والوعيد. . سأدعو الله أن يغفر لك فلا يعاقبك بالاستمرار في الضلال وتولى

الشيطان.. بل يرحمك فيرزقك الهدى.. وقد عودني ربي أن يكرمني فيُجيب دعائي. وإذا كان وجودي إلى جوارك ودعوتي لك إلى الإيمان تؤذيك فسأعتزلك أنت وقومك وأعتزل الأصنام التي تعبدونها.. وأدعو ربي وحده راجياً ـ بسبب دعائي لله ـ ألا يجعلني شقياً: ﴿**وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً..**﴾ فالذي يرجوه إبراهيم هو مجرد تجنيبه الشقاوة.. وذلك من الأدب والتحرج الذي يستشعره.. فهو لا يرى لنفسه فضلاً، ولا يتطلع إلى أكثر من تجنيبه الشقاوة! وهكذا اعتزل إبراهيم أباه وقومه وعبادتهم وآلهتهم، وهجر أهله ودياره.. ﴿**وقال إني مهاجر إلى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين..**﴾ فلم يتركه الله وحيداً.. بل وهب الله له ذرية وعوضه خيراً: ﴿**فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبيئاً..**﴾ فإنه لما اعتزل أباه وقومه واستوحش بذلك الفراق.. ولم يخرج معه من قومه إلا لوط عليهما السلام.. فوهبه الله ذرية يأنس لهم.. فوهبه الله إسحاق ابنه، ويعقوب ابن ابنه.

وليس مجازاة الله إبراهيم مقصورةً على أن وهبه إسحاق ويعقوب.. إذ ليس في الكلام ما يقتضي الانحصار.. فإنه قد وهبه إسماعيل أيضاً. وظهرت موهبته إياه قبل ظهور موهبة إسحاق، وكل ذلك بعد أن اعتزل قومه. وإنما اقتصر على ذكر إسحاق ويعقوب دون ذكر إسماعيل فلم يقل: وهبنا له إسماعيل وإسحاق ويعقوب، لأن إبراهيم لما اعتزل قومه خرج بزوجه.. فهي قد اعتزلت قومها أيضاً إرضاء لربها ولزوجها وقد عاشت معه السنين الطويلة بدون ولد.. فذكر الله الموهبة الشاملة لإبراهيم ولزوجه. وهي أن وهب لهما إسحاق ويعقوب بعده.. وقد ذكر ما يدل على هذا في سورة هود وغيرها من السور التي ذكر فيها قصة إبراهيم مع امرأته.. ولأن هذه الموهبة لما كانت كفاء لإبراهيم على مفارقته أباه وقومه، كانت موهبة من يعاشر إبراهيم ويؤنسه، وهما إسحاق ويعقوب.. أما إسماعيل فقد أراد الله أن يكون بعيداً عن إبراهيم في مكة؛ ليكون جار بيت الله. وإنه لجوار أعظم من جوار إسحاق ويعقوب أباهما.

وقد خص إسماعيل بالذكر استقلالاً عقب ذلك.. ومثله قوله تعالى: ﴿**واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب..**﴾ ثم قال: ﴿**واذكر إسماعيل**﴾ في سورة ص. وقد قال في آية الصافات: ﴿**وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين رب هب لي من**

الصالحين فبشرناه بغلام حليم. . ﴾إلى أن قال: ﴿**وبشرناه بإسحاق نبيئاً من الصالحين. .**﴾ فذكر هنالك إسماعيل عقب قوله: ﴿**إني ذاهب إلى ربي. .**﴾ إذ هو المراد بالغلام الحليم. والمراد بالهبة هنا: تقدير ما في الأزل عند الله. . لأن ازدياد إسحاق ويعقوب كان بعد خروج إبراهيم بمدة كما هو ظاهر من سياق الآيات في غير هذه السورة. . فطول الزمن لا يكون مانعاً من ذكر هبة إسماعيل كما طلبها إبراهيم. . ومن ذكر هبة إسحاق ويعقوب كما سرَّ الله بهما إبراهيم وامرأته. . ﴿**ووهبنا لهم من رحمتنا**﴾: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونسلهم. . والرحمة تذكر هنا؛ لأنها السمة البارزة في جو السورة. . ولأنها هبة الله التي تعوض إبراهيم عن أهله ودياره، وتؤنسه في وحدته واعتزله. . ﴿**وجعلنا لهم لسان صدق علياً. .**﴾ فكانوا صادقين في دعوتهم، مسموعي الكلمة في قومهم، يؤخذ قولهم بالطاعة وبالتبجيل. ووصف بالعلو لشرف ذلك الثناء الجميل. وقد رتب جزاء الله إبراهيم على نبذ أهل الشرك ترتيباً بديعاً؛ إذ جوزى لنعمة الدنيا وهي العقب الشريف الجليل، ونعمة الآخرة وهي الرحمة والثواب الجزيل. وبأثر هذين النعمتين، وهو لسان الصدق إذ لا يذكر به إلا من حصّل النعمتين على الإجمال والتفصيل.

التوجيه الثاني: ﴿**واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبيئاً. .**﴾ في هذا التوجيه ذكر موسى وهارون. وبعدهما ذكر إسماعيل وإدريس. . فيقدم ذكر موسى في هذا الموضع؛ لأنه أشرف نبي من ذرية إسحاق ويعقوب. ويصف موسى في هذا المقام بأجل الأوصاف؛ بأنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبيئاً. . فإنه أخلص في الدعوة إلى الله. . فاستخف بأعظم جبار في وقته على وجه الأرض. وهو فرعون. . فكان الإخلاص في أداء أمانة الله تعالى ميزته. وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً. . فتظهر مزية موسى هنا بعد وصفه بالاخلاص والرسالة والنبوءة، بندائه من جانب الطور الأيمن.

وهو تذكير بما حصل لموسى عندما كان راجعاً من مدين، وبلغ بالرسالة أول ما بلغ: ﴿**هل أتاك حديث موسى: إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى. اذهب إلى فرعون إنه طغى. .**﴾ وتقريبه إلى الله لدرجة الكلام المباشر دون إرسال ملك إليه. . فالتقريب هنا مراد به تكليم الله إليه: ﴿**إني اصطفيتك على الناس برسالتي**

وبكلامي..﴾ ونحن لا ندري كيف كان هذا الكلام.. وكيف أدركه موسى.. أكان صوتاً تسمعه الأذن، أم يتلقاه الكيان الإنساني كله. ولا نعلم كيف أعد الله كيان موسى البشرى لتلقي كلام الله الأزلي.. إنما نؤمن أنه كان.. وهو على الله هين أن يصل مخلوقه به بطريقة من الطرق، وهو بشر على بشريته، وكلام الله علوي على علويته.

ومن قبل كان الإنسان إنساناً بنفخة من روح الله.. ثم يذكر رحمة الله بموسى في مساعدته بإرسال أخيه هارون معه: ﴿**ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيئاً**..﴾ فموسى طلب من الله أن يرسل أخاه هارون معه وزيراً: ﴿**واجعل لي وزيراً من أهلي: هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري**..﴾ وإنما جعلت هبة هارون لموسى من رحمة الله؛ لأن الله رحم موسى إذ يسّر له أخاً فصيح اللسان يعلم سر مقاصد لسان الدولة وما فيه من رموز وخفايا.. أما موسى فقد عاش بعيداً عن مصر.

ولم يخالط أرباب الدولة ولم يعرف عنها إلا القليل.. ثم يعود السياق إلى ذكر الفرع الآخر من ذرية إبراهيم.. فيذكر إسماعيل أبا العرب: ﴿**واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيئاً**..﴾ خص إسماعيل ـ عليه السلام ـ بالذكر هنا تنبيهاً على جدارته بالاستقلال بالذكر عقب ذكر إبراهيم ـ عليه السلام ـ؛ لأن إسماعيل صار جد أمة مستقلة. وهم العرب الذين تفرعوا منه.. فلا بد أن كانت له دعوة انتشرت بينهم.. حتى كان آخر الأمر ـ بعدما فسدت عقيدة العرب ودخلتهم عادات الجاهلية ـ في العرب موحدون قبيل الرسالة الخاتمة.. فالأرجح أنهم بقية الموحدين من أتباع إسماعيل.. وخصه بوصف صدق الوعد لأنه اشتهر به، ونشره في ذريته حتى صار عندهم من السمات البارزة.. وكان أعظم وعدٍ صدقَه وعدَه أباه عندما استسلم لأمر في ذبحه إياه.. وقال: ﴿**يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين**..﴾ ويذكر السياق أن من أركان الشريعة التي جاء بها الصلاة والزكاة.. فهما من أركان كل شريعة جاء بها رسول.

وقد تقدم ما قال عيسى عليه السلام: ﴿**وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً**..﴾ فكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة.. وهما من شؤون الحنيفية ملة أبيه

إبراهيم. . ثم يثبت له أنه كان عند ربه مرضياً. . والرضي مثل الرحمة: سمة من سماة هذه السورة البارزة في جوها، وهي شبيهة بسعة الرحمة، وبينهما قرابة. ورضي الله عنه: إنعامه عليه نعماً كثيرة. . فباركه وأنمى نسله وجعل أفضل الأنبئاء من فرعه. . وجعل الشريعة العظمى على لسان رسول من ذريته. وأخيراً يختم السياق هذا التوجيه بذكر إدريس: ﴿**واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبيئاً ورفعناه مكاناً علياً**. .﴾ فلا نملك نحن تحديد زمان إدريس. . ولكن الأرجح أنه كان قبل إبراهيم، وليس من أنبئاء بني إسراءيل. . فلم يرد ذكره في كتبهم. . فهو من الأنبئاء الذين يجهلهم أهل الكتاب كما جهلوا كثيراً.

مثل الخضر وذي القرنين. . والقرآن يصف إدريس بأنه كان صديقاً نبيئاً مثل ما وصف إبراهيم. . ويسجل له أن الله رفعه مكاناً علياً. . فأعلى قدره ورفع ذكره. . فلم يذكر القرآن قومه ولا مكانه. . فنحن نكتفي بما جاء عنه في القرآن الكريم. وما يقال عنه في كتب التفسير وكتب التاريخ القديم والحديث كلام لم تثبت صحته. .

التوجيه الثالث: ﴿**أولئك الذين أنعم الله عليهم: من النبيئين**. .﴾: في هذا التوجيه يستعرض السياق أولئك الأنبئاء ليوازن بين هذا الرعيل من المؤمنين الأتقياء، وبين الذين خلفوهم سواء من مشركي العرب أو من مشركي أهل الكتاب من اليهود والنصارى. . فإذاً المفارقة صارخة والمسافة شاسعة والهوة عميقة والفارق بعيد بين السلف والخلْف. والسياق يقف في هذا الاستعراض عند المعالم البارزة في صفحة النبوءة في تاريخ البشرية: ﴿**من ذرية آدم. . وممن حملنا مع نوح. . ومن ذرية إبراهيم وإسراءيل**. .﴾ فآدم يشمل الجميع. ونوح يشمل من بعده. وإبراهيم يشمل فرعي النبوة الكبيرين. ويعقوب يشمل شجرة بني إسراءيل. ﴿**وممن هدينا واجتبينا**﴾: أولئك النبيئون ومعهم من هدى الله واجتبى من الصالحين من ذريتهم. . صفتهم البارزة: ﴿**إذا تتلى عليهم آيات الرحمان خروا سجداً وبكياً**. .﴾ فهم أتقياء، شديدوا الحساسية بالله؛ ترتعش وجداناتهم حين تتلى عليهم آياته. . فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يخالج مشاعرهم من تأثُّر. . فتفيض عيونهم بالدموع ويخرون سجداً وبكياً.

أولئك الأتقياء الحساسون الذين تفيض عيونهم بالدمع وتخشع قلوبهم لذكر

الله.. ﴿**خلف من بعدهم خلْف..**﴾ بعيدون عن الله: ﴿**أضاعوا الصلاة..**﴾ فتركوها وجحدوها. ﴿**واتبعوا الشهوات**﴾. واستغرقوا فيها.. فما أشد المفارقة، وما أبعد الشبه بين أولئك وهؤلاء!.. ومن ثم يتهدد السياق هؤلاء الذين خالفوا عن سيرة آبائهم الصالحين.. يتهددهم بالضلال والهلاك: ﴿**فسوف يلقون غياً**﴾. والغي الشرود والضلال، وعاقبة الشرود الضياع والهلاك.. ثم يفتح باب التوبة على مصراعيه تتنسم منه نسمات الرحمة واللطف والنعمى: ﴿**إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً: جنات عدن التي وعد الرحمان عباده بالغيب إنه كان وعده مأتياً..**﴾ فالتوبة التي تنشئ الإيمان والعمل الصالح، فتحقق مدلولها الإيجابي الواضح.. تنجي من ذلك المصير، فلا يلقى أصحابها غياً.. إنما يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً.. يدخلون الجنة للإقامة.

الجنة التي وعد الرحمان عباده إياها.. فآمنوا بها بالغيب قبل أن يروها.. ووعد الله واقع لا يضيع.. ثم يرسم صورة للجنة ومن فيها: ﴿**لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً..**﴾ فلا فضول في الحديث ولا ضجة ولا جدال.. إنما يسمع فيها صوت واحد يناسب هذا الجو الراضي: صوت السلام من الملائكة ومن المؤمنين. والرزق في هذه الجنة مكفول لا يحتاج إلى طلب ولا كد.. ولا يشغل النفس بالقلق والخوف من التخلف أو النَّفَاد: ﴿**ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً..**﴾ فلا يليق الطلب ولا القلق في هذا الجو الراضي الناعم الأمين.. ﴿**تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً**﴾: هذه هي الجنة التي أعدت للمتقين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.. فمن شاء الوراثة فالطريق معروف: التوبة والإيمان والعمل الصالح.. أما وراثة النسب فلا تجدي.. فقد ورث قوم نسب أولئك الأتقياء من النبيئين وممن هدى الله واجتبى.. ولكنهم أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات.. فلم تنفعهم وراثة النسب.. ﴿**فسوف يلقون غياً..**﴾ وزيادة في إبراز تنعم أهل الجنة أن الملائكة تتنزل عليهم وتدخل على كل واحد منهم وتخاطبه بالسلام والأمن والاطمئنان والرضى من الله العليم الخبير اللطيف الرحمان: ﴿**وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً..**﴾ فهذا الخطاب وهذا اللقاء بين الملائكة وأهل الجنة دلت عليه آيات كثرة، وأبرزته في عبارات متنوعة.. من أبرزها: آية سورة الرعد: ﴿**جنات عدن يدخلونها ومن**

صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾.

وآية فصلت: ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم**﴾. وهذه الآيات توضح الآية هنا توضيحاً لا يبقى معه احتمال لمعنى آخر يخرج الآية عن السياق المناسب. ويختم هذا الدرس بإعلان الربوبية المطلقة لله.. والتوجيه إلى عبادته والصبر على تكاليفها.. ونفي الشبيه والنظير: ﴿**رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً..**﴾ فلا ربوبية لغيره، ولا شرك معه في هذا الكون الكبير: رب الدنيا.. ورب الآخرة.. فاعبده في هذه الدنيا حتى تنال درجة العابدين المخلصين: درجة الأنبئاء والصديقين والشهداء والصالحين.. ﴿**واصطبر لعبادته..**﴾ فاعبده واصطبر على تكاليف العبادة. وهي تكاليف الارتقاء إلى أفق المثول بين يدي المعبود، وعلى الثبات في هذا المرتقى العالي، اعبده واحشد نفسك وهيّئ طاقتك للقاء والتلقي في ذلك الأفق العلوي.. إنها مشقة. مشقة التجمع والاحتشاد والتجرد عن كل شاغل .. مشقة على النفس التي لم تكن مهيأة من قبلُ؛ مثل الرسل والأنبئاء.. مشقة.. ولكنها مع المشقة للذة لا يعرفها إلا من ذاق.

ولا تنال إلا بتلك المشقة، وإلا بالتجرد لها، والاستغراق فيها، والتحفز لها بكل جارحة وخالجة.. فهي لا تفشي سرها ولا تمنح عطرها إلا لمن يتجرد لها، ويفتح منافذ حسه وقلبه جميعاً. والعبادة في الإسلام ليست مجرد الشعائر.. إنما هي كل نشاط: كل حركة. كل خالجة. كل نية. كل اتجاه.. وإنها لمشقة أن يتجه الإنسان في هذا كله إلى الله وحده دون سواه. مشقة تحتاج إلى الاصطبار، ليتوجه القلب في كل نشاط من نشاط الأرض إلى السماء. خالصاً من أوشاب الأرض وأوهاق الضرورات، وسهو وشهوات النفس، ومواضعات الحياة. إنه منهج حياة كامل، يعيش الإنسان وفقه، وهو يستشعر في كل صغيرة وكبيرة طوال الحياة أنه يتعبد الله تعالى.. فيرتفع في نشاطه كله إلى أفق العبادة الطاهر الوضئ.. وإنه لمنهج يحتاج إلى الصبر والجهد والمعاناة.. فهذا التوجيه يتجه لكل مخاطب

يسمع.. ولكل إنسان يطلب النجاة، ويرغب في الفوز ونعيم الحياة.. ﴿**فاعبده واصطبر لعبادته**..﴾ فهو الواحد الذي يعبد في هذا الوجود، والذي تتجه إليه الفطر والقلوب.. ﴿**هل تعلم له سمياً**﴾؟!.. فهل تعرف له نظيراً؟!.. تعالى الله عن السَّمِّيِ والنظير.

3 ـ القسم الثالث تفصيل المقال فيما يقوله أهل الشرك والضلال

النص

وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿65﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿66﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿67﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿68﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿69﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿70﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿71﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿72﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴿73﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴿74﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿75﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿76﴾ * أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿77﴾ أَطَّلَعَ

ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿78﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ
وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿79﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿80﴾
وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿81﴾
كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ
ضِدًّا ﴿82﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿83﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿84﴾
يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿85﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿86﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ
ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿87﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ
وَلَدًا ﴿88﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿89﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿90﴾
أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿91﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿92﴾ إِن كُلُّ مَن
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿93﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿94﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿95﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿96﴾
فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿97﴾
وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿98﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حياً**. .﴾ المراد بالإنسان الجنس؛ لأن أكثر الناس يستنكرون البعث. أو يجهلونه جهلاً كاملاً. أي: يقول بطريق الإنكار والاستبعاد: أأبعث بعد الموت وأعود إلى الحياة بعد الموت والفَنَاءِ؟! ﴿**أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً**﴾: أيقول هذا القول ولا يفكر في نشأته الأولى حيث أنشأه الله من عدم ولم يكن شيئاً يذكر؟! ﴿**فوربك لنحشرنهم والشياطين**﴾: أقسم الله بوقوع ما أنكره الإنسان الداخل تحت جنس الناس. وأنهم سيحشرهم الله ويحشر الشياطين الذين أضلوهم معهم. . ﴿**ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً**﴾: إحضار الشيء جعله حاضراً: وحول جهنم حافتها وجانبها القريب منهم. . والجثى: جمع جاث. ووزنه فُعول؛ مثل قاعد وقعود وهو وزن سماعي في جمع فاعل.

وجثى وبكى أصلهما جثوٌ وبكويٌ. . يقال: جثا يجثو إذا برك على ركبتيه. وهي هيئة الخاضع الذليل. ﴿**ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمان عتيا**. .﴾ النزع: إخراج الشيء المتمكن بقوة. والشيعة الجماعة المتشيعة بعضها لبعض بسبب مصلحة تربطهم. وأيهم: اسم موصول بمعنى من. وأشد: أكثر وأقوى. والعتى: العصيان والتجبر. ﴿**ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا**﴾: الصُّلِيُّ مصدر على وزن فعول. مثل العتى وزناً وإعلالاً. والذي أولى من غيره بالصلى في النار هم أعتى الكفرة لضلالهم وإضلالهم. ﴿**وإن منكم إلا واردها**﴾: وما منكم أحد إلا وارد جهنم. والورود: حقيقته الوصول إلى الماء للاستقاء. وأطلق هنا على الوصول إلى جهنم.

ومعنى: ﴿**كان على ربك حتماً مقصياً**﴾: أمراً محتوماً أوجبه الله وقضى أنه لا بد من وقوعه. ﴿**ثم ننجي الذين اتقوا**﴾: الذين اتقوا ناجون من ورود النار. لا يسمعون حسيسها، ولا يرون شبحها المخيف. . ﴿**ونذر الظالمين فيها جثيا**﴾: عطفت هذه الجملة على قوله: ﴿**وإن منكم إلا واردها**. .﴾ فالظالمون هم الواردون النار متروكين فيها خاضعين ذليلين. ﴿**وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات**. .﴾ التلاوة:

القراءة المتكررة يتلو بعضها بعضاً. والمراد بالآيات البينات: آيات القرآن. ومعنى كونها بينات: أنها واضحة الحجة عليهم ومفعمة بالأدلة المقنعة: ﴿**قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا..**﴾ فجواب ﴿**إذا تتلى قال الذين كفروا**﴾ لأجل ما سمعوا عن الذين آمنوا وما سيلاقون من نعيم مقيم في جنات النعيم: أي الفريقين؟ أنحن أم هم الآن؟ خير مقاماً وأحسن نديا.

المقام: المكان اللائق بالعظماء. والندى المجلس والمجتمع.. فالندي أخص من المقام. ﴿**وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً وريّا**﴾: كم خبرية تدل على الكثرة. والإهلاك الإماتة والإفناء.. والقرن الجيل السابق يقترن بالجيل اللاحق. وأحسن أثاثاً وريا أكثر زينة ونضرة ونعمة.. ﴿**قل: من كان في الضلالة فليمدد له الرحمان مداً. حتى إذا رأوا ما يوعدون: إما العذاب وإما الساعة، فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً..**﴾ الضلالة: الحيرة والتيه في فيافي الكفر.. فيزده الله كفراً على كفره.. إلى وقت نزول العذاب في الدنيا بالقتل والأسر والتشريد.. أو عذاب الساعة بالويل والعذاب الشديد.. فسيعلمون عند ذلك من هو شر مكاناً وأضعف جنداً. وكانوا في الدنيا يفتخرون بما لهم من المنازل، وما لهم من الأنصار. ويزيد الله الذين اهتدوا هدى: هذا مقابل قوله: ﴿**من كان في الضلالة فليمدد له الرحمان مداً..**﴾ فالهدى مقابل الضلالة، والزيادة مقابل المد.. فالمد له نهاية، والزيادة لا نهاية لها.. ﴿**والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مردا**﴾. فالأعمال الصالحات تبقى، وأعمال الكفار تنتهي وتفنى.. فالخيرية ملاحظ فيها الانتفاع بالفرق بين الانتفاع الذي يعقبه الضرر، والانتفاع الدائم الذي لا يشوبه ضرر..

﴿**أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً**﴾: كلمة أرأيت تستعمل في التعجيب والاستغراب. ﴿**والذي كفر بآياتنا**﴾ مراد به كل من ينكر البعث، والمراد من قوله: ﴿**لأوتين مالاً وولداً**﴾ إظهار لكرامته وعزه حسبما يخيل إليه.. فهو يقول: إن كان هناك بعث فسأعطي المال والولد.. ﴿**أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمان عهداً**﴾: رد على قوله مستفهماً عنه بهذا الرد. والاطلاع: الاكتشاف. والغيب: ما غاب عن الإنسان، أم كان له عند الرحمان عهد بأن يؤتيه المال والولد! ﴿**كلا**﴾: حرف ردع وزجر عن مضمون كلام سابق.. ﴿**سنكتب ما**

يقول﴾: نسجل عليه كل ما يقوله لنجازيه عليه: **﴿ونمد له من العذاب مداً. .﴾** فالمد من العذاب: زيادته من ذاته. . وهو مثل قوله: فليمدُد له الرحمان مدا.

والإمداد: زيادة الشيء من غيره. **﴿ونرثه ما يقول﴾**: نرث ماله وولده، **﴿ويأتينا فرداً﴾**: يأتي يوم القيامة إلى الله منفرداً عن المال والولد؛ كما أتى إلى الدنيا وحده يحشر يوم القيامة وحده. **﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً﴾**: الاتخاذ الشخصي الشيءَ لنفسه رغبة فيه. والكفار اتخذوا هذه الأصنام رغبة فيها لتكون لهم عزاً يفتخرون بها. **﴿كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً﴾**: ستُنكر الآلهة عبادة المشركين، ويجحد المشركون عبادتهم الآلهة. والضد: اسم مصدر. وهو خلاف الشيء في الماهية أو المعاملة. **﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً﴾**: الاستفهام تعجيبي. وإرسال الشياطين على الكافرين تسخيرهم لأغراضها حسبما تريد.

والأز: الهز والاستفزاز الباطني. أي: تغري الشياطين الكافرين، وتهيّجهم على المعاصي تهييجاً شديداً. بأنواع الوساوس والتسويلات. . فإن الأز والهز والاستفزاز أخوات. معناها شدة الإزعاج. . **﴿فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً﴾**: لا تستعجل بهلاكهم فإنه لم يبق لهم إلا أيام وأنفاس نعدها عداً. **﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمان وفداً. ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً. .﴾** الحشر: الجمع مطلعاً. يكون في الخير كما هنا. ويكون في الشر؛ كقوله: **﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾**. والوفد: الجماعة التي تفد على الملوك لتنال كرامتهم وإنعامهم. والمتقون هم وفود الرحمان إلى نعيم الجنان.

والسوق: تسيير الأنعام قدام رعاتها وهي تضرب سوقها وهراواتها. والورد: أصله السير إلى الماء. . فتسمى الأنعام الواردة ورداً. . وكما يسمى الماء الذي يرده القوم ورداً. **﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمان عهداً﴾**: لا يستطيع أحد أن يشفع لأحد. . لكن من اتخذ عند الرحمان عهداً يستطيع أن يشفع بإذن الرحمان. وهم الرسل والملائكة والمقربون من عباد الرحمان. **﴿وقالوا اتخذ الرحمان ولداً﴾**: الذين قالوا هذا القول بعض مشركي العرب؛ قالوا: الملائكة بنات الله. . والنصارى واليهود؛ **﴿وقالت اليهود عُزيرُ ابن الله، وقالت النصارى:**

المسيح ابن الله! لقد جئتم شيئاً إذاً﴾: الخطاب هنا للذين قالوا اتخذ الرحمان ولداً. . والإدَّ: العظيم المنكر الذي لا يطاق ولا يتحمل: **﴿يكاد السماوات يتفطرن منه. .﴾** فعل يكاد: من أفعال المقاربة.

والتفطّر: التشقق. **﴿وتنشق الأرض﴾**: تتصدع. **﴿وتخر الجبال هدّاً﴾**: تسقط متفرقة متبعثرة. **﴿أنْ دَعَوْا للرحمان ولداً﴾**: لأجل هذا الكلام يحصل ما يحصل للسماء والأرض والجبال. **﴿وما ينبغي للرحمان أن يتخذ ولداً﴾**: ما يجوز لجلال الله اتخاذ الولد. . **﴿إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً﴾**: ما كل من في السماوات والأرض إلا مقرٌ ومعترف بعبوديته لله الرحمان الرحيم. **﴿لقد أحصاهم وعدهم عداً﴾** حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج أحد منهم من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته.

﴿وعدهم عدّا﴾: عد أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم وأقوالهم، **﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾**: كل واحد منهم آت إياه تعالى منفردا من الأتباع والأنصار. **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمان ودا﴾**: سيجعل لهم الرحمان أوداء من الملائكة: كما قال تعالى: **﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة. .﴾** ويجعل بين أنفسهم مودة؛ كما قال تعالى: **﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ. فإنما يسرناه بلسانك﴾**: التيسير التسهيل. والضمير في يسرناه يعود على القرآن. واللسان اللغة. والضمير فيه يعود إلى الرسول. والرسول عربي. والقرآن نزل بلسان عربي مبين. **﴿لتبشر به المتقين﴾**: التبشير الإخبار بما يسر. . **﴿وتنذر به قوماً لدا﴾**: الإنذار الإخبار بما يضر.

واللّدّ جمع الألد. وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند. **﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن. .﴾** كم: خبرية عن كثرة العدد. وقد تقدم معنى كم أهلكنا. . **﴿هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا﴾**: الاحساس: الإدراك بالحس. أي ما تشعر بأحد منهم. ولا ترى منهم أحداً. ولا تسمع لهم صوتاً. . والركز الصوت الخفي. وأصل الركز الخفاء ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض. والركاز: المال المدفون المخفي. والمعنى أهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم أحد ولا يسمع منهم صوت خفي.

مبحث الإعراب

﴿ويقول الإنسان﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿أئذا﴾ ظرف متضمن معنى الشرط متعلق بفعل مقدر.. والهمزة للاستفهام. و﴿ما﴾ زائدة. ﴿مت﴾ فعل وفاعل. فعل الشرط. وجملة أئذا ما مت وما بعدها مقول القول. ﴿لسوف أخرج﴾ فعل مضارع مبني للمجهول دخل عليه حرف التسويف ولام الخبر. ونائب الفاعل ضمير المتكلم. ﴿حياً﴾ حال منه. وجملة لسوف أخرج حياً جواب إذا. ﴿أولا يذكر الإنسان﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وواو العطف وهمزة الاستفهام. ﴿أنا﴾ أنّ واسمها. ﴿خلقناه﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بيذكر. ﴿من قبل﴾ متعلق بخلقناه. ﴿ولم يك﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم بلم. وحذفت منه النون المجزومة تخفيفاً.. واسمها ضمير يعود على الإنسان. ﴿شيئاً﴾ خبره. وجملة ولم يك شيئاً حال من ضمير الإنسان. ﴿فوربك﴾ الواو للقسم. والفاء للتعقيب.

﴿لنحشرنهم﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة جواب القسم لدخول لام القسم عليها. ﴿والشياطين﴾ معطوف على الضمير المفعول. ﴿ثم﴾ حرف عطف وترتيب وتراخ.. ﴿لنحضرنهم﴾ إعرابها مثل إعراب لنحشرنهم. ﴿حول﴾ منصوب على الظرفية متعلق بالفعل قبله.. ﴿جهنم﴾ مضاف إلى حول مجرور بالفتحة للعلمية والتأنيث. ﴿جثيا﴾ حال من الضمير المفعول. ﴿ثم لننزعن﴾ عطف على قوله: ثم لنحضرنهم. ﴿من كل﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿شيعة﴾ مضاف إلى كل. ﴿أيهم﴾ مبتدأ مبني على الضم في محل نصب مفعول ننزع. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿أشد﴾ خبر لمبتدأ محذوف؛ والتقدير: هو أشد والجملة صلة أيُّ. ﴿على الرحمان﴾ متعلق بأشد. ﴿عتيا﴾ منصوب على التمييز. ﴿ثم لنحن﴾ مبتدأ دخل عليه لام التوكيد وحرف الترتيب. ﴿أعلم﴾ خبر المبتدأ. ﴿بالذين﴾ متعلق بأعلم. ﴿هم﴾ في محل رفع مبتدأ.

﴿أولى﴾ خبر المبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿بها﴾ متعلق بأولى. ﴿صليا﴾ منصوب على التمييز. ﴿وإن﴾ حرف نفي والواو للعطف. ﴿منكم﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ محذوف. والتقدير: وما أحد كائن منكم. ﴿إلا

واردها﴾ بدل من المبتدإ المقدر. **﴿كان﴾** اسمها ضمير يعود على الورود. **﴿على ربك﴾** متعلق بالخبر بعده: **﴿حتما﴾** خبر كان. **﴿مقضياً﴾** نعت للخبر ثم **﴿ننجي﴾** فعل مضارع دخل عليه ثم. والفاعل نحن. **﴿الذين﴾** في محل نصب مفعول ننجّي. **﴿اتقوا﴾** فعل وفاعل صلة الموصول. **﴿ونذر﴾** معطوف على ننجّي.

﴿الظالمين﴾ مفعول به. **﴿جثيا﴾** حال من الظالمين. **﴿وإذا تتلى﴾** فعل مضارع مبني للمجهول فعل شرط إذا. **﴿عليهم﴾** متعلق بتتلى. **﴿آياتنا﴾** نائب فاعل تتلى **﴿بينات﴾** منصوب بالكسرة. وهو حال من آياتنا. **﴿قال الذين﴾** فعل وفاعل جواب إذا. . **﴿كفروا﴾** صلة الذين. **﴿للذين﴾** متعلق بقال. **﴿آمنوا﴾** صلة الموصول. **﴿أي﴾** اسم استفهام مبتدأ مرفوع بالضمة. **﴿الفريقين﴾** مضاف إلى أي. **﴿خير﴾** خبر المبتدأ. **﴿مقاماً﴾** منصوب على التمييز. **﴿وأحسن نديا﴾** معطوف على خير مقاما. **﴿وكم﴾** في محل نصب مفعول **﴿أهلكنا﴾** فعل وفاعل. **﴿قبلهم﴾** متعلق بأهلكنا. **﴿من قرن﴾** بيان لِكَمْ. **﴿هم﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿أحسنُ﴾** خبره. **﴿أثاثاً﴾** تمييز. **﴿ورِئيا﴾** معطوف عليه. **﴿قل: مَنْ﴾** اسم شرط **﴿كان﴾** فعل الشرط. واسمها ضمير يعود على من.

﴿في الضلالة﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. **﴿فليمدد﴾** فعل مضارع مجزوم بلام الأمر. **﴿له﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿الرحمان﴾** فاعل. **﴿مدا﴾** مفعول مطلق. والجملة جواب من. **﴿حتى﴾** حرف غاية **﴿إذا رأوا﴾** فعل وفاعل فعل الشرط، **﴿ما﴾** في محل نصب مفعول أول. **﴿يوعدون﴾** صلة ما. **﴿إما﴾** حرف تفصيل. العذاب مفعول به. **﴿وإما الساعة﴾** معطوف عليه. **﴿فسيعلمون﴾** فعل وفاعل. والجملة جواب إذا. . **﴿من﴾** اسم موصول في محل نصب مفعول يعلمون. **﴿هو في﴾** محل رفع مبتدأ. **﴿شرٌّ﴾** خبره. والجملة صلة من. **﴿مكانا﴾** تمييز. **﴿وأضعف جندا﴾** معطوف على شر مكاناً. **﴿ويزيد الله﴾** فعل وفاعل. والواو للعطف. **﴿الذين﴾** في محل نصب مفعول أول بيزيد. **﴿اهتدوا﴾** فعل وفاعل. صلة الموصول.

﴿هدى﴾ مفعول ثان. منصوب بفتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين **﴿والباقيات﴾** مبتدأ. والواو للعطف. **﴿الصالحات﴾** نعت للباقيات.

﴿**خير**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**عند**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بخير. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**ثوابا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**وخير مردا**﴾ معطوف على خير ثوابا. ﴿**أفرأيت**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه فاء التفريع وهمزة الاستفهام. ﴿**الذي**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**كفر**﴾ هو صلة الموصول. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بكفر. ﴿**وقال**﴾ معطوف على كفر.

﴿**لأوتين**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. ونائب الفاعل ضمير المتكلم. واللام لتوكيد الخبر. ﴿**مالاً**﴾ مفعول به. ﴿**وولداً**﴾ معطوف عليه. ﴿**أطلع**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف الاستفهام. والفاعل ضمير يعود على الذي كفر. ﴿**الغيب**﴾ مفعول به. ﴿**أم اتخذ**﴾ معطوف على اطلع. ﴿**عند**﴾ متعلق باتخذ. ﴿**الرحمان**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**عهداً**﴾ مفعول به. ﴿**كلا**﴾ حرف ردع وزجر. ﴿**سنكتب**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف التنفيس. والفاعل نحن. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يقول**﴾ صلة ما. ﴿**ونمد**﴾ معطوف على سنكتب. ﴿**له من العذاب**﴾ متعلقان بنمد. ﴿**مدا**﴾ مفعول مطلق.

﴿**ونرثه**﴾ كذلك ﴿**ما**﴾ في محل نصب بدل اشتمال من الضمير المنصوب. وهو الضمير المتصل بالفعل. ﴿**يقول**﴾ صلة ما. ﴿**ويأتينا**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الذي كفر بآياتنا. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة معطوفة على قوله ونرثه ما يقول. ﴿**فردا**﴾ منصوب على الحال من فاعل يأتي. ﴿**واتخذوا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**من دون**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**آلهة**﴾ مفعول به. ﴿**ليكون**﴾ فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. واسم يكون ضمير يعود على اتخاذ الآلهة. ﴿**لهم**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**عزا**﴾ خبر يكون. ﴿**كلا سيكفرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التنفيس.

﴿**بعبادتهم**﴾ متعلق بالفعل قبله.. ﴿**ويكونون**﴾ معطوف على سيكفرون. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**ضدا**﴾ خبر يكون. واسمها واو الجماعة. ﴿**ألم تر**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والهمزة للاستفهام. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**أنا**﴾ أن واسمها. ﴿**أرسلنا الشياطين**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول ألم تر.. ﴿**على الكافرين**﴾

متعلق بأرسلنا. ﴿**تؤزهم**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على الشياطين. ﴿**أزا**﴾ مفعول مطلق. وجملة تؤزهم أزّا بيانية. ﴿**فلا تعجل**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والفاء للتفريع. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إنّما**﴾ أداة حصر. ﴿**نعد**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. ﴿**لهم**﴾ متعلق بنعد. ﴿**عدّا**﴾ مفعول مطلق. وجملة إنما نعد لهم عداً تعليلية. ﴿**يوم**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بقوله: لا يملكون الشفاعة.. ﴿**نحشر**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن.

﴿**المتقين**﴾ مفعول به. ﴿**إلى الرحمان**﴾ متعلق بنحشر. ﴿**وفدا**﴾ حال من المتقين. ﴿**ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا**﴾ عطف على قوله: نحشر المتقين.. وهي مثلها في الإعراب. ﴿**لا يملكون الشفاعة**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء منقطع. ﴿**من**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**اتخذ**﴾ فعل ماض والفاعل ضمير يعود على من. والجملة صلة من. ﴿**عند**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الرحمان**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**عهدا**﴾ مفعول به. وخبر المبتدأ مقدر والتقدير: لكن من اتخذ عند الرحمان عهد يملك الشفاعة. ﴿**وقالوا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف ﴿**اتخذ الرحمان ولدا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة مقول القول.

﴿**لقد جئتم شيئاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام التوكيد. ﴿**إدّاً**﴾ نعت لشيئاً. ﴿**يكاد**﴾ فعل مضارع ناقص. ﴿**السماوات**﴾ اسم يكاد. ﴿**يتفطرن**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر يكاد. ﴿**منه**﴾ متعلق بيتفطّرن. ﴿**وتنشق الأرض**﴾ فعل وفاعل معطوف على يتفطرن. ﴿**وتخر الجبال**﴾ كذلك. ﴿**هدا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**أن دعوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف المصدر. وهو مؤول بمصدر دخل عليه حرف جر مقدر، والتقدير: يكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا لدعواهم الولد للرحمان. ﴿**وما ينبغي**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي وواو العطف. ﴿**للرحمان**﴾ متعلق بالفعل قبله.

﴿**أن يتخذ**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير يعود على الرحمان. ﴿**ولدا**﴾ مفعول به. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع فاعل ينبغي.. ﴿**إن**﴾ حرف نفي. ﴿**كل**﴾ مبتدأ مرفوع بالضمة. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف إلى

كل. في ﴿السماوات﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿والأرض﴾ معطوف على السماوات. ﴿إلا أتِ﴾ اسم فاعل مرفوع بضمة مقدرة على الياء.. خبر المبتدأ. ﴿الرحمان﴾ مضاف إلى اسم الفاعل. ﴿عبدا﴾ حال من الضمير في الاسم الفاعل. ﴿لقد أحصاهم﴾ فاعل أحصى ضمير يعود على الرحمان. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿وعَدّهم﴾ معطوف على أحصاهم. ﴿عدّا﴾ مفعول مطلق. ﴿وكلهم﴾ مبتدأ. آتيه﴾ خبر المبتدأ.. ﴿يوم﴾ متعلق بآتى. ﴿القيامة﴾ مضاف إلى يوم. ﴿فردا﴾ حال من الضمير في اسم الفاعل. ﴿إن الذين﴾ محل نصب اسم إن. ﴿آمنوا﴾ صلة الذين. ﴿وعملوا﴾ معطوف على آمنوا. ﴿الصالحات﴾ مفعول به منصوب بالكسرة.

﴿سيجعل﴾ فعل مضارع ﴿لهم﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿الرحمان﴾ فاعل. ﴿ودا﴾ مفعول به. وجملة سيجعل لهم الرحمان وداً خبر إن. ﴿فإنما﴾ أداة حصر. والفاء للتعقيب. ﴿يسرناه﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿بلسانك﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿لتبشر﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والفاعل ضمير المخاطب. ﴿به﴾ متعلق بتبشر. ﴿المتقين﴾ مفعول به. ﴿وتنذر به قوماً﴾ معطوف على قوله لتبشر به المتقين. ﴿لدا﴾ نعت لـ«قوماً». ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ تقدم إعراب مثل هذه الجملة. ﴿هل تحس﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿منهم﴾ متعلق بتحس. ﴿من أحد﴾ جر لفظه بحرف الجر الزائد وهو في محل نصب مفعول به. ﴿أو تسمع﴾ معطوف على تحس. ﴿لهم﴾ متعلق بتسمع. ﴿ركزا﴾ مفعول به.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حياً﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على ما قبلها، عطف قصة على قصة. والإتيان بفعل (يقول) مضارعاً لاستحضار حالة هذا القول للتعجيب من قائله تعجيب إنكار. ولاستمرار هذا القول في كل زمان... فالمراد من الإنسان من كانت هذه حالته ومقالته. والاستفهام في ﴿أئذا ما مت لسوف أخرج حياً﴾ إنكار لتحقيق وقوع البعث... فلذلك أتى بالجملة المسلط عليها الإنكار مقترنة بلام الابتداء الدالة على توكيد الجملة الواقعة هي فيها. ﴿أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾: هذه الآية موصولة

بالعطف على ما قبلها. دخل عليها حرف الاستفهام للإنكار والتعجيب من ذهول الإنسان المنكر البعث عن خلقه الأول.

والإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير، والإشعار بأن الإنسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شؤون التكوين المنحية بالقلع عن القول المذكور؛ وهو السر في إسناده إلى الجنس... فحيث خلقناه وهو في تلك الحالة، وهو لم يكن شيئاً... فلأن نبعثه يجمع المواد المتفرقة، وإيجاد مثل ما كان فيها من الأعراض أولى وأظهر...فما له لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير؟! فوربك لنحشرنهم والشياطين.... ففرع هذه الآية على آية ﴿**أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً**﴾ باعتبار ما تضمنته من التهديد وواو القسم لتحقيق الوعيد.

والقسم بالرب مضافاً إلى ضمير المخاطب ـ وهو النبيء ـ ﷺ. إدماج لتشريف قدره المجيد. وضمير لنحشرنهم عائد إلى الإنسان المراد به الجنس المفيد للاستغراق العرفي. وعطف الشياطين على ضمير من قالوا هذا القول النكير لقصد تحقيرهم بأنهم يحشرون مع أخس جنس وأفسده.. فيحشر الحقير مع الحقير، وللإشارة إلى أن الشياطين هم سبب ضلالهم الموجب لهم هذا المصير... فلذلك عطف عليه جملة ﴿**ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً**﴾ والضمير للجميع... وهذا إعداد آخر للتقريب من العذاب... فهو إنذار على إنذار... وتدرج في إلقاء الرعب في قلوبهم... فحرف ثم للترتيب الرتبي لا للمهلة؛ إذ ليست المهلة مقصودة؛ وإنما المقصود أنهم ينقلون من حالة عذاب إلى أشد... والقول في عطف جملة ﴿**ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمان عتياً**﴾ كالقول في جملة ﴿**ثم لنحضرنهم**﴾ وهذه حالة أخرى من الرعب أشد من اللّتين قبلها، وهي حالة تمييزهم للإلقاء في دركات الجحيم على حسب مراتب غلوهم في الكفر... والمعنى: لنميزن من كل فرقة تجمعها نحلة خاصة من دين الضلال من هو من تلك الشيعة أشد عصياناً لله وتجبراً عليه. وهذا تهديد لزعماء الأديان الباطلة في القديم والحديث... وذكر صفة الرحمان هنا لتفظيع عتوهم؛ لأن شديد الرحمة بالخلق حقيق بالشكر له والإحسان لا بالكفر والطغيان.

ولما كان هذا النزع والتمييز مجملاً فقد يزعم كل فريق أن غيره أشد عصيانه أعلم الله تعالى أنه يعلم من هو أولى منهم بمقدار صلى النار فإنها دركات متفاوتة:

ثم لنحن أعلم بالذين هُمْ أولى بها صليا وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً. . .فلما ذكر انتزاع الذين هم أولى بالنار من بقية طوائف الكفر عطف عليه أن جميع طوائف الشرك يدخلون النار دفعاً لتوهم أن انتزاع من هو أشد على الرحمان عتياً هو قصارى ما ينال تلك الطوائف من العذاب، بأن يحسبوا أن كبراءهم يكونون فداء لهم. . . فالخطاب في قوله: ﴿**وإن منكم**. . .﴾ التفات عن الغيبة في قوله: ﴿**لنحشرنهم**. . . **ولنحضرنهم**. . .﴾ عدل عن الغيبة إلى الخطاب ارتقاء في المواجهة بالتهديد حتى لا يبقى مجال للالتباس المراد من ضمير الغيبة، فإن ضمير الخطاب أعرف من ضمير الغيبة. . .فالمعنى: وما منكم أحد من نزع من كل شيعة وغيره إلا وارد جهنم حتماً قَضَاهُ الله فلا مُبدّل لكلماته. . . وليس الخطاب في قوله: ﴿**وإن منكم إلا واردها**﴾ لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم على معنى ابتداء كلام بحيث يقتضي أن المؤمنين يردون النار مع الكافرين ثم ينجون من عذابها لأن هذا معنى ثقيل يَنْبُو عنه السياق.

إذاً لا مناسبة بينه وبين سياق الآية السابقة. . ولأن فضل الله على المؤمنين بالجنة وتشريفهم في المنازل الرفيعة ينافي أن يسوقهم مع المشركين مساقاً واحداً. كيف وقد صُدّر الكلام بقوله: ﴿**فوربك لنحشرنهم والشياطين**. . .﴾ وهو صريح في اختلاف حشر الفريقين. . . ﴿**ثم ننجي الذين اتقوا**﴾: المراد به البعد عنها وعن الكافرين. . . ونذر الظالمين فيها جثياً: عطف على جملة ﴿**وإن منكم إلا واردها**. . .﴾ فهذه الآيات تفسرها وتوضحها الآيات التي وردت في سورة الأنبياء: ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون. لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون. لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون**﴾.

﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون. لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون. لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون**». **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً**﴾: هذه الآية وصلت بالعطف على ما سبق من قوله: ﴿**ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حياً**. . .﴾ فهذا صنف آخر من غرور المشركين بالدنيا. وهي حكاية لما قالوا عند سماع الآيات الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم. ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على

أنهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له متبجحين بما لهم من الزينة والأثاث، وبما لهم من الأنصار والأعوان.

ويريدون بذلك أنهم خيرٌ من المؤمنين الذين حُرِموا هذه النعم... فرد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿**وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً وريا...**﴾ فهو خطاب من الله لرسوله وقد أهلك الله أهل قرون كثيرة كانوا أَرْفَهَ من مشكري العرب متاعاً وأجمل منهم منظراً... فهذه الجملة معترضة بين حكاية قولهم وبين تلقين النبيء ما يجبههم به عن قولهم... فموقعها التهديد، وما بعدها هو الجواب: ﴿**قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمان مداً...**﴾ فلقن الله رسوله كشف مغالطتهم... فأعلمهم بأن ما هم فيه من نعمة الدنيا إنما هو إمهال من الله إياهم... فالمعنى: أن من كان منغمساً في الضلالة اغتر بإمهال الله له فركبه الغرور كما ركبهم؛ إذ قالوا: أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً.

﴿**حتى إذا رأوا ما يوعدون: إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً**﴾: حتى ابتدائية. وهي غاية للمد؛ والتقدير: يمد لهم الرحمان حتى يروا العذاب فيعلموا من هو أسعد ومن هو أشقى!. وحرف الاستقبال في قوله: ﴿**فسيعلمون...**﴾ لتوكيد حصول العلم لهم حينئذ وليس للدلالة على الاستقبال؛ لأن الاستقبال استفيد من الغاية. ﴿**وإما**﴾: حرف تفصيل لـ «ما يوعدون... فإما عذاب الدنيا وإما عذاب الآخرة... فقوله ﴿**شر مكاناً وأضعف جنداً**﴾ مقابل قولهم: ﴿**خير مقاماً وأحسن ندياً**﴾: فالمكان يرادف المقام. والجند يرادف الندى... فقوبل خير ندياً بأضعف جنداً. وجملة ﴿**ويزيد الله الذين اهتدوا هُدًى**﴾ معطوفة على جملة ﴿**من كان في الضلالة فليمدد له الرحمان مداً..**﴾ فالمعنى على الاحتباك: فليمدد له الرحمان مداً فيزْدد ضلالاً... ويمد للذين اهتدوا فيزدادون هدى.

وجملة ﴿**والباقيات الصالحات خير...**﴾ عطف على جملة ﴿**ويزيد الله الذين اهتدوا هدى**﴾، وهو ارتقاء من بشارتهم بالنجاة إلى بشارتهم برفع الدرجات والباقيات الصالحات: صفتان لمحذوف معلوم من المقام: الأعمال الباقي نعيمها وخيرها، والصالحات لأصحابها هم خير عند الله من نعمة النجاة من العذاب. ﴿**أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً**﴾: هذا الكلام مفرع على ما

سبقه من الكلام من أول قوله تعالى: ﴿**ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حياً**. . .﴾ والمناسبة: أن قائل هذا الكلام كان في غرور مثل الغرور الذي كان فيه أصحابه. وهو غرور إحالة البعث. . . فالاستفهام في ﴿**أفرأيت**﴾ مستعمل في التعجيب من كفر هذا الكافر. والرؤية مستعارة للعلم بقصته العجيبة.

نزلت القصة منزلة الشيء المشاهد بالبصر؛ لأنه من أقوى طرق العلم. وعبر عنه بالموصول لما في الصلة من منشإ العجب، ولا سيما قوله: ﴿**لأوتين مالاً وولداً**﴾. والمقصود من الاستفهام لفت الذهن إلى معرفة هذه القصة أو إلى تذكرها إن كان عالماً بها. والخطاب لكل من يصلح للخطاب. ويدخل فيه أول مخاطب بالقرآن وهو النبيء ـ ﷺ ـ. وجملة ﴿**أطّلع الغيب**. . .﴾ جواب لكلامه على طريقة الأسلوب الحكيم يحمل كلامه على ظاهر عبارته من الوعد بأن يعطى المال والولد كما أعطى في الدنيا. . . فالمعنى: أأشرف على عالم الغيب فرأى مالاً وولداً معدين له حين يأتي يوم القيامة؟ ﴿**أم اتخذ عند الرحمان عهداً**﴾؟؛ لأنه لا سبيل إلى معرفة ما أعد له يوم القيامة إلا أحد هذين: إما مكاشفة ذلك ومشاهدته وإما إخبار الله بأنه يعطيه إياه. ومتعلق العهد محذوف يدل عليه السياق؛ تقديره: بأن يعطيه مالاً وولداً.

وعند: ظرف مكان، وهو استعارة بالكناية بتشبيه الوعد بصحيفة مكتوبٍ بها تعاهد وتعاقد بينه وبين الله موضوعة عند الله، لأن الناس كانوا إذا أرادوا توثيق ما يتعاهدون عليه كتبوه في صحيفة ووضعوها في مكان خاص مشهور. واختير هنا من أسمائه الرحمان لأن استحضار مدلوله أجدر من وفائه بما عهد به من النعمة المزعومة لهذا الكافر!: ﴿**كلا سنكتب ما يقول**. . .﴾ فهو إبطال لما يدّعيه. . . وتحقيق لما يستحقه مما يليق به. وحرف كلا يأتي هنا أول مرة. ولم يأت فيما سبق من سور القرآن. . . فنصف القرآن الأول خال منها بالمرة. وكلا حرف ردع وزجر عن مضمون كلام سابق من متكلم واحد، أو من كلام يحكي عن متكلم آخر أومسموع منه.

والأكثر أن تكون عقب آخر كلام المبطل بها. . . وقد تُقدّم على الكلام المبطل للاهتمام بالإبطال وتعجيله والتشويق إلى سماع الكلام الذي سَيَرِدُ بعدها. . . ولما فيها من معنى الإبطال كانت في معنى النفي. . . والغالب أن تكون

متبعة بكلام بعدها... وحرف التنفيس في قوله: ﴿**سنكتب**...﴾ لتحقيق أن ذلك واقع لا محالة. وما يقول في الموضعين: فيما هنا... وفيما يأتي بعده... لأنه لو حكى كلامه لطال... والمعنى: ما قاله من الإلحاد والتهكم بالإسلام... وما قاله من المال والولد. ﴿**ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً**﴾: نهلكه فنرثه ما سماه من المال والولد. فما يقول بدل اشتمال من ضمير النصب في «نرثه»؛ إذ التقدير: ونرث ولده وماله.

والإرث هنا مستعمل مجازاً في السلب والأخذ. والمقصود تذكيره بالموت، وتهديده بما يلقاه بعد الموت... وهو معنى يتضمنه قوله: ﴿**ونَمُدُّ له من العذاب مدّاً**... **واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً**﴾: الكلام موصول بالعطف على ما سبق من أول الكلام في قوله: ﴿**ويقول الإنسان أئذا ما مت**...﴾ فالاتخاذ هنا مستعمل في الاعتقاد والعبادة. ومعنى ليكونوا لهم عزاً ناصرين ونافعين لهم... أو شافعين لهم عند الله... فلا يحصل لهم ذل الفقر والقهر في الدنيا... ويحصلون على الفوز برضى الله... ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**... **هؤلاء شفعاؤنا عند الله**: **كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً**...﴾ فتأتي كلاً هنا مرة أخرى في مكانها المناسب. وستكون النهاية عكس البداية بحيث يكفر وينكر المشركون عبادتهم... ويقولون: ﴿**والله ربنا ما كنا مشركين**﴾. وتتبدل الحالة من حالة الحب والعبادة إلى حالة البغض والعدواة؛ كما قال إبراهيم لقومه: ﴿**إنما تعبدون من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين**﴾.

﴿**ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزاً**﴾: فصل الكلام عما قبله فلم يُعطف؛ لأنه استئناف بيانيّ لجواب سؤال يجيش في نفس الرسول ـ ﷺ ـ من إيغال الكافرين في الضلال جماعتِهم وآحادِهم، وما جره إليهم من سوء المصير ابتداء من قوله تعالى: ﴿**ويقول الإنسان أئذا ما مت**﴾ وما تخلل ذلك من ذكر إمهال الله إياهم في الدنيا، وما أعد لهم من العذاب في الآخرة... وهي معترضة بين جملة ﴿**واتخذوا من دون الله آلهة**﴾، وجملة ﴿**يوم نحشر المتقين**...﴾ وأيضاً هي كالتذييل لتلك الآيات والتقرير لمضمونها؛ لأنها

تستخلص أحوالهم، وتتضمن تسلية الرسول عن إمهالهم وعدم تعجيل عذابهم. والاستفهام في ﴿**ألم تر . . .**﴾ تعجيبي. ومثله شائع في كلام العرب، يجعلون الاستفهام على نفي فعل، والمراد حصول ضده. بِحَثّ المخاطب على الاهتمام بتحصيله. والمعنى: كيف لم تر ذلك؟!.

ونزل إرسال الشياطين على الكافرين لاتّضاح آثار منزلة الشيء المرئي المشاهد. . فوقع التعجيب من مرآهُ بقوله: ألم تر ذلك؟!. والأزُّ: الهزّ والاستفزاز الباطني، مأخوذ من أزيز القدر إذا اشتد غليانها. شُبّه اضطراب اعتقادهم وتناقض أقوالهم واختلاق أكاذيبهم بالغليان في صعود وانخفاض وفرقعة وسكون، فهو استعارة. . . فتأكيده بالمصدر ترشيح. وإرسال الشياطين عليهم تسخيرهم لها وعدم انتفاعهم بالإرشاد النبوى المنقذ من حبائلها. وذلك لكفرهم وإعراضهم عن استماع مواعظ الوحى. وللإشارة إلى هذا المعنى عدل عن الإضمار إلى الإظهار في قوله: على الكافرين: وجعل «تؤزهم» حالاً مقيد للإرسال؛ لأن الشياطين مرسلة على جميع الناس ولكن الله يحفظ المؤمنين من كيد الشياطين على حسب قوة الإيمان وصلاح العمل.

قال تعالى: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين**﴾. وفرع على هذا الاستئناف وهذه التسلية قوله: ﴿**فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً**﴾: فلا تستعجل العذاب لهم إنما نعد لهم عداً. وعبر بتعجيل عليهم مُعدّى بحرف الاستعلاء إكراماً للنبىء ـ ﷺ ـ بأن نزل منزلة الذي هلاكهم بيده فنهى عن تعجيله بهلاكهم. وذلك إشارة إلى قبول دعائه عند ربه. . . فلو دعا عليهم بالهلاك لأهلكهم الله كَيْلَا يرد دعوة نبيئه؛ لأنه يقال: عجل على فلان بكذا: أسرع بتسليطه عليه. كما يقال: عمل إليه إذا أسرع بالذهاب إليه؛ كقوله: ﴿**وعجلت إليك رب لترضى**﴾. فاختلاف حروف تعدية فعل «عجل» ينبىء عن اختلاف المعنى المقصود بالتعجيل.

وقوله: ﴿**إنما نعد لهم عداً**﴾: هو قصر موصوف على صفة قصر إضافياً. وأفادت الجملة تعليل النهى عن التعجيل عليهم؛ لأن إنما مركبة من إنّ وما، وإنّ تفيد التعليل. وقد استعمل العد مجازاً في قصر المدة؛ لأن الشيء القليل يُعدّ ويحسب. وفي هذا إنذار باقتراب استئصالهم. ﴿**يوم نحشر المتقين إلى الرحمان**

وفداً ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمان عهداً﴾: هذا إتمام لإثبات قلة غناء آلهتم عنهم تبعاً لقوله: ﴿**ويكونون عليهم ضداً. . .**﴾ فجملة ﴿**لا يملكون الشفاعة**﴾ هو مبدأ الكلام، وهو بيان لجملة ﴿**ويكونون عليهم ضداً. . .**﴾ والظرف، وما أضيف الظرف إليه إدماج بُيّنت به كرامة المؤمنين وإهانة الكافرين.

وفي ضمنه زيادة بيان لجملة ﴿**ويكونون عليهم ضداً**﴾؛ بأنهم كانوا سبب سوقهم إلى جهنم ورداً. ومخالفتهم لحال المؤمنين في ذلك المشهد العظيم. . . فالظرف متعلق بقوله: ﴿**لا يملكون**﴾: وضمير لا يملكون عائد للآلهة. والمعنى: لا يقدرون على أن ينفعوا من اتخذوهم آلهة ليكونوا لهم عزاً. والحشر: الجمع مطلقاً، يكون في الخير كما هنا. وفي الشر؛ كقوله: ﴿**احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم**﴾. ولذلك اتبع فعل نحشر بقيدٍ ﴿**وفداً**﴾ حشر الوفود إلى الملوك. . . فإن الوفود يكونون مكرَّمين. . . وكانت لملوك العرب وكرمائهم وفود في أوقات ولأعيان العرب وفادات سنوية على ملوكهم وسادتهم ولكل قبيلة وفادة.

وقد اتبع العرب هذه السنّة فوفدوا على النبي ـ ﷺ ـ لأنه أشرف السادة. وسنة الوفود هي سنة تسع من الهجرة. تلت فتح مكة بعموم الإسلام بلاد العرب. وذكر صفة الرحمان هنا واضحة المناسبة للوفد. والسوق تسيير الأنعام قدام رعاتها يجعلونها أمامهم لترهب زجرهم وسياطهم. . . فلا تتفلّت عليهم. . . فالسوق سير خوف وذعر. . .وقوله: ورداً: حال قصد منها التشبيه. . . فلذلك جاءت جامدة؛ لأن معنى التشبيه يجعلها كالمشتق والاستثناء في قوله: ﴿**إلا من اتخذ عند الرحمان عهداً**﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن يملك الشفاعة يومئذ من اتخذ عند الرحمان عهداً: من وعده الله بأن يشفع.

وهم الأنبياء والملائكة ﴿**وقالوا اتخذ الرحمان ولداً**﴾: الآية موصولة بالعطف على ما سبق إتماماً لحكاية أقوال المشركين. . . فصريح الكلام رد على المشركين، وكنايته تعريض بالنصارى الذين شابهوا المشركين في نسبة الولد لله. . . فالمشركون قالوا: الملائكة بنات الله. . . والنصارى قالوا: عيسى ابن الله! . . .والمقصود من حكاية قولهم ليس مجرد الإخبار عنهم أو تعليم دينهم. . .

ولكن تفظيع قولهم وتشنيعه. . . وإنما قالوا ذلك تأييداً لعبادتهم الملائكة والجن واعتقادهم شفعاء لهم يقربونهم إلى الله زلفى. **﴿لقد جئتم شيئاً إدّاً﴾**: رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لأمرها بطريق الالتفات المنبىء عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح، وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة. . . **﴿يكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً: أن دعوا للرحمان ولداً﴾**: هذا توضيح وبيان لمعنى قوله: **﴿إدّاً. . .﴾** والمعنى: أن هول تلك المقالة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها هاتيك الأجرام العظام وتفتت من شدتها. . . فالكلام جار على المبالغة في التهويل من فظاعة هذا القول بحيث إلخ. . . .

وقوله: **﴿أن دعوا للرحمان ولداً﴾** حذف منه لام العلة قبل أن. وهو حذف مطرد. والمقصود منه تأكيد ما أفيد من قوله: **﴿منه. . .﴾** وزيادة بيان لمعاد الضمير المجرور في قوله: **﴿منه. .﴾** اعتناء ببيانه. وجملة **﴿وما ينبغي للرحمان أن يتخذ ولداً﴾** عطف على جملة **﴿وقالوا اتخذ الرحمان ولداً﴾**. وهي جملة مقرّرة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها. ووضع الرحمان في المعطوف والمعطوف عليه موضع الضمير للإشعار بعلة الحكم بالتنبيه على أن كل ما سواه تعالى: إما نعمة، أو منعم عليه. فكيف يتسنى أن يجانس من هو مبدأ النعم ومولى أصولها وفروعها حتى يتوهم أن يتخذه ولداً. . . **﴿إن كل من في السماوات والأرض إلا آتِ الرحمان عبداً﴾**: تكرر اسم الرحمان في هذه الآيات أربع مرات.

وهو إيماء إلى أن وصف الرحمان الثابت لله ينافي ادعاء الولد له؛ لأن الرحمان وصف يدل على ذات الرحمة وعمومها وتكثُرها. ومعنى ذلك أنها شاملة لكل موجود. . . فذلك يقتضي أن كل موجود مفتقر إلى رحمة الله. ولا يتقوم ذلك إلا بتحقق العبودية فيه؛ لأنه لو كان بعض الموجودات ابناً لله تعالى لاَسْتَغْنَى عن رحمته؛ لأنه يكون بالبنوة مساوياً له في الإلهية المقتضية الغنى المطلق ولأن اتخاذ الابن يتطلب به متخذه برَّ الابن به ورحمته له. وذلك ينافي كون الله مفيض كل رحمة. فذكر هذا الوصف عند قوله: **﴿وقالوا اتخذ الرحمان ولداً. . .﴾** وقوله: **﴿أن دعوا للرحمان ولداً﴾**، تسجيل لغباوتهم. وذكره عند قوله: **﴿وما ينبغي للرحمان أن يتخذ ولداً. . .﴾** إيماء إلى دليل عدم لياقة اتخاذ الابن بالله.

وذكره عند قوله: ﴿**إلا آتِ الرحمانِ عبداً**﴾، استدلال على احتياج جميع الموجودات إليه، وإقرارها لها بملكه إياها... وجملة ﴿**لقد أحصاهم..**﴾ مستأنفة ابتدائية. أكدت بلام القسم وحرف التحقيق... فهي لتهديد القائلين: ﴿**اتخذ الرحمان ولداً...**﴾ فالمعنى: لقد علم الله كل من قال ذلك، وعدهم... فلا ينفلت أحد منهم من عقابه. ومعنى ﴿**وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً**﴾، إبطال ما لأجله ﴿**قالوا اتخذ الله ولداً**﴾؛ لأنهم زعموا ذلك موجب عبادتهم الملائكة والجن ليكونوا شفعاءهم عند الله... فَأَيْأَسهم الله من ذلك بأن كل واحد يأتي يوم القيامة مفرداً لا نصير له. وفي ذلك تعريض بأنهم آتون بما يكرهون من العذاب والإهانة إتيان الأعزل إلى من يتمكن من الانتقام منه.

﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمان ودّاً**﴾: لمّا فُصّلت قبائح أحوال الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن أحوال المؤمنين. والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن الموعود من آثارها... فالمعنى: سيجعل لهم الرحمان أوداء من الملائكة؛ كما قال تعالى حاكياً قول الملائكة للمؤمنين: ﴿**نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾. ويجعل بين أنفسهم مودة؛ كما قال تعالى: ﴿**ونزعنا ما في صدورهم من غل..**﴾ وإيثار المصدر «وداً» ليفيء بعدة متعلقات: ودّاً بينهم وبين الله... ووداً بينهم وبين إخوانهم المؤمنين... ووداً بينهم وبين أوليائهم من الملائكة المقربين.. ﴿**فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدّاً**﴾: هذا الكلام إذان بانتهاء السورة.. فإن شأن الإتيان بكلام جامع بعد أفنان الحديث أن يؤذن بأن المتكلم سيطوي بساطه.. وذلك شأن التذييلات والخواتم وهي ما يؤذن بانتهاء الكلام... فلما احتوت السورة على عبر وقصص وبشارات ونذر جاء هنا في التنويه بالقرآن، وبيان بعض ما في تنزيله من الحكم... فيجوز جعل الفاء في قوله: ﴿**فإنما...**﴾ فصيحة مؤذنة بكلام مقدر يدل عليه المذكور، كأنه قيل: بلغ ما أنزلنا إليك ولو كره المشركون ما فيه من إبطال دينهم وإنذارهم بسوء العاقبة... فما أنزلناه إليك إلا للبشارة والنذارة. ولا تعبأ بما يحصل مع ذلك من الغيظ والحقد.. وضمير الغائب في قوله: ﴿**يسرناه..**﴾ وبه... عائد إلى القرآن بدلالة السياق. وبذلك علم أن التيسير تسهيل قراءة القرآن وحفظه. وهذا إدماج للثناء على القرآن بأنه ميسر... فاختار الله له أفضل اللغات. وهي لغة العرب... فإن نزول القرآن بأفضل اللغات وأفصحها هو من أسباب فضله على غيره من

الكتب، وتيسير قراءته، وتسهيل حفظه ما لم يسهل مثله لغيره من الكتب. وعبر عن الكفار بقوم لا ذَماً لهم بأنهم أهل إيغال في المراء والمكابرة. فهم أهل تصميم على باطلهم، وإباية من الاعتراف بالحق...

فقد حسن مقابلة المتقين بقوم لدّ؛ لأن التقوى امتثال وطاعة، والشرك عصيان ولدد. وفيه تعريض بأن كفرهم عن عناد، وهم يعلمون أن ما جاء به محمد - ﷺ - هو الحق كما قال تعالى: ﴿**فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**﴾. وإيقاع لفظ القوم عليهم للإشارة إلى أنّ اللدد شأنهم. وهو الصفة التي تقومت منها قوميتهم.

﴿**وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً**﴾: كما ذكروا بالعناد والمكابرة اتبع بالتعريض بتهديدهم على ذلك بتذكيرهم بالأمم التي استأصلها الله لجبروتها وتعنتها؛ لتكون لهم قياساً ومثلاً... فالجملة معطوفة على جملة ﴿**فإنما يسرناه بلسانك...**﴾ باعتبار ما تضمنته من بشارة المؤمنين ونذارة المعاندين؛ لأن في التعريض بالوعيد لهم نذارة لهم وبشارة للمؤمنين باقتراب إراحتهم من ضرهم. والاستفهام في قوله: ﴿**هل تحس منهم من أحد...**﴾ مراد به النفي. والخطاب للنبيء - ﷺ - تبعاً لقوله: ﴿**فإنما يسرناه بلسانك، أو تسمع لهم ركزاً**﴾ معطوف على هل تحس... وهذا كناية عن اضمحلالهم وانتهاء وجودهم!!

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام:

التوجيه الأول: ﴿**ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حياً...**﴾ ففي هذا التوجيه ذكر مقالة الإنسان المكذب بالبعث يعرض ما يقوله في الدنيا على الأسماع، ويعرض ما يشاهده وما يلاقيه يوم القيامة على العيان... فيبدأ المشهد بذكر ما يقوله الإنسان عن البعث... ذلك أن هذه المقولة قالتها صنوف من الناس كثيرة في عصور مختلفة... ونحن نسمعها اليوم كما قرأناها عن الأمس وما قبله. ولا تزال تُسمع وتُقرأ ما بقي للشيطان مجال للإضلال. فهي شبهة الإنسان واعتراضه المتكرر في جميع الأجيال. وهو اعتراض وشبهة منشؤها غفلة الإنسان عن نشأته الأولى... فأين كان؟ وكيف كان؟ إنه لم يكن... ثم كان... فالبعث

أقرب إلى التصور من النشأة الأولى لو أن الإنسان تذكر وتفكر، وتأمل وتعقل: ﴿**أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً**...﴾ ثم يعقب على هذا الإنكار والاستنكار بقسم تهديدي... فيقسم الله تعالى بنفسه. وهو أعظم قسم وأجله.

إنهم سيحشرون بعد البعث... فهذا أمر مفروغ منه: فَوَرَبّك لنحشرنهم والشياطين... فلا يحشرون وحدهم.. بل والشياطين معهم... فهم والشياطين سواء. والشياطين هم الذين يوسوسون بالإنكار. فبينهما صلة التابع والمتبوع، والقائد والمقود... ثم يرسم لهم صورة حسية، وهم جاثمون حول جهنم جثو الخزى والمهانة: ﴿**ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً**...﴾ فهي صورة رهيبة، وهذه الجموع التي لا يُحْصِيها العد محشورة محضرة إلى جهنّم جاثية حولها، تشهد هولها.. ويلفحها حرها... وتنتظر في كل لحظة أن تؤخذ فتلقى فيها... وهم جاثون على ركبهم في ذلة وفزع... فهو مشهد ذليل للمتجبرين المتكبرين... ثم يليه مشهد النزع والجذب لمن كان أشدّ عتواً وتجبراً: ﴿**ثم لننزعنّ من كل شيعة أيهم أشد على الرحمان عتياً**﴾.

وفي اللفظ تشديد ليرسم بظله وجرسه صورة لهذا الانتزاع... تتبعها صورة القذف في النار... فهي الحركة التي يكملها الخيال. وإن الله ليعلم من هم أولى بأن يصلَوْها... فلا يؤخذ أحد جزافاً من هذه الجموع التي لا تحصى، والتي أحصاها الله فرداً فرداً... ﴿**ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا**﴾: فهم المختارون ليكونوا طليعة المقذوفين!... ﴿**وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً**﴾: هذا حكم عام على جميع الكفرة التابع والمتبوع.. فالمعنى: وما منكم أحد ممن نزع من كل شيعة وغيره إلا وارد جهنم حتماً قضاه الله فلا مبدّل لكلماته... فلا تلقوا التبِعة على سادتكم وعظماء أهل ضلالكم وحْدَهم... بل أنتم وهم سواء في استحقاق العذاب.

وليس الخطاب في قوله: ﴿**وإن منكم إلا واردها**﴾ لجميع الناس: مؤمنهم وكافرهم، على معنى ابتداء كلام بحيث يقتضي أن المؤمنين يردون النار مع الكافرين ثم ينجون من عذابها؛ لأن هذا معنى ثقيل ينبو عنه السياق؛ إذ لا مناسبة بينه وبين سياق الآيات السابقة؛ ولأن فضل الله على المؤمنين بالجنة، وتشريفهم

بالمنازل الرفيعة ينافي أن يسوقهم مع المشركين مساقاً واحداً. كيف وقد صُدّر الكلام بقوله: ﴿**فوربك لنحشرنهم والشياطين. . .**﴾ وقال تعالى: ﴿**يوم نحشر المتقين إلى الرحمان وفداً. ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً**﴾. وهو صريح في اختلاف حشر الفريقين.

وموقع هذه الآية هنا كموقع قوله تعالى: ﴿**وإن جهنم لموعدهم أجمعين**﴾ عقب قوله: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين. . .**﴾ فلا يتوهم أن جهنم موعد عباد الله المخلصين مع تقدم ذكره؛ لأنه ينبو عنه مقام الثناء. وهذه الآية مثار إشكال ومحط قيل وقال. . . واتفق جميع المفسرين على أن المتقين لا تنالهم نار جهنم. واختلفوا في محل الآية. . .فمنهم من جعل ضمير منكم لجميع المخاطبين بالقرآن، ورووه عن بعض السلف. . . فصدمهم فساد المعنى. . . ومنافاة حكمة الله. . . والأدلة الدالة على سلامة المؤمنين يومئذ من لقاء أدنى عذاب. . . فسلكوا مسالك من التأويل. . . فمنهم من تأول الورود بالمرور المجرد دون أن يمس المؤمنين أذى، هذا بعد عن الاستعمال، فإن الورود إنما يراد به حصول ما هو مودع في المورد؛ لأن أصله من وُرُودِ الحوض. . . وفي آي القرآن ما جاء إلا لمعنى المصير إلى النار؛ كقوله تعالى: ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون. لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها. . .**﴾ وقوله: ﴿**يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود**﴾.

وقوله: ﴿**ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً**﴾. على أن إيراد المؤمنين إلى النار لا جدوى له. . . فيكون عبثاً. . . ﴿**ثم ننجي الذين اتقوا**﴾: لا يعني هذا الكلام تنجية الذين اتقوا من النار حين ورودها. فيسلمون منها. . . ولكن التنجية هنا بُعْدهم عن النار بالمرة. . . فهو مثل قوله تعالى: ﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها. . .**﴾ فهي توضح المعنى المراد من كل ما يرد شبيهاً لها في المعنى. . . فالتعبير بثم يفيد البعد عن النار والنجاة منها ومن رؤيتها وسماع حسيسها. . وقوله: ﴿**ونذر الظالمين فيها جثياً**﴾ عطف على قوله: ﴿**وإن منكم إلا واردها. . .**﴾ فهو وعيد خاص بالكافرين. فلا علاقة له بقوله: ثم ننجي الذين اتقوا.

﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً﴾: هذا هو السبب الذي أوردهم النار. وهو غرورهم بما هم فيه من النعيم ورفاهية العيش. وكانوا يقيسون نعيم الآخرة إن كان كما يقول محمد بنعيم الدنيا الذي هم فيه.. فكان سداً مانعاً منعهم من الاستفادة من سماع الآيات الدالة على حسن عاقبة المؤمنين وسوء مصير الكافرين. إنه مشهد يعرضه القرآن حَسْبَمَا هو واقع المشركين في مكة من النوادي الفخمة والمجامع المترفة، والقيم التي يتعامل بها الكبراء والمترفون... وإلى جانبها تلك الفئة المتواضعة الفقيرة ـ إلا من الإيمان ـ بلا أبهة ولا زينة ولا زخرف ولا فخامة... فهذه وتلك تتقابلان في هذه الأرض وتجتمعان.

وتقف الأولى بمغرياتها الفخمة الضخمة: تقف بمالها وجمالها، بسلطانها وجاهها، بالمصالح تحققها، والمغانم توفرها، وباللذائذ والمتاع. وتقف الثانية بمظهرها الفقير المتواضع، تهزأ بالمال والمتاع، وتسخر من الجاه والسلطان. وتدعو الناس إليها، لا باسم لذة تحققها، ولا مصلحة توفرها، ولا قربى من حاكم ولا اعتزاز بذي سلطان... ولكن باسم العقيدة تقدمها إليهم مجردة من كل زخرف، عاطلة من كل زينة، معتزة بعزة الله دون سواه. لا بل تقدمها إليهم ومعها المشقة والجهد والجهاد... إنما هو القرب من الله وجزاؤه الأوفى يوم الحساب.

وهؤلاء هم سادة قريش تتلى عليهم آيات الله.. فيقولون للمؤمنين الفقراء: **﴿أيُّ الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً..﴾** الكبراء الذين لا يؤمنون بمحمد؟... أم الفقراء الذين يلتفون حوله؟ أيهم خير مقاماً وأحسن ندياً؟.. أفلو كان ما يدعو إليه محمد خيراً؟ أفكان أتباعه يكونون هم هؤلاء النفر الذين لا قيمة لهم في مجتمع قريش ولا خطر ويكون معارضوه هم أولئك أصحاب النوادي الفخمة الضخمة والمكانة الاجتماعية البارزة؟!. إنه منطق الأرض... منطق المحجوبين عن الآفاق العليا في كل زمان ومكان. وإنها لحكمة الله أن تقف العقيدة مجردة عن الزينة والطلاء... عاطلة من عوامل الإغراء.:. ليقبل عليها من يريدها لذاتها خالصة لله من دون الناس.

ومن دون ما تواضعوا عليه من قيم ومغريات... وينصرف عنها من يبتغي المطامع والمنافع... ومن يشتهي الزينة والزخارف... ومن يطلب المال

والمتاع. ويعقب السياق على مقولة الكفار التيّاهين المتباهين بما هم فيه مقاماً وزينةً بلمسة وجدانية ترجع القلب إلى مصارع الغابرين، على ما كانوا فيه من مقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين: ﴿**وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً وريا...**﴾ فلم ينفعهم أثاثهم ورياشهم وزينتهم ومظهرهم... فلم يعصمهم شيء من الله حين كتب عليهم الهلاك. ألا إن هذا الإنسان لينسى... فلو تذكر وتفكر ما أخذه الغرور... ومصارع الغابرين من حوله تلفته بعنف وتنذره وتحذره، وهو سائر فيما هو فيه، غافل عما ينتظره مما لقيه من كانوا قبله، وكانوا أشد قوة وأكثر أموالاً وأولاداً. يعقب السياق بتلك اللفتة.

ثم يأمر الرسول أن يدعو عليهم في صورة مباهلة ـ بأن من كان من الفريقين في الضلالة فليزده الله مما هو فيه، ﴿**حتى إذا رأوا ما يوعدون: إما العذاب وإما الساعة: قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمان مداً حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً...**﴾. فهم يزعمون أنهم أهدى من أتباع محمد لأنهم أغنى وأبهى... فليكن! وليدع محمد ربه أن يزيد الضالين من الفريقين ضلالاً...وأن يزيد المهتدين منهما اهتداء... ﴿**ويزيد الله الذين اهتدوا هدى...**﴾ حتى إذا وقع ما يعدهم.. وهو لا يَعْدُو أنْ يكون عذاب الضالين في الدنيا بأيدي المؤمنين أو عذابهم الأكبر يوم الدين... فعندئذَ سيعرفون: ﴿**أي الفريقين شر مكاناً وأضعف جنداً**﴾. ويومئذ يفرح المؤمنون ويعتزون... ﴿**والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً**﴾. خير مما يتباهى به أهل الأرض ويتيهون.

التوجيه الثاني: ﴿**أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً...**﴾: في هذا التوجيه لفْتُ نظر الرسول إلى ما يقول هذا الغبي الجهول.. فهو نموذج آخر من تبجح الإنسان الذي لا يدري معنى ما يقول... قالها العاص بن وائل... ويقولها كثير من الناس الأواخر مثل الأوائل... وهي نموذج من تهكم الكفار واستخفافهم بالبعث. والقرآن يعجب من أمره، ويستنكر ادعاءه: ﴿**أطلع الغيب**﴾؟... فهو يعرف ما هنالك! ﴿**أم اتخذ عند الرحمان عهداً**﴾؟... فو واثق من تحققه. ثم يعقب: كلا!... فلم يطلع على الغيب، ولم يتخذ عند الله عهداً... إنما هو يكفر ويسخر... فالتهديد إذن والوعيد هو اللائق لتأديب

الكافرين السافرين: ﴿**كلا. سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً**...﴾ سنكتب ما يقول... فسنسجله عليه ليوم الحساب فلا ينسى ولا يقبل المغالطة.

وهو تعبير تصويري للتهديد... وإلا فالمغالطة مستحيلة، وعلم الله لا تند عنه صغيرة ولا كبيرة. ونمد له من العذاب مداً... فنزيده منه ونطيله عليه ولا نقطعه عنه! ويستمر السياق في التهديد على طريقة التصوير أيضاً: ﴿**ونرثه ما يقول**...﴾ فنأخذ ما يخلفه مما يتحدث عنه من مال وولد كما يفعل الوارث بعد موت المورث!... ﴿**ويأتينا فرداً**...﴾ فلا مال معه ولا ولد. ولا نصير له ولا سند. مجرداً ضعيفاً وحيداً فريداً مغضوباً عليه طريداً... فهل رأيت إلى هذا الذي كفر بآيات الله، وهويحيل على يوم لا يملك فيه شيئاً... يوم يُجرّدُ من كل ما يملك في هذه الدنيا؟ إنه نموذج من نماذج الكفّار: نموذج الكفر والادعاء والاستهتار والاستهزاء. ويستطر السياق في استعراض ظواهر الكفر والشرك: ﴿**واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً**...﴾ فهؤلاء الذين يكفرون بآيات الله يتخذون من دونه آلهة يطلبون عندها العزة والغلب والنصرة. وكان فيهم من يعبد الملائكة ومن يعبد الجن ويستنصرونهم ويتقوون بهم.. كلا!.. فسيكفر الملائكة والجن بعبادتهم... فيتبرؤون منهم، ويقولون: ﴿**ما كانوا إيانا يعبدون**...﴾ ويتبرأ المشركون منهم وينكرون عبادتهم، ويقولون: ﴿**والله ربنا ما كنا مشركين**﴾!...

فينكر كل منهم: العابد والمعبود على صاحبه: ﴿**الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو.. كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً**﴾، بالتبرئ والتنكر والتملص وإلقاء اللوم على غيره. ﴿**ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزّا**﴾: إن الشياطين مسلطون على الكفار: يهيجونهم إلى المعاصي... فهم مرسلون عليهم مأذون لهم في إغوائهم، منذ أن طلب إبليس إطلاق يده فيهم... ﴿**فلا تعجل عليهم**...﴾ ولا يضق صدرك بهم... فإنهم ممهلون إلى أجل قريب. ﴿**إنما نعد لهم عداً**...﴾ فكل شيء من أعمالهم محسوب عليهم ومعدود.. والتعبير يصور دقة الحساب تصويراً محسوساً. وإنه لتصوير مرهوب.. فيا ويلُ من يعد الله عليه ذنوبه وأعماله وأنفاسه، ويتتبعها ليحاسبه الحساب العسير! إن الذي يحس أن رئيسه في الأرض يتتبع أعماله وأخطاءه يفزع ويخاف ويعيش في قلق وحسبان... فكيف بالله المنتقم الجبار؟!..

وفي مشهد من مشاهد القيامة يصور عاقبة العدّ والحساب.. فأما المؤمنون فقادمون على الرحمان وفْداً في كرامة وحسن استقبال: ﴿**يوم نحشر المتقين إلى الرحمان وفداً..**﴾ وأما المجرمون فمسوقون يُضربون على سوقهم إلى جهنم ورداً كما تساق القطعان من البهائم: ﴿**ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً**﴾. ويومئذ لا يملك أحد شيئاً من الشفاعة ولا يقدر عليها: ﴿**لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمان عهداً**﴾.

التوجيه الثالث: ﴿**وقالوا اتخذ الرحمان ولداً...**﴾: في هذا التوجيه لفت الانتباه إلى مقولة منكرة صدرت من المشركين من قديم الزمان، ولا تزال تقال إلى الآن.. فقالها المشركون من العرب حين قالوا: الملائكة بنات الله! وقالها المشركون من اليهود حين قالوا: العزير ابن الله! وقالها النصارى وما زالوا يقولونها: المسيح ابن الله! ﴿**لقد جئتم شيئاً إدّا**﴾: أنتم الذين قلتم هذا القول الشنيع الفظيع جئتم بشيء ثقيل هائل كريهٍ بشيع: ﴿**يكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمان ولدا..**﴾ فينتفض الكون كله لهذه المقولة المنكرة التي تنكرها طبيعته، وينفر منها كيانه.

إن جرس الألفاظ وإيقاع العبارات ليشارك ظلال المشهد في رسم الجو: جو الغضب والغيرة والانتفاض! وإن كيان الكون بما فيه لتنتفض وترتعش وترجف من سماع تلك القولة النابية.. فهذه الانتفاضة الكونية للكلمة النابية تشترك فيها السماوات والأرض والجبال. والألفاظ بإيقاعها ترسم حركة الزلزلة والارتجاف. وما تكاد الكلمة تنطلق: ﴿**وقالوا اتخذ الرحمان ولداً..**﴾ حتى تنطلق كلمة التفظيع والتبشيع: ﴿**لقد جئتم شيئاً إدّا..**﴾ ثم يهتز كل ساكن من حولهم ويرتج كل مستقر. ويغضب الكون كله لبارئه. وهو يحس بتلك الكلمة تصدم كيانه فيكاد ينقصم وينفصل بعضه عن بعض. إن هذه الكلمة المنكرة لتجافي وتنافي ما طبع في الكون كله من سماوات وأرض وجبال..

بله النبات والحيوان. وهي تهز القاعدة التي قام عليها وأطمأن إليها واستقر بها: ﴿**وما ينبغي للرحمان أن يتخذ ولداً**﴾: ما يجوز لجلال الله أن يتخذ ولداً؛ لأن جميع الموجودات غير ذاته تعالى، يجب أن تكون مستوية في المخلوقية له.. ومتماثلة في العبودية. ﴿**إن كل من في السماوات والأرض إلا آتِ الرحمان**

عبداً. .﴾ ما كل من في السماوات والأرض إلا عبد يأتي معبوده خاضعاً طائعاً. . فلا ولد ولا شريك. . إنما هم مخلوقون عبيد. وإن الكيان البشري ليرتجف وهو يتصور مدلول هذا البيان: **﴿لقد أحصاهم وعدهم عدا. .﴾** فلا مجال لهرب أحد، ولا لنسيان أحد: **﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً. .﴾** فعين الله على كل فرد.

وكل فرد يقدم وحيداً لا يأنس بأحد ولا يعتز بأحد. . حتى روح الجماعة، ومشاعر الجماعة يجرد منها. . فإذا هو وحيد فريد أمام الديان! وفي وسط هذه الوحدة والوحشة والرهبة. . إذا المؤمنون في ظلال ندية من الود السامي: **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمان ودا. .﴾** وللتعبير بالود في هذا نداوة رخية تمس القلوب. وروْح رضى يلمس النفوس. وهو ود يشيع في الملإ الأعلى. . فإن هذه البشرى للمؤمنين المتقين. . وذلك الإنذار الرهيب للجاحدين الخصيمين هما غاية هذا القرآن. ولقد يسره الله للعرب. . فأنزله الله بلسان الرسول - ﷺ - ليقرأوه بلسانهم أيضاً: **﴿فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدّا. .﴾** فهم أشد الناس خصاماً. . وأقواهم جدلاً. . وأعنتهم عناداً. . وقد واجههم القرآن بلسانهم. . وتصدى لهم بما عرفوه من خصام وجدال. . فأغنى بلسانهم دلائله. . وأخنى على حصونهم فهدمها وأبقى معاقله!. . ثم يختم هذه السورة بمشهد يتأمله القلب طويلاً. . ويرتعش له الوجدان كثيراً. . فلا ينتهي الخيال من استعراضه وتمليه: **﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن. .﴾** فلا تغرنك فخفختهم، ولا يخدعنك تبجّحهم، ولا يخيفنك لججهم وخصامهم. . فهم مثل من كان قبلهم من الأمم العاتية في القرون الخالية.

وهو مشهد يبدأ بالرجفة المدمرة. . ثم يغمر مشاهده بالصمت العميق. . وكأنما يأخذ به إلى وادي الردى. . ثم يقف به إلى مصارع القرون. . وفي ذلك المشهد الذي لا يكاد يحدُّه البصر يسبح الخيال مع الشخوص التي كانت تدب وتتحرك. . والحياة التي كانت تنبض وتمرح. . والأماني والمشاعر التي كانت تأمل وتتطلع. . ثم إذا الصمت يخيم، والموت يجثم، وإذ الجثث والأشلاء والبلى والدمار: لا نأمه، لا حس، لا حركة، لا صوت: **﴿هل تحس منهم من أحد﴾**؟ انظر وتلفت. . **﴿أو تسمع لهم ركزا﴾**؟ تسمّع وانصت. . ألا إنه السكون العميق والصمت الرهيب. وما من أحد يسمع أو يجيب.

4 ـ تنزيل القرآن الكريم، امتداد لرسالة موسى الكليم



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ

عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿15﴾ وَمَا تِلْكَ
بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿16﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ
بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿17﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿18﴾
فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿19﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ
سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿20﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ
تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿21﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا
ٱلْكُبْرَى ﴿22﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿23﴾ * قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي
صَدْرِي ﴿24﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿25﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿26﴾
يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿27﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿28﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿29﴾
ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿30﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿31﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿32﴾
وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿33﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿34﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ
سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿35﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿36﴾
إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿37﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ
فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ
وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴿38﴾ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿39﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ
فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ
كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ
فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿40﴾

وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿41﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿42﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿43﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿44﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿45﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿46﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿47﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿48﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿49﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿50﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿51﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿52﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿53﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿54﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿55﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿طه﴾: من الحروف التي ابتدئت بها بعض السور. حرف ط يماثله في الرسم حرف ظ. وهـ حرف مفرد لا يماثله في الرسم شيء. وقد تكلمت في سورة البقرة على هذه الحروف. وذكرت أن جميع الحروف العربية ذكرت في

أوائل السور.. فحذف منها النصف وذكر منها النصف. والتي ذكرت تماثل التي حذفت في الرسم والصورة.. **﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾**: الكلام موجه للرسول ـ ﷺ ـ وهو يعلمه فيه أنه لم يرد أن يكون إنزال القرآن سبباً لشقائه.. بل سبباً لسعادته بإرساله إلى الناس.. والشقاء: فرط التعب بعمل.. أو غم وكآبة في النفس.. **﴿إلا تذكرة لمن يخشى﴾**: أنزلناه ـ القرآن ـ تذكرةً لما كمن في النفس البشرية من أصل الفطرة.. فالدعوة إلى الإسلام تذكير لما في الفطرة.. والذي يخشى هو المستعد للتأمل والنظر في صحة الدين. وهو كل من يفكر للنجاة في العاقبة.. فالخشية هنا مستعملة في المعنى العربي الأصلي.

﴿تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى﴾: المقصود من هذا الكلام التنويه بالقرآن والعناية به، وأن الذي أنزله هو الذي خلق هذا الكون العظيم: أرضه وسماءه.. **﴿الرحمان على العرش استوى﴾**: هذا زيادة في تصوير عظمة الله تعالى وسعة سلطانه بعد قوله: ممن خلق الأرض والسماوات العلى. وأتبع ما دل على عظمة سلطانه تعالى بما يزيده تقريراً وهو جملة **﴿له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾** فهي بيان لجملة **﴿الرحمان على العرش استوى﴾**. والجملتان تدلان على عظيم قدرته لأن ذلك هو المقصود من سعة السلطان. والثرى: التراب الندي. وما تحته هو باطن الأرض الذي لا يعلم كنهه إلا الله.

﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾: دلّت هذه الآية على سعة علم الله تعالى، كما دلت الآية التي قبلها على عظيم سلطانه وقدرته.. والقول: مصدر، وهو تلفظ الإنسان بالكلام.. فيشمل القراءة والدعاء والمحاورة. وأخفى: اسم تفضيل. والمعنى: يعلم سر الكلام وما هو أخفى منه، وهو ما يخطر في النفس قبل التكلم به سراً أو جهراً. **﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾**: بيان لما ذكر من صفات الكمال موصوفها الله المعبود بالحق.. فأسماؤه الحسنى دالة على حقائق ما تدل عليه من كمال وعظمة وجلال ورحمة وجمال.. **﴿وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً..﴾** هل: حرف استفهام يستفهم بها عن تحقيق شيء يراد تحقيقه.

والحديث: الخبر الذي يُحكى به أمر حدث في الخارج. وإذ: ظرف

للحديث. ورؤية النار: إبصارها بالليل.. **﴿فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً..﴾** الأهل: الزوج والأولاد. والمكث: البقاء في المكان الذي هم فيه. والإيناس: الإبصار البين الذي لا شبهة فيه. **﴿لعليّ آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى..﴾** لعل: حرف يقصد به ترجي شيء مترقب غير محقق. والقبس: شعلة تؤخذ من شعلة أخرى.. ومعنى **﴿أو أجد على النار هدى﴾**: لعليّ أجد هادياً عارفاً بالطريق ومعالمها أكثر مني.. **﴿فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى..﴾** أتاها: وصل موسى إلى النار.

نودي: ناداه منادٍ. **﴿يا موسى﴾**: تصريح له باسمه ليستأنس به. **﴿إني أنا ربك﴾**: إعلام لموسى بالمنادِي لئلا يستوحش. **﴿فاخلع نعليك﴾**: تفريع الأمر بخلع النعلين على الإعلام بأنه ربه إشارة إلى أن ذلك المكان قد حله التقديس بإيجاد كلام من عند الله فيه. والخلع: فصل شيء عن شيء كان متصلاً به. والنعلان: جلدان غليظان يجعلان تحت الرجل ويشدان برباط من جلد لوقاية الرجل ألم المشي على التراب والحصى.. ويسمى المداس والوادي: منخفض من الأرض تجري فيه مياه الأمطار. والمقدس: المطهّر المنزه. وطوى: اسم لذلك الوادي وهو تمييز له عن بقية الوديان التي مر بها موسى.. **﴿وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى..﴾** هذا إعلام لموسى أنه مختار من الله لرسالته فليستعد باستماع ما يأتيه من الوحي: **﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾**: قد جاء خطاب الله لموسى بطريقة الاستدلال على كل حكم وأمر أو نهي.. فابتدئ بالإعلام بأن الذي يكلمه هو الله. وأنه لا إله إلا هو.. ثم فرع عليه الأمر في قوله: فاعبدني وأقم الصلاة لذكري.. ثم عقب بإثبات الساعة.

وعلل بأنها لتجزي كل نفس بما تسعى.. ثم فرع عليه النهي عن أن يصده عنها من لا يؤمن بها.. ثم فرع على النهي أنه إن ارتكب ما نهي عنه هلك وخسر. **﴿وما تلك بيمينك يا موسى..﴾** ما: اسم استفهام.. يستفهم بها عن غير العاقل. تلك: اسم إشارة للمؤنث. بيمينك: بيدك اليمنى. وهذا بقية ما نودي به موسى. وهو محاورة بين الله تعالى وبين موسى ـ عليه السلام ـ **﴿قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها علي غنمي ولي فيها مآرب أخرى..﴾** العصا: معروفة.

وهي ظاهرة هنا بأوصافها. التوكؤ على الشيء الاعتماد عليه. والهش: الخبط. وهو ضرب الشجرة بعصا ليتساقط ورقها. ومآرب: جمع مأربة. وهي الأمور المحتاج إليها.. وأخرى: غير التوكؤ والهش.

﴿**قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى**﴾: أمر من الله لموسى بأن يطرح العصا على الأرض فطرحها كما أمر.. فإذا هي حية تسعى. والحية من الزواحف السامة المخيفة شكلاً ووصفاً. وعضتها قاتلة. والسعي: المشي الشديد.. ﴿**قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى**﴾: سنعيد العصا إلى هيئتها الأولى التي كانت قبل أن تنقلب حية. ﴿**واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء..**﴾ الضم: الإلصاق. والجناح: العضد وما تحته إلى الإبط. ﴿**تخرج بيضاء من غير سوء**﴾: من غير مرض مثل البرص والبهق آية أخرى: بعد الآية الأولى. وهي انقلاب العصا حية. ﴿**لنريك من آياتنا الكبرى**﴾: هذا تعليل لما سبق مما حصل لموسى وما سيحصل له في المستقبل عندما يتصدى لفرعون وقومه.. ﴿**اذهب إلى فرعون إنه طغى..**﴾ الذهاب المأمور به هنا ذهاب خاص. قد فهمه موسى من مقدمات الإخبار باختياره.. طغى: جاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر وادعى الربوبية...

﴿**قال رب اشرح لي صدري...**﴾ الشرح، حقيقته: تقطيع ظاهر شيء لين. والمراد به الانفتاح والتوسعة.. والصدر: يعبر به عن القلب والعقل. ويسر لي أمري.. والتيسير: جعل الشيء سهلاً. والأمر: الشأن الذي يهم الإنسان. ﴿**واحلل عقدة من لساني..**﴾ الحل: فك الربط بين شيئين. والعقدة: موضع ربط بعض الخيط أو الحبل ببعض آخر منه. واللسان: آلة الكلام. وهو العضو المعروف. ﴿**يفقهوا قولي**﴾: يفهموا ما أقول لهم مما هو متعلق بالرسالة.. ﴿**واجعل لي وزيراً من أهلي..**﴾ الوزير: المعاون والمساعد في الأمور المهمة. وأطلق في العرف على مساعد رئيس الدولة. من أهلي: أهل بيتي: ﴿**هارون أخي**﴾: توضيح لكلمة أهلي.. ﴿**اشدد به أزري..**﴾ الشد: الإمساك بقوة.

والأزر: أصله الظهر. وأطلق هنا على القوة. وأشركه في أمري: اجعله شريكي في أمر الرسالة. ﴿**كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً..**﴾ كي: حرف تعليل. بمعنى لأجل. والمراد بالتسبيح والذكر الدعوة التي فيها الأمر بهما..

﴿**إنك كنت بنا بصيراً**﴾: تعلم حالي وحال أخي، ﴿**قال قد أوتيت سؤلك يا موسى**﴾: الإيتاء هنا عبارة عن تعلق إرادة الله تعالى بوقوع تلك المطالب المعبر عنها بسؤلك. . ﴿**ولقد مننا عليك مرة أخرى. .**﴾ منّ عليه منا: أنعم. والمرة: في الأصل اسم للمرور الواحد. ثم أطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات، متعدية كانت أو لازمة.

ثم شاع في كل فرد واحد من أفراد ماله أفراد متجددة متعددة. . فصار علماً في ذلك. . ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة. والمراد بالمرة ههنا الوقت الممتد الذي وقع فيه ما سيأتي ذكره من المِنَن العظيمة الكثيرة. ومعنى مرة أخرى: في وقت غير هذا الوقت. والأخرى: مؤنث الآخر، الذي بمعنى الغير. ﴿**إذا أوحينا إلى أمك ما يوحى. . .**﴾ إذ: ظرف للمنة. والوحي، هنا: وحي الإلهام الصادق. وهو إيقاع معنى في النفس ينثلج له نفس الملقى إليه بحيث يجزم بنجاحه فيه. وذلك من توفيق الله تعالى. وقد يكون بطريق الرؤيا الصالحة التي يُقذف في نفس الرائي أنها صدق.

﴿**أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم**﴾. أن: تفسير لفعل أوحينا. والقذف: أصله الرمي. وأطلق هنا على الوضع في التابوت. والتابوت: الصندوق. واليم: البحر. والمراد به نهر النيل. . ﴿**فليلقه اليم بالساحل. .**﴾ الساحل: الشاطئ. . ﴿**يأخذه عدو لي وعدو له**﴾: يأخذه فرعون الذي هو عدو الله بادعائه الألوهية. . وعدو لموسى؛ لأنه من أبناء بني إسرائيل الذين صمم على قتلهم. . ﴿**وألقيت عليك محبة مني**﴾: ألقى الله محبته على موسى ـ عليه السلام ـ بحيث صار يحبه عدوه وصديقه. . ﴿**ولتصنع على عيني**﴾: هو ما هيأه الله لموسى من عطف ومحبة وحنان حيث سخر له أسباب النجاة من خطر الموت. . ﴿**إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن. .**﴾ فهذه من أعظم المنن حين تحيلت أخت موسى بإرجاعه إلى أمه لكي تقر عينها ولا تحزن. . ﴿**وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتونا**﴾: النفس التي قتلها موسى هي نفس القبطي من قوم فرعون الذي اختصم مع رجل من بني إسرائيل في المدينة فاستغاث الإسراءيلي بموسى لينصره، فوكر موسى القبطي فقضي عليه. كما قص ذلك في سورة القصص.

والغم: الحزن الذي اعترى موسى بعد قتله القبطي.. والفتون: مصدر فتن بما اختبر. والمراد بهذا الفتون خوف موسى من عقاب فرعون.. ﴿**فلبثت سنين في أهل مدين**﴾: تعقيب على قوله فنجيناك من الغم وفتناك فتونا؛ حيث خرج من المدينة خائفاً يترقب.. فخرج من مصر إلى مدين.. ﴿**ثم جئت على قدر يا موسى**﴾: بعد ما حصل لموسى ما حصل في مدين جاء على قدر من أمر الله إلى الوادي المقدس لتلقي الوحي هناك. ﴿**واصطنعتك لنفسي**﴾: هيأتك واعتنيت بك لأجل ما سألقى إليك.. ﴿**إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي. اذهب أنت وأخوك بآياتي**﴾: هذا أمر من الله لموسى بالذهاب ومعه أخوه، مصاحباً لآيات الله. ﴿**ولا تنيا في ذكري**﴾: لا تضعفا.

يقال: وَنَى بي وَنًى: ضعف في العمل بالتقصير والفتور. والمعنى: لا تضعفا ولا تقصرا ولا تفترا في تبليغ رسالتي: ﴿**اذهبا إلى فرعون إنه طغى.. فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى..**﴾ القول اللين: الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال، بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق، ويميز به بين الحق والباطل.. واللين حقيقة من صفات الأجسام. وهو رطوبة ملمس الجسم وسهولة ليّه. وضدُّ اللِينِ: الخشونة.. ويستعمل اللين لسهولة المعاملة والصفح. والتذكر من الذُّكر.. وهو النظر والتفكر في عواقب الأمور: لعله ينظر نظر المتبصر فيعرف الحق.. أو يخشى حلول العقاب به فيطيع عن خشية لاعن تبصر. ﴿**قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى..**﴾ يفرط: يعجل ويسبق.

يقال: فرط يفرُط، من باب نصر. والفارط: الذي يسبق الواردة إلى الحوض للشرب. والمعنى: نخاف أن يعجل بعقابنا بالقتل أو غيره من العقوبات قبل أن نبلغه ونحجّه. والطغيان: التظاهر بالتكبر. ﴿**قال**﴾ ـ الله ـ ﴿**لا تخافا**﴾ حصول شيء من الأمرين.. فأنا معكما.. ﴿**فأتياه..**﴾ الإتيان الوصول والحلول. ﴿**فقولا إنا رسولاً ربك.. فأرسل معنا بني إسراءيل ولا تعذبهم، قد جئناك بآية من ربك، والسلام على من اتبع الهدى، إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى**﴾: هذا كله كلام الله الذي أمرهما بتبليغه إلى فرعون، كما يدل لذلك تعقيبه بقوله تعالى: ﴿**قال: فمن ربكما يا موسى**﴾؟ قال ـ موسى ـ ﴿**ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**﴾: الكلمات في هذه الآيات واضحات.

﴿**قال فما بال القرون الأولى**﴾: قال فرعون لموسى: ما بال.. البال: كلمة دقيقة المعنى. تطلق على الحال المهمّ. ومصدره البالة بتخفيف اللام. وتطلق على الرأي، يقال: خطر كذا ببالي. ﴿**قال**﴾ ـ موسى ـ: ﴿**علمها عند ربي في كتاب**﴾: القرون الأولى علمها عند الله ثابت مكتوب لا شأن لي بها. ﴿**لا يضل ربي ولا ينسى**﴾. الضلال الخطأ في العلم. والنسيان: عدم تذكر الأمر المعلوم في ذهن العالم. ﴿**الذي جعل لكم الأرض مهاداً..**﴾ المهاد: يصح أن يكون اسم بمعنى الممهود؛ مثل الفراش.. ويصح أن يكون جمع مهد؛ مثل كعاب جمعاً لكعب. والمعنى: جعل الأرض ممهودة مسهلة للسير والجلوس والاضطجاع.. ﴿**وسلك لكم فيها سبلا..**﴾ سلك: فعل مشتق من السلوك. يقال: سلك طريقاً: دخله مجتازاً.

والسبل: جمع سبيل. والمراد بالسبل: كل سبيل يمكن السير فيه. ﴿**وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى**﴾: لما ذكر منّة خلق الأرض شفعها بمنة إخراج النبات منها بما ينزل عليها من السماء من ماء.. ﴿**فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى**﴾: ترتب على إنزال الماء من السماء إخراج أنواع النبات المتكون من الذكر والأنثى؛ مثل الحيوان والإنسان. والنبات: كل ما ينبت في الأرض من شجر وزرع وعشب.. وشتى: جمع شتيت. والشتيت: المبعد من هنا وهناك. وأريد به هنا التباعد في الصفات من الشكل واللون والطعم.. فبعضها صالح للإنسان، وبعضها للحيوان: ﴿**كلوا وارعوا أنعامكم..**﴾ فالأكل: إدخال الطعام في البطن والرعي: مراعاة الحيوان في الحقل.

والأنعام: نوع من الحيوان. وهو الإبل والبقر والغنم. ﴿**إن في ذلك لآيات لأولي النهي**﴾: إشارة إلى ما ذكر من أفعال الله تعالى النافعة للإنسان والحيوان.. فهذه دلائل واضحة لأهل العقول الراجحة. والنهي: اسم جمع نُهْيَة. والنهية: العقل. سمى نهية لأنه سبب انتهاء المتحلّى به عن كثير من الأعمال السيئة.. فلهذا سمي بالعقل والحجر. ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾: من الأرض بَدْءُ خلقِكم وهو آدم خلق من تراب الأرض وأنتم منه: ﴿**خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء**﴾. وفي الأرض تعودون بعد الموت بالدفن فيها. ومنها تخرجكم يوم البعث: ﴿**يوم**

يخرجون من الأجداث سراعاً. .﴾ والتارة: المرة. وجمعها تارات. والأخرى: غير الأولى: ﴿**كما بدأكم تعودون**﴾. كما بدأنا أول خلق نعيده.

مبحث الإعراب

﴿**طه**﴾ حرفان مسرودان لا محل لهما من الإعراب. ﴿**ما أنزلنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**عليك**﴾ متعلق به. ﴿**القرآن**﴾ مفعول به. ﴿**لتشقى**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. ونصبه مقدر على الألف. والفاعل ضمير المتكلم. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بأنزلنا. ما أنزلنا عليك القرآن لشقاوتك به. ولكن أنزلناه ﴿**تذكرة**﴾ حال من ضمير القرآن. ﴿**لمن**﴾ متعلق بتذكرة. ﴿**يخشى**﴾ فعل مضارع. وفاعله ضمير يعود على من. وهو صلتها. ﴿**تنزيلاً**﴾ مفعول مطلق لفعل مقدر. أي: نُزّل تنزيلاً. ﴿**ممن**﴾ متعلق به. ﴿**خلق**﴾ فعل ماض صلة من. ﴿**الأرض**﴾ مفعول به.

﴿**والسماوات**﴾ معطوف على الأرض منصوب بالكسرة. ﴿**العلى**﴾ نعت للسماوات منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**الرحمن**﴾ خبر لمبتدأ محذوف. هو الرحمان. ﴿**على العرش**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**استوى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الرحمان. وجملة على العرش استوى خبر ثان. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**ما**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**وما في الأرض**﴾ معطوف على ما في السموات. ﴿**وما بينهما**﴾ كذلك. ﴿**وما تحت الثرى**﴾ مثله. ﴿**وإن تجهر**﴾ فعل مضارع مجزوم بإن فعل الشرط. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**بالقول**﴾ متعلق بتهجر. ﴿**فإنه**﴾ إن واسمها دخل عليها فاء الربط.

﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**السر**﴾ مفعول به. ﴿**وأخفى**﴾ أفعل تفضيل معطوف على السر. وجملة يعلم خبر إن. وجملة فإنه يعلم السر وأخفى في محل جزم جواب الشرط. وجملة وإن تجهر بالقول. . معطوفة على جملة له ما في السماوات. . ﴿**الله**﴾ خبر لمبتدأ محذوف. ﴿**لا إله**﴾ لا واسمها. وهو مبني على الفتح في محل نصب. ﴿**إلا هو**﴾ بدل من الخبر المقدر؛ والتقدير: لا إله موجودٌ إلا هو. وجملة لا إله إلا هو خبر ثان. ﴿**له**﴾

متعلق بمحذوف خبرٌ مقدم. ﴿**الأسماء**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**الحسنى**﴾ نعت للأسماء. والجملة خبر ثالث. ﴿**وهل أتاك**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف الاستفهام وواو العطف. والضمير المتصل بالفعل مفعول به. ﴿**حديث**﴾ فاعل أتى.

﴿**موسى**﴾ مضاف إلى حديث. ﴿**إذ**﴾ ظرف متعلق بحديث. ﴿**رأى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على موسى. ﴿**ناراً**﴾ مفعول به. ﴿**فقال موسى لأهله**﴾ متعلق بقال. ﴿**امكثوا إني**﴾ إن واسمها. ﴿**آنست ناراً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إنّ. وجملة امكثوا إني آنست.. مقول القول. ﴿**لعلي**﴾ لعل واسمها. ﴿**آتيكم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على موسى. والضمير المتصل بالفعل مفعول به. وجملة آتيكم خبر لعل. ﴿**منها بقبس**﴾ متعلقان بآتيكم. ﴿**أو أجد**﴾ معطوف على آتيكم. ﴿**على**﴾ النار متعلق بأجد. ﴿**هدى**﴾ مفعول به. منصوب بفتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿**فلما**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط مرتب على ما قبله بالفاء. ﴿**أتاها**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على موسى. والضمير المتصل بالفعل مفعول به.

﴿**نودي**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على موسى. والجملة جواب لمّا. ﴿**يا موسى**﴾ منادى مبني على ضم مقدر في محل نصب. ﴿**إني**﴾ إن واسمها. ﴿**أنا**﴾ ضمير فصل. ﴿**ربُّك**﴾ خبر إن. ﴿**فاخلع**﴾ فعل أمر. والفاعل ضمير المخاطب. والفاء للتعقيب. ﴿**نعليك**﴾ مفعول به منصوب بالياء. والضمير المتصل به مضاف إليه. ﴿**إنك**﴾ إن واسمها. ﴿**بالوادي**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**المقدس**﴾ نعت للوادي. ﴿**طوى**﴾ نعت ثان. وجملة إنك بالوادي.. تعليل. ﴿**وأنا**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**اخترتك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر المبتدأ. ﴿**فاستمع**﴾ فعل أمر مفرع على ما قبله. ﴿**لما**﴾ متعلق باستمع. ﴿**يوحى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على ما. والجملة صلة الموصول.

﴿**إنني**﴾ إن واسمها. والنون الثانية للوقاية. ﴿**أنا**﴾ ضمير فصل. ﴿**الله**﴾ خبر إن. ﴿**لا إله إلا أنا**﴾ تقدم اعراب مثلها. ﴿**فاعبدني**﴾ فعل أمر مفرع على ما قبله. ﴿**وأقم**﴾ معطوف على الأمر قبله. ﴿**الصلاة**﴾ مفعول به. ﴿**لذكري**﴾ متعلق بأقم. ﴿**إن الساعة آتية**﴾ جملة إنّ واسمها وخبرها تعليل. ﴿**أكاد**﴾ من أفعال المقاربة

تعمل عمل كان. واسمها ضمير المتكلم. ﴿**أخفيها**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة أخفيها في محل نصب خبر أكاد. وجملة أكاد. . في محل نصب حال من الساعة. ﴿**لتجزي**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**كل**﴾ نائب الفاعل. ﴿**نفس**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**بما تسعى**﴾ بسعيها متعلق بتجزى. ولتجزى متعلق بآتية.

﴿**فلا يصدنك**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد في محل جزم بلا الناهية. والفاء للتفريع. والضمير المتصل بالفعل مفعول به. ﴿**عنها**﴾ متعلق بما قبله. ﴿**من**﴾ فاعل في محل رفع. ﴿**لا يؤمن**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. والفاعل ضمير يعود على من. والجملة صلة الموصول. ﴿**بها**﴾ متعلق بيؤمن. ﴿**واتبع**﴾ فعل ماض معطوف على ما قبله. والفاعل ضمير يعود على ما عاد عليه فاعل لا يؤمن. ﴿**هواه**﴾ مفعول به. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**فتردى**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية واقع بعد النهي. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**وما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**تلك**﴾ في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿**بيمينك**﴾ متعلق بمحذوف حال من اسم الإشارة. ﴿**يا موسى**﴾ منادى. . ﴿**قال**﴾ موسى. ﴿**هي**﴾ في محل رفع مبتدأ.

﴿**عصاي**﴾ خبر المبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الألف. وعصا مضاف وياء المتكلم مضاف إليه. وجملة هي عصاي مقول القول. ﴿**أتوكأ**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**عليها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وأهش بها**﴾ مثل أتوكأ عليها في الإعراب. ﴿**على غنمي**﴾ متعلق بأهش. وجملة أتوكأ عليها وما بعدها بيان لقوله: هي عصاي. ﴿**ولي**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. والواو للعطف ﴿**فيها**﴾ كذلك. ﴿**مآرب**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**أخرى**﴾ نعت لمآرب مرفوع بضمة مقدرة على الألف. وجملة هي عصاي مقول القول. ﴿**قال**﴾ الله تعالى ﴿**ألقها**﴾ فعل أمر مبني على حذف الباء. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير المخاطب. يا موسى. . وجملة ألقها مقول القول.

﴿**فألقاها**﴾ فعل ماض مرتب على فعل الأمر. والفاعل ضمير يعود على موسى. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**فإذا هي**﴾ في محل رفع مبتدأ. دخلت

عليه إذا الفجائية وفاء التعقيب. ﴿**حية**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**تسعى**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الحية والجملة نعت لها. ﴿**قال**﴾ الله تعالى ﴿**خذها**﴾ فعل أمر مقول القول.. ﴿**ولا تخف**﴾ معطوف على خذ. ﴿**سنعيدها**﴾ فعل مضارع والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**سيرتها**﴾ منصوب على نزع الخافض. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**الأولى**﴾ نعت لسيرتها. ﴿**واضمم**﴾ معطوف على خذ.. ﴿**يدك**﴾ مفعول به. ﴿**إلى جناحك**﴾ متعلق باضمم. ﴿**تخرج**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر. والفاعل ضمير يعود على اليد.

﴿**بيضاء**﴾ منصوب على الحال من اليد. ﴿**من غير**﴾ متعلق بمحذوف حال من بيضاء. ﴿**سوء**﴾ مضاف إلى غير ﴿**آية**﴾ منصوب على الحال من فاعل تخرج.. ﴿**أخرى**﴾ نعت لآية منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**لنريك**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**من**﴾ في محل نصب مفعول ثان. أي: بعض ﴿**آياتنا**﴾ جُرّت بمن. ﴿**الكبرى**﴾ نعت لآياتنا. ﴿**اذهب**﴾ فعل أمر.. ﴿**إلى فرعون**﴾ متعلق باذهب. ﴿**إنه**﴾ إن واسمها. ﴿**طغى**﴾ فعل ماضٍ. والفاعل ضمير يعود على فرعون. والجملة في محل رفع خبر إن. وجملة إنه طغى تعليل. ﴿**قال**﴾ موسى: ﴿**رب**﴾ منادى حذف منه حرف النداء وياء المتكلم تخفيفاً. ﴿**اشرح**﴾ فعل دعاء. ﴿**لي**﴾ متعلق به. ﴿**صدري**﴾ مفعول به.

﴿**ويسر**﴾ معطوف على اشرح. ﴿**لي**﴾ متعلق بيسر. ﴿**أمري**﴾ مفعول به. ﴿**واحلل**﴾ كذلك. ﴿**عقدة**﴾ مفعول به. ﴿**من لساني**﴾ متعلق بمحذوف نعت لعقدة. ﴿**يفقهوا**﴾ فعل وفاعل. وجزم الفعل في جواب الدعاء. ﴿**قولي**﴾ مفعول به. ﴿**واجعل لي**﴾ مثل اشرح لي في الاعراب. ﴿**وزيراً**﴾ مفعول به. ﴿**من أهلي**﴾ متعلق بمحذوف نعت لوزير. ﴿**هارون**﴾ مفعول أول لاجْعلْ. والمفعول الثاني وزيراً. ﴿**أخي**﴾ عطف بيان لهارون. ﴿**اشدد**﴾ فعل دعاء. والفاعل ضمير يعود على الرب. ﴿**به**﴾ متعلق باشدد. ﴿**أزري**﴾ مفعول به. ﴿**وأشركه في أمري**﴾ معطوف على اشدد. وهو مثله في الإعراب. ﴿**كي نسبحك**﴾ كي تعليلية مثل اللام. والفعل منصوب بأن مضمرة بعد كي وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بكي، والفاعل نحن، والضمير المتصل بالفعل مفعول.

﴿**كثيراً**﴾ نعت لمفعول مطلق مقدر. أي: تسبيحاً كثيراً. ﴿**ونذكرك كثيراً**﴾ معطوف على نسبحك. ﴿**إنك**﴾ إن واسمها. ﴿**كنت**﴾ كان واسمها. ﴿**بنا**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**بصيراً**﴾ خبر كان. وجملة كنت بنا بصيراً خبر إن. وجملة إنك كنت.. تعليل. ﴿**قال**﴾ الله تعالى: ﴿**قد أوتيت**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ونائب الفاعل تاء المخاطب. وقد للتحقيق. ﴿**سؤلك**﴾ مفعول به. يا موسى.. ﴿**ولقد مننا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق ولام التوكيد وواو العطف. ﴿**عليك**﴾ متعلق بمننا. ﴿**مرة**﴾ مفعول مطلق منصوب بالفتحة. أخرى نعت لمرة منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**إذ**﴾ ظرف متعلق بمننا. ﴿**أوحينا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**إلى أمك**﴾ متعلق بأوحينا.

﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول أوحينا. ﴿**يوحى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على ما والجملة صلة ما. ﴿**أن أقذفيه**﴾ فعل أمر مبني على حذف النون. والفاعل ياء المخاطبة. والضمير المتصل به مفعول. والجملة مفسرة بأن. ﴿**في التابوت**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**فاقذفيه في اليم**﴾ مرتب على ما قبله. وهو مثله في الإعراب. ﴿**فليلقه**﴾ فعل مضارع مجزوم بلام الأمر مرتب على ما قبله. ﴿**اليم**﴾ فاعل. ﴿**بالساحل**﴾ متعلق بيلقه. ﴿**يأخذه**﴾ مجزوم في جواب الأمر. ﴿**عدو**﴾ فاعل. لي متعلق بعدو. ﴿**وعدو**﴾ معطوف على الفاعل. له متعلق به. ﴿**وألقيت**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**عليك**﴾ متعلق بألقيت. ﴿**محبة**﴾ مفعول به. ﴿**مني**﴾ متعلق بمحذوف نعت ﴿**ولتصنع**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والواو للعطف. ونائب الفاعل ضمير المخاطب.

﴿**على عيني**﴾ متعلق بتصنع. ﴿**إذ**﴾ ظرف متعلق بتصنع. ﴿**تمشي أختك**﴾ فعل وفاعل ﴿**فتقول**﴾ مرتب على تمشي. ﴿**هل أدلكم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**على من**﴾ متعلق بأدلكم. ﴿**يكفله**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على من. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة يكفله صلة الموصول. ﴿**فرجعناك**﴾ فعل وفاعل ومفعول مرتب على ما قبله. ﴿**إلى أمك**﴾ متعلق برجعناك. ﴿**كي تقر**﴾ فعل مضارع منصوب بكي بتقدير اللام قبل كي. إذا نصب الفعل بكى قُدِّر لام التعليل.

وكي مصدرية مثل أن. ﴿**عينها**﴾ فاعل. ﴿**ولا تحزن**﴾ معطوف على تقر. ﴿**وقتلت نفساً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**فنجيناك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. مرتب على ما قبله.

﴿**من الغم**﴾ متعلق بنجيناك. ﴿**وفتناك**﴾ معطوف على نجيناك. ﴿**فتونا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**فلبثت**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**سنين**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**في أهل**﴾ متعلق بلبثت. ﴿**مدين**﴾ مضاف إلى أهل مجرور بالفتحة للعلمية والتأنيث. ﴿**ثم جئت**﴾ فعل وفاعل معطوف على ما قبله بثم. ﴿**على قدر**﴾ متعلق بجئت. ﴿**يا موسى واصطنعتك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**لنفسي**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**اذهب**﴾ فعل أمر. ﴿**أنت**﴾ في محل رفع فاعل. ﴿**وأخوك**﴾ معطوف عليه مرفوع بالواو. ﴿**بآياتي**﴾ متعلق بمحذوف حال من الفاعل. ﴿**ولاتنيا**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون. وألف المثنى في محل رفع فاعل. والجملة معطوفة على اذهب. ﴿**في ذكرى**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**اذهبا**﴾ أمر للاثنين. ﴿**إلى فرعون**﴾ متعلق باذهبا.

﴿**إنه**﴾ إن واسمها. ﴿**طغى**﴾ فاعله ضمير يعود على فرعون. وجملة إنه طغى تعليل. ﴿**فقولا**﴾ معطوف على اذهبا مرتب عليه. ﴿**له**﴾ متعلق بقولا. ﴿**قولاً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**ليناً**﴾ نعت له. ﴿**لعله**﴾ لعل واسمها. ﴿**يتذكر**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على فرعون. وجملة يتذكر في محل رفع خبر لعل. وجملة لعله. . تعليل. ﴿**أو يخشى**﴾ معطوف على يتذكر. مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿**قالا**﴾ موسى وهارون. ﴿**ربنا**﴾ منادى حذف منه حرف النداء. منصوب بالفتحة. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**إننا**﴾ إن واسمها. ﴿**نخاف**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. وجملة نخاف في محل رفع خبر إن. وجملة إنا نخاف مقول القول. ﴿**أن يفرط**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير يعود على فرعون.

﴿**علينا**﴾ متعلق بيفرط. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول نخاف. والتقدير: نخاف فرطه علينا بتعجيل العقوبة. . ﴿**أو أن يطغى**﴾ معطوف على أن يفرط. أي: أو طغيانه. ﴿**قال**﴾ الله تعالى: ﴿**لا تخافا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لا الناهية فجزمته. والجملة مقول القول. ﴿**إنني**﴾ إن واسمها. ﴿**معكما**﴾ متعلق بمحذوف خبر إن. وجملة إنني معكما تعليل. ﴿**أسمع**﴾ فعل

مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. والجملة حال من اسم إن. ﴿**وأرى**﴾ معطوف على أسمع. ﴿**فأتياه**﴾ فعل أمر للاثنين مرتب على ما قبله. ﴿**فقولا**﴾ مرتب على فأتياه. ﴿**إنا**﴾ إن واسمها ﴿**رسولاً**﴾ خبر إن مرفوع بالألف. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى رسولاً.

﴿**فأرسل**﴾ فعل أمر مرتب على ما قبله. ﴿**معنا**﴾ متعلق بأرسل. ﴿**بني**﴾ مفعول به منصوب بالياء. ﴿**إسراءيل**﴾ مضاف إلى بني. مجرور بالفتحة.. ﴿**ولا تعذبهم**﴾ معطوف على فأرسل. والفعل مجزوم بلا الناهية. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على فرعون. ﴿**قد جئناك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف التحقيق. ﴿**بآية**﴾ متعلق بجئناك. ﴿**من ربك**﴾ متعلق بمحذوف نعت لآية. ﴿**والسلام**﴾ مبتدأ. ﴿**على من**﴾ متعلق بمحذوف خبره. ﴿**اتبع**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة الموصول. ﴿**الهدى**﴾ مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**إنّا**﴾ إن واسمها. ﴿**قد أوحى إلينا**﴾ قد والفعل ونائب الفاعل في محل رفع خبر إن. ﴿**أن العذاب**﴾ أنّ واسمها. ﴿**على من**﴾ متعلق بمحذوف خبر أن.

﴿**كذب**﴾ صلة من. ﴿**وتولى**﴾ عطف على كذّب. وجملة أن العذاب تفسير لقوله: أوحى إلينا. ﴿**قال**﴾ فرعون: ﴿**فمن**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**ربكما**﴾ خبر المبتدأ. والجملة مرتبة على ما قبلها. وهي في محل نصب مقول القول. يا موسى.. ﴿**قال**﴾ موسى: ﴿**ربُنا**﴾ مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبر. ﴿**أعطى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الرب. والجملة صلة الذي. ﴿**كل شيء**﴾ مفعول أول. خلقه مفعول ثان. ويصح العكس. ﴿**ثم هدى**﴾ معطوف على أعطى.. ﴿**قال**﴾ فرعون: ﴿**فما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. مرتب على ما قبله. ﴿**بالُ**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**القرون**﴾ مضاف إلى بال. ﴿**الأولى**﴾ نعت للقرون. ﴿**قال**﴾ موسى: ﴿**علمها**﴾ مبتدأ. ﴿**عند**﴾ متعلق بمحذوف خبر.. ﴿**ربي**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**في كتاب**﴾ متعلق بمحذوف حال من العلم.

﴿**لا يضل ربي**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**ولا ينسى**﴾ معطوف على لا يضل. والجملة بيان لقوله: علمها عند ربي. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف. ﴿**جعل**﴾ صلة الذي. ﴿**لكم**﴾ متعلق بالصلة. ﴿**الأرض**﴾ مفعول

أول. ﴿**مهاداً**﴾ مفعول ثان. ﴿**وسلك**﴾ معطوف على جعل. ﴿**لكم فيها**﴾ متعلقان بسلك. ﴿**سبلاً**﴾ مفعول به. ﴿**وأنزل**﴾ معطوف على جعل. ﴿**من السماء**﴾ متعلق بأنزل. ﴿**ماء**﴾ مفعول به. ﴿**فأخرجنا**﴾ فعل وفاعل مرتب على أنزل. ﴿**به**﴾ متعلق بأخرجنا. ﴿**أزواجاً**﴾ مفعول به. ﴿**من نبات**﴾ متعلق بمحذوف نعت لأزواج. ﴿**شتى**﴾ نعت ثان. ﴿**كلوا**﴾ فعل أمر للجماعة المخاطبين. ﴿**وارعوا**﴾ معطوف على كلوا. ﴿**أنعامكم**﴾ مفعول به. ﴿**إن في ذلك**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**لآيات**﴾ اسم إنّ مؤخر. واللام للتوكيد. ﴿**لأولى**﴾ متعلق بآيات. ﴿**النهي**﴾ مضاف لأولي. مجرورة بكسرة مقدرة على الألف. وجملة إن في ذلك لآيات. . . تعليل. ﴿**منها**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**خلقناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**وفيها نعيدكم**﴾ معطوف على منها خلقناكم. وهو مثله في الإعراب. ﴿**ومنها نخرجكم**﴾ كذلك. ﴿**تارة**﴾ مفعول مطلق. أخرى نعت له.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. .**﴾ فهذه السورة سميت بحرفين من الحروف الهجائية: الطاء، والهاء. وهما الحرفان اللذان ابتدأت بهما السورة. ومعروف أن الابتداء بالحروف الهجائية الغرض منه تحدي العرب بهذا القرآن الذي تركبت كلماته وجُمَلُه وآياته من هذه الحروف. . وعدد آيات هذه السورة: مائة وأربع وثلاثون آية عند أهل المدينة. . مناسبة هذه السورة لسورة مريم: لما ذكر الله قصة زكرياء ويحيى ومريم وعيسى بالتفصيل. وكذلك قصة إبراهيم مع أبيه وقومه بنوع من التفصيل، وذكر قصة موسى وهارون مختصرة.

وكذلك ذكر آدم. . فصل في هذه السورة قصة موسى وهارون. . ثم ذكر قصة آدم وفيها بسط وتفصيل أكثر مما في مريم وقد اشتركت السورتان بابتدائهما بالحروف الهجائية. . ووجه ربط أول هذه بآخر ما قبلها: لما ذكر تيسير القرآن على لسان الرسول معللاً بتبشير المتقين وإنذار المعاندين في آخر سورة مريم، ذكر في أول سورة طه ما فيه نوع من تأكيد ذلك ـ ﴿**ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. .**﴾ فهذه الآية مستأنفة مسوقة لتسلية النبيء ـ ﷺ ـ مما كان يعتريه من جهة المشركين من مشقة إعراضهم وعدم اهتمامهم بهذه الدعوة التي جاء بها؛ لخيرهم ومنفعتهم. . ففيها ملاطفة وتسلية له ـ عليه الصلاة والسلام: بأن الله لم يرد من

إرساله وإنزال القرآن عليه أن يشقى بذلك. . ولكن أراد أن يذكر بالقرآن من يخاف وعيده. . ووقوع فعل أنزلنا في سياق النفي يقتضي عموم مدلوله. . إلا تذكرة لمن يخشى.

﴿**تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى**﴾: المقصود من هذا الكلام التنويه بالقرآن والعناية به. وتشريف من أُنزل عليه. فعظمة المنزل تؤذن بشرف المنزل عليه. . ولزيادة التوضيح في هذا المقام جاء قوله تعالى: ﴿**الرحمان على العرش استوى. له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى**﴾. وأتبع ما دل على عظمة سلطانه بما يزيده تقريراً وتوضيحاً، وهو جملة ﴿**له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى. .**﴾ وهي بيان لجملة ﴿**الرحمان على العرش استوى**﴾. والجملتان تدلان على عظيم قدرته؛ لأن ذلك هو المقصود من سعة السلطان. وتقديم المجرور في قوله: ﴿**له ما في السماوات. .**﴾ للقصر، رداً على زعم المشركين أن لآلهتهم تصرفات في الأرض، وأن للجن اطلاعاً على الغيب. . ولتقرير الرد ذكرت أنحاء الكائنات. وهي ﴿**السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى**﴾.

وجملة ﴿**وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى**﴾ بيان لإحاطة علمه لجميع الأشياء إثر بيان سعة سلطانه وشمول قدرته لجميع الكائنات. . فالكلام متصل بما قبله بالعطف. وصيغ النظم في قالب الشرط والجزاء زيادة في تحقيق حصوله على طريقة ما يسمى بالمذهب الكلامي. وهو سوق الخبر في صيغة الدليل على وقوعه تحقيقاً له. وهذا أسلوب متبع عند البلغاء شائع في كلامهم بأساليب كثيرة. وذلك في كل شرط لا يُقصد به التعليق، بل يُقْصَدُ به التحقيق!

وجواب شرط وإن تجهر بالقول محذوف يدل عليه قوله: ﴿**فإنه يعلم السر وأخفى**﴾. والتقدير: فلا تشق على نفسك فإنه يعلم. . فلا مزية للجهر. والمراد بأخفى من السر: ما يتكلم اللسان من حديث النفس ونحوه من الأصوات التي هي أخفى من كلام السر. ﴿**الله لا إله إلا هو**﴾: هذا تذييل لما قبله؛ لأن ما قبله متضمن لشمول الخلق والقدرة وسعة السلطان. . فجاء هذا التذييل بما يجمع هذا كله. . وتقديم المجرور في قوله: ﴿**له الأسماء الحسنى**﴾ للاختصاص. ووصف الأسماء بالحسنى لأنها دالة على حقائق كاملة بالنسبة إلى المسمى بها سبحانه

وتعالى. ﴿**وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً**﴾: الكلام موصول بالعطف على قوله: ﴿**ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى..**﴾ فهو مسوق لتقرير أمر التوحيد الذي ينتهي إليه مساق الحديث.. وبيان أنه أمر مستمر فيما بين الأنبئاء.. والاستفهام مستعمل في التشويق إلى الخبر مجازاً.

وأوثر حرف هل في هذا المقام لما فيه من معنى التحقيق؛ لأن هل في الاستفهام مثل قد في الإخبار. وإذ ظرف للحديث. وخص هذا الظرف بالذكر لأنه يزيد تشويقاً إلى استعلام كنه الخبر. ورؤية النار تدل على أن ذلك كان بليل، وأنه كان بحاجة إلى النار؛ ولذلك فرع عليه: ﴿**فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً..**﴾ وتأكيد الخبر بإنّ لقصد الاهتمام به بشارة لأهله إذ كانوا في الظلمة والبرد: ﴿**لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى**﴾. وأو في قوله: ﴿**أو أجد على النار هدى**﴾ للتخيير؛ لأن إتيانه بقبس أمر محقق. وحرف على مستعمل في الاستعلاء المجازي.

﴿**فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى**﴾: تعقيب على قوله: ﴿**لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى**﴾. والضمير في آتاها يعود على النار التي رآها.. بُني فعل النداء للمجهول زيادة في التشويق إلى استطلاع القصة.. فإبهام المنادي يُشَوّق سامع الآية إلى معرفته، فإذا فاجأه ﴿**إني أنا ربك**﴾ علم أن المنادى هو الله تعالى.. فتمكن في النفس كمال التمكن. ولأنه أدخل في تصوير الحالة بأن موسى ناداه منادٍ غيرُ معلوم له.. فحُكي نداؤه بالفعل المبني للمجهول.

وجملة: ﴿**إني أنا ربك**﴾ بيان لجملة نودي. وتأكيد الخبر بحرف إن لتحقيقه؛ لأجل غرابته، دفعا لتطرق الشك عن موسى في مصدر هذا الكلام. وجملة ﴿**فاخلع نعليك**﴾ مفرع على النداء الموجه من الله إلى موسى. وعلله بقوله: ﴿**إنك بالواد المقدس طوى**﴾. والأمر بخلع النعلين كناية عن الاستقرار ونهاية طِيّ السفر.. فقوله: ﴿**وأنا اخترتك**﴾ موصول بالعطف على ما قبله.

وهو إعلام من الله لموسى بأنه قد اختاره لأمر مهم. ولهذا رتب عليه قوله: ﴿**فاستمع لما يوحى: إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني..**﴾ فجملة ﴿**إنني أنا الله**﴾ بيان للوحي الذي أمر الله موسى بالاستماع إليه.. ثم بين ما يجب لله أوّلاً. وهو

توحيده وعبادته وحده.. وقوله: ﴿**وأقم الصلاة لذكرى**﴾ بيان لكيفية العبادة، وتوضيح الغرض منها.. ثم بين كمال الدين بتحقيق عقيدة البعث والحساب: ﴿**إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى**﴾. وفرع على كون الساعة آتية وأنها مخفاة التحذير من أن يصده عن الإيمان بها قوم لا يؤمنون بوقوعها اغتراراً بتأخر ظهورها: فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها.

فالتفريع على قوله: ﴿**أكاد أخفيها**﴾ أوقع؛ لأن ذلك الإخفاء هو الذي يشبّه به الذين أنكروا البعث على الناس. وصيغ نهيُ موسى عن الصد عنها في صيغة نهي من لا يؤمن بالساعة عن أن يصد موسى عن الإيمان بها، مبالغة في نهي موسى عن أدنى شيء يحول بينه وبين الإيمان بالساعة. وزيادة ﴿**واتبع هواه**﴾ للإيماء بالصلة إلى تعليل الصد. أي: لا داعي لهم للصد عن الإيمان بالساعة إلا اتباع الهوى دون دليل ولا شبهة.. بل الدليل يقتضي الإيمان بالساعة كما أشار إليه قوله: ﴿**لتجزي كل نفس بما تسعى**﴾. وفرع على النهي أنه إن صُدّ عن الإيمان بالساعة ردى: ﴿**فتردى**﴾.

والردى: الهلاك. وهو استعارة لأسوإ الحال! وقد جاء خطاب الله لموسى بطريقة الاستدلال على كل حكم وأمر أو نهي.. فابتدئ بالإعلام بأن الذي يكلمه هو الله، وأنه لا إله إلا هو.. ثم فرع عليه الأمر في قوله: ﴿**فاعبدني، وأقم الصلاة لذكري..**﴾ ثم عقب بإثبات الساعة، وعلل بأنها: ﴿**لتجزى كل نفس بما تسعى..**﴾ ثم فرع عليه النهي عن أن يصده عنها من لا يؤمن بها.. ثم فرع على النهي أنه إن ارتكب ما نهى عنه هلك وخسر. ﴿**وما تلك بيمينك يا موسى**﴾؟ الكلام موصول بالعطف على ما قبله انتقالاً إلى محاورة أراد الله منها أن يُريَ موسى كيفية الاستدلال على المرسل إليهم بالمعجزة العظيمة.. فإبراز انقلاب العصا حية في خلال المحاورة لقصد تثبيت موسى، ودفع الشك عن أن يستطرقه لو أمره بذلك دون تجربة؛ لأن مشاهِد الخوارق تسارع بالنفس بادئ ذي بدء إلى تأويلها، وتُدخل عليها الشك في إمكان استتار المعتاد بأثر خفي أو تخييل؛ لذلك ابتدئ بسؤاله عما بيده ليوقن أنه ممسك بعصاه.. حتى إذا انقلبت حية لم يشك في أن تلك الحية هي التي كانت عصاه.. فالاستفهام مستعمل في تحقيق حقيقة المسؤول عنه والقصد من ذلك زيادة اطمئنان قلبه بأنه في مقام الاصطفاء، وأن

الكلام الذي سمعه كلام من قِبَل الله بدون واسطة متكلم معتاد ولا في صورة المعتاد؛ كما دل عليه قوله بعد ذلك ﴿**لنريك من آياتنا الكبرى**﴾.

وفي هذا إيماء إلى أن السؤال عن أمر غريب في شأن العصا؛ ولذلك أجاب موسى عن هذا الاستفهام بيان ماهية المسؤول عنه جريا على الظاهر، وببيان بعض منافعها.. فابتدأ موسى ببيان الماهية بأسلوب يؤذن بانكشاف حقيقة المسؤول عنه، وتوقع أن السؤال عنه توسل لطلب بيان وراءه.. فقال: ﴿**هي عصاي..**﴾ فذكر المسند إليه على غير الغالب.. مع أن غالب الاستعمال حذفه في مقام السؤال.. فكان الإيجاز يقتضي أن يقول: عصاي.. فلما قال: ﴿**هي عصاي**﴾، كان الأسلوب أسلوب كلام من يتعجب من الاحتياج إلى الإخبار. ولذلك عقب موسى جوابه بيان الغرض من اتخاذها لعله أن يكون هو قصد السائل فقال: ﴿**أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى..**﴾ ففصل.. ثم أجمل؛ لينظر مقدار اقتناع السائل.. حتى إذا استزاده بياناً زاده.

﴿**قال ألقها يا موسى..**﴾ في هذا الكلام التفات من التكلم إلى الغيبة لغرض حكاية المحاورة التي بين الله وبين موسى. وتكرير النداء لتأكيد التنبيه. ﴿**قال: خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى**﴾: أعيد فعل قال بدون عطف لوقوعه في سياق المحاورة. وفي عطف النهي على الأمر اشعار بأن عدم المنهى عنه مقصود لذاته لا لتحقق المأمور به فقط. وقوله: سنعيدها سيرتها الأولى مع كونه استئنافاً مسوق لتعليل الامتثال بالأمر والنهي؛ فإن إعادتها لما كانت عليه من موجبات أخذها، وعدم الخوف منها عدة كريمة بإظهار معجزة أخرى على يد موسى، وإيذان بكون العصا مسخرة له؛ ليكون على طمأنينة من أمره ولا يعتريه شائبة تزلزل عند محاجة فرعون.

﴿**واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى**﴾: وصل الكلام بالعطف على ما قبله إظهاراً لمعجزة أخرى بعد العصا. ولهذا قال: آية أخرى. والتعليل في قوله: ﴿**لنريك من آياتنا الكبرى**﴾ راجع إلى تكرير الآية.. فهي آيات كبرى: قوية ظاهرة الدلالة على صحة دعوتك وبلوغ غايتك.. ﴿**اذْهَبْ إلى فرعون إنه طغى**﴾: تخلص إلى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات السالفة.. فصل عما قبله من الأوامر إيذاناً بأصالته. وقوله: إنه طغى تعليل للأمر بالذهاب

إليه، وإنما صلحت للتعليل لأن المراد ذهاب خاص. وهو إبلاغ ما أمر الله بإبلاغه إليه من تغيير عما هو عليه من كفر وطغيان.

ولما علم موسى ذلك لم يبادر بالمراجعة في الخوف من ظلم فرعون.. بل تلقى الأمر وسأل الله الإعانة عليه بما يؤول إلى رباطة جأشه وخلق الأسباب التي تعينه على تبليغه، وإعطائه فصاحة القول للإسراع بالإقناع بالحجة: ﴿**قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**..﴾ رتب موسى الأشياء المسؤولة في كلامه على حسب ترتيبها في الواقع على الأصل في ترتيب الكلام.. فسأل أولاً شرح صدره.. فهو استعارة لإزالة ما في نفس الإنسان من خواطر تكدره، أو توجب تردده في الإقدام على عمل ما. تشبيهاً بتشريح اللحم بجامع التوسعة.. ثم سأل ثانياً تيسير أمره.

بإزالة الموانع الحافة بما كلف به.. ثم سأل ثالثاً سلامة آلة التبليغ؛ بأن يرزقه فصاحة اللسان على التعبير، والمقدرة على أداء مراده بأوضح عبارة.. فشبه حبسة اللسان بالعقدة في الحبل أو الخيط ونحوهما لأنها تمنع سرعة استعماله. وزيادة لي بعد ـ اشرح ـ ويسر ـ إطناب؛ لأن الكلام مفيد بدونه.. ولكن سلك الإطناب لما تفيده اللام من معنى العلة. وهي اللام الملقبة لام التبيين التي تفيد قوة البيان.. فهو هنا ضرب من الإلحاح في الدعاء. وأما تقديم هذا المجرور على متعلقه فليحصلَ الإجمال.. ثم التفصيل. فيفيد مفاد التوكيد من أجل تكرر الاسناد.

ولم يأت بذلك مع قوله ﴿**واحلل عقدة من لساني**﴾؛ لأن ذلك سؤال يرجع إلى تبليغ رسالة الله إلى فرعون.. فليست فائدتها راجعة إليه حتى يأتي لها بلام التبيين. وفعل ﴿**يفقهوا**﴾ مجزوم في جواب الأمر على الطريقة المتبعة في القرآن من جعل الشيء المطلوب بمنزلة الحاصل عقب الشرط.. ثم سأل رابعاً إعانة أخيه له: ﴿**واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي**..﴾ فطلب إعانة هارون أخيه لفرط ثقته به، ولأنه كان فصيح اللسان مقوالاً مطلعاً على دخائل القوم وما يدور في دوائر السياسة والقصور.. وكونه أخاه أقوى في المناصحة. وكونه الأخ الخاص لأنه معلوم عنده بأصالة الرأي.

وجملة ﴿**اشدد به أزري**﴾ وأشركه في أمري بيان لجملة ﴿**اجعل لي وزيراً**..﴾ وعلل موسى مآله تحصيل لنفسه ولأخيه بأن يسبحا الله كثيراً، ويَذْكُرَا الله كثيراً..

ووجه ذلك أن فيما سأله لنفسه تسهيلاً لأداء الدعوة بتوفر آلاتها ووجود العون عليها. وذلك مظنة تكثيرها. وأيضاً فيما سأله لأخيه تشريكه في الدعوة ولم يكن لأخيه من قبل. وذلك يجعل من أخيه مضاعفة لدعوته. وذلك يبعث أخاه أيضاً على الدعوة. ودعوة كل منهما تشتمل على التعريف بصفات الله وتنزيهه.. فهي مشتملة على التسبيح، وفي الدعوة حث على العمل بوصايا الله تعالى عباده. وإدخال الأمة في حضرة الإيمان والتقوى وفي ذلك إكثار من ذكر الله بإبلاغ أمره ونهيه.

والذي ألجأ موسى إلى سؤال ذلك عِلْمُه بشدة فرعون وطغيانه ومنعه الأمة من مفارقة ضلالهم.. فعلم أن في دعوته فتنة للداعي. وجملة ﴿**إنك كنت بنا بصيراً**﴾ تعليل لسؤاله شرح صدره وما بعده.. فقوله: ﴿**قال قد أوتيت سؤلك يا موسى..**﴾ وَعْدٌ له بالإجابة، وتصديق له فيما توسمه من المصالح فيما سأله لنفسه ولأخيه. وهذا يدل على أن العقدة زالت عن لسانه؛ ولذلك لم يُحك فيما بعدُ أنه أقام هارون بمجادلة فرعون. وفي قوله: ﴿**يا موسى**﴾ تشريف له بشرف الخطاب إثر تشريفه بهذا الجواب.. ﴿**ولقد مننا عليك مرة أخرى**﴾: الكلام موصول بالعطف على جملة ﴿**قد أوتيت سؤلك يا موسى.**﴾ فجملة ﴿**قد أوتيت سؤلك**﴾ تتضمن منّةً عليه.. فعُطف عليها تذكير بمنّة عليه أخرى في وقت ازدياده ليعلم أنه لما كان بمحل العناية من ربه من أول أوقات وجوده.. فابتدأه بعنايته قبل سؤاله فعنايته به بعد سؤاله أحْرَى؛ ولأن تلك العناية الأولى تمهيد لما أراد الله به من الاصطفاء والرسالة.. فالكرم يقتضي أن الابتداء بالإحسان يستدعي الاستمرار عليه.. فهذا طمأنة لقلبه وشرح لصدره ليعلم أنه سيكون مؤيداً في سائر أحواله المستقبلة. وتأكيد الخبر بلام القسم وقد لتحقيق الخبر.

﴿**إذ أوحينا إلى أمك ما يوحي**﴾: ظرف لقوله ﴿**مننا عليك**﴾. وقوله: ﴿**أن اقذفيه في التابوت**﴾ تفسير لقوله: ﴿**إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى**﴾. وقوله: ﴿**فاقذفيه في اليم**﴾ مرتب على قوله: أن اقذفيه.. وقوله: ﴿**فليلقه اليم بالساحل**﴾ مرتب على قوله ﴿**فاقذفيه في اليم**﴾. وقوله: ﴿**يأخذه عدو لي وعدو له**﴾ مجزوم في جواب الأمر. وتكرير العدوّ للمبالغة. ﴿**وألقيت عليك محبة مني**﴾: موصول بالعطف على ما قبله. وإلقاء المحبة مجاز في تعلق المحبة به. ووصف المحبة

بأنها من الله للدلالة على أنها محبةٌ خارقة للعادة. . ﴿**ولتصنع على عيني**﴾: هذه الجملة متممة للجملة التي قبلها. والصنع مستعار للتربية والتنمية تشبيه لذلك بصنع شيء مصنوع.

﴿**إذ تَمْشِي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله، فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن**﴾: جملة ﴿**إذ تَمْشي أختك**﴾ زيادة بيان لقوله ﴿**إذ أوحينا. .**﴾ وتوضيح لقوله: ﴿**ولتصنع على عيني. .**﴾ فهذه زيادة منة على موسى لإكمال نمائه في رعاية أمه. . ومنة على أمه بنجاته ﴿**كي تقر عينها**﴾ به. ﴿**ولا تحزن**﴾ عليه بغِيَابِهِ عنها. ﴿**وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً**﴾: هذه منة أخرى ثالثة وُصِلَتْ بالعطف على المنة الثانية. . فهذه المنة خروج موسى من مصر ونجاته من القوم الظالمين الذين ائتمروا على قتله بعدما قتل القبطي. . ﴿**فلبثت سنين في أهل مدين**﴾: مرتب على قوله: ﴿**وفتناك فتوناً**﴾.

ورتب على هذا قوله: ﴿**ثم جئت على قدر يا موسى. .**﴾ فهو يفيد أن ما حصل لموسى من الأحوال كان مقدراً من الله تقديراً مناسباً متدرجاً، بحيث تكون أعماله وأحواله قد قدرها الله وحددها تحديداً منظماً لأجل اصطفائه وما أراد الله من إرساله. ومن هنا ختم الامتنان بما هو الفذلكة. وذلك جملة ﴿**واصطنعتك لنفسي**﴾ الذي هو بمنزلة رد العجز على الصدر، على قوله: ﴿**ولتصنع على عيني. .**﴾ فهو تخلص بديع إلى الغرض المقصود. وهو الخطاب بأعمال الرسالة المبتدأ من قوله: ﴿**وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى. .**﴾ ومن قوله: ﴿**اذهب إلى فرعون إنه طغى. .**﴾ فقوله: ﴿**واصطنعتك لنفسي**﴾ تمثيل لهيئة الاصطفاء لتبليغ الشريعة بهيئة من يصطنع شيئاً لفائدة نفسه فيصرف فيه غاية إتقان صنعه. ﴿**اذهب أنت وأخوك بآياتي**﴾: استئناف مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع. والباء في قوله بآياتي للمصاحبة. وذلك لقصد تطمين موسى بأنه سيكون مصاحباً لآيات الله. . ﴿**ولا تنيا في ذكري**﴾: موصول بالعطف على ما قبله عطف نهي على أمر. . فصيغة النهي مستعملة مع موسى في حقيقتها، ومع هارون في مجازها.

﴿**اذهبا إلى فرعون إنه طغى**﴾: بيان وتوضيح للأمر والنهي السابقين. وهو توكيد لقوله: ﴿**اذهب إلى فرعون إنه طغى**﴾ فيما سبق. . ﴿**فقولا له قولاً ليناً**﴾: جيء بهذه الجملة لترتيب ما بعدها على طغيانه. . فإن تليين القول مما يكسر سؤرة

عناد الطغاة، ويلين عريكة الطغاة.. ﴿**لعله يتذكر أو يخشى**﴾: مع هذا القول اللين يرجى من الطاغية أن يرجع عن غيّه، أو يخاف عاقبة أمره.. فينصاع للدعوة. ﴿**قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى**﴾: فصلت الجملتان لوقوعهما موقع المحاورة بين موسى مع أخيه وبين الله تعالى.

أظهر موسى وهارون خوفهما من تعجيل فرعون لهما بالعقوبة ومن طغيانه وجبروته.. فرد الله عليهما: ﴿**لا تخافا..**﴾ فجملة ﴿**إنني معكما**﴾ تعليل للنهي عن الخوف الذي هو في معنى النفي. ونُزّل فعلا أسمع وأرى منزلة اللازمين؛ إذ لا غرض لبيان مفعولهما بل المقصود أنى لا يخفى عليّ شيءٌ. وفرع عليه إعادة الأمر بالذهاب إلى فرعون: ﴿**فأتياه..**﴾ مرتب على الأمر بالذهاب في الكلام السابق... فالإتيان أثر الذهاب: ﴿**فقولا إنا رسولاَ ربك..**﴾ فالترتيب يقصد به تحقيق الحق من أول الأمر ليعرف فرعون شأنهما.. ﴿**فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم**﴾: هذا الكلام مرتب على ما قبله.. فإن كونهما رسولي ربه مما يوجب إرسالهم معهما.

والمراد بالإرسال إطلاقهم من في الأسر والقسر، وإخراجهم من تحت يده العاتية العادية.. ولا نعذبهم بابقائهم على ما كانوا عليه.. فإنهم كانوا تحت سلطة الفراعنة يستخدمونهم في الأعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الأحجار وغيرها من الأمور الشاقة. ﴿**قد جئناك بآية من ربك**﴾: هذا تقرير لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة، وتعليل لوجوب الإرسال؛ فإن مجيئهما بالآية من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال بأمرهما. وإظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الإضافة إلى ضمير المخاطب لتأكيد ما ذكر من التقرير والتعليل. وتوحيد الآية مع تعددها لأن المراد إثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة.

وقوله: ﴿**والسلام على من اتبع الهدى**﴾ تعريض بأن يطلب فرعون الهدى الذي جاء به موسى.. وقوله: ﴿**إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى**﴾ تعريض لإنذاره على التكذيب قبل حصوله منه ليبلّغ الرسالة على أكمل وجه قبل ظهور رأى فرعون في ذلك حتى لا يجابهه بعد ظهور رأيه بتصريح توجيه

الإنذار إليه. وهذا من أسلوب القول اللين الذي أمرهما الله به. وإطلاق السلام دون تقييد بالدنيا أو الآخرة تعميم للبشارة والنذارة.

وهذا كله كلام الله الذي أمرهما بتبليغه إلى فرعون كما يدل لذلك تعقيبه بقوله تعالى: ﴿**قال فمن ربكما يا موسى**﴾ على أسلوب حكاية المحاورات. وما ذكر من أول القصة إلى هنا لم يتقدم في السور الماضية. ﴿**قال فمن ربكما يا موسى، قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**﴾: هذا الكلام حكاية جواب فرعون عن الكلام الذي أمر الله موسى وهارون بإبلاغه فرعون. ففي الكلام حذف جمل دل عليها السياق قصداً للإيجاز. والتقدير: فأتياه فقالا له ما أُمِرَا به فقال: ﴿**فمن ربكما**. .﴾ فلذلك جاءت حكاية قول فرعون بجملة مفصولة على طريقة حكاية المحاورات ووجّه فرعون الخطاب إليهما بالضمير المشترك. . ثم خصّ موسى بالاقبال عليه بالنداء لعلمه بأن موسى هو الأصل بالرسالة وأن هارون تابع له. وأعرض فرعون عن أن يقول: فمن ربي؟ إلى قوله: ﴿**فمن ربكما**﴾؟ إعراضاً عن الاعتراف بالربوبية ولو بحكاية قولهما. . وأجاب موسى بإثبات الربوبية لله لجميع الموجودات جريا على قاعدة الاستدلال بالكلية على الجزئية بحيث ينتظم من مجموعهما قياسٌ. . فإن فرعون من جملة الأشياء فهو داخل في عموم كل شيء. وجيء بفعل الإعطاء للتنبيه على أن الخلق والتكوين نعمة. . فهو استدلال على الربوبية وتذكير بالنعمة معاً.

وثم هنا للترتيب بمعنييه الزمني والرتبي . . فالهداية تأتي بعد الخلق. وهي الفائدة من الخلق. ﴿**قال فما بال القرون الأولى؟ قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى**﴾: سؤال من فرعون لموسى عن حال القرون الأولى يريد به التشغيب على موسى حين نهضت حجّتُه بأن ينقله إلى الحديث عن القرون الأولى التي لا تعلق لها بالرسالة، ويشغله عما هو بصدده. . فأجابه موسى بأن العلم بأحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة؛ وإنما علمها عند الله سبحانه وتعالى. . فموسى عليه السلام تجنّب التصدّي للمجادلة والمناقضة في غير ما جاء لأجله لأنه لم يبعث بذلك.

﴿**الذي جعل لكم الأرض مهاداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من.نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي**

النهي﴾: هذه جمل ثلاث معترضة في أثناء قصة موسى.. فالجملة الأولى منها مستأنفة استئنافاً ابتدائياً على عادة القرآن من تفنن الأغراض لتجديد نشاط الأذهان.. فقوله ﴿**الذي جعل لكم الأرض مهاداً**﴾ خبر لمبتدأ محذوف. أي: هو الذي جعل.. والضمائر عائدة إلى الرب المفهوم من ربّي.. وتعريف جزئي الجملة ـ هو الذي ـ يفيد الحصر. وهذا قصر حقيقي غير مقصود به الرد على المشركين.

ولكنه تذكير بالنعمة، وتعريض بأن غيره ليس حقيقاً بالإلهية وجملة وسلك لكم فيها سبلاً موصولة بالعطف على جملة: ﴿**جعل لكم الأرض مهاداً**..﴾ واستعمل السلوك هنا مجازاً في السير في الطريق، تشبيهاً للسائر بالشيء الداخل في شيء آخر. ولما ذكر منة خلق الأرض شفعها بمنّة إخراج النبات منها بما ينزّل عليها من السماء من ماء. وتلك منة تنبئ عن خلق السماوات حيث أجرى ذكرها لقصد ذلك التذكير. وهذا ادماج بليغ. والعدول عن ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم في قوله: فأخرجنا.. التفات.. وحسّنه هنا أنه بعد أن حج المنكرين بحجة انفراده بخلق الأرض وتسخير السماء مما لا سبيل بهم إلى نكرانه ارتقى إلى صيغة المتكلم المطاع.. فإن الذي خلق الأرض وسخر السماء حقيقٌ بأن تطيعه القوى والعناصر.. ولملاحظة هذه النكتة تكرر في القرآن؛ مثل هذا الالتفات عند ذكر الإنبات؛ كما في قوله: ﴿**وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء**﴾.

ومثله في القرآن كثير.. والجملة الثانية: ﴿**كلوا وارعوا أنعامكم**..﴾ فهي مقول لقول محذوف هو حال من ضمير ﴿**فأخرجنا**﴾. والأمر للإباحة مراد به المنّة. وهذا من مقابلة الجمع بالجمع لقصد التوزيع.. والجملة الثالثة: ﴿**إن في ذلك لآيات لأولى النهى**﴾. وهي جملة مؤكدة للاستدلال. وتأكيد الخبر بحرف إنّ لتنزيل المخاطبين منزلة المنكرين. ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾: هذه الآية مستأنفة استئنافاً ابتدائياً. وهذا إدماج للتذكير بالخلق الأول ليكون دليلاً على إمكان الخلق الثاني بعد الموت. والمناسبة متمكنة؛ فإن ذكر خلق الأرض ومنافعها يستدعي إكمال ذكر المهم للناس من أحوالها.. فكان خلق أصل الإنسان من الأرض شبيهاً بخروج النبات منها.

وإخراج الناس إلى الحشر شبيه بإخراج النبات من الأرض، قال تعالى: ﴿**والله**

أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً﴾. وتقديم المجرورات الثلاثة على متعلقاتها. . فأما المجرور الأول والمجرور الثالث فللاهتمام بكون الأرض مبدأ الخلق الأول والخلق الثاني. وأما تقديم وفيها نعيدكم فللمزاوجة مع نظيريه. ودل قوله تعالى: ﴿**وفيها نعيدكم**﴾ على أن دفن الأموات في الأرض هو الطريقة الشرعية لمواراة الموتى سواء كان شقاً في الأرض أو لحداً. . فما يأتيه بعض الأمم غير المتدينة من إحراق الموتى بالنار، أو إغراقهم في الماء، أو وضعهم في صناديق. . فذلك مخالف لسنة الله وفطرته، لأن الفطرة اقتضت أن الميت يسقط على الأرض فيجب أن يوارى فيها.

وكذلك كانت أول مواراة في البشر حين قتل أحدُ ابني آدم أخاه؛ كما قال تعالى في سورة العقود: ﴿**فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي**﴾. . فجاءت الشرائع الإلهية بوجوب الدفن في الأرض. والإخراج هو إخراجها إلى الحشر بعد إعادة هياكل الأجسام في داخل الأرض كما هو ظاهر قوله ﴿**ومنها نخرجكم. .**﴾ ولذلك جعل الاخراج تارة ثانية للخلق الأول من الأرض. وفيه إيماء إلى أن إخراج الأجساد من الأرض بإعادة خلقها كما خلقت في المرة الأولى. قال تعالى: ﴿**كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين**﴾.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام:

التوجيه الأول: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلا تذكرة لمن يخشى. .﴾
في هذا التوجيه يوجه الخطاب للرسول ـ ﷺ ـ يبين الله فيه وظيفته وحدود تكاليفه. . إنها ليست شقوة كُتِبَتْ عليه، وليست عناءً يعذَّب به. . إنما هي الدعوة والتذكرة. وهي التبشير والإنذار. وأمر الخلق بعد ذلك إلى الله الواحد الذي لا إله غيره، المهيمن على ظاهر الكون وباطنه، الخبير بظواهر القلوب وخوافيها، الذي تعنو له الوجوه ويرجع إليه الناس طائعهم وعاصيهم. . فلا على الرسول ممن يكذب ويكفر. . ولا يشقى لأنهم يكذّبون ويكفرون: ﴿**ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. .**﴾ ما أنزلنا عليك القرآن ليؤدي إلى شقائك به أو بسببه. ما أنزلناه لتشقى بتلاوته والتعبد به حتى يجاوز ذلك طاقتك ويشقّ عليك. . فهو ميسر للذكر، لا تتجاوز تكاليفه طاقة البشر.

ولا يكلفك إلا ما وسعك. ولا يفرض عليك إلا ما في طوقك، والتعبد به في حدود الطاقة نعمة لا شقوة، وفرصة للاتصال بالملإ الأعلى، واستمداد القوة والطمأنينة، والشعور بالرضى والأنس والوصول.. وما أنزلناه عليك لتشقى مع الناس حين لا يؤمنون به.. فلست مكلفاً أن تحملهم على الإيمان حملاً. ولا أن تذهب نفسك عليهم حسرات.. وما كان هذا القرآن إلا للتذكير والإنذار: ﴿**إلا تذكرة لمن يخشى..**﴾ فالذي يخشى يتذكر حين يذكر، ويتقي ربه فيستغفر. وعند هذا تنتهي وظيفة الرسول.. فلا يكلَّف فتح مغاليق القلوب، والسيطرة على الأفئدة والنفوس. إنما ذلك إلى الله الذي أنزل هذا القرآن. وهو المهيمن على الكون كله المحيط بخفايا القلوب والأسرار: ﴿**تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى. الرحمان على العرش استوى. له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى..**﴾ فالذي نزّل هذا القرآن هو الذي خلق الأرض والسماوات.. السماوات العلى.. فالقرآن ظاهرة كونية كالأرض والسماوات. فنزلت من الملإ الأعلى.

ويربط السياق بين النواميس التي تحكم الكون والتي ينزل بها القرآن. كما ينسق ظل السماوات العلى مع الأرض وظل القرآن الذي ينزل من الملإ الأعلى إلى الأرض والذي نزّل القرآن من الملإ الأعلى.. وخلق الأرض والسماوات العلى.. هو الرحمان.. فما نزله على عبده ليشقى.. وصفة الرحمة هي التي تبرز هنا للإلمام بهذا المعنى. وهو المهيمن على الكون كله: ﴿**على العرش استوى..**﴾ والاستواء على العرش كناية عن غاية السيطرة والاستعلاء.. فأمر الناس إذن إليه. وما على الرسول إلا التذكرة لمن يخشى. ومع الهيمنة والاستعلاء المُلك والإحاطة: ﴿**له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى..**﴾ والمشاهد الكونية تستخدم في التعبير لإبراز معنى المُلك والإحاطة في صورة يدركها التصور البشري. والأمر أكبر من ذلك جدّاً.. ولله ما في الوجود كله وهو أكبر مما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى. وعلم الله يحيط بما يحيط به مُلكه: ﴿**وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى..**﴾ وينسّق التعبير بين الظل الذي تلقيه الآية: ﴿**له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى**﴾، والظل الذي تلقيه الآية بعدها: وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى.. ينسّق بين الظاهر الجاهر في الكون، والظاهر الجاهر من القول.

وبين المستور المخبوء تحت الثرى، والمستور المخبوء في الصدور: السر وأخفى.. على طريقة التنسيق في التصوير.. والسر خاف. وما هو أخفى من السر تصوير لدرجات الخفاء والاستتار. كما هو الحال تحت أطباق الثرى. والخطاب للرسول - ﷺ - لطمأنة قلبه بأن ربه معه يسمعه، ولا يتركه وحده يشقى بهذا القرآن، ويواجه الكافرين بلا سند.. فإذا كان يدعوه جهراً فإنه يعلم السر وأخفى. والقلب حين يستشعر قرب الله منه وعلمه بسره ونجواه يطمئن ويرضى، ويأنس بهذا القرب فلا يستوحش من العزلة بين المكذبين المناوئين. ولا يشعر بالغربة بين المخالفين له في العقيدة والشعور. ويختم هذا المطلع بإعلان وحدانية الله بعد إعلان هيمنته ومُلكيته وعلمه: ﴿**الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى**﴾. والحسنى تشارك في تنسيق الإيقاع، كما تشارك في تنسيق الظلال. ظلال الرحمة والقرب والرعاية التي تغمر جو هذا المطلع وجو السورة كله.

التوجيه الثاني: ﴿**وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً، فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى**﴾: في هذا التوجيه، يوجه الله الخطاب إلى الرسول يسأله فيه عن حديث موسى.. وقصة موسى هي أكثر قصص المرسلين وُرُوداً في القرآن. وهي تعرض في حلقات تناسب موضوع السورة التي تعرض فيها، وجوّها وظلّها. وقد وردت حلقات منها حتى الآن في سورة البقرة وسورة المائدة وسورة الأعراف وسورة يونس وسورة الإسراء وسورة الكهف. وذلك غير الإشارات إليها في سور أخرى.. وما جاء منها في المائدة كان حلقة واحدة: حلقة وقوف بني إسراءيل أمام الأرض المقدسة لا يدخلون؛ لأن فيها قوماً جبارين، وفي سورة الكهف كانت كذلك حلقة واحدة: حلقة لقاء موسى للعبد الصالح وصحبته فترة.. فأما في البقرة والأعراف ويونس وفي هذه السورة.. فقد وردت منها حلقات كثيرة.. ولكن هذه الحلقات تختلف في سورة عنها في أخرى.

تختلف الحلقات المعروضة، كما يختلف الجانب الذي تعرض منه تنسيقاً له مع اتجاه السورة التي يعرض فيها. في البقرة سبقتها قصة آدم وتكريمه في الملإ الأعلى وعهد الله إليه بخلافة الأرض ونعمته عليه بعد توبته.. فجاءت قصة موسى وبني إسراءيل تذكيراً لليهود بنعمة الله عليهم وعهده إليهم وإنجائهم من فرعون

وملإه واستسقائهم وتفجير الينابيع لهم وإطعامهم من المنّ والسلوى، وذكرت مواعدة موسى وعبادتهم للعجل من بعده.. ثم غفرانه لهم وعهده إليهم تحت الجبل.. ثم عدوانهم في السبت.. وقصة البقرة.. وفي الأعراف سبقها الإنذار وعواقب المكذبين بالآيات قبل موسى.. فجاءت قصة موسى تعرض ابتداء من حلقة الرسالة، وتعرض فيها آيات العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم.. وتعرض حلقة السحرة بالتفصيل وخاتمة فرعون وملئه المكذبين.. ثم ما كان من بني إسراءيل بعد ذلك من اتخاذ العجل في غيبة موسى وتنتهي القصة بإعلان فيها وراثة رحمة الله وهداه للذين يتبعون الرسول النبيء الأمي.. وفي يونس سبقها عرض مصارع المكذبين.. فجاءت قصة موسى من حلقة الرسالة وعرض مشهد السحرة ومصرع فرعون وقومه بالتفصيل.. أما هنا في طه فقد سبقها مطلع السورة يشفّ عن رحمة الله ورعايته لمن يصطفيهم لحمل الرسالة وتبليغ الدعوة.. فجاءت القصة مظللة بهذا الظل بدأ بمشهد المناجاة وتضمّن نماذج من رعاية الله لموسى وتثبيته وتأييده، وتشير إلى سبق هذه الرعاية للرسالة.. فقد كانت ترافقه في طفولته فتحرسه وتتعهده.. فها هو ذا موسى في الطريق بين مدين ومصر إلى جانب الطور.

ها هو ذا عائد بأهله بعد أن قضى فترة التعاقد بينه وبين صهره على أن يزوجه إحدى ابنتيه في مقابل أن يخدمه ثماني سنوات أو عشراً. والأرجح أنه وفّى عشراً.. ثم خطر له أن يفارق مدين ويسافر بأهله ويعود إلى البلد الذي نشأ فيه، والذي فيه قومه بنو إسراءيل يعيشون تحت سياط فرعون.. لماذا عاد. وقد خرج من مصر طريداً. قتل قبطياً فيها حين رآه يقتتل مع إسراءيلي. وغادر مصر هارباً وبنو إسرائيل فيها يسامون العذاب ألواناً حيث وجد الأمن والطمأنينة في مدين إلى جوار صهره الشيخ الوقور الحليم الكريم.. فهو الذي آواه وزوّجه إحدى ابنتيه.. إنها جاذبية الوطن والسكن تتخذها القدرة ستاراً لما تهيئه لموسى من أدوار.. وهكذا نحن في هذه الحياة نتحرك. تحركنا أشواق وهواتف ومطامح ومطامع، وآلام وآمال.. وإن هي إلا الأسباب الظاهرة للغاية المضمرة، والستار الذي تراه العيون لليد التي لا تراها الأنظار، ولا تدركها الأبصار: يد المدبر المهيمن العزيز القهار.

وهكذا عاد موسى. وهكذا ضل طريقه في الصحراء ومعه زوجه وقد يكون

معهما خادم. ضل طريقه والليل مظلم، والمتاهة واسعة. نعرف هذا من قوله لأهله: ﴿**امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى**. .﴾ فأهل البادية يوقدون النار عادة على مرتفع من الأرض، ليراها الساري في الصحراء فتكشف له عن الطريق، أو يجد عندها القرى والضيافة ومن يهديه إلى الطريق. ولقد رأى موسى النار في الصحراء فاستبشر. وذهب ليأتي منها بقبس يستدفئ به أهله. فالليلة باردة، وليالي الصحراء باردة قارّة. أو ليجد عندها من يهديه إلى الطريق؛ أو يهتدي على ضوئها إلى الطريق. لقد ذهب يطلب قبساً من النار، ويطلب هادياً في السرى. . ولكنه وجد المفاجأة الكبرى.

إنها النار التي تدفئ. لا الأجسام ولكن الأرواح. النار التي تهدي لا في السرى ولكن في الرحلة الكبرى: ﴿**فلما أتاها نودي يا موسى**. .﴾ إن القلب ليجف وإن الكيان ليرتجف. وهو يتصور ـ مجرد تصور ـ ذلك المشهد. . موسى فريد في تلك الفلاة، والليل دامس، والظلام شامل، والصمت مخيم. وهو ذاهب يلتمس النار التي آنسها من جانب الطور. . ثم إذا الوجود كله من حوله يتجاوب بذلك النداء: ﴿**إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى وأنا اخترتك**. .﴾ إن تلك الذرة الصغيرة الضعيفة المحدودة تواجه الجلال الذي لا تدركه الأبصار.

الجلال الذي تتضاءل في ظله الأرض والسماوات ويتلقى. يتلقى ذلك النداء العُلْوِي بالكيان البشري. . فكيف؟! كيف لولا لطف الله؟! إنها لحظة ترتفع فيها البشرية كلها وتكبر ممثلة في موسى ـ عليه السلام ـ فَبِحَسَبِ الكيان البشري أن يطيق التلقي من ذلك الفيض لحظة. وبحسب البشرية أن يكون فيها الاستعداد لمثل هذا الاتصال على نحو من الأنحاء. . كيف؟ لا ندري كيف!. . فالعقل البشري ليس هنا ليدرك ويحكم. . إنما قصاراه أن يقف مبهوتا يشهد ويؤمن!.

﴿**فلما أتاها نودي يا موسى أني أنا ربك**. .﴾ نودي بهذا البناء للمجهول. . فما يمكن تحديد مصدر النداء ولا اتجاهه، ولا تعيينُ صورته ولا كيفيته، ولا كيف سمعه موسى أو تلقاه. . نودي بطريقة ما فتلقى بطريقة ما. . فذلك من أمر الله الذي نؤمن بوقوعه، ولا نسأل عن كيفيته؛ لأن كيفيته وراء مدارك البشر وتصورات الإنسان. ﴿**يا موسى أني أنا ربك فاخلع نعليك**. .﴾ فأنت في مكان

الضيافة والقرى.. فَلْتَسْتقر هنا بالوادي المقدس طوى.. ﴿**وأنا اخترتك**..﴾ فاستمع لما يوحى.. ثم يلخص ما يوحى في ثلاثة أمور مترابطة: الاعتقاد بالوحدانية، والتوجه بالعبادة، والإيمان بالساعة. وهي أسس رسالة الله الواحدة: ﴿**إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى**..﴾ فأما الألوهية الواحدة فهي قوام العقيدة. والله في ندائه لموسى يؤكدها بكل المؤكدات: بالإثبات المؤكد ـ إنني أنا الله ـ وبالقصر المستفاد من النفي والاستثناء: لا إله إلا أنا. الأولى لإثبات الألوهية لله، والثانية لنفيها عن سواه.. وعلى الألوهية تترتب العبادة.

العبادة تشمل التوجه لله في كل نشاط الحياة.. ولكنه يخص بالذكر منها الصلاة: وأقم الصلاة لذكري.. فالصلاة أكمل صورة من صور العبادة، وأكمل وسيلة من وسائل الذكر.. فهي تتمحض لهذه الغاية، وتتجرد من كل الملابسات الأخرى، وتتهيأ فيها النفس لهذا الغرض وحده وتتجمع للاتصال بالله.. فأما الساعة فهي الموعد المرتقب للجزاء الكامل العادل، الذي تتوجه إليه النفوس فتحسب حسابه؛ وتسير في الطريق وهي تراقب وتحاسب وتخشى الإنزلاق.. والله سبحانه وتعالى يؤكد مجيئها: ﴿**إن الساعة آتية**..﴾ وإنه يكاد يخفيها.. فعلم الناس بها قليل لا يتجاوز ما يطلعهم عليه من أمرها بقدر ما يحقق حكمته من معرفتهم ومن جهلهم.. والمجهول عنصر أساسي في حياة البشر وفي تكوينهم النفسي.. فلا بد من مجهول في حياتهم يتطلعون إليه.

ولو كان كل شيء مكشوفاً لهم ـ وهم بهذه الفطرة ـ لتوقف نشاطهم، وأسِنَت حياتهم.. فوراء المجهول يجرون فيحذرون ويأملون ويجرّبون ويتعلمون. ويكشفون المخبوء من طاقاتهم وطاقات الكون من حولهم ويرون آيات الله في أنفسهم وفي الآفاق ويبدعون في الأرض بما شاء لهم الله أن يبدعوا.. وتعليق قلوبهم ومشاعرهم بالساعة المجهولة الموعد يحفظهم من الشرود.. فهم لا يدرون متى تأتي الساعة.. فهم من موعدها على حذر دائم وعلى استعداد دائم. ذلك لمن صحت فطرته واستقام.. فأمَّا من فسدت فطرته واتبع هواه.. فيغفل ويجفل فيسقط ومصيره إلى الردى: ﴿**فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى**..﴾ ذلك أن اتباع الهوى هو الذي ينشىء التكذيب بالساعة.. فالفطرة

السليمة تؤمن من نفسها بأن الحياة الدنيا لا تبلغ فيها الإنسانية كمالها، ولا يتم فيها العدل تمامه، وأنه لا بد من حياة أخرى يتحقق فيها الكمال المقدر للإنسان، والعدل المطلق في الجزاء على الأعمال.. هذه هي الوهلة الأولى للنداء العلوي الذي تجاوبت به جنبات الوجود.

وأنهى الله سبحانه إلى عبده المختار قواعد التوحيد. ولا بد أن موسى قد نسي نفسه ونسي ما جاء من أجله: ليتبع ذلك الصوت العلوي الذي ناداه، وليسمع التوجيه القدسي الذي يتلقاه.. فبينما هو مستغرق فيما هوفيه، ليس في كيانه ذرة واحدة تتلفت إلى سواه. إذا هو يتلقى سؤالاً لا يحتاج منه إلى جواب: ﴿**وما تلك بيمينك يا موسى**﴾؟ إنها عصاه.. ولكن أين هو من عصاه؟. إنما يتذكر فيجيب: ﴿**قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى**..﴾ فالسؤال لم يكن عن وظيفة العصا في يده.. إنما كان عما في يمينه.. ولكنه أدرك أن ليس عن ماهيتها يسأل فهي واضحة؛ إنما عن وظيفتها معه.. فأجاب.. ذلك أقصى ما يعرفه موسى عن تلك العصا: أن يتوكأ عليها وأن يضرب بها أوراق الشجر وتتساقط فتأكلها غنمه التي كان قد رعاها في مدين.. وأن يستخدمها في أغراض أخرى من هذا القبيل! حملها ولم يعددها.. فإن ما ذكره نموذج منها.. ولكن ها هي ذي القدرة القادرة تصنع بتلك العصا في يده ما لم يخطر له على بال، تمهيداً لتكليفه بالمهمة الكبرى: ﴿**قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى**..﴾ ووقعت المعجزة الخارقة التي تقع في كل لحظة.. ولكن الناس لا ينتبهون إليها.. وقعت معجزة الحياة.. فإذا العصا حية تسعى. وكم من ملايين الذرات الميتة أو الجامدة كالعصا تتحول في كل لحظة إلى خلية حية، ولكنها لا تبهر الإنسان كما يبهره أن تتحول عصا موسى حية تسعى. ذلك أن الإنسان أسير حواسه، وأسير تجاربه، فلا يبعد كثيراً في تصوراته عما تدركه حواسه.

وانقلاب العصا حية تسعى ظاهرة حسية تصدم حسه فينتبه لها بشدة. أما الظواهر الخفية لمعجزة الحياة الأولى، ومعجزات الحياة التي تدب في كل لحظة فهي خفية قلما يلتفت إليها. وبخاصة أن الألفة تفقدها جدتها في حسه فيمر عليها غافلاً أو ناسياً. وقعت المعجزة فدهش لها موسى وخاف: قال خذها ولا تخف

سنعيدها سيرتها الأولى.. ونردها عصا والسياق هنا لا يذكر ما ذكره في سورة أخرى من أنه ولى مدبراً ولم يعقب.. إنما يكتفي بالإشارة الخفيفة إلى ما نال موسى من خوف. ذلك أن ظل هذه السورة ظل أمن وطمأنينة، فلا يشوبه بحركة الفزع والجري والتولي بعيداً. واطمأن موسى والتقط الحية.. فإذا هي تعود سيرتها الأولى. عصا.. ووقعت المعجزة في صورتها الأخرى: صورة سلب الحياة من الحي.. فإذا هو جامد ميت.

كما كان قبل أن تدركه المعجزة الأولى. وصدر الأمر العلوي مرة أخرى إلى عبده موسى: ﴿**واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى..**﴾ ووضع موسى يده تحت إبطه.. والسياق يختار للإبط والذراع صورة الجناح لما فيها من رفرفة وطلاقة وخفة في هذا الموقف المجنح الطليق من ربقة الأرض وثقلة الجسم لتخرج بيضاء لا عن مرض أو آفة.. ولكن: آية أخرى مع آية العصا: ﴿**لنريك من آياتنا الكبرى..**﴾ فتشهد وقوعها بنفسك تحت بصرك وحسك.. فتطمئن للنهوض بالتبعة الكبرى: إذهب إلى فرعون إنه طغى.

التوجيه الثالث: ﴿قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا..﴾: في هذا التوجيه يطلب موسى من ربه هذه المطالب بعد ما كُلِّفَ موسى بدعوة فرعون والذهاب إليه ليبلغه هذه الدعوة الموجهة إليه من ربه.. فهو يعرف من هو فرعون.. فقد رُبّى في قصره.. وشهد طغيانه.. وجبروته.. وشاهد ما يصيبه على قومه من عذاب ونكال.. فهو اللحظة في حضرة ربه. يجس الرضى والتكريم والحفاوة.. فليسأل كل ما يطمئنه على مواجهة هذه المهمة العسيرة.. ويكفل له الاستقامة على طريق الرسالة: لقد طلب إلى ربه أن يشرح له صدره.. وانشراح الصدر يحول مشقة التكليف إلى متعة، ويحيل عناءه لذة.

ويجعله دافعاً للحياة لا عبئا يثقل خطى الحياة. وطلب إلى ربه أن ييسر له أمره.. وتيسير الله لعباده هو ضمان النجاح. وإلا فماذا يملك الإنسان بدون هذا التيسير؟ ماذا يملك وقواه محدودة وعلمه قاصر والطريق طويل وشائك ومجهول؟!.. وطلب إلى ربه أن يحل عقدة لسانه فيفقهوا قوله.. وقد دعا ربه

في أول الأمر دعاء شاملا بشرح الصدر وتيسير الأمر.. ثم أخذ يحدد ويفصل بعض ما يعينه على أمره وييسر له تمامه. وطلب أن يعينه الله بمعين من أهله. هارون أخيه.. فهو يعلم منه فصاحة اللسان وثبات الجنان وهدوء الأعصاب.. فطلب إلى ربه أن يعينه بأخيه يشد أزره ويقويه ويتروى معه في الأمر الجليل الذي هو مقدم عليه.

والأمر الجليل الذي هو مقدم عليه يحتاج إلى التسبيح الكثير والذكر الكثير والاتصال الكثير.. فموسى يطلب من ربه أن يشرح له صدره وييسر له أمره ويحل عقدة من لسانه ويعينه بوزير من أهله.. كل أولئك لا ليواجه المهمة مباشرة.. ولكن ليتخذ ذلك كله مساعداً ولأخيه على التسبيح الكثير والذكر الكثير والتلقي من السميع البصير: ﴿**إنك كنت بنا بصيرا..**﴾ تعلم حالنا وتطلع على ضعفنا وقصورنا.. وتعلم حاجتنا إلى العون والتدبير.. لقد أطال موسى سؤاله، وبسط حاجته، وكشف عن ضعفه، وطلب العون والتيسير والاتصال الكثير.. وربه يسمع له ـ وهو ضيف في حضرته. ناداه وناجاه.. فها هو ذا الكريم لا يخجل ضيفه، ولا يرد سائله، ولا يبطىء عليه بالإجابة الكاملة: ﴿**قال قد أوتيت سؤلك يا موسى..**﴾ هكذا مرة واحدة في كلمة واحدة.

فيها إجمال يغني عن التفصيل. وفيها إنجاز لا وعد ولا تأجيل!.. كل ما سألته أعطيته. أعطيته فِعْلاً. لا تعطاه ولاستعطاه. وفيها مع الإنجاز عطف وتكريم وإيناس بندائه باسمه: يا موسى! وأي تكريم أكبر من أن يذكر الكبير المتعال اسم عبد من العباد؟!. وإلى هنا كفاية وفضل من التكريم والعطف والإيناس. وقد طال التجلي، وطال النجاء؛ وأجيب السؤال وقضيت الحاجة.. ولكن فضل الله لا خازن له، ورحمة الله لا مُمْسِكَ لها.. فهو يغمر عبده بمزيد من فضله وفيض من رضاه، فيستبقيه في حضرته ويمد في نجائه وهو يذكره بسابق نعمته ليزيده اطمئناناً وأنسا بموصول رحمته وقديم رعايته.

وكل لحظة تمر وهو في هذا المقام الوضيء هي متاع ونعمى وزاد ورصيد: ﴿**ولقد مننا عليك مرة أخرى..**﴾ إن موسى ذاهب لمواجهة أقوى ملك في الأرض وأطغى جبار. إنه ذاهب لخوض معركة الإيمان مع الطغيان. إنه ذاهب إلى خضم من الأحداث والمشكلات مع فرعون أول الأمر.. ثم مع قومه بني إسراءيل..

وقد أذلهم الاستعباد الطويل وأفسد فطرتهم، وأضعف استعدادهم للمهمة التي هم منتدبون لها بعد الخلاص.. فربه يطلعه على أنه لن يذهب غفلا من التهيؤ والاستعداد، وأنه لم يرسل إلا بعد التهيئة والإعداد. وأنه صنع على عين الله منذ زمان، ودرب على المشاق وهو طفل رضيع.

ورافقته العناية وسهرت عليه وهو صغير ضعيف. وكان تحت سلطان فرعون وفي متناوله وهو مجرد من كل عدة ومن كل قوة.. فلم تمتد إليه يد فرعون؛ لأن يد القدرة كانت تسنده، وعين الله كانت ترعاه في كل خطاه.. فلا عليه اليوم من فرعون، وقد بلغ أشده. وربه معه. قد اصطنعه لنفسه واستخلصه واصطفاه.. فالمنة قديمة ممتدة مطردة، سائرة في طريقها معك منذ زمان.. فلا انقطاع لها إذن بعد التكليف الآن. ﴿**لقد مننا عليك إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى**﴾، وألهمناها ما يلهم في مثل حالها.. ذلك الإلهام: ﴿**أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل..**﴾ حركات كلها عنف وكلها خشونة.. قذف في التابوت بالطفل.

وقذف في اليم بالتابوت. وإلقاء للتابوت على الساحل.. ثم ماذا؟ أين يذهب التابوت المقذوف فيه بالطفل المقذوف في اليم الملقى به على الساحل. من يتسلمه؟ ﴿**عدو لي وعدو له..**﴾ وفي زحمة هذه المخاوف كلها.. وبعد تلك الصدمات كلها.. ماذا؟ ما الذي حدث للطفل الضعيف المجرد من كل قوة؟ ما الذي جرى للتابوت الصغير المجرد من كل وقاية؟ ﴿**وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني**﴾!!! فيا للقدرة القادرة التي تجعل من المحبة الهيّنة اللينة درعاً تنكسر عليها الضربات وتتحطم عليها الأمواج وتعجز قوى الشر والطغيان كلها أن تمس حاملها بسوء، ولو كان طفلاً رضيعاً لا يصول ولا يجول.. بل لا يملك أن يقول.. إنها مقابلة عجيبة في تصوير المشهد.

مقابلة بين القوى الجبارة الطاغية التي تتربص بالطفل الصغير، والخشونة القاسية فيما يحيط به من ملابسات وظروف.. والرحمة اللينة اللطيفة تحرسه من المخاوف وتقيه من الشدائد وتلفه من الخشونة، ممثلة في المحبة لا في صيال أو نزال: ﴿**ولتصنع على عيني..**﴾ وما من شرح يمكن أن يضيف شيئاً إلى ذلك الظل الرفيق اللطيف العميق الذي يلقيه التعبير القرآني العجيب!.. وكيف يصف لسان بشري خَلْقاً يُصْنَع على عين الله؟ إن قصارى أي بشر أن يتأمله ويتملاه..

إنها منزلة وإنها كرامة أن ينال إنسان لحظة من العناية.. فكيف بمن يُصنع صنعاً على عين الله؟ إنه بسبب من هذا أطاق موسى أن يتلقى ذلك العنصر العلوي الذي تلقاه ﴿**ولتصنع على عيني**﴾ تحت عين فرعون ـ عدوك ـ وعدوّي ـ وفي متناول يده بلا حارس ولا مانع ولا مدافع.. ولكن عينه لا تمتد إليك بالشر؛ لأني ألقيت عليك محبة مني. ويده لا تنالك بالضر وأنت تصنع على عيني.

ولم أُحطْك في قصر فرعون بالرعاية والحماية وأدع أمك في بيتها للقلق والخوف.. بل جمعتك بها وجمعتها بك: ﴿**إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن..**﴾ فكان ذلك من تدبير الله إذ جعل الطفل لا يقبل ثدي المرضعات. وفرعون وزوجه وقد تبنيا الطفل الذي ألقاه اليم بالساحل ـ مما لا يُفصّله السياق كما يفصله في موضع آخر.. يبحثان له عن مرضع.. فيتسامع الناس وتروح أخت موسى بإيحاء من أمها تقول لهم: هل أدلكم على من يكفله؟ وتجيء لهم بأمه فيلقم ثديها.

وهكذا يتم تدبير الله للطفل وأمه التي سمعت الإلهام فقذفت بفلذة كبدها في التابوت وقذفت التابوت في اليم.. فألقاه اليم بالساحل؛ ليأخذه عدو لله وله.. فكيف يكون الأمن بإلقائه بين هذه المخاوف، وتكون النجاة من فرعون الذي كان يذبح أطفال بني إسراءيل، بإلقائه بين يدي فرعون بلا حارس ولا أمين؟!. ومنة أخرى: ﴿**وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً...**﴾ ذلك حين كبر وشب في قصر فرعون... ثم نزل المدينة يوماً فوجد فيها رجلين يقتتلان أحدهما إسراءيلي والآخر مصري، فاستغاثه الإسراءيلي فوكز المصري بيده فخر صريعاً. ولم يكن ينوي قتله إنما كان ينوي دفعه، فامتلأت نفسه بالغم على هذه الفعلة، وهو المصنوع على عين الله منذ نشأته. وتحرج ضميره وتأثم من اندفاعه... فربهُ يُذكّره هنا بنعمته عليه؛ إذ هداه إلى الاستغفار فشرح صدره بهذا ونجاه من الغم.

ولم يتركه مع هذا بلا ابتلاء ليربيه ويعدُّه لما أراد.. فاستحثه بالخوف والهرب من القصاص. وامتحنه بالغربة ومفارقة الأهل والوطن. وامتحنه بالخدمة ورعي الغنم؛ وهو الذي تربى في قصر أعظم ملوك الأرض وأكثرهم ترفاً ومتاعاً وزينة... وفي الوقت المقدر عندما نضج واستعد وابتلى فثبت وصبر؛ وامتحن فجاز الامتحان وتهيأت الظروف كذلك ـ والأحوال في مصر؛ وبلغ العذاب ببني

إسراءيل مداه. . . في ذلك الوقت المقدر في علم الله جيء بموسى من أرض مدين ـ وهو يظنّ أنه هو جاء: ﴿**فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى**﴾ جئت في الوقت الذي قدرته لمجيئك. . . ﴿**واصنطعتك لنفسي**. . .﴾ خالصاً مستخلصاً ممحضاً لي ولرسالتي ودعوتي. . . ليس بك شيء من هذه الدنيا ولا لهذه الدنيا. . . إنما أنت للمهمة التي صنعتك على عيني لها واصطنعتك لتؤديها. . . فما لك في نفسك شيء. . . وما لأهلك منك شيء. . . وما لأحد فيك شيء. . . فامض لما اصطنعتك له: ﴿**اذهب أنت وأخوك بآياتي**. . .﴾ اذهب أنت وأخوك مزودين بآياتي، وقد شهد منها آية العضا، وآية اليد. ﴿**ولا تنيا في ذكري**. . .﴾ فهو عدتكما وسلاحكما وسندكما الذي تأويان منه إلى ركن شديد. . . اذهبا إلى فرعون. . . وقد حفظتك من شره من قبل، وأنت طفل. وقد قذفت في التابوت، فقذف التابوت في اليم، فألقاه اليم بالساحل. . . فلم تضرك هذه الخشونة، ولم تؤذك هذه المخاوف. . .

فالآن أنت معدّ مهيّأ، ومعك أخوك. . فلا عليك وقد نجوت مما هو أشد، في ظروف أسوأ وأعنف. اذهبا إلى فرعون. . . فقد طغى وتجبر وعتا: ﴿**فقولا له قولاً ليناً**. . .﴾ فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم. . . ولا يهيّج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة. . . ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان. اذهبا إليه غير يائسين من هدايته، راجيين أن يتذكر ويخشى. . . فالداعية الذي ييأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بحرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار. وإن الله ليعلم ما يكون من فرعون. . . ولكن الأخذ بالأسباب في الدعوات وغيرها لا بد منه. والله يحاسب الناس على ما يقع منهم بعد أن يقع في عالمهم. وهو عالم بأنه سيكون. . . فعلمه تعالى بمستقبل الحوادث كعلمه بالحاضر منها والماضي في درجة سواء. وإلى هنا كان الخطاب لموسى، وكان المشهد هو مشهد المناجاة في الفلاة. . . وهنا يطوي السياق المسافات والأبعاد والأزمان. . . فإذا هارون مع موسى وإذا هما معاً يكشفان لربهما عن خوفهما من مواجهة فرعون ومن التسرع في أذاه ومن الطغيان إذا دَعَوَاه!. . .

﴿**قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى**. . .﴾ لقد اجتمع موسى بأخيه هارون بعد انصراف موسى من موقف المناجاة بجانب الطور. وأوحى الله

إلى هارون بمشاركة أخيه في دعوة فرعون... ثم ها هما ذان يتوجهان إلى ربهما بمخاوفهما... فالفرط هو التسرع بالأذى للوهلة الأولى... والطغيان أشمل من التسرّع وأشمل من الأذى... وفرعون الجبار يومئذ لا يتحرج من أحدهما أو كليهما... فهنا يجيئهما الرد الحاسم الذي لا خوف بعده ولا خشية معه: ﴿**قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى**...﴾ إنني معكما... إنه القوي الجبار الكبير المتعال: إنه الله القاهر فوق عباده. إنه موجد الأكوان والحيوان والأفراد والأشياء بقوله: كن. ولا زيادة... إنه معهما... وكان هذا الإجمال يكفي... ولكنه يزيدهما طمأنينة ولمسا بالحس للمعونة: ﴿**أسمع وأرى**...﴾. فما يكون فرعون وما يملك وما يصنع حين يفرط أو يطغى؟!. والله معهما يسمع ويرى!. ومع الطمأنينة الهداية إلى صورة الدعوة وطريق الجدل: ﴿**فأتياه فقولا إنا رسولا ربك**...﴾ إنه البدء بإيضاح قاعدة رسالتهما؛ ليشعر منه اللحظة الأولى بأن هناك إلهاً هو ربه... وهو رب الناس... فليس هو إلهاً خاصاً بموسى وهارون، أو بني إسراءيل.... ثم إيضاح لموضوع رسالتهما: ﴿**فأرسل معنا بني إسراءيل**...﴾ ففي هذه الحدود كانت رسالتهما إلى فرعون، لاستنقاذ بني إسراءيل والعودة بهم إلى عقيدة التوحيد... ثم استشهاد على صدقهما في الرسالة: ﴿**قد جئناك بآية من ربك**...﴾ آية تدل على صدقنا في مجيئنا إليك بأمر ربك في هذه المهمة التي حددناها... ثم ترغيب واستمالة: ﴿**والسلام على من اتبع الهدى**...﴾ فلعله منهما يتلقى السلام ويتبع الهدى... ثم تهديد وتحذير غير مباشرين كي لا يثيرا كبرياءه وطغيانه: ﴿**إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى**...﴾ فلعله لا يكون ممن كذب وتولى. هكذا ألقى الله الطمأنينة على موسى وهارون. وهكذا رسم لهم الطريق. ودبّر لهما الأمر. ليمضيا آمِنَيْن عَارِفَيْنِ هاديَيْن...

وهنا يسدل الستار ليرفع... فإذا هما أمام الطاغية في حوار وجدال؛ لقد آتيا فرعون ـ والسياق لا يذكر كيف وصلا إليه ـ أتياه وربهما معهما يسمع ويرى... فأية قوة وأي سلطان هذا الذي يتكلم به موسى وهارون، كائناً فرعون ما كان؛ ولقد أبلغاه ما أمرهما ربهما بتبليغه. والمشهد هنا يبدأ بما دار بين فرعون وبين موسى من حوار: ﴿**قال فمن ربكما يا موسى**...﴾ فهو لا يريد أن يعترف بأن رب موسى وهارون هو ربه، كما قالا له: ﴿**إنا رسولا ربك**...﴾ وهو يسأل

موجهاً الكلام إلى موسى؛ لما بدا له أنه هو صاحب الدعوة. . . فأما موسى فيرد بالصفة المبدعة المنشئة المدبرة من صفات الله: ﴿**قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**. . .﴾ ربنا الذي وهب الوجود لكل موجود في الصورة التي أوجده بها وفطره عليها. . . ثم هدى كل شيء إلى وظيفته التي خلقه لها؛ وأمدّه بما يناسب هذه الوظيفة ويعينه عليها.

وهذا الوصف الذي يحكيه القرآن الكريم عن موسى يلخص أكمل آثار الألوهية الخالقة المدبرة لهذا الوجود. . . وحين يحول الإنسان ببصره وبصيرته ـ في حدود ما يطيق ـ في جنبات هذا الوجود الكبير تتجلى له آثار تلك القدرة المبدعة المدبرة في كل كائن صغير أو كبير. من الذرة المفردة إلى أضخم الأجسام. ومن الخلية الواحدة إلى أرقى أشكال الحياة في الإنسان. . .

هذا الوجود الكبير المؤلف مما لا يحصى من الذرات والخلايا والخلائق والأحياء وكل ذرة فيه تنبض. وكل خلية فيه تحيا وكل حي فيه يتحرك. وكل كائن فيه يتفاعل أو يتعامل مع الكائنات الأخرى. . . وكلها تعمل منفردة ومجتمعة داخل إطار النواميس المودعة في فطرتها وتكوينها بلا تعارض ولا خلل ولا فتور في لحظة من اللحظات. وكل كائن بمفرده كَوْنٌ وحده وعالم بذاته تعمل في داخله ذراته وخلاياه وأعضاؤه وأجهزته وفق الفطرة التي فطرت عليها، داخل حدود الناموس العام، في توافق وانتظام. وكل كائن بمفرده ـ ودعْك من الكون الكبير ـ يقف علم الإنسان وجهده قاصراً محدوداً في دراسة خواصه ووظائفه وأمراضه وعلاجه: دراستها مجرد دراسة. لا خلقها ولا هدايتها إلى وظائفها. . . فذلك خارج كلية عن طوق الإنسان. وهو خلق من خلق الله. . . وهبه وجوده على الهيئة التي وجد بها للوظيفة التي خُلق لها. كأي شيء من هذه الأشياء. . إلا أنه للإله الواحد: ﴿**ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**﴾.

وثنى فرعون بسؤال آخر: ﴿**قال فما بال القرون الأولى**. . .﴾ ما شأن القرون التي مضت من الناس؟! أين ذهبت؟ ومن كان ربها؟ وما يكون شأنها وقد هلكت لا تعرف إلـهَـا هذا؟ ﴿**قال: علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى**. . .﴾ بهذا أحال موسى ذلك الغيب البعيد في الزمان، الخافي عن العيان، إلى ربه الذي لا يفوت علمه شيء ولا ينسى شيئاً. . . فهو الذي يعلم شأن تلك

القرون كلها: في ماضيها وفي مستقبلها. والغيب لله والتصرف في شأن البشر لله.

﴿التوجيه الرابع﴾: **﴿الذي جعل لكم الأرض مهاداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء...﴾**: في هذا التوجيه يوجه الخطاب فيه إلى المخاطبين في كل زمان ومكان... فالله وحده هو الذي جعل لكم هذه الأرض كلها مهاداً للبشر... مَهْدٌ كمهد الطفل... فما البشر إلا أطفال هذه الأرض. يضمهم حضنها، ويغذوهم درها. وهي ممهدة لهم كذلك للسير والحرث والزرع والحياة. جعلها الخالق المدبر كذلك يوم أعطى كل شيء خلقه... فأعطى هذه الأرض خلقها على الهيئة التي خلقت بها صالحة للحياة التي قدرها فيها.

وأعطى البشر خلقهم كذلك على الهيئة التي خلقهم بها صالحين للحياة في هذه الأرض التي مهدها لهم وجعلها مهدهم. فالخالق المدبر الذي جعل الأرض مهاداً شق للبشر فيها طرقاً، وأنزل من السماء ماء... ومن ماء المطر تكون الأنهار وتفيض... فيخرج النبات أزواجاً من أجناس كثيرة... **﴿فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى﴾**. وقد شاء الخالق المدبر أن يكون النبات أزواجاً كسائر الأحياء. وهي ظاهرة مطردة في الأحياء كلها. والنبات في الغالب يحمل خلايا التذكير وخلايا التأنيث في النبتة الواحدة.

وأحياناً يكون اللقاح في نبتة ذكر منفردة كما هو الحال في الفصائل الحيوانية. وبذلك يتم التناسق في نواميس الحياة ويطرد في كل الفصائل والأنواع... فهذه كلها فيها الدلائل لكل عاقل: **﴿إن في ذلك لآيات لأولى النهى﴾**. وما من عقل مستقيم يتأمل هذا النظام العجيب... ثم لا يطلع فيه على آيات تدل على الخالق المدبر الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. **﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾**: هذا إدماج للتذكير بالخلق الأول ليكون دليلاً على الخلق الثاني بعد الموت... فمع إمكانه لا بد من وقوعه. وهو تكملة لعقيدة البعث التي جاءت في شريعة موسى وشريعة الرسل في كل عصر... ففي هذا التوجيه ذكر منافع الأرض للبشر جميعاً في هذه الحياة الدنيا... فإن ذكر خلق الأرض ومنافعها يستدعي إكمال ذكر المهم للناس من أحوالها... فكان خلق أصل الإنسان من الأرض شبيهاً بخروج النبات منها. وإخراج الناس إلى الحشر شبيه بإخراج النبات من الأرض.

قال تعالى: ﴿**والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً**...﴾ كما جاء في سورة نوح... ودل قوله تعالى: ﴿**وفيها نعيدكم**﴾ على أن دفن الأموات في الأرض هو الطريقة الشرعية لموارة الموتى... سواء كان شقاً في الأرض أو لحداً؛ لأن كليهما إعادة في الأرض... فما يأتيه بعض الأمم من غير المسلمين من إحراق الموتى بالنار، أو إغراقهم في الماء، أو وضعهم في صناديق فوق الأرض... فذلك مخالف لسنة الله وفطرته لأن الفطرة اقتضت أن الميت يسقط على الأرض فيجب أن يوارى فيها. وكذلك كانت أول مواراة في البشر، حين قتل أحد بني آدم أخاه، كما قال تعالى ـ في سورة المائدة ـ: ﴿**فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي**﴾؟!... فجاءت الشرائع الإلهية بوجوب الدفن في الأرض.

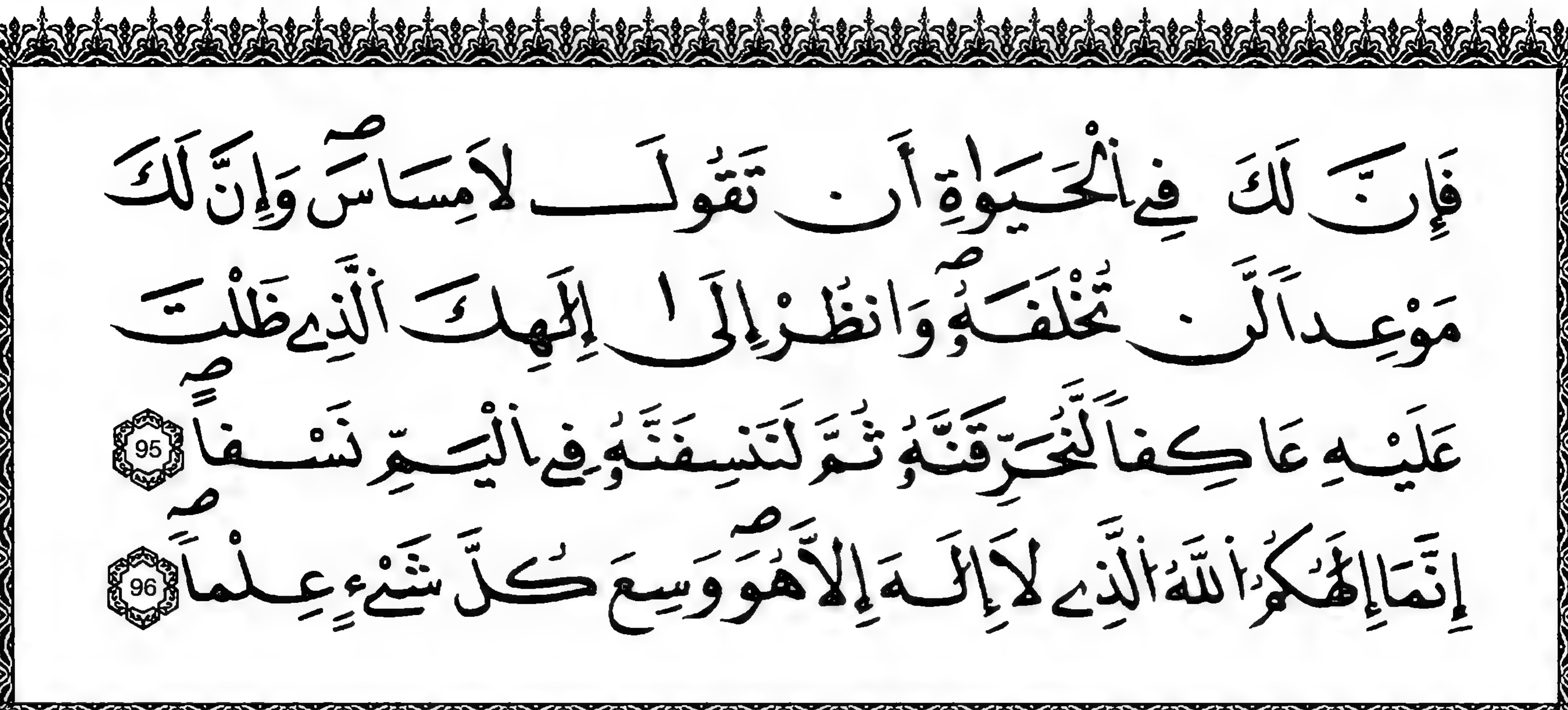
5 ـ تفصيل الكلام في قصة موسى عليه السلام

النص

وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿55﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا
لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿56﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ
فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا
سِوًى ﴿57﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿58﴾
فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿59﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ
لَا تَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ
مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿60﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَىٰ ﴿61﴾
قَالُوٓا إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم
بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿62﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ
ثُمَّ ٱئْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿63﴾
قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿64﴾
قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا
تَسْعَىٰ ﴿65﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿66﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿67﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوٓا إِنَّمَا صَنَعُوا
كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿68﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا ءَامَنَّا

بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ (69) قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمُۥٓ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ
اُلذِے عَلَّمَكُمُ اُلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ
وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِے جُذُوعِ اِلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَىٰ (70)
* قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ اَلْبَيِّنَٰتِ وَالذِے فَطَرَنَا
فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِے هَٰذِهِ اِلْحَيَوٰةَ اَلدُّنْيَا (71) إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا
لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ اَلسِّحْرِ
وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (72) إِنَّهُۥ مَنْ يَّاتِ رَبَّهُۥ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (73) وَمَنْ يَّاتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ اَلصَّٰلِحَٰتِ
فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ اُلدَّرَجَٰتُ اُلْعُلَىٰ (74) جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا
اَلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ (75)
وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اِسْرِ بِعِبَادِے فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً
فِے اِلْبَحْرِ يَبَساً لَّا تَخَٰفُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَىٰ (76) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ اَلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ (77) يَٰبَنِےٓ إِسْرَآءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ
جَانِبَ اَلطُّورِ اِلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ اُلْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ (78)
كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ
غَضَبِے وَمَنْ يَّحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِے فَقَدْ هَوَىٰ (79) وَإِنِّے لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحاً ثُمَّ اَهْتَدَىٰ (80) * وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ

يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾
قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾
فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ
أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ
أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾
قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا
مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾
فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ
فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا
وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ۖ
وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ
عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ
يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ
إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِي ﴿٩٤﴾ * قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ
بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ
الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ



البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**ولقد أريناه آياتنا كلها**﴾: أرى الله فرعون الدلائل التي جرت على يد موسى. وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿**في تسع آيات إلى فرعون وقومه**. . .﴾ وقوله: ﴿**ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها**. . . **فكذب وأبى**﴾: كذب فرعون موسى، وأبى الانصياع إليه. . ﴿**قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى**﴾: قال فرعون لموسى مستفهماً ومستنكراً ما جاء على يد موسى من الآيات. واعتبره سحراً من موسى؛ ليخرج فرعون وقومه من أرضهم باستيلائهم على الحكم. . . ﴿**فلنأتينك بسحر مثله**﴾: إذا كان الأمر كذلك فلنأتينك بسحر مثل سحرك. . . ﴿**فاجعل بيننا وبينك موعداً**. . .﴾ الموعد: مصدر ميمي، بمعنى الوعد المحدد بوقت. ﴿**لا نخلفه نحن ولا أنت**﴾: نتفق على هذا الوعد في زمانه ومكانه: ﴿**مكاناً سوى**﴾. أراد مكاناً منكشفاً للناظرين ليشهدوا أعمال موسى وأعمال السحرة. . . فجاء جواب موسى مطابقاً لمطلب فرعون: ﴿**قال موعدكم يوم الزينة**. . .﴾ يوم الزينة: يوم العيد. . . فهو تعيين للوقت المحدد فيه الوعد.

وقوله: ﴿**وأن يحشر الناس ضحى تعيين للمكان**. . .﴾ وقوله: ضحى تقييد لمطلق الوقت. والضحى: وقت ارتفاع الشمس قبل الزوال. وهو وقت انتشار الناس ومزاولة أعمالهم. . . ﴿**فتولى فرعون**. . .﴾ التولي: الانصراف. أي: انصرف فرعون عن ذلك المجلس إلى حيث يرسل الرسل إلى المدائن لجمع من عرفوا بعمل السحر. . . فهو مثل قوله تعالى: ﴿**ثم أدبر يسعى فحشر فنادى**. . .

فجمع كيده ثم أتى﴾: ومعنى جمع الكيد تدبير أسلوب مناظرة موسى وإعداد الحيل لإظهار غلبة السحرة عليه، وإقناع الحاضرين بأن موسى ليس على شيء. والكيد: إخفاء ما به الضر إلى وقت فعله. ومعنى **﴿ثم أتى﴾**: حضر الموعد بعدما جمّع ما جمّع... **﴿قال لهم موسى ويلكم﴾**: الويل اسم للعذاب والشر... **﴿لا تفتروا على الله كذباً﴾**: الافتراء اختلاق الكذب. والمراد بالافتراء هنا ما يخيلونه إلى الناس من الشعوذة... **﴿فيسحتكم بعذاب﴾**: السحت الاستئصال... **﴿وقد خاب من افترى﴾**: خاب مقابل أفلح.

والمفتري المختلق الكذب. **﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾**: التنازع تفاعل من النزع. وهو الجذب من البئر. **﴿وأسروا النجوى﴾**: اختلوا وتحادثوا سِرّاً؛ ليصدر عن رأي لا يطلع عليه غيرهم. **﴿قالوا إن هذان لساحران﴾**: هذا ما استقر رأيهم عليه وقت التناجي. **﴿يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما﴾**: يريدان الاستئثار بهذه الصناعة؛ ليستطيعا بها إخراجكم من أرض مصر. وكان الاعتقاد السائد في مصر وغيرها كما هو باق اليوم في الأمم المتخلفة: أن الساحر له قوة النصر لمن يريد نصره والهزيمة لمن يريد هزيمته. **﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾**: يأخذا منكم سحركم الذي كنتم متميزين به والمثل الأعلى عندكم. أو يبطلونه ويظهرون سحرهما... **﴿فأجمعوا كيدكم﴾**: الإجماع المراد به التعاون والتعاضد.

والكيد هنا قوة التدبير وسداد الرأي... **﴿ثم ائتوا صفاً﴾**: الصف هنا التراص في الصفوف وإظهار العظمة والأبهة... حتى تكون لكم الهيبة في عيون الناس. **﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾**: قد تحقق فلاح من فاز في هذا اليوم بالغلبة والظهور، **﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى﴾**: خيّروا موسى بأن يبدأ هو، أو يبدأوا هم﴿.... **قال بل ألقوا﴾**: أمر موسى السحرة بأن يلقوا هُمْ أوَّلاً... **﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾**: فَاجَأَ موسى ما عمل السحرة من سحر في حبالهم وعصيهم من حركة واضطراب... **﴿فأوجس في نفسه حيفة موسى...﴾** أوجس: أضمر واستشعر. والخيفة: اسم هيئة من الخوف. **﴿قلنا لا تخف﴾**: قال الله لموسى لا تخف مما عمل السحرة **﴿إنك أنت الأعلى. وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا﴾**: التلقف: الابتلاع والالتهام بسرعة. **﴿إنما صنعوا كيد ساحر﴾**: إن الذي صنعوه كيد

وتمويه... فلا يقف أمام الحق النزيه... ولا يفلح الساحر حيث أتى... بل يخيب وينتهي كل ما عنده من الحيل والتمويه.

﴿**فألقى السحرة سجداً قالوا: آمنا برب هارون وموسى**﴾: لما ألقى موسى عصاه فصارت ثعباناً عظيماً وحية تسعى وتلقفت كل ما عمل السحرة ظهرت لهم حقيقة المعجزة فألقى السحرة أنفسهم خاضعين لله الحق مؤمنين بما جاء به موسى وهارون من ربهم... فلم يعبأوا بفرعون وقوته وجبروته. ولما رأى فرعون من السحرة ما رأى وسمع منهم ما سمع ﴿**قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر...**﴾ فهذا أمر مدبر من قبل مع موسى... ﴿**فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى**﴾.

خوّف فرعون السحرة بهذا التهديد... فأظهر لهم ما سيفعله بهم من الوعيد الشديد... ولكن الإيمان رسخ في قلوب السحرة فقابلوه غير مكترثين بهذا الوعيد: ﴿**قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا...**﴾ فأظهروا استخفافهم بوعيده وبتعذيبه؛ إذ أصبحوا أهل إيمان ويقين. والإيثار: التفضيل والاختيار. ومعنى الذي فطرنا: الله الذي خلقنا... فافعل ما بدا لك... إنما أنت عملك محدود في هذه الحياة الدنيا. وجملة ﴿**إنا آمنا بربنا**﴾ في محل العلة لما تضمنه كلامهم... فطلبوا من الله المغفرة مما فعلوا من الخطايا والسحر المكرهين عليه من فرعون. ﴿**والله خير وأبقى**﴾: ثواب الله خير وأبقى. وجزاؤه في الخير والشر أبقى من جزائك... فلا يهولنّا قولك: ﴿**ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى**﴾.

﴿**إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى**﴾: المجرم فاعل الجريمة. وهي المعصية والفعل الخبيث. والمجرم في اصطلاح القرآن هو الكافر؛ لهذا كان جزاؤه جهنم لا يموت فيها فيستريح... ولا يحيا حياة يتنعم فيها بالعيش المريح. ﴿**ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى**﴾: هذا مقابل ما يلقاه المجرم... والدرجات العلى هي ﴿**جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى**﴾. والتزكي: التطهر من العصيان، والترقي بالإيمان إلى نعيم الجنان.

﴿ولقد أوحينا إلى موسى: أن أسر بعبادي﴾: أسر أمر من السرى. وهو السير آخر الليل. والضرب هنا بمعنى الجعل. واليبس: وصف بمعنى اليابس. في قوله: **﴿فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً.... لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾**: بشرى لموسى بالفوز ولعدوّه الهلاك! والدرك: اسم مصدر الإدراك. والإدراك اللحوق. والخشية: شدة الخوف. **﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾**: لحق فرعون وجنوده موسى ومن معه من قومه... **﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾**: غطاهم وغمرهم الماء الذي كثرته وهوله لا يتصور... **﴿وأضل فرعون قومه وما هدى﴾**: حيث كانت نهايتهم الغرق في الدنيا والحرق في الأخرى... **﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى. إن في ذلك لعبرة لمن يخشى. يا بني إسراءيل قد أنجيناكم من عدوكم﴾**: نادى الله بني إسراءيل بعد إغراق عدوهم بأن يشكروا هذه النعمة التي أنعم الله بها عليهم بعدما كانوا عبيداً مضطهدين في مصر.

﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾: وهي النعمة الأولى التي من الله بها على موسى... فكانت سبباً في إخراجهم من مصر... فواعده الله فيه بإنزال الشريعة عليه.... فكانوا في هذا المكان يترقبون الشريعة بما فيها من الأمر بالدخول إلى الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم. **﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾** عندما كنتم في صحراء لا طعام فيها... **﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي...﴾** فهو أمر بالشكر ونهى عن الكفر... فالكفر سبب حلول العذاب الذي هو نتيجة الغضب. **﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾**: تحذير من عاقبة كفر النعمة. وهوى سقط من علوّ. والمراد هنا الهوى في النار في الآخرة. والدمار في الدنيا. كما هوى فرعون وقومه...

﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾: هذا إرشاد إلى ما يتدارك به الطغيان إن وقع بالتوبة إلى الإيمان والعمل الصالح.... **﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾**: أي شيء جعلك تسرع بعيداً عن قومك؟ **﴿قال هم أولاء على أثري﴾**: هم أولاء سائرون على مواقع أقدامي. **﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾**: عجلت إليك مبادرة لرضاك يا رب... **﴿قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾**. قال الله لموسى فإنا قد ابتلينا قومك بعبادة العجل بعدما تركتهم. **﴿وأضلهم السامري﴾**: الشخص الذي صنع لهم العجل من الحلى التي أخذوها معهم... **﴿فرجع موسى**

إلى قومه غضبان أسفا﴾: شديد الغضب آسفاً على ما فعل قومه من بعده: **﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً. . .﴾**. فالله وعدهم على لسان موسى بإنزال التوراة وما فيها من هدى وإصلاح. . . **﴿أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى﴾**: الاستفهام هنا مفرع على قوله: **﴿ألم يعدكم ربكم. . .﴾** فتكون لكم شبهة عذر في الإعراض عن عبادة الله ونسيان عهده!. . . إنما فعلتم ذلك ليحل عليكم غضب الله. . . **﴿فأخلفتم موعدى. . . قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾**: قال القوم جواباً عن كلام موسى: ما أخلفنا موعدا بإرادتنا واختيارنا. . . **﴿ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم. . .﴾** الأوزار: الأثقال. والزينة: الحلى. . . **﴿فقذفناها. . .﴾** القذف: الإلقاء.

والمراد به هنا الإلقاء في نار السامري للصوغ. . . **﴿فكذلك ألقى السامري. . .﴾** فمثل ذلك القذف ألقى السامري ما كان عنده. . . **﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار﴾**: أظهر لهم السامري صورة العجل التي صاغها من الحلى. والجسد: الجثة التي لا روح فيها. والخوار: صوت البقر: **﴿فقالوا هذا إلهكم وإله موسى. . . فنسى﴾**: أضاع. أو غفل. **﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا﴾**: لا يجيب العجل لهم طلباً، لأنه لا يسمع قولهم. . . **﴿ولا يملك لهم ضراً﴾**، إذا تركوا عبادته. . . **﴿ولا نفعاً﴾**، إذا عبدوه. . . **﴿ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم رحمان فاتبعوني وأطيعوا أمري﴾**: لقد نبههم هارون على فظاعة ما عملوا من قبل رجوع موسى إليهم بأن هذا العمل فتنة ومحنة فتنكم بها السامري؛ إذ ليس لكم رب إلا الرحمان الذي يرحمكم إذا عبدتموه. . . وينتقم منكم إذا عبدتم غيره. . . **﴿فأتبعوني وأطيعوا أمري: قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾**: هذا جواب القوم لهارون. . . فهم مقيمون على عبادة العجل إلى رجوع موسى إليهم. . . فلما رجع موسى ألقى هذا الكلام إلى أخيه أولاً: **﴿قال يا هارون ما منعك إذا رأيتهم ضلوا ألا تتبعني﴾**؟. . . ما منعك من أن تتبعني واضطرك على أن لا تتبعني؟ **﴿قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسراءيل ولم ترقب قولي﴾**: قال هارون لموسى **﴿يا ابن أم﴾** ـ يا أخي ـ: **﴿لا تأخذ بلحيتي﴾** ولا برأسي تلومني وتعنّفني؛ لأني خشيت قولك لي فرقت بين بني إسراءيل، **﴿ولم ترقب قولي﴾**، عندما قلت لي: **﴿اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾**.

ثم واجه موسى السامريَّ ثانياً: ﴿**قال فما خطبك يا سامريُّ**﴾؟ الخطب: كلمة تستعمل في المكاره... فمعنى ما خطبك: ماذا تخطب؟ والغرض منه: ما مصيبتك التي أصبت بها القوم وما غرضك مما فعلت؟ أجاب السامري بقوله: ﴿**قال بصرت بما لم يبصروا به..**﴾ بصرت: علمت، وفطنت، بما لم يعلموا به ولم يفطنوا له... ﴿**فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها...**﴾ القبضة: الواحدة من القبض. وهو غلق الراحة على شيء وضد القبض البسط. والنبذ: إلقاء ما في اليد. وأثر الرسول: شريعة موسى. والمعنى: أخذت نبذة من الشريعة... ثم تركتها إلى الكفر... فَفَعَلْتُ ما فعلت من إضلال القوم. ﴿**وكذلك سولت لي نفسي**﴾: زينت لي نفسي هذا الفعل الشنيع بما فيها من الكفر والضلال.... ﴿**قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس**﴾.

قال موسى للسامري بعدما اعترف بفعله، وظهرت له حقيقة أمره فاذهب وانصرف وابتعد عنا... فأنت مرفوض مطرود بعيد عن الناس لا تمس أحداً ولا يمسك أحد. ﴿**وإن لك موعداً لن تخلفه**﴾: توعد موسى السامريَّ بعذاب الآخرة بعدما توعده بالطرد والبعد في الدنيا... ثم أمره بأن ينظر إلى إلهه الذي ظل عليه عاكفاً فقال له: ﴿**وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً**﴾. تفتت العجل بالتحريق... ثم ضاع في اليمّ... ﴿**إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً**﴾: هذا آخر كلام موسى لقومه تحقيقاً للحق وإبطالاً للباطل.

مبحث الإعراب

﴿**ولقد أريناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام التقسم. والجملة معطوفة على ما تقدم. ﴿**آياتنا**﴾ مفعول ثان منصوب بالكسرة والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**كلها**﴾ توكيد لآياتنا منصوب بالفتحة. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**فكذب**﴾ فعل ماض دخلت عليه فاء التعقيب. والفاعل ضمير عائد على فرعون. ﴿**وأبى**﴾ معطوف على كذب. ﴿**قال**﴾ فرعون لموسى: ﴿**أجئتنا**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**لتخرجنا**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير يعود على موسى. والضمير المتصل بالفعل مفعول به. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بالفعل قبله.

والتقدير: أجئتنا لأجل إخراجك إيانا ﴿**من أرضنا بسحرك**﴾ متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿**يا موسى**﴾ منادى مبني على ضم مقدر على الألف في محل نصب. ﴿**فلنأتينك**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول به واللام للقسم والفاء للترتيب. ﴿**بسحر**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**مثله**﴾ نعت لسحر. ﴿**فاجعل**﴾ فعل أمر دخل عليه حرف التعقيب. والمأمور موسى. ﴿**بيننا**﴾ منصوب على الظرفية متعلق باجعل. ﴿**وبينك**﴾ معطوف على بيننا. ﴿**موعداً**﴾ مفعول به. ﴿**لا نخلفه**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة لا نخلفه في محل نصب نعت لموعد.

﴿**نحن**﴾ توكيد للفاعل المستتر في الفعل. ﴿**ولا أنت**﴾ معطوف على الفاعل في قوله: لا نخلفه. ﴿**مكاناً**﴾ بدل اشتمال من «موعداً»، ﴿**سوى**﴾ نعت له. منصوب بفتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿**قال**﴾ موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿**موعدكم**﴾ مبتدأ مرفوع بالضمة. ﴿**يوم**﴾ خبره. ﴿**الزينة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**وأن يحشر**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن. ﴿**الناس**﴾ نائب فاعل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع معطوف على يوم الزينة. ﴿**ضحى**﴾ ظرف متعلق بيحشر. منصوب بفتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿**فتولى فرعون**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب.

﴿**فجمع**﴾ مرتّب على تولى. والفاعل ضمير يعود على فرعون. ﴿**كيده**﴾ مفعول به. ﴿**ثم أتى**﴾ معطوف على جمع. ﴿**قال لهم موسى**﴾: ﴿**ويلكم**﴾ منصوب على النداء. وحرف النداء مقدر. . . ﴿**لا تفتروا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لا الناهية فجزمته. ﴿**على الله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**كذبا**﴾ مفعول به. ﴿**فيسحتكم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة بعد النهى. والفاعل ضمير يعود على الله. والضمير المتصل بالفعل مفعول به. ﴿**بعذاب**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وقد خاب مَنْ**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق وواو العطف. ﴿**افترى**﴾ فعل ماض والفاعل ضمير يعود على من. والجملة صلة من.

﴿**فتنازعوا أمرهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة متفرعة على ما قبلها. . . ﴿**بينهم**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بيتنازعوا. ﴿**وأسروا النجوى**﴾ فعل وفاعل

ومفعول معطوف على تنازعوا. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**إن**﴾ اسمها ضمير الشأن. ﴿**هذان**﴾ مبتدأ مرفوع بالألف. ﴿**لساحران**﴾ خبره. والجملة في محل رفع خبر إنّ. ﴿**يريدان**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل رفع نعت لساحران. ﴿**أن يخرجاكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول يريدان. ﴿**من أرضكم بسحرهما**﴾ متعلقان بيخرجاكم.

﴿**ويذهبا**﴾ فعل وفاعل معطوف على يخرجاكم. ﴿**بطريقتكم**﴾ متعلق بيذهبا. ﴿**المثلى**﴾ نعت لطريقتكم مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿**فأجمعوا كيدكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفاء فصيحة. أي: إذا كان الأمر كذلك فأجمعوا كيدكم... ﴿**ثم ائتوا**﴾ معطوف على اجمعوا. ﴿**صفا**﴾ حال من فاعل ائتوا، ﴿**وقد أفلح**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق وواو العطف. ﴿**اليوم**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بأفلح. ﴿**من**﴾ في محل رفع فاعل أفلح. ﴿**استعلى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على منْ. والجملة صلة منْ. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل.

يا﴿**موسى**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**إما**﴾ أداة تفصيل. ﴿**أن تلقي**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير يعود على موسى. ﴿**وإما أن نكون**﴾ عطف على إما أن تلقي. ﴿**أول**﴾ خبر تكون. واسمها ضمير المتكلمين. ﴿**منْ**﴾ في محل جَرّ مضاف إلى أول. ﴿**ألقى**﴾ صلة منْ. ﴿**قال**﴾ موسى: ﴿**بل**﴾ حرف إضراب. ﴿**ألقوا**﴾ فعل أمر للجماعة المخاطبين. ﴿**فإذا**﴾ الفاء فصيحة. وإذا فجائية. ﴿**حبالهم**﴾ مبتدأ. ﴿**وعصيُّهم**﴾ معطوف عليه. ﴿**يخيل**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**إليه من سحرهم**﴾ متعلقان بخيل. ﴿**أنها**﴾ أن واسمها. ﴿**تسعى**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الحبال والعصى. والجملة في محل رفع خبر أنّ.

وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع نائب فاعل يخيل. وجملة يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿**فأوجس**﴾ فعل ماض. والفاء للتعقيب. ﴿**في نفسه**﴾ متعلق بأوجس. ﴿**خيفة**﴾ مفعول به. ﴿**موسى**﴾ فاعل أوجس. ﴿**قلنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لا تخف**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والفاعل ضمير يعود على موسى. ﴿**إنك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أنت**﴾ ضمير فصل.

الأعلى خبر إنّ مرفوع بضمة مقدرة على الألف وجملة إنك أنت الأعلى تعليلية. ﴿**وألق**﴾ فعل أمر مبني على حذف الياء... والواو للعطف. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به.

﴿**في يمينك**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**تلقف**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر. والفاعل ضمير يعود على ما في يمينك. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**صنعوا صلة ما.** ﴿**إنّ**﴾ حرف توكيد ونصب. ﴿**ما**﴾ في محل نصب اسم إنّ. ﴿**صنعوا**﴾ صلة ما. ﴿**كيد**﴾ خبر إنّ. ﴿**ساحر**﴾ مضاف إلى كيد. وجملة إن ما صنعوا كيد ساحر تعليلية. ﴿**ولا يفلح الساحر**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وواو العطف.

وهو من تمام التعليل الذي قبله. ﴿**حيث**﴾ ظرف مبني على الضم في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿**أتى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الساحر. والجملة في محل جر مضافة إلى حيث. ﴿**فألقى**﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول. والفاء مرتب على مقدر. والتقدير: ألقى موسى ما في يمينه فلتقفت ما صنع السحرة فألقى ﴿**السحرة**﴾ نائب فاعل. ﴿**سجداً**﴾ حال من السحرة. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**آمنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**برب**﴾ متعلق بآمنا. ﴿**هارون**﴾ مضاف إلى رب مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة. ﴿**وموسى**﴾ معطوف على هارون. ﴿**قال**﴾ فرعون ﴿**آمنتم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**له**﴾ متعلق بآمنتم. ﴿**قبل**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بآمنتم. ﴿**أن آذن**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير المتكلم.

﴿**لكم**﴾ متعلق بآذن. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مضاف إلى قبل. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لكبيركم**﴾ خبر إنّ. واللام لتوكيد الخبر والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع نعت لكبير... ﴿**علمكم**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الموصول. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**السحر**﴾ مفعول ثان. ﴿**فلأقطعن**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. واللام للقسم. والفاء للتعقيب. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**أيديكم**﴾ مفعول به منصوب بالفتحة. ﴿**وأرجلكم**﴾ معطوف على أيديكم. ﴿**من خلاف**﴾ متعلق بمحذوف حال من المفعول. ﴿**ولأصلبنّكم**﴾ معطوف على قوله:

لأقطعن. ﴿في جذوع﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿النخل﴾ مضاف إلى جذوع.

﴿ولتعلمن﴾ الواو للعطف. واللام للقسم. وتعلمن فعل مضارع اتصلت به نون التوكيد. فحذفت نون الرفع لتوالي الأمثال. وواو الجماعة الفاعل لالتقاء الساكنين. ﴿أيُّنا﴾ مبتدأ مرفوع بالضمة. ﴿أشدُّ﴾ خبره. ﴿عذابا﴾ تمييز. ﴿وأبقى﴾ معطوف على أشد. ﴿قالوا﴾ فعل وفاعل. ﴿لن نؤثرك﴾ فعل مضارع منصوب بلن. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿على ما﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿جاءنا﴾ صلة ما. ﴿من البينات﴾ بيان لما. ﴿والذي﴾ في محل جر عطف على ما جاءنا. . . ﴿فطرنا﴾ صلة الذي. ﴿فاقض﴾ فعل أمر. والفاء للترتيب. ﴿ما﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿أنت﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿قاضٍ﴾ خبره مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. وجملة المبتدأ والخبر صلة ما. ﴿إنما﴾ كافة ومكفوفة.

﴿تقضي﴾ فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء. والفاعل ضمير المخاطب يعود على فرعون. ﴿هذه﴾ في محل نصب نيابة عن المفعول به. ﴿الحياة﴾ عطف بيان. ﴿الدنيا﴾ نعت له. والجملة تعليل لما قبلها. ﴿إنا﴾ إن واسمها. ﴿آمنا﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر إن. ﴿بربنا﴾ متعلق بآمنا. ﴿ليغفر﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير يعود على ربنا. ﴿لنا﴾ متعلق بيغفر. ﴿خطايانا﴾ مفعول به. ﴿وما﴾ في محل نصب معطوف على خطايانا. ﴿أكرهتنا﴾ فعل وفاعل ومفعول صلة ما. ﴿عليه من السحر﴾ متعلقان بأكرهتنا. ﴿والله﴾ مبتدأ. ﴿خيرٌ﴾ خبره. ﴿وأبقى﴾ معطوف عليه. والجملة تذييل. ﴿إنه﴾ إنّ واسمها. ﴿من يأت﴾ فعل مضارع مجزوم بمن. فعل الشرط. والفاعل ضمير يعود على من. ﴿ربه﴾ معمول يأت.

﴿مجرماً﴾ حال من فاعل يأت. ﴿فإن له﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿جهنم﴾ اسمها مؤخر. والجملة جواب الشرط. والفاء رابط. ﴿لا يموت﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل ضمير يعود على منْ. ﴿فيها﴾ متعلق بيموت. ﴿ولا يحيا﴾ عطف على لا يموت. ﴿ومن يأته مؤمناً﴾ مثل من يأت ربه مجرماً في الإعراب. ﴿قد عمل﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق. والفاعل ضمير يعود على منْ. ﴿الصالحات﴾ مفعول به. ﴿فأولئك﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿لهم﴾

متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**الدرجات**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**العلى** ﴾ نعت للدرجات وجملة لهم الدرجات خبر أولئك. وجملة أولئك لهم الدرجات في محل جزم جواب الشرط. . . ﴿**جنات**﴾ عطف بيان للدرجات. ﴿**عدن**﴾ مضاف إلى جنات. ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع.

﴿**من تحتها**﴾ متعلق به. ﴿**الأنهار**﴾ فاعل تجري. والجملة نعت ثان لجنات. ﴿**خالدين**﴾ حال من الضمير في لهم. ﴿**فيها**﴾ متعلّق بخالدين. ﴿**وذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**جزاء**﴾ خبره. ﴿**منْ**﴾ في محل جر مضاف إلى جزاء. ﴿**تزكى**﴾ صلة من. والجملة تذييل. ﴿**ولقد أوحينا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**إلى موسى**﴾ متعلق بأوحينا. ﴿**أن أسر**﴾ فعل أمر مفسر لأوحينا. ﴿**بعبادي**﴾ متعلق بفعل الأمر. ﴿**فاضرب**﴾ فعل أمر مرتب على ما قبله. ﴿**لهم**﴾ متعلق باضرب. ﴿**طريقاً**﴾ مفعول به. ﴿**في البحر**﴾ متعلق بمحذوف نعت لطريق. ﴿**يبسا**﴾ نعت ثان له. ﴿**لا تخاف**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. والفاعل ضمير يعود على موسى. ﴿**دركاً**﴾ مفعول به. ﴿**ولا تخشى**﴾ معطوف على لا تخاف.

﴿**فأتبعهم** ﴾ فعل ماض، والفاء للتعقيب. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**فرعون**﴾ فاعل. ﴿**بجنوده**﴾ متعلق بأتبعهم. ﴿**فغشيهم**﴾ مرتب على ما قبله. ﴿**من اليم**﴾ متعلق بغشيهم. ﴿**ما**﴾ في محل رفع فاعل غشيهم. ﴿**غشيهم**﴾ صلة ما. ﴿**وأضل فرعون قومه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**وما هدى**﴾ معطوف على أضل. ﴿**يا بني**﴾ منادى منصوب بالياء. ﴿**إسراءيل**﴾ مضاف إلى بني. ﴿**قد أنجيناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق. ﴿**من عدوكم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وواعدناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على أنجيناكم. ﴿**جانب**﴾ مفعول ثان. ﴿**الطور**﴾ مضاف إلى جانب. ﴿**الأيمن**﴾ نعت لجانب. ﴿**ونزلنا**﴾ فعل وفاعل. معطوف على واعدناكم. ﴿**عليكم متعلق بنزلنا. المنَّ**﴾ مفعول به.

﴿**والسلوى**﴾ معطوف عليه. ﴿**كلوا**﴾ فعل أمر للمخاطبين. ﴿**من طيبات**﴾ متعلق بكلوا. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف إلى طيبات. ﴿**رزقناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. صلة ما. ﴿**ولا تطغوا**﴾ نهى معطوف على الأمر. ﴿**فيه**﴾ متعلق بتطغوا.

﴿**فيحل**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية. واقع بعد النهي. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بيحل. ﴿**غضبي**﴾ فاعل يحل. مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. وياء المتكلم في محل جر بالإضافة. . . ﴿**ومن يحلل**﴾ فعل مضارع مجزوم بمن الشرطية. ﴿**عليه**﴾ متعلق بيحلل. غضبي فاعل يحلل. ﴿**فقد هوى**﴾ في محل جزم جواب الشرط. والفاء رابطة لوجود قد في الجملة. ﴿**وإني**﴾ إن واسمها والواو عاطفة. ﴿**لغفار**﴾ خبر إنّ. واللام لتوكيد الخبر. ﴿**لمن**﴾ متعلق بغفار. ﴿**تاب**﴾ فعل ماض والفاعل ضمير يعود على منْ. والجملة صلة منْ. ﴿**وآمن وعمل**﴾ معطوفان على تاب.

﴿**صالحاً**﴾ مفعول به. ثم ﴿**اهتدى**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**وما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**أعجلك** ﴾ فعل ماض. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل ضمير يعود على ما. والجملة في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿**عن قومك**﴾ متعلق بأعجلك. ﴿**يا موسى**﴾ منادى كما تقدم في إعراب مثله، ﴿**قال**﴾ موسى: ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أولاء**﴾ مبنى على الكسر في محل رفع مبتدأ ثان. ﴿**على أثري**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ الثاني. والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول. ﴿**وعجلت**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**إليك**﴾ متعلق بعجلت. ﴿**رب**﴾ منادى حذف منه حرف النداء. وياء المتكلم تخفيفاً.

﴿**لترضى**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بعجلت. ﴿**قال**﴾ الله لموسى: فإنا إن واسمها. والفاء للتعقيب. ﴿**قد فتنا قومك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق. والجملة في محل رفع خبر إنّ. ﴿**من بعدك**﴾ متعلق بفتنا. ﴿**وأضلهم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والواو للعطف. ﴿**السامريُّ**﴾ فاعل. ﴿**فرجع موسى**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التعقيب. ﴿**إلى قومه**﴾ متعلق برجع. ﴿**غضبان أَسِفاً**﴾ منصوبان على الحال من موسى. ﴿**قال**﴾ موسى: ﴿**يا قوم**﴾ منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف.

﴿**ألم يعدكم**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم والهمزة للاستفهام. والضمير المتصل

بالفعل مفعول. ﴿**ربكم**﴾ فاعل يعدكم. ﴿**وعداً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**حسناً**﴾ نعت له. ﴿**أفطال**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بطال. ﴿**العهد**﴾ فاعل. ﴿**أم أردتم**﴾ معطوف على أفطال. ﴿**أن يحل**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. ﴿**عليكم**﴾ متعلق به. ﴿**غضب**﴾ فاعل. ﴿**من ربكم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لغضب. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول أردتم. ﴿**فأخلفتم موعدي**﴾ فعل وفاعل ومفعول مرتب على ما قبله. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ما أخلفنا موعدك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف النفي. ﴿**بملكنا**﴾ متعلق بأخلفنا. ﴿**ولكنا**﴾ لكن واسمها. والواو للعطف. ﴿**حملنا**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول. وضمير المتكلمين نائب الفاعل. أوزاراً مفعول ثان. وجملة حملنا أوزاراً خبر لكنّ. ﴿**من زينة**﴾ متعلق بمحذوف نعت لأوزار. ﴿**القوم**﴾ مضاف إلى زينة.

﴿**فقذفناها**﴾ فعل وفاعل ومفعول مرتب على ما قبله. ﴿**فكذلك**﴾ الكاف للتشبيه في محل نصب نعت لمفعول مطلق مقدر. والفاء للترتيب. ﴿**ألقى السامريّ**﴾ فعل وفاعل. ﴿**فأخرج**﴾ مرتب على ألقى. وفاعل أخرج ضمير يعود على السامري. ﴿**لهم**﴾ متعلق بأخرج. ﴿**عجلاً**﴾ مفعول به. ﴿**جسداً**﴾ نعت لعجل. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**خوار**﴾ مبتدأ مؤخر. وجملة له خوار نعت ثان لعجل. ﴿**فقالوا**﴾ فعل وفاعل مرتب على ما قبله. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**إلهكم**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**وإله**﴾ معطوف على إلهكم. ﴿**موسى**﴾ مضاف إلى إله. ﴿**فنسى**﴾ فعل ماض والفاء للتعقيب. والفاعل ضمير يعود على موسى.

﴿**أفلا يرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**إن**﴾ مخففة من الثقيلة. واسمها ضمير الشأن. ﴿**لا يرجع**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل ضمير يعود على العجل. والجملة خبر أن. ﴿**إليهم**﴾ متعلق بيرجع. ﴿**قولاً**﴾ مفعول به. ﴿**ولا يملك**﴾ معطوف على قوله: لا يرجع. ﴿**لهم**﴾ متعلق بيملك. ﴿**ضراً**﴾ مفعول به. ﴿**ولا نفعاً**﴾ معطوف عليه وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول يرون. ﴿**ولقد قال**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**لهم**﴾ متعلق بقال. ﴿**هارون**﴾ فاعل. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بقال. ﴿**يا قوم**﴾ منادى كما تقدم. ﴿**إنما**﴾ كافة

ومكفوفة. ﴿**فتنتم**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول. وضمير المخاطبين نائب الفاعل. ﴿**به**﴾ متعلق بفتنتم.

﴿**وإن ربكم**﴾ إن واسمها. والواو للعطف. ﴿**الرحمان**﴾ خبر إنّ. ﴿**فاتبعوني**﴾ فعل أمر للمخاطبين مرتب على ما قبله. ﴿**وأطيعوا**﴾ معطوف على قوله: فاتبعوني. ﴿**أمري**﴾ مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. ﴿**قالوا: لن نبرح**﴾ فعل ناقص من أخوات كان دخل عليه لن فنصبه. واسم نبرح نحن عليه متعلق بما بعده: ﴿**عاكفين**﴾ خبر نبرح. ﴿**حتى يرجع**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى. ﴿**إلينا**﴾ متعلق بيرجع. ﴿**موسى**﴾ فاعل يرجع. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحتى متعلق بنبرح. ﴿**قال**﴾ موسى: ﴿**يا هارون**﴾ منادى مبني على الضم في محل نصب. ﴿**ما**﴾ اسم استفهام في محل ررفع مبتدأ. ﴿**منعك**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول أول. والفاعل ضمير يعود على ما. ﴿**إذ**﴾ ظرف متعلق بالفعل قبله.

﴿**رأيتهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة في محل جر مضافة إلى إذ. ﴿**ضلوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ألا تتبعني**﴾ فعل مضارع منصوب بأن ولا نافية. والفاعل ضمير المخاطب. والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول ثان لمنعك. أي: أيُّ شيء منعك مطاوعتي وأمرك مخالفتي: ﴿**أفعصيت**﴾ أمري فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**قال**﴾ هارون: ﴿**يا ابن أُمَّ**﴾ منادى مضاف إلى أم منصوب بالفتحة. وأصل ابن أمّ: ابن أمي. حذفت ياء المتكلم وأبدلت الكسرة فتحة تخفيفاً. ﴿**لا تأخذ**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والفاعل ضمير يعود على ابن أمَّ.

بلحيتي﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولا برأسي**﴾ معطوف على قوله: لا تأخذ بلحيتي. ﴿**إني**﴾ إن واسمها. ﴿**خشيت**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر إنّ. ﴿**أن تقول**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**فرقت**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بين**﴾ متعلق بفرقت. ﴿**بني**﴾ مضاف إلى بين منصوب بالياء. ﴿**إسراءيل**﴾ مضاف إلى بني مجرور بالفتحة... وجملة فرقت مقول تقول. وأن تقول مؤول بمصدر منصوب مفعول خشيت. ﴿**ولم ترقب**﴾ فعل مضارع مجزوم

بلم معطوف على فرقت. . . ﴿**قولي**﴾ مفعول به. ﴿**قال**﴾ موسى: ﴿**فما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. والفاء للتعقيب. ﴿**خطبك**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**يا سامري**﴾ مبني على الضم في محل نصب. ﴿**قال**﴾ السامريُّ: ﴿**بصرت**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بما**﴾ متعلق ببصرت.

﴿**لم يبصروا**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. وضمير الجماعة فاعل. والجملة صلة ما. ﴿**به**﴾ متعلق بيبصروا. ﴿**فقبضت قبضة**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفاء للتعقيب. ﴿**من أثر**﴾ متعلق بقبضت. ﴿**الرسول**﴾ مضاف إلى أثر. ﴿**فنبذتها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. مرتب على ما قبله. ﴿**وكذلك**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف. واسم الإشارة في محل جر بالكاف. ﴿**سولت**﴾ فعل ماض. ﴿**لي**﴾ متعلق بسولت. ﴿**نفسي**﴾ فاعل سولت مرفوع بضمة على ما قبل ياء المتلكم. ﴿**قال**﴾ موسى للسامري: ﴿**فاذهب**﴾ فعل أمر. والفاء للتعقيب. ﴿**فإن لك في الحياة**﴾ متعلقان بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**أن تقول**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير المخاطب يعود على السامري. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب اسم إنّ مؤخر.

﴿**لا مساس**﴾ لا نافية للجنس. واسمها مبنيّ على الفتح في محل نصب. وخبر لا محذوف يعلم من السياق. ﴿**وإن لك موعداً**﴾ الجملة من إن واسمها المؤخر وخبرها المقدم معطوفة على قوله: فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس. ﴿**لن تخلفه**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بلن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ونائب الفاعل ضمير المخاطب. . . وجملة لن تخلفه في محل نصب نعت لموعد. ﴿**وانظر**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**إلى إلهك**﴾ متعلق بانظر. ﴿**الذي**﴾ في محل جر نعت لإلهك. ﴿**ظلت**﴾ ظل واسمها. ﴿**عليه**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**عاكفاً**﴾ خبر ظل. ﴿**لنحرقنه**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. واللام للقسم. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل نحن.

﴿**ثم لننسفنه**﴾ معطوف على قوله: لنحرقنه. وهو مثله في الإعراب. ﴿**في اليم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**نسفاً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**إنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**إلهكم**﴾ مبتدأ. ﴿**الله**﴾ خبره. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع نعت لله. ﴿**لا إله**﴾ لا واسمها مبني على الفتح في محل نصب. ﴿**إلاّ هو**﴾ بدل من خبر لا المقدر؛

والتقدير: لا إله موجودٌ إلا هو. ﴿**وسع**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**كل**﴾ مفعول به. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**علما**﴾ منصوب على التمييز.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**ولقد أريناه آياتنا كلها...**﴾ فالكلام موصول بالعطف على ما كان بين موسى وفرعون... وتأكيد الكلام بلام القسم وحرف التحقيق مستعمل في التعجيب من تصلّب فرعون في عناده!.... وإضافة آيات إلى ضمير العظمة ـ آياتنا ـ هنا يفيد تعريفاً لآيات معهودة.... وتأكيد الآيات بأداة التوكيد ـ كلها ـ لزيادة التعجيب من عناده. وكان نتيجة هذا العناد تكذيبه موسى وعصيانه أمر الله: ﴿**فكذب وأبى. قال أجئتنا**﴾: بداية للحوار الذي وقع بين موسى وفرعون في أمر الآيات... فالكلام هنا مختصر غير مفصل كما فصل في سورة الشعراء... فاستغنى بما ذكر من قوله: ﴿**ولقد أريناه آياتنا كلها...**﴾ وقوله: ﴿**لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى**﴾ تشويه لدعوة موسى، وتمويه على قومه بأن موسى يريد أن يأخذ الحكم ويستولي على الأرض بسبب ما جاء به من السحر... فإضافة السحر إلى ضمير موسى قصد منها تحقير شأن هذا الذي سماه سحراً... فلهذا قال فرعون: ﴿**فلنأتينك بسحر مثله...**﴾ فهو مفرع على ما قبله مؤكد بلام القسم ونون العظمة ونون التوكيد.

وقصد فرعون من مقابلة عمل موسى بمثله أن يزيل ما يخالج نفوس الناس من تصديق موسى وكونه على الحق. وفرع على ذلك طلب تعيين موعد بينه وبين موسى ليحضر له فيه القائمين بسحر مثل سحره: ﴿**فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى...**﴾. وإنما فوض فرعون أمر الوعد إلى موسى للاحتراز عن نسبته إلى ضعف القلب وضيق المجال، وإظهار الجلادة، وإراء أنه متمكن من تهيئة أسباب المعارضة وترتيب آلات المغالبة طال الأمد أم قصر... كما أن تقديم ضميره ـ نحن ـ على ضمير موسى ـ أنت ـ وتوسيط حرف النفي بينهما للإيذان بمسارعته إلى عدم الإخلاف، وأن عدم إخلافه لا يوجب إخلاف موسى... فلذلك أكد النفي بتكرير حرفه ـ ﴿**لا نخلفه نحن ولا أنت**﴾ ـ... ثم تعيين الموعد غير المخلف يقتضي تعيين زمانه لا محالة؛ إذ لا يتصور الإخلاف

إلا إذا كان للوعد وقت معين ومكان معين... فمن ثم طابقه جواب موسى: ﴿**قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى...**﴾ فيقتضي أن محشر الناس في يوم الزينة كان مكاناً معروفاً.

ولعله كان بساحة قصر فرعون؛ لأنهم يجتمعون بزينتهم ولهوهم بمرأى منه ومن أهله على عادة الملوك في المواسم... فقوله: ﴿**يوم الزينة**﴾ تعيين للوقت... وقوله: وأن يحشر الناس ضحى تعيين للمكان... وقوله: ﴿**ضُحًى**﴾ تقييد لمطلق الوقت... فاختيار موسى لهذا الوقت وهذا المكان لأنه يعلم أنه ستكون الغلبة له... فأحب أن يكون ذلك في وقت أكثر مشاهد وأوضح رؤية... ﴿**فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى**﴾: تفريع التولي وجمع الكيد على تعيين موسى للموعد إشارة إلى أن فرعون بادر بالاستعداد لهذا الموعد ولم يُضِعْ الوقت للتهيئة له. ومعنى جمع الكيد تدبير أسلوب مناظرة موسى، وإعداد الحيل لإظهار غلبة السحرة عليه؛ و إقناع الحاضرين بأن موسى ليس على شيء.

وهذا أسلوب قديم في المناظرات: أن يسعى المناظر جهده للتشهير ببطلان حجة خصمه بكل وسائل التلبيس والتشنيع والتشهير، ومباداته بما يفتُّ في عضده ويشوش رأيه، حتى يذهب منه تدبيره. ومعنى ﴿**ثم أتى**﴾: ثم حضر الموعد... فثم هنا للمهلة الحقيقية والرتبية معاً؛ لأن حضوره للموعد كان بعد مضي مهلة الاستعداد... ولأن ذلك الحضور بعد جمع كيده أهم من جمع الكيد؛ لأن فيه ظهور أثر ما أعده. وجملة ﴿**قال لهم موسى**﴾ مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأن قوله ثم أتى يثير سؤالاً في نفس السامع أن يقول: فماذا حصل حين أتى فرعون ميقات الموعد؟... وأراد موسى مفاتحة السحرة بالموعظة. وقول موسى: ﴿**ويلكم لا تفتروا على الله كذباً**﴾ زجر لهم ودعاء عليهم وتعجب من أمرهم! والجمع بين الافتراء والكذب التأكيد... وجملة ﴿**فيسحتكم**﴾ مسبب عن الافتراء... وجملة ﴿**وقد خاب من افترى**﴾: هي في موضع الحال من ضمير لا تفتروا.

وهي مسوقة مساق التعليل للنهي. وموقع هذه الجملة بعد التي قبلها كموقع القضية الكبرى من القياس الاقتراني في علم المنطق. أنتم افتريتم على الله كذباً وكل من يفتري على الله كذباً يخيب... فأنتم تخيبون... فلم تنجحوا ولن تفلحوا. ﴿**فتنازعوا أمرهم بينهم**﴾: تفرع على موعظة موسى تنازعهم الأمر بينهم.

وهذا يؤذن بأن منهم من تركت فيه الموعظة بعض الأثر. ومنهم من خشى الانخذال. . . . فلذلك دعا بعضهم بعضاً للتشاور في ماذا يصنعون؟. والتنازع مستعمل تمثيلاً في اختلاف الرأي، ومحاولة كل صاحب رأي أن يقنع المخالف له بأن رأيه هو الصواب.

وجملة ﴿**وأسروا النجوى**﴾ عطف على ما قبلها: اختلوا وتحادثوا سراً ليصدروا عن رأي لا يطلع عليه غيرهم. وجملة ﴿**قالوا إن هذان لساحران**﴾ بدل اشتمال من جملة وأسروا النجوى؛ لأن إسرار النجوى يشتمل على أقوال كثيرة ذكر منها هذا القول؛ لأنه القول الفصل بينهم والرأي الذي أرسوا عليه. فهو زبدة مخيض النجوى. وذلك شأن التشاور وتنازع الآراء أن يسفر عن رأي يصدر الجميع عنه. وتأكيد السحرة كون موسى وهارون ساحرين بحرف إنَّ لتحقيق ذلك عند من يخامره الشك في صحة دعوتهما. وجملة ﴿**يُرِيدَانِ أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى**﴾ فيها المبالغة في المغالبة والاهتمام بالمناصبة.

وجملة ﴿**فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفاً**﴾ تصريح بالمطلوب إثر تمهيد المقدمات. والفاء فصيحة. أي: إذا كان الأمر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الإخراج والإذهاب فأجمعوا كيدكم واجعلوه مجمعاً عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم، وارموا عن قوس واحدة. وجملة ﴿**وقد أفلح اليوم من استعلى**﴾ اعتراضية تذييلية مؤكدة لما قبلها. . . ﴿**قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى**﴾: استئناف مبني على سؤال ناشيء من حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة؛ كأنه قيل: فماذا فعلوا بعد ما قالوا فيما بينهم ما قالوا؟ فقيل: قالوا يا موسى. . . وجملة ﴿**قال بل ألقوا**﴾ مستأنفة كالجملة التي قبلها. . . ﴿**فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى**﴾: الفاء فصيحة معرِبة عن مسارعتهم إلى الإلقاء وإذا فجائية. والمفاجأة المستفادة منها دلت على أنهم أعدوها للإلقاء.

وكانوا يخشون أن يمر زمان تزول به خاصياتها!. . . فلذلك أسرعوا بإلقائها. وهذا التخييل الذي وجده موسى من سحر السحرة هو أثر عقاقير تجعل على تلك الحبال والعصى. . . فتتلوّن وتتحرك يتخيلها الناظر إليها أنها تسعى. . . ﴿**فأوجس**

في نفسه خيفة موسى﴾: أضمر واستشعر موسى في نفسه خيفة أن يلتبس أمر السحرة على الناس الحاضرين... فيسارعوا في تصديقهم ويعلنون نصرتهم على موسى لما في نفوس الجماهير من التسرع بالاستغراب من الأمر العجيب... والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿**قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى**...﴾ فتأكيد الجملة بحرف التأكيد وتقوية تأكيدها بضمير الفصل وبالتعريف في الأعلى دليل على أن ما خامره من الخوف إنما هو خوف ظهور السحرة عند العامة... ثم جاءه الأمر من الله أن يلقي عصاه: ﴿**وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا**...﴾ وعبر عن العصا بما الموصولة تذكيراً له بيوم التكليم إذ قال له: ﴿**وما تلك بيمينك يا موسى**﴾؟ وليحصل له الاطمئنان بأنها صائرة إلى الحالة التي صارت إليها يومئذ. وأتى بما صنعوا في قوله: تلقف ما صنعوا تحقيراً؛ لأنها مموهة ومزورة لا حقيقة لها في نفس الأمر: ﴿**إنما صنعوا كيد ساحر**...﴾ وجملة ﴿**ولا يفلح الساحر حيث أتى**﴾ من تمام الجملة التي قبلها... فهي زيادة في التعليل: لا ينجح الساحر حيث كان؛ لأن صنعته تنكشف بالتأمل وثبات النفس في عدم التأثر بها.

وتعريف الساحر تعريف الجنس لقصد الجنس المعروف. واختير فعل أتى دون نحو حيث كان أو حيث حلّ، لمراعاة كون معظم أولئك السحرة مجلوبين من جهات متعددة من مصر... وتعميم حيث أتى لعموم الأمكنة التي يحضرها. ﴿**فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى**﴾: الفاء مرتبة على محذوف يدل عليه قوله: ﴿**وألق ما في يمينك**...﴾ والتقدير: فألقى فتلقفت ما صنعوا... ﴿**فألقى السحرة سجداً**...﴾ وجملة ﴿**قالوا: آمنا**﴾ بدل اشتمال من جملة ﴿**فألقى السحرة سجداً**﴾؛ فإن سجودهم اشتمل على إيمانهم. وإنما آمنوا حينئذ لأنهم أيقنوا أن ما جرى على يد موسى ليس من جنس السحر؛ لأنهم أئمة السحر... فعلموا أنه آية من عند الله.

﴿**قال آمنتم له قبل أن آذن لكم لأنه لكبيركم الذي علمكم السحر**﴾: هذه شبهة صورها فرعون وألقاها على قومه.. واستخلص من تسرعهم بالإيمان برب هارون وموسى أنهم تواطؤوا مع موسى من قبل... فأظهروا العجز عند مناظرته. ومقصد فرعون من هذا إقناع الحاضرين بأن موسى لم يأت بشيء يعجز السحرة إدخالاً للشك على نفوس الذين شاهدوا الآيات. وهذه شنشنة من قديم الزمان

اختلاق المغلوب بارد العذر... ومن هذا القبيل اتهام المحكوم عليهم الحاكمين بالارتشاء... واتهام الدول المغلوبة في الحروب قواد الجيوش بالخيانة... **﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى﴾**: مرجع المبالغة هنا في الكيفية. وهي ما وصفه بقوله: من خلاف. والظاهر أن القطع على هذه الكيفية كان شعار لقطع المجرمين... والتصليب مبالغة في الصلب كما حصلت المبالغة في التقطيع؛ ولذلك عدل عن حرف الاستعلاء إلى حرف الظرفية تشبيهاً لشدة تمكن المصلوب من الجذع يتمكن الشيء الواقع في وعائه. وحرف في استعارة تبعية. وجملة ولتعلمن مؤكدة باللام ونون التوكيد وعطفها على الموكدات قبلها. وواو الجماعى وأيّنا أشد عذاباً وأبقى.

وكل هذه الموكدات في كلامه تدل على شعوره بالضعف وخيبة الأمل الذي كان يرجوه من السحرة. ولهذا أجابوه غير مكترثين بتهديده ووعيده: **﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض...﴾** فأظهروا استخفافهم بوعيده وتعذيبه؛ إذ أصبحوا أهل إيمان ويقين. وكذلك شأن المؤمنين بالرسل إذا أشرقت عليهم أنوار الرسالة... فسرعان ما يكون انقلابهم عن جهالة الكفر وقساوته إلى حكمة الإيمان وثباته. والتفضيل بين فرعون وما جاءهم من البينات مقتضٍ حذف مضاف يناسب المقابلة بالبينات. أي: لن نؤثر طاعتك على ما جاءنا من البينات الدالة على وجوب طاعة الله تعالى. وبذلك يلتئم عطف والذي فطرنا. وجيء بالموصول للإيماء إلى التعليل، لأن الفاطر هو المستحق بالإيثار. وأخر الذي فطرنا عن ما جاءنا من البينات لأن البينات دليل على أن الذي خلقهم أراد منهم الإيمان بموسى ونبذ عبادة غير الله؛ ولأن فيه تعريضاً بدعوة فرعون للإيمان بالله.

وصيغة الأمر في قوله: **﴿فاقض ما أنت قاض﴾** مستعملة في التسوية. أي: سواء علينا ذلك: بعضه أوكله أو عدم وقوعه... فلا نطلب منك خلاصاً منه جزاء طاعتك... فافعل ما أنت فاعل: **﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا...﴾** فإن عذابك لا يتجاوز هذه الحياة. ونحن نرجو من ربنا الجزاء الخالد. والقصر المستفاد من إنما قصر موصوف على صفة. أي: إنك مقصور على القضاء في هذه الحياة الدنيا

لا يتجاوزه إلى القضاء في الآخرة. . . . فهو قصر حقيقي. وجملة **﴿إنا آمنا بربنا﴾** في محل العلة لما تضمنه كلامهم. وقولهم: **﴿ليغفر لنا خطايانا﴾** زيادة في تعليل إيمانهم. وقولهم: **﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾** إعلام بأن فعلهم باطل من أصله. خصوه بالذكر مع اندراجه في خطاياهم إظهار الغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته. وجملة **﴿والله خير وأبقى﴾** تذييل مقرر لمضمون ما تقدم من قولهم وقول فرعون. . فجزاء الله خير وأبقى من جزاء فرعون. . . فذلك مقابلة لوعيد فرعون مقابلة تامة. **﴿إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا﴾**: هذه الجمل معترضة بين حكاية قصة السحرة وبين ذكر قصة خروج بني إسراءيل. ساقها الله موعظة وتأييداً لمقالة المؤمنين من قوم فرعون. وتصدير الآية بضمير الشأن للتنبيه على فخامة مضمونها؛ لأن مناط وضع الضمير موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير، فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر.

فيبقى الذهن مترقباً لما يعقبه. . . فيمكن عند وروده له فضل تمكن، كأنه قيل: إن الشأن الخطير هذا. . . فالجملة الشرطية تفيد عموم القاعدة التي يترتب عليها الخلود في جهنم وهو الموت على الكفر. . . والقاعدة التي يترتب عليها الخلود في الجنان: **﴿ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى. . .﴾** وأفرد بعض الضمائر تبعاً للفظ منْ. وجمع بعضها تبعاً لمعناها. . . وجملة **﴿فأولئك لهم الدرجات العلى﴾** جواب **﴿من يأته مؤمناً﴾**. وما في هذا الأسلوب من التفخيم والتبجيل والتكريم والتعظيم واضح لا يحتاج إلى تفهيم. وقوله: **﴿جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾** زيادة بيان ورفعة شأن لأولئك الذين تحلوا بحلية الإيمان. وقوله: **﴿وذلك جزاء من تزكى﴾** تذييل مقرر لمضمون ما سبق تحقيقه من كون ثواب الله خير وأبقى.

﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾: افتتاح الجملة بلام القسم وحرف التحقيق للاهتمام بالقصة؛ ليلقى السامعون إليها أذهانهم. وتغيير الأسلوب في ابتداء هذه الجملة مؤذن بأن قصصاً طويت بين ذكر القصتين. . . فلو اقتصر على حرف العطف لتوهم أن حكاية القصة الأولى لم تزل متصلة فتوهم أن الأمر بالخروج وقع موالياً

لانتهاء محضر السحرة. مع أن بين ذلك قصصاً كثيرة ذكرت في سورة الأعراف وغيرها. فجملة ﴿**ولقد أوحينا إلى موسى**﴾ ابتدائية. والواو عاطفة قصة على قصة. وليست عاطفة بعض أجزاء قصة على بعض آخر.

وإنما أمر الله موسى بالسري تجنباً لنكول فرعون عليهم. والإضافة في قوله: بعبادي لتشريفهم وتقريبهم والإيماء إلى تخليصهم من استعباد القبط وأنهم ليسوا عبيداً لفرعون... ﴿**فأتبعهم فرعون بجنوده**﴾: الفاء فصيحة عاطفة على مقدر يدل عليه الكلام السابق: فسرى بهم فأتبعهم فرعون... ﴿**فغشيهم من اليم ما غشيهم**﴾. والمعنى: بلغ من هول ذلك الغرق أنه لا يستطاع وصفه. ﴿**وأضل فرعون قومه**﴾: أوقع قومه في الجهالة وسوء العاقبة بما بث فيهم من قلب الحقائق والجهل المركب... فلم يصادفوا السداد في أعمالهم حتى كانت خاتمتها وقوعهم غرقى في البحر جميعاً. ﴿**وما هدى**﴾: تأكيد لفظي بالمرادف.

﴿**يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم**﴾: نادى الله بني إسرائيل بعدما خلصهم من القهر ونجاهم من عدوهم وأصبحوا أحراراً في مكان آمن مقدس: ﴿**وواعدناكم جانب الطور الأيمن... ونزلنا عليكم المن والسلوى**﴾: موصول بالعطف على نجيناكم... فهذه نعم ثلاث: نجاتهم من عدوهم. وحضورهم في مكان مقدس أمين. وتنزيل رزقهم عليهم دون عمل ولا تعب بعرق الجبين... فالمنّ منّة. والسلوى سلوة!. ﴿**كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾: استئناف مسوق لبيان ما في هذا الرزق من منّة ونعمة وتكريم... ﴿**ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي**﴾: ترهيب بعد الترغيب وتحذير بعد التحريض. ﴿**ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى**﴾: مصير كل من يطغى وينسى ويكفر بالنعمة ولا يحسب لها حساباً... ﴿**وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى**﴾: فتح لباب التوبة على مصراعيه ليأتي إليه من خشي ربه وخاف من عاقبة الطغيان... فمعنى تاب: ندم على كفره وطغيانه وآمن وعمل صالحاً... ثم اهتدى... فمعنى ثم اهتدى: استمر عى الهدى وثبت عليه. ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك ربي لترضى**﴾: وجه الله تعالى هذا السؤال لموسى عند مجيئه الميقات وحده دون قومه... فرد موسى عن السؤال بقوله: ﴿**هم أولاء على أثري**

وعجلت إليك رب لترضى﴾. وموسى لا يدري ماذا دبر القوم من ورائه؟... فأعلمه ربه به حيث قال له: ﴿**فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري﴾**.

إن قوم موسى لم يكونوا مخلصين معه وإنما كانوا مذبذبين بين تمسكهم بعاداتهم وبين اتباع موسى على دينه بدليل مقالاتهم له حسبما ذكر في سورة البقرة. والسامري هذا كان منافقاً يظهر إيمانه بموسى ويخفي كفره... فيدبر للقوم كل ما فيه ضلالهم.. ﴿**فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفطال عليكم العهد أَمْ أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى﴾**: ظاهر هذا الكلام أن موسى بقي وحده في الميقات وأعلمه ربه بما فعل قومه ولما تم الموعد رجع إلى قومه غاضباً شديد الغضب متأسفاً شديد الأسف. رجع ومعه الألواح التي فيها الشريعة كما ذكر في سورة الأعراف... فأجابه القوم بما هو أدهى وأمر: ﴿**قالوا ما أخلفنا موعدك لكنّا بملكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى﴾**.

فهذا الكلام من قوم موسى يدل على أنهم متضامنون مع السامري وأن اعتذارهم لموسى كان تلاعباً منهم... فقد قالوا على العجل: ﴿**هذا إلهكم وإله موسى...﴾** فنسى موسى إلهه وذهب يطلبه في مكان آخر.. ﴿**أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾**؛ تبكيت لهم وتوبيخ وإنكار على ما فعلوا... فالكلام موجه من الله تعالى. ﴿**ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمان فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾**: هذه جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الإنكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصائهم على الرسول إثر بيان مكابرتهم لقضية العقول. أي: وبالله لقد نصح لهم هارون ونبههم على كنه الأمر من قبل رجوع موسى إليهم وخطابه إياهم بما ذكر من المقالات... فرتب هارون هذه المقالات على حسب الترتيب المنطقي: ابتدأ أوّلاً بزجرهم عن الباطل وعن عبادة ما ليس برب... ثم دعاهم إلى معرفة الرب الحق... ثم دعاهم إلى اتباع الرسول إذ كان رسولاً بينهم... ثم دعاهم إلى العمل بالشرائع... فما كان منهم إلا التصميم على استمرار عبادتهم العجل... فأجابوا هارون جواباً جازماً: ﴿**قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾**.

﴿قال يا هارون: ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعني﴾: انتقل موسى من محاورة قومه إلى محاورة أخيه. فجملة **﴿قال يا هارون﴾** تابعة لجملة: **﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسنا..﴾** ولجملة **﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾**. وقد وجدت مناسبة لحكاية خطاب موسى أخاه بعد أن وقع الفصل بين أجزاء الحكاية بالجمل المعترضة التي منها جملة ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به.. فهو استطراد في خلال الحكاية للإشعار بعذر هارون. علم موسى أن هارون مخصوص من قومه بأنه لم يعبد العجل إذ لا يجوز عليه ذلك لأن الرسالة تقتضي العصمة، فلذلك خصه بخطاب يناسب حاله بعد أن خاطب عموم القوم بالخطاب السابق.. والخطاب في قوله: **﴿ما منعك..﴾** إنكاري. أي: لا مانع لك من اللحاق بي إذ رأيتهم ضلوا.. فالتقدير: ما منعك أن تتبعني واضطرك على أن لا تتبعني.. فيكون في الكلام شبه احتباك.

والاستفهام في قوله: **﴿أفعصيت أمري﴾** مفرع على الإنكار.. فهو إنكار ثان على مخالفة أمره. قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي فقال هارون لموسى يا ابن أم.. فعدل عن قوله: يا أخي إلى ابن أم؛ لأن ذكر الأم تذكير بأقوى أواصر الأخوة. وهي آصرة الولادة من بطن واحد والرضاع من لبان واحد. وقوله: **﴿إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسراءيل ولم ترقب قولي﴾** استئناف سيق لتعليل موجب النهي ببيان الداعي إلى ترك المتابعة، وتحقيق أنه غير عاص لأمره.. والمراد بقول هارون ولم ترقب قولي قول موسى له: **﴿اخلفني في قومي وأصلح..﴾** فهذا بعض ما اعتذر به هارون. وحكى عنه في سورة الأعراف أنه اعتذر بقوله: **﴿إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني.. فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين. قال فما خطبك يا سامري﴾**.

التفت موسى بتوجيه الخطاب إلى السامري الذي كان سبباً في إضلال القوم.. فالجملة ناشئة عن قول القوم: **﴿فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى...﴾** فهو ابتداء خطاب. فأجاب السامري: **﴿قال بصرت بما لم يبصروا به...﴾** فالمعنى: علمت ما لم يعلموه وفطنت لما لم يفطنوا له... **﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها...﴾** فالسامري منافق زنديق من أكبر زنادقة اليهود حيث كان في الظاهر على شريعة

موسى وفي الباطن منافق شيطان من شياطين اليهود. واعترف أمام موسى عندما ظهرت حقيقته وفعل ما فعل مع القوم من الإضلال... فالتشبيه في قوله: ﴿**وكذلك سولت لي نفسي**﴾ تشبيه الشيء بنفسه. ﴿**قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس**﴾: طرد موسى السامري كما طرد الله إبليس.. فكلمة اذهب هنا كلمة زجر وطرد ولعن.

وقوله: ﴿**وإن لك موعداً لن تخلفه**﴾ تهديد بما يلقاه في الآخرة من العذاب الشديد. وبعد أن أوعد موسى السامري بيّن له وللذين اتبعوه ضلالهم بعبادتهم العجل بأنه لا يستحق الإلهية لأنه معرض للامتهان ومتصف بالعجز فقال: ﴿**وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً**﴾. وجعل الاستدلال بالنظر إشارة إلى أنه دليل بيّن لا يحتاج المستدل به إلى أكثر من المشاهدة... فإن دلالة المحسوسات أوضح من دلالة المعقولات. وأضاف الإله إلى ضمير السامري تهكماً بالسامري وتحقيراً له.. ووصف ذلك الإله المزعوم بطريق الموصولية لما تدل عليه الصلة من التنبيه على الضلال والخطأ. وفعل ظل من أخوات كان. وأصله الدلالة على اتصاف اسمه بخبره في وقت النهار.

وهو هنا مجاز في معنى دام بعلاقة الإطلاق بناء على أن غالب الأعمال يكون في النهار. وقوله: ﴿**لنحرقنه**﴾ جواب قسم محذوف. أكده باللام وتضعيف الفعل ونون التوكيد.. ثم لننسفنه عطف عليه. فهو مثل الأول في التوكيد وزاده تأكيداً بالمفعول المطلق ﴿**نسفاً**﴾ بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر. وقد فعل موسى ذلك كله حينئذ كما يشهد به الأمر بالنظر. وإنما لم يصرح به تنبيهاً على كمال ظهوره واستحالة الخلف في وعده المؤكد باليمين. ﴿**إنما إلهكم الله**﴾: استئناف مسوق لتحقيق الحق إثر إبطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه إلى الكل: إنما معبودكم المستحق للعبادة الله ﴿**الذي لا إله**﴾ في الوجود لشيء من الأشياء إلا هو وحده من غير أن يشاركه شيء من الأشياء بوجه من الوجوه التي من جملتها أحكام الألوهية. ﴿**وسع كل شيء علما**﴾. وهذه الجملة من حكاية كلام موسى ـ عليه السلام ـ فموقعها موقع التذييل لوعظه. وقد التفت من خطاب السامري إلى خطاب القوم إعراضاً عن خطابه تحقيراً له، وقصداً لتنبيههم على خطئهم، وتعليمهم صفات الإله الحق. واقتصر منها على الوحدانية وعموم العلم لأن الوحدانية تجمع

جميع الصفات. وأما عموم العلم فهو إشارة إلى علم الله تعالى بجميع الكائنات الشاملة لأعمالهم..

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى**﴾: في هذا التوجيه يخبر الله تعالى أنه أعطى فرعون كل الآيات التي جاء بها موسى من محسوسة مشاهدة ومن مدلول عليها بالحجة القاطعة فلم يبق لفرعون عذر يعتذرُ به.. ولكن فرعون أعرض عنها كلها.. ﴿**فكذب وأبى**﴾. لقد أراه الله الآيات كلها بدون تفصيل.. فهو مفهوم من سور أخرى. ويعرض السياق ما قاله فرعون في حقيقة هذه الآيات: ﴿**قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى..**﴾ ففرعون لم يمض في الجدل كثيراً؛ لأن الحجة فيه واضحة وسلطانه فيه قوي. وهو يستمد حجته من آيات الله كلها إنما لجأ إلى اتهام موسى بالسحر الذي يجعل العصا حية تسعى، ويحيل اليد بيضاء من غير سوء.

وقد كان السحر أقرب خاطر إلى فرعون؛ لأنه منتشر في مصر ذلك الوقت.. وهاتان الآيتان أقرب في طبيعتهما إلى المعروف من السحر.. وهو تخييل لا حقيقة، وخداع للبصر والحواس، قد يصل إلى خداع الإحساس.. فينشئ فيه آثاراً محسوسة كآثار الحقيقة. كما يُشاهد من رؤية الإنسان لأشياء لا وجود لها، أو في صورة غير صورتها. وما يُشاهد من تأثر المسحور أحياناً تأثرات عصبية وجسدية، كما لو كان الأثر الواقع عليه حقيقة.. وليس من هذا النوع ما أتى به موسى من آية العصا وآية اليد.. إنما هما من صنع الله المبدع المحوّل للأشياء حقاً. تحويلاً وقتياً أو دائماً.. ويظهر من هذا الكلام أن فرعون كان خائفاً من بني إسراءيل في مصر.. ويظهر أن استعبادهم كان إجراء سياسياً خوفاً من تكاثرهم وغلبتهم.. فالتجأ إلى تقتيل الأبناء واستحياء النساء واستعباد الرجال.. ففي سبيل الحكم والملك والسلطة لا يتحرج الطغاة من ارتكاب أشد الجرائم وحشية وأشنعها بربرية وأبعدها عن كل معاني الإنسانية، وعن الخُلق والشرف والضمير.. ومن ثم كان فرعون يستأصل بني إسراءيل.. فلما قال له موسى وهارون: ﴿**فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك..**﴾ قال فرعون: ﴿**أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى**﴾؟!.. فطلب إطلاق بني إسرائيل تمهيد للاستيلاء على

الحكم والأرض.. وإذا كان موسى يطلب اطلاق بني إسرائيل لهذا الغرض.. وكل ما يقدمه هو عمل من أعمال السحر.. فما أسهل الرد عليه! فلنأتينك بسحر مثله.. وهكذا يفهم الطغاة أن دعوى أصحاب العقائد إنما تخفي وراءها هدفاً من أهداف هذه الأرض؛ وأنها ليست سوى ستار للملك والحكم.. ثم هم يرون مع أصحاب الدعوات آيات: إما خارقة كآيات موسى.. وإما مؤثرة في الناس تأخذ طريقها إلى قلوبهم، وإن لم تكن من الخوارق.. فإذا الطغاة يقابلونها بما يماثلها ظاهرياً.. سحر نأتي بسحر مثله! كلام نأتي بكلام من نوعه!.. صلاح نتظاهر بالصلاح! عمل طيب نرائي بعمل طيب! ولا يدركون أن للعقائد رصيداً من الإيمان، ورصيداً من عون الله؛ فهي تغلب بهذا وبذاك، لا بالظواهر والأشكال.

وهكذا طلب فرعون إلى موسى تحديد موعد للمباراة مع السحرة.. وترك له اختيار ذلك الموعد: للتحدّي: ﴿**فاجعل بيننا وبينك موعداً**﴾، وشدد عليه في عدم إخلاف الموعد زيادة في التحدي: ﴿**لا نخلفه نحن ولا أنت..**﴾ وأن يكون الموعد في مكان مفتوح مكشوف معروف: ﴿**مكاناً سوى..**﴾ ومبالغة في التحدي. وقبل موسى ـ عليه السلام ـ تحدي فرعون له؛ واختار الموعد يوم عيد من الأعياد الجامعة، يأخذ فيه الناس في مصر زينتهم، ويتجمعون في الميادين والأمكنة المكشوفة: ﴿**قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى..**﴾ وطلب أن يجمع الناس ضحى؛ ليكون المكان مكشوفاً والوقت صاحياً.. فقابل التحدي بمثله.

وزاد عليه اختيار الوقت في أوضح فترة من النهار وأشدها تجمعاً في يوم العيد. لا في الصباح الباكر حيث لا يكون الجميع قد غادروا البيوت. ولا في الظهيرة فقد يعوقهم الحر. ولا في المساء حيث يمنعهم الظلام من التجمع أو من وضوح الرؤية.. وانتهى المشهد الأول من مشاهد اللقاء بين الإيمان والطغيان في الميدان. وهنا يسدل الستار ليرفع على مشهد المباراة: ﴿**فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى..**﴾ ويجمل السياق في هذا التعبير كل ما قاله فرعون وما أشار به الملأ من قومه وما دار بينه وبين السحرة من تشجيع وتحميس ووعد بالمكافأة، وما فكر فيه وما دبر هو ومستشاروه.. يجمله في جملة: ﴿**فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى..**﴾ وتصور تلك الآية الواحدة القصيرة ثلاث حركات متواليات: ذهاب فرعون، وجمع كيده، والإتيان به.

ورأى موسى ـ عليه السلام ـ قبل الدخول في المباراة أن يبذل لهم النصيحة، وأن يحذرهم عاقبة الكذب والافتراء على الله، لعلهم يثوبون إلى الهدى، ويدعون التحدي بالسحر. والسحر افتراء: ﴿**قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى**﴾. والكلمة الصادقة تلمس بعض القلوب وتنفذ فيها. ويبدو أن هذا الذي كان؛ فقد تأثر بعض السحرة بالكلمة المخلصة.. فتلجلج في الأمر؛ وأخذ المصرون على المباراة يجادلونهم همساً خيفة أن يسمعهم موسى: ﴿**فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى..**﴾ وجعل بعضهم يحمس بعضاً.. وراحوا يهيجون في المترددين الخوف من موسى وهارون اللذين يريدان الاستيلاء على مصر وتغيير عقائد أهلها؛ مما يوجب مواجهتهما يداً واحدة بلا تردد ولا نزاع.

واليوم هو يوم المعركة الفاصلة والذي يغلب فيها هو الفالح الناجح: ﴿**قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفاً وقد أفلح اليوم من استعلى..**﴾ وهكذا تنزل الكلمة الصادقة الواحدة الصادرة عن عقيدة: تنزل كالقذيفة في معسكر المبطلين وصفوفهم.. فتزعزع اعتقادهم في أنفسهم وفي قدرتهم، وفيما هم عليه من عقيدة وفكرة. وتحتاج إلى مثل هذا التحميس والتشجيع. وموسى وأخوه رجلان اثنان.

والسحرة كثيرون، ووراءهم فرعون وملكه وجنده وجبروته وماله.. ولكن موسى وهارون كان معهما ربهما يسمع ويرى.. ولعل هذا هو الذي يفسر لنا تصرف فرعون الطاغية المتجبر، وموقف السحرة ومن ورائهم فرعون.. فمن هو موسى ومن هو هارون من أول الأمر حتى يتحداهما فرعون ويقبل تحديهما، ويجمع كيده ثم يأتي؛ ويحشر السحرة ويجمع، ويجلس هو والملأ من قومه ليشهدوا المباراة؟ وكيف قبل فرعون أن يجادله موسى ويطاوله؟ وموسى فرد من بني إسرائيل المستعبدين المستذلين تحت قهره؟!.. إنها الهيبة التي ألقاها الله على موسى وهارون وهو معهما يسمع ويرى.. وهي كذلك التي جعلت جملة واحدة. توقع الارتباك في صفوف السحرة المدربين.. فتُحوّجهم إلى التناجي سراً؛ وإلى تجسيم الخطر، واستثارة الهمم، والدعوة إلى التجمع والترابط والثبات.. ثم أقدموا: ﴿**قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى...**﴾ وهي دعوة الميدان إلى النزال.

يبدو فيها التماسك واظهار النصفة والتحدي.. ﴿**قال بل ألقوا..**﴾ فقَبِل موسى التحدي وترك لهم فرصة البدء واستبقى لنفسه الكلمة الأخيرة.. ولكن ماذا؟ إنه لسحر عظيم فيما يبدو، وحركة مفاجأة ماجت بها الساحة حتى موسى: ﴿**فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى.. فأوجس في نفسه خيفة موسى..**﴾ والتعبير بشيء بعظمة ذلك السحر وضخامته.. حتى لا يوجس في نفسه خيفة موسى، ومعه ربه يسمع ويرى. وهو لا يوجس في نفسه خيفة إلا لأمر جلل ينسيه لحظة أنه الأعلى والأقوى.. حتى يذكره ربه بأن معه القوة الكبرى: ﴿**قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى..**﴾ فمعك الحق ومعهم الباطل، معك العقيدة ومعهم الخرافة، معك الإيمان بصدق ما أنت عليه ومعهم الأجر على المباراة ومغانم الحياة.

أنت متصل بالقوة الكبرى وهم يخدمون مخلوقاً بشرياً فانياً مهما يكن طاغيةً جباراً. لا تخف.. ﴿**وألق ما في يمينك..**﴾ بهذا التنكير للتفخيم.. ﴿**تلقف ما صنعوا..**﴾ فهو سحر من تدبير ساحر وعمله.. ﴿**إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى**﴾. والساحر لا يفلح أنى ذهب وفي أي طريق سار؛ لأنه يتبع تخييلاً ويصنع تخييلاً، ولا يعتمد على حقيقة ثابتة باقية. شأنه شأن كل مبطل أمام القائم على الحق المعتمد على الصدق. وقد يبدو باطله ضخماً فخماً، مخيفاً لمن يغفل عن قوة الحق الكامنة الهائلة التي لا تتبختر، ولا تتطاول ولا تتظاهر.. ولكنها تدمغ الباطل في النهاية فإذا هو زاهق. وتلقفه فتطويه فإذا هو يتوارى. وألقى موسى.. فوقعت المفاجأة الكبرى.

والسياق يصور ضخامة المفاجأة بوقعها في نفوس السحرة الذين جاؤوا للمبارة.. فهم أحرص الناس على الفوز فيها. والذين كانوا منذ لحظة يُحمّس بعضهم بعضاً ويدفع بعضهم بعضاً. والذين بلغت بهم البراعة في فنهم إلى حد أن موسى أوجس في نفسه خيفة. ويخيل إليه ـ وهو الرسول ـ أن حبالهم وعصيهم حيات تسعى.. يصور السياق وقع المفاجأة في نفوسهم في صورة تحوّلٍ كاملٍ في مشاعرهم ووجدانهم. لا يسعفهم الكلام للتعبير عنه؛ ولا يكفي النطق للإفضاء به: ﴿**فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى..**﴾ إنها اللمسة تصادف العصب الحساس فينتفض الجسم كله.. وتصادف الزر الصغير فينبعث النور

ويشرق الظلام.. إنها لمسة الإيمان للقلب البشري تحوله في لحظة من الكفر إلى الإيمان.. ولكن أنى للطغاة أن يدركوا هذا السر اللطيف؟ أنى لهم أن يدركوا كيف تنقلب القلوب؟! وهم قد نسوا، لطول ما طَغَوْا وبغوا ورأوا الأتباع ينقادون لإشارة منهم. نسوا.

أن الله هو مقلب القلوب، وأنها حين تتصل به وتستمد منه وتشرق بنوره لا يكون لأحد عليها سلطان: ﴿**قال آآمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر..**﴾ لقولة الطاغية الذي لا يدرك أنهم هم أنفسهم لا يملكون ـ وقد لمس الإيمان قلوبهم ـ أن يدفعوه عنها ـ والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمان يقلبه كيف يشاء. ﴿**إنه لكبيركم الذي علمكم السحر**﴾: ذلك سر الاستسلام في نظره.. لا أنه الإيمان الذي دب في قلوبهم من حيث لا يحتسبون.. ولا أنها يد الرحمان تكشف عن بصائرهم غشاوة الضلال.. ثم التهديد الغليظ بالعذاب الغليظ الذي يعتمد عليه الطغاة ويسلطونه على الجسوم والأبدان حين يعجزون عن قهر القلوب والأرواح: ﴿**فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل..**﴾ ثم الاستعلاء بالقوة الغاشمة. قوة الوحوش في الغابة. القوة التي تمزق الأحشاء والأوصال.

ولا تفرق بين إنسان يقرع بالحجة وحيوان يقرع بالناب: ﴿**ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى**﴾! ولكنه كان قد فات الأوان. كانت اللمسة الإيمانية قد وصلت الذرة الصغيرة بمصدرها الهائل فإذا هي قوية قويمة. وإذا قوى الأرضية كلها ضئيلة ضئيلة ضئيلة. وإذا الحياة الأرضية كلها زهيدة زهيدة. وكانت قد تفتحت لهذه القلوب آفاق مشرقة وضيئة. لا تبالي أن تنظر بعدها إلى الأرض وما بها من غرضٍ زائل. ولا إلى حياة الأرض وما فيها من متاع تافه: ﴿**قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى..**﴾ إنها لمسة الإيمان في القلوب التي كانت منذ لحظة تعنو لفرعون وتعد القربى منه مغنماً يتسابق إليه المتسابقون فإذا هي بعد لحظة تواجهه في قوة.

وتُرْخِصُ مُلْكه وزخرفه وجاهه وسلطانه: ﴿**قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا..**﴾ فهي علينا أعز وأغلى وهو جل شأنه أكبر وأعلى:

﴿**فاقض ما أنت قاض**..﴾ فدونك وما تملكه لنا في الأرض.. ﴿**إنما تقضي هذه الحياة الدنيا**..﴾ فسلطانك مقيد بها. وما لك علينا من سلطان علينا في غيرها. وما أقصر الحياة الدنيا! وما تملكه لنا من عذاب أيسر من أن يخشاه قلب يتصل بالله ويأمل في الحياة الخالدة أبداً.. ﴿**إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر**..﴾ مما كنت تكلفنا به فلا نملك لك عصياناً.. فلعل إيماننا بربنا يغفر لنا خطايانا. ﴿**والله خير وأبقى**..﴾ خير قسمة وجواراً، وأبقى مغنماً وجزاء! إن كنت تهددنا بمن هو أشد وأبقى.

وألهم السحرة الذين آمنوا بربهم أن يقفوا من الطاغية موقف المعلم المستعلى: ﴿**إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا**..﴾ فإذا كان فرعون يتهددهم بمن هو أشد عذاباً وأبقى.. فها هي ذي صورة لمن يأتي ربه مجرماً هي أشد عذاباً وأدوم.. ﴿**فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا**..﴾ فلا هو ميت فيستريح ولا هو حي فيتمتع.. إنما هو العذاب الذي لا ينتهي إلى موت ولا ينتهي إلى حياة.. وفي الجانب الآخر الدرجات العلى: ﴿**ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى: جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها**..﴾ فهي جنات للإقامة.. ندية بما يجري تحت غرفاتها العالية من أنهار.. وذلك جزاء من تزكى وتطهر من الآثام وعبادة الطاغوت والأصنام.

التوجيه الثاني: ﴿**ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى**...﴾: في هذا التوجيه مشهد انتصار الحق والإيمان في واقع الحياة المشهود، بعد انتصارهما في عالم الفكرة والعقيدة.. فلقد مضى السياق بانتصار آية العصا على السحر؛ وانتصار العقيدة في *قلوب السحرة على الاحتراف.. وانتصار الإيمان في قلوبهم على الترغيب* والترهيب والتهديد والوعيد.. فالآن ينتصر الحق على الباطل والهدى على الضلال، والإيمان على الطغيان في الواقع المشهود.. والنصر الأخير مرتبط بالنصر الأول.. فما يتحقق النصر في عالم الواقع إلا بعد تمامه في عالم الضمير.

وما يستعلى أصحاب الحق في الظاهر إلا بعد أن يستعلوا بالحق في الباطن.. إن للحق والإيمان حقيقة متى تجسمت في المشاعر أخذت طريقها فاستعلنت ليراها

والحق شعاراً لا ينبع من الضمير فإن الطغيان والباطل قد يغلبان؛ لأنهما يملكان قوة مادية حقيقية لا مقابل لها ولا كفاء في مظهر الحق والإيمان.. يجب أن تتحقق حقيقة الإيمان في النفس، وحقيقة الحق في القلب فيصبحان أقوى من حقيقة القوى المادية التي يستعلى بها الباطل ويصول بها الطغيان.. وهذا هو الذي كان في موقف موسى من السحر والسحرة. وفي موقف السحرة من فرعون وملئه.. ومن ثم انتصر الحق في الأرض كما يعرضه المشهد في سياق السورة.

ولا يذكر السياق هنا ما الذي كان بعد مواجهة الإيمان للطغيان في موقف السحرة مع فرعون. ولا كيف تصرف معهم بعدما اعتصموا بإيمانهم مستقبلين التهديد والوعيد بقلب المؤمن المتعلق بربه العزيز الحميد. المستهين بحياة الأرض وما فيها ومن فيها.. إنما يعقب بهذا المشهد: مشهد الانتصار الكامل؛ ليتصل النصر القلبي بالنصر الواقعي.. فتتجلى رعاية الله لعباده المؤمنين كاملة حاسمة.. ولنفس الغرض لا يطيل هنا في مشهد الخروج والوقوف أمام البحر - كما يطيل في سور أخرى - بل يبادر بعرض مشهد النصر بلا مقدمات كثيرة لأن مقدماته كانت في الضمائر والقلوب.

وإن هو إلا الإيماء لموسى أن يخرج بعباد الله - بني إسراءيل - ليلاً.. فيضرب لهم طريقاً في البحر يبساً بدون تفصيل ولا تطويل.. ﴿**فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم**..﴾ هكذا يجمل السياق ما غشى فرعون وقومه ولا يفصله؛ ليبقى وقعه في النفس شاملاً مهولاً.. فلا يحدده التفصيل. ﴿**وأضل فرعون قومه وما هدى**﴾ وقاد فرعون قومه إلى الضلال في الحياة كما قادهم إلى الضلال والبحر. وكلاهما ضلال يؤدي إلى البوار في الدنيا وفي الآخرة إلى النار.. فلقد تولت يد القدرة إدارة المعركة بين الإيمان والطغيان.. فلم يتكلف أصحاب الإيمان فيها شيئاً سوى اتباع الوحي والسري ليلاً.

ذلك أن القوتين لم تكونا متكافئتين ولا متقاربتين في عالم الواقع.. موسى وقومه ضعاف مجردون من القوة، وفرعون وجنده يملكون القوة كلها.. فلا سبيل إلى خوض معركة مادية أصلاً. هنا تولت يد القدرة إدارة المعركة.. ولكن بعد أن اكتملت حقيقة الإيمان في نفوس الذين لا يملكون قوة سواها. بعد أن استعلن الإيمان في وجه الطغيان. لا يخشاه ولا يرجوه؛ لا يرهب وعيده ولا يرغب في

شيء مما في يده.. يقول الطغيان: ﴿**فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل**..﴾ فيقول الإيمان: ﴿**فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا**..﴾ فعندما بلغت المعركة بين الإيمان والطغيان في عالم القلب إلى هذا الحد تولت يد القدرة راية الحق لترفعها عالية، وتنكس راية الباطل بلا جهد من أهل الإيمان.

وعبرة أخرى.. إنه حين كان بنو إسراءيل يؤدون ضريبة الذل لفرعون وهو يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم لم تتدخل يد القدرة لإدارة المعركة.. فهم لم يكونوا يؤدون هذه الضريبة إلا ذلاً واستكانة وخوفاً.. فأما حين استعلن الإيمان في قلوب الذين آمنوا بموسى واستعدوا لاحتمال التعذيب وهم مرفوعوا الرؤوس يجهرون بكلمة الإيمان في وجه فرعون دون تلجلج ودون تحرج ودون اتقاء للتعذيب.. فأما عند ذلك فقد تدخلت يد القدرة لإدارة المعركة. وإعلان النصر الذي تم قبل ذلك في الأرواح والقلوب.. هذه هي العبرة التي يبرزها السياق بذلك الإجمال. ويتتابع المشهدين بلا عائق من التفصيلات؛ ليستيقنها أصحاب الدعوات، ويعرفوا متى يرتقبون النصر من عند الله وهم مجردون من عدة الأرض. والطغاة يملكون المال والجند والسلاح.

وفي ظلال النصر والنجاة يتوجه الخطاب إلى الناجين بالتذكير والتحذير؛ كي لا ينسوا ولا يبطروا ولا يتجردوا من السلاح الوحيد الذي كان لموسى ومن آمن به في المعركة فضمنوا به النصر والنجاح: ﴿**يا بني إسراءيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم**..﴾ فقد جاز بنو إسراءيل منطقة الخطر، وانطلقوا ناجين ناحية الطور. وتركوا وراءهم فرعون وجنوده غرقى.

وإنجاؤهم من عدوهم واقع قريب يذكرونه اللحظة فلم يمض عليه كثير.. ولكنه اعلان التسجيل.. والتذكير بالنعمة المشهودة ليعرفوها ويشكروها.. ومواعدتهم جانب الطور الأيمن يشار إليها هنا على أنه أمر وقع.. ولكنه سيقع لموسى عندما يأخذ فيه الشريعة من ربه ليحكم بها بنوا إسراءيل ويهتدوا بتوجيهاتها وتعليماتها.. وتنزيل المن والسلوى طعامان يساقان إليهم في الصحراء.. فكانا نعمة من الله ومظهرًا لعنايته بهم في الصحراء الجرداء.. وهو يتولاهم حتى في

طعامهم اليومي.. فيسره لهم من أقرب الموارد. وهو يذكرهم بهذه النعم ليأكلوا من الطيبات التي يسرها لهم ويحذرهم من الطغيان فيها بالغفلة والانصراف إلى لذائذ البطون، والغفلة عن الواجب الذي هم خارجون له.

والتكليف الذي يعدهم ربهم لتلقيه. ويسميه طغياناً وهم قريبوا العهد بالطغيان ذاقوا منه ما ذاقوا. ورأوا من نهايته ما رأوا: **﴿ولا تَطغَوْا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى..﴾** فقد هوى فرعون منذ قليل. هوى عن عرشه وهوى في الماء.. فالهَوِيّ إلى أسفل يقابل الطغيان والتعالي.. هذا هو التحذير والإنذار للقوم المقدمين على المهمة التي من أجلها خرجوا، كي لا تبطرهم النعمة.

ولا يترفوا فيها فيستريحوا.. وإلى جانب التحذير والانذار يفتح باب التوبة لمن يخطئ ويرجع: **﴿وإنّي لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى..﴾** فالتوبة ليست كلمة تقال.. إنما هي عزيمة في القلب يتحقق مدلولها بالإيمان والعمل الصالح.. ويتجلى أثرها في السلوك العملي في عالم الواقع.. فإذا وقعت التوبة وصح الإيمان وصدقه العمل فهنا يأخذ الإنسان في الطريق على هدى من الإيمان وعلى ضمانة من العمل الصالح.. فالاهتداء هنا ثمرة ونتيجة للمحاولة والعمل. وإلى هنا ينتهي مشهد النصر والتعقيب عليه.. فيسدل الستار حتى يرفع على مشهد المناجاة الثانية إلى جانب الطور الأيمن..

التوجيه الثالث: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى﴾ في هذا التوجيه عرض مشهد موسى مع ربه عندما جاء لمناجاته على الجبل. لقد واعد الله موسى ميعاداً ضربه له ليلقاه.. فصعد موسى إلى الجبل وترك قومه في أسفله وترك عليهم هارون نائباً عنه. لقد غلب الشوق على موسى إلى مناجاة ربه والوقوف بين يديه. وقد ذاق حلاوتها من قبل.. فهو إليها مشتاق عجول. ووقف في حضرة مولاه، وهو لا يعلم ما وراءه، ولا ما أحدث القوم بعده حين تركهم في أسفل الجبل. وهنا ينبئه ربه بما كان خلفه.. ففوجئ موسى بعد ما استعد للقاء ربه ويتلقى منه التوجيه الذي يقيم عليه حياة بني إسراءيل الجديدة.. وقد استخلصهم من الذل والاستعباد؛ ليصوغ منهم أمة ذات رسالة وذات تكاليف.

فوجئ بما لم يخطر له على بال.. فالاستعباد الطويل والذل الطويل في ظل الفرعونية الوثنية كان قد أفسد طبيعة القوم، وأضعف استعدادهم لاحتمال التكاليف والصبر عليها، والوفاء بالعهد والثبات عليه، وترك في كيانهم النفسي خلخلة واستعداداً للانقياد والتقليد المريح.. فما يكاد موسى يتركهم في رعاية هارون ويبعد عنهم قليلاً حتى تتخلخل عقيدتهم كلها وتنهار أمام أول اختبار. ولم يكن بد من اختبارات متوالية وابتلاءات متكررة لإعادة بنائهم النفسي.. فكان أول ابتلاء هو ابتلاؤهم بالعجل الذي صنعه لهم السامري: ﴿**قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري**..﴾ فلم يكن لدى موسى علم بهذا الابتلاء، حتى أعلمه ربه به.. ففوجئ بهذا الخبر الغريب العجيب! وينهي السياق موقف المناجاة هنا على عجل ويطويه؛ ليصور انفعال موسى مما علم من أمر الفتنة، ومسارعته بالعودة، وفي نفسه حزن وغضب على القوم الذين أنقذهم الله على يديه من الاستعباد والذل في ظل الوثنية؛ ومنّ عليهم بالرزق الميسر والرعاية الرحيمة في الصحراء.

وذكرهم منذ قليل بآلائه. وحذرهم الضلال وعواقبه.. ثم ها هم أولاء يتبعون أول ناعق إلى الوثنية، وإلى عبادة العجل! ولم يذكر هنا ما أخبر الله به موسى من تفصيلات الفتنة، استعجالاً في عرض موقف العودة إلى قومه.. ولكن السياق يشي بهذه التفصيلات.. فلقد عاد موسى غضبان أسفاً يوبخ قومه، ويلوم أخاه.. فلا بد أنه كان يعلم شناعة الفعلة التي أقدموا عليها.. ﴿**فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً**..﴾ فهذه هي الفتنة يكشف السياق عنها في مواجهة موسى بقومه؛ وقد أخر كشفها عن موقف المناجاة؛ واحتفظ بتفصيلاتها لتظهر في مشهد التحقيق الذي يقوم به موسى.. فلقد رجع موسى ليجد قومه عاكفين على عجل من الذهب له خوار، يقولون: هذا إلهكم وإله موسى، وقد نسي موسى.. فذهب يطلب ربه على الجبل وربه هنا حاضر! فراح موسى يسألهم في حزن وغضب: ﴿**ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً**..﴾ وقد وعدهم الله بالنصر ودخول الأرض المقدسة في ظل التوحيد؛ ولم يمض هذا الوعد وإنجاز مقدماته طويل وقت.. ويؤنبهم في استنكار: ﴿**أفطال عليكم العهد؟ أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم**﴾؟ فعملكم هذا عمل من يريد أن يحل عليه غضب من الله؛ كأنما يتعمد ذلك تعمداً. ويقصد إليه قصداً!.. أفطال عليكم العهد؟ أم تعمدتم حلول الغضب فأخلفتم موعدي، وقد تواعدنا على أن تبقوا على

عهدي حتى أعود إليكم، لا تغيرون في عقيدتكم ولا منهجكم بغير أمرى؟!..

عندئذ يعتذرون بذلك العذر العجيب، الذي يكشف عن أثر الاستعباد الطويل والتخلخل النفسي والسخف العقلي: ﴿**قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا**..﴾ فلقد كان الأمر أكبر من طاقتنا! ﴿**ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها**..﴾ فقد حملوا أكداساً وأكداساً من الذهب الذي خرجوا به من مصر.. فجمعوه وقذفوه في النار.. ﴿**فكذلك ألقى السامري**..﴾ فأخذها فصاغ منها عجلاً جسداً له خوار.. والسامري يهودي منافق زنديق يظهر الإيمان بما جاء به موسى ويخفي الكفر والتمرد على الدعوة والحيلة والشعوذة على القوم.. فما كادوا يرون عجلاً من ذهب يخور حتى نسوا ربهم الذي أنقذهم من أرض الذل وعكفوا على عجل الذهب.

وفي بلاهة فكر وبلادة روح ﴿**قالوا: هذا إلهكم وإله موسى. فنسي**﴾، راح يبحث عنه على الجبل وهو هنا معنا، وقد نسي موسى الطريق إلى ربه وضل عنه!.. فهذه قولة تضيف إلى معنى البلادة والتفاهة اتهامهم لنبيئهم الذي أنقذهم تحت عين الله وسمعه، وبتوجيهه وإرشاده. اتهامهم له بأنه غير موصول بربه حتى ليضل الطريق إليه.. فلا هو يهتدي ولا ربه يهديه!.. ذلك فضلاً على وضوح الخدعة: ﴿**أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً**﴾؟!.. وغير ذلك كله لقد نصح لهم هارون؛ وهو نبيئهم كذلك.. والنائب عن نبيئهم المنقذ.. ونبههم إلى أن هذا ابتلاء: ﴿**ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمان**..﴾ فنصحهم باتباعه وطاعته كما تواعدوا مع موسى: ﴿**فاتبعوني وأطيعوا أمري**..﴾ ولكنهم بدلاً من الاستجابة له التووا وتملصوا من نصحه ومن عهدهم لنبيئهم بطاعته: ﴿**قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى**﴾.

رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً.. فسمع منهم محبتهم التي تكشف عن مدى ما أصاب نفوسهم من تخلخل.. وأصاب تفكيرهم من فساد.. فالتفت إلى أخيه وهو في فورة الغضب يأخذ برأسه وبلحيته في انفعال وثورة: ﴿**قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني أفعصيت أمري**..﴾ فهذا لوم من موسى لأخيه على ترك القوم يعبدون العجل ولم يمنعهم منها.. فجاء رد هارون مبيناً موقفه..

فهو يطلع أخاه عليه محاولاً أن يهدّئ من غضبه باستحاشة عاطفة الرحم في نفسه: ﴿**قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي**﴾.

وهكذا نجد هارون أهدأ أعصاباً وأملك لانفعاله من موسى.. فهو يلمس في مشاعره نقطة حساسة. ويجيء له من ناحية الرحم وهي أشد حساسية. ويعرض له وجهة نظره في صورة الطاعة لأمره حسب تقديره. وأنه خشي إن هو عالج الأمر بالعنف أن يتفرق بنو إسراءيل شيعا: بعضها مع العجل وبعضها مع نصيحة هارون وقد أمره بأن يحافظ على بني إسراءيل ولا يحدث فيهم أمراً: ﴿**إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسراءيل ولم ترقب قولي**﴾. عندئذ يتجه موسى بغضبه وانفعاله إلى السامري صاحب الفتنة من أساسها. وإنما لم يتوجه إليه منذ البدء؛ لأن القوم هم المسؤولون أن لا يتبعوا كل ناعق.

وهارون هو المسؤول أن يحول بينهم وبين أتباعه إذا همّوا بذلك وهو قائدهم المؤتمن عليهم.. فأما السامري فذنبه يجيء متأخراً؛ لأنه لم يفتنهم بالقوة، ولم يضرب على عقولهم.. إنما أغواهم فغووا. وكانوا يملكون أن يثبتوا على هدى نبيئهم الأول ونصح نبيئهم الثاني.. فالتبعة عليهم أولاً، وعلى راعيهم بعد ذلك.. ثم على صاحب الفتنة والغواية أخيراً. اتجه موسى إلى السامري: ﴿**قال فما خطبك يا سامري**..﴾ أي: ما شأنك وما قصتك؟.. فهذه الصيغة تشير إلى جسامة الأمر وعظم الفعلة.. ﴿**قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي**﴾: السامري علم على شخص من اليهود الذين لعبوا دوراً خطيراً في التاريخ في إضلال الناس وإغوائهم.. فها هو ذا يقول لموسى: ﴿**بصرت بما لم يبصروا به**..﴾ فهو يعلم شيئاً لا يعلمونه.. ويخطط خططاً لا يدركون مغزاها ولا ما تنتهي إليه من خطورة.. ﴿**فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها**..﴾ فهو يعترف بأنه كان متظاهراً باتباع رسالة موسى متوارياً بكفره وضلاله.. فبمجرد ما تسنح له الفرصة برفضها ونبذها يرفضها وينبذها. وعندما رأى القوم ضعفاء في الدين أغبياء في العقل استحوذ عليهم بدهائه وخبرته في صنعته.. فصنع لهم عجلاً من حليهم بحيلته.. ﴿**فقالوا هذا إلهكم وإله موسى**﴾. فانخدعوا لخدعته.. فبعد ما ورطهم في ورطته واجهه موسى بإعلان طرده ولعنته:

﴿**قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه**. .﴾ فطرد من جماعة بني إسراءيل مدة حياته. . وإن له موعداً يوم القيامة بعقوبته.

وفي حضوره قبل غيبته يعلن موسى له لينظر إلى إلهه وإلى نهايته: ﴿**وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً**﴾. هذه هي نهاية الإله المزيف، ومصير الضلّيل المنحرف، وجناية كل مشوعذ مخرّف. وعلى مشهد الإله المزيف يحرق وينسف يعلن موسى ـ عليه السلام ـ حقيقة العقيدة التي يحق أن تعرف: ﴿**إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً**﴾. وينتهي بهذا الإعلان هذا القدر من قصة موسى في هذه السورة لترتبط الدعوتان: دعوة محمد ـ ﷺ ـ ودعوة موسى ـ عليه السلام ـ في المبدإ بكلمة التوحيد وفي النهاية بكلمة التوحيد: الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى. . ﴿**إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني. . إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً**﴾.

6 ـ إعادة البيان إلى الحكمة من إنزال القرآن

النص

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (97) مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا (98) خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا (99) يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (100) يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (101) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (102) وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا (103) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا (104) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (105) يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا (106) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا (107) * وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (108) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (109) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (110)

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ
أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿111﴾ وَلَقَدۡ
عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿112﴾
وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿113﴾
فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿114﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿115﴾
وَإِنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿116﴾ فَوَسۡوَسَ
إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ
ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿117﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا
سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ
وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿118﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿119﴾
قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم
مِّنِّي هُدٗى ﴿120﴾ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿121﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ
عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿122﴾
قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿123﴾
قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿124﴾
وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ
أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿125﴾ * أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ

يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ ﴿126﴾
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴿127﴾
فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا
وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿128﴾
وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿130﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ
وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ
لِلتَّقْوَىٰ ﴿131﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ
بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿132﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ
مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ
مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿133﴾ قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿134﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**كذلك نقصّ عليك**﴾: مثل هذا القصص الذي مر من قصة موسى وهارون مع فرعون وملئه ومع بني إسراءيل وما فعل نقصّ عليك.. فاسم الإشارة راجع إلى القصة المذكورة. ﴿**من أنباء ما قد سبق**﴾: من أخبار القرون التي قد سبقك زمانها نخبرك بها معجزة لك. ﴿**وقد آتيناك من لدنا ذكراً**﴾: كتاباً منطوياً على هذه الأقاصيص والأخبار حقيقاً بالتفكر والاعتبار.. ﴿**من أعرض عنه فإنه يحمل يوم**

القيامة وزراً﴾: من أعرض عن ذلك الذكر العظيم. وهو القرآن الكريم. فإن المعرض عنه يحمل يوم القيامة عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وسائر ذنوبه.. خالدين فيه: حالة كون المعرضين الحاملين هذه الأوزار ماكثين في النار بسبب ما ارتكبوا من الآثام.

﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾: ساء حملاً وزرهم الذي كان سبباً في خلودهم في النار.. **﴿يوم ينفخ في الصور﴾**: نفخ الصور الإعلان بقيام الساعة. وهو بيان ليوم القيامة. وأصل الصور في اللغة بوق ينفخ فيه النافخ. فيخرج منه صوت قوي يزعج السامع ويستفزه.. **﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾**: المراد بالمجرمين هنا الكفرة الفجرة.. والزرقة لون مختلط بين السواد والحمرة يعتري الشخص من شدة ضغط الدم والهم الشديد.. وهي أقبح من السواد الخالص.. وأدهى من الغبرة والقترة. **﴿يتخافتون بينهم﴾**: يتكلمون فيما بينهم بكلام خفي خافت من شدة ما يعتريهم من هول ذلك اليوم.. **﴿إن لبثتم إلا عشراً﴾**: يقولون: ما لبثتم في الدنيا إلا عشر ليال لقصر مدتها وسرعة زوالها.. **﴿نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً﴾**: نحن أعلم بقولهم هذا وذاك.

وقولهم **﴿إن لبثتم إلا يوماً﴾** أصوب وأقرب للحقيقة.. فالدنيا كلها يوم: نهار وليل يتكرر بتكرر الشهور والسنين. وقد غفلوا عن هذه الحقيقة في الدنيا.. وها هم يسألون مستنكرين زوال الدنيا بثبوت الجبال واستقرارها: **﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا..﴾** فالجبال التي يسألونك عنها.. **﴿فقل ينسفها ربي نسفاً﴾**. والنسف: التفريق والإذراء في الهواء.. فيذر مكانها قاعاً مطروحة مستوية.. ومعنى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا: بيان لكيفية ما سبق من القاع الصفصف. والعوج الالتواء. والأمت النتوء اليسير.

﴿يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له﴾: يوم تسوى الأرض وتدك الجبال، وترى الأرض بارزة يتبعون داعي الله إلى الحشر العام.. فلا أحد يتخلف ولا يختفي ولا ينحرف.. **﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية. وخشعت الأصوات للرحمان فلا تسمع إلا همساً﴾**: في ذلك اليوم وفي ذلك المكان يحشرون خاشعين صامتين.. فلا تسمع إلا همساً.. وأصل الهمس: صوت خفاف الإبل على

الأرض. ﴿**يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمان ورضي له قولاً**﴾: في ذلك اليوم تنعدم الوساطة.. فلا يتوسط أحد لأحد. ولا يتدخل أحد في شأن أحد ولا ينفع أحد أحداً إلا الرسل والأنبياء والملائكة والشهداء والصالحون.

وهم الذين أذن الله لهم بالشفاعة.. وهم الذين يرضي الله لهم قولهم؛ لأنهم لا يشفعون إلا لمن يستحق الشفاعة.. ﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً**﴾: الله الذي أذن للشفعاء أن يشفعوا عالم بما ظهر من أعمال من يشفع له، وبما خفي.. فلا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون. وعنت الوجوه للحي القيوم: كما خشعت الأصوات للرحمان ذلت الوجوه للحي القيوم. وأصل العناء: الأسر. والعاني الأسير. لأنه ذليل حقير. والحي القيوم: اسمان من أسماء الله الحسنى. ﴿**وقد خاب من حمل ظلماً**﴾: خسر يومئذ من جاء بالظلم. وهو الشرك.. ﴿**ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً**﴾: مقابل من حمل ظلماً.. وهو من آمن وجاء بعمل صالح.. والظلم هنا: ضياع ما يستحقه من ثواب إيمانه وعمله الصالح والهضم: نقص ما يستحقه.. ﴿**وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً**﴾: كتاباً مقروءاً باللسان العربي.. ﴿**وصرفنا فيه من الوعيد**﴾: نوّعنا فيه أنواعاً من الوعيد الشامل لوعيد الدنيا ووعيد الآخرة.

﴿**لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً**﴾: فعلنا ذلك رجاء أن يحذروا الوعيد.. فيجعلوا لأنفسهم وقاية منه. أو يتعظوا بما يسمعون منه فيحدث لهم التذكر والنظر فيما هم عليه.. ﴿**فتعالى الله الملك الحق**﴾: تعالى وتعاظم وتنزه عن صفات المخلوقين، النافذ أمره ونهيه الحقيق بأن يُرجى وعدُه ويُخشى وعيدُه.. ﴿**ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه**﴾: إرشاد إلى كيفية تلقي القرآن قراءة وحفظاً وفهماً.. وأول من أمره الله بذلك الرسول الكريم - ﷺ - ﴿**وقل رب زدني علماً**﴾: إرشاد إلى ما في القرآن من علم شامل للدنيا وللآخرة.. فلا يكون للمتعجل من هذا شيء.. ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً**﴾: يقال: عهد إليه الملك.

وعزم عليه. وتقدم إليه، إذا أمره ووصّاه. والمراد بالعهد إلى آدم: نهيه عن الأكل من الشجرة. وتحذيره من الشيطان عدوه وعدو زوجه.. والنسيان هنا: إهمال العمل بالعهد. ونفي وجدان العزم عند آدم لما فيه من غريزة الاستعجال

وطلب الشيء المحبوب للنفس من البقاء وعدم الزوال. والعزم: الجزم بالفعل وعدم التردد فيه. «إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة: فإن فساد الرأي أن تترددا»، هذا إذا كان العزم من تلقاء النفس. أما إذا كان العزم مأموراً به من عند الله فلا تردد فيه بحال من الأحوال. . ﴿**فإذا عزمت فتوكل على الله. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى**﴾: تقدم معنى مفردات هذا الكلام في عدة مواضع. . والشقاء هنا معناه، التعب ومشقة الطلب بخلاف الجنة: ﴿**إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى**﴾.

﴿**وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى. . فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى: فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة. .**﴾ والمفردات في هذه الآيات واضحة المعنى. . ﴿**وعصى آدم ربه فغوى: خالف آدم أمر ربه لغاويته بوسوسة الشيطان إليه في قوله له: هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى. .**﴾ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى: ثم بعدما تنبه آدم وعلم أن الشيطان غره تاب إلى ربه وندم عما حصل. . فقبل توبته وهداه. . فالاجتباء الاصطفاء، والهداية: الإرشاد إلى النفع. والمراد بها إذا ذكرت مع الاجتباء في القرآن النبوءة قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو: تقدم معنى مفردات هذا الكلام في سورتي البقرة والأعراف.

﴿**فإما يأتينكم مني هدى**﴾: تقدم مثله في سورة البقرة. والهدى الشريعة المنزلة من عند الله على الرسل. وأولهم آدم. ﴿**فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى**﴾: فمن تمسك بشريعة الله فلا يضله الشيطان ولا يشقى بمخالفة الرحمان. ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً**﴾: ومن أعرض عن شريعة الله وتولى وساوس الشيطان وأوهام الإنسان عاش عيشة الأحزان، وضاقت عليه الحال بضيق المكان. ﴿**ونحشره يوم القيامة أعمى**﴾: لا يهتدي إلى طريق الجنة يحشره هائماً حيران. . ﴿**قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً**﴾: هنا يسأل هذا الحيران ربه: لم حشرتني أعمى الآن وقد كنت بصيراً في الدنيا أنظر ولي عينان وأذنان وقلب ولسان؟!. . ﴿**قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها**﴾: مثل ذلك فعلت أنت عندما تعاميت عن هداية الرحمان: ﴿**أتتك آياتنا فنسيتها**﴾: تعاميت عنها وكذبت بها. .

﴿وكذلك اليوم تنسى﴾: ومثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته في سالف الزمان.. ففي هذا اليوم تنسى: تترك في العمى والعذاب والهوان.. **﴿وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه﴾**: ومثل ذلك الجزاء الموافق للجناية التي جناها هذا الإنسان تجزي كل من أسرف وانهمك في الكفر والعصيان ولم يؤمن بآيات الله التي جاء بها الرسل لهداية الإنسان.. **﴿ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾**: لا يقاس عذاب الآخرة بعذاب الدنيا.. بل هو أقوى وأبقى.. فلا يقتل لشدته ولا نهاية له مهما طال الزمان.

﴿أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم﴾: استفهام عن حال الحاضرين المعاصرين لنزول القرآن. حيث أعرضوا عنه ولم يؤمنوا به. ووقفوا حجر عثرة في سبيله.. فلم ينتبهوا لمن كان قبلهم وما حصل لهم من الهلاك والخسران.. وهم يرون ذلك عندما يمرون على ديارهم وهي خالية من السكان. **﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهي﴾**: إن في تلك الآيات دلائل واضحات لا يدركها إلا العاقل الذي نهاه عقله عن ارتكاب الآثام والطغيان. **﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً﴾**: ولولا الكلمة السابقة، وهي العدة بتأخير عذاب الذين يكفرون بهذه الشريعة الخاتمة الباقية إلى يوم القيامة لكان عقاب جناياتهم لازماً وقوعه على هؤلاء المكذبين.. **﴿وأجل مسمى﴾**: لا يتأخر ولا يتقدم. أي: ولولا كلمة وأجل مسمى يقع عنده العقاب لكان عقابهم لزاماً الآن.

إذا كان الأمر كذلك.. **﴿فاصبر على ما يقولون..﴾** فلا تستعجل لهم العذاب.. **﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾**: التسبيح هنا مستعمل في الصلاة لاشتمالها على تسبيح الله وتنزيهه. والباء في قوله: بحمد ربك للملابسة. والأوقات المذكورة هي أوقات الصلوات. وآناء الليل ساعاته. وهو جمع إِنْيِ. وطرف الشيء منتهاه.

ومعنى **﴿لعلك ترضى﴾**: لعل في ذلك المقدار الواجب من الصلوات ما ترضي به نفسك دون زيادة في الواجب رفقاً بك وبأمتك. **﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زينة الحياة الدنيا﴾**: مد العينين هنا مستعمل في إطالة النظر إلى الشيء. وهو النظر إلى أهل الكفر مما هم فيه من مال وبطر.. وهو ما عبر

عنه بالتمتع بالأزواج والأولاد والأحفاد.. **﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات؟!.. بل لا يشعرون﴾!** لنفتنهم فيه.. والفتنة: الابتلاء والاختبار. ليظهر سوء حالهم في المآل إلى النار. **﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾**: ورزق المؤمن في الدنيا خير وراحة وفي الآخرة جنة لا يفنى نعيمها تجري تحتها الأنهار.. **﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً﴾**: من الرزق الذي حرم الله الكافر منه رزق الأرواح والقلوب والعقول وهو الصلاة.. فلهذا قال الله فيهم: «والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم».

وكما أن الكفار وأزواجهم تمتعوا بالدنيا، كذلك المؤمنون وأهلوهم تنعّموا بالصلاة ولم يُحرموا رزقهم في الدنيا: **﴿نحن نرزقك والعاقبة للتقوى.. وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه﴾**: حكاية لبعض أقاويلهم الباطلة التي أمر النبيء - ﷺ - بالصبر عليها.. **﴿أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى﴾**؟!.. فهذا رد على مقالتهم حيث أعلمهم أن ما في القرآن من ذكر التوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وما فيها.. فهي كافية لمن يعقل ويتذكر.. فيتعظ ويعتبر بما جاء في القرآن من الآيات والنذر: **﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى..﴾** فكانت بعثة الرسول وإنزال القرآن عليه قاطعة لعذرهم ومنذرة بعذابهم وذلهم وخزيهم.. **﴿قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى﴾**: أمر الله الرسول بأن يقول للمشركين المعارضين الناكرين: كل منا متربص منتظر لما سيؤول إليه أمره من نصر للمؤمنين وقهر للكافرين. **﴿قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا..﴾** فتربصوا فستعلمون من هو الفائز في النهاية؟!..

مبحث الإعراب

﴿كذلك﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر مفعول مطلق، واسم الإشارة في محل جر مضاف إلى الكاف. **﴿نقص﴾** فعل مضارع. والفاعل نحن. **﴿عليك﴾** متعلق بنقص. **﴿من أنباء﴾** من تبعيضية في محل نصب مفعول بنقص. أي: نقص عليك أنباء. **﴿ما﴾** في محل جر مضاف إلى أنباء. **﴿قد سبق﴾** فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق. والفاعل ضمير يعود على ما. والجملة صلة ما.

﴿**وقد آتيناك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق، والواو للحال. وجملة آتيناك في محل نصب حال من فاعل نقص. ﴿**من لدنا**﴾ متعلق بآتيناك. ﴿**ذكراً**﴾ مفعول ثان لآتيناك. ﴿**من**﴾ اسم شرط. ﴿**أعرض**﴾ فعل الشرط. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**عنه**﴾ متعلق بأعرض. ﴿**فإنه**﴾ إن واسمها. والفاء رابطة للجواب.

﴿**يحمل**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة خبرُ إنّ. وجملة فإنه يحمل جواب الشرط. ﴿**يوم**﴾ متعلق بيحمل. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**وزراً**﴾ مفعول به. ﴿**خالدين**﴾ منصوب على الحال من فاعل يحمل. ﴿**فيه**﴾ متعلق بالحال. ﴿**وساء**﴾ فعل ماض. والواو للعطف. والفاعل ضمير يعود على الوزر. ﴿**لهم**﴾ متعلق بساء. ﴿**يوم**﴾ متعلق به. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**حملا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**يوم**﴾ بدل من يوم القيامة. ﴿**ينفخ**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**في الصور**﴾ نائب الفاعل. ﴿**ونحشر**﴾ فعل مضارع معطوف على ينفخ. والفاعل نحن. ﴿**المجرمين**﴾ مفعول به. ﴿**يومئذ**﴾ متعلق بنحشر. ﴿**زرقا**﴾ حال من المجرمين.

﴿**يتخافتون**﴾ فعل وفاعل. والجملة بيانية. ﴿**بينهم**﴾ متعلق بيتخافتون. ﴿**إن لبثتم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**إلا عشراً**﴾ استثناء مفرغ. وعشراً مفعول به. ﴿**نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أعلم**﴾ خبره. ﴿**بما**﴾ متعلق بأعلم. ﴿**يقولون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**إذ**﴾ ظرف متعلق بأعلم. ﴿**يقول أمثلهم**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل جر مضافة إلى إذ. ﴿**طريقة**﴾ تمييز. ﴿**إن لبثتم إلا يوماً**﴾ إعرابها مثل إعراب جملة إن لبثتم إلا عشراً. ﴿**ويسألونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف.

﴿**عن الجبال**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**فقل**﴾ فعل أمر. والفاء للتعقيب. ﴿**ينسفها**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**ربي**﴾ فاعل مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. ﴿**نسفاً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**فيذرها**﴾ مرتب على ينسفها. ﴿**قاعاً**﴾ مفعول ثان بيذرها. ﴿**صفصفاً**﴾ بدل منه. ﴿**لا ترى**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**فيها**﴾ متعلق بترى. ﴿**عوجاً**﴾ مفعول به. ﴿**ولا أمتا**﴾ معطوف عليه. ﴿**يومئذ**﴾ متعلق بما بعده:

﴿**يتبعون الداعي**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**لا عوج**﴾ لا واسمها. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا. وجملة لا عوج له في محل نصب حال من الداعي.

﴿**وخشعت الأصوات**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**للرحمان**﴾ متعلق بخشعت. ﴿**فلا تسمع**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب. ﴿**إلا همساً**﴾ مفعول به. ﴿**يومئذ**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**لا تنفع الشفاعة**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**إلا من**﴾ في محل نصب على الاستثناء. ﴿**أذن**﴾ فعل ماض. ﴿**له**﴾ متعلق به. ﴿**الرحمان**﴾ فاعل. وجملة أذن له الرحمان صلة مَنْ. ﴿**ورضي**﴾ معطوف على أذن. ﴿**له**﴾ متعلق برضي. ﴿**قولاً**﴾ مفعول به. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الرحمان. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول يعلم. ﴿**بين**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**أيديهم**﴾ مضاف إلى بين. ﴿**وما خلفهم**﴾ معطوف على ما بين أيديهم. ﴿**ولا يحيطون**﴾ فعل وفاعل معطوف على يعلم.. ﴿**به**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**علماً**﴾ مفعول به.

﴿**وعنت الوجوه**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**للحي**﴾ متعلق بعنت. ﴿**القيوم**﴾ عطف بيان للحي. ﴿**وقد خاب**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق. والواو للحال. ﴿**مَنْ**﴾ في محل رفع فاعل خاب. ﴿**حمل**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة مَنْ. ﴿**ظلماً**﴾ مفعول حمل. ﴿**ومن يعمل**﴾ جملة شرطية معطوفة على خاب. ﴿**من الصالحات**﴾ متعلق بيعمل. ﴿**وهو مؤمن**﴾ الجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب حال من فاعل يعمل. ﴿**فلا يخاف**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. والفاء رابطة للجواب. والفاعل ضمير يعود على من يعمل من الصالحات. ﴿**ظلماً**﴾ مفعول به. ﴿**ولا هضماً**﴾ معطوف عليه. وجملة فلا يخاف ظلماً ولا هضماً في محل جزم جواب الشرط. والتقدير: فهو لا يخاف.. فجملة لا يخاف وحدها خبر لمبتدأ محذوف.

﴿**وكذلك**﴾ معطوف على قوله تعالى: كذلك نقص عليك.. وهي مثلها في الإعراب. ﴿**أنزلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**قرآناً**﴾ حال من الضمير المنصوب. ﴿**عربياً**﴾ نعت له. ﴿**وصرفنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**فيه من الوعيد**﴾ متعلقان بصرفنا. ﴿**لعلهم**﴾ لعل واسمها. ﴿**يتقون**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل رفع خبر لعل. ﴿**أو يحدث**﴾ عطف على يتقون. وفاعله ضمير يعود على

القرآن. ﴿**لهم**﴾ متعلق بيحدث. ﴿**ذكراً**﴾ مفعول به. ﴿**فتعالى الله**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**الملك**﴾ عطف بيان لله. ﴿**الحق**﴾ كذلك. ﴿**ولا تعجل**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والواو للعطف والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**بالقرآن**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**من قبل**﴾ كذلك.

﴿**أن يقضي**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن. وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف. ﴿**إليك**﴾ متعلق بيقضي. ﴿**وحيه**﴾ نائب الفاعل. ﴿**وقل**﴾ فعل أمر. والواو للعطف. ﴿**رب**﴾ منادى حذف منه حرف النداء وياء المتكلم للتخفيف. ﴿**زدني**﴾ فعل دعاء. وفاعله ضمير المخاطب يعود على رب. والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب مفعول أول. ﴿**علماً**﴾ مفعول ثان. ﴿**ولقد عهدنا**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. والواو للعطف. ﴿**إلى آدم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**من قبل**﴾ كذلك. ﴿**فنسي**﴾ مرتب على عهدنا. وفاعل نسي ضمير يعود على آدم. ﴿**ولم نجد**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم عطف على نسي. والفاعل نحن. ﴿**له**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**عزماً**﴾ مفعول به. ﴿**وإذ**﴾ ظرف متعلق بفعل أمر مقدر، والتقدير: اذكر.. ﴿**قلنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**للملائكة**﴾ متعلق بقلنا.

﴿**اسجدوا**﴾ فعل أمر. ﴿**لآدم**﴾ متعلق به. ﴿**فسجدوا**﴾ فعل وفاعل مرتب على ما قبله. ﴿**إلا إبليس**﴾ منصوب على الاستثناء. ﴿**أبى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على إبليس. والجملة بيانية. ﴿**فقلنا**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**يا آدم**﴾ منادى مبني على الضم في محل نصب. ﴿**إن هذا**﴾ مبني على السكون في محل نصب اسم إن. ﴿**عدوٌّ**﴾ خبرها. ﴿**لك**﴾ متعلق بعدو. ﴿**ولزوجك**﴾ معطوف على لك.. ﴿**فلا يخرجنكما**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. في محل جزم بلا الناهية. والفاء للتفريع. والضمير المثنى المتصل بالفعل مفعول. والفاعل ضمير يعود على إبليس. ﴿**من الجنة**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**فتشقى**﴾ فعل مضارع مرتب على ما قبله. وفاعله ضمير يعود على آدم.

﴿**إنَّ لك**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**أن لا تجوع**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي منصوب بأن. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**فيها**﴾ متعلق بالفعل قبله. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب اسم إنّ مؤخر. ﴿**ولا**

تعرى﴾ معطوف على أن لا تجوع. **﴿وإنك﴾** إن واسمها معطوف على إن لك.. **﴿لا تظمأ﴾** فعل مضارع دخل عليه حرف النفي، والفاعل ضمير المخاطب. والجملة خبر إنّ. **﴿فيها﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿ولا تضحي﴾** معطوف على لا تظمأ.. **﴿فوسوس﴾** فعل ماض دخل عليه حرف التعقيب. **﴿إليه﴾** متعلق بوسوس. **﴿الشيطان﴾** فاعل وسوس. **﴿قال: يا آدم﴾** منادى.. **﴿هل أدلك﴾** فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير المتكلم يعود على إبليس.

﴿على شجرة﴾ متعلق بأدلك. **﴿الخلد﴾** مضاف إلى شجرة. **﴿وملك﴾** معطوف على شجرة. **﴿لا يبلى﴾** فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. والفاعل ضمير يعود على ملك. والجملة في محل جر نعت لملك. **﴿فأكلا﴾** فعل وفاعل. مفرع على ما قبله. **﴿منها﴾** متعلق بأكلا. **﴿فبدت﴾** مرتب على ما قبله. **﴿لهما﴾** متعلق به. **﴿سوآتهما﴾** فاعل بدت. **﴿وطفقا﴾** فعل ناقص معطوف على بدت. وألف التثنية اسم طفق. **﴿يخصفان﴾** فعل وفاعل. والجملة في محل نصب خبر طفق. **﴿عليهما من ورق﴾** متعلقان بيخصفان. **﴿الجنة﴾** مضاف إلى ورق. **﴿وعصى آدم ربه﴾** فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. **﴿فغوى﴾** مرتب على عصى. **﴿ثم اجتباه﴾** معطوف على غوى. والضمير المتصل بالفعل يعود على آدم وهو مفعول اجتبى. **﴿ربه﴾** فاعل.

﴿فتاب﴾ مرتب على اجتباه. **﴿عليه﴾** متعلق بتاب. **﴿وهدى﴾** معطوف على تاب. وفاعل تاب وهدى ضمير يعود على ربه.. **﴿قال: اهبطا﴾** فعل أمر لآدم وإبليس. **﴿منها﴾** متعلق باهبطا. **﴿جميعاً﴾** منصوب على الحال من ضمير المثنى. **﴿بعضكم﴾** مبتدأ. **﴿لبعض﴾** متعلق بما بعده: **﴿عدوٌّ﴾** خبر المبتدأ. والجملة في محل نصب حال ثانية من ضمير المثنى. **﴿فإما يأتينكم﴾** فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد في محل جزم بإن الشرطية. وما زائدة. والضمير المتصل بالفعل مفعول. **﴿مني﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿هدى﴾** فاعل مرفوع بضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين. **﴿فمن اتبع﴾** فعل ماض في محل جزم بمن الشرطية. والفاعل ضمير يعود على من. والجملة جواب فإما يأتينكم.. والفاء رابطة.

﴿**هداي**﴾ مفعول اتبع منصوب بفتحة مقدرة على الألف. وياء المتكلم مضاف إليه. ﴿**فلا يضل**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي وفاء الربط. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة جواب الشرط الثاني. ﴿**ولا يشقى**﴾ معطوف على قوله: فلا يضل. ﴿**ومن أعرض**﴾ معطوف على قوله: فمن اتبع. ﴿**عن ذكري**﴾ متعلق بأعرض. ﴿**فإن له**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**معيشةً**﴾ اسم إنّ مؤخر. ﴿**ضنكاً**﴾ نعت لمعيشة. والجملة جواب من أعرض.. ﴿**ونحشره**﴾ معطوف على قوله: فإن له معيشة ضنكاً. ﴿**يوم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**أعمى**﴾ حال من الضمير المنصوب في نحشره. ﴿**قال: رب**﴾ منادى كما تقدم.. ﴿**لم**﴾ ما اسم استفهام دخل عليه حرف الجر فحذف منه الألف. ﴿**حشرتني**﴾ فعل وفاعل ومفعول.

﴿**أعمى**﴾ حال مثل ما قبلها. ﴿**وقد كنت**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف التحقيق. والواو للحال. ﴿**بصيراً**﴾ خبر كان. ﴿**قال: كذلك**﴾ الكاف في محل نصب وتقدم مثلها. ﴿**أتتك آياتنا**﴾ فاعل. وضمير المخاطب مفعول في محل نصب. ﴿**فنسيتها**﴾ مرتب على أتتك. ﴿**وكذلك**﴾ معطوف على قوله: كذلك أتتك آياتنا. ﴿**اليوم**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بما بعده: ﴿**تنسى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على من أعرض. وهو المخاطب بقوله أتتك آياتنا فنيستها. ﴿**وكذلك**﴾ مثل ما تقدم.. ﴿**نجزي**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. ﴿**مَنْ**﴾ في محل نصب مفعول نجزي. ﴿**أسرف**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة من. ﴿**ولم يؤمن**﴾ معطوف على أسرف. والفعل مجزوم بلم.

﴿**بآيات**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ربه**﴾ مضاف إلى آيات. ﴿**ولعذاب**﴾ مبتدأ واللام للتوكيد. ﴿**الآخرة**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**أشدُّ**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**وأبقى**﴾ معطوف على أشد. ﴿**أفلم يهد**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والفاء للتفريع والهمزة للاستفهام. ﴿**لهم**﴾ متعلق بيهد. ﴿**كم أهلكنا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه كم الاستفهامية. ﴿**قبلهم من القرون**﴾ متعلقان بأهلكنا. وفاعل يهد مضمون جملة كم أهلكنا. والمعنى: أفلم يُبيِّن لهم هذا السؤال ما فيه مصير أهل الضلال. ﴿**يمشون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**في مساكنهم**﴾ متعلق بيمشون. والجملة حال من ضمير المحدث عنهم الذين عاصروا نزول القرآن. ﴿**إن في ذلك**﴾ متعلق بمحذوف خبر

إنّ مقدم. ﴿**لآيات**﴾ اسم إنّ مؤخر منصوب بالكسرة. واللام للتوكيد. ﴿**لأولي**﴾ متعلق بآيات.

﴿**النهي**﴾ مضاف إلى أولي. وجملة إن في ذلك لآيات لأولي النهي تعليلية. ﴿**ولولا**﴾ حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿**كلمة**﴾ مبتدأ. ﴿**سبقت**﴾ فاعله ضمير يعود على كلمة. والجملة نعت لها. وهو المسوغ للابتداء بالنكرة. ﴿**من ربك**﴾ متعلق بسبقت. والخبر محذوف. ﴿**لكان**﴾ اسم كان ضمير يعود على المفهوم من السياق وهو الهلاك. ﴿**لزاماً**﴾ خبر كان. وجملة لكان لزاماً جواب لولا. ﴿**وأجل**﴾ معطوف على كلمة. ﴿**مسمى**﴾ نعت لأجل. مرفوع بضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿**فاصبر**﴾ فعل أمر. والفاء للتعقيب. ﴿**على ما**﴾ متعلق باصبر. يقولون صلة ما. ﴿**وسبح**﴾ معطوف على فاصبر.

﴿**بحمد**﴾ متعلق بسبح. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى حمد. ﴿**قبل**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بسبح. ﴿**طلوع**﴾ مضاف إلى قبل. ﴿**الشمس**﴾ مضاف إلى طلوع. ﴿**وقبل غروبها**﴾ معطوف على قبل طلوع الشمس. ﴿**ومن آناء**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**فسبّح وأطراف**﴾ عطف على قوله: قبل طلوع. . ﴿**النهار**﴾ مضاف إلى أطراف. ﴿**لعلك**﴾ لعل واسمها. ﴿**ترضي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب. والجملة خبر لعل. ﴿**ولا تمدنّ**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد في محل جزم بلا الناهية. والواو للعطف. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**عينيك**﴾ مفعول به منصوب بالياء. ﴿**إلى ما**﴾ متعلق بتمدّنّ. ﴿**متعنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**به**﴾ متعلق بمتعنا. ﴿**أزواجاً**﴾ مفعول متعنا. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لأزواج. ﴿**زهرة**﴾ منصوب على الحال أو على البدل. ﴿**الحياة**﴾ مضاف إلى زهرة. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة.

﴿**لنفتنهم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بفعل متّعنا. ﴿**فيه**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ورزق**﴾ مبتدأ. والواو عاطفة. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى رزق. ﴿**خير**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**وأبقى**﴾ معطوف على خير. ﴿**وأمُر**﴾ فعل أمر. والواو للعطف. ﴿**أهلك**﴾ مفعول به. ﴿**بالصلاة**﴾ متعلق بأمُر. ﴿**واصطبر**﴾ معطوف على فعل الأمر السابق. ﴿**عليها**﴾ متعلق باصطبر. ﴿**لا**

﴿نسألك﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿رزقاً﴾ مفعول ثان. ﴿نحن﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿نرزقك﴾ فعل مضارع. والفاعل نحنُ. ضمير المخاطب مفعول. والجملة خبر المبتدأ. ﴿والعاقبة﴾ مبتدأ.

﴿للتقوى﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. وجملة ورزق ربك خير وأبقى تذييل. وجملة لا نسألك رزقاً معترضة. وجملة نحن نرزقك بيانية. وجملة والعاقبة للتقوى تذييل. وكلها لا محل لها من الإعراب. ﴿وقالوا﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿لولا﴾ حرف تخصيص. ﴿يأتينا﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتحدث عنه. وهو الرسول - ﷺ - وضمير المتكلمين مفعول. ﴿بآية﴾ متعلق بيأتينا. وكذلك ﴿من ربه أو لم تأتهم﴾ فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الياء. والواو للعطف. والهمزة للاستفهام. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿بينة﴾ فاعل. ﴿ما﴾ في محل جر مضاف إلى بينة. ﴿في الصحف﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿الأولى﴾ نعت للصحف. ﴿ولو﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. والواو عاطفة. ﴿أنا﴾ أن واسمها. ﴿أهلكناهم﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر أن. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع فاعل بفعل مقدر بعد لو. والتقدير: ولو تحقق إهلاكنا إياهم. ﴿بعذاب﴾ متعلق بأهلكنا.

﴿من قبله﴾ متعلق بمحذوف نعت لعذاب. ﴿لقالوا﴾ فعل وفاعل. واللام رابط لجواب لو. ﴿ربنا﴾ منادى حذفت منه ياء النداء، ﴿لولا﴾ حرف تخصيص. ﴿أرسلت﴾ فعل وفاعل. ﴿إلينا﴾ متعلق بأرسلت. ﴿رسولاً﴾ مفعول به. ﴿فَنَتَّبِعَ﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية. والفاعل نحن. ﴿آياتك﴾ مفعول به منصوب بالكسرة. ﴿من قبل﴾ متعلق بنتبع. ﴿أن نذلّ﴾ منصوب بأن. والفاعل نحن. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مضاف إلى قبل. ﴿ونخزي﴾ معطوف على نذل. ﴿قل: كل﴾ مبتدأ. والتنوين عوض عن المضاف إليه. ﴿متربص﴾ خبر المبتدأ. والجملة مقول القول: ﴿فتربصوا﴾ فعل أمر للجماعة. والفاء للتعقيب. ﴿فستعلمون﴾ فعل وفاعل مرتب على ما قبله. ﴿مَنْ﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿أصحاب﴾ خبره. ﴿الصراط﴾ مضاف إلى

أصحاب. ﴿**السوي**﴾ نعت للصراط. ﴿**ومن اهتدى**﴾ معطوف على من أصحاب الصراط.. وفعل تعلمون معلق عن العمل لوجود الاستفهام.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق**﴾: كلام مستأنف خوطب به النبيء - ﷺ - بطريق الوعد الجميل بتنزيل أمثال ما مر من أنباء الأمم السابقة.. وما في اسم الإشارة من البعد لبعد منزلة القرآن وعلو رتبته تنويه بعظمته وعظمة من أنزل إليه. وهذا مرتبط بقوله: ﴿**ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى**﴾!. والمعنى: مثل ذلك القص البديع الذي سمعته من قصة موسى مع فرعون.. وقصته مع بني إسراءيل. نقص عليك ما ذكر من الأنباء تبصرة لك وتوفيراً لعلمك وتكثيراً لمعجزاتك وتذكيراً للمستبصرين. وصيغة المضارع في قوله: نقص لاستحضار الحالة الحسنة في ذلك القصص. والتشبيه في قوله: ﴿**كذلك..**﴾ راجع إلى تشبيهها بنفسها، كناية عن كونها إذا أريد تشبيهها وتقريبها بما هو أعرف منها في بابها لم يجد مريد ذلك طريقاً لنفسه في التشبيه إلا أن يشبهها بنفسها؛ لأنها لا يفوقها غيرها في بابها حتى تقرّب به.

وقوله: ﴿**وقد آتيناك من لدنا ذكرا**﴾ إيماء إلى أن ما يقص من أخبار الأمم المقصود منه العبرة والتذكرة وإيقاظ البصائر. وتنكير ذكرا للتعظيم. وقوله: ﴿**من لدنا**﴾ توكيد لمعنى ﴿**آتيناك**﴾، وتنويه بشأن القرآن بأنه عطية كانت مخزونة عند الله، فخصّ بها خير عباده. ﴿**من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا**﴾: الحكم بالشرط على كل فرد من أفراد المعرضين.. وجمع الحال في خالدين فيه بالنظر إلى نتيجة الحكم حيث اشتركوا في الوزر بالإعراض عن الذكر. ﴿**وساء لهم يوم القيامة حملا**﴾: تذييل مقرر لمضمون ما قبله. وهو تعبير عن أسوأ حال بأثقل الأحمال إلى أسوإ مآل: ﴿**يوم ينفخ في الصور..**﴾ فيومئذ تظهر نتيجة المعرضين.. ﴿**ونحشر المجرمين يومئذ زرقا**﴾.

وهو عطف الأعم على الأخص. دخل المعرضون عن القرآن في حكم المجرمين الذين يحشرون على هذه الصفة الموحشة المنكرة! وهي الزرقة التي هي أقبح من السواد وأشد من الغبرة والقترة.. حيث اجتمعت هذه الأوصاف في

الكافرين وزادت عليها بالزرقة في أوصاف المجرمين.. ﴿**فمن أظلم ممن ذكر بآيات ربه.. ثم أعرض عنها.. إنا من المجرمين منتقمون. يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما**﴾: استئناف مبين لما يقوله أهل المحشر سرا فيما بينهم.. فمنهم من يقول: ما لبثتم إلا عشرا.. في حين يقول فريق آخر وهم أصحاب أمثل الطرق وهم الذين علموا قصر الدنيا وسرعة نهايتها.. فيقولون: ما لبثتم إلا يوما ـ ليلاً ونهارا ـ فهو يوم واحد متكرر بتكرُّرِ طلوع الشمس وغروبها. والله سبحانه وتعالى يقول: «نحن أعلم بما يقولون». وهو اعتراض بين القولين من الفريقين.

﴿**ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا**﴾: هذه الآية وما بعدها وصلت بالعطف على ما قبلها ليقص القرآن على الناس من أنباء ما سيأتي كما قص على الناس من أنباء ما قد سبق. ولما كان الكلام على يوم القيامة مؤذناً بخراب هذا العالم بما فيه ومن جملة ما فيه ترقب هذا السؤال من منكري البعث فجاء الكلام عنه بالعطف على ما سيقع المحكى عنه بأنه واقع.. فأمر الله رسوله بأن يسارع إليهم بالجواب: ﴿**فقل ينسفها ربي نسفا..**﴾ فالمعنى: إذا سألوك عن الجبال فقل.. فتضمن الكلام معنى الشرط.. وقد علم الله أنهم يسألونه عنها؛ فأجابهم قبل السؤال. وجملة ﴿**فيذرها قاعاً صفصفا**﴾ مرتبة على قوله: ﴿**ينسفها ربي نسفا**﴾.

وجملة ﴿**لا ترى فيها عوجا ولا أمتا**﴾ مبينة لكيفية النسف وكيفية القاع الصفصف. ﴿**يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له**﴾: يتبعون الداعي يوم إذ ينسف ربك الجبال.. فتصير هباء مُنبثًا.. فتقوم القيامة يوم يدعو الداعي.. فينبعونه على خط مستقيم متجهين إلى صوبه.. فكما أنهم يحشرون على أرض لا عوج فيها ولا أمت يساقون في طريق لا عوج فيها.. فقوله: ﴿**وخشعت الأصوات للرحمان فلا تسمع إلا همسا..**﴾ إظهار للخشوع الكامل. وإسناد الخشوع إلى الأصوات مجاز عقلي. فإن الخشوع لأصحاب الأصوات. وهذا الخشوع من هول المقام.

﴿**يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمان ورضي له قولا**﴾: هذه الجملة مبينة للجملة التي قبلها بحيث أن كل واحد مهتم بنفسه مشغول عن غيره بما هو فيه.. فلا حبيب ولا قريب، ولا نافع ولا مدافع.. إلا من أذن له الرحمان من

الرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين من الأولياء. فجملة ﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**﴾ بيان لجواب سؤال من قد يسأل عما يوجب رضى الله عن العبد الذي يأذن بالشفاعة فيه.. فبين بياناً إجمالياً بأن الإذن بذلك يجري على ما يقتضيه علم الله بسرائر العبيد وبأعمالهم الظاهرة.. فعبّر عن الأعمال الظاهرة بما بين أيديهم؛ لأن شأن ما بين الأيدي أن يكون واضحاً.

وعبر عن السرائر بما خلفهم؛ لأن شأن ما يجعل خلف المرء أن يكون محجوباً.. فهو كناية عن الظاهرات والخفيات. وجملة ﴿**ولا يحيطون به علما**﴾ تذييل للتعليم بعظمة علم الله تعالى، وضآلة علم البشر. ﴿**وعنت الوجوه للحي القيوم**﴾: وصل الكلام بالعطف على قوله تعالى: ﴿**وخشعت الأصوات للرحمان..**﴾ فقد ظهر الخضوع في الأصوات والعناء في الوجوه. ﴿**وقد خاب من حمل ظلما؟ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخافُ ظلما ولا هضما**﴾: جاء هذا الكلام لبيان اختلاف عاقبة عناء الوجوه.. فمن حمل ظلما فقد خاب يومئذ واستمر عناؤه.. ومن عمل صالحاً عاد عليه ذلك الخوف بالأمن والفرح.. فجملة ﴿**ومن يعمل من الصالحات..**﴾ شرطية مفيدة قسيم مضمون جملة ﴿**وقد خاب من حمل ظلما**﴾. وصيغ هذا القسيم في صيغة الشرط تحقيقا للوعد.

﴿**وكذلك أنزلناه قرآنا عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا**﴾: هذه الآية جاءت موصولة بالعطف على آية ﴿**كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا**﴾. والغرض فيهما واحد. وهو التنويه بالقرآن..فابتدىء بالتنويه به جزئياً: بالتنويه بقصصه.. ثم عطف عليه بالتنويه به كلياً على طريقة تشبه التذييل لما في قوله ﴿**أنزلناه قرآناً عربياً**﴾ من معنى عموم ما فيه، ووصف القرآن بكونه عربياً لإفادة المدح؛ لأن اللغة العربية أبلغ اللغات وأحسنها فصاحة وانسجاماً. وفيه تعريض بالامتنان على الرعب. وتحميق للمشركين منهم، حيث أعرضوا عنه وكذّبوا به. وذكر الوعيد هنا للتهديد، ولمناسبة قوله قبله: وقد خاب من حمل ظلما.

والتقوى تستعمل كناية عن الطاعة لله. والمعنى: فعلنا ذلك رجاء أن يؤمنوا ويطيعوا. والذكر هنا بمعنى التذكر. أي: يحدث لهم القرآن تذكرا ونظرا فيما يحق عليهم أن يختاروه لأنفسهم. وعبّر بيحدث إيماء إلى أن الذكر ليس من شأنهم قبل

نزول القرآن.. فالقرآن أوجد فيهم ذكرا لم يكن من قبل. وجملة ﴿**فتعالى الله الملك الحق**﴾ معترضة بين جملة ﴿**وكذلك أنزلناه..**﴾ وبين جملة ﴿**ولا تعجل بالقرآن..**﴾ فهذا إنشاء ثناء على الله منزل القرآن، وعلى منّة هذا القرآن. وتلقين لشكره على ما بيّن لعباده من وسائل الإصلاح وحملهم عليه بالترغيب والترهيب.

وتوجيهه إليهم بأبلغ كلام وأحسن أسلوب.. فهو مفرع على ما تقدم من قوله: كذلك أنزلناه قرآناً عربياً.. فالتفريع مؤذن بأن ذلك الإنزال والتصريف ووسائل الإصلاح: كل ذلك ناشىء عن جميل آثار يشعر جميعها بعلوه وعظمته وأنه الملك الحق المدبر لأمور مملوكاته على أتم وجوه الكمال وأنفذ طرق السياسة في الحكم والتصريف. وفي تفريع ذلك على إنزال القرآن إشارة أيضاً إلى أن القرآن قانون ذلك الملك، وأن ما جاء به هو السياسة الكاملة الضامنة صلاح أحوال متبعيه في الدنيا والآخرة.. فلا يلحقه حيف ولا تحريف.

﴿**ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على الآية السابقة ـ ﴿**وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد..**﴾ فهي ناشئة على ما تقدم من التنويه بالقرآن وما اشتمل عليه من تصاريف إصلاح الناس. وهو منزل من الملك الحق.. فلا تعجل بقراءته ولا تسرع في الحكم به قبل أن يقضي إليك وحيه.. فكلما أمعنت فيه وتربصت في تفهمه ظهرت لك حقيقته.. وعلمت يقينا أنه منزل من لدن حكيم خبير.. ﴿**وقل رب زدني علما**﴾. ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما: وصلت هذه الآية بالعطف على جملة كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق.. فجاءت قصة آدم بعد قصة موسى لما فيهما من عبرة وموعظة.. ولما فيهما من علم كان غائباً عن الناس.

وما فيهما من تحذير من الشيطان وغرور النفس واتباع الشهوات والمسارعة والاستعجال.. فجاء هذا القرآن لهذه الأمة بكل ما يجب عليهم أن يعلموه، وما يجب عليهم أن يحذروه ويتقوه، مصداقاً لقوله: ﴿**وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى**﴾: هذه الآية بيان لآية ولقد عهدنا إلى آدم من قبل.. فكان مقتضى الظاهر أن لا يكون معطوفاً بالواو، بل أن يكون مفصولاً فوقوع هذه

الآية معطوفة اهتمام بها؛ لتكون قصة مستقلة فنلفت إليه أذهان السامعين. وعطف قصة آدم على قصة موسى تبعاً لقوله: ﴿**كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق، فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى**﴾: مرتب على قوله: إلا إبليس أَبَى.

والإثارة في قوله: إن هذا للتحقير.. وقوله: عدو لك ولزوجك هو كقوله في الأعراف ﴿**وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين..**﴾ فعقب عليه قوله: ﴿**فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى**﴾ قبل الوقوع.. فقوله في الأعراف ﴿**وأقل لكما..**﴾ بعد الوقوع.. فهنا تحذير. وهناك لوم وتقرير، وقوله: ﴿**فلا يخرجنكما من الجنّة..**﴾ تفريع على الإخبار بعداوة إبليس له ولزوجه: بأن نُهِيَا نَهْيَ تحذير عن أن يتسبب إبليس في خروجهما من الجنة؛ لأن العدو لا يروقه صلاح حال عدوه. ووقع النهي في صورة نهى عن عمل هو من أعمال الشيطان لا من أعمال آدم كناية عن نهى آدم عن التأثر بوسائل إخراجهما من الجنة؛ كما يقال: لا أعرفنك تفعل كذا. كناية عن: لا تفعل.

وأسند ترتب الشقاء في قوله: فتشقى ـ إلى آدم خاصة دون زوجه إيجازًا؛ لأن في شقاء أحد الزوجين شقاء الآخر لتلازمهما في الكون، مع الإيماء إلى أن شقاء الذكر أصل شقاء المرأة، مع ما في ذلك من رعاية الفاصلة. وجملة ﴿**إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى**﴾ تعليل للشقاء المترتب على الخروج من الجنة المنهى عنه؛ لأنه لما كان ممتعاً في الجنة برفاهية العيش من مأكل وملبس ومشرب واعتدال جو مناسب للمزاج كان الخروج منها مقتضياً فقدان ذلك. ﴿**وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى**﴾: عطف على ﴿**ألا تجوع فيها ولا تعرى**﴾. وقد قرن انتفاء الجوع والعرى.. وقرن بين انتفاء الظمإ وألم الجسم.. لمناسبة بين الجوع والعرى في أن الجوع خلو باطن الجسم عما يقيه تألمه وذلك هو الطعام، وأن العرى خلو ظاهر الجسم عما يقيه تألمه وهو لفح الحر وقرص البرد.

ولمناسبة بين الظمأ وبين حرارة الشمس في أن الأول ألم حرارة الباطن والثاني ألم حرارة الظاهر.. فهذا اقتضى عدم اقتران ذكر الظمأ والجوع، وعدم اقتران ذكر العري بألم الحر؛ وإن كان مقتضى الظاهر جمع النظيرين في كليهما؛ إذ جمع النظائر من أساليب البديع في نظم الكلام بحسب الظاهر لولا أن عرض هنا ما

أوجب تفريق النظائر. ﴿**فوسوس إليه الشيطان**﴾: تعقيب على ما تقدم من النهي والتحذير.. ﴿**قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى**﴾: بيان لجملة فوسوس إليه.. وهل أدلك استفهام مستعمل في العرض.. ﴿**فأكلا منها**﴾: تفريع على ما قبله.. فهناك جملة محذوفة دل عليها العرض: فعمل آدم بوسوسة الشيطان فأكل آدم من الشجرة التي قال إبليس: إنّها شجرة الخلد. وهي التي نهاه الله عنها.. ﴿**فأكلا منها**﴾: آدم وحواء.. ﴿**فبدت لهما سوآتهما**﴾: مرتب على الأكل. ﴿**وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**﴾: وشرعا يلزقان الورق بعضه ببعض ليسترا به عورتهما التي كان سببها أكلهما من الشجرة التي نُهِيَا عن الأكل منها.

والتعبير بالمضارع في يخصفان لاستحضار الحالة. ﴿**وعصى آدم ربه فغوى**﴾: عصيان آدم لربه مخالفة أمره بأن لا يصغي إلى إبليس عدوه.. ونهيه عن الأكل من الشجرة.. فإثبات العصيان لآدم دليل على أنه لم يكن يومئذ نبيئاً، ولأنه كان في عالم غير عالم التكليف.. فكانت الغواية خروج لمخالفة أمر طبيعي.. فهو خروج عن أمر من أمور تأتي نتائجها في الحال؛ كمخالفة أمر الطبيب باستعمال شيء وترك شيء.. وليس في هذه الآية مستند بتجويز المعصية على الأنبئاء ولا لمنعها؛ لأن ذلك العالم لم يكن عالم تكليف. وجملة ﴿**ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**﴾ معترضة بين جملة وعصى آدم.. وبين جملة ﴿**قال اهبطا منها**﴾. لأن الاجتباه والتوبة عليه كانا بعد أن عوقبا بالخروج من الجنة.. فالتعبير بثم يفيد هذا.. فالمراد بالهداية بعد الاجتباه النبوءة. ﴿**قال اهبطا منها جميعا**﴾: القول من الله لآدم وإبليس. والأمر في اهبطا أمر تكوين.

وجميعا وبعضكم لبعض عدو حالان من ضمير آدم وإبليس. ﴿**فإما يأتينكم مني هدى**﴾: تفريع جملة ﴿**فإما يأتينكم مني هدى**﴾ على الأمر بالهبوط من الجنة إلى الأرض إنباء بأنهم يستقبلون حياة غير التي كانوا عليها.. فحياة الأرض حياة تكليف وامتحان، وحياة الجنة حياة تشريف وامتنان. والتكليف يكون بإتيان الشرع الهادي المبين.. ﴿**فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى**﴾: يتفرع من الهدى الآتي من الله طريقان: طريق مبين فيه الإيمان، وطريق مبين فيه الكفر. وكل من يتبع هذا الهدى يظهر له نفع الإيمان وضرّ الكفر فيؤمن ويعمل بما أُمِر.. فلا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

وكل من يعرض عن هذا الهدى الذي فيه ذكر حقيقة الإيمان وحقيقة الكفر فلا بد أن يضل الطريق.. فلا يدري ما هو الإيمان وما هو الكفر. والشيطان أمامه بالمرصاد.. فيذهب به إلى ما أراد: **﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا..﴾** فهو في حياة ضيقة إن ضاقت عليه المعيشة.. وتعب منها كذلك إن توسعت عليه مطالب الدنيا.. فنفسه في الحالين غير مطمئنة!.. **﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾**: تمثيل لحالته الحسية يومئذ بحالته المعنوية في الدنيا.. فذلك العمى عنوان على غضب الله عليه وإقصائه عن رحمته. وجملة **﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا﴾** مستأنفة استئنافا ابتدائياً.

وجملة **﴿قال كذلك أتتك آياتنا..﴾** واقعة في طريق المحاورة.. فلذلك فصلت ولم تعطف. والإشارة في قال كذلك أتتك آياتنا راجعة إلى العمى المضمن في قوله: **﴿لم حشرتني أعمى﴾**. وجملة **﴿وقد كنت بصيرا﴾** حال من الضمير المنصوب.. وهي ياء المتكلم في قوله: **﴿لم حشرتني أعمى﴾**. وجملة **﴿فنسيتها﴾** مرتبة على جملة **﴿أتتك آياتنا﴾**. وجملة **﴿وكذلك اليوم تنسى﴾** معطوفة على جملة **﴿فنسيتها﴾**. والنسيان في الموضعين مستعمل في الحرمان من حظوظ الرحمة. وجملة **﴿وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه﴾** تذييل للقصة قصد منها موعظة السامعين ليحذروا من أن يصيروا إلى مثل ذلك المصير.. فالواو اعتراضية؛ لأن التذييل اعتراض في آخر الكلام، والواو الاعتراضية راجعة إلى الواو العاطفة إلا أنها عاطفة مجموع كلام على مجموع كلام آخر. وأعقبه بقوله: **﴿ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾**.

وهو تذييل ثان، قصد منه زيادة التحذير: **﴿أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون..﴾** فهو تفريع على الوعيد المتقدم في قوله تعالى: **﴿وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه..﴾** جعل الاستفهام الإنكاري التعجيبي مفرعاً على الإخبار بالجزاء بالمعيشة الضنك لمن أعرض عن توحيد الله لأنه سبب عليه لا محالة، تعجيباً من حال غفلة المخاطبين المشركين عما حل بالأمم المماثلة لهم في الإشراك والإعراض عن كتب الله وآيات الرسل.. فضمائر جمع الغائبين عائدة إلى معروف من مقام التعريض بالتحذير والإنذار بقرينة قوله **﴿يمشون في مساكنهم﴾**، فإنه لا يصلح إلا أن يكون حالاً لقوم أحياء يومئذ.. والهداية هنا مستعارة للإرشاد

إلى الأمور العقلية بتنزيل العقلي منزلة الحسي.. فيؤول معناها إلى معنى التبيين.

والمراد بالقرون عاد وثمود.. فقد كان العرب يمرون بمساكن عاد في رحلاتهم إلى اليمن ونجران وما جاورها. ومساكن ثمود في رحلاتهم إلى الشام. وجملة إن في ذلك لآيات لأولي النهى في موضع التعليل للإنكار والتعجيب من حال غفلتهم عن هلاك تلك القرون.. فحرف التأكيد للإهتمام بالخبر للإيذان بالتعليل. وفي هذا تعريض بالذين لم يهتدوا بتلك الآيات بأنهم عديموا العقول، كقوله: **﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا. لولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما﴾**: هذه الآية موصولة بالعطف على آية **﴿أفلم يهد لهم..﴾** باعتبار ما فيها من التحذير والتهديد والعبرة بالقرون الماضية. وبأنهم جديرون بأن يحل بهم مثل ما حل بأولئك.. فلما كانوا قد غرتهم أنفسهم بتكذيب الوعيد لما رأوا من تأخر نزول العذاب بهم.. فكانوا يقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين.

عقب وعيدهم بالتنبيه على ما يزيل غرورهم بأن سبب التأخير كلمة سبقت من الله لذلك الحكم يعلمها. وهذا في معنى قوله: ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون.. ومعنى قوله: «وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم».. فهذا تشريف للرسول ـ ﷺ ـ وينبىء عن هذا إضافة ضميره إلى ربه في قوله تعالى: من ربك.. فالكلمة هنا مراد بها ما علمه الله من تأجيل حلول العذاب بهم.. فالله تعالى بحكمته أنظر قريشاً.. فلم يعجل لهم العذاب؛ لأنه أراد أن ينشر الإسلام بمن يؤمن منهم، وبذرياتهم.. وفي ذلك كرامة للنبيء محمد ـ ﷺ ـ بتيسير أسباب بقاء شرعه وانتشاره؛ لأنه الشريعة الخاتمة.

وأجل مسمى: موصول بالعطف على كلمة. والتقدير: ولولا كلمة وأجل مسمى يقع عنده الهلاك لكان إهلاكهم لزاما.. **﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾**: هذه الآية مفرعة على ما قبلها مما تضمنه من الوعيد والتهديد الذي لم يحن وقته.. فأمر الله نبيئه بالصبر على قولهم.. وأمره بأن يقبل على ربه بالتسبيح والحمد.. فالتسبيح هنا مستعمل في الصلاة لاشتمالها على تسبيح الله

وتنزيهه. . والأوقات المذكورة هي أوقات الصلاة التي فرضت مفصلة في الأوقات الخمسة. . فجملة لعلك ترضى مفيدة الرفق والتخفيف في مشروعية فرض الصلوات الخمس وما فيها من حكمة التوقيت. . 1 ـ التوقيت المكي: ركعتا الغداة وركعتان بالعشي، التوقيت المدني: الصلوات الخمس. وهو قوله: ومن آناء الليل ـ المغرب والعشاء.

﴿**وأطراف النهار**﴾: الصبح والظهر والعصر. ﴿**ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على الآية التي قبلها تعقيباً على أمره بالصبر بنهيه عن الإعجاب بما فيه المشركون من نعيم؛ بأن ذلك لحكم يعلمها الله تعالى: ﴿**لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى**﴾. بين الغرض من متاع الدنيا وزهرتها من الأزواج والبنين والمال. بأن ذلك فتنة لهم. . وذيل بما يقصد من الرزق الحسن الميسر للمؤمن بأنه خير من ذلك وأبقى في الدنيا ومنفعته باقية في الآخرة لما يقارنه في الدنيا من الشكر. . فإضافة رزق ربك إضافة تشريف. . وإلا فإن الرزق كله من الله. . ولكن رزق الكافرين لما خالطه وحق بحال أصحابه من غضب الله عليهم، ولما فيه من التبعة على أصحابه في الدنيا والآخرة لكفرانهم النعمة جعل كالمنكور انتسابه إلى الله.

وجعل رزق الله هو السالم من ملابسة الكفران ومن تبعات ذلك. ﴿**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على الأمر بالتسبيح في أوقات محدودة. . ففيه زيادة بأمر الأهل والاصطبار عليها. . فذكر الأهل هنا مقابل لذكر الأزواج في قوله: ﴿**ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم. .**﴾ فإن من أهل الرجل أزواجه: مُتْعتك ومتعت أهلك بالصلاة. . فلا تلتفتوا إلى زخارف الدنيا. . فالصلاة والعبادة رزق للأرواح. . كما أن الغذاء رزق للأجساد والأشباح. وجملة لا نسألك رزقاً معترضة بين التي قبلها وبين جملة نحن نرزقك جعلت تمهيداً لهذه الأخيرة.

وجملة ﴿**نحن نرزقك**﴾ مبيّنة لجملة ﴿**ورزق ربك خير وأبقى**﴾. والمعنى: أن رزق ربك خير وهو مسوق إليك. . فلا تترك العبادة لأجل طلب الرزق: فالمقصود من هذا الخطاب ابتداءً هو النبيء ـ ﷺ ـ ويشمل أهله والمؤمنين، لأن المعلل به

هذه الجملة مشترك في حكمه جميع المسلمين. وجملة ﴿**والعاقبة للتقوى**﴾ عطف لجملة لا نسألك رزقاً. واللام للملك تحقيقاً لإرادة الخير من العاقبة؛ لأن العاقبة تطلق على كل ما يعقب أمراً ويقع في آخره من خير وشر؛ لأن شأن لام الملك أن تدل على نوال الأمر المحبوب. وإنما يطرد ذلك في عاقبة خير الآخرة.. وقد تكون العاقبة في خير الدنيا أيضاً للتقوى. وهذه الجملة تذييل لما فيها من معنى العموم. أي: لا تكون العاقبة إلا للتقوى. وهذ الجملة أرسلت مجرى المثل.

﴿**وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بيّنة ما في الصحف الأولى**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على ما تقدم مما تضمنه قوله: ﴿**وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً..**﴾ وما فيه من معنى التصريف في الأمر والنهي والبيان والتفصيل.. فهذا الكلام رجوع إلى التنويه بشأن القرآن، وبأنه أعظم المعجزات. والمناسبة في الانتقال هو ما تضمنه قوله: ﴿**فاصبر على ما يقولون..**﴾ فجيء هنا بشِنَع من أقوالهم التي أمر الله رسوله أن يصبر عليها.. فمن أقوالهم التي يقصدون منها التعنت والمكابرة أن قالوا: لولا يأتينا بآية من عند ربه.. فنؤمن برسالته، وجملة أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى في موضع الحال: قالوا ذلك في حال أنهم أتتهم بينة ما في الصحف الأولى.. فالاستفهام إنكاري.. ووجه اختيار الصحف هنا على الكتب أن في كل صحيفة من الكتب علماً، وأن جميعه حواه القرآن.. فكان كل جزء من القرآن آيةً ودليلاً.

وهذه البينة هي محمد - ﷺ - وكتابه القرآن؛ لأن الرسول موعود به في الكتب السالفة؛ ولأن في القرآن تصديقاً لما في تلك الكتب من أخبار الأنبئاء ومن المواعظ وأصول التشريع. وقد جاء به رسول «أمّيّ» ليس من أهل الكتاب، ولا نشأ في قوم أهل علم ومزاولة للتاريخ مع مجيئه بما هو أوضح من فلق الصبح من أخبارهم التي لم يستطع أهل الكتاب إنكارها.. فما حواه القرآن من دلائل الصدق والرشاد وما امتاز به عن سائر الكتب من البلاغة والفصاحة البالغتين حد الإعجاز؛ وهو ما قامت به الحجة على العرب مباشرة وعلى غيرهم استدلالاً.

﴿**ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على الآية التي قبلها. والمعنى على الارتقاء في الاستدلال عليهم بأنهم ضالون حين أخروا الإيمان بما

جاء به محمد - ﷺ - وجعلوه متوقفاً على أن يأتيهم بآية من ربه؛ لأن ما هم متلبسون به من الشرك بالله ضلال بين قد حجبت عن إدراك فساده العادات واشتغال البال بشؤون دين الشرك.. فالإشراك وحده كاف في استحقاقهم العذاب.

ولكن الله رحمهم فلم يؤاخذهم به إلا بعد أن أرسل إليهم رسولاً يوقظ عقولهم. فمجيء الرسول بذلك كاف في استدلال العقول على فساد ما هم فيه.. فكيف يسألون بعد ذلك إتيان الرسول لهم بآية على صدقه فيما دعاهم إليه من نبذ الشرك لو سلم لهم جدَلاً أن ما جاءهم من البينة ليس هو بآية.. فقد بطل عذرهم من أصله. والضمير في قوله: من قبله عائد إلى القرآن الذي الكلام عليه. ﴿**قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى**﴾: هذه الآية جواب لقولهم: لولا يأتينا بآية من ربه، وما بينهما اعتراض. والمعنى: كل فريق متربص.. فأنتم تتربصون بتأخير الإيمان إلى أن تأتيكم آية من ربي، ونحن نتربص أن يأتيكم عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة.

وتفرع عليه جملة فتربصوا: دوموا على تربصكم.. فصيغة الأمر فيه مستعملة في الإنذار. وفرع على المتاركة إعلامهم بأنهم يعلمون في المستقبل مَنْ مِنَ الفريقين أصحاب الصراط المستقيم ومن هم المهتدون.. وهذا تعريض بأن المؤمنين هم أصحاب الصراط المستقيم المهتدون. لأن مثل هذا الكلام لا يقوله في مقام المحاجة والمتاركة إلا الموقن بأنه المحق. وقد جاءت خاتمة هذه السورة كأبلغ خواتم الكلام لإيذانها بانتهاء المحاجة وانطواء بساط المقارعة. ومن محاسنها أنّ فيها شبيهَ رد العجز على الصدر؛ لأن تنظر إلى فاتحة السورة وهو قوله: ﴿**ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى**﴾؛ لأن الخاتمة تدل على أنه قد بلّغ كل ما بعث به من الإرشاد والاستدلال.. فإذا لم يهتدوا به فكفاه انثلاج صدر: أنه أدّى الرسالة والتذكرة فلم يكونوا من أهل الخشية فتركهم وضلالهم حتى يتبين لهم أنه الحق.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً**﴾: في هذا التوجيه عودة إلى القرآن وبيان وظيفته بعدما قص على الرسول

قصة موسى وما فيها من أحداث وأنباء ووقائع.. وما يبدو فيها من رعاية الله وعنايته بموسى وأخيه. وما حدث مع قومه بني إسراءيل.. ومثل قصة موسى قصص الأنبئاء السابقين وما حدث لهم مع قومهم.. فكل هذا جاء مفصلاً في الذكر الحكيم الذي أنزله الله على رسوله الذي يجب على الناس اتباعه والاهتداء به والوقوف على معالمه والسير على توجيهاته: من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً.. فكل من أعرض عن هذا الذكر ولم يهتد بهديه ويسِرْ على منهاجه فإنه يتحمل مسؤوليته يوم يأتي بما اقترف من إثم يحمله على ظهره.

وبئس ما حمل من سوء العمل: يوم ينفخ في الصور.. وتأتي كل نفس بما عملت من خير أو شر.. ونحشر المجرمين المعرضين. زرقاً بما اعتراهم من الغَمِّ والهمّ والكدر.. فالناس يومئذ سكوت من هول المحشر: يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً من ليالي الدنيا التي مرت عليهم من ليالي العمر. والله يعلم كل ما خفي وما ظهر: نحن أعلم بما يقولون: إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً من أيام الدنيا التي يجمعها الليل والنهار بظهور الشمس والقمر. وهذا القول يقوله العالم بحقيقة الدنيا التي مرت كلمح البصر.. وما تذرع به المنكر يزيله هذا الخبر: ﴿**ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا**﴾: هذا هو مبدأ البعث الذي يساق الناس فيه إلى المحشر: ﴿**يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له**..﴾ يوم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر.

مهطعين إلى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر: ﴿**وخشعت الأصوات للرحمان فلا تسمع إلا همساً**..﴾ فتجتمع الحشود في المكان المشهود: في مكان لا يحده البصر وعدد فوق ما يتخيل البشر: ﴿**يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمان ورضي له قولاً**..﴾ فلا حبيبٌ ولا حسيبٌ ولا قريبٌ ولا نسيبٌ ينفع أو يضر. إلا من أذن الله له بالشفاعة ورضى قوله حسبما نهى وأمَر. والله لا تخفى عليه خافية، سواء أعلن المرءُ أو أسر: ﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً**..﴾ سبحانه العزيز الجبار المتكبر: ﴿**وعنت الوجوه للحي القيوم**﴾ الخالق البارئ المصور.

وهناك تظهر نتائج العمل.. فقد أفلح المؤمن، وقد خاب من عمل ظلماً.

وهو المجرم المعرض عن الذكر الذي أنزله الله على هذا الرسول المبعوث رحمة للبشر. ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً. وينتهي عرض الناس يومئذ.. فيعلم كلُّ فردٍ ما قدّم وأخّر.

التوجيه الثاني: **﴿وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً﴾**: في هذا التوجيه يتجه الخطاب إلى كل سامع وفي مقدمهم النبيء - ﷺ - يبين لهم الحقيقة التي جاء من أجلها هذا القرآن الجامع.. فجمع بين الوعد والوعيد.. وجمع بين الرحمة والعنف والتهديد.. فكان أول من واجههم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، وجاء على طريقة حوارهم وبيانهم لعلهم يتقون فيحذرون أو يتذكرون فيفهمون ويعرفون مصيرهم المحتوم: يوم لا ينفع مال ولا بنون.. **﴿فتعالى الله الملك الحق..﴾** فهو الذي تعنو له الوجوه، ويخيب في حضرته الظالمون، ويأمن في ظله المؤمنون الصالحون هو منزل هذا القرآن الذي بيّن وصرّف وحذّر وحرّض وأنذر وبشّر.. فمن أعرض عنه فقد خسر.. ومن تمسك به نال عزة الدنيا وسعادة الآخرة.. **﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه﴾**: أمر الله رسوله بأن يتثبت بالقرآن ولا يتعجل به قبل أن يتم جبريل قراءته عليه: لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه.

سنقرئك فلا تنسى.. وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً.. نزلناه كذلك لتثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً. ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً. من كل هذه الآيات وغيرها نفهم المراد من قوله تعالى لنبيئه - ﷺ - ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه. ومن هذا يجب على قارئ القرآن أن يرتله ويتفهمه ويتدبر معانيه: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب». «أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»؛ «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها»؟! **﴿وقل رب زدني علماً﴾**: أمر الله رسوله بطلب زيادة العلم بما يوحي إليه من هذا القرآن الذي أنزله الله عليه: وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً.

التوجيه الثالث: **﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾**: في

هذا التوجيه يذكّر القرآن السامع بالفرق بين من يهتدى بالوحي المنزل يثبت فؤاده ويبين له كيف يسير في حياته، وبين من ينصاع لغريزته وينساق معها بلا تثبت وتأمل واستبصار.. فيعرض قصة آدم هنا ليظهر الفرق بين آدم أصل الغريزة الإنسانية وبين محمد رسول الله خلاصة التربية الإلهية.. فالغريزة الإنسانية الاستعجال والنسيان.. والتربية الإلهية التثبت والاطمئنان. هكذا يعرض القرآن قصة آدم هنا ليعتبر ويتذكر كل إنسان: ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى..**﴾ ففي هذا عرض لطبائع المخلوقين المكلفين: الملائكة وطبيعتهم الطاعة. وإبليس وذريته وطبيعتهم المعصية. وآدم وذريته وطبيعتهم التردد بين الطاعة والعصيان، والتذكر والنسيان: ﴿**فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى..**﴾ ولكن آدم نسي هذا القول وسارع إلى مخالفة الرحمان.

ونسي أنه في نعيم مقيم: عيش رغد في جنة النعيم: ﴿**إنّ لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى..**﴾ ولكن آدم نسي هذا واستمع إلى وسوسة الشيطان: ﴿**فوسوس إليه الشيطان قال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى..**﴾ ومن الغريب أن الله أعلمه بذلك قبل أن يوسوس إليه الشيطان.. ﴿**فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**﴾: لقد تورط آدم وزوجه بعدما أكلا من الشجرة التي نهاهما عنها ربُّهما. وناداهما ربهما: ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما: إن الشيطان لكما عدو مبين.. ﴿**وعصى آدم ربه فغوى**﴾. وزوجه تبع له في هذا الحكم.

قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. ولما أظهرا التوبة وندما على ما فعلا قبل الله منهما توبتهما وعفا عنهما.. فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه.. ﴿**ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى..**﴾ ثم صدر الأمر إلى الخصمين اللدودين أن يهبطا إلى أرض المعركة الطويلة بعد الجولة الأولى في الملإ الأعلى: ﴿**قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو..**﴾ فبذلك أعلنت الخصومة في الثقلين.. فلم يعد هناك عذر لآدم وبنيه من بعده أن يقول أحد منهم إنما أُخذت على غرة ومن حيث لا أدري.. فقد دري وعلم، وأعلن هذا الأمر العلويُّ في الوجود كله: بعضكم لبعض عدو! «يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما

أخرج أبويكم من الجنة».. ومع هذا الإعلان شاءت رحمة الله بعباده أن يرسل إليهم رسله بالهدى، قبل أن يأخذهم بما كسبت أيديهم.. فأعلن لهم يوم أن أعلن الخصومة الكبرى بين آدم وإبليس، أنه آتيهم بهدي منه.. كلاً منهم بعد ذلك حسبما ضل أو اهتدى: ﴿**فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى..**﴾ يجيء هذا المشهد بعد القصة كأنه جزء منها، فقد أعلن عنه في ختامها في الملإ الأعلى.. فذلك أمر إذن قضي فيه منذ بعيد، ولا رجعة فيه ولا تعديل.. فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى.. فهو في أمان من الضلال والشقاء باتباع هدى الله.

والشقاء ثمرة الضلال ولو كان صاحبه غارقاً في المتاع.. فهذا المتاع ذاته شقوة: شقوة في الدنيا وشقوة في الآخرة. وما من متاع حرام إلا وله غصة تعقبه وعقابيل تتبعه. وما يضل الإنسان عن هدى الله إلا ويتخبط في القلق والحيرة والتكفؤ والاندفاع من طرف إلى طرف لا يستقر ولا يتوازن في خطاه. والشقاء قرين التخبط ولو كان في المرتع الممرع!.. ثم الشقوة الكبرى في دار البقاء. ومن اتبع هدى الله فهو في نجوة من الضلال والشقاء في الأرض. وفي ذلك عوض من الفردوس المفقود.. حتى يؤوب إليه في اليوم الموعود.

﴿**ومن أعرض عن ذكري**﴾، وانقطع عن الاتصال بي، ﴿**فإن له معيشة ضنكاً، ونحشره يوم القيامة أعمى..**﴾ وذلك ضلال من نوع ضلاله في الدنيا. وذلك جزاء على إعراضه عن الذكر في الأولى.. حتى إذا سأل: رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً؟ كان الجواب: ﴿**كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى..**﴾ فهذا مقابل لذاك: ذاك متبع لهدى الله.. فعاش في الدنيا آمناً مطمئناً ولقي جزاءه في الآخرة ثواباً: سعادة وراحة وأمناً. وهذا الذي أعرض عن ذكر ربه فعاش في الدنيا عيشة ضنكاً.. فهي حياة مقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة.. فهي حياة ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع.. إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه.. ضنك الحيرة والقلق والشك.

ضنك الحرص والحذر: الحرص على ما في اليد، والحذر من في الغد.. ضنك الجري وراء المطامع، والحسرة على كل ما يفوت من المنافع.. وما يشعر القلب بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب الإيمان، واتباع الهدى الذي وضحه

القرآن. ولا يحيي الإنسان راحة الثقة إلا إذا تمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.. إن طمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طولاً وعرضاً وعمقاً وسعة.. والحرمان منه شقوة لا تعادلها شقوة الفقر والحرمان: ﴿**وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى..**﴾ فقد أسرف من أعرض عن ذكر به.. أسرف فألقى بالهدي من بين يديه وهو أنفس ثراء وذخر.. وأسرف في إنفاق بصره في غير ما خلق له فلم يبصر من آيات الله شيئاً.. فلا جرم يعيش في الدنيا معيشة ضنكاً، ويحشر يوم القيامة أعمى!.. ففي هذا السياق اتساق في التعبير، واتساق في التصوير: هبوط من الجنة وشقاء وضلال.. ويقابله عودة إلى الجنة ونجوة من الشقاء والضلال. وفسحة في الحياة يقابلها الضنك.. وهداية يقابلها العمى.. فيجيء هذا تعقيباً على قصة آدم ـ وهي قصة البشرية جميعاً ـ فيبدأ الاستعراض في الجنة وينتهي في الجنة لمن كتب الله له الجنة من عباد الله المخلصين الذين أخلصهم الله من غواية الشيطان وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها.. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان.. إلا من اتبعك من الغاوين..

التوجيه الرابع: ﴿**أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم**﴾: في هذا التوجيه يأخذ السياق في جولة حول مصارع الغابرين تهديداً للمعرضين الحاضرين.. فهي جولة أقرب في الزمان من القيامة.. فهي واقع تشهده العيون إن كانت القيامة غيباً لا تراه الأبصار. وحين تجول العين والقلب في مصارع القرون، وحين تطالع العين آثارهم ومساكنهم عن كثب، وحين يتحلى الخيال الدور وقد خلت من أهلها الأول، ويتصور شخوصهم الذاهبة وأشباحهم الهاربة، وحركاتهم وسكناتهم، وخواطرهم وأحلامهم، وهمومهم وأمالهم.. حين يتأمل هذا الحشد من الأشباح والصور والانفعالات والمشاعر.. ثم يفتح عينيه فلا يرى من ذلك كله إلا الفراغ والخواء.. عندئذ يستيقظ للهوة التي تفغر فاهاً لتبتلع الحاضر كما ابتلعت الغابر.. فعندئذ يدرك يد القدرة التي أخذت القرون الأولى، وهي قادرة على أن تأخذ ما يليها.. فعندئذ يعي معنى الإنذار، والعبرة أمامه معروضة للأنظار.. فما لهؤلاء القوم لا يهتدون وفي مصارع القرون ما يهدي أولي الألباب: ﴿**إن في ذلك لآيات لأولي النهي.. ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى**﴾: لولا أن الله وعد أهل مكة للمعرضين عن القرآن ألا يستأصلهم بعذاب الدنيا: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم

وهم يستغفرون.. فلولا ذلك لحل بهم ما حل بالقرون الأولى.. ولكنها كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى أمهلهم إليه.

وإذا كانوا مؤخرين إلى أجل - لا مُهْمَلين - فلا عليك منهم ولا مما أوتوه من زينة الحياة الدنيا.. ﴿**فاصبر على ما يقولون**﴾ من كفر واستهزاء وجحود وإعراض.. ولا يضق صدرك بهم ولا تذهب نفسك عليهم حسرات. واتجه إلى ربك: ﴿**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى**﴾. إن التسبيح بالله اتصال. والنفس التي تتصل تطمئن وترضى: ترضى وهي في ذلك الجوار الرضى. وتطمئن وهي في الحمى الآمن.. فالرضى ثمرة التسبيح والعبادة. وهو وحده جزاء حاضر ينبُت من داخل النفس ويترعرع في حَنَايَا القلب. اتجه إلى ربك بالعبادة ﴿**ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم**﴾، من عرض الحياة الدنيا، من زينة ومتاع ومال وبنين وجاه وسلطان: ﴿**زهرة الحياة الدنيا**﴾، التي تطلعها كما يطلع النبات زهرته لامعة جذابة.

والزهرة سريعة الذبول على ما بها من رواء ورواق.. فإنما تمتعهم بها ابتلاء: ﴿**لنفتنهم فيه..**﴾ فتكشف عن معادنهم بسلوكهم مع هذه النعمة وذلك المتاع. وهو متاع زائل كالزهرة سرعان ما تذبل: ﴿**ورزق ربك خير وأبقى..**﴾ فهو رزق للنعمة لا للفتنة: رزق طيب خير باق لا يذبل ولا يخدع ولا يفتن. وما هي دعوة للزهد في طيبات الحياة.. ولكنها دعوة إلى الاعتزاز بالقيم الأصيلة الباقية وبالصلة بالله والرضى به.. فلا تتهاوى النفوس أمام زينة الثراء، ولا تفقد اعتزازها بالقيم العليا. وتبقى دائماً تحسّ حرية الاستعلاء على الزخارف الباطلة التي تبهر الأنظار.. ﴿**وأمر أهلك بالصلاة..**﴾ فأول واجبات الرجل المسلم أن يحول بيته إلى بيت مسلم، وأن يوجه أهله إلى أداء الفريضة التي تصلهم معه بالله.. فتوحد اتجاههم العلوي في الحياة. وما أروح الحياة في ظلال بيت أهله كلهم يتجهون إلى الله!.

﴿**واصطبر عليها..**﴾ على إقامتها كاملة، وعلى تحقيق آثارها. إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر. وهذه هي آثارها الصحيحة. وهي في حاجة إلى اصطبار على البلوغ بالصلاة إلى الحد الذي تثمر فيه ثمارها هذه في المشاعر

والسلوك.. وإلا فما هي صلاة مقامة.. إنما هي حركات وكلمات.. هذه الصلاة والعبادة والاتجاه إلى الله هي تكاليفك والله لا ينال منها شيئاً.. فالله غني عنك وعن عبادة العباد: ﴿**لا نسألك رزقاً نحن نرزقك..**﴾ إنما هي العبادة تستجيش وجدان التقوى: والعاقبة للتقوى.. فالإنسان هو الرابح بالعبادة في دنياه وأخراه.

يعبد فيرضى ويطمئن ويستريح. ويعبد فيجزى بعد ذلك الجزاء الأوفى. «ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين». وقرب ختام السورة يعود بالحديث إلى أولئك الكبراء الممتعين المكذبين، الذين يطلبون إلى الرسول - ﷺ - بعد ما جاءهم بهذا القرآن أن يأتيهم بآية من ربه: هذا القرآن الذي يبيّن ويوضّح ما جاءت به الرسالات قبله: ﴿**وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى..**﴾ فليس إلا التعنت وإلا المكابرة. والرغبة في الاقتراح هي التي تملى مثل هذا الاقتراح.. وإلا فآية القرآن كافية. وهو يصل حاضر الرسالة بماضيها، ويوحد طبيعتها واتجاهها. ويبين ويفصل ما أجمل في الصحف الأولى.

ولقد أعذر الله للمكذبين فأرسل إليهم خاتم النبئين: ﴿**ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى..**﴾ فهم لم يذلوا ولم يخزوا لحظة أن كان هذا النص يتلى عليهم.. إنما هو تصوير لمصيرهم المحتوم. الذي يذلون فيه ويخزون.. فلعلهم حينذاك قائلون: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً.. فها هي ذي الحجة قد قطعت عليهم.. فلم يعد لهم من عذر ولا عذير!.. وعندما يصل السياق إلى تصوير المصير المحتوم الذي ينتظرهم يؤمر الرسول.

بأن ينفض يده منهم.. فلا يشقى بهم ولا يكربه عدم إيمانهم، وأن يعلن إليهم أنه متربص بهم ذلك المصير فليتربصوا هم كيف يشاءون: ﴿**قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى**﴾. بذلك تختم السورة التي بدأت بنفي إرادة الشقاء عن النبيء - ﷺ - من تنزيل القرآن. وحددت وظيفة القرآن: إلا تذكرة لمن يخشى.. والختام يتناسق مع المطلع كل التناسق.. فهو التذكرة الأخيرة لمن تنفعه التذكرة. وليس بعد هذا التذكير تذكير!. وليس بعد البلاغ إلا انتظار العاقبة. والعاقبة للتقوى.

